

أخرت للحجة الرسالة بصورتها بحالها

جامعة أم القرى مكتبة مكتبة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا الشرعية
فرع الكتب والمخطوطات

عبد العزيز بن محمد
طه

اليف الدين تراجي

السناخا بولاه على المود

منهجي في تفسير القرآن الكريم

رسالة تفتتت لشن ووجه الالبتين في الكتاب والسنة

(١٤٠٢ - ١٤٠٣ هـ)

٨٦٤

٠٠٢٨٤٩

إعداد

الطاب / اليف الدين تراجي بن عالم الدين القرشي



اشراف

الشيخ / احمد احمد خلوش

للإهداء

أقدم هذه الرسالة عن نهج الهدى والمودعة في تفسير القرآن الكريم

إلى

العلماء في مجال الدعوة الإسلامية في كل مكان .

إلى

عملة رأيت الحركة الإسلامية في أنحاء العالم

إلى

السيد الذي هو المحب لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم

إيهم

جميعاً أقدم هذه الرسالة ولسن الله أن يجعلها خطوة في السبيل
في سبيل الدعوة الإسلامية . والله التوسين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة شكر والتقدير

الحمد لله رب العالمين الذي

وفقني لإتمام هذه الرسالة وأعانني على إنجازها والصلوة

والسلام على رسوله الكريم وعلى آله وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين؛ أما بعد:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من لا

يشكر الناس لا يشكر الله عز وجل. أو كما قال عليه السلام

فلهذا أرى من واجبي أن أشكر لكل من له أية مساهمة أو مساعدة أو توجيه في إنجاز

هذه الرسالة في صورتها الحالية وأسأل الله عز وجل أن يجزيها الله أحسن الجزا

وأقدم خالص شكري وتقديري لفضيلة الدكتور أحمد أحمد غلوش المشرف على

هذه الرسالة لتوجيهات القيمة وعنايته الخاصة التي تمكنت به من إكمال هذه الرسالة

ولأيفوتني أن أقدم شكري للقائمين على كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

وأخص بالذكر سعادة الدكتور على الحكمي عميد كلية الشريعة وسعادة الدكتور

عليان الحازمي عميد كلية الشريعة السابق وسعادة الدكتور

محمد سعد الرشيد عميد كلية الشريعة الأسبق لما قدموه من

المساعدات الكريمة لإكمال هذه الرسالة.

واسأل الله عز وجل أن يوفقهم الله لما يحبّه ويرضيه.

والله ولي التوفيق

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٢١-١	المقدمة
	الباب الاول : عصر الأستان المودودى وترجمته ودعوتة ومؤلفاته
٢٩٠-٢٢	ومؤثرات دعوتة الفكرية والعلمية
	(ويشتمل على خمسة فصول) :
١١٣-٢٢	الفصل الاول : العصر الذى عاش فيه الاستاذ المودودى ..
	(وفيه ستة مباحث)
٢٩-٢٢	المبحث الاول : نظرة طاهرة على ذلك العصر
٢٣-٢٢	التصعيد :
	الحضارة الغربية الحديثة ، نشأتها ، ومبادئها
٢٤-٢٣	الاساسية
٢٤	أئمة الحضارة الغربية الحديثة
٢٤	هيجل وتفسيره الجدلى للتاريخ
٢٥	كارل ماركس وتفسيره الجدلى الطارى للتاريخ
٢٦	داروين ونظريته للتطور
٢٧	فرويد وتفسيره الجنسى لعلم النفس
٢٧	مكانة هذه النظريات العلمية
٢٨-٢٧	ميكافلى ونظرية فصل الدين عن الدولة
٢٩-٢٨	النظام السياسية والاجتماعية الاخرى
٢٩	الاخلاق الطادية
٤٤-٣٠	المبحث الثانى : العالم الاسلامى فى ذلك العصر
٣٠	المهدف الاساسى الذى بعثت الامة الاسلامية من أجله
٣١-٣٠	البشرية تحت قيادة الامة الاسلامية الفكرية والحضارية
	ظهور الانحطاط والاضمحلال الفكرى والسياسى فى
٣١	العالم الاسلامى
	وقوع العالم الاسلامى تحت سيطرة الاستعمار الاوربى
٣٢-٣١	الفاشم

٣٢	حادث الغاء الخلافة العثمانية
٤٤-٣٣	غزو الاستعمار الفكري والحضارى على العالم الاسلامى
٣٥-٣٣	اسباب خضوع العالم الاسلامى لغزو الاستعمار الحضارى
٣٣	انحطاط العالم الاسلامى الفكرى والسياسى
		نهضة اوربا العلمية والتكنولوجيا وتغلب العالم الاسلامى فى
٣٤	العلم والتكنولوجيا
٣٤	سيطرة الاستعمار السياسية على العالم الاسلامى
٣٤		الغاء الخلافة العثمانية واقامة الدولة القومية العثمانية محلها
٤٢-٣٥	وسائل غزو الاستعمار الحضارى
٣٥	تشويه صورة الاسلام عن طريق المستشرقين والمبشرين
		انشاء المدارس والكليات والجامعات التبشيرية والحكومية
٣٧-٣٦	لتصميم الثقافة الغربية الالادينية
٣٨	استخدام وسائل الدعاية والاعلام
		انشاء حركات التفريغ والتفريغ فى المجتمعات الاسلامية
٣٩-٣٨	وتشجيعها
٤٠-٣٩	تشويه القيادات الدينية وصناعة القيادات المتفرجة الزائفة
		السيطرة على اجهزة التشريع وتغيير الشريعة الاسلامية
٤٢-٤٠	بالقوانين الوضعية
٤٢	المخططات الاستعمارية الاخرى
٤٤-٤٣	تجاوب العالم الاسلامى تجاه الغزو الفكرى الاستعمارى
٤٤	مدى تأثير غارة الاستعمار الحضارى فى العالم الاسلامى
٦٢-٤٥		المبحث الثالث : الحالة السياسية لمسلمى شبه القارة الهندية
		استيلاء الاستعمار الانجليزى على الهند والقضاء على حكومة
٤٥	المسلمين
٤٦	انشاء الاحزاب السياسية لتحرير البلاد
٤٦	حركة الخلافة
٤٦	الاتحاد الاسلامى الهندوسى وحركة مقاطعة الانجليز
٤٧	خمود حركة الخلافة والفترة القاسية لمسلمى الهند

٤٧	الدكتور محمد اقبال وفكرة انشاء وطن خاص لمسلمي الهند ..
	الدستور الاستعماري الجديد لعام ١٩٣٥ الميلادي واقامة
٤٨	حكومات حزب المؤتمر الهندي
٤٩	جمعية العلماء بالهند وتأبيدها لحزب المؤتمر الهندي ..
٤٩	عناية قادة المسلمين بمقاومة حركة القومية الهندية
٥٠-٤٩	قرار باكستان الشهير لعام ١٩٤٠ الميلادي
٥٠	تأسيس الجماعة الاسلامية
٥١	فترة هامة في تاريخ مسلمي شبه القارة الهندية
٥١	مؤامرة الشيوعيين الجديدة
٥١	نشأة دولة باكستان الاسلامية
٦٢-٥٢	<u>الوضع السياسي بعد انشاء دولة باكستان الاسلامية</u>
٥٢	الدولة الجديدة في مواجهة التحديات
	وفاة مؤسسي دولة باكستان الاسلامية وظهور الآراء المتضاربة
٥٢	حول تطبيق الشريعة الاسلامية في باكستان
٥٣	اصدار قرار المبادئ الاساسية لدولة باكستان الاسلامية ..
٥٣	اتفاق العلماء على مبادئ الاساسية للدستور الاسلامي ...
٥٤	الانتخابات لعام ١٩٥١ الميلادي
٥٤	مؤامرة وانقلابي الشيوعية
٥٤	الثورة الشعبية ضد القاد يانينيين
٥٥	الصراع الطويل لنفاذ الدستور الاسلامي
٥٥	الدستور الاسلامي لعام ١٩٥٦ م
٥٥	نفاذ الحكم الحرفي وحلول الاحزاب السياسية
	فترة الحكم الحرفي - فترة خصبة للمخططات والمؤامرات
٥٦	المعادية للاسلام
٥٧	الدستور الجديد وانتخابات الرئاسة
٥٧	الحرب بين الهند وباكستان
٥٨-٥٧	بداية الصراع الحنيف واستقالة ايوب خان
٥٨	الانتخابات البرلمانية لعام ١٩٦٠ الميلادي

٥٩	حادث انفصال باكستان الشرقية
٦٠-٥٩	حزب الشعب للسيد بوتو يستولى على الحكم
٦٠	المسلمون يقومون ضد القاد يانينين
٦٢-٦١	الحركة الشعبية ضد حكم بوتو والدكتاتورى
٨٦-٦٢		المبحث الرابع : الحالة الدينية لمسلمى شبه القارة الهندية
٦٢	موجز الحالة الدينية فى العالم الاسلامى
٧٣-٦٤	موجز الحالة الدينية فى شبه القارة الهندية
		موجز الحالة الدينية من بداية دخول الاسلام فى شبه القارة
٦٧-٦٤	الى سقوط الدولة المغولية
٦٧	وقوع الغارة الهندية تحت اشراف الاستعمار الانجليزى
		الحركات والدعوات التى ظهرت اشرغزو الاستعمار السياسسى
٧٩-٦٧	والحضارى
٦٩-٦٧	حركة سيد احمد خان
٧١-٦٩	المدارس الدينية
٧٣-٧١	ندوة العلماء
٨٠-٧٣	الحركات المعادية للاسلام
٧٤-٧٣	حركة التبشير
٧٤	القاد يانية
٧٥	حرمة انكار السنة
٧٦	العلمانية
٧٧	الشيوعية
٧٨	الحركات السرية
٧٨	حركات تهديد المسلمين
٨٢-٨٠	العناية بالدعوة الاسلامية
٨١-٨٠	دعوة الدكتور محمد اقبال
٨٢-٨١	دعوة الشيخ أبى الكلام آزاد
٨٦-٨٢	موجز الحالة الدينية فى دولة باكستان الاسلامية

٩٨-٨٧	المبحث الخامس: الحالة الاجتماعية لمسلمي شبه القارة الهندية
٨٨-٨٧	موجز الحالة الاجتماعية في العالم الاسلامي
٩١-٨٨	الحالة الاجتماعية في شبه القارة الهندية
٩١	الادب والصحافة
٩٤-٩٢	الحياة الاقتصادية
٩٨-٩٥	نظرة طابرة على الحالة الاجتماعية في دولة باكستان الاسلامية
٩٦	في مجال الصحافة والادب
٩٨-٩٦	في القطاع العمالي
٩٨	في دائرة الحياة الاجتماعية
	المبحث السادس : مؤثرات الصراع بين الاسلام والحضارة الغربية
١١٣-٩٩	في عصر الاستاذ المودودي عرضا ومناقشة
١٠١-١٠٠	التجاوب الناشئ* تجاه غزو الاستعمار الفكري والحضاري
١١٢-١٠١	مدى تاثير غزو الاستعمار الفكري في المجالات المختلفة
١٠٢-١٠١	في مجال الحياة السياسية
١٠٥-١٠٣	في مجال الحياة الدينية
١٠٦-١٠٥	في مجال الحياة الاجتماعية
١٠٧-١٠٦	في مجال الادب والصحافة
١٠٨-١٠٧	في مجال التعليم والثقافة
١٠٩-١٠٨	في مجال الاقتصاد والمعيشة
١١٠-١٠٩	في مجال العمال
١١١-١١٠	في مجال القانون والتشريع
١١٢-١١١	في مجال القيم الاخلاقية
١١٣-١١٢	التحليق والمناقشة
١٧٢-١١٤	الفصل الثاني : حياة الاستاذ ابي الاعلى المودودي :
١١٤	اسرته
١١٧-١١٥	والد الاستاذ المودودي
١١٨-١١٧	والدة الاستاذ المودودي

الصفحة	الموضوع
١٢٢-١١٨	اخوة الاستاذ المودودي
١٢٣-١٢٢	ولادة الاستاذ المودودي
١٢٤-١٢٣	تربيته الابتدائية
١٢٧	مطالته للثقافة الانجليزية
١٢٨	عنايته بالثقافة الاسلامية
١٢٩	الاستاذ المودودي في حياته العلمية
١٣٠-١٢٩	في مجال الصحافة
١٣١-١٣٠	استعداد الاستاذ المودودي للعمل في مجال الدعوة
١٣٢-١٣١	القيام بعمل الدعوة باصدار مجلة ترجمان القرآن
	عناية الاستاذ بالمهتمين الاساسيين - نقد الجاهلية الحديثة وابرار
١٣٣-١٣٢	اوجه النظام الاسلامي المختلفة
١٣٣	الزواج
١٣٤	نقده لسياسة حزب المؤتمر الهندي
١٣٥	الهجرة الى دار الاسلام
١٣٦	المسجد - المركز الاول للدعوة
١٣٧	في مدينة لاهور
١٣٧	محاضر الشرف بالكلية الاسلامية بلاهور
١٣٧	نقد الاستاذ المودودي لسياسة حزب رابطة المسلمين
١٣٩	تأسيس الجماعة الاسلامية
١٤٠	التركيز على التكوين والتربية
١٤٠	فكرة تأليف (تفهيم القرآن)
١٤٠	قرية دار الاسلام مقر جديد للجماعة الاسلامية
١٤١	استقلال البلاد وتقسيم الجماعة الاسلامية
١٤٢	الجماعة الاسلامية بالهند ومواجهة التحديات للاسلام والمسلمين
١٤٢	الجماعة الاسلامية في باكستان والجهاد لاقامة الحكومة الاسلامية
١٤٣	الاتهام والاكاذيب والسجون

١٤٤ اصدار قرار المبادئ لدولة باكستان الاسلامية
١٤٤ اتفاق العلماء والمشايخ على مبادئ أساسية للدولة الاسلامية
١٤٥ في مجال الانتخابات
١٤٦ المؤتمر العام للجماعة الاسلامية لعام ١٩٥١ الميلادي
١٤٦ الاستان يتصدى للتحدى
١٤٧ المطالبة بتطبيق الدستور الاسلامي
١٤٨ الحكم بالاعدام
١٤٩ لا استرحم أحدا سوى الله
١٤٩ استنكار العالم الاسلامي لحكم الاعدام
١٥٠ الدستور الاسلامي الجديد للبلاد
١٥١ حضور الاستان في مؤتمر العالم الاسلامي بدمشق وأداء فريضة الحج
١٥١ اعتماد أعضاء الجماعة على منهج عملها
١٥١ الانقلاب العسكري لعام ١٩٥٨ والخاء الدستور الاسلامي
١٥٢ بصيرة الاستان السياسية
١٥٢ رحلة الاستان الى أرض القرآن
١٥٤ عضوية مجلس الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة
١٥٤ عضوية المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي
١٥٥ أساليب الحكومة لمضايقة الاستان المودودي
١٥٥ المؤتمر العام للجماعة الاسلامية لعام ١٩٦٣ م
١٥٦ محاولة اغتيال الاستان المودودي وموقفه الجريء
١٥٧ الحركة الاسلامية كمثل الماء الجاري
١٥٨ مواصلة الجهاد للدستور الاسلامي
١٥٨ حل الجماعة الاسلامية واعتقال الاستان المودودي وزملائه
١٥٩ عمل الدعوة يستمر في السجن
١٥٩ في المحكمة العليا - قرار الحكومة قرار باطل
١٦٠ انتخابات الرئاسة للبلاد
١٦١ الدفاع عن البلاد

١٦٢ الجهاد في سبيل الله - العمل الوحيد لقضية كشمير المسلمة
١٦٤ تأليف كتاب " قضية كشمير المسلمة " وتوزيعه في مسلمي العالم
١٦٤ رفض الاستاذ من الموافقة على العهد بدون رؤية الهلال
١٦٣ اتحاد الاحزاب السياسية والجفاعات الدينية ضد النظام الدكتاتوري
١٦٣ اتحاد الشيوعيين والاديين ضد الاسلام والمسلمين
١٦٤ باكستان بلد امة محمد صلى الله عليه وسلم وليعلم بلد امة ماركس أو ماؤ
١٦٤ المفاوضات
١٦٥ الفوضى وسياسة النهب والسلب
١٦٥ الصراع بين الاسلاميين واليساريين واغتيال الشهيد عبدالمالك
١٦٦ في جامعة القزوين بالقاس (المغرب)
١٦٦ اعلان عن موعد الانتخابات البرلمانية وقيام الاستاذ بهجولة باكستان الشرقية
١٦٧ يوم شوكة الاسلام
١٦٨ الاستاذ يحذر الشعب من خطورة التحدي
١٦٨ لو اتحدت الاحزاب الاسلامية والجفاعات الدينية
١٦٩ حادث انفصال باكستان الشرقية
١٧٠ استمرار عمل الدعوة
١٧٠ اكمال التفسير (تفهيم القرآن)
١٧٠ المرض والتعحي عن الامارة
 حصول الاستاذ المودودي على جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة
١٧١ الاسلام
١٧١ الجائزة لخدمة الاسلام وقفت لخدمة الاسلام
١٧٢-١٧١ المرض والوفاة

٢٢٦-١٧٣

الفصل الثالثدعوة الاستاذ ابي الاعلى المودودي

(ويشتمل على اربعة مباحث)

١٨٤-١٧٣	المبحث الاول : اصول دعوة الاستاذ المودودي
١٧٥-١٧٣	الاصل الاول : الايمان بالتوحيد
١٨١-١٧٦	الاصل الثاني : الايمان بالرسالة
١٨٣-١٨١	الاصل الثالث : التزكية عن النفاق والتناقض
١٨٤-١٨٣	الاصل الرابع : اقامة الامة الصالحة
١٩١-١٨٥	المبحث الثاني : خصائص دعوة الاستاذ المودودي ومزاياها :
١٨٥	الدعوة العالمية
١٨٥	اقامة الدين بكامله
١٨٦	القضاء على اسماورة فصل الدين عن الدولة
١٨٧	القضاء على ثنوية الحياة
١٨٧	التقوى أساس للحضوية
١٨٨	الاهتمام باستحكام النظام
١٩٠-١٨٨	نظام النقد والاصلاح
١٩٠	تجنب الوقوع في الخلافات بين المسلمين
١٩١-١٩٠	البعد عن العنف والتخريب
١٩١	موقف الجماعة الاسلامية من الجماعات الدينية الأخرى
٢٠١-١٩٢	المبحث الثالث : منهج دعوة الاستاذ المودودي
١٩٢	الجزء الاول : القدوة قبل الكلمة
١٩٦-١٩٣	الجزء الثاني : القيام بحمل الدعوة ومقتضياتها
١٩٤	الاهتمام بالحكمة والموعظة الحسنة
١٩٦-١٩٥	الاهتمام بمبدأ الأهم فالأهم

١٩٧-١٩٦ الاهتمام بالصبر والصمود
١٩٧	الجزء الثالث : الاهتمام بالاستحكام فى نظام الدعوة ..
١٩٩-١٩٧ الجزء الرابع : الاهتمام بالتكوين والتربية
٢٠٠-١٩٩ الجزء الخامس : الاهتمام باصلاح المجتمع
٢٠١-٢٠٠ الجزء السادس : اصلاح الحكومة
٢٢٦-٢٠٢	المبحث الرابع : المراحل التى مرت بها دعوة الاستاذ المودودى : المرحلة الاولى : استعداد الاستاذ المودودى لعمل الدعوة
٢٠٣-٢٠٢ المرحلة الثانية : بداية الدعوة والاهتمام بالنقد للجاهلية الحديثة
٢٠٦-٢٠٣ المرحلة الثالثة : تأسيس الجماعة والاهتمام بالتكوين والتربية ونشر الدعوة
٢١٠-٢٠٧ المرحلة الرابعة : الجهاد لاصلاح المجتمع واقامة الحكومة الاسلامية
٢٢٦-٢١٠ تقسيم الجماعة الاسلامية الى ثلاث جماعات
٢١١-٢١٠ الجماعة الاسلامية بالهند
٢١١ الجماعة الاسلامية بولاية جامو وكشمير المحتلة
٢١٢ الجماعة الاسلامية بباكستان والبرنامج الذى اختارته لاقامة الحكومة الاسلامية
٢١٣-٢١٢ الاساليب والوسائل الاخرى التى اختارتها الجماعة الاسلامية اصدار الكتب والبحوث لبيان اهمية اقامة الحكومة الاسلامية وشرح الجوانب المختلفة للحياة الاسلامية
٢١٤ اصدار الجرائد والمجلات
٢١٥ الدروس والمحاضرات
٢١٥ انشاء دور المطالعة والمكتبات

٢١٦	انشاء المدارس والمعاهد
٢١٧-٢١٦	في مجال الخدمات الخيرية
٢٢١-٢١٨	الاهتمام بالمجالات الاخرى المختلفة
٢١٨	الاهتمام بالجيل الجديد
٢١٩	الاهتمام بالمدرسين والاساتذة
٢١٩	الاهتمام بالعامل
٢١٩	الاهتمام بالفلاحين
٢٢٠	الاهتمام بالاتحاد بين العلماء والمشايخ
٢٢٠	عمل الدعوة في مجال السيدات
٢٢١-٢٢٠	مدى تأثير الدعوة الاسلامية في المجتمع بلغة الارقام
٢٢٦-٢٢٢	الدعوة الاسلامية دعوة عالمية
٢٢٢	العلاقات مع الحركات الاسلامية العالمية
٢٢٢	اصدار الكتب في اللغات العالمية الاخرى
٢٢٣	دار الضرورية للدعوة الاسلامية
٢٢٣	مجمع المحارف الاسلامية
٢٢٥-٢٢٤	المؤسسة الاسلامية ببريطانيا
٢٢٦	الاهتمام بترويض الكتب الاسلامية في اللغات العالمية الاخرى

الفصل الرابع : تأليفات الاستاذ ابي الاعلى المودودي :

٢٢٧-٢٢٥	موايا مؤلفات الاستاذ المودودي
٢٢٩-٢٢٨	أهم تأليفات الاستاذ المودودي
٢٥٥-٢٣٠	تفهم القرآن
٢٣٠	مبادئ الاسلام
٢٣٠	نحن والحضارة الغربية
٢٣٢-٢٣١	الخطيب
٢٣٢	

الصفحة	الموضوع
٢٣٧-٢٣٤ الجهاد في الاسلام
٢٣٨-٢٣٧ المصطلحات الاربعة في القرآن
٢٣٩-٢٣٨ تجديد الدين وحيائه
٢٤١-٢٤٠ مائة السنة في التشريع
٢٤٣-٢٤٢ الحجاب
٢٤٥-٢٤٣ الدولة الاسلامية
٢٧٥-٢٤٦	قائمة مؤلفات الاستاذ المودودي حسب التصنيف الموضوعي
٢٤٧-٢٤٦ مؤلفات حول الكتاب والسنة
٢٤٨-٢٤٧ مؤلفات حول السيرة النبوية
 مؤلفات حول العقائد والالهيات ومبادئ الاسلام
٢٥٠-٢٤٨ الاساسية
٢٥٣-٢٥٠ مؤلفات حول الدعوة الاسلامية ومتطلباتها
٢٥٦-٢٥٣ مؤلفات حول الحكومة الاسلامية وما يتعلق بها
٢٥٨-٢٥٦ مؤلفات حول الاقتصاد والمعيشة
٢٥٨ مؤلفات حول الاخلاق والتركيبية
٢٦٠-٢٥٩ مؤلفات حول الحياة الاجتماعية
٢٦١-٢٦٠ مؤلفات حول التعليم والثقافة
٢٦٣-٢٦٢ مؤلفات في مواجهة التحديات المعاصرة
٢٦٤-٢٦٣ مؤلفات حول قضايا الشباب الاسلامي
٢٦٧-٢٦٥ مؤلفات حول قضايا العالم الاسلامي
٢٦٩-٢٦٧ مؤلفات حول الحركات الهدامة المعادية للاسلام
٢٧٠-٢٦٩ مؤلفات حول قضايا البلاد الداخلية
٢٧٢-٢٧١ الموسوعات الاسلامية
٢٧٤-٢٧٢ الموضوعات المختلفة
	الكتب التي ألفها الاستاذ المودودي قبل قيامه
٢٧٥-٢٧٤ للدعوة الاسلامية
٢٧٥ التراجع من اللغة العربية

٢٩٠-٢٧٦	الفصل الخامس : مؤثرات دعوة الاستاذ المودودي الفكرية والعلمية
٢٧٧	احياء التصور الصحيح للدين
٢٧٩-٢٧٨	ابراز التصور الصحيح للتوحيد ومتطلباته
٢٨١-٢٧٩	اثبات صلاحية الاسلام في كل زمان ومكان
٢٨٢-٢٨١	تجديد أسلوب الدفاع عن الاسلام
٢٨٤-٢٨٣	بيان الفرق بين الاسلام وبين ما هو ينتسب الي المسلمين
٢٨٦-٢٨٥	ابراز أهمية فريضة اقامة الدين
٢٨٨-٢٨٧	ابراز أهمية التوازن في الاهتمام باحكام الاسلام وتعليماته
٢٨٩-٢٨٨	مواجهة التحديات المعاصرة والحركات الهدامة
٢٩٠-٢٨٩	الدمع الفكري والعلمي للحركات الاسلامية المعاصرة ...

الباب الثاني

٢٩١-٦١٠

منهج الاستاذ المودودي في تفسير القرآن الكريم

(ويشتمل على ثلاثة فصول)

٣٢٣-٢٩١	الفصل الاول : التفسير وتاويله خلال العصور : (ويشتمل على محشين)
٣٠٩-٢٩١	المبحث الاول : بداية التفسير وتاويله خلال العصور
٢٩١	المراد من التفسير لغة واصطلاحاً
٢٩١	الحاجة الى التفسير
٢٩٢	مصادر التفسير
٢٩٦-٢٩٢	التفسير في عصر الصحابة
٣٠١-٢٩٧	التفسير في عصر التابعين
٣٠٣-٣٠١	التفسير في عصر تابعي التابعين
٣٠٦-٣٠٣	أنواع التفسير
٣٠٤-٣٠٣	التفسير بالمأثور
٣٠٦-٣٠٤	التفسير بالرأى

الصفحة	الموضوع
٣٠٩-٣٠٦	التفسير في العصر الحديث
٣٠٦	التفسير المذهبي
٣٠٧-٣٠٦	التفسير الاحادي
٣٠٨-٣٠٧	التفسير الادبي الاجتماعي
٣٠٩-٣٠٨	التفسير العلمي
٣٢٢ - ٣١٠	المبحث الثاني : التفسير في شبه القارة الهندية
٣١٣-٣١١	التفسير باللغة العربية في القارة الهندية
٣١٩-٣١٤	التفسير باللغة الأردية
٣٢٣-٣٢٠	التفسير بالرأى المنكر للتفسير بالمأثور
٣٤١-٣٢٤	الفصل الثاني : مقدمات أساسية لدراسة منهج الاستاذ المودودي في التفسير (ويشتمل على ثلاثة مباحث)

	المبحث الاول : الاسباب التي دفعت الاستاذ المودودي الى تأليف
٣٢٨-٣٢٤ تفهيم القرآن
٣٣٣-٣٢٩	المبحث الثاني : الظروف التي ألف الاستاذ المودودي تفسيره فيها
	المبحث الثالث : أسلوب الاستاذ المودودي في البحث والتحقيق
٣٤١-٣٣٤ خلال تأليف تفهيم القرآن
٣٣٤ الاهتمام بالاحتياط الكامل
٣٣٦-٣٣٥ الاهتمام بالتحقيق والدقة
٣٣٨-٣٣٦ العناية بأسلوب المقارنة
 الاهتمام بالترجيح للمفهوم التباين للالفاظ والكلمات
٣٣٩ القرآنية
٣٤٠-٣٣٩ أسلوبه في الاحتجاج من المراجع والصادر
 الاهتمام بتصحيح الأخطاء اذا تبين له بالادلة
٣٤١-٣٤٠ من الكتاب والسنة

الفصل الثالث : منهج الاستاذ المودودي في تفسير القرآن الكريم :
(ويشتمل على اثنا عشر مبحثاً) :

٣٤٢	المبحث الاول : منهج الاستاذ المودودي في التقديم للسور القرآنية
٣٤٣-٣٤٢	الاهتمام بتسمية السورة
٣٤٨-٣٤٣	الاهتمام بزمان النزول
٣٥٢-٣٤٨	بيان سبب النزول او الغلفية التاريخية
٣٥٧-٣٥٢	بيان موجز لمباحث السورة
٣٨٢-٣٥٨	المبحث الثاني : اهتمام الاستاذ المودودي بالتفسير المأثور:
٣٥٨	طه والتفسير بالمأثور
٣٦٠-٣٥٩	اهتمام الاستاذ المودودي بالتفسير بالمأثور
٣٧٢-٣٦٠	الاهتمام بتفسير القرآن الكريم بالقرآن
٣٨٢-٣٧٣	تفسير القرآن بالاحاديث النبوية
٤١١-٣٨٣	المبحث الثالث : الاهتمام بالدعوة ومطالباتها خلال التفسير ..
٣٨٩-٣٨٨	القيام بالدعوة - مسئولية الامة الاسلامية الاساسية ..
	شهادة الحق - الهدف الاساسي الذي بعثت الامة
٣٩٢-٣٨٩	الاسلامية من اجله
٣٩٥-٣٩٣	الاهتمام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر
٣٩٧-٣٩٥	اهمية الاهتمام بالدعوة
٤٠٥-٣٩٧	منهج الدعوة الاسلامية
٤٠٠-٣٩٨	الاهتمام بمبدأ الالهم فالاهم
٤٠٠	الاهتمام بخطاب الناس على قدر عقولهم
٤٠٣-٤٠١	الاهتمام بالحكمة والموعظة
٤٠٥-٤٠٤	اختيار الفرصة المناسبة لتقديم الدعوة
٤١٠-٤٠٥	الصفات اللازمة للداعية
٤٠٧-٤٠٦	كون الداعية لنا وصابراً

الصفحة	الموضوع
٤٠٧-٤٠٨	كون الداعية سهلاً في أسلوبه لتقديم الدعوة
٤٠٨	اجتئاب الجدل والمناظرة
٤٠٨-٤١٠	اجتئاب الغضب
٤١٠-٤١١	التعليق والمناقشة
المبحث الرابع : بيان الاهتمام باقامة الحكومة الاسلامية والعناية	
٤١٢-٤٦٦	بإبراز الفواحي المختلفة للنظام الاسلامي
٤١٣	الاسلام دين وحيد يناسب النوع الانساني
	الاسلام دين الفطرة لانه دين بعث الله به رسوله
٤١٣-٤١٦	بوصفه خالفاً للانسان
٤١٦-٤١٧	الاسلام دين كامل
٤١٧-٤٢١	الاسلام دين الله الوحيد
٤٢١-٤٢٢	الدين هو المنهج الكامل للحياة الانسانية
	المراد من اقامة الدين هو اقامة النظام الاسلامي
٤٢٢-٤٢٣	أقامة الحكومة الاسلامية
	اقامة الدين بدون الشريعة تؤدي الى فصل الدين عن
٤٢٣-٤٢٤	الدولة
٤٢٤-٤٢٥	الادلة القرآنية على كون الاحكام الشرعية من الدين
	التوفيق بين قوله سبحانه (شرع لكم من الدين ما وصى
	به نوحاً) وبين قوله سبحانه (لكل جعلنا منكم شرعة
٤٢٥-٤٢٨	ومهاجا)
٤٢٨-٤٣٠	لا يمكن العمل باحكام الاسلام الا باقامة الحكومة الاسلامية
	أسوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من أقوى الأدلة
٤٣٠-٤٣١	لا يبراز أهمية اقامة الدولة الاسلامية
٤٣١-٤٣٢	التحذير من الوقوع في التفرقة

الصفحة	الموضوع
٤٣٤—٤٣٣	النبي صلى الله عليه وسلم يدعو اللئان يؤيده بالسلطان
٤٣٨—٤٣٤	المبادئ الدستورية للدولة الإسلامية
٤٣٥—٤٣٤	المبدأ الأول — طاعة الله سبحانه
٤٣٥	المبدأ الثاني — طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم
٤٣٦—٤٣٥	المبدأ الثالث — طاعة أولي الأمر من المسلمين في المصروف
٤٣٨—٤٣٧	المبدأ الرابع — الرجوع إلى الكتاب والسنة في حالة الاختلاف
٤٤٢—٤٣٩	الشورى ومكانتها في النظام الإسلامي
٤٤٢—٤٤١	المقتليات الأساسية للشورى
٤٤٣ — ٤٦٩	المبادئ الأساسية والنواحي المختلفة للنظام الإسلامي الحاكمية لله سبحانه وتعالى — المبدأ الأساسي الأول
٤٤٤	للدستور الإسلامي
٤٤٥—٤٤٤	الاحسان بالوالدين
٤٥٧—٤٤٥	التعليمات المتعلقة بالعدالة الاجتماعية
٤٤٨—٤٤٧	التعليمات المتعلقة بالتوازن في المعيشة والاقتصاد ..
٤٥٠—٤٤٩	التفاوت في المعيشة من مشيئة الله سبحانه
٤٥٧—٤٥٠	تحريم الربا من المبادئ الأساسية لنظام الاقتصاد الإسلامي
٤٦٢—٤٥٧	التعليمات المتعلقة بالحياة الاجتماعية
٤٥٨—٤٥٧	حرمة قتل الأولاد أو تحديد النسل
٤٥٩	تحريم الزنا ودواعيه
٤٦٠	حرمة قتل النفس الا بالحق
٤٦١—٤٦٠	المراد من القتل بالحق
٤٦١	حق طلب القصاص لاولياء المقتول
٤٦١	تحريم الاسراف في القتل والمراد منه
٤٦٢	الحكم في القصاص من صيغة الحكومة الإسلامية ومحاكمها .
٤٦٣—٤٦٢	الاهتمام بالمحافظة على مال اليتيم وحقوق الضعفاء ..
	الوفاء بالعهد أساساً لسياسة الحكومة الإسلامية
٤٦٤—٤٦٣	الداخلية والخارجية

الصفحة	الموضوع
٤٦٤	الوفاء بالكيل والميزان
٤٦٦-٤٦٥	حرمة اتباع الذنن في دوائر الحياة المختلفة
٤٦٦	حرمة اختيار طريق الجبارين والمتكبرين
٤٦٩-٤٦٧	التحليق والمناقشة
المبحث الخامس : منهج الاستاذ المودودي لدراسة القصص الواردة	
٤٨١-٤٧٠	في القرآن الكريم
	بيان العلاقة بين القصة وبين مرحلة الدعوة التي هي
٤٧٨-٤٧١	نزلت فيها
	بيان حكمة ايراد قصة اصحاب الكهف وقصة الخضر عليه
٤٧٩-٤٧٨	السلام وقصة نوح والقرنين
	بيان العلاقة بين قصة اصحاب الكهف وبين مرحلة
٤٨٠-٤٧٩	الدعوة التي هي نزلت فيها
٤٨١	التحليق والمناقشة
المبحث السادس : منهج الاستاذ المودودي في دراسة آيات الاحكام	
٤٩٢-٤٨٢	الاهتمام بالمقارنة والترجيح بين المذاهب الفقهية
٤٨٢	تعريف الزنا في المذاهب الفقهية المختلفة
٤٨٤-٤٨٢	الشروط اللازمة لاعتبار الزنا جريمة مستلزمة للحد
٤٨٦-٤٨٤	حكم الاكراه في ارتكاب جريمة الزنا
٤٨٨-٤٨٦	جريمة الزنا ليست قابلة للتراضى
٤٩٠-٤٨٨	الايلاء في المذاهب الفقهية المختلفة
٤٩١-٤٩٠	التحليق والمناقشة
٤٩٢-٤٩١	المبحث السابع : الاهتمام بالخراطيم والصور للامكن التي ورد ذكرها
٥٠٦-٤٩٢	في القرآن الكريم
٤٩٧-٤٩٥	خريطة خروج بني اسرائيل من مصر

- ٥٠٣-٤٩٧ قصة سيدنا صالح عليه السلام وصوره مانى ثمود
- ٥٠٦-٥٠٣ قائمة الخرائط والصور الواردة في تفهيم القرآن
- المبحث الثامن : استشهاد الاستاذ المودودي في تفسيره من كتب
- ٥٢٤-٥٠٧ اهل الكتاب
- ٥١٥-٥٠٧ الاستشهاد للبيان المفصل لما جاء في القرآن الكريم موجزا
الاستشهاد على تعريف الكتب السابقة والرد على الاتهام
أن النبي صلى الله عليه وسلم تلقن القرآن من كتب أهل
- ٥٢٢-٥١٥ الكتاب أو علمائهم
- ٥٢٤-٥٢٢ التحليق والمناقشة
- المبحث التاسع : عدم الخوف في المباحث الجانبية
- ٥٣١-٥٢٥ حول تعيين اسم الشجرة التي أكل منها سيدنا آدم وحواء
عليهما السلام
- ٥٢٧-٥٢٥ حول تعيين شخصية المار او اسم القرية في قوله تعالى :
(او كاذب مر على قرية وهي خاوية على عروشها)
- ٥٢٩-٥٢٧ حول تعيين عدد اصحاب الكهف
- ٥٣٠-٥٢٩ التحليق والمناقشة
- ٥٣١
- المبحث العاشر : منهج الاستاذ المودودي في الرد على التأويلات
- ٥٨٢-٥٣٢ الباطلة في تفسير القرآن الكريم
- الرد على التأويلات الباطلة التي جاء بها الشيعة في تفسير
- ٥٤٥-٥٣٣ القرآن الكريم
- الرد على الاتهام أن السيدة عائشة رضيت الله عنها
- ٥٣٦-٥٣٤ ليست من أمهات المؤمنين
- الرد على الاتهام أن ازواج النبي صلى الله عليه وسلم -
- ٥٤٢-٥٣٧ لسن من أهل بيته - صلى الله عليه وسلم

الموضوع	الصفحة
النقد على عقيدة كون غير الانبياء معصومين	٥٤٥-٥٤٢
الرد على التأويلات الباطلة للقاد يانين	٥٦٤-٥٤٦
الرد على تأويلهم الباطل لكون النبي صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين	٥٦٤-٥٤٧
الاستشهاد من اللغة العربية	٥٥١-٥٥٠
الاستشهاد بالاحاديث النبوية	٥٥٥-٥٥٢
الرد على استدلال القاد يانين من بعض الروايات ...	٥٥٧-٥٥٥
الاستشهاد من اجماع الامة	٥٦٠-٥٥٧
البراهين الصقلية	٥٦٤-٥٦٠
الرد على التأويلات الباطلة لمنكري السنة	٥٨٢-٥٦٥
أهمية السنة في فهم المراد الصحيح للقرآن	٥٧٢-٥٧٠
النتائج اللازمة لانكار السنة	٥٧٦-٥٧٢
الرد على تأويلهم الباطل لاقامة الصلاة	٥٧٩-٥٧٦
الرد على انكار خوارق العادة على أيدي الانبياء عليهم السلام	٥٨١-٥٨٠
التحليق والمناقشة	٥٨٢-٥٨١
المبحث الحادي عشر : ابراز موقف الاسلام من الفلسفات الجاهلية	
المصاهرة خلال التفسير	٦٠٠-٥٨٣
الاهتمام بالنقد لفلسفة التطور لداروين	٥٩١-٥٨٧
نقد التفسير الجدلي والتفسير المادي للتاريخ	٥٩٨-٥٩٢
التحليق والمناقشة	٦٠٠-٥٩٨
المبحث الثاني عشر : مكانة منهج الاستاذ المودودي في تفسير	
القرآن الكريم	٦١٠-٦٠١

الصفحة	الموضوع
٦٢٥-٦١١ كلمة الختام
٦٥٢-٦٢٦	المصادر والمراجع :
٦٥٠-٦٢٦ أ - الكتب
٦٥٢-٦٥١ ب - المجلات والجرائد
٦٥٢ ج - المصادر والمراجع باللغة الانجليزية
٦٧٢-٦٥٢ فهرس الموضوعات

المقدمة

المقدمة

الحمد لله نعمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وتشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وتشهد أن محمدا عبده ورسوله . . أما بعد :

فقد من الله سبحانه وتعالى على الخلق ان بعث فيهم خاتم المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بكتابه العظيم " القرآن الكريم " ليخرج البشرية من الظلمات الى النور ، ومن الضلالة الى الهداية ، ومن الجاهلية الى الاسلام ، ومن عبادة الاوثان الى عبادة الله ، ومن عبودية الناس الى عبودية خالق الناس ، ومن جور الاديان الى عدل الايمان ، ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والاخرة ، ومن حاكمة الطاغوت الى حاكمة الله سبحانه وتعالى .

وقد بعث الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم باكمل دين وأقوم شريعة وأنزل عليه صلى الله عليه وسلم كتابه العزيز ليكون تشريعا خالدا للبشرية على مر العصور والايام ، وكان هذا الكتاب العظيم دستورا وتشريعا للدولة الاسلامية الاولى التي أقامها النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة والتي تولى رئاستها بعد وفاته صلى الله عليه وسلم خلفاؤه الراشدون ولا يحرف التاريخ دورا أكمل وأجمل وأزهر من ذلك الدور الذهبي ، فيقول الشهيد سيد قطب في مقدمة تفسيره (في ظلال القرآن) عن هذا الانقلاب العظيم في التاريخ البشري : " تسلم الاسلام القيادة بهذا القرآن وبالتصور الجديد الذي جاء به القرآن ، وبالشريعة المستمدة من هذا التصور فكان ذلك مولدا جديدا للانسان أعظم في حقيقته من المولد الذي كانت به نشأته ، لقد أنشأ هذا القرآن للبشرية تصورا جديدا عسّن الوجود والحياة والقيم والنظم ، كما حقق لها واقعا اجتماعيا فريدا كان يعزطس خيالها تصوره مجرد تصور ، قبل أن ينشئه لها القرآن انشأه ، نعم لقد كان هذا

هذا الواقع من النظافة والجمال والمعظمة والارتفاع ، والبساطة والبسر والواقعية والايجابية والتوازن والتناسق بحيث لا يخطر للبشرية على بال ، لولا أن الله أراد لها وحققه في حياتها . . في ظلال القرآن ومنهج القرآن وشريعة القرآن" (١)

وظل المسلمون يقودون الركب البشرى الى الخير والسعادة والرقى والازدهار ، سياسيا وحضاريا ، لعدة قرون الى أن بدأ انحطاطهم السياسى والحضارى وذلك لفصلهم الدين عن الدولة وعدم عنايتهم بالجهاد والاجتهاد، وهذا ما أدى الى تخلفهم سياسيا وحضاريا وعزلهم عن منصب القيادة البشرية وكان ذلك فى الوقت الذى بدأت فيه النهضة العلمية والتكنولوجية فى العالم العربى ، وازدهرت الحضارة المادية الجاهلية الحديثة بعد انتمار الحركة العلمية المادية على الكنيسة ، كما كان ذلك فى الوقت الذى بدأ فيه الاستعمار الغربى الفاشم غزوه السياسى والحضارى للعالم الاسلامى ، فوقع العالم الاسلامى تحت سيطرة الاستعمار السياسية والحضارية ، فخطط الاستعمار مخططات ومؤامرات للقضاء على صلة المجتمعات الاسلامية بدينهم وحضارتهم وثقافتهم وتاريخهم وتراثهم وقيمهم الاخلاقية وشريعتهم الربانية السامية مستبدلا بها الفلسفات المادية الجاهلية والحضارة اللادينية الحديثة والقيم الاخلاقية المادية والثقافة الفرنجية اللادينية والقوانين الوضعية الجاهلية ، وكان تجاوب الأمة الاسلامية لهذا الغزو الاستعمارى بصورتين مختلفتين : أولاهما : التجاوب الانفعالى ، وثانيتهما : التجاوب الجمودى ، فأما التجاوب الانفعالى فقد أدى الى الاستسلام والخضوع الكامل لكل ماجاء من الغرب صحيحا كان أو غير صحيح ، غثا كان أم شمينا ، وأما التجاوب الجمودى فكان يهدف الى المحافظة على مابقى من التراث الاسلامى من غارة الاستعمار الفاشم ، ولكن

(١) الشهيد سيد قطب - فى ظلال القرآن ج ١ ص ١٦ .

أدى الى اعتزال العلماء بل ايشعادهم عن معتك الحياة وبهذا تمكن المشفقون المتفرنجون من السيطرة على زمامة الشعوب الاسلامية في البلاد الاسلامية المختلفة .

لقد تحت سيطرة الاستعمار السياسية والحضارية على العالم الاسلامى خلال الربع الأول للقرن العشرين الميلادى ، ان تمكن الاستعمار من القضاء على الخلافة الاسلامية وبث النعرات القومية الجاهلية لتمزيق وحدة العالم الاسلامى واثرت ذلك وقع العالم الاسلامى من شرق الى غربه فى العبودية الفكرية للحضارة الاستعمارية الجاهلية .

كانت هذه هى الاوضاع السائدة فى العالم الاسلامى حينما شاء الله سبحانه وتعالى أن تقوم الدعوة الاسلامية لاهيا التصور الصحيح للاسلام وانقاذ المسلمين من العبودية الفكرية للحضارة الاستعمارية الجاهلية ، فظهرت الدعوة فى نفس الوقت فى بلدان مختلفين ان تأسست حركة الاخوان المسلمين فى مصر عام ١٩٢٨ الميلادى وكان فى الوقت ذاته أن قرر الاستاذ المودودى فى شبته القارة الهندية أن يترك مهنة الصحافة ليعبد نفسه للعقل فى مجال الدعوة ، فيقول الاستاذ المودودى عن استعداده هذا للدعوة : " أفرغت من عام ١٩٢٩ الى عام ١٩٣٢ الميلادى العديد من خزانات الكتب والمراجع فى ذهنى استعدادا للمهمة الجديدة ، مهمت الدعوة الى الاسلام فى عصر طى بالفكار والتيارات ، يفرض على الداعية أن يتزود بزاد طى شامل وان يحظى بعضا من البرهان يتوكأ عليها ويهش بها طى غنه ويحقق بها مآرب الاخرى " (١) . ثم يبدأ الاستاذ المودودى بالدعوة فعلا عام ١٩٣٣ الميلادى حيث يقوم باصدار مجلة ترجمان القرآن التى كانت غايتها الوحيدة اعلاء كلمة الله والدعوة الى

(١) الاستاذ خليل الحامدى - الامام ابوالاعلى المودودى - حياته ودعوته

الجهاد في سبيل الله " (١) . وبعد أن استمر الاستاذ المودودي في عمل الدعوة لأكثر من ثمان سنوات ، نقد الحضارة الجاهلية الحديثة في كل نواحيها ، وبيننا صلاحية الاسلام لمواجهة التحديات المعاصرة ولقيادة البشرية في العصر الحاضر في كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية ، قام بتأسيس الجماعة الاسلامية عام ١٩٤١ الميلادي ، وقررا إقامة الدين في كل ناحية من نواحي الحياة الفردية والاجتماعية غاية وهدفا لها .

ويقول العلامة الجليل الاستاذ عمر التلساني المرشد العام الحالي للاخوان المسلمين مقارنا بين الامام حسن البنا الشهيد والامام ابي الاعلى المودودي وبين منهجيهما في الدعوة الاسلامية : " انهما بحق اماما الجيل الظاهران المتفردان ، انهما استمدا كل معلوماتهما ومنهجيهما واساليبيهما ووسائلهما في الدعوة الى الله من القرآن الكريم وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام دون أخذ من هذا الفيلسوف أو استمداد من ذلك الكاتب ،

فجاءت مدرستهما بعيدة كل البعد عما قد يعيب الدعوة الاسلامية بأي فهم أو تفكير لاصلة له بالاسلام " (٢) . وتعطى الان الجماعة الاسلامية في ثمان دول وهي : باكستان والهند ، وبنغلاديش ، وولاية جامو وكشمير الحرة ، وولاية جامو وكشمير المحتلة ، ونيبال ، وسيلان ، وبورما ، ومنها اقطار اسلامية كجمهورية باكستان الاسلامية ، وبنغلاديش ، وولاية كشمير الحرة الاسلامية ، ومنها اقطار غير اسلامية كالهند ، ونيبال وسيلان وبورما ، ومنها بلاد اسلامية احتلتها الاستعمار الفاشم كولاية جامو وكشمير المحتلة . وفي كل قطك البلاد

(١) الاستاذ خليل الخامدي - الامام ابو الاعلى المودودي وحياته ، دعوته ،

جهاده ص : ٢٠ .

(٢) مجلة الدعوة المصرية العدد الصا در في اول ذي الحجة عام ١٣٩٩ هـ ،

ص : ٤ .

تعمل الجماعة الاسلامية لتحقيق ما تهدف اليه ، الا ان اسلوبها للعمل يختلف من بلد الى بلد حسب الاوضاع والظروف التي تسودها .

وهكذا قد اتضح أخيرا وبعد أن دخلت القوات السوفيتية بلدا اسلاميا ريقا أفغانستان ، أن الدعوة الاسلامية التي قامت في ربوع شبه القارة الهندية تغلغلت ايضا فيها عن طريق تأليفات الاستاذ المودودي رحمه الله ، فقد ذكر لي الاستاذ عبد رب الرسول سياف (١) ، أمير الجهاد الاسلامي بأفغانستان خلال احدي مقابلاته الخاصة معي أن تأليفات الاستاذ المودودي والشهيد سيد قطب رحمهما الله لها دور أساسي في انشاء الحركة الاسلامية في أفغانستان وكذلك حكى لي المهندس كلبدين حكمتيار (٢) نائب امير الاتحاد الاسلامي لمجاهدي أفغانستان ان الحركة الاسلامية في افغانستان قد برزت الى حيز الوجود نتيجة لدعوة الاستاذ المودودي رحمه الله .

(١) هو الاستاذ عبد رب الرسول سياف ، أمير الاتحاد الاسلامي لمجاهدي أفغانستان وهو ليس رجل سيف و سنان فحسب بل هو رجل علم ودعوة ايضا حيث انه تخرج من كلية الشريعة بالازهر الشريف ، وتما دف له أثناء اقامته في القاهرة ان يتعرف على دعوة الاخوان المسلمين ، وبعد عودته من مصر تولى مهمة التدريس في كلية الامام ابي حنيفة التابعة لجامعة كابول ، وتأثر بدعوة الاستاذ المودودي خلال مؤلفاته باللفسة العربية واحتكاكه برجال الجماعة الاسلامية وانشغاله بالدعوة ضمن مجموعة من الاساتذة والطلبة الذين أنشأوا حركة اسلامية سرية في المحيط الجامعي .

(٢) هو المهندس كلبدين حكمتيار ، تخرج من كلية الهندسة التابعة لجامعة كابول ، وتعرف على دعوة الاستاذ المودودي وانضم الى الحركة الاسلامية خلال دراسته الجامعية ، وهو كان رئيسا للحزب الاسلامي قبل انشاء الاتحاد الاسلامي لمجاهدي أفغانستان .

وعلاوة على هذا فهناك الكثير من المنظمات والجمعيات التي تعمل
 في الدعوة الإسلامية في البلاد الأوروبية والأمريكية والأفريقية والآسيوية المختلفة
 والاساتان المودودي هو من أبرز الدعاة والمفكرين الذين توجه تأليفاتهم
 هذه المنظمات والجمعيات ، فكريا وعلميا ، وعلى هذا نرى أن العديد من
 تأليفات الاستاذ قد ترجمت في أكثر من خمسة وثلاثين لغة من اللغات العالمية
 الحية ، وتشر وتوزع هذه الكتب في العالم من شرقه الى غربه ، ومن هذا يمكن
 لنا أن نعرف مدى أثر دعوة الاستاذ المودودي في الجيل الاسلامي الجديد ،
 ويقول الكاتب الاسلامي الكبير الشيخ ابوالحسن علي الندوي في كلمة في رثاء
 الاستاذ المودوي : " اني لا أعرف رجلا أثر في الجيل الاسلامي الجديد
 فكريا وعلميا مثل تأثير الراحل العظيم ، وقد كان السيد جمال الدين الافغانى
 من أقوى الشخصيات الاسلامية التي نيفت في القرن الماضي واكبرها نفوسا في
 عقول الشباب المثقف ، ولكن الحق يقال ان سيطرته العقلية والنفسية كانت
 محدودة في السخط على الاوضاع السياسية القائمة والاستعمار الاجنبي ،
 وأما الاستاذ المودودي فقد قامت دعوته على أسس علمية أعمق وأمتن من الاسس
 التي قامت عليها دعوات سياسية أخرى " . (١)

ومن مآثره الخالدة ، انه حارباً مركب النقص في نفوس الشباب الاسلامي
 فيما يتصل بالعقائد والاخلاق ونظام الحياة الاسلامية ، وكان لكتاباته فضل كبير
 لاعادة الثقة الى نفوس هؤلاء الشباب بصلاحيته الاسلام لمسايرة العصر الحديث (١)

(١) مجلة البعث الاسلامي في المحرم سنة ١٤٠٠ هـ ، كلمة الاستاذ الندوي في
 رثاء الاستاذ المودودي نقلا عن الاستاذ احمد محمد جمال - حوار بين
 الدعاة الاعلام المودودي والندوي وسيد قطب ص ٦١-٦٢ .

وجدير بالذكر أن أثر دعوة الاستاذ لم يقتصر على طبقة دون طبقة ، بل
تتسع دائرته الى كل طبقة من طبقات المجتمع ، فالتأثرون من دعوته يشطون
الرجال والنساء ، العلماء والمثقفين ، ورجال الصحافة والسياسة والطبلا
والاساتذة ، والعمال ، والفلاحين وما الى ذلك ، وهكذا لم يقتصر اثر دعوته
على دائرة بعينها للحياة الانسانية بل اتسع نطاقه الى كل دائرة من دوائر الحياة
الفردية والاجتماعية .

وجدير بالذكر أن لحة دعوة الاستاذ المودودي وسداها هي القرآن
الكريم وهذا ما يشير اليه الاستاذ حيث يقول : لما قرأت القرآن بعيني المفتوحة
شعرت بان كل شيء قرأته حتى الآن كان نافها غير ذي بال * وقم وجدت الآن
أصل الاصول في باب العلم واصبح يتراءى لى كل من كانت (١) وهيجل (٢) ونطشه (٣)
وماركس (٤) وسائر المفكرين الذين يسير بذكرهم الركبان في العصر الحديث
أقزاما يستحقون العطف لان المسائل والتعقيدات التي افنوا حياتهم فـسـى
حلها وألفوا فيها كتب طائلة لم يحالفهم التوفيق مع أن القرآن الكريم أوجد لها
حلا في آية أو آيتين ، فليس لى من كتاب اعتمره منقدا لى في الحياة الا القرآن
والقرآن فقط الذي غير مجرى حياتى ، حولنى من حيوان الى انسان ، أخرجنى
من الظلمات الى النور ، جعل فى يدي مصباحا الى أى شيء أنظر فى ضوءه

(١) هو عمانويل كانت الفيلسوف الالماني الكبير (١٧٢٤-١٨٠٤) .

(٢) انظر للترجمة ص ٢٤ من هذه الرسالة .

(٣) هو فردريخ فلهلم نيتشه (١٨٤٤-١٩٥٥) فيلسوف الماني كبير ، تقوم فلسفته على

رفض القيم الخلقية المطلقة وجعل مثله الاعلى الرجل المتفوق (السيرمان) الذى

يفرض ارادته على الذين لا يستطيعون ان يكونوا الاعبيدا (الموسوعة العربية ص ٧٨٩)

(٤) انظر للترجمة ص ٢٥ من هذه الرسالة .

يكشف لى حقيقة أمره واضحة جلية لا خفاء عليها ، ويوصف ذلك المصباح باللفظة الانجليزية بالمفتاح الرئيسى (Master Key) الذى يفتح به كل قفل ، فالقرآن أصبح لى المفتاح الرئيسى ، لا أستعمله فى قفل من اقوال المعضلات البشرية الا وينفتح بسرعة (١) .

ويقول الاستاذ المودودى متكلماً عن منطلق دعوته :

" حينما بدأت تأليف كتاب الجهاد فى الاسلام " بدأت دراسة القرآن الكريم والا حاديث الشريفة والسيرة النبوية فى ذلك باعان النظر والدقة . فكان خلال هذه الدراسة ان اتضح لى أن القرآن الكريم هو كتاب بدأت الحركة الاسلامية ببداية نزوله ، فكيف لنا ان ان نكتفى بدراسته ، فلا بد لنا أن نبدأ بالحركة التى قد بدأت بنزول هذا الكتاب العظيم واننى لم أزل أفكر فى هذا الموضوع حتى وفقنى الله بأن اقوم بتأسيس الحركة الاسلامية فى أغسطس عام ١٩٤١ الميلادى وأن أبدأ تأليف تفسير القرآن الكريم بعد ستة شهور فى فبراير عام ١٩٤٢ الميلادى فله الحمد " (٢) .

وهكذا يقول الاستاذ مينا العلاقة بين دعوته وبين القرآن الكريم :

" حينما وفقنى الله أن اقوم بتأسيس الحركة الاسلامية ، اتضح لى أنه مهما أبدل جهودى فى مجال الدعوة بلسانى وقلبي لا يمكن لى أن أتمكن من تحقيق هذا الهدف السامى الا اذا جعلت القرآن وسيلة له ، وذلك لان هذا الكتاب العظيم قد أنزله الله لتحقيق هذا الهدف ذاته ، فلا يمكن للناس أن يفهموا الدعوة الاسلامية الا اذا تمكنوا من فهم القرآن الكريم ، فكان لابد أن اقوم بتفسير القرآن وتفهيمة ليتمكن الناس من فهم الدعوة الاسلامية فهما صحيحا " (٣) .

(١) نقلا عن الاستاذ خليل الحامدى - تفهيم القرآن وخصائصه ص ٥-٦ .

(٢) ابوطارق - مولانا مودودى كى انشرويوس : ٤٩٢ .

(٣) مجلة ائين الاسبوعية - عدد خاص فى ذكرى اكمال (تفهيم القرآن) (كلمة

الاستاذ المودودى فى حفل خاص انعقد بمناسبة اكمال تفهيم القرآن فى

يوليو عام ١٩٧٢م) ص ١١٥ .

فيتضح مما سبق ان دعوة الاستاذ المودودي كان منطلقها القرآن الكريم وكان هو المحور الذي تدور حوله هذه الدعوة ، وهذا هو الكتاب الذي غيّر مجرى حياته وهذا هو المصباح الذي اكتشف له به الحق ، وهذا هو المفشاح الرئيسي الذي تمكن به الاستاذ ان يفتح اقفال المعضلات والتعقيدات المعصرية وكان بهذا الكتاب أن تمكن الاستاذ من مواجهة التحديات المعاصرة كما كان بهذا الكتاب أن تمكن الاستاذ من القضاء على الحركات الهدامة المختلفة وهذا هو الكتاب العزيز الذي استطاع به الاستاذ ان يقضي على العبودية الفكرية للحضارة الغربية ويتمكن من اعادة ثقة الجيل الجديد في صلاحية الاسلام لقيادة الركب البشرى فى العصر الحاضر.

وهكذا نتبين مما أسلفنا العلاقة الموجودة بين دعوة الاستاذ المودودي وبين تفسيره ، فقام الاستاذ المودودي بانشاء الحركة الاسلامية لان هذا كان من متطلبات القرآن الكريم الاساسية وقام بتأليف تفسيره للقرآن الكريم لان هذا كان من مقتضيات الحركة الاسلامية ، فقرر الاستاذ المودودي ان يقسوم بالعمل فى مجال الدعوة حينما اكتشف له خلال دراسته للقرآن الكريم ان القرآن هو كتاب انزله الله لقيادة الحركة الاسلامية ولا يمكن العمل بمقتضياته الا بانشاء هذه الحركة ، فقرر ان يؤلف تفسيره للقرآن الكريم حينما بدأ له خلال عمله فى مجال الدعوة ان يتمكن من تحقيق هذا الهدف الا اذا جعل القرآن الكريم وسيلة له .

فكان لهذه العلاقة بين دعوة الاستاذ المودودي وبين تفسيره للقرآن الكريم بأنه تمكن من ابراز الجوانب التفسيرية التى قد شوهدت من أجل سيطرة الحضارة الغربية الجاهلية فكريا وعظما ، ومنها أن الاسلام دين ودولة ولا يمكن العمل به الا باقامة حكم اسلامى ومنها ان الاسلام دين كامل يشمل كل ناحية من

نواحي الحياة الفردية منها والاجتماعية ، هذا من ناحية ، ومن الناحية الاخرى اعثنى الاستاذ خلال تفسيره للقرآن بمواجهة التحديات التي جاءت بها الحضارة الجاهلية الحديثة وثقافتها اللادينية وفسفاتها المادية ، كما اعثنى بالرد على اباطيل المستشرقين والمبشرين والمتفرنجين بالاضافة الى اعثائه بالقضاء على ما جاءت به الحركات الهدامة المعادية للاسلام من تاويلات باطلة وافكار زائفة وكل ذلك مع اهتمامه الخاص بالجمع بين الرواية والدراية ، وهذا ما يمتاز به منهجه في تفسير القرآن الكريم .

ان الاسباب التي دفعتنى أن أختار دراسة منهج الاستاذ المودودى في التفسير موضوعا لرسالتى للماجستير هي كالاتى :

١- لم يؤلف الاستاذ المودودى تفسيره للقرآن الكريم جالسا فى زاوية من الزوايا بل ألقه وهو يقود الحركة الاسلامية التى قد أنزل الله سبحانه هذا الكتاب العظيم على نبيه صلى الله عليه وسلم لقيادة تهاويها هذا كان من الطيبين أن يتمكن الاستاذ من الوصول الى الروح القرآنى الذى لا يمكن الوصول اليه الا بالخوض فى المعركة بين الاسلام والجاهلية ، وهذا ما يلسمه القارىء خلال دراسته لهذا التفسير .

٢- وكان لكون الاستاذ المودودى داعية ومفسرا معا أن اهتم خلال تفسيره للقرآن بالقضاء على أسطورة فصل الدين عن الدولة التى جاءت بها الحضارة الجاهلية الحديثة تحت رعاية الاستعمار الفاشم وان يبين صراحة ان الاسلام دين ودولة وهو دين كامل يشمل جميع نواحي الحياة ولا يعرف التجزئة وان العمل بالاسلام لا يمكن الا باقامة حكم اسلامي .

وكان لا اطلاع الواسع على النظريات اللادينية والفلسفات المادية الجاهلية
مع ايمان نظره في القرآن والحديث والعلوم الدينية المختلفة انه استطاع
مواجهة التحديات المعاصرة وتفنيدها كالشيوعية والرأسمالية والعلمانية
ونظرية التطور والنشوء لداروين والتفسير المادى للتاريخ لما ركز وما اصاب
ذلك من الفلسفات والنظريات الجاهلية الحديثة ، كما اعتنى بالرد على
التأويلات الباطلة التي جاء بها المستشرقون والمبشرون وتلامذتهم والقائمون
بالحركات الهدامات المعادية للاسلام تحت رعاية الاستعمار الفاشم كالكاد يانية
وانكار حجية السنن النبوية .

ثمم هناك عدة مزايا وخصائص يمتاز بها تفسير الاستاذ
المودودى للقرآن والامر الذى يزيد تفسيره أهمية ومكانة هو كما اشرت اليه آنفا
اهتمامه بالجمع بين الرواية والدراية ، وهذا ما يكسب هذا التفسير أهمية خاصة
للجيل الاسلامى المعاصر وللمعاطين فى مجال الدعوة .

واننى لا أهنأ حين أقول ان هذا التفسير تمكن بفضل طاقات الالفوف
من المسلمين المثقفين من تخليص اذهانهم من العبودية الفكرية للحضارة الجاهلية
الحديثة ، كما ان له دور هام فى اعادة ثقتهم فى صلاحية الاسلام فى قيادة
الركب البشرى فى هذا العصر ، وانا واحد من هؤلاء الملايين ، ولولا تعرفى
على تفسير الاستاذ المودودى وتأليفاته القيمة لاصبحت لقمة سائغة لاي مظل من
أئمة الضلالة ، فلكل هذا رأيت أن أقوم بالتعريف بهذا التفسير العظيم لاخواننا
الناطقين باللغة العربية عامة وللمعاطين فى مجال الدعوة الاسلامية خاصة .

وهدير بالملاحظة ان هذا الموضوع لم يسبقنى احد باهداد الدراسة
الشاملة فيه لافى اللغة الاردية ولا فى اللغة العربية أو اية لغة اخرى ،

وأما الكتاب الذين كتبوا عن شخص الاستاذ المودودى ودعوته فى اللغة الاردية
واللغة العربية واللغة الانجليزية أو اللغات الاخرى لم يعتنوا ببيان منهج
تفسير الاستاذ المودودى ومزاياه بل عرضوا له بالايجاز الشديد .

وقد بدأ الاستاذ المودودى بتأليف تفسيره (تفهيم القرآن) فى
فبراير ١٩٤٢ الميلادى ، بعد حوالى ستة شهور من تأسيس الجماعة الاسلامية ،
وكمطه فى ستة مجلدات عام ١٩٧٢ الميلادى ، وهكذا صرف من عمره حوالى
ثلاثين عاما فى اكماله ، وهذه المدة تعتبر مدة غير عادية لتأليف تفسير للقرآن
الكريم ، ولكنه لم يقتصر على تأليف هذا التفسير فحسب ، بل قام بتأليف عدد غير
قليل من الكتب القيمة حول الدعوة ومقتضياتها مع قيادة الحركة الاسلامية فكرى
وعلميا . فبينما نراه مفسرا للقرآن الكريم نراه فى الوقت نفسه قائدا لركب
الدعوة مربيا للجيل الجديد مقاوما للفتن التى تحارب مسيرة الاسلام وزعيما
للمعارضة فى وجه النظام الدكتاتورى ، وهكذا احيانا هو فى مكتبه يتقلب بين
الكتب والمصادر وحينما آخر هو فى الجولات يخاطب الجماهير ويتناول مشكلاتهم
وحيثا ثالثا فى قاعات الجامعات يناقش رجال الحكم والعلم والقانون لاقتناعهم
على كون الاسلام صالحا لكل زمان ومكان . وحينما رابعا يزوج به فى السجون
والمعتقلات لا لشيء الا لكونه يرفض جميع الحاكميات الا الحاكمة لله وحده (١) .

جملة القول هذه هى كانت الظروف التى ألفها الاستاذ تفسيره فيها ،
وهذه كانت الاوضاع التى جعلت الاستاذ المودودى أن يأخذ هذه المدة الطويلة
لاكمال تفسيره .

وقد ترجم تفسير الاستاذ المودودى فى اللغة الانجليزية واللفظة

(١) الاستاذ خليل المودودى - تفهيم القرآن وخصائصه ص : ١١ .

الهندية واللغة البنغالية واللغة السنديية واللغة البشتوية ، واللغة السواحلية وعدة من اللغات الاخرى ، الا أن ترجمته باللغة العربية لم يهتم به حتى الآن .

وأما العنوان الذي اخترته لرسالتي هذه هو " الاستاذ المودودي ومنهجه في التفسير " وتشمل الرسالة باهين والخاتمة .

اما الباب الاول فيتعلق بعصر الأستاذ المودودي وترجمته والتعريف به بدعوتيه ومؤثرات دعوته الفكرية والملمية ويشمل عدة فصول هي كالآتي :

الفصل الاول : يتعلق بالعصر الذي عاش فيه المودودي ويشتمل

خمس مباحث :

المبحث الاول : يشمل التمهد للفصل وتحدثت فيه عن الاوضاع السائدة

في العالم في بدايات القرن العشرين الميلادي وتكلمت بايجاز عن نشأة الحضارة الغربية الحديثة الجاهلية وعن طومها اللادينيوقلسفاتها المادية ما ذكرت

والمبحث الثاني : ذكرت فيه اوضاع العالم الاسلامي في ذلك

العصر كيفية سيطرة الحضارة الغربية الجاهلية على العالم الاسلامي تحت رعاية الاستعمار الفاساد الفاساد .

والمبحث الثالث : تكلمت فيه عن الاوضاع السياسية في شبه القارة الهندية

في ذلك العصر وذكرت حالة سلمي الهند السياسية بعد سقوط دولتهم على

ايدي الاستعمار الانجليزي كما تكلمت عن سياسة الاحزاب السياسية المختلفة

تجاه الاسلام والمسلمين مع بيان موقف الاسلام منها ، ثم تحدثت عن الاوضاع

السياسية في جمهورية باكستان الاسلامية بعد انشاء هذه الدولة المسلمة فسني

عام ١٩٤٧ مع الاشارة الى الصراع بين الحركة الاسلامية وبين العلمانيين والمتفرجين

والشيوعيين لاقامة النظام الاسلامي فيها .

والمبحث الرابع: تحدث فيه بايجاز عن الحال القالدينية لسلمى الهند في ذلك العصر وتكلمت فيه كذلك عن المراحل المختلفة التي مرت بها الدعوة الاسلامية في شبه القارة الهندية خلال ادوارها التاريخية المختلفة ثم ذكرت وضع سلمى الهند الديني حينما سيطرت عليهم الحضارة الغربية الجاهلية تحت رعاية الاستعمار الغاشم وتكلمت عن مؤثرات هذه الحضارة القالدينية في حياة سلمى الهند الدينية ، وفي هذا الصدد تحدثت بصفة خاصة عن موقف السيد أحمد خان الانيسزاني تجاه الحضارة الغربية مع بيان مؤثرات هذا الموقف الخاطيء ، كما تكلمت بايجاز عن الحركات الهدامة كالكاديانية وحركة انكار حجية السنة النبوية والتنصير والشيوعية والماسونية وما الى ذلك من الحركات المعادية للاسلام ، ثم تحدثت موجزا عن الحالة الدينية في دولة باكستان المسلمة مع الاشارة الى الصراع بين الاسلام والجاهلية فيها .

والمبحث الخامس: تحدثت فيه عن حالة سلمى الهند الاجتماعية في ذلك العصر ، وذكرت بعض المفاصد التي ظهرت في المجتمع الاسلامى الهندي بعد سيطرة الحضارة الغربية الجاهلية ، ومنها بداية الخلاعة والسفور ومنها تخطيط الشيوعيين للنفوذ في دوائر الحياة الاجتماعية المختلفة ولاسيما في مجال العمل والادب والصحافة ومنها سيطرة المرابين الهنادك على اقتصاد سلمى الهند وما الى ذلك ، كما تحدثت فيه عن اوضاع المسلمين الاجتماعية بعد انشاء دولة باكستان الاسلامية مع . الاشارة الى المخططات والمؤامرات التي جاءت بها الحركات المعادية للاسلام للقضاء على القيم الاخلاقية والاجتماعية الاسلامية فيها كما ذكرت عن الصراع بين الحركة الاسلامية والعلمانيين والمفرنجيين والشيوعيين في دوائر الحياة الاجتماعية المختلفة .

والبحث السالمن : تكلمت فيه عن مؤثرات الصراع بين الاسلام والجاهلية

الحديثة في حياة الامة الاسلامية الفردية والاجتماعية ولاسيما في شبه القارة
الباكهندية وذلك من بداية غزو الاستعمار الحضارى حتى وفاة الاستاذ
المودودى فى عام ١٩٢٩ الميلادى .

والفصل الثانى : يتعلق بترجمة الاستاذ المودودى وجهاده فسي

مجال الدعوة الاسلامية وتكلمت فيه عن ولادته وأسرته ونشأته وثقافته وتربيته ،
ثم تحدثت عن دخوله فى مجال الصحافة وعطه فيه ثم ذكرت عن ظهور التفسير
فى مجرى حياته بعد تأليف كتابه " العهاد فى الاسلام " الشهير وتركه مجال
الصحافة ليضع نفسه للعمل فى مجال الدعوة ثم تحدثت عن بدايته بالوعوة
فعلا باصدار مجلة ترجمان القرآن الشهرية عام ١٩٣٢ م بالاشارة الى بعض
المزايا لاسلوبه فى تلك الايام وفى هذا الصدد ذكرت عن هجرته الى قريظة
" دار الاسلام " فى اقليم بنجاب طبيا دعوقا لدكتور محمد اقبال (١) ليجعلها
مستقرا لدعوته كما بينت موقفه عن سياسة حزب المؤتمر الهندي وحزب رابطة
المسلمين تجاه الاسلام والمسلمين فى شبه القارة ثم تحدثت عن تأسيس
الجماعة الاسلامية والاهتمام بالتكوين والتربية للجماعة ، ثم ذكرت عن جهاده
الطويل لاقامة حكومة اسلامية فى باكستان وفى هذا الصدد تحدثت عن مالقى
الاستاذ من المصاعب والشدائد فى مجال الدعوة ابتداء من السخرية والاستهزاء
والاتهام والاكانيب الى السجن و صدور الحكم باعداءه . كما ذكرت بايجاز عن
دوره فى مواجهة التحديات المعاصرة على مستوى العالم الاسلامى .

والفصل الثالث : تحدثت فيه عن أصول دعوة الاستاذ المودودى وخصائصها

ومنهجها ومراحلها وذلك لالدعوة الاسلامية هى المحور الذى يدور حوله كل ما عله

(١) انظر للترجمة ص ٧٢ من هذه الرسالة .

الاستاذ المودودي طوال حياته وكل ما كتبه في كتبه او تفسيره ، ومن الضروري
أن ندرس منهجه في الدعوة لنتمكن من فهم منهجه في التفسير .

والفصل الرابع : تكلمت فيه عن أهم المؤلفات للاستاذ المودودي ثم
جئت بقائمة كتبه المختلفة وذلك حسب التصنيف الموضوعي مع بيان اهم المزايا لكل
صنف منها .

والفصل الخامس : تحدثت فيه عن مدى تأثير دعوة الاستاذ المودودي في
العالم الاسلامي ولاسيما في شبه القارة الهندية وفي هذا الصدد ذكرت بصفة
خاصة مؤثرات دعوته الفكرية والعلمية في دوائر الحياة الفردية والاجتماعية
المختلفة .

وأما الباب الثاني : فيتعلق بمنهج تفسير الاستاذ المودودي ومزاياه
فيتكون هذا الباب من ثلاثة فصول :

اما الفصل الاول : فتحدثت فيه عن التفسير وتطوره خلال العصور
ويشمل هذا الفصل بحثين . اما البحث الاول : فتكلمت فيه عن المراد من
التفسير لغة واصطلاحاً ثم تحدثت عن ضرورة التفسير ومصادره المختلفة وفي هذا
الصدد تكلمت عن تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالحديث وتفسير القرآن
باقوال الصحابة والتفسير باقوال التابعين ثم تكلمت عن أشهر الكتب في التفسير
بالمأثور كما ذكرت عن أشهر التفاسير بالجمع بين الرواية والدراية ثم تحدثت
عن التفسير في العصر الحديث بانواعه المختلفة ، وذكرت عن أشهر التفاسير
في كل نوع .

وأما البحث الثاني : فذكرت فيه عن بداية التفسير وتطوره في شبه القارة
الهندية ثم ذكرت عن أشهر التفاسير باللغة العربية بانواعها المختلفة ثم تكلمت

عن أشهر التفاسير باللغة الاردية بانواعها المختلفة . وفي هذا الصدد بينت
 أن التفسير باللغة الاردية اما كان بالجمع بين الرواية والدراية على المنهج القديم
 واما كان بالرأى المنكر للمأثور كتفسير السيد احمد خان ومن سلكه بانكار حجية
 السنة والتفسير بتاويل الايات القرآنية تاويلات باطلة للتوفيق بين الاسلام والحضارة
 الغربية الجاهلية .

وأما الفصل الثاني : فيتعلق بالمقدمات الاساسية لدراسة منهج

الاستاذ المودودي في التفسير ويشمل ثلاثة باحث . وأما المبحث الاول فتحدثت
 فيه عن الاسباب التي دفعت الاستاذ المودودي للقيام بتأليف التفسير . وأما
المبحث الثاني : فبينت فيه الظروف التي ألف الاستاذ تفسيره فيها . وأما
المبحث الثالث : فبينت فيه اسلوب الاستاذ المودودي في البحث والتحقيق
 خلال تفسيره للقرآن الكريم .

وأما الفصل الثالث : فيتعلق بمنهج تفسير الاستاذ المودودي ومزاياه ،

ويشمل احد عشر مبحثا .
المبحث الاول : فتحدثت فيه عن اسلوب الاستاذ المودودي لتقديم
 تفسيره لكل سورة بمقدمة مفصلة قيمة يتحدث الاستاذ فيها عن تسمية السورة وسبب
 نزولها كما يتكلم فيها عن المرحلة التي كانت فيها الحركة الاسلامية حين نزول السورة
 ويبين العلاقة بين هذه المرحلة للدعوة وبين التوجيهات الربانية التي تضم
 محتويات السورة لهذه المرحلة كما ياتي الاستاذ فيها بموجز لمباحث السورة
 الرئيسية .

أما المبحث الثاني : فتكلمت فيه عن اهتمام الاستاذ المودودي البالغ

بالتفسير بالمأثور وذكرت فيه ما قاله الاستاذ مبينا اهمية الالتزام بالتفسير بالمأثور
 ثم جئت بالنماذج من تفسيره (تفهيم القرآن) لاهتمامه بتفسير القرآن بالقرآن
 وتفسير القرآن بالحديث . وفي هذا الصدد راجعت المصا در الاساسية

للاحاديث الواردة في التفسير .

وأما البحث الثالث : فيتعلق باهتمام الاستاذ المودودي بالدعوة ومطالباتها خلال تفسيره للقرآن الكريم وتحدثت فيه عن مقاله الاستاذ المودودي مبينا اصول الدعوة الاسلامية ومنهجها والصفات اللازمة للمواطنين في مجال الدعوة خلال تفسيره للايات القرآنية المختلفة . وفي هذا الصدد ذكرت بعض ما قاله الاستاذ في هذا الموضوع فسي تأسفاته القيمة المختلفة . وذلك لا يبين أن دعوة الاستاذ المودودي كانت مستنبطة من الكتاب والسنة في اصولها ومنهجها واسلوبها .

وأما البحث الرابع : فيتعلق باهتمام الاستاذ المودودي ببيان اهمية اقامة الحكومة الاسلامية وعنايته بابرار الجوانب المختلفة للدولة الاسلامية خلال تفسيره للقرآن الكريم وذكرت فيه بعض النماذج لما قاله الاستاذ المودودي مبينا بان الاسلام هو الدين الوحيد الذي يناسب الفطرة الانسانية وهو الدين الوحيد الذي فيه صلاحية قيادة الركب البشري في كل زمان ومكان وهو الدين الوحيد الكامل الذي يشمل هديه لكل دائر من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية وكسل ذلك بالادلة من القرآن والسنة قوال البراهين العقلية القوية ثم ذكرت بعض ما قاله الاستاذ في تفسيره مبينا أهمية اقامة الحكومة الاسلامية مستدلا بالكتاب والسنة وسيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . ثم تكلمت عن مقاله الاستاذ المودودي في بيان المصادر الاساسية للشريعة الاسلامية واهمية الشورى في الدولة الاسلامية ثم تحدثت عن مقاله الاستاذ المودودي لابرار بعض الجوانب الاساسية للدولة الاسلامية او ببيان بعض الجوانب الاجتماعية للمجتمع الاسلامي .

وأما البحث الخامس : فتكلمت فيه عن منهج الاستاذ المودودي لدراسة القصص القرآنية وبينت فيه ان الاستاذ المودودي كان يرى ان هذه القصص لها علاقة خاصة بمراحل الدعوة التي نزلت فيها ، ولم ينزل الله قصصن هبذه

القصص الا في مرحلة من مراحل الدعوة لتوجيه المسلمين وتذكيرهم وتربيتهم
في هذه المرحلة للدعوة ، ثم ذكرت نماذج من تفهيم القرآن مستشهدا لهذا
الرأى للاستاذ المودودى في بيان القصص القرآنية . كما انه يفند ما نسب الى
الانبياء والرسل من حكايات كاذبة تنال من كرامتهم .

وأما البحث السادس : فبينت فيه منهج الاساذ المودودى في دراسة
آيات الاحكام خلال تفسيره للقرآن الكريم وذكرت في هذا الصدد عددا من
النماذج من تفهيم القرآن مستدلا بانه احيانا كان يكتفى بذكر الراء الفقهية
بدون الترجيح بين هذا الرأى وذاك ، وحيانا اخرى كان يقارن بين هذه
الراء ويرجح بعضها على البعض وذلك لا لتعصبه لمذهب خاص بل لاصابته
هذا الرأى .

وأما البحث السابع : فذكرت فيه منهج الاستاذ في وضع الخرائط
والصور خلال تفسيره للقرآن الكريم ولعلمه الوحيد بين المفسرين الذى قام
برحلة خاصة لارض القرآن الكريم ليمزور الاماكن التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم
ويهتم بدراستها من نواح مختلفة ، وهو خلال تفسيره للايات التى ورد فيها
ذكر هذه الاماكن يأتى بخرائطها أو صورها ثم يفسر الاية فى ضوء هذه الخريطة
فضلا عن ماورد فى التفسير المأثور . وفى هذا الصدد لا يفوته ان يرد على الشكوك
والشبهات التى جاء بها المستشرقون والمبشرون .

وأما البحث الثامن : فيتعلق باستشهاد الاستاذ المودودى بكتيب
أهل الكتاب خلال تفسيره للقرآن الكريم . والاستاذ يستشهد بكتب أهل الكتاب
انما لا تيان تفصيل ماورد فى القرآن الكريم بالايجاز والاختصار واما للرد على اتهام
المستشرقين المتعصبين بأن النبى صلى الله عليه وسلم وتعلم القرآن من طمأ أهمل
(١) تفهيم القرآن هو تفسير الاستاذ المودودى للقرآن الكريم الذى اخترنا دراسة
منهجه موضوعا لهذه الرسالة .

الكتاب او كتبهم واما للاستشهاد على كون هذه الكتب معرفة وذلك مبنيا
التضادات الموجودة فيها أحيانا ومستدلا بما رموا به انبئاهم من الاكاذيب
والاتهام أحيانا أخرى .

وأما المبحث التاسع : فبينت فيه أن الاستاذ المودودي لا يخوض فسى
المباحث الجانبية خلال تفسيره للقران الكريم وهناك كثير من المباحث الجانبية
التي كتب فيها المفسرون البحوث الطويلة مع انه لم ينقل فيها شئ عن النبي
صلى الله عليه وسلم فالاستاذ المودودي لا يعنى بهذه المباحث الجانبية ، بل
يكتفى ببيان ما ينهى للمسلم ان يتعلم منها .

وأما المبحث العاشر : فيتعلق بما قاله الاستاذ المودودي خلال تفسيره
للقران الكريم ردا على التأويلات الباطلة للآيات الكريمة التي جاء بها الشيعة
والقاد يانيون ومنكروا السنة لتأييد عقائدهم الباطلة فرى انه خلال تفسيره
لهذه الآيات الكريمة يأخذ تأويلاتهم الباطلة لها ويرد عليها بالادلة من
الكتاب والسنة والبراهين العقلية القوية حتى لا يترك لهم مجالا ليلعبوا بآيات
الله عز وجل لتحقيق اهدافهم الشنيعة .

وأما المبحث الحادي عشر : فيتعلق بما قاله الاستاذ المودودي خلال تفسيره
للقران الكريم مبنيا موقفا الاسلام من الفلسفات المادية اللادينية التي جاءت بها
الحضارة الجاهلية الحديثة كالتفسير الجدلي للتاريخ لهيجل والتفسير المادي
للتاريخ لماركس ونظرية داروين للتطور وما الى ذلك ، فيفند الاستاذ هذه
الفلسفات الجاهلية بالسواهم العقلية القوية ويثبت كونها باطلة عقليا وعلميا
وبهذا يقضى على العبودية الفكرية للحضارة الغربية الجاهلية باعادة الثقة
والاذعان في الاسلام دينا وولة .

والمبحث الثاني عشر تحدثت فيه عن مكانة منهج الاستاذ المودودي في التفسير
وبينت فيه أن منهج الاستاذ المودودي في تفسير القرآن كان مطابقا لاصول
التفسير بين الرواية والدراية هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان هذا المنهج
وفقا لمتطلبات الدعوة في ذلك العصر الذي كان مليئا بالتحديات والتهديدات
المعادية للإسلام .

وكما ذكرت آنفا انه لم تصدر ترجمة عربية لتفسير الاستاذ المودودي حتى
الآن فاضطرت أن أقوم بترجمة النصوص من اللغة الأردية الى اللغة العربية ولكن
القوة والتأثير اللذان يمتاز بهما أسلوب الاستاذ المودودي الجذاب لم أتمكن من
نقلهما خلال ترجمتي من اللغة الأردية الى اللغة العربية ولكنني ترجمت النصوص
من اللغة الأردية الى اللغة العربية بالأمانة والاخلاص كما اهتمت خلال دراستي
هذه أن أقارن تفسير الاستاذ المودودي بأشهر التفاسير القديمة والحديثة كتفسير
ابن جرير الطبري وتفسير الامام الرازي وتفسير ابن كثير وتفسير روح المعاني وتفسير
في ظلال القرآن للشهيد سيد قطب وكان لهذه المقارنة أن زادت ثقتي في الاستاذ
المودودي لاهتمامه بالجمع بين الرواية والدراية مع عنايته بالجوانب التي ذكرت
عن بعضها خلال دراستي هذه .

وتشتمل خاتمة الرسالة على أهم النتائج التي توصلت اليها خلال البحث
وبها انتهيت من هذه الرسالة التي أتقدم بها الى كلية الشريعة والدراسات
الإسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة لنيل درجة الماجستير في فرع الكتاب والسنة
وما فيها من الحق والصواب فمن فضل الله سبحانه وتعالى ، وما فيها من السهو
والخطأ فمني ، وأرجو من الله سبحانه أن يغفر لي ويستر عني ، وعليه توكلت واليه
أنيب .

وأخيرا أقدم شكري وتقديري لفضيلة الدكتور أحمد أحمد غلوش المشرف

على هذه الرسالة لعنايته الخاصة وتوجيهاته الشاملة وتشجيعه المستمر في اخراج
هذه الرسالة في صورتها الحالية ، ثم أشكر القائمين على كلية الشريعة والدراسات
الإسلامية بجامعة أم القرى لتشجيعهم الشامل لاجراء هذا البحث . فجزاهم الله
أحسن الجزاء ، والله ولي التوفيق

الباب الأول

عصر الأستاذ المودودي

حياة وعقيدة، تاليفاته ومؤثرات وعقيدة الفكرية والعلمية

العصر الذي حاش فيه للأستاذ المودودي

الفصل الأول

حياة للأستاذ المودودي في سطور وعبر حيا

الفصل الثاني

في مجال الدعوة للإسلام

وعقيدة للأستاذ أبي الأعلى المودودي

الفصل الثالث

تأليفات للأستاذ أبي الأعلى المودودي

الفصل الرابع

تأثيرات دعوة للأستاذ المودودي الفكرية والعلمية

الفصل الخامس

الفصل الأول

العصر الذي يحل فيه الاستاء والموووي

- | | |
|---|---------------|
| فطرة حيازة على ذلك العصر. | المبحث الأول |
| العالم الإسلامي في ذلك العصر. | المبحث الثاني |
| الحالة السكانية لمسلمي شبه القارة الهندية. | المبحث الثالث |
| الحالة الدينية لمسلمي شبه القارة الهندية. | المبحث الرابع |
| الحالة الاجتماعية لمسلمي شبه القارة الهندية. | المبحث الخامس |
| توترات الصراع بين الإسلام والجاهلية
والخيرية والغريبة. | المبحث السادس |

العصر الحاضر - كما يراه الشهيد سيد قطب رحمه الله.

"المعقل الواعي الذي لم يأخذه الدهر الذي يأخذ البشرية اليوم، عين ينظر إلى هذه البشرية المنكورة يراها تتخبط في تصوراتها، وأنظمتها وأرضاعها، وتعاليمها، وعاداتها وحركاتها، كلها تخبطا منكرا شنيعا.. يراها تخلع ثيابها وتمزقها كالمهوس، وتتسبح في حركاتها وتخبط وتتلط كالمهوس، يراها تغير أزيارها في الفكر والاعتقاد، كما تغير أزيارها في الملابس، وفور أهوار بيوت الأزيار، يراها تصرع من الألم، وتجري كالطارد، وتفعل كالمجنون، وتعرب كالسكران، وتبحث عن لا شيء، وتجري وراء أحميلة! وتعذب بأعن ما تمسك وتمنفس أقدار ما تمسك به يداها من أحجار وأضار!

لعنة! لعنة كالتي تنموت عنها الأبطال! رانها تقتل الإنسان وتحوله إلى آلة، لتضاعف الإنتاج! رانها تقضي على مقوماته "الإنسانية" وعلى احساسه بالجمال والظلم والمعاني السامية لتقتبوه الزبح لعدد قليل من المراهبين وتجار الشهوات ومنجمي الأفلام السينمائية وبيوت الأزيار!"

الشهيد سيد قطب: فضاء تصور الإسلام ومقوماته (١١٢٩، ١١٣٠)

العصر الذي عاش فيه الاستاذ المودوديالتمهيد : نظرة عابرة على ذلك العصر .

ولد الأستاذ المودودي عام ١٣٢١ من الهجرة الموافق عام ١٩٠٣ الميلادي بمدينة أورنگ آباد احدى مدن ولاية حيدرآباد الاسلاميية في جنوب شبه القارة الهندية (١) . وبدأ ينشر دعوته منذ عام ١٣٥٢ مسن الهجرة الموافق عام ١٩٣٣ الميلادي بتوليته ادارة مجلة ترجمان القرآن الشهرية (٢) . وأسس الجماعة الاسلامية عام ١٣٦٠ من الهجرة الموافق عام ١٩٤١ الميلادي (٣) ، وتوفي رحمه الله عام ١٣٩٩ من الهجرة الموافق عام ١٩٧٩ الميلادي (٤) ، بعد أن استمر في جهاده في سبيل الدعوة أكثر من نصف قرن ، أي من بداية الربع الثالث من القرن الرابع عشر من الهجرة الى نهاية الربع الاخير في القرن الرابع عشر من الهجرة الموافق من بدايئة الربع الثاني في القرن العشرين الميلادي الى بداية الربع الاخير في القرن العشرين الميلادي ، فلا بد ان ان ندرس الاوضاع التي كانت تسود العالم الاسلامي ولاسيما الاوضاع المسيطره على شبه القارة الهندية في تلك الايام وقيلها بتفصيل للتعرف على المؤثرات البيئية والثقافية والاجتماعية في نشأة الاستاذ المودودي ودعوته لان الانسان كثيرا ما تؤثر فيه احوال عصره ويكون لها الدور البارز في اعماله والآثار التي يتركها .

(١) انظر الاستاذ اسعد جيلاني - ابوالاعلى المودودي ، فكره ودعوته . ص ٢١

(٢) انظر الاستاذ خليل الحامدي - الامام ابوالاعلى المودودي ، حياته ،

دعوته ، وجهاده ص ١٩٠ .

(٣) انظر توطئة الدستور الجماعة الاسلامية بباكستان ص ط .

(٤) انظر جريدة "جسارت" اليومية عدد خاص في ذكرى الاستاذ المودودي

فيتبين من دراسة التاريخ للنصف الأول من القرن الرابع عشر من الهجرة أن العالم الاسلامي من شرق الى غربه ومن شماله الى جنوبه ، كان تحت سيطرة الاستعمار الغربي الفاشم ، وهذا كان سببا في سيطرة الحضارة الغربية الحديثة على المجتمعات الاسلامية بصورة واسعة (١) ، فتلأثرت أن أدركت هذه الحضارة وتأثيرها على المجتمعات الاسلامية بايجاز لتكون ركيزة أساسية لبيان احوال العصر الذي عاش فيه الأستاذ المودودي بجوانبه المختلفة .

الحضارة الغربية الحديثة نشأتها ، ومبادئها الأساسية

نشأت الحضارة الغربية الحديثة نتيجة للصراع بين الحركة العلمية وبين رجال الكنيسة الذي انتهى في القرن التاسع عشر الميلادي بانتصار الحركة العلمية (٢) ، وقد استخدم القس والقوة والعنف ووسائل الاضطهاد الاخرى لمنع هذه الحركة ، مما جعل رجال العلم يتكروا كل شي " يأتي من الكنيسة فلما انتصروا الزموا أنفسهم انكار كل شي " له طلاقا بالدين . ومن المؤسف ان ما توصلوا اليه من النتائج لم يكن بعد تفكير عظيم او تحقيق طوي ، بسلب أسس على التعصب والحقد دون ما سواه ، وبالغ الطلأ والماسة في موقفهم حتى وصل الأمر الى أن الذي يؤمن بدين من الأديان ، عليه أن يمارس ذلك في حياته الشخصية فحسب ، كالعبادة في البيت أو الكنيسة دون أن يوسع نطاق دائرة الدين الى مجالات اجتماعية وسياسية أخرى .

وهكذا أصبح وضع الدين في الغرب حيث عزل من جميع نواحي الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية (٣) ، واخترع للحياة الاجتماعية

(١) انظر الاستاذ ابا الحسن على الندوي - الصراع بين الفكرة الاسلامية

والفكرة الغربية في الاقطار الاسلامية . ص

(٢) انظر سفرين عبد الرحمن الحوالي - رسالة " الطلأنية " ص ٣٤٧ .

(٣) انظر المرجع السابق ص ٤٩٣ - ٥٠٣ .

دينا جديدا يمكننا أن نسمية " المادة " ولم تكن الحضارة الغربية الحديثة
الارضية لهذا الدين الجديد (١) .

أئمة الحضارة الغربية الحديثة :

فجميع الملما* والمفكرون الذين نهضوا في هذا العصر في ميادين
العلوم الاجتماعية أو العلوم التجريبية كانوا يدعون بذلك الدين المادي ، ومن
ثم أصبحت الحياة الاجتماعية في الغرب في كل نواحيها تحت سيطرة الفلسفة
المادية واللاذنية وقادة هذا الاتجاه وفلاسفته كثيرون ولكن أود أن أذكر
هنا الملما* والفلاسفة الذين يعدون من مؤسسي هذه العلوم وهم هيجل* ،
وكارل ماركس* ، وداروين* ، وميكافيلي* ، فهم قادة الحضارة الغربية الحديثة .

هيجل وتفسيره الجدلي للتاريخ ؛ والذي يؤم هؤلاء* هو هيجل (Hegel) (٢)
الذي وضع نظريته الجديدة للتاريخ وأطلق عليها اسم " التفسير الجدلي للتاريخ " .
وتقول نظريته بأنه حينما يتم ظهور دور حضارى خاص تتولد منه أفكار جديدة
ثم يأخذ الصراع طريقه بين هذه الأفكار الجديدة والأفكار الأساسية لتلك
الحضارة ، ونتيجة لهذا الصراع يتولد دور حضارى جديد يضم أفكارا جديدة
مع الأفكار الصالحة الباقية من الدور الحضارى السابق ، ولهذا كل حضارة
لاحقة غير من الحضارة السابقة وأحسن حالا منها ، هذا من ناحية ، ومن ناحية
أخرى يظن هيجل بأن الله سبحانه أو العقل الكلى أو الروح العالى هو الذى
يأتى بهذا الصراع ليتخذ الانسان أداة لاستكمال ذاته (٣) .

(١) انظر الأستاذ ابا الحسن الندوى - ماذا خسرت العالم بانحطاط المسلمين ،
ص ١٩٢ .

(٢) هو جون وليم فريدرك هيجل (عام ١٧٧٠ - عام ١٨٣١ الميلادى) ،
يعد اكبر فلاسفة العصر الحديث في أوروبا . كان مؤسسا للتفسير
الجدلي للتاريخ الذى جعله ماركس أساسا للتفسير الجدلي المادى
للتاريخ فيما بعد . (انظر نجيب فرنجية - الموسوعة العربية ص ٧٨٩)

(٣) انظر الأستاذ المودودى - الاسلام في مواجهة التحديات المعاصرة ص

وتفهد هذه النظرية أن الدور الحضارى الحاضر لا بد أن يكون أحسن وأصلح من كل الأوار الحضارية السابقة بما فيها عهد الانبياء عليهم السلام ، وعليه فكل مؤمن بهذه النظرية يرفض الحضارة القديمة وينادى بحضارة جديدة دائما .

كارل ماركس وتفسيره الجدلي المادى للتاريخ : ثم جاء كارل ماركس (1) (Karl Marx) بدينه الجديد " الشيوعية " وقدم تفسيره الشهير للتاريخ يحرف بالتفسير الجدلي المادى للتاريخ ، وتختلف نظريته هذه عن نظرية هيغل الجدلية للتاريخ فى ان السبب الحقيقى للصراع هسى الدواعى الاقتصادية ، ويرى ان الرقى والنهضة فى التاريخ البشرى جاء نتيجة للصراع بين الاغنياء والفقراء ، وان الحروب التى يرونها التاريخ البشرى بين شعب وآخر ، لم تكن الا نتيجة هذا الصراع ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى قام كارل ماركس بهجوم عنيف ضد الدين وقال ان الازعان بالديمن ومبادئه لم يخلق الا لتأييد تصرفات الاغنياء فى اغتصاب اموال الفقراء واستغلال حقوقهم ، ولهذا وجب على الفقراء أن ينكروا هذه المعائد ويقوموا للقضاء على الاغنياء وهدم دولتهم البرجوازية ويهتمون باقامة دولة البروليتاريا (٣) .

-
- (١) هو كارل ماركس اليهودى (عام ١٨١٨ - عام ١٨٨٣ الميلادى) ، مؤسس " الشيوعية " أسس نظريته الجدلية المادية للتاريخ على نظرية هيغل الجدلية للتاريخ . ويعتبر كتابه " رأس المال " والبيان الشيوعى الاصلين الاساسيين للمذهب الشيوعى . انظر نجيب فونجيه - الموسوعة العربية ص ٦٩٢ .
- (٢) نظير احمد بن العوايشة " موقف الاسلام من نظرية ماركس للتفسير المادى للتاريخ " ص ١٠٩ - ١٢١ .
- (٣) انظر المرجع السابق ص ٢١٥ - ٢٣١ .

ويقول في البيان الشيوعي : " وطالما التواضع والقواعد الاخلاقية والاديان بالنسبة اليه - اي المورلتاري - الا اوهام بورجوازية تتستر خلفها مصالح بورجوازية " (١) .

- داروين ونظريته للتطور : وجاء داروين (٢) (Darwin) مع كتابه اصل الانواع (Origion of the spices) الذي ظهر لأول مرة عام ١٨٥٩ م والذي قدم فيه داروين فلسفته الشهيرة في الارتقاء .

وترى هذه الفلسفة أن نظام هذا الكون يسير دون وجود اله خالق . وان ارتقاء الموجودات من ابسط مراحل الحياة الى اعلاها نتيجة عمل تدريجي لقوى طبيعية فحسب ، وان الانسان ليس نوعا مستقلا بل انه وصل الى درجة الانسان كنتيجة ارتقاؤه من نوع الى نوع آخر ، من مادة بلا حياة الى جرثومة بحياة ومنها الى الانواع الاخرى بفضل العوامل المختلفة كالانتخاب الطبيعي والتنازع للبقاء والبقاء للصلح حتى وصل الى القرد ، واخيرا ارتقى من القردية فاصبح بشرا سويا ، وهناك صراع مستمر بين افراد كل نوع لكي يبقى اصلحهم ولا بد للضعيف ان يحرم من حق الحياة (٣) . وكانت نتيجة هذه الفلسفة ان الانسان الذي خلقه الله في احسن تقويم صار حيوانا مقترسا لا يؤمن بسأى دين ولا يتقيد باى قانون اخلاق .

-
- (١) البيان الشيوعي ص ٢٨ نقلا عن الاستاذ بشير الصوفي - اشتراكيتهم - واسلامنا ص ٣٦ .
- (٢) هو تشارلز داروين (عام ١٨٠٩-١٨٨٢ الميلادى) ولد با نجلترا ، وقام بتأليف كتابه الشهير " اصل الانواع " بعد رحلته البحرية الطويلة حول العالم . (انظر نجيب فرنجية - الموسوعة العربية ، ص ٢١٥) .
- (٣) انظر / سفرين عبدالرحمن الحوالى - " المملانية " ص ١٧٧-١٧٩ .

— فرويد وتفسيره الجنسي لعلم النفس : ثم كان فرويد (١) الذي يحتسب امام علم النفس الحديث والذي وضع فلسفته على الاسس اللادينية ، وقال ان الدافع النفسى لكل عمل انساني هو " الجنس " فحسب . ونتيجة لهذه النظرية فقد البشتر تصور الخير والشر والاخلاق الفاضلة التي جاءت بها الاديان المساوية ورد الانسان الى أسفل السافلين (٢) .

— مكانة هذه النظريات العلمية :

والحقيقة التي أود أن اشير اليها هي أن هذه النظريات التي قدمها هؤلاء الفلاسفة والعلماء هي عبارة عن نظريات وفلسفات تجردت عن كل ما يمس بصلته بالتجربة والبرهان العقلي ، فلم تكن النظريات العلمية قط ، ولكن الجو الذي كان يستولى على الغرب بعد انتصار الحركة العلمية في صراعها مع قس النصارى ، لم يسمح للناس ان يفكروا من هذه الناحية بل كانوا يقلون كل شيء ضد الدين مهما كان على وجهه من السطحية ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى كان لليهود دورا كبيرا في انتشار هذه النظريات اللادينية وذلك لتحقيق اهدافهم الشنيعة . (٣)

— ميكافلي ونظرية فصل الدين عن الدولة : يعتبر ميكافلي (٤) امام فلسفته السياسية الحديثة في اوربا ، ويحسب كتابه الامير (The Prince)

-
- (١) هو سيجموند فرويد (عام ١٨٥٦ — عام ١٩٣٩ الميلادى) ولد فى نسا فى بيئة يهودية وقدم التفسير الجنسى لعلم النفس .
 (٢) انظر الاستاذ محمد قطب — الانسان بين العادية والاسلام ص ١٩ - ٢٦ .
 (٣) انظر / سفر بن عبد الرحمن — " العلطانية " ص ١٧٣ - ١٧٦ .
 (٤) هو نيكولا ميكافلي (عام ١٤٦٩ — عام ١٥٢٨ الميلادى) يعتبر الاب الفكرى للفلسفات السياسية الضربية الحديثة كما يعتبر كتابه الشهير " الامير " (The prince) اساسا للسياسة الحديثة اللادينية . انظر الموسوعة العربية ص ٧٣٢ .

أساسا للسياسة اللادينية الحديثة . ويقول فيه " ان الدين والاخلاق ليس لهما
 اي علاقة مع السياسة . وأن الغاية تبرر الوسيلة ، فلهذا يجوز للحاكم أو ولي
 الامر ، بل يكون ضروريا له ان يستخدماية وسيلة أو خديعة أو مؤامرة في تدبير
 شؤون الدولة ، وليس للدين او الاخلاق ان يتدخلا فيها ، فواجهت هذه
 النظرية المقاومة الشديدة من قبل الكنيسة في البداية الا ان كان لها انتشارا
 عظيما في القرون المتأخرة (١) .

— النظام السياسية والاجتماعية الاخرى :

وأما النظام السياسية والاجتماعية الحديثة الاخرى ، التي تولدت من
 هذه الفلسفات الجاهلية ، فأهمها الديمقراطية الليبرالية ، والشيعية . وأما
 النظام الديمقراطي الليبرالي القائم على العطنانية ، فانه يفصل الدين عن الدولة
 ويمنع اية علاقة بين الدين والشؤون السياسية والاجتماعية ، ويرى انه لا حاجة
 لنا ان نرجع الى الدين . فهن تدبير شؤون الدولة او الشؤون الاجتماعية
 الاخرى (٢) ، وأما الدولة والامور الاجتماعية الاخرى فالامر فيها لا يرجع
 الا الى الشعب الذي يستخدم هذا الحق بواسطة النواب الذين يتم اختيارهم
 عن طريق الانتخاب وهم الذين يستحقون ان يجعلوا الدستور والقوانين
 لتدبير شؤون الدولة (٣) .

(١) انظر / سفر بن عبد الرحمن — " العطنانية " .

ص ٢٢٦ — ٢٢٨ .

(٢) انظر الاستاذ يوسف القضاوي — الحلول الصتوردة ص ٥٢ .

(٣) انظر الدكتور على عبد الحليم محمود — الخزو الفكري ص ١٥٠ — ١٥٢ .

وأما النظام الشيوعي الذي أسلفنا يذكر مؤسسه كارل ماركس فيمبصرى ان الهدف الاساسى له هو إقامة دولة برولتارية بعدد عدم النظام البرجوازى ، ولا مانع عنده فى استخدام أية طريقة أو وسيلة أو خديعة لتحقيق هذا الهدف ويقول لينين (١) عام ١٩١٠ : يجب على المناضل الشيوعى الحق ان يتمرس بشقى ضرور الخداع والخس والتضليل ، فالكفاح من اجل الشيوعية يبارك ككل وسيلة تحقق الشيوعية (٢) . ويقول عام ١٩٢٠ الميلادى : " ان المناضل الشيوعى الثورى الحق هو ذلك الذى يبذل كل تضحية يفرضها عليه تحقيق الهدف الشيوعى ، ولو تطلب الامر التضحية بالاخلاق والكرامة والضمير ، فالهدف المثلوى الحق هو تحقيق المجتمع الشيوعى وتدعيه " (٣) .

— الاخلاق المادية :

وهكذا فلسفة الاخلاق التى ظهرت وانتشرت نتيجة لهذه النظريات اللادينية والفلسفات اللاحادية كانت مادية من أولها الى آخرها وقد تحول منهج الفكر من الدينى الى اللادينى كما تغير المقياس الذى اعطاه الدين للصواب والخطأ او الحلال والحرام والميزان الذى قرره نظم الاخلاق للجواز وعدم الجواز والمقياس الوحيد الذى اغتاره للناس فى حياتهم اليومية للسرد والقول هو ما يبنى بالنفع المادى (٤) .

-
- (١) هو فلاد يمير ايلتى لينين اوليانوف (١٨٧٠ - ١٩٢٤ الميلادى) قائد الثورة الشيوعية الروسية عام ١٩١٧ وتولى رئاسة النظام الدكتاتورى الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى وظل يحكم البلاد بالسلطة الارهابية حتى وفاته عام ١٩٢٤ م . ويحتبر لينين من ائمة الدين الشيوعى . الموسوعة العربية ص ٦٨٥
- (٢) انظر الاستاذ بشير العوف — اشتراكيتهم واسلامنا ص ٣٧ .
- (٣) انظر المرجع السابق ص ٣٨ .
- (٤) انظر الاستاذ الحودودى — واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ص ١٥٠ .

المبحث الثانيالعالم الاسلامي في ذلك العصر

ان الامة الاسلامية قد بعثها الله لقيادة البشرية ، فكرها وحضاريا لتتمكن من أداء فريضة شهادة الحق قولا وعلا ، لقوله تعالى : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) (١) ولتقوم بالاهتمام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر لقوله تعالى : (كنتم خيرا امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) (٢) وكان لاداء هذا الواجب أن تكون المسلمون مهتمين بقيادة الركب البشري الى الخير والسعادة ، وذلك بعد تسليمهم منصب زمامة البشرية ، ويقول الشهيد سيد قطب رحمه الله :

" لقد كان الاسلام قد تسلم القيادة بعدما فسدت الارض وأسنت الحياة وتعفنت القيادات وذاقت البشرية الويلات من القيادات المتعفة و (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس) (٣) ، تسلم الاسلام القيادة بهذا القرآن وبالتصور الجديد الذي جاء به القرآن والشريعة المستمدة من هذا التصور فكان ذلك مولدا جديدا للانسان أعظم في حقيقته من الحولك الذي كانت به نشأته لقد أنشأ هذا القرآن للبشرية تصورا جديدا عن الوجود والحياة والقيم والنظم كما حقق لها واقعا اجتماعيا فريدا " (٤) .

وهذا الدور لتاريخ البشرية يقول الشيخ ابو الحسن علي الندوي عنه :

" فلم نعرف دورا من ادوار التاريخ أكمل وأجمل وأزهر في جميع هذه النواحي من هذا الدور ، دور خلافة الراشدة فقد تعاونت فيه قوة الروح والاخلاق

(١) سورة البقرة الآية ١٤٣ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١١٠ .

(٣) سورة الروم - الآية ٤١ .

(٤)

والدين والعلم والآداب العادية في تنشأة الإنسان الكامل وفي ظهور المدنية
الصالحة ، كانت حكومة من أكبر حكومات العالم ، وقوة سياسية مادية تفوق كل
قوة في عصره ، تسود فيها العثل الخلقية العليا وتحكم معايير الاخلاق الفاضلة
في حياة الناس ونظام الحكم وتزدهر فيها الاخلاق والفضيلة مع التجارة
والصناعة * (١) .

وبعد أن احتل المسلمون منصب قيادة البشرية فكربا وحضاريا لعدة
قرون بدأ انحطاطهم الفكري والسياسي ، وذلك لاهمالهم الواجب الذي قد
بعثهم الله من أجله ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لانفصالهم عن الدين
في دوائر حياتهم المختلفة وعدم عنايتهم بالصفتين الاساسيتين وهما : الجهاد والاجتهاد
في نواحي الحياة المختلفة مما أدى الى تخلفهم في الصناعة والتكنولوجيا .

وكان من سوء حظ البشرية أن ظهور ذلك الانحطاط والاضمحلال في
العالم الاسلامي كان في نفس الوقت الذي قد ظهرت فيه تلك الفلسفات المادية
الجاهلية والنظام اللادينية في العالم الغربي ، وما زاد الطين بلة ، كانت
بداية النهضة العلمية والصناعية والتكنولوجية ايضا في الوقت ذاته وكان الغربيون
يبحثون عن الاسواق لمنتجات مصانعهم وبأيديهم القوة التكنولوجية والاسلحة
الحدیثة فأینما وصلوا لم تكف مساعيهم في مجال التجارة فحسب بل حاولوا ان يستولوا
على البلدان بالقوة أحيانا وبالخدیعة والمؤامرة أحيانا أخرى وكان نتيجة هذا
الغزو الاستعماري خضوع أكثر بلاد العالم للدول الاستعمارية الغربية ومنها
البلاد الاسلامية ، فشبها القارة الهندية قد استولى عليها الاستعمار الانجليزي ،
ومصر احتلها الاستعمار الفرنسي ثم الاستعمار الانجليزي ، وأندونيسيا قد

(١) الشيخ أبو الحسن علي الندوي — ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ،

سيطر عليها الاستعمار الهولندي وليبيا استولى عليها الايطاليون والجزائر قد وقعت تحت الاحتلال الفرنسي وهكذا البلاد الاسلامية الاخرى قد وقعت اكثرها تحت احتلال هذه الدول الاستعمارية ، ولم يبق من الوقوع في براثن الدول الاستعمارية الخربية الا من شاء الله .

ولعل أشنع وأخطر ما لحق بالمسلمين في تلك الايام القاسية هو الغناء
الخلافة العثمانية عام ١٩٢٣م على يد العميل الاستعماري اليهودي مصطفى كمال (١) ، لان الخلافة العثمانية ما كان فيها من الضعف والاضمحلال كانت علامة اتحاد العالم الاسلامي ورمز قوة المسلمين ، فخطط الاستعمار المخططات والمؤامرات للقضاء عليها وتمكن من تحقيق هذا الهدف الشنيع بواسطة العميل مصطفى كمال ، وجدير بالذكر ان اليهود لهم دور كبير في تلك المخططات والمؤامرات وذلك لان الخليفة العثماني عبدالحميد لم يوافق على بيع ارض فلسطين لليهود (٢) .

وما كان أشد أسفا وألما أن مصطفى كمال بعد أن تمكن من القضاء على الخلافة العثمانية قام بإنشاء الدولة العلمانية القومية واستبدال القوانين الوضعية الافرنجية بالشريعة الاسلامية وتغيير حروف الهجاء في اللغة التركية من العربية الى اللاتينية (٣) .

(١) هو مصطفى كمال اتاتورك (عام ١٨٨١ - ١٩٣٨م) ولد في سالونيك مركز اليهود الدونمة في تركيا ، تلقى دراسته في الكلية الحربية والتحق بالجيش ثم انضم الى جمعية الاتحاد والترقي التي كان هدفه الحقيقي القضاء على الخلافة العثمانية وانفصال التركية الاسلامية من العالم الاسلامي وتمكن مصطفى كمال من تحقيق هذه الاهداف الشنيعة اذا الغيت الخلافة عام ١٩٢٣م واصبح مصطفى كمال رئيسا للدولة العلمانية القومية الجديدة .

(٢) انظر للتفصيل الشيخ محمد محمود الصواف : المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام " ص ١٢٢-١٢٧ .

(٣) انظر المرجع السابق ص ١٢٦ .

غزو الاستعمار الحضاري كما يراه الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله

” وقد عمل الأوروبيون جاهدين على أن تفرسومة هذه الحياة المادية بمظاهرها الفاسدة وجراثيمها القتالة جميع ابلاد الإسلام التي امتدت أيديهم إليها ، وأدفعوا سواها للظلم تحت سلطانهم ، مع حرصهم الشديد على أن يحتجزوا دون هذه الأمم عناصر الصلاح والقوة من العلوم والمعارف والصناعات والنظم النافعة ، وقد أمكروا خطة هذا الغزو الاجتماعي اهاكماً شديداً ، واستعانوا بدهائمهم السياسي ، وسلطانهم العسكري ، حتى تم لهم ما أرادوا ، أغزوا كبار المسلمين بالاستئذان منهم والتعامل معهم وسهلوا لهم ذلك وهونوه عليهم واستطاعوا بذلك أن يكتسبوا هو التدخل الاقتصادي ، كما يريدون أن يستأثروا - دون الأهليين - بالارباح الطائلة والشروط العظيمة وتمكنوا بعد ذلك من أن يغيروا قواعد حكم وإفضاء والتعليم وأن يصبغوا النظم السياسية ، وتشريعية ، والثقافية بصبغتهم الخاصة في أقوى بلاد الإسلام ، وجلبوا إلى هذه البلاد نساخهم الكاسيات وإعاليات وغورهم وسارحهم ، ومراقصهم ومداهيرهم ، وقصصهم ، وجرائدهم ورواياتهم وفضائلهم وعشيم ومجونهم وأباموا فيها من الجرائم المالم يبيعوا في بلادهم ، وزينوا هذه الدنيا الصافية المعابثة التي تعج بالآثم وتطفخ بالفجور في أعيين ابطار الأغرار من المسلمين الأغبيا وذوى الرأي فيهم وأهل المكانة والسلطان .

ونجح هذا الغزو الاجتماعي للنظم العنيفة أعظم النجاح ، فهو غزو محبب إلى النفوس ، لا يصور بالقلوب ، طويل العمر ، قوي الأثر ، وهو لهذا أخطر من الغزو السياسي والعسكري بأضعاف الأضعاف .“

(الإمام حسن البنا الشهيد - بين الأسس واليوم -
واله من رائل الإمام الشهيد

غزو الاستعمار الحضارى على العالم الاسلامى

وجد ير بالذكر أن الاحتلال الاستعمارى للبلاد الاسلامية كان تمهيدا لغزو الاستعمار الحضارى الذى خضع له المسلمون فى كل قطر من الاقطار الاسلامية من ناحية ، وفى كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية من الناحية الأخرى ، وكان خضوع العالم الاسلامى للحضارة الغربية الجاهليسية لمد يد من الاسباب أهمها كالاتى :

- . بداية الاضمحلال والانحطاط الفكرى والسياسى فى العالم الاسلامى .
- . نهضة اوربا العلمية والتكنولوجية وتغلب العالم الاسلامى فى العلم والتكنولوجيا .
- . غارة الاستعمار العسكرية والسياسية على اكثر البلاد الاسلامية وخضوع الدول الاسلامية له .
- . الفناء الخلافة العثمانية على أيدي عملاء الاستعمار واقامة الدولة القومية العثمانية فى تركيا .

واليك بيان هذه الاسباب :

انحطاط العالم الاسلامى الفكرى والسياسى : قد تمكن المسلمون

من قيادة البشرية فكريا وعلميا لمدة قرون ، لقوله سبحانه (وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) (١) ثم بدأ انحطاطهم الفكرى والسياسى ، وذلك لعدم تمكنهم من أداء هذه الشهادة قولا وعلا ، ولفصلهم الدين عن شئون الحكم وتركهم الجهاد والاجتهاد ، فكانت النتيجة بأن العالم الاسلامى من شرق الى غرب ظهر فيه الضعف والانحلال فكريا وسياسيا ، وهذا ما أدى الى تخلفه وجعله فريسة سهلة لغزو الاستعمار السياسى والحضارى (٢) .

(١) سورة البقرة - الآية ١٤٣ .

(٢) انظر للتفصيل الشيخ ابا الحسن على الندى - ماذا خسر العالم بانحطاط

المسلمين ص ١٤٣ - ١٧٠ .

نهضة أوروبا العلمية والتكنولوجية وتخلف العالم الاسلامي في العلم والتكنولوجيا :

وجد ير بالذكر أن ظهور الضعف والانحطاط الفكري والسياسي في العالم الاسلامي كان في نفس الوقت الذي قد بدأت فيه نهضة أوروبا العلمية والتكنولوجيا ، وكان لتلك النهضة في العلم والتكنولوجيا أن تمكن الاستعمار من السيطرة على معظم الكرة الارضية ، وهذا ما جعل بعض " قادة السلمين " يفكرون ان العالم الاسلامي لا يمكن نهضته وازدهاره الا باتباع الغرب في كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية . (١)

سيطرة الاستعمار السياسية على العالم الاسلامي : وهكذا كان لسيطرة

الاستعمار السياسية على أكثر البلاد الاسلامية دورا هاما في وقوع كثير من المسلمين في العبودية الفكرية للحضارة الغربية ، وذلك لانهم اذا رأوا أن الاستعمار الاوربي قد تمكن من احتلال اكثر البلاد الاسلامية بدأوا يذعنون أن تفوق الاستعمار السياسي والعسكري كان لتفوق العلم والحضاري ، وهذا ما جعلهم معجبين بالحضارة الغربية خاضعين لها في كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية (٢) .

الغاء الخلافة العثمانية واقامة الدولة القومية العلمانية محلها :

وهكذا كان الغاء الخلافة العثمانية على أيدي هؤلاء الاستعمار واقامة دولة قومية علمانية في تركيا لها دور هام في نفوذ الحضارة الغربية الحديثة في العالم الاسلامي ، وذلك لان تركيا لكونها مركزا للخلافة كانت تحتل منصب

(١) انظر للتفصيل الاستاذ المودودي - نحن والحضارة الغربية ص ٧-٢٥

(٢) انظر للتفصيل الاستاذ المودودي - واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم

القيادة والزعامة في العالم الاسلامي قبل احتلال الاستعمار الاوربي
 الفاشم ، فكان من الطبيعي أن خضوع تركيا للحضارة الغربية الجاهلية
 يتأثر به العالم الاسلامي من شرقه الى غربه .

وجطة القول أن خضوع العالم الاسلامي للحضارة الغربية كان لعدد يسد
 من الاسباب اهمها انحطاطه الديني والسياسي وخضوعه لغارة الاستعمار
 السياسية ، وأما الوسائل التي اختارها الاستعمار خلال غزوه الحضاري
 فهي كالآتي :

تشويه صورة الاسلام عن طريق المستشرقين والمبشرين : ومن المخططات
 الهدامة التي اختارها الاستعمار لتحقيق أهدافه خلال غزوه الحضاري على
 العالم الاسلامي كان قيام المستشرقين والمبشرين بتأليف الكتب والبحوث
 لتشويه صورة الاسلام وذلك تحت ستار " البحث والتحقيق " فجاءوا بالاتهام
 والاباطيل والاكاذيب لتشويه شخص الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم
 والسنة النبوية والتاريخ الاسلامي والتراث الاسلامي وذلك في ايام الحياة الاسلامي
 والشريعة الاسلامية وذلك ليتمكنوا من القضاء على مصدر قوة العالم الاسلامي
 الذي كان يخافه الاستعمار اشد خوفا كما يتبين مما قاله السيد جلاوستون
 رئيس الوزراء البريطاني آنذاك حيث يقول : " مادام هذا القرآن موجودا فلن
 تستطيع اوربا السيطرة على الشرق ولن تكون نفسها في امان " (١) .

فكانت نتيجة نشر وتوزيع هذه الكتب والبحوث الزائفة فيما بين المسلمين المثقفين
 أن تأثر بها عدد غير قليل منهم وذلك لانهم لم يعرفوا شيئا عن الاسلام من
 مما دره الاصلية فبدأوا ينظرون الى كل شيء بمنظار اساتذتهم المستشرقين

(١) انظر للتفصيل الشيخ محمد محمود الصواف - المخططات الاستعمارية
 لمكافحة الاسلام ص : ١٧٤ .

(٢) نقلا عن الدكتور حسان محمد حسان - وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم
 الاسلامي ص ٤٥ .

والمبشرين وفقدوا اذعانهم وثقتهم في الاسلام (١) .

انشاء المدارس والكليات والجامعات التبشيرية والحكومية لتعميم الثقافة

الغربية : والوسيلة الاخرى التي اعتمد عليها الاستعمار الفاشم لسيطرته الحضارية على العالم الاسلامي كان انشاء المدارس والمعاهد والكليات والجامعات لتعميم الثقافة الغربية اللادينية في البلاد الاسلامية ، وسواءً اكانت تلك المدارس والكليات تعمل تحت اشراف الحكومة مباشرة أو تحت اشراف المبشرين او دعاة التفريب والتفرنج ، كان المنهج التعليمي فيها يضم العلوم والفلسفات المادية الجاهلية التي جاء بها المفكرون والفلاسفة مثل ميكافلي وهيجل وماركس وكانت وداروين وفرويد وما الى ذلك من فلاسفة ومفكرى ذلك العصر ، وكان الهدف من تعميم تلك الثقافة أن ينشئ في المجتمعات الاسلامية جيلا يكون مسلما في الدم والسلالة ولكن افرنجيا في الذوق والوجدان والتفكير والسيرة ، جيلا لولم يعتنق المسيحية تبقى علاقته مع الاسلام والامة الاسلامية ايضا ضعيفة ، كما يتبين ذلك مما قاله المبشر الشهير (زويمر) : " ان تنصير المسلمين ليس غايتنا لاننا لانستطيعه ولكن الغاية هي أن نبعد المسلمين عن الاسلام ، وحسبنا ذلك ولولم ينضموا اليها " (٢) . وزاد الطين بلة ان أرسلت البعثات التعليمية الى الجامعات الاوربية وكانوا يذهبون اليها مسلمين ويعودون متفربين لاديين داعين الى التفريب والتفرنج لاصلة لهم بالاسلام والمسلمين الا بالاسم ، والحقيقة أن تعميم الثقافة الغربية الحديثة في البلاد الاسلامية يعتبر من اكبر الوسائل للنفوذ الحضاري الاستعماري في المجتمعات الاسلامية فيقول المستشرق الشهير

(١) انظر للتفصيل الدكتور مصطفى السباعي - الاستشراق والمستشرقون - ص ٢٠-٢٥ . والدكتور علي عبد الحليم محمود - الفزوة الفكرية والتيارات المعادية للاسلام ص : ٢٥-١٠٣ .

(٢) نقلا عن الدكتور عبد الصبور مرزوق - الفزوة الفكرية - اهدافه ووسائله ص ١١٠ .

البروفسور " جب " متكلما عن مدى تأثير الثقافة الغربية في تميم الحضارة الغربية الجاهلية في العالم الاسلامي : " الواقع أننا اذا أردنا أن نعرف المقياس الحقيقي للنفوذ الغربي ، ومدى تغلغل الثقافة الغربية في الاسلام كان علينا ان ننظر الى ما وراء المظاهر السطحية ، وعلينا ان نبحث عن الآراء الجديدة والحركات المستحدثة التي ابتكرت بدافع من التأثر بالاساليب الغربية بعد ان تهضم وتصبح جزءا حقيقيا من كيان هذه الدول الاسلامية فتتخذ شكلا يلائم ظروفها " (١) .

فكان لتعميم الثقافة الغربية الحديثة في المجتمعات الاسلامية ، كما يرى البرفسور جب ، أن ظهرت في البلاد الاسلامية العديد من الحركات والدعوات مثل حركة التفريب والتفريخ وحركة القومية الوطنية وحركة الديمقراطية العلمانية ، وحركة الشيوعية ، وحركة الاشتراكية ، وحركة انكار السنة النبوية وحركة تطوير الاسلام والتوفيق بين الاسلام وبين الحضارة الغربية وما إلى ذلك من الحركات والدعوات التي ظهرت في العالم الاسلامي خلال ذلك العصر لتعميم الحضارة الغربية الجاهلية وطومها وفلسفاتها المادية الجاهلية في المسلمين (٢) .

(١) نقلا عن الدكتور محمد محمد حسين — الاتجاهات الوطنية فسي

الادب المعاصر ج ٢ ص : ٢٠٧ .

(٢) انظر للتفصيل الدكتور حسان محمد حسان — وسائل مقاومة الغزو الفكري

للعالم الاسلامي ص ٧٠ — ٧٢ ، والدكتور يوسف القرظاوي — الحلول

المستوردة ص ٢٣ — ٣١ .

استخدام وسائل الدعاية والاعلام : ومن الوسائل التي استخدمها الاستعمار خلال غزوه الحضارى على العالم الاسلامى هى الدعاية والاعلام وذلك لان وسائل الدعاية والاعلام تلعب دورا هاما فى تشكيل الرأى العام ، ولانها تخاطب جميع فئات الأمة وتؤثر فيهم على سوا فتكون اشد تاثيرا فى المجتمع فقرر الاستعمار ان يستخدم هذه الوسيلة لتحقيق اهدافه الشنيعة فصدرت المجلات والجرائد تحت رعاية الاستعمار المباشرة او غير المباشرة ، وكل تلك المجلات والجرائد تهدف الى اثاره الشكوك والشبهات حول مبادئ الاسلام الاساسية وصلاحيه الاسلام لحل معضلات الحياة الانسانية من ناحية ، ولتعميم الحضارة الغربية ونشر الافكار الجاهلية الحديثة فى المجتمعات الاسلامية من الناحية الاخرى ، ولنشر الفواشش والمنكرات فى الشعوب الاسلامية من ناحية ثالثة ، وزاد الطين بلة عند اختراع الراديو والتلفزيون ووسائل الاعلام المتطورة الاخرى ، وذلك لكونها اكبر تاثيرا من المجلات والجرائد (١) .

انشاء حركات التفریب والتفريخ فى المجتمعات الاسلامية وتشجيعها :

وكان فى تلك الآونة أن ظهرت فى العالم الاسلامى عدة من الحركات والدعوات للدعوة الى التفريخ والتفريب ، وسواء كانت تلك الحركات قد انشئت تحت رعاية الاستعمار المباشرة ام لا ، لكنها خدمت الاستعمار فى تحقيق أهدافه الشنيعة ، فكان لجهود تلك الحركات والدعوات أن روجت فى المسلمين الثقافة الغربية الحديثة وراجت فيهم الحضارة الغربية الجاهلية وانتشرت فيهم العلوم والفلسفات الجاهلية الحديثة وظهرت فيهم الحركات

(١) انظر للتفصيل الدكتور يوسف القرضاوى - الحلول المستوردة ص : ٣١ - ٣٣ . والدكتور حسان محمد حسان - وسائل مقاومة الغزو الفكرى

الهدامة والدعوات المعادية للاسلام ، وأهم قادة تلك الحركات فى العالم الاسلامى هم :

(١) السيد أحمد خان مؤسس جامعة عليكرة الاسلامية فى شبه القارة الهندية .

(٢) ضيا كول الب ومصطفى كمال فى تركيا .

(٣) الطك امان الله خان فى افغانستان .

(٤) قاسم امين والدكتور طه حسين فى العالم العربى .

والحقيقة أن تلك الحركات والدعوات لها دور كبير فى تعميم الحضارة الغربية الجاهلية فى العالم الاسلامى ، ولولا تلك الحركات والدعوات لم يحصل للاستعمار ما حصل له من النفوذ الحضارى فى المجتمعات الاسلامية (١) .

تشويه القيادات الدينية وصناعة القيادات المتفرجة الزائفة : ومن المخططات الاستعمارية للغزو الحضارى للعالم الاسلامى تشويه القيادات الدينية وصناعة القيادات المتفرجة الزائفة ، وذلك لانه مادامت القيادات الدينية موجودة فى المجتمعات الاسلامية لا يمكن للاستعمار ان يتمكن من السيطرة الحضارية على العالم الاسلامى ، فخطط المخططات للقضاء على تلك القيادات الدينية الصحيحة ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى قام بصناعة القيادات المتفرجة المزائفة التى تخدعه فى تحقيق اهدافه الاستعمارية .

وبهذا نرى بأن القيادات التى ظهرت فى البلاد الاسلامية خلال تلك الفترة كانت أكثرها متفرجة مصطبغة فى صبغة الحضارة الغربية الاستعمارية

(١) انظر للتفصيل الشيخ ابا الحسن على الندوى - الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية فى الاقطار الاسلامية .

فى كل دائرة من دوائر الحياة المختلفة ، وهذه هى القيادات التى استخلفت الاستعمار فى البلاد الاسلامية المختلفة بعد استقلال هذه البلاد من الاحتلال الاستعماري ، وهذه القيادات هى التى تخدم الاستعمار فى تحقيق اهدافه فى هذه البلاد حتى اليوم ، ولولا هذه القيادات المتفرجة الزائفة ، لتمكن العالم الاسلامي من التحرر من سيطرة الاستعمار الحضارية .

السيطرة على أجهزة التشريع وتغيير الشريعة الاسلامية بالقوانين الوضعية
الافرنجية : ومن الأساليب الطائفة الأخرى التى اختارها الاستعمار الفاشم خلال غزوه الاستعماري للعالم الاسلامي كانت سيطرته على أجهزة التشريع وتغيير الشريعة الاسلامية بالقوانين الوضعية الافرنجية ، وذلك لانه كان يعرف الحقيقة انه مادامت الشريعة الاسلامية مسيطرة فى المجتمعات الاسلامية فلا مجال للنفوذ الحضاري الاستعماري فيها . ووجد بالذكر ان البلاد التى كانت تحت سيطرة الاستعمار المباشرة ، كان تغيير الشريعة الاسلامية فيها فى المراحل المتتالية ، فمثلا فى شبه القارة الهندية بدأ ذلك التغيير عام ١٧٩١م وتم إلغاء الشريعة الاسلامية فى اواسط القرن التاسع عشر (١) . وأما البلاد الاسلامية التى لم تكن تحت احتلال الاستعمار المباشر فقرر الاستعمار تحقيق اهدافه فيها عن طريق عملائه من المسلمين ، وفى هذا الصدد فقد ذكرنا آنفا عن الاتفاقية التى عقدت بين الاستعمار وبين العميل الاستعماري مصطفى كمال لإلغاء الشريعة الاسلامية فى تركيا (٢) . وعقدت مثل هذه

(١) انظر الاستاذ المودودي — نظرية الاسلام وهدى فى السياسة والقانون

والدستور ، ص : ١٣٨ — ١٣٩ .

(٢) انظر للتفصيل الشيخ محمد محمود الصواف — المخططات الاستعمارية

لمكافحة الاسلام ص : ١٧٤ .

الاتفاقية بين الاستعمار الانجليزي وبين الخديو اسماعيل حينما استدعاه الاستعمار للمساعدة لانجاز مؤامره لانفصال مصر من الخلافة العثمانية (١)، وهكذا في البلاد الاسلامية الاخرى قد خططت المخططات والمؤامرات للقضاء على الشريعة الاسلامية ، وجد يربا لذكر أن تغيير الشريعة الاسلامية بالقوانين الوضعية الافرنجية كان له تأثيرا عظيما وعميقا في المجتمعات الاسلامية ، وذلك لانه قد زرع العقيدة الاساسية بان حق التشريع مختص بالله سبحانه وتعالى وحده ، وهذا ما يجعله من اكبر حوادث التاريخ الاسلامي ، فيقول الاستاذ المودودي عن ذلك الحادث المؤلم : " فلما نسخ حكمان الانجليز ما كان جاريا في بلادنا من قوانين الشريعة الاسلامية ونفذوا مكانها قوانينهم الجديدة فلم يكن ذلك انه مضي قانون وحل محله قانون آخر فحسب ، بل كان معنى ذلك أنه قد اقتلع من ارض هذه البلاد نظام للاخلاق المدنية وأسس مكانه نظام آخر للاخلاق والمدنية . . وحسبكم شاهد على مبلغ تأثير هذه القوانين الجديدة في اخلاقنا ومدنيتنا بانها هي التي أحلت الزنا والخمر والميسر وكثير من البيوع الفاسدة وراجت تحت كنفها أنواع المنكرات والمعاصي في هـذـه البلاد " (٢) . ويقول الشهيد عبدالقادر عوده رحمه الله عن تأثير القوانين الوضعية الافرنجية : " هذه القوانين قد أفسدت علينا تفكيرنا ، فبلبلت عقولنا ومسخت منطقتنا ، وأفسدت حياتنا فعمرت صفونا وشحنت بالالم نفوسنا وأفعمت بالكمد والمرارة صدورنا ، هذه القوانين جعلت لنا تفكيرا مضطربا ومنطقا عجيبا ، فنحن في آن واحد نحل الشيء ونحرمه ، ونبره وننقضه ، حتى لقد

(١) انظر للتفصيل الدكتور عبدالستار فتح الله سميه - الفوز الفكري والتيارات

المعادية للاسلام ص: ٢٠٦ .

(٢) الاستاذ المودودي - واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ص : ١٥٦ .

أصبح هذا شأننا في كل شأن من شؤون الحياة ، جل أو هان * (١) .

وجملة القول أن تفسير الشريعة الاسلامية بالقوانين الوضعية الافرنجية له دور كبير في نجاح الغزو الفكري الاستعماري في المجتمعات الاسلامية ، ولولا هذا التفسير لم يحصل للاستعمار ما حصل له من الانجازات خلال ذلك الغزو الحضاري .

المخططات الاستعمارية الأخرى : وهكذا هناك عديد من المخططات والمؤامرات والاجراءات التي جاء بها الاستعمار خلال غزوه الحضاري على العالم الاسلامي ومن أهم هذه المخططات والاجراءات هي بداية التلميم المختلط في الكليات والجامعات ومشاركة النساء في أنشطة الحياة الاجتماعية وذلك من التشغيل في المصانع والمتاجر الى التوظيف في الدوائر الحكومية ، ومن الدخول في المجال السياسي الى المشاركة في المباريات الرياضية المحلية والدولية وسباقات انتخاب الجمال ، ومن خدمة المرضى في المستشفيات الى خدمة الركاب في الطائرات وخدمة نزلاء في الفنادق والمقاهي ، ومن المشاركة في حفلات الرقص والموسيقى الى المشاركة في البرامج التمثيلية وفي الاذاعة والتلفزيون والمسرح والسينما وما الى ذلك من الاجراءات التي اتخذت باسم حقوق المرأة للقضاء على كيان الاسرة المسلمة وللنقود الحضاري في المجتمعات الاسلامية (٢) .

(١) الشهيد عبدالقادر عوده - الاسلام واوضاعنا القانونية ص : ٦٢ .
 (٢) انظر للتفصيل الاستاذ المودودي - الحجاب : ص ١٢٦ - ١٣٢ .

تجاوب العالم الاسلامى تجاه الغزو الحضارى الاستعمارى : وكان

تجاوب العالم الاسلامى تجاه ذلك الغزو الحضارى الاستعمارى بنوعين :

اولا : التجاوب الانفعالى ، ثانيا : التجاوب السلبى .

والمراد من التجاوب الانفعالى هو اتخاذ موقف الخضوع والتسليم أمام ذلك الغزو الحضارى الاستعمارى وقبول كل شىء يأتى من الغرب ، سواء كان صحيحا او غير صحيح ، ورأى اصحاب ذلك الموقف ان نهضتنا تنحصر على ان " نسير سيرة الاوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم اندادا ونكون لهم شركاء فى الحضارة خيرها وشرها ، حلوها ومرها وما يحب منها وما يكره ، وما يحمد منها وما يعاب " (١) .

وكان لذلك الموقف الخضوعى والعبودية الفكرية للحضارة الغربية — أن أصحاب ذلك الموقف قبلوا كل شىء جاء من الغرب سواء كان فى العقائد والالهيات او فى الاخلاق والاعمال او فى التعليم والثقافة او فى التشريع والقانون او فى الاقتصاد والمعيشة او فى السياسة والحكومة او فى أية دائرة اخرى من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية ، بل جعلوا ما جاءهم من الغرب مقياسا صحيحا للصحيح والخطأ ، وللدرد والقبول ، ثم حاول بعضهم أن يأتوا بالتوفيق بين الاسلام وبين الحضارة الغربية ، كما قام البعض بقطع صلتهم بالاسلام .

وأما التجاوب السلبى فالمراد منه هو اتخاذ موقف الرفض والاعتزال وانكار كل شىء يأتى من الغرب سواء كان صحيحا أو غير صحيح ، وسواء

(١) الدكتور طه حسين — مستقبل الثقافة فى مصر ص : ٤١ .

أكان ضارا أو نافعا ، وكان ذلك الموقف يهدف الى المحافظة على ما بقى من القيم الدينية والاخلاقية ، والتراث الاسلامي ، ولكن أصحاب ذلك الموقف بالغوا فيه الى حد أنهم رفضوا عن قبول أى شىء ياتى من الغرب ، وهذا ما أدى الى عدم صلاحيتهم لمواجهة ذلك التحدى الحضارى الاستعماري ، من ناحية ، والى تنحيتهم عن المعركة بين الاسلام وبين الجاهلية الجديدة من الناحية الاخرى (١) .

مدى تأثير غارة الاستعمار الحضارية في العالم الاسلامي : كما أسلفنا

آنفا أن الاستعمار الفاشم قد خطط المخططات والمؤامرات ، وقد اختار الاساليب والطرق خلال غزوه الحضارى على العالم الاسلامي فكان لتلك المخططات والمؤامرات أن تؤثر حياة المسلمين الفرد بقولا اجتماعية من ذلك الغزو الاستعماري تأثيرا عظيما وعميقا في كل قطر من الاقطار الاسلامية وفي كل دائرة من دوائر الحياة المختلفة في العقائد والاخلاق وفي التعليم والتشريع ، وفي الاقتصاد والسياسة ، وفي الجمة تأثرت بها حياة المسلمين الفردية والاجتماعية فسى كل نواحيها فيقول الامام حسن البنا الشهيد عن مدى تأثير ذلك الغزو الحضارى على العالم الاسلامي : " ونجح هذا الغزو الاجتماعى المنظم العنيف اعظم النجاح فهو غزو محبب الى النفوس ، لاصق بالقلوب ، وطويل العمر ، قوى الاثر ، وهو لهذا اخطر من الغزو السياسى والعسكرى بأضعاف الاضعاف " (٢) .

(١) انظر للتفصيل الاستاذ المودودى - واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ،

ص : ١٦٨-١٧٤ .

(٢) الامام حسن البنا الشهيد - رسالة بين الاس واليوم من مجموعة رسائل

الامام الشهيد ص : ١٣٨-١٣٩ .

أوضاع المسلمين السياسية في شبه القارة الهنديةاستيلاء الاستعمار الانجليزي على الهند والقضاء على حكومات المسلمين :

بعد أن استمر المسلمون في الحكم في شبه القارة الهندية لأكثر من ثمانية قرون (١) ، بدأ انحطاطهم حيث دخل الاستعمار الانجليزي الهند باسم شركة تجارية في النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي ، وخطط ودبر المخططات والمؤامرات حتى تمكن من الاستيلاء على معظم البلاد خلال قرن من الزمان (٢) ثم ألغيت حكومة المسلمين عام ١٨٥٧ الميلادي عيّن فشلت الثورة التي قادها آخر طوك المفلول بالهند (بهادر شاه) وهكذا وقعت شبه القارة الهندية مباشرة تحت احتلال الامبراطورية الانجليزية الذي استخدم القوة والعنف ووسائل الانضهاد الاخرى للقضاء على الاسلام والمسلمين (٣) .

-
- (١) دخل الاسلام في شبه القارة الهندية في عصر الخلافة الراشدة على ايدي المسلمين التجار ، ثم قام محمد بن القاسم بفتح السند في عهد الخليفة الاموي وليد بن عبد الملك عام ٩٣ من الهجرة الموافقة عام ٧١٢ الميلادي ثم تمكن السلطان محمود الغزنوي من فتح بعض البلاد لشبه القارة خلال الفترة ما بين عام ٩٩٩ الميلادي وعام ١٠٢٥ الميلادي ، ثم تأسست اول حكومة للمسلمين في الهند عام ١١٩١ الميلادي حيث فتح السلطان محمد الفوري عاصمة البلاد دلهي وكان نائبه السلطان قطب الدين ابيك اول رئيس لهذه الحكومة .
- (٢) انظر سيد شريف الدين بيرزاده - نشأة باكستان ص ٢٩-٣٢ .
- (٣) انظر المرجع السابق ص ٣٣-٣٥ .

انشاء الاحزاب السياسية لتحرير البلاد :

في عام ١٨٨٥ الميلادي تأسس حزب المؤتمر الهندي
(Indian National Congress) الذي كان من اهدافه
تحرير البلاد من الاستعمار واقامة دولة ديموقراطية علمانية يكون فيها الحكم
للاكثرية التي يقصد بها حكومة الهندوس (١) .

وفي عام ١٩٠٦ الميلادي تأسس حزب رابطة المسلمين بالهند
(All India Muslim League) وكان من اهدافه
الاهتمام بالمحافظة على حقوق المسلمين وبث الوعي السياسي فيهم (٢) .

— حركة الخلافة :

وفي عام ١٩٢٠ الميلادي ، بعد ما أخذ الاستعمار يهيك مؤامراته
لالغاء الخلافة العثمانية ، نهض مسلمو الهند للمحافظة على الخلافة والدفاع
عن الاماكن المقدسة الاسلامية واسسوا حركة الخلافة التي كان زعيمها الشيخ
محمد علي جوهر (٣) ، واجتمعوا تحت رايتها وبذلوا كل ما كان عندهم من
نفس ونفيس في سبيلها (٤) .

الاتحاد الاسلامي الهندي وحركة مقاطعة الانجليز :

وفي تلك الآونة قامت قوات الاستعمار باطلاق النار على المواطنين
المسلمين والهندوس على السواء في مدينة (جليانواله باغ) بمقاطعة
بنجاب لتمزيق الجمعية المعارضة للدولة مما جعل الهندوس والمسلمين يتحدون

(١) انظر سيد حسن رياسي "باكستان" ناكزيرتها ص ٣٢ - ٣٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٣ - ٦٠ .

(٣) هو المنفور له الشيخ محمد علي جوهر (المتوفى عام ١٩٣٣ الميلادي)
كان زعيما لحركة الخلافة التي تأسست للمحافظة على الخلافة العثمانية
لكونها رمزا للاتحاد الاسلامي ، وله دور بارز في بث الوعي السياسي
والديني بين مسلمي شبه القارة الهندية ، توفي بلندن اثر اشتراكه في
مؤتمر المفاوضات ودفن بجوار المسجد الاقصي بالقدس الشريف .

(٤) انظر دائرة المعارف الاسلامية بالاردية ج ٢٥ ص ٤٠٠ - ٤٠١ .

لمقاومة الاستعمار الغاشم تحت زعامة غاندى (١) (Ghandi) وانشئت
حركة جديدة باسم حركة مظلمة الانجليز (٢) .

خمود حركة الخلافة والفترة القاسية لمسلمى الهند :

وفي عام ١٩٢٤ م جمعت حركة الخلافة في الهند اثر الخفاء الخلافة
المعثانية على يد الحميل الاستعماري مصطفى كمال ، وكان لهذا الحوادث
المؤلم أثر كبير في حياة مسلمى الهند لانهم قد بذلوا كل طاقى وسمحهم فسسى
سبيل حركة الخلافة (٣) ، وفي نفس الايام تفكك الاتحاد الاسلامى الهندوسسى
الذى بذل المسلمون قصارى جهودهم لتكوينه ، وبدأت القلاقل والمجازر بين
المسلمين والهندوس (٤) ، وجد ير بالذكر ان غاندى الذى كان يرأس الاتحاد الاسلامى
الهندوسسى حتى اليوم ، أخذ يلوم المسلمين ويؤيد الهندوس ، لا لكونهم
ظالمين او مظلومين بل لكونهم مسلمين وهندوس .

والحقيقة أن الفترة طابى عام ١٩٢٤ وعام ١٩٣٧ م كانت فترة قاسية
لمسلمى الهند وذلك لفقدان القيادة السياسية التى تجمع شطهم .

— الدكتور محمد اقبال وفكرة انشاء وطن خاص لمسلمى الهند :

وفي تلك الظروف انعقد المؤتمر السنوى لحزب رابطة المسلمين عام
١٩٣٠ الميلادى بمدينة (آله آباد) تحت رئاسة الشاعر الاسلامى الكبير

-
- (١) هو مؤمن داس كرم جند غاندى (المتوفى عام ١٩٤٨) الميلادى) كان
زعيماً هندوسياً كبيراً كما كان القائد الحقيقى لحزب المؤتمر الهندى
ويعتبر الاب الفكرى للدولة الهندوسية الجديدة فى شبه القارة
الهندية . (انظر الموسوعة العربية ص : ٥١٤) .
- (٢) انظر دائرة المعارف الاسلامية بالا رديقه ج ٥ ص ٣٩٩ .
- (٣) انظر المرجع السابق ج ٥ ص ٤٠١ .
- (٤) انظر المرجع السابق ج ٥ ص ٤٠٢ .

الدكتور محمد اقبال (١) الذي اقترح في خطابه اقامة وطن خاص في شبه القارة الهندية وذلك في المناطق التي تسكنها اغلبية مسلمة والتي تقع في الشمال الغربي والشمالي الشرقي (٢) .

الدستور الاستعماري الجديد لعام ١٩٣٥ الميلادي واقامة حكومات حزب

المؤتمر الهندي في المناطق :

وفي عام ١٩٣٥ الميلادي جاء الاستعمار البريطاني بدستوره الجديد للهند ، وقد سمح هذا الدستور للأحزاب السياسية الهندية باقامة الحكومات التي تكون فيها الاكثرية لهذه الاحزاب فتمكن حزب المؤتمر الهندي من اقامة حكوماته في المناطق الشمالية واستغل الفرصة لبث دعوته الجديدة في الشعب المسلم وذلك باسم القومية الوطنية الهندية (٣) . وكان المراد من هذه الدعوة ان سكان الهند كلهم شعب واحد لا يميز المسلمين من غيرهم ، بلا نظر للاختلاف الذي كان بين المسلمين والهندوس في العقائد ، والاخلاق والثقافة ، والتاريخ ، والحضارة ، وفي دوائر الحياة الفردية والاجتماعية الاخرى ، وخططت تلك الحكومات المخططات والمؤامرات لتحقيق هذا الهدف هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى استخدمت الوسائل الاضهادية الوحشية للقضاء على الاسلام والمسلمين في هذه المقاطعات (٤) . وفي عام ١٩٣٨ م قرر حزب المؤتمر الهندي توجيه دعوته مباشرة الى الشعب المسلم ، وذلك بواسطة الشيوعيين من المسلمين (٥) .

- (١) هو الدكتور محمد اقبال (المتوفى عام ١٩٣٨ الميلادي) شاعر ومفكر اسلامي كبير ، حصل على الدكتوراه من المانية ، وله دور بارز في بث الوعي الاسلامي في المسلمين المثقفين وفي انقاذهم من العبودية الفكرية للحضارة الغربية الحديثة واعادة ثقنتهم بالاسلام .
- (٢) انظر الاستاذ احمد سعيد - اقبال وقائد اعظم ص ١٥ .
- (٣) انظر سيد حسن رياض - باكستان ناكزيرنها " ص ١٨١-١٨٢ .
- (٤) انظر المرجع السابق ص ١٨٦-١٩٣ .
- (٥) انظر الاستاذ المودودي - حركة تحرير الهند والمسلمون ج ١ ص

— جمعية العلماء بالهند وتأبيدها لحزب المؤتمر الهندي :

ومن المؤسف أن جمعية العلماء بالهند كانت تؤيد حزب المؤتمر الهندي لتحقيق هذا الهدف الشنيع الرامي إلى القضاء على المسلمين وحضارتهم وإذابة شخصيتهم الإسلامية في الهندوس الوثنيين (١) .

— فناية قادة المسلمين بمقاومة حركة القومية الهندية :

أجبر كل ذلك قادة المسلمين أن يفكروا في مصير الإسلام والمسلمين في القومية الهندية المتحدة بعد تحرير البلاد من الاستعمار ، ومن أبرز هؤلاء الدكتور محمد اقبال ، الذي قدم فكرة انشاء دولة باكستان المسلمة والسيد / محمد علي جناح (٢) الذي تمكن من تنفيذ هذه الفكرة والاستئناس بأبوالاعلى المودودي الذي استخدم جريدته الشهرية (ترجمان القرآن) لمكافحة حركة القومية الوطنية وجاء بالأدلة من القرآن والسنة والتاريخ على بطلان هذه الحركة كما وضح بالبراهين القاطعة خطرها الكبير على الإسلام والمسلمين (٣) .

— قرار باكستان الشهير لعام ١٩٤٠ الميلادي :

وفي ٢٣ من مارس ١٩٤٠ الميلادي انعقد بمدينة (لاهور) المؤتمر السنوي لحزب رابطة المسلمين تحت رئاسة محمد علي جناح رئيس الحزب

(١) انظر المرجع السابق ص ٢١٥-٢٣٦ .

(٢) هو محمد علي جناح (المتوفى عام ١٩٤٨ الميلادي) الشهير بقائد اعظم ، تولى رئاسة حزب رابطة المسلمين عام ١٩٣٧ الميلادي ، وكان

لجهوده المستمرة أن تجمع مسلمو شبه القارة الهندية تحت رابطة

حزب الرابطة وتمكنوا من انشاء دولة باكستان المسلمة عام ١٩٤٧ الميلادي

واصبح محمد علي جناح اول رئيس لهذه الدولة الجديدة .

(٣) انظر الأستاذ سمعود الندوي — تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ،

فأخذ المؤتمر قراره الشهير باسم " قرار باكستان " وجعل هدفه انشياء دولة مسلمة في المناطق الاسلامية التي تقع في الشمال الغربي والشمال الشرقي لشبه القارة (١) ، وذلك حسب اقتراح الدكتور محمد اقبال ، وقد تجمع المسلمون تحت راية حزب رابطة المسلمين لتحقيق هذا الهدف .

والحقيقة أن قرار انشاء دولة باكستان المسلمة في شبه القارة الهندية كان قرارا تاريخيا ولكن كان من سوء حظ المسلمين ان حزب رابطة المسلمين كان حزبا سياسيا فحسب ، وكان اكثر قاداته واعضائه ذا ثقافة انجليزية ، ولم يعرفوا الا ما تعلموه في المعاهد الحديثة من العلوم والفلسفات اللادينية والمادية ولذلك تأثرت اذهانهم وقلوبهم بتلك الافكار والفلسفات كما تأثرت حياتهم الشخصية والاجتماعية بالحضارة الغربية الحديثة ، واما الاسلام فلم يعرفوا عنه الا التقاليد التي وجدوا عليها آباءهم ، ومن الواضح انهم مع كل امانهم لن يقدروا على اقامة النظام الاسلامي الا ان يستعدوا له استعدادا كاملا ، ومع الاسف لم تكن لديهم اية فكرة عن هذا الاستعداد (٢) .

— تأسيس الجماعة الاسلامية :

وفي ٢٦ من أغسطس عام ١٩٤١ الميلادي تأسست الجماعة الاسلامية بالهند تحت رئاسة الأستاذ المودودي ، ولم تكن الجماعة الاسلامية جماعة سياسية او جمعوية دينية بالمعنى العام ، بل حركة اسلامية بحفومها الشامل (٣) .

-
- (١) انظر للتفصيل الدكتور وحيد قرشي " باكستان كي نظريات بنياديين " .
ص ١١٥-١٦٦ .
- (٢) انظر الأستاذ مسعود الندوي — تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند
ص ٢٤٨-٢٥٥ .
- (٣) انظر المرجع السابق ص ٢٨٥-٢٨٦ .

— فترة هامة في تاريخ مسلمي شبه القارة الهندية :

تعتبر الفترة ما بين عام ١٩٤٠ الميلادي وعام ١٩٤٧ الميلادي فترة هامة جدا في تاريخ شبه القارة الهندية ولا سيما في تاريخ مسلمي شبه القارة اذا قرر حزب المؤتمر الهندي بزعامة غاندي ونهرو (١) ان لا يوافق على تقسيم البلاد وانشاء دولة باكستان المسلمة ، كما قرر حزب رابطة المسلمين برئاسة السيد / محمد علي جناح الشهير بقائد اعظم انه لا يوافق على اي حل غير تقسيم البلاد وانشاء دولة باكستان المسلمة (٢) .

— مؤامرة الشيوعيين الجديدة :

وجدير بالذكر أن الشيوعيين من المسلمين الذين كانوا في البداية مع حزب المؤتمر الهندي وكانوا يخالفون فكرة تقسيم البلاد على أساس الدين بكل قوة ، انضموا الى حزب رابطة المسلمين في السنوات الاخيرة لحركة انشاء باكستان ، وذلك لتحقيق اهدافهم الشيعة ضد الاسلام في دولة باكستان المسلمة .

— نشأة دولة باكستان الاسلامية :

ونتيجة للكفاح المستمر من قبل حزب المؤتمر الهندي وحزب رابطة المسلمين وافق الاستعمار الانجليزي الفاشم على استقلال البلاد في اغسطس عام ١٩٤٧ الميلادي ، كما وافق على تقسيم البلاد الى دولتين مستنظتين الهند وباكستان طلبية لأمانى مسلمي شبه القارة الهندية . وهكذا انشئت الدولة الهندية اللادينية وجمهورية باكستان الاسلامية في وسط اغسطس عام ١٩٤٧ الميلادي (٣) .

(١) هو بنديت جواهر لال نهرو (المتوفى عام ١٩٦٤ الميلادي) كان زعيما

هندوسيا ويعتبر النائب الاول لزعيمهم الاكبر غاندي في الكفاح لتحرير البلاد من الانجليز ، قد تولى رئاسة حزب المؤتمر الهندي لعدة مرات وكان اول رئيس الوزراء للجمهورية العلمانية الهندية .

(٢) انظر سيد حسن رياضي " باكستان ناكزيرتها " — ص ٢٤١ — ٢٦١ .

(٣) انظر المرجع السابق ص ٤٧٥ — ٥١٨ .

الاضاع السياسية بعد انشاء دولة باكستان الاسلامية

الدولة الجديدة في مواجهة التحديات :

كانت موافقة الاستعمار البريطاني بتواطؤ حزب المؤتمر الهندي على تقسيم شبه القارة الهندية ، اما اقامة دولة باكستان المسلمة فكانت بسبب الضغط الشديد من قبل حزب رابطة المسلمين ، فلذا خطط الاستعمار الانجليزي والهندوسي للقضاء على هذه الدولة المسلمة في بداية أمرها ، فقام الهندوس بشن الغارات البربرية العنيفة ضد المسلمين يقيمون المذابح والمجازر ويسفكون دماء الأبرياء من الرجال والنساء والأطفال فكانت نتيجة هذا النهب والسلب والمجازر أن ملايين المسلمين اضطروا الى الهجرة من الهند الى باكستان (١) . هذا من ناحية ، ومن الناحية الاخرى كان في ذلك الوقت أن جاء الاستعمار الهندي بالموامرة لاحتلال ولاية جامو وكشمير المسلمة وتمكن من السيطرة عليها بالخدعة والقوة معا (٢) .

وفاة مؤسس دولة باكستان الاسلاميلا وظهور الآراء المتضاربة حول تطبيق

الشريعة الاسلامية في باكستان :

وكان في سبتمبر عام ١٩٤٨ الميلادي أن توفي مؤسس دولة باكستان المسلمة السيد / محمد علي جناح الطقبةالقائد الاعظم الى رحمة الله (٣) وخلفه القادة الذين لم يرغبوا في تطبيق الشريعة الاسلامية ، وبدأوا يظهر الآراء المتضاربة حول هذا الموضوع ، فقامت الجماعة الاسلامية بالمطالبة بتطبيق الشريعة الاسلامية في باكستان فقبض على الاستاذ المودودي وزملائه ولم يطبق

(١) انظر للتفصيل السيد / صفدر محمود — سلم ليك كادور حكومت ص : ٢٧٢-٢٨٠
(٢) انظر للتفصيل الاساذان المودودي — مسلة كشمير ص : ١٩-٢٨ .
(٣) انظر دائرة المعارف الاسلامية بالاردية ج ٥ ص ٤٣٦ .

سرا هم حتى مايو سنة ١٩٥٠ الميلادي (١) .

اصدار قرار المبادئ الأساسية لدولة باكستان الاسلامية :

وكان لجهود الجماعة الاسلامية والجماعات الدينية الاخرى المستمرة أن اضطر المجلس التأسيسي للدولة الى اصدار قرار المبادئ الأساسية للدولة في عام ١٩٤٩ م . ويمتبر ذلك القرار أساس دولة باكستان الاسلامية ، وذلك لانه ينص على أن الحاكم في باكستان لله سبحانه وتعالى وان الحكومة ملتزمة بتطبيق ما يريد الحاكم الاعلى وهو الله سبحانه وتعالى (٢) .

اتفاق العلماء على المبادئ الأساسية للدستور الاسلامي :

وفي عام ١٩٥٠ الميلادي قامت الحكومة باصدار التوصيات لمبادئ الدستور الأساسية ، فكانت تخالف قرار المبادئ الأساسية للدولة ، فطالبت الجماعة الاسلامية والجماعات الدينية الاخرى من الحكومة لسحبها على الفور ، فجمعت الحكومة بالمؤامرة الاخرى فطالبت من العلماء والمشايخ أن يأتوا بمبادئ الدستور الاسلامي التي تتفق عليها الفرق الاسلامية المختلفة ، فكانت تعلن أن العلماء والمشايخ التي ينتمون الى فرق اسلامية مختلفة لن يتفقوا على هذه المبادئ ولكن خاب عن الحكومة حيث وفق الله العلماء والمشايخ أن يجتمعوا ويأتوا بالمبادئ الأساسية للدستور الاسلامي ، والاستاذ المودودي له دور هام في صياغة هذه المبادئ (٣) .

(١) انظر الاستاذ ثروت صولت : Moulana Moudoodi ص ٣٩ .

(٢) انظر دائرة المعارف الاسلامية بالاردية ص : ٤٣٦ والاستاذ ثروت صولت

Moulana Moudoodi ص ٣٤-٣٦ .

(٣) انظر الاستاذ خليل الحامدي - الامام ابوالاعلى المودودي ، فكره ، دعوته ،

جهاده ص : ٥٨ .

— الانتخابات :

وفي عام ١٩٥١ الميلادي كان لأول مرة أن أجريت الانتخابات في باكستان وكان نتيجة للفشل والتزوير والتأرق غير الشرعية الاخرى أن نجح حزب رابطة المسلمين الحاكم (١) ، وكان لمخططات الشيوعيين والاشتراكيين والعلمانيين الموجودين في حزب رابطة الحاكمة والدوائر الحكومية ان لم تتمكن الجماعات الدينية من النجاح في الانتخابات .

— مؤامرة روالبندي الشيوعية :

وكان في تلك الايام أن جاء الشيوعيون الموجودون في الدوائر الحكومية والعسكرية والسياسية بالمؤامرة للانقلاب الشيوعي في البلاد ، ولكن قدر الله أن يكتشف الامر وتقضى على المؤامرة قبل أن تتحقق فله الحمد (٢) .

— الثورة الشعبية ضد القاد يانيين :

كان من المخططات الاستعمارية الشيوعية أن تمكن القاد يانيون من السيطرة على الدوائر الحكومية العسكرية والمدنية ، فكان رد فعل هذه السيطرة أن قام الشعب المسلم الباكستاني ضد هم وطالب من الحكومة اصدار القرار الذي ينص على كون القاد يانيين غير المسلمين فكانت اغتارابات عنيفة في اقليم البنجاب فاغتنت الحكومة تلك الفرصة للقضاء على الجماعات الدينية ، ولا سيما الجماعة الاسلامية التي كانت تقود الحركة لتطبيق الشريعة ، فحكم على الاساذ المودودي بالاعدام شنقا ، الا أن الله قد أنقذه من ذلك (٣) .

(١) انظر السيد / صفدر محمود - مسلم ليك كادور حكومت ص ١٧٤-١٧١ .
والاستاذ ثروت صولت Moulana Moudoodi ص ٣٤ : ٣٥ .

(٢) انظر دائرة المعارف الاسلامية ص ٤٣٧ .

(٣) انظر المراجع السابقة ص ٤٣٨ .

الصراع الطويل لنفاذ الدستور الاسلامي :

تعتبر الفترة مابين عام ١٩٤٨ الميلادي وعام ١٩٥٦ الميلادي فترة الصراع المستمر لنفاذ الدستور الاسلامي وكان ذلك الصراع بين الحكومة وبين الشعب المسلم من ناحية ، وبين الشيوعيين والعلمانيين والقاديين ومنكري السنة في الدوائر الحكومية العسكرية والمدنية وبين الجماعات الدينية ولا سيما الجماعة الاسلامية من الناحية الاخرى ، وذلك فضلا عن مؤتمرات الاستعمار الدولية ضد حركة اقامة الحكومة الاسلامية في باكستان ، فنتيجة لذلك الصراع الطويل والمؤتمرات الداخلية والخارجية المستمرة أصبحت الحكومة لعيسة في ايدي الاطفال ، فتغيرت أكثر من ستة حكومات خلال تلك الفترة القصيرة (١) .

الدستور الاسلامي لعام ١٩٥٦ م :

وأخيرا في عام ١٩٥٦ م تمكن الشوري محمد علي رئيس الوزراء آنذاك أن يأتي بالدستور للبلاد وكان ذلك الدستور الى حد كبير وفقا لقرار هادي الدولة لعام ١٩٤٩ الميلادي والهادي الأساسية للدستور الاسلامي التي اجتمع عليها العلماء عام ١٩٥٠ الميلادي (٢) ، ولذلك هذا الدستور ، مع بعض الملاحظات يعتبر الدستور الاسلامي أو شبه الاسلامي ، وكان لذلك أن رهبت به الجماعات الاسلامية مع ملاحظاتها عليه .

نفاذ الحكم العرفي وحلول الاحزاب السياسية : وكان من الطبيعي أن

العلمانيين والمتفرنجين والشيوعيين والقاديين في الجيش والحكومة لم يعجبهم

(١) انظر المرجع السابق ص : ٤٣٨ .

(٢) انظر السيد / صدر محمود — مسلم ليك كادور حكومت ص : ٢٨٥—٣٣٣ .

نفاذ الدستور الاسلامي في باكستان ، وهكذا القوى الاستعمارية لم تكن راضية بذلك الدستور ، فخططت المخططات والمؤامرات في داخل البلاد وخارجها فقام الجنرال ايوب خان رئيس اركان الجيش انذاك بنفاذ الحكم العرفي والفناء الدستور وحل الاحزاب السياسية وذلك عام ١٩٥٨ الميلادي (١) .

فترة الحكم العرفي - فترة خصبة للمخططات والمؤامرات المعادية للاسلام :

وتعتبر فترة الحكم العرفي فترة خصبة للشيعيين والمتفرنجيين والقاد يانيين ومنكري السنة ، فخططوا المخططات والمؤامرات للقضاء على الاسلام والجماعات الدينية ولا سيما الجماعة الاسلامية ، فكان خلال تلك الفترة أن تكمن منكر والسنة من النفوذ في الدوائر الحكومية فبدأوا ينشرون أفكارهم الضالة حول السنة النبوية ومكانتها في التشريع والتفسير ، وذلك تحت رعاية الحكومة فتأسست " ادارة التحقيقات الاسلامية " التي عينوا فيها الكتاب والباحثين ينتمون الى هذه الفئة الضالة ، هذا من ناحية ، ومن الناحية الاخرى قامت الحكومة بتغيير قانون الاحوال الشخصية الاسلامي بالقوانين الوضعية المعادية للاسلام ، وهذا ما لم يفعله حكومة الاستعمار الانجليزي ايضا ، ومن الناحية الثالثة اغتتم الشيوعيون والقاد يانيون والمتفرنجون الموجودون في الحكومة تلك الفرصة لاستغلال الوسائل الحكومية ولا سيما وسائل الدعاية والاعلام لنشر افكارهم الباطلة بجانب ، ولنشر الاباحية والفواحش والمنكرات من جانب آخر (٢) .

(١) انظر دائرة المعارف الاسلامية بالاردية ج ٥ ص : ٤٤١-٤٤٢ .

(٢) انظر الاستاذ احمد ادريس - الشيخ ابوالاعلى المودودي وصفحات من حياته

وجهاده ص : ٧٣-٧٦ . والدكتور كلیم المديقي -

— الدستور الجديد وانتخابات الرئاسة :

وفي عام ١٩٦٢ الميلادي جاء ايوب خان بالدستور الجديد للبلاد وذلك الدستور كانت فيه السلطة في ايدي الدكتاتور الحاكم ، واما البرلمان فكان مثل لعبة في يد الدكتاتور ،^(١) وفي عام ١٩٦٥ أجريت الانتخابات لرئاسة البلاد تحت ذلك الدستور فمقدت تلك الانتخابات بين الرئيس ايوب خان وبين أخت مؤسس باكستان محمد علي جناح السيدة / فاطمة جناح التي كانت تؤيدها الاحزاب المعارضة فجاءت اللجنة الانتخابية بالنتائج المزورة وأعلنت نجاح ايوب خان (٢) .

— الحرب بين الهند وباكستان :

وفي عام ١٩٦٥ م هاجم الاستعمار الهندي وسي الفاشم : جمهورية باكستان الاسلامية وذلك لتأييدها لحركة تحرير ولاية جامو وكشمير المسلمة التي احتلها الاستعمار الهندي وسي ، فوقف الشعب الباكستاني مع الجيش لمواجهة ذلك التحدي الاستعماري فوقف الله الجيش الباكستاني بالنصر^(٣) فله الحمد .

بداية الصراع العنيف واستقالة ايوب خان :

وكان لاجراءات ايوب خان الاستبدادية ، ولاسيما المخططات المعادية للاسلام أن قام الشعب المسلم الباكستاني ضده في عام ١٩٦٨ الميلادي

(١) انظر دائرة المعارف الاسلامية بالاردية ص : ٤٤٤ .

(٢) انظر الدكتور كليم الصديقي :

Conflict, Crisis & war in Pakistan p. 118-121.

(٣) انظر المرجع السابق ص ١٢١-١٢٥ والاستاذ خورشيد احمد :

" باكستان مين ائين كي تھ وين اور جمهوريت كامبسطه ص ٢٨٣ .

واتحدت الاحزاب السياسية المختلفة وشكلت المعارضة القوية ضد الحكم الدكتاتوري ، فأقيمت المؤتمرات الجماهيرية والمظاهرات الشعبية في البسوة اعادة الديمقراطية واجراء الانتخابات ، فبدأت المفاوضات بين ايوب خان وبين الاحزاب المعارضة فوافق ايوب خان على ذلك الا ان الاحزاب اليسارية الشيوعية وعلى رأسها حزب الشعب للسيد / ذو الفقار على بوتو لم توافق على ذلك ، فأقيمت الاضطرابات والاشتباكات العنيفة بين الاسلاميين وبين الشيوعيين والمتفرجين في باكستان الغربية وباكستان الشرقية معا ، فاضطر ايوب خان الى الاستقالة من منصب الرئاسة وقام الجنرال يحيى خان بتنفيذ الحكم العرفي في البلاد وذلك حسب التخطيط المسبق . وهكذا تمكن اليساريون من تحقيق أهدافهم الشيوعية . (١)

الانتخابات البرلمانية لعام ١٩٧٠ الميلادي :

وفي عام ١٩٧٠ الميلادي أجريت الانتخابات البرلمانية في باكستان الغربية وباكستان الشرقية معا وكان لمخططات الشيوعيين والمعلمانيين ومنكسري السنة الموجودين في الدوائر الحكومية من ناحية ، ولتمويل الاحزاب اليسارية المعلمانية من قبل الدول الاستعمارية من ناحية اخرى ، وللخلافات الموجودة فيما بين الاحزاب الاسلامية من ناحية ثالثة ، أن تمكن حزب الشعب للسيد / ذو الفقار على بوتو من النجاح في باكستان الغربية وذلك مع ان الاصوات التي حصل عليها حزب الشعب لم يزيد عن ٣٥ ٪ . وهكذا نجح حزب الشعب اليساري

(١) انظر للتفصيل رانا رحمن ظفر - مشرقى باكستان كي علمد كي كي درد ناي كهاني ص ١٠٣-١٢٢ والدكتور كليم العديقي

للشيخ مجيب الرحمن في باكستان الشرقية وذلك ايضا مع ان عدد الاصوات
التي حصل عليها هذا الحزب كان اقل من العدد الذي حصلت عليه الاحزاب
الاسلامية وهذا ما يتبين منه انه لو اتحدت الاحزاب الاسلامية في باكستان
الغربية والشرقية لم يحصل للميساريين ما حصل لهم من النجاح في الانتخابات (١).

حادث انفصال باكستان الشرقية :

من المعلوم أن باكستان الشرقية كانت تقع على بعد أكثر من ألف
كيلو متر من باكستان الغربية حيث يقع الاستعمار الهندوسي ما بين الشطرين
ويتربص بهما الدوائر والاسلام كان هو الرابط الوحيد بينهما وكان من الطبيعي
أن نجاح الشيوعيين في كلا الشطرين يؤدي الى الضعف والاضمحلال في ذلك
الرابط ، فاغتنمت الدول الاستعمارية - ولاسيما الاستعمار الاحمر - تلك
الفرصة فخططت للقضاء على وحدة البلاد فكان لدعم الاستعمار السوفيتي المادي
والمعنوي ان تمكن الاستعمار الهندوسي من فصل باكستان الشرقية عن باكستان
الغربية وذلك في ديسمبر عام ١٩٧١ الميلادي . (٢)

حزب الشعب للمسيد بوتو يستولى على الحكم :

انتهى ذلك الحادث المؤلم باستقالة يحيى خان واستولى السيد
ذوالفقار علي بوتو رئيس حزب الشعب على الحكم ، وذلك ايضا حسب
المخططات الاستعمارية السابقة ، واستمر حكم بوتو من العام ١٩٧١ الميلادي
الى العام ١٩٧٧ الميلادي وتمتلك الفترة فترة الاستبداد والمعدوان والعنف

(١) انظر للتفصيل رانا رحمن ظفر - مشرق باكستان كي ملحق كتيبي ديوان كهباني ١٢٥ -

(٢) انظر للتفصيل المرجع السابق ص ٣٢٩ - ٤٣١ ، كهباني ص ٢٢٩ - ٤٣١ ، ٣١٨

من ناحية ، وفترة المخططات المعادية للإسلام من الناحية الأخرى ، وفترة
نشر الأباحية والفواحش والمنكرات في المجتمع من الناحية الثالثة ، وجملة
القول أن تلك الفترة تعتبر من أسود ابواب التاريخ لدولة باكستان
المسلمة (١) .

— المسلمون يقومون ضد القاد يانبيين :

وكان لتأييد القاد يانبيين لحزب الشعب لبوتو خلال الانتخابات
البرلمانية عام ١٩٧٠ م الميلادي أن حملت لهم السيطرة في السلطة بعد
أن وصل حزب الشعب إلى الحكم ، وهذا بلغت لهم الجرأة أن يهاجموا
الطلاب المنتهين إلى الحركة الإسلامية وهم يعمرون من الرهوة مركز القاد يانبيين
وهذا ما جعل الشعب المسلم الباكستاني أن يقوم ضد تمرد القاد يانبيين ، فبدأت
المؤتمرات والمظاهرات الجماهيرية بالمطالبة بإصدار القرار الذي ينص على كون
القاد يانبيين أقلية غير مسلمة ، وكانت علاقة وثيقة بين الحكومة وبين القاد يانبيين
وراء عدم موافقة الحكومة على هذه المطالبة في بداية أمرها إلا أنها وافقت على
ذلك فيما بعد نتيجة للضغط الشعبي الشديد ، فصدر القرار ينص على كون
القاد يانبيين غير مسلمين (٢) ، والحقيقة أن اتحاد الجماعات الدينية له دور هام
في إصدار ذلك القرار ، ولولا ذلك الاتحاد بين المسلمين لم توافق الحكومة
على إصدار ذلك القرار .

(١) انظر للتفصيل الاستاذ محمد صلاح الدين — بيلزبارتي — مقامد اور
حكمت على .

(٢) انظر الشيخ المقرئ احمد بيلي بيتي — تاريخ باك وهند ص: ٣٠٩-٣١٦ .

الحركة الشعبية ضد حكم بوتو الدكتاتورى :

وكان لاستبداد الدكتاتور وعدوانه الشديد أن أقيمت الحركة الشعبية الكبيرة ضد النظام الدكتاتورى وتلك الحركة التى شاركت فيها الاحزاب السياسية المختلفة تعتبر اكبر الحركات السياسية منذ انشاء دولة باكستان الاسلامية ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى تمتاز هذه الحركة بلونها الاسلامى بحيث كانت المطالبة بتطبيق الشريعة الاسلامية من أهم أهدافها الاساسية . وجد ير بالذكر أن هذه الحركة قد وصلت الى قمتها الا أن قام الجنرال ضياء الحق بتنفيذ الحكم العرفى فى البلاد وذلك فى يوليو عام ١٩٧٧ م ، ثم حكم على بوتو بالاعدام شنقا فيما بعد وذلك قصاصا لجريمة القتل التى ارتكبها .

وجد ير بالذكر أن الجنرال ضياء الحق وصل الى السلطة وهو يتعهد بأنه سيقوم بتطبيق الشريعة الاسلامية ، وهو معروف بحيوله الاسلامية (١) ، ولكن هل سيتمكن من الوفاء بذلك الوعد أم لا ؟ هذا ما ستثبته الايام .

وجملة القول أن اوضاع المسلمين بشبه القارة المياكهنديية خلال ذلك العصر تمتاز للصراع المستمر بين الاسلام والجاهلية ، يبدأ هذا الصراع بمخططات الاستعمار للقضاء على حكم المسلمين فى شبه القارة من ناحية ، وينشر أفكار السياسة الجاهلية الحديثة فيهم من الناحية الثانية ، ثم يبدأ الصراع بين مسلمى شبه القارة وبين الاستعمار البريطانى بجانب وبين المسلمين والهنديوس بجانب آخر ، وذلك لاستقلال البلاد من الاحتلال الاستعمارى وانشاء دولة باكستان المسلمة ، ثم بعد انشاء دولة باكستان الاسلامية بدأ الصراع الجديد

(١) انظر الاستاذ محمد صلاح الدين - المرجع السابق .

بين الحركة الاسلامية والاحزاب الاسلامية الاخرى ، وبين العلمانيين
والمتفرنجين والشيوعيين ومنكرى السنة والقاديانيين لتحويل باكستان الى
دولة اسلامية أو دولة علمانية شيوعية . . ولا يزال هذا الصراع مستمرا . وسنفضل
الكلام في مؤثرات هذه الازمات السياسية بالعنوانب المختلفة خلال حديثنا
عن مؤثرات ذلك المعصر من النواحي المختلفة . وبالله التوفيق . . .

...

الحالة الدينية

كان ذلك عصر انحطاط المسلمين في كل ناحية من نواحي الحياة الفردية والاجتماعية ، ولم تكن هناك دائرة من دوائر الحياة الا وقد تآثرت بذلك الانحطاط كما لم يكن هذا الانحطاط مقتصرًا على بلد خاص من البلاد الاسلامية ، بل كان العالم الاسلامي من شرقه الى غربه مصابًا بالجذب العلمي وشبه الشلل الفكري وقد أخذوا الاعياء والفتور واستولى عليه النعاس (١) . ولم يكن ذلك الجمود والانهايار الا نتيجة لفكرة فصل الدين عن الدولة واقفال باب الاجتهاد امام العلماء (٢) ، ونرى هذا الجمود عاَمًا شاملًا للملـسوم الدينية والفنون الادبية والممانى الشعرية والانشاء والتاريخ ومناهج التعليم (٣) . وكان معظم المناهج الدراسية في المدارس الدينية تضم فيها دراسة فلسفة الاغريق او المذاهب الفقهية المختلفة ، اما القرآن والحديث فالحناية بهما لم تكن الا قليلا فكانوا لا يزالون يدرسون في الفلسفة والكلام تلك الكتب التي كان الزمان قد خلفها من ورائه منذ خمسمائة سنة وتقدم الى الامام (٤) .

ذلك كان حال المجتمع الاسلامي من الناحية الدينية ولم يستثنى عن ذلك مسلمو شبه القارة الهندية ، فلقد اصابهم ما اصاب المسلمين في كل مكان ، وسأحاول اعطاء فكرة موجزة عن احوال المسلمين الدينية في شبه القارة الهندية . وبالله التوفيق .

-
- (١) انظر الاستاذ ابا الحسن علي الندوي ، ماذا خسّر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٦٥-١٦٦ .
 (٢) انظر المرجع السابق ص ١٤٧ - ١٦٤ .
 (٣) انظر المرجع السابق ص ١٦٦ .
 (٤) انظر الاستاذ المودودي ، نحن والحضارة الغربية ص ١١٧ .

الحالة الدينية في شبه القارة الهندية

وصل الاسلام في غرب شبه القارة الهندية في آخر القرن الأول من الهجرة بواسطة المجاهدين المسلمين وذلك حينما قام محمد بن القاسم (١) بفتح السند في عصر الدولة الأموية (٢) ، وقد عرف سكان البلاد ساحرة الاسلام ومساواته بين البشر ما حمل معهم المجاهدون البررة ، ومن سوء حظ هذه القارة انه بعد وفاة الوليد بن عبد الملك واستشهاد محمد بن القاسم لم يتمكن خلفاء بني أمية من فتح بقية البلاد واستمرت تلك الحالة الى بداية القرن الخامس من الهجرة حين غزا محمود الغزنوي الهند ، ففتح البلاد التي لم تفتح من قبل (٣) ، ثم جاء محمد الغوري وتمكن من اخضاع دلهي ، عاصمة البلاد في نهاية القرن السادس من الهجرة ، وبعد استشهاد عام ١٢٠٦ الميلادي (٤) قام قطب الدين أيك بتأسيس أول حكومة المسلمين بالهند (٥) ، ثم تمكن المسلمون من فتح اكثر القارة بعد ذلك واستمر حكمهم فيها حوالي ثمانية قرون وفي عام ١٨٥٧ م الغى حكم المسلمين بمسجد مجي الاستعمار البريطاني الى الحكم (٦) ، ولسوء الحظ ان الطوك المسلمين مع ان بعضهم كانوا متدينين في حياتهم الشخصية لم يعمتوا بتبليغ الاسلام

-
- (١) هو محمد بن القاسم الثقفي (٧٢ هـ - ٩٦ هـ) بعثه عمه الاستباج بمن يوسف أمير العراقيين بفتح السند في عهد وليد بن عبد الملك الأموي ، وهو لم يتجاوز عمره سبعة عشر سنة ، فهو تمكن من فتح هذه البلاد عام ٨٩ من الهجرة . ثم استشهد في عام ٩٦ من الهجرة في عهد الملك سليمان بن عبد الملك الأموي .
- (٢) انظر البلاذري - فتوح البلدان ص ٦١٢ - ٦١٨ .
- (٣) انظر الدكتور حسان حقي - باكستان ماضيها وحاضرها ص ٤٥ - ٥٠ .
- (٤) انظر سيد حسن رياض - باكستان ناكزيرتها ص ٨ - ١٠ .
- (٥) انظر المرجع السابق ص ١٠ .
- (٦) انظر الدكتور عبد العزيز سليمان بار - تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٥٥٨ - ٥٦٢ .

في شبه القارة الهندية ، بل اقتصر تبليغ الاسلام على الصوفية والوفاظ الذين هاجر معظمهم من بلاد ما وراء النهر فكانوا اكثر عناية بالتصوف أو المذاهب الفقهية من اعتناءهم بتعليم الكتاب والسنة (١) ولم يكن هناك نظام خاص للتبليغ وبخاصة لهؤلاء محدثي المهد بالاسلام ونتيجة لذلك أسلم كثير من الهندوس بدون أن يتخلوا من عقائدهم الشركية القديمة ، أو تقاليدهم الجاهلية التي قد القوا عليها آباءهم ولم يفعلوا شيئاً بعد اسلامهم الا أن يغيروا أسماء آلهتهم القديمة ويحلوا للهة جديدة من أولياء الله في مكانها فكان اسلامهم يختلف من الاسلام النقي في كثير من النواحي (٢) ، ولو اقتصر على هذا لمكان الامر ، ولكن أحد هؤلاء الطوك وهو جلال الدين الأكبر (المتوفى عام ١٦٠٥ الميلادي) ، وقع في شباك مؤامرة الهندوس فتزوج مع نسائهم واخترع دينا جديدا سماه (الدين الالهي) ولم يكن ذلك الدين الا مجموعة من الخرافات والتقاليد الهندوسية وهكذا انتشرت تلك الخرافات والتقاليد الجاهلية في عامة المسلمين أيضا (٣) ، وكادت ان تذوب شخصية المسلمين في تلك الخزعبلات ، ولكن قدر الله ، وله الحمد ، ان ينقذ المسلمين من تلك العظورة فقام الشيخ احمد السرهندي (٤) الطبق بالمجدد الالسي الثاني رحمه الله وبدأ جهاده لمواجهة ذلك التحدي الضار ، وذلك فسو عهد ابنه نورالدين جيهانكير فألقى في السجن ولكنه استمر في عمل الدعوة في السجن حيث تاب على يديه مئات من المسجونين هناك ، فأطلق سراحه

(١) انظر الأستاذ مسعود الندوي - تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند ص ١٥٠

(٢) انظر الأستاذ المودودي - واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ص ١٣٠-١٣١

(٣) انظر للتفصيل الأستاذ صلاح الدين ناسك - دور فعلية ص ٢٢١-٢٢٤

(٤) هو الشيخ أحمد بن عبد الأهد السرهندي (٩٧٤هـ - ١٠٣٤هـ) ولد في بيت عريق في المجد والملم ونشأ في بيئة دينية عالية واستفاد من الشيخ باق الله ثم قام لمواجهة هذا التحدي . وهو يعتبر مجدد العصر . انظر للتفصيل الشيخ عبدالحى الحسن - نزهة الخواطر ج ٥ ص ٤١-٥٢

كما تاب على يديه جهات كبر ، وتخلّى عن دين أبيه (الدين الالهى) (١) وبعد وفاة الشيخ أحمد السرهندي . . قدر الله ان يقوم الامام أحمد بن عبد الرحيم الشهير بالشاه ولي الله الدهلوى (٢) بحمل راية الجهاد الذى قد بدأه الشيخ احمد السرهندي ، وجد يرب بالذكر أن دعوته ومؤلفاته تمتاز بالاعتدال على الكتاب والسنة ، وهكذا نشأ علم الكلام الجديد المؤسس على البراهين من الكتاب والسنة (٣) ، وبعد وفاته فى عام ١١٧٦ من الهجرة استمرت دعوته فى ابناءه واحفاده وتلاميذه ، وفى عام ١٢٤٢ من الهجرة حمل سيد احمد البريلوى (٤) والشيخ محمد اسماعيل الدهلوى (٥) راية الدعوة ، وبذلا الجهود المضنية لاقامة الدولة الاسلامية بمفهومها الصحيح الشامل ، وذلك بوضع أسس حركة الجهاد التى بدأت ضد حكومة " سينج " فيقول مؤسس الحركة سيد أحمد البريلوى " نعم ما أتمناه على ربي وارجو من صميم فؤادى ان يجرى المحل بقانون الشرع وتنفيذ احكام الرب العلى العظيم فى معظم بلاد بنسى آدم بل فى جميع اقطار العالم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله " (٦) وقد استشهد سيد احمد البريلوى والشيخ اسماعيل عام ١٢٤٦ من الهجرة الموافق ١٨٣١ م ولكن ظل أثر دعوتهما فى المجتمع الاسلامى لمدة طويلة (٧).

(١) انظر شيخ محمد اكرام - رود كوتر ص ٢٦٧-٢٨١ .

(٢) هو الشيخ احمد بن عبد الرحيم الدهلوى (عام ١١١٤ هـ - ١١٧٦ م)

كان عالما المصيا عمقيا يهتم مجددا لمصره وله عدة من الكتاب

القيمة . انظر شيخ محمد اكرام - رود كوتر ص ٥٤٨ - ٥٨٦ .

(٣) انظر الشيخ عبد الحى الحسنى - نزهة الخواطر ج ٦ ص ٣٩٨-٤١٤ .

(٤) هو سيد احمد البريلوى (عام ١٢٠١ هـ - ١٢٤٦ هـ) قد حمل راية الدعوة بعد وفاة الشاه ولي الله الدهلوى وقام بالجهاد ضد حكومة السنج الطاغية واستشهد عام ١٢٤٦ هـ .

(٥) هو الشيخ محمد اسماعيل الدهلوى المتوفى عام ١٢٤٦ من الهجرة .

(٦) انظر الأستاذ مسعود الندوى - تاريخ الدعوة الاسلامية فى الهند

ص ١٧٢ .

(٧) انظر شيخ محمد اكرام - موج كوتر ص ١٥-٣٦ .

وكما ذكر آنفا انه في عام ١٨٥٧ الميلادي محيت الدولة المظفرية من شبه القارة الهندية واستولى الاستعمار البريطاني على الحكم وكان لتلك الضربة أثر عميق في حياة المسلمين من كل ناحية ولا سيما من الناحية الدينية فقد ألغيت المحاكم الشرعية واستبدل القانون الافرنجي بالقانون الاسلامي كما استبدل نظام التعليم الافرنجي اللاديني بنظام التعليم الاسلامي فأنشئت المعاهد التعليمية المصرية والمدارس التبشيرية في طول البلاد وعرضها (١). وكان كل ذلك حسب المخططات الاستعمارية التي كانت تهدف تنشئة جماعة هندية اللون والدم والانجليزية في المظهر والرأى واللغة والتفكير، وكسنان لتلك المخططات الاستعمارية أثر كبير ورد فعل شديد في المجتمع ظهر طسسي اثره الحركات الآتية (٢) :

أولا : حركة سيد أحمد خان (٣) أو حركة (على كره) كما يسمونها وكانت تلك الحركة انفعالية قائمة على قبول كل شيء يأتي من الغرب سواء كان حقا أم باطلا . وقام مؤسسها بتأسيس كلية (طيكره) الاسلامية لتتمم التعليم الانكليزي والثقافة الغربية بين المسلمين ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى قام سيد أحمد خان بتفسير القرآن والاسلام حسب ما جاء من الغرب من العلوم والفلسفات فنرى أنه أنكر ولادة سيد ناعيسى عليه السلام من غير أب كما أنكر الجنة والنار واللائكة والجن واخذ يشتم الأئمة الفقهاء

-
- (١) انظر للتفصيل سيد نور الله - تاريخ تعليم هند ص ٥٧-٥٨ ١٤٥٠-١٤٥٢-٢١٢٠
 (٢) انظر مجلة صراع راه الشهرية عدد خاص في ذكرى الحركة الاسلامية ص ٥٦ .
 (٣) هو سيد أحمد خان بن ميرمقي (عام ١٨١٧ الميلادي عام ١٨٩٨ الميلادي) مؤسس كلية على كره الاسلامية . تلقى دراسته على منبرج التعليم القديسي . قد تاشركثيرا من فشل ثورة عام ١٨٥٧ م . ويسرى أن نهضة المسلمين ينحصر على اتباع الحضارة الغربية الحديثة في كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية . فقام بتأسيس كلية طسسي كره الاسلامية عام ١٨٧٠ الميلادي (انظر شيخ محمد اكرام - روك كورص ٧٧-١١٠) .

والمحدثين ويستهنى* بالشعائر الاسلامية (١) وأنكر السنة وقرر في تفسيره أن القرآن نزل على الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالمعنى فقط ثم صاغ الرسول - صلى الله عليه وسلم - الفاظه من عنده (٢) " فكان يؤول القرآن تأويلا يبلغ حد التحريف والمبث بأصول العربية واللغة والنحو ، والتواشير والاجماع فصار يفسر القرآن تفسيراً يخرق فيه الاجماع وينقض به اللغة " (٣) ، " وقد كان الاتجاه المادي المتأرف والاسراف في تمجيد العقل والمالخسة في سلطانه وحدوده واخضاع ارادة الله وقدرته وكتابه لقوانين الطبيعة وقوانين هذا العالم والجرأة على التفسير وتاويل معاني القرآن تاويلا جريئاً فتح به بابا للفتنة والتحريف والالحاد في آيات الله والفوضى في الدين والمعقيدة التي انتشرت في العصر الأخير (٤) .

وكانت الحركة التي قام بها من أقوى الحركات وقد كتب لها من النجاح والتأثير ما لم يكتب لأية حركة وفكرة وكان نفوذ شخصية سيد أحمد خان واسع النطاق وعميقا في المجتمع الهندي (٥) وأخيرا أصبحت كلية (طيكره) الاسلامية والمعاهد التابعة لها أو الكليات والمدارس الاخرى تأسست على منهجها مراكز لنشر الالحاد والشيوعية والتشكيك بين المسلمين فكانت نتيجة تلك الثقافة العلمانية بان المسلمين المثقفين بدأوا يعتقدون بأن الاسلام

-
- (١) انظر الطالب / خادم حسين الهبي بخش - رسالته للطاجستير - فرقة أهل القرآن بباكستان وموقف الاسلام منه ص ٤٧ .
- (٢) انظر مقالات شرسيد ج ١ ص : ٤٤-٤٥ .
- (٣) الأستاذ أبو الحسن علي الندوي - الصراع بين الفكرة الاسلامية - والشرعية في الأقطار الاسلامية ص ٨٦ .
- (٤) المرجع السابق ص ٨٧ .
- (٥) انظر المرجع السابق ص ٩١ .

دين شخصي كالسيحية وليس لها أية علاقة بالحياة الاجتماعية ولا سيما
شئون الدولة ولا شك ان تلك الفكرة الضالة كانت خطيرة جدا للاسلام
والمسلمين فأصبحت دليل لطرد الاسلام خارج شئون الحياة الاجتماعية.

وهكذا اثمر انتشار الثقافة الغربية بين المسلمين ففقدوا قوة النقد
والتمييز وجعلوا كل ما تعلموا من الغرب مقياسا للحق والباطل ثم رجسوا
ينتقدون على الاسلام بهذا المقياس (١) ، ولو اقتضت تلك الظاهرة على
هؤلاء المتفرنجين لهان الأمر ، ولكن الأمر كان اشد خطورة عند ما لم تسند
أمور السلطة في المجتمع الاسلامي الا الى هؤلاء المتفرنجين فأصبحت
ظاهرة التشكيك تعم المسلمين جميعا .

ثانيا : المدارس الدينية : بعد ما فشلت ثورة عام ١٨٥٧ الميلادي
وقضى على حكومة المسلمين في الهند وبدأ العلما والمشايخ يفكرون ففى
المحافظة على الدين من تيار الغزو الفكري الاستعماري الانكليزي ، فقاموا
بانشاء المدارس الدينية ، وأهمها معهد ديوبند الشهير الذي تأسس
بعد اعلان الثورة بعشرة أيام ومؤسس هذا المعهد الدينى هو الشيخ محمد
قاسم النانوتوى المتوفى عام ١٨٨٠م (٢) ، وكان من تلامذة مدرسة الشاه
ولى الله الدهلوى ، ومن أهداف تلك المدارس المحافظة على مابقى من
الروح الاسلامي والمحافظة الدينية ومظاهر الحياة الاسلامية والتجنب من

(١) انظر الاستاذ المودودي - واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم .

ص ١٦١-١٦٨ .

(٢) هو الشيخ محمد قاسم بن اسعد (١٢٤٨ هـ - ١٢٩٨ هـ) تلقى
دراسته على يدى العلما الكبار ثم قام بتأسيس دار العلوم ديوبند
كما اهتم بمناظرة النصرى والاربية عن المهنوب تولد منه من التأليفات القيمة .
(نزهة الخواطر - ج ٧ ص ٣٨٢ - ٣٨٤) .

الحضارة الاستعمارية بالادينية والابتماد عنها ما أمكن (١) ، وجد ير بالذكر أن منهج تلك المدارس يدعى بالدرس النظامي ويشتمل على كتب المنطق وهنريه وفلسفة اليونانيين وشروحها والتعليقات عليها وكتب النحو والبلاغة وكان منهج التعليم فيها عقيما لا يصلح لهذا العصر الذي تغيرت فيه اوضاع العالم فلا يؤهل الطالب المتخرج ان يخدم الدين ويذود عنه في هذا الزمان الذي تطورت فيه النظريات وتجددت الافكار والاراء (٢) .

وجد ير بالذكر ان المدارس الدينية الاخرى في شبه القارة الهندية سرًا كانت تحت اشراف اهل الحديث او تحت اشراف البريلويين (٣) ، لم تختلف عن تلك المدارس في منهج التعليم ، الا أن طمًا اهل الحديث كانوا يمتنون بالحديث اكثر من اعتنائهم بالفقه والبريلويون قد اقتصوا بوضع معتقداتهم الخاصة . وهكذا يمكننا ان نقول بان (عليكوه) و (ديونند) اصبحنا بعد قليل مدرستين متعارضتين في الاهداف والغايات ، هذه عصرت جهودها في كتب وشروح والمقررات الدراسية التي ورثوها من شيوخهم والتي قد اكل عليها الدهر وشرب منذ بضعة قرون ، ولم يحاولوا تحديثها وادخال تغيير يلبس ما يتطلبه العصر الحاضر من علوم واداب وما يحتاج اليه المتعلم من المعلومات للدفاع عن حرمة الدين والذود عن حياضه وهكذا انفصل العلماء ورجال المدارس الدينية عن معترك الحياة واصبح العالم وشؤونه الجديدة في غنى عن خدماتهم ومعاهدهم التعليمية ، وتلك تؤمن بمصمكل طياتي من اوروا من علم وادب او عقيدة او مادي* خلقية

-
- (١) الاستاذ ابوالحسن علي الندوي - الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الخيرية في الاقطار الاسلامية ص ٧٥ .
- (٢) انظر الاستاذ مسمود الندوي - تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند ص ١٩٣ .
- (٣) فرقة من المسلمين في شبه القارة الهندية يعتقد المنتسبون اليها ان القرآن والحديث يكفيان بنا ولسنا بحاجة الى الفقه بمصمكل فقهلي واحد
- (٤) فرقة تنسب الى الشيخ أحمد رضا خان البريلوي (المتوفى عام ١٣٤٠هـ) ولهم بمض المعائد الخاصة تالسا منها في سر:

وجعلت من ههما اقتفاً اثر الغرب وتتبع معالنه فى كل شىء (١) ولم تكن من ثمراته الا الضعف فى العقيدة والانهلال فى الاخلاق فلم يكن يهدف خريجوها الا الحصول على وظائف فى دواوين الدولة (٢) ، وهكذا نرى أن الخريجين من المدارس الدينية القديمة والكليات الحديثة يتخالفون فيما بينهم فى كل صغيرة وكبيرة .

ثالثاً : ندوة العلماء : لما بلغ الأمر بالمدارس الدينية الى هذا الحد قام بعض العلماء وعلو رأسهم الشيخ محمد على مونكيرى (٣) والشيخ شبلى نعمانى (٤) ، واسسوا جمعية باسم (ندوة العلماء) وكان من أهم أهدافها اصلاح مناهج التعليم الدينية حتى تكون جامعة بين علوم الكتاب والسنة والعلوم المصرية ، وفى عام ١٣١٦ من الهجرة الموافق لعام ١٨٩٤ تأسست دار العلوم ندوة العلماء ، وكان منهج التعليم فى ندوة العلماء يشمل العلوم الدينية والعلوم المصرية وكان ذلك من مزايا دار العلوم وأن القائمين عليها اعتنوا فى اول ما اعتنوا بتدريس اللغة العربية اعتناءً خاصاً ، وجعلوا تدريسها نطقاً وكتابة من اهم ما يشتمل عليه منهجهم واستعدوا لتدريس اللغة العربية اساتذة من بلاد العرب ، وكان قيادة

(١) انظر الاستاذ مسعود الندوى — تاريخ الدعوة الاسلامية فى الهند —

ص ١٩٣ .

(٢) انظر شيخ محمد اكرام — موج كوثر ص ١٤٧ .

(٣) هو سيد محمد على بن عبد الملك الحسينى ولد فى عام ١٢٦٢ هـ الموافق

عام ١٨٤٦ الميلادى كان من مؤسسى ندوة العلماء وتوفى عام

١٣٤٦ من الهجرة .

(٤) هو الشيخ شبلى بن الشيخ حبيب الله ، ولد فى عام ١٢٨٤ من الهجرة

كان من كبار العلماء درس زماناً فى كلية على كره الاسلاميه ثم ترك علمه هناك

وقام بتأسيس ندوة العلماء والى فى السيرة والتاريخ كتباً قيمة . وتوفى

عام ١٣٣٢ من الهجرة . انظر دائرة المعارف الاسلامية بالاردنية .

ص ٦٥٠ - ٦٥٤ .

هذه الحركة ينظرون الى مناهج التعليم وبرامجه كأداة للتعليم قابلة للنمو والتطور ، مطابقا لمقتضيات العصر مع الاحتفاظ بالروح والاهداف (١) .

وهكذا كانت حركة ندوة الملط* مدرسة فكرية تجمع مقرراتها بين التليد الصالح والجديد غير الضار غيران جمعهما مع الاسف الشديد لم يحجب احد من الفريقين ولم يحصل التعاون المطلوب منهما ، فلذا لم تنتج تلك الفكرة نجاحا كاملا ، ذلك من ناحية ، ومن ناحية اخرى كما يقول احد خوريجي تلك دار العلوم ان القائلين بها " قد اقتنعوا ورضوا بتقسيم العلوم الى الدينية والدينية والدينية في اول امرهم بالاصلاح والتغيير وكل ماغيروه وبدلوه واصحوه انما كان من هذا الوجه وبهذه الفكرة الخاطئة التي ترى ان العلوم تنقسم الى دينية ودينية ، وكأنهم زعموا ان التفسير والحديث والفقه وما الى ذلك من العلوم التي تدرس في الازهرود يونيد وغيرهما من المعاهد الدينية هي علوم دينية وان الاقتصاد والتاريخ السياسي والكيمياء والهندسة والميكانيكا وغيرها من العلوم المستحدثة المستوردة من بلاد الغرب التي تلقن وتدرس في الكليات المصرية ، علوم دينية . فلما اعتزموا اصلاح مناهج التعليم بعد ما قرروا هذا المبدأ السقيم واعترفوا بهذا التقسيم الخاطيء من حيث يشعرون او لا يشعرون ارادوا ان يجمعوا بين كلا النوعين كما فعلت دار العلوم الندوة في الهند ، ثم يواصل حديثه فيقول : " ومن البين الواضح ان هذا التقسيم خاطيء برمته باطل من أساسه وانه يتم على فكرة خاطئة باطلة ، استحكمت بنيانها وتوثقت عراها في القرون المتأخرة ، قرون الجمود والتقهقر الفكري ، وبيان ذلك ان الاسلام كلمة جامعة تشمل جميع نواحي الحياة البشرية من عقيدة وعبادة وخلق وسياسة واجتماع . ثم يضيف

(١) انوارالاستاذ مسعود الندوي - تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند

ويقول : " فلسنا بحاجة الى مدارس وكليات ومعاهد كمدارس الندوة وكليات عليكرة ومعاهد يونيد وانما نحن في حاجة الى مدارس جامعة لا تفرق بين العلوم الجديدة منها والقديمة تلقن الطالب مبادئ جميع العلوم المهمة بعدما تفرغها في قالب اسلامي وتصنفها بصيغة دينية (١) .

رابعاً : الحركات المعادية للاسلام :

من المعلوم بأن سيطرة الاستعمار الانكليزي على شبه القارة الهندية كان تمهيدا للغزو الفكري الذي هدف الى ابعاد المسلمين عن دينهم وذلك للقضاء التام عليهم ، فقام بتخطيط عدة مؤامرات لتحقيق ذلك الهدف ومن اهمها انشاء الحركات المعادية للاسلام ، ومنها حركة جهود السنة والتبشير والقاديانية ، والعلمانية والشيوعية والباسونية وغيرها من الحركات والنظريات المناهضة للدين ويجدر بنا ان نذكر هنا بعض تلك الحركات والنظريات موجزا .

الحركة التبشيرية

أُنشئت الحركة التبشيرية في الهند تحت رعاية الاستعمار الانكليزي الغاشم بعدما تمكن الاستعمار من السيطرة على البلاد ، وكان من العجب بان رجال الدين المسيحي الذين قد هزلوا عن معتك الحياة في وطنهم انجلترا بعدما انتصار الحركة العلمانية ، كان يشجعهم الاستعمار الانكليزي في نشاطاتهم التبشيرية في هذه البلاد المحتلة وذلك لانهم كانوا يندمون على بتنصير المسلمين ، وأولى الأقط بيث الشبهات حول الاسلام (٢) فبدأت

(١) انظر الأستان مسعود الندوي - تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند

ص ٢٠١ - ٢٠٤ .

(٢) انظر السيد / نور الله - تاريخ تعليم هند ص ٥٧ - ٨٥ ، ١٤٥٠ - ٢١٢ .

الرساليات المسيحية الفارة على شبه القارة الهندية ، وتأسست الكنائس وترجمت الكتب المقدسة باللغة الأردية واللغات المحلية الأخرى وصدرت الكتب والبحوث تضم شبهات حول الاسلام وبدأت المناظرات والمجادلات مع علماء الاسلام في مسائل التوحيد والتثليث والوهيته المسيح وصحة الكتب المقدسة (١) . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى تأسست المدارس والمعاهد التبشيرية يدرس فيها الكتاب المقدس مع المناهج الدراسية وانشئت المستشفيات يعالجون فيها المتنصرين مجاناً . فكان نتيجة جهودهم هذا أن عدداً غير قليل من المسلمين اعتنق النصرانية حتى أصبح بعضهم قسيسين . وفي عام ١٩٠٤ الميلادي كان عدد هؤلاء القسيسين المتنصرين ١٩٤ (٢) ولا يزال هذا العدد يزداد يوماً فيوماً بمرور الزمن .

٢ - القاديانية : ولا شك ان هذه الحركة كان لها خطر كبير حصل بالمسلمين لانها تأسست على الكذب الصريح حيث ادعى مؤسسها النهيوة وذلك ضمن تخطيط الاستعمار الفاشم الذي رآه في معهده وقرانه بلبسان مكره ودهائه كما يحترف مؤسسها نفسه بأنه من الاسرة التي هي من فرس الانجليز أنفسهم (٣) . . . ولم يكن هدفها الا ان تخدم الاستعمار الفاشم كما يقول الكذاب في خطاب له الى الحاكم العام الانكليزي " ان العمل المهم الذي انا منصرف اليه بلبسانى وطقى منذ اول عهدي بالحياة الى هذا اليوم ، وانا ابن الستين ، وهو أن أصرّف قلوب المسلمين الى طريق الحب والولاء والاخلاص والوفاء الصادق للحكومة الانكليزية (٤) .

(١) انظر أ - ل - شاطيه - الفارة على العالم الاسلامي (الترجمة

لمحب الدين الخطيب) - ص ٥٣ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٥٥ .

(٣) انظر الأستاذ الندوي - القادياني والقاديانية ص : ١٠٠ .

(٤) انظر الأستاذ المودودي - ماهي القاديانية ص : ٣٨ .

وجد ير بالذكر أن من الغايات الخبيثة التي قامت هذه الحركة لاجلها
ابطال الجهاد كما يقول الكذاب في أحد كتبه " واني لطلق يقين باننا بقدر
ما يكثر اتباعي بقدر ما يقل المعتقدون بحسالة الجهاد المقدس فان مجرور
الايان بي كالسيح والمهدى هو انكار للجهاد " (١) .

واقارار للواقع نرى انها خدمت الاستعمار في تحقيق جميع الاهداف
والمؤامرات ولا تزال تخدعه حتى اليوم .

— حركة انكار السنة :

والحركة الهدامة الأخرى التي لم تكن أقل خطرا للاستسلام
والمسلمين من الحركة القاديانية هي حركة انكار السنة ، وقد أنشئت هذه
الحركة مثل اختها " القاديانية " تحت رعاية الاستعمار الفاشم فكسان
من أهدافها الاساسية تفسير الاسلام حسب ما جاءهم من الغرب من العلوم
والفلسفات او حسب ما قال أساتذتهم المستشرقون ، ولان السنة النبوية
المطهرة كانت تتحول ما بين هذا التفسير وبين كتاب الله العزيز فقاموا بانكار
كون السنة مصدرا ثانيا لتفسير القرآن الكريم والتشريع الاسلامي مما فسدأت
هذه الحركة ^{الفتنة مع} التي قام بها سيد أحمد خان لتصميم الثقافة الانجليزية بيمين
المسلمين ، وهو أول من قام بالتفسير الجديد للاسلام كما هو اول من قام
بانكار الحديث في عصر الحديث (٢) . ثم استمرت تلك الحركة بمسند
وفاة سيد احمد خان حسب تخطيط الاستعمار وتحت رعايته وبعد انشاء
دولة باكستان الاسلامية في عام ١٩٤٧ م حمل لواءها احد موظفي الدولة
الكبار في الحكومة وهو السيد غلام احمد برويز ، فهكذا بدأ يزيد نفوذها

(١) انظر الاستاذ المودودي — ماهي القاديانية ص ٣٤

(٢) انظر الاستاذ المودودي — سنت كي آينى حيثيت هي ١٦ .

(٣) انظر الرسالة : الهدى الرسالة .

في الدوائر الحكومية التي قد استولوا عليها المتفرنجون من خريجو الكليات
الحديثة (١) .

فستطيع أن نقول بأن حركة انكار الحديث كانت تمهيدا لسياسة
المنظريات المادية والحركات اللادينية التي قد جاءت بها الحضارة الغربية
كما كانت تمهيدا لنفوذ تعبير الاسلام الذي قد جاء به المستشرقون من اليهود
والنصارى ، فبدأوا المسلمون المتفرنجون يفسرون القرآن حسب تفسير
المستشرقين فأنكروا ولادة سيدنا عيسى عليه السلام من غير الاب وعودته الى
الدينا مرة ثانية وظهور الخوارق على أيدي الأنبياء ، كما أنكروا عن وجود
الجن والملائكة والبرزخ وكثير من الأمور الاخرى . وهكذا أنكروا عن وجود
الصلوات الخمس وصيام رمضان كما أنكروا عن حد الرجم وحد السرقة والحدود
الاخرى (٢) .

— الشيوعية : ومن الحركات المعاصرة للاسلام حركة الشيوعية اللادينية
التي تكلمنا عنها في بداية الفصل ، فقد انتشرت تلك الحركة في شبه القارة
الهندية بعد انشاء الدولة الشيوعية في روسيا عام ١٩١٧ الميلادي والكليات
الحديثة مثل كلية (عليكرة) أصبحت مراكز لتلك الحركة الضالة وكثير من
خريجي تلك الكليات اعتنقوا تلك النظرية الضالة (٣) ، واخذوا يدعون اليها
ومنهم من انضم الى حزب المؤتمر الهندي ومنهم من انضم الى حزب رابطة
المسلمين ومنهم من دخل مجال الأدب والصحافة والاذاعة ومنهم من تمكن

(١) انظر الاستاذ مسعود الندوي — تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند
ص ٢٣٩ .

(٢) انظر المرجع السابق ص : ٢٣٧ .

(٣) انظر الاستاذ المودودي — " جماعت اسلامي " ٢٩ سال " ص ١٨٠ .

من النفوذ في نشاط العمال او الفلاحين ، ولكن مع اختلاف مجالاتهم تلك كان هدفهم واحداً ، وهو نشر الشيوعية والاحاد والاباحية في الشعب المسلم الهندي واستخدامه لمصالح الاستعمار الاحمر الفاشم (١) .

— العلمانية : ومن النظريات التي انتشرت بين المسلمين في تلك الايام نظرية فصل الدين عن الدولة ولم تصل بذورها الى الشعب المسلم الا بواسطة تلك المعاهد التعليمية المصرية ، فبدأ كثير من خريجي الكليات المصرية يعتقدون ان الدين علاقة العبد بربه ، وليست له أية علاقة بشؤون الدولة ، وهذه النظرية وان صحت نسبتها الى المسيحية الا انها لا تصح في ميزان الاسلام لانه دين كامل شامل للحياة تضم احكامه جميع شعوب الحياة من الفرد الى المجتمع . ومن البيت الى مقر الحكومة ولكن من سوء حظ المسلمين في ذلك العصر ان علماء الدين أو خريجي المعاهد الحديثة كانوا يؤمنون بهذه النظرية الضالة ويجعلون هدفهم اقامة الدولة العلمانية على منوال الجمهوريات العلمانية في الغرب (٢) .

هكذا انتشر بين المسلمين النظريات الهدامة الاخرى وهي نظرية داروين للارتقاء ونظرية فرويد في علم النفس ونظرية ميكاغلي في السياسة وانتشرت تلك النظريات والفلسفات اللادينية نتيجة للتعليم اللاديني والاستعماري الذي لم يكن هدفها الا ابتعاد المسلمين عن الاسلام ، وتمكن الاستعمار في تحقيق ذلك الهدف الشنيع بعد انتشار تلك النظريات اللادينية فسق المسلمين (٣) .

(١) انظر للتفصيل الأستاذ المودودي — تحريك ازادي هند اور مسلمان ج ١

ص ٢١٥ - ٢٣٦ .

(٢) انظر المرجع السابق ص: ١٠٩ - ١٢٧ .

(٣) انظر الأستاذ المودودي — نحن والحضارة الغربية ص ٧ - ٢١ .

الحركات السرية :

ويجدر بنا ان نشير هنا الى بعض الحركات السرية المعادية للاسلام مثل " نوادى الروتارى " والحركة الماسونية ومن اهداف تلك الحركات ولا سيما الماسونية هو القضاء التام على الدين ، يقول احمد زعما تلك الحركة " لابد لنا ان نكافح بجهد اكبر لادامة القوانين والانظمة اللادينية لان السلطة المطلقة التى صدمها رجال الدين على وجه المحصورة قد قاربت النهاية ، لا بل التالى الزوال وان غايتنا قبل كل شئ " هى اباداة الاديان جميعها " ولتحقيق ذلك الهدف الحذوم لم يتركوا طريقا الا ومضوا فيه ، فالجاسوسية والرشوة والاغراء بالمال والنساء واخيرا الارهاب والعنف كلها وسائل مشروعة لديهم ، وذلك لانهم يعتقدون حسب البروتوكول الاول " ان الغاية تبرر الوسيلة ، وطينا ونحن نضج غلطنا الا نلتفت الى ما هو خير واخلاقى بقدر ما نلتفت الى ما هو ضرورى ومفيد (١) .

حركة تهنيذ المسلمين :

وفى عام ١٩٢٥ م قام احد زعماء الهندوس ، وهو السوامى شردهانند واسس حركة تهنيذ المسلمين اى جعل المسلمين هندوسين (٢) ومن المعلوم أن تلك الحركة استهدفت القضاء التام على الاسلام والمسلمين واقامة دولة البراهمية الاستعمارية فى شبه القارة الهندية ، وقد استخدم اتباع هذه الحركة كل وسائل الترهيب والترغيب لتحقيق ذلك الهدف الاستعمارى فكانت

(١) انظر الدكتور عبدالصبور المرزوق - الغزو الفكرى - اهدافه ووسائله

ص ٩٣ .

(٢) هو السوامى شردهانند الشهير (المتوفى عام ١٩٢٦ الميلادى) قام بتأسيس حركة تهنيذ المسلمين وألف عدة كتب ضد الاسلام فقد قتل طس

يدى احد المسلمين عام ١٩٢٦ م .

نتيجتها ان بعض الجبهة من المسلمين وقعوا في مؤامرتهم وتركوا دينهم
الحنيف . (١)

وهكذا كان العصر التحديات العنيفة للاسلام والمسلمين ولا سيما
في شبه القارة الهندية وما جعل تلك التحديات اشد خطرا للاسلام
والمسلمين وقوع احداث خطيرة في العالم الاسلامي وشبه القارة الهندية
واهمها الفناء الخلافة الاسلامية على يد مصطفى كمال اتاتورك في تركيا
واقامة دولة طمانية بها والقضاء على الدين ورجاله وتراثه ، وقطع الصلوة
بالماضي الاسلامي ، والتقرب الى الغرب على حساب الاسلام ، بل اتباع
الغرب في كل شئون الحياة والتفاخر بذلك التقليد فاستغل المسلمون
المتفرنجون تلك الفرصة للهجوم على الدين والعلماء والمشائخ والدعوة الى
التجدد والتفرنج في شئون الحياة كلها (٢) ، فبدأ نفوذ تلك الطائفة يزداد
يوما فيوما وزاد الطين بلة حينما قام امان الله خان تلك الافغان بدعوته
الى التخرب والتفرنج واتخذت تلك الفئة فرصة أخرى للطعن في الاسلام
وعلمائه والتنديد بجهودهم ورجعيتهم (٣) .

ثم كان لغفلة العلماء عن واجب الدعوة وعدم اعتنائهم لمواجهة تلك
التحديات وانغماسهم في أحوال السياسة الوقتية وراها ما في ذلك الانحطاط
فاصبحت النتيجة ان العلماء فقدوا نفوذهم بين الجماهير ولم تبق للدين
وحطته مهابة في قلوب عامة الشعب وتطلع المتفرنجون الى الزعامة وقيادة
الشعب المسكين .

(١) انظر الاستاذ المودودي - جماعت اسلامي كي ٢٩ سال (ص ١٣-١٤ .

(٢) المرجع السابق ص ١٦-١٧ .

(٣) انظر الاستاذ مسعود الندوي - تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند

وأكثرها وطقا مما مر ذكره إهمال العلماء وغفلتهم عن واجبهم وانغماسهم في المشاجرات الفقهية فيما بينهم ، فلا تخلو مجالسهم ومحافلهم من مناظرة بين الحنفية وأهل الحديث ومن جدال بين الديوندية والبرهلووية من الحنفية ومن دواعي الأسف والألم أن معظم تلك المناظرات والمجادلات كانت تدور رحاها حول مسائل تافهة وترهات لا صلة لها بالحياة العملية البتة وما كان العبد ليحاسب عليها بين يدي ربه ومن المهيكات والموجهات في ذلك الزمان أن عددا غير قليل من بيوت الله لم تكن أبوابها مفتوحة لجميع المسلمين (١) .

— العناية بالدعوة الإسلامية :

ومع ذلك لم يكن العصر خاليا من الرجال الذين قاموا بالدعوة الإسلامية واهتموا بمواجهة تلك التحديات ، واهتمهم الشاعر الإسلامي الشهير الدكتور محمد اقبال (٢) ، والعالم الأملح الشيخ أبو الكلام آزاد (٣) ولكليهما دور كبير في ذلك المجال ، وجدير بالذكر أن كلا الرجلين كانا يعملان في حقلين متعارضين ، فاما محمد اقبال فقد حصل على شهادة الدكتوراة من ألمانيا فرأى الحضارة الغربية المادية اللادينية من قريب ولا حظ الفساد الذي قد استولى على العالم الإنساني ولا سيما على العالم الغربي نتيجة لتلك الحضارة الخبيثة ، فانتهدها بجرأة وصراحة كما بين بالبراهيسن

(١) انظر الاستاذ مسعود الندوي — تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ، ص ١٩٦ .

(٢) كتبنا ترجمته خلال هديتنا عن الحالة السياسية ص ٧٢

(٣) هو أحمد بن خير الدين الشهير بابي الكلام ولد بمكة المكرمة عام ١٣٠٥ هـ الموافق عام ١٨٨٨ م ثم هاجر إلى الهند مع والده واتخذ اقامته في مدينة لكهنؤ ، تلقى دراسته على منهج التعليم القديم . بدأ حياته العلمية باصدار مجلة " الهلال " عام ١٩١٢ الميلادي وعمل في مجال الدعوة حتى عام ١٩٢٤ م ثم انضم إلى حزب المؤتمر الهندي وانتخب رئيسا له عدة مرات ثم عين وزيرا للتعليم للحكومة الهندية بعد استقلال البلاد وتوفي عام ١٩٥٨ الميلادي .

(انظر دائرة المعارف الإسلامية بالاردية ص : ٩٩-١٠٤) .

العظيمة الضعف الملحق في النظريات اللادينية والفلسفات المادية التي تولدت من تلك الحضارة الخبيثة فانتقد الجمهورية اللادينية والشويعية والحلمانية والقومية الوطنية ودعوة الاحاد والتغرب ووليدة الاستعمار القاد يانية واهاب بالمسلمين علنا ان ينهضوا بالاسلام ويتمسكوا بحروتهم الوثقى وينفذوا الاحكام الشرعية في كل شؤون الحياة وطمى المسلمين ان يهتموا بشخصيتهم الاسلامية ويجتنبوا تقليد الغرب ، كما هذر مسلمى الهند عن مؤامرات الهندوس تحت ستار المؤتمر الهندي الوطنى وقدم لهم فكرة انشاء دولة اسلامية مستقلة ، فلم يكن انشاء دولة باكستان الاسلامية الا تعبيراً لرؤيته الصادقة (١) ، وجدير بالذكر ان اقبال خصص اكثر شعره للناشئة الجديدة التي كانت تدرس في الكليات الحديثة التي جعلها الاستعمار هدف مؤامراته الخبيثة وكان من فضل الله ان كثيرا منهم تأثروا بفكره ولعبوا دعوتهم وحطوا رسالته ولهذا يعتبر محمد اقبال بحق عمقيا انتجته الثقافة الجديدة التي ظلت تشغل وتنتج في العالم الاسلامى من قرن كامل ومفكروا اوجده الشرق في عصرنا الحاضر ولم نر من نوابغ الشرق انكياته على كثرة من أم الغرب منهم ودرس هناك - احدا نظروا في الحضارة الغربية هذا النظر العميق وانتقدوها هذا الانتقاد الجريء (٢) ، ومن هنا يعتبر اقبال ممثل الحركة الاسلامية الكاملة خلال تلك الايام .

وأما أبو الكلام آزاد وهو احمد بن خير الدين الذى عاش في بيئية دينية وتلقى علومه على المنهج القديم في المدارس الدينية التقليديـة ولكنه كان شابا الحميا فقام باصدار مجلة " الهلال " الاسبوعية ولم يتجاوز

- (١) انظر للتفصيل - الأستاذان المودودى - " اقبال كأصل كارناصة " نقلا عن جريدة " سيارة " الشهرية عدد خاص في ذكرى الاستاذ المودودى رحمه الله لشهرى ابريل ومايو عام ١٩٨٠ م ص ٣٧٧-٣٨٥ .
- (٢) الأستاذان ابوالحسن على الندوى - الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية في الاقطار الاسلامية ص ٩٨ .

عمره بضمنا وعشرين سنة ، وكانت هذه الجريدة فاتحة عهد جديد في تاريخ الصحف المسلمة الهندية (١) ، ونفخت في قلوب الامة روح الحياة وقادتها الى ميادين الجهاد والكفاح في حركة عظيمة وجهود متواصلة ولاسيما من الناحية الدينية وتجديد الدعوة الى الدين الخالص (٢) .

ولكن من سوء حظهم وسوء حظ المسلمين انه لم يتمكن من استمرار جهوده الا لبضع سنوات فحسب وذلك من عام ١٩٠٦ الميلادي الى عام ١٩٢٤ الميلادي وبعد ذلك وقع في شبك مؤامرة (غاندي) أكبر اعداء المسلمين في شبه القارة في تلك الأيام ، وانضم الى حزب المؤتمر الهندي يحل لواءها فتبدلت شخصيته تبديلا كاملا واصبح أبوالكلام غير أبى الكلام الذي كان يحل لسواء الدعوة الاسلامية ، وقد صدق الأستاذ المودودي حين اشار الى ذلك بقوله : " الانقلاب في شخصية أبى الكلام كان أكبر حادث في تاريخ مسلمي الهند في القرن التاسع عشر الميلادي (٣) .

وطى الجملته فلقد كثرت التيارات المعادية للاسلام في شبه القارة الهندية مما يحطى تصورا للتحديات التي قابلت الاسلام والمسلمين فيها .

...

-
- (١) انظر شيخ محمد اكرام - موج كوثر ص ٢٤٨-٢٧٨ .
 (٢) انظر الأستاذ سمود الندي - تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند ص ٢١٢ .
 (٣) انظر الأستاذ المودودي - تحريك آزادي هندوستان (الجزء الاول) ص ١٧٢ .

موجز الحالة الدينية في دولة باكستان الاسلامية

وجملة القول أن هذه كانت الحالة الدينية حينما انقسمت شبه القارة الهندية وأنشئت دولة باكستان المسلمة التي كان اقامة النظام الاسلامي من أهدافها الأساسية ، وهذا ما لم يعجب الحركات المعادية للإسلام فاتحد العلمانيون والمتفرنجون والقاديانيون والشيوعيون والماسونيون ومنكروا السنة النبوية وما إلى ذلك من أعداء الإسلام ليجعلوا هذه الدولة دولة علمانية أو دولة شيوعية ، ولأن هؤلاء أعداء الإسلام كانت لهم سلطة كاملة في الدوائر الحكومية العسكرية والمدنية ، وذلك فضلا عن الدعم المادي والمعنوي من قبل الدول الاستعمارية فاهتموا بتخطيط المؤامرات والمخططات للقضاء على حركة اقامة النظام الاسلامي التي كانت تقودها الجماعة الاسلامية والجماعات الدينية الاخرى ، هذا من ناحية ، ومن الناحية الاخرى كان لنفوذ الشيوعيين والقاديانيين والمتفرنجين ومنكري السنة في الدوائر الحكومية بانهم تمكنوا من استخدام الوسائل الحكومية المختلفة لنشر افكارهم المعادية للإسلام فتأسست ادارة التحقيقات الاسلامية بإسلام آباد ونشر افكار منكري السنة على حساب الدولة ، وكانت الاذاعة والتلفزيون ووسائل الاعلام الاخرى تعمل لنشر افكار الشيوعيين والمتفرنجين بجانب ونشر الاباحية والفساد والمنكرات من جانب آخر وفضلا عن ذلك مجال مالية ضخمة كانت تصرف لتبليغ القاديانية خارج باكستان وداخلها ، ومن ناحية ثالثة كان لمخططات أعداء الإسلام أن اشتعل نار الخلاف بين الفرق الاسلامية والجماعات الدينية المختلفة ، وذلك لان أعداء الإسلام كانوا يصفون حق المعرفة أن اتحاد المسلمين هو من اكبر العوائق في تحقيق اهدافهم الشيوعية لجعل باكستان دولة علمانية او دولة شيوعية

فخططوا لاشعال نار الخلاف بينهم ولا تزال هذه النار تزيد اشتعالا وانتشارا حتى اليوم ، فكان لمخططات أعداء الاسلام أن بدأت المناظرات والجمادات بين الديوبنديين والبريليويين من جانب وبين اهل الحديث والحنفية من جانب آخر وبين أهل السنة واهل التشيع من جانب ثالث فتأسست الجماعات الخاصة على أساس هذه الخلافات واهمها :

- (١) جمعية علماء الاسلام للديوبنديين .
- (٢) جمعية علماء الباكستان للبريليويين
- (٣) جمعية المشايخ لاصحاب الطرق الصوفية .
- (٤) جمعية اهل الحديث .
- (٥) البعثة الامامية للشيعه . . وما الى ذلك من الاحزاب الدينيه الاخرى .

وكان من سوء حظ المسلمين ان مساجد تلك الفرق المختلفة ومدارسهم اصبحت مراكز لاشعال نار هذه الخلافات بين المسلمين وما كان اكثر اسفـا وألما ان هذه الاحزاب لا يهتمها التحديات التي يواجهها الاسلام والمسلمين من قبل الحركات المعادية والتيارات الهدامة الداخلية والخارجية وذلك لان قادة هذه الاحزاب لم يتمكنوا من ادراك خطورة هذا التحدى العنيف ادراكا صحيحا ، هذا بجانب ولا نشغالهم في الخلافات المذهبية فيما بينهم من جانب آخر .

وهكذا كان لمخططات هؤلاء أعداء الاسلام أن هذه الفرق الدينية المختلفة مهما كانت فيما بينها من الخلافات قد اتخذت على اسقاط الحركة الاسلامية وذلك لان أعداء الاسلام كانوا خائفين منها خوفا شديدا ، وكان لمخططاتهم الشنيعة أن بدأت الجماعات المذهبية تهاجم الحركة الاسلامية فتدرت الاتهامات والاكاذيب التي اختلقها أعداء الاسلام ولكن الحركة الاسلامية لم تدخل ذلك الصراع بل استمرت في جهادها لاقامة الحكومة الاسلامية من ناحية وفي جهودها لمواجهة التحديات المعادية للاسلام من الناحية الثانية ، وذلك فضلا عن ما بذلت الجماعة من الجهود لتوحيد كلمة المسلمين فتأسست جمعية اتحاد العلماء لاتحاد العلماء وعامة المسلمين المنتهين الى الفسوق الدينية المختلفة لاقامة النظام الاسلامي من جانب ولواجهة الحركات المعادية للاسلام من جانب آخر. ولا تزال هذه الجهود المثمرة مستمرة .

ويلاحظ انه مهما كانت دائرة مخططات الشيوعيين والمفرنجيين والقاد يانيين ومنكري السنة واسعة ، ولكن لو اتحد العلماء وعامة المسلمين المنتهين الى الفرق الدينية المختلفة لتكنوا من مواجهة التحديات المعادية للاسلام من ناحية ، ومن اقامة النظام الاسلامي من الناحية الاخرى ، وهذا ما يتبين من اجتماع العلماء على المبادئ الاساسية للدستور الاسلامي في عام ١٩٥١م وهكذا كان لاتحادهم في عام ١٩٧٤م أن اضطرت الحكومة الى اصدار القرار الذي ينص على كون القاد يانيين غير مسلمين . واخيرا كان لاتحادهم في عام ١٩٧٧م الميلادي ان تمكنوا من انقاذ البلاد من دكتاتورية ذوالفقار علي بوتو .

وجسطة القول أن ذلك العصر كان عصر التحديات والتغيرات المعاصرة
 للإسلام ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يعتبر ذلك العصر عصر الصراع
 بين الحركة الإسلامية وبين الحركات المعاصرة للإسلام ، وذلك في كل دائرة
 من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية ، ولولا الافتراق بين الملما الذي
 ينتمون إلى الفرق الإسلامية المغتطفة ولولا تركيزهم على مخالفة الحركة الإسلامية
 لنجحت حركة إقامة النظام الإسلامي معها كانت في طريقها من التحديات ،
 وسنفضل الكلام عن مؤثرات الصراع بين الإسلام والجاهلية في ذلك العصر
 فيما بعد . وبالله التوفيق .

...

الحالة الاجتماعية

لم تكن الحالة الاجتماعية في ذلك العصر مختلفة عن الحال القالدينية والحالة السياسية لاننا كما ذكرنا آنفاً كان العالم الاسلامي كله في تلك الايام تحت سيطرة الاستعمار الاوروبي ، سياسيا وحضاريا ، ونتيجة لهذا ظهرت المخططات الاستعمارية التي اشرنا اليها وقد نشأ في العالم الاسلامي جيل جديد متنور بالثقافة الغربية الحديثة لا يعرف عن الاسلام الا اسمه وكان هذا الجيل يؤمن بأن الحضارة هي الحضارة الغربية ، والثقافة هي الثقافة الغربية اللادينية والعلوم هي العلوم الغربية المادية كما كانوا يظنون ان ازدهار الأمة الاسلامية ينحصر في اتباع الامم الغربية. وقد انتشر دعاة التفريب والتفنج في كل مكان وكان من هؤلاء الدعاة " ضياكوك ألب " (١) ومصطفى كمال باشا في تركيا (٢) ، وقاسم أمين بك (٣) وطه حسين (٤)

-
- (١) هو ضياكوك ألب (١٨٧٦-١٩٢٤ م) كان من دعاة التفريب والتفنج في تركيا كما كان يدعو الى القومية التركية الطورانية ، فلهذا هو يعتبر من مؤسسي الانقلاب الذي تم في تركيا على يدي مصطفى كمال باشا . انظر محمد شفيق غريال - الموسوعة العربية الميسرة ص ١١٤٥ .
- (٢) اسلفنا بترجمة مصطفى كمال باشا في هذه الرسالة على صفحة
- (٣) هو قاسم أمين بك (المتوفى عام ١٩٠٨ م) كان من دعاة التفنج في العالم العربي وكان لكتابه " تحرير المرأة " و " المرأة الجديدة " اثر كبير في انتشار الاباحية والسفور في المجتمع العربي ولا سيما في المجتمع المصري
- (٤) هو الدكتور طه حسين . ولد في مصر عام ١٨٨٩ م والتحق بالأزهر الشريف بعد دراسته الابتدائية ثم حصل على الدكتوراه من باريس ثم عاد وعين مديرا لكلية الآداب ثم عين وزيرا للتعليم عام ١٩٤٩ م وكان أدبيا ممتازا ولكنه استخدم ادبه للدعوة الى التفريب والتفنج ولبث الشكوك والشبهات حول الاسلام ومبادئه . وقد توفي عام ١٩٧٤ الميلادي . انظر محمد شفيق غريال - الموسوعة العربية الميسرة ص ١١٦٤ .

في العالم العربي وسيد احمد خان (١) وزملائه في شبه القارة الهندية وهؤلاء وغيرهم كانوا لا ينظرون الى الحياة الا بمنظار الغرب ولا يفكرون في شئون الحياة الا بتلك النظرة التي نظر اليها مؤسسو النهضة الجديد قالا ورجية ويودون أن يبتنوا الحياة الاجتماعية في بلادهم ايضا على الطراز الغربي . لأن هذا هو طريق التقدم والرفق والازدهار - في نظرهم - وان ماعداه فهو من الرجعية التي لا يمكن التقدم الى الامام الا بالقضاء طيها فاستبدلوا القيم الاخلاقية الجديدة بالقيم الاخلاقية الدينية المتوارثة وصار الازدهار المادي احدى وارجح عندهم من كل شيء بل هو وحده أصبح ذات قيمة وشرف حقيقي في نظرهم . (٢)

— الحالة الاجتماعية في شبه القارة الهندية :

واما شبه القارة الهندية فكما ذكرنا آنفا بدأت فيها الدعوة التي التفرب والتفرنج بعد ان تمكن الاستعمار البريطاني بالقضاء على حكومة المسلمين عام ١٨٥٧ م . ووقعت شبه القارة تحت احتلال الاستعمار البريطاني المباشر ، فرأى بعض القادة وطن راسهم سيد احمد خان وزملائه أن نهضة المسلمين تنحصر في اتباع الحضارة الغربية الحديثة ، ولذا بدأوا يدعون الى اتباع الحضارة الغربية الحديثة في كل دائرة من دوائر الحياة الشخصية والاجتماعية في اكلهم وشربهم ، في لباسهم وفي شخصيتهم ، وأخذت هذه الدعوة تتسع يوما فيوما حتى وصل الأمر الى أن يعض علماء الاسلام

(١) اسلفنا بترجمته في هذه الرسالة على صفحة

(٢) الاستاذ ابو الحسن علي الندوي - الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة

الغربية في الاقطار الاسلامية ص ٤٤ ، ٥٨ ، ١٢٧ ، ١٣٥ .

وطى رأسهم الشيخ عبيد الله السندهى (١) قاموا بالدعوة إلى التغرب والتفردج وقالوا أن الشعب الميلى الهندي ليس له الا اتباع الحضارة الغربية فسى كل دائرة من دوائر الحياة (٢) .

وكان لهذه الدعوة أن بدأ أكثر الناس ولا سيما البيوتات الا رستقراطية يتبعون الحضارة الغربية فى حياتهم الشخصية والاجتماعية فاهتم بعض من القادة والمفكرين كالدكتور محمد اقبال واكرالله آيادى (٣) والشيخ ابوالكلام بمقاومتها . ولكن ظاهرة التغرب والتفردج لم تزل تزيد يوما فيوما .

وجد ير بالذكر ان المجتمع الاسلامى فى شبه القارة الهندية بدأت فيه الخلاعة والسفور بعدما التحقت الطالبات المسلمات بالكليات الحديثة ولا سيما بكليات التعليم المختلط فقامت كثيرات من تلك الفتيات المثقات بنزع الحجاب الشرعى " ليشاركن فى النشاطات الاجتماعية مع الرجال جنسا الى جنب وقد شاركن معهم فعلا فيما بعد خلال الكفاح لتحرير البلاد . ولو اقتصر على هذا لهان الامر ولكن بلغ الامر فيما بعد الى حد ان بدأت النساء من البيوتات الا رستقراطية " يخرجن من بيوتهن فى ملابس شفاقة عارية يخيل الى الناظر ان الواحدة منهن ممثلة او فنانة . . . واصبح يرى فيهن كل

-
- (١) هو الشيخ عبيد الله السندهى . ولد فى عام ١٨٧٢م فى بيعة " سينج " ، فه و اسلم وعمره لم يتجاوز (١٥) خمسة عشر سنة ثم التحق بدارالعلوم ديوبند وتعلم على ايدى الملماء الكبار هناك ثم هاجر من الهند عام ١٩١٥م وبعد ان مكث فى افغانستان وروسيا وتركيا والحجاز حوالى ٢٣ عام عاد الى البلاد عام ١٩٣٨م وهو قد اصبح داعيا الى التفردج والتفردج (انظر شيخ محمد اكرام " موج كوشر " ص ٣٤٥-٣٥٠) .
- (٢) انظر شيخ محمد اكرام " موج كوشر " ص ٣٤٥-٣٥٠ .
- (٣) هو سيد اكرام حسين اكراله ابادى الشاعر الاسلامى الشهير كان يشتغل قاضيا وله دور كبير فى مقاومة حركة التغرب الذى قام بها سيد احمد خان وقد استخدم شعره لتحقيق هذا الهدف فجزاه الله خيرا .

الجسارة والصفافة . بل يتبين للمرء من ملابسهن الفاضحة والوانها البراقعة
وعنايتهن بالتزين وحركاتهن من التثني والتفنج انه لا يطلع أمام اعينهن
الا ان يكن مغنطيسا جنسيا يجذب الرجال اليهن جذبا وقد قل الحياء
فيهن الى حد ان أصبحن لا يستحيين من الفصل مع الرجال شبه عاريات
بل من عرض انفسهن في تلك الحالة لتؤخذ صورهن وتنتشر في المجلات (١) .

ومع ما أنشئت دولة باكستان المسلمة عام ١٩٤٧ م الميلادي تأسست

"جمعية السيدات الباكستانية" "All Pakistan Women Association"

برئاسة زوجة رئيس الوزراء انذاك وبدأت هذه الجمعية دعوتها بان المرأة
متساوية مع الرجل في جميع الحقوق والمسئوليات من التوظيف في الدوائر
الحكومية الى النيابة في البرلمان ومن الالتحاق بالجيش الى الاشتراك في
المباريات المحلية والدولية (٢) . وقد تمكنت "الجمعية" من تحقيق تلك الاهداف
في السنوات الاخيرة وما زالت هذه الجمعية تشتغل حتى اليوم ولها فروع في
كل مدينة من مدن باكستان تشرف عليها زوجات المسؤولين الكبار في دوائر
الحكومة او السيدات من الاسر الارستقراطية (٣) .

وجد ير بالذكر ان الجماعة الاسلامية بباكستان لها دور كبير في مواجهة
هذا التحدي فاهتمت الجماعة وفرادها "جمعية المسلمات" وجمعية الطالبات
المسلمات بالتوجيه والتوعية من هذه الناحية فكان لجهودها ان عددا غير
قلي من السيدات المثققات قررن بترك السفور والتبرج الجاهل والاهتمام

(١) انظر الاستاذ المودودي - الحجاب ص : ١٢٨ .
(٢) انظر الشيخ امين احسن الاصلاحى باكستاني عورت دوراهى بر " ص ٥٠-٦٠ .

(٣) انظر المرجع السابق

بالحجاب الشرعى حتى الان . ولا تزال جهودها مستمرة .

— الادب والصحافة :

كان الادب والصحافة من اهم الوسائل التى استخدمتها دعاة التغريب والتفرنج لتحقيق اهدافهم وذلك لاهميتها البالغة فى تربية العقول وكان لا تقام دولة الشيوعية فى روسيا عام ١٩١٧ الميلادى والغاة الخلافة العثمانية فى تركيا عام ١٩٢٤ م اثر كبير فى التحول فى الادب والصحافة فقام الشيوعيون والملاحدة بتخطيط مخططات ومؤامرات للنفوذ فى الادب ، والصحافة ليتمكنوا من بث الاحاد والاباحية والشيوعية فى المجتمع الاسلامى وفى عام ١٩٣٦ م تأسست جمعية الكتاب المتطورين بالهند لتحقيق هذه الاهداف الشيعة وبدأ الكتاب المتطورون يكتبون المقالات والبحوث والقصص يهاجمون فيها العقائد الاسلامية والقيم الدينية والاخلاقية ويدعون الى الاحاد والشيوعية والاباحية والسفور (١) .

وأما الصحافة فكان من مخططات الشيوعيين ان يتركزوا للنفوذ فى الصحافة والاناعة فاكثر والمجلات والجرائد كان يشتغل فيها الشيوعيون وكانوا يستخدمونها لبيان افكارهم الخبيثة وللقتال على الحيا والمعة فى المجتمع الاسلامى بنشر الصور العارية للنساء الفاجرات والمثلات ليجملوهن اسوة للجيل الاسلامى الجديد .

ولكن مع ذلك لم يكن ذلك المعصر خاليا عن الكتاب والشعراء الاسلاميين ومنهم الدكتور محمد اقبال الذى جعل شعره وسيلة لانقاذ الشباب المثقفين من

(١) انظر للتفصيل الاستاذ هارون الرشيد " الروادب اوراسلام "

العبودية الفكرية للحضارة الغربية ولاعادة ثقتهم في الاسلام . ومنهم الشيخ ابوالكلام ازان الذي مجلته " الهلال " تعتبر نموذجاً حياً للصحافة الاسلامية ومنهم الشاعر الشهير اكبر راجه آبادي الذي اختص شعره لنقد حركة التفجير والتفريغ ومنهم القصاص الشهير نسيم الحجازي (١) الذي جعل التاريخ الاسلامي اساساً لقصصه ومنهم الاستاذ المودودي وزملاؤه الذين استخدموا الادب والصحافة لعطيل الدعوة وتمكنوا من مواجهة هذا التحدي .

— الحياة الاقتصادية :

وأما الحياة الاقتصادية فكان حوالى ثمانين في المائة من الشعب المسلم الهندي من سكان الريف وكانوا يعطون في الزراعة وكانت هناك القطاعات والضيعات الزراعية الواسعة وكانت تلك الرقعات الشاسعة من الاراضي تتراوح بين آلاف ومئات الالاف من الهكتارات احتفظت بها بعض المائلات عبر الاجيال كالاتيايات والضيعات منها ما اقطمته الحكومة الانكليزية عقب احتلال البلاد للخنونة والعملاء بعد ان انتزعت من اصحابه الشرعيين ومنها ما اوتى لاسلاف الملاك الحاليين قبل العهد الانكليزي ففترات مختلفة بطرق شرعية وغير شرعية ومنها ما اشترته اصحابه كه او بمضج ومنها ما سيطر عليه شيوخ القبائل في القرون السالفة . فكانت هناك طبقة مستترة تحترف حرفة الزراعة وقد قررت لها في المجتمع القروي حقوق متازة من حيث المنزلة الاقتصادية والاجتماعية وهرم على سائر طبقات البلاد ان تضرب بسهم في دائرة حرفة الزراعة وكل ذلك مما يخالف الاسلام والعقل ومنه تتفجر عيون الشر

(١) هو محمد شريف نسيم الحجازي القصاص الاسلامي الشهير وله عدد من القصص

والمظالم الكثيرة التي تعد من خصائص النظام الاقطاعي (١) .

وأما سكان المدن فأكثرتهم كانوا يشتغلون في التجارة او دوائر الحكومة او الحرف المختلفة . فيجد ربنا ان نشير هنا بان مئات الالاف من العمال قد تركوا سكناتهم في الريف وهاجروا الى المدن الكبيرة لكي يشتغلوا في المصانع التي كان عددها يزيد يوما فيوما فكانت نتيجتها ان كثرت المفاسد الخلقية فاستغل الشيوعيون تلك الفرصة وبدأ نفوذهم يزداد في العمال يوما فيوما حتى حصلت لهم السيادة الكاملة على اكثر المنظمات العمالية في المصانع وظاهرة اخرى برزت في شعب الهند حيث كان هناك عدد غير قليل من سكان المدن والريف ولا سيما الفلاحين والعمال والتجار الصغار والموظفين ذوي الرواتب المحدودة وكانوا يضطرون الى ان يستقرضوا عند الشدة من المرابين الهندوس وكل من وقع في شباك المرابي مرة لا يكاد يتخلص منه طوال حياته بل لا يزالون الابناء والاحفاد يتوارثون على ظهورهم ربا هذا الدين عن اباؤهم واجدادهم . ولا تزال صغرة جائمة على صدورهم وقد لا يتخلصون منه بمسند ما يؤدون عليه من الربا ما يكون اكبر من راس المال بمرات عديدة وقد شوهد مرارا ان المدين اذا كان لا يستطيع اداء الدين مدة من الزمان جمع الدائنين بين ماله على مديته من راس المال والربا واقرضه هذا المدين نفسه بسمراطي ليسترد منه ماله مع ربا وذلك ما يجعل المسكين اسوأ حالا من ذي قبل (٢) . وما هو اكثر ألما وظفان لبعض العلماء المستغربين فسروا آيات الربا في القرآن الكريم حسب اهوائهم وقالوا ان القرآن الكريم لا يحرم الربا الا ما كان رائجاً

(١) انظر الاستاذ المودودي - ملكية الارض في الاسلام ص ٩٧-٩٨ .

QUAD - E - AZAM AND

MUSLIM ECONOMIC RESURGENCE

(٢) انظر للتفصيل السيد / محمد علي

في العصر الجاهلي ، وان الربا الذي نراه رائجا اليوم في البنوك أو الأوساط
التجارية فهذا لا يحرمه القرآن (١) .

وفي الجملة فان الحياة الاجتماعية لسلبي شبه القارة الهندية فسق
ذلكا لمصر كانت هزيلة في مواجهة التحديات والمؤامرات وقد اثرت الحضارة
الغربية في كل نواحيها .

...

(١) انظر الشيخ محمد اكرام - موج كوثر ص ١٦٠ .

نظرة عابرة على الحالة الاجتماعية في دولة باكستان الاسلامية

وبعد ما ذكرنا عن الحالة الاجتماعية لسلي شبه القارة الهندية قبل انشاء دولة باكستان الاسلامية عام ١٩٤٧ م يجدر بنا ان نشير هنا الى بعض النواحي للحالة الاجتماعية في باكستان واليك موجز ذلك :

سكان البلاد : ان سكان المدن الذين كانوا يشتغلون في التجارة او الدوائر الحكومية قبل انشاء دولة باكستان المسلمة مازالوا يشتغلون في هذه الدوائر بعد انشاء باكستان أيضا الا أن عدد المصانع الصغيرة والكبيرة بدأ يزيد يوما فيوما ، وهذا ما أدى الى الصراع بين أصحاب المصانع وبين العمال من ناحية ، والى كثرة المفاسد الاخلاقية والمنكر والفواحش من الناحية الاخرى ، وأما في القرى فلم يزل سكان القرى تحت سيطرة النظام الاقطاعي حتى بعد انشاء دولة باكستان المسلمة ، بل يمكننا أن نقول أن هذا النظام قد أصبح أكثر نفوذاً وأشد ضرراً حيث تمكن الاقطاعيون من الوصول الى السلطة عن طريق الانتخابات البرلمانية وهذا ما جعل المزارعين والفلاحين عندهم أسوأ حالا من قبل (١) ، وجملته القول أن سكان الباكستان يمكننا أن نقسمهم الى ثلاث طبقات :

اولا : طبقة الاغنياء التي يشتمها اصحاب الاقطاع والمصانع الكبيرة والموظفون الكبار وعددهم لا يزيد عن ١٠ ٪ من مجموع سكان البلاد ، وهذه الطبقة مصطبغة بمصغفة التفرنج والتغريب في كل دائرة من دوائر الحياة .

وثانيا : الطبقة المتوسطة التي يشتمها التجار والموظفون المتوسطون

(١) انظر الدكتور صفدر محمود - مسلم ليك كادور حكومت ص: ٣٦١-٣٦٣ .

وأصحاب هذه الطبقة عدد هم يصل الى ٣٠ ٪ ، وهذه الطبقة هي أكثر تأثيراً لدعوة الحركة الاسلامية لكونها طبقة مثقفة .

وثالثاً : طبقة الفقراء التي يشغلها المزارعون والعمال وعدد هم يزيد عن ٦٠ ٪ وأصحاب هذه الطبقة هم أسوأ حالا واشد بعدا عن التعليمات الاسلامية ولذا يقومون فريسة سهلة للشيعيين والاشتراكيين . وبهذا تكون حزب الشعب للسيد بوتو من كسب حماية هذه الطبقة خلال الانتخابات البرلمانية لعام ١٩٧٠ م .

في مجال الصحافة والأدب : وأما مجال الادب والصحافة فكما ذكرنا آنفاً كان يسيطر عليه الشيوعيون حينما أنشئت دولة باكستان المسلمة وما زالت سيطرتهم مستمرة على ذلك المجال الى مدة طويلة بعد انشاء دولة باكستان المسلمة أيضاً ، فأكثر المجلات والجرائد كان يشتغل فيها الشيوعيون . فكانوا يبثون افكارهم الفاسدة من ناحية ، وينشرون الاباحية والفواحش والمنكرات من الناحية الاخرى ، وجملته القول أن هذا المجال كان تحت سيطرة الشيوعيون الكاملة ان أعنتت الحركة الاسلامية بمواجهة ذلك التحدي فصدرت العديد من المجلات الشهرية والاسبوعية والجرائد اليومية تحت رعاية الحركة الاسلامية المباشرة او غير المباشرة ، وعدد هذه المجلات والجرائد الصادرة من مدن البلاد المختلفة يزيد عن عشرة وذلك فضلا عن عدد غير قليل من الصحفيين الاسلاميين يشتغلون في المجلات والجرائد الأخرى ، وبهذا تمكنت الحركة الاسلامية من مواجهة ذلك التحدي . فله الحمد .

الصراع بين الشيوعيين وبين الاسلاميين في القطاع العمالي ٪ :

كما ذكرنا آنفاً أن القطاع العمالي في شبه القارة الهندية كان تحت سيطرة الشيوعيين الكاملة ، فقد بدأ نفوذهم في العمال مباشرة بمجرد

الانقلاب الشيوعي في روسيا عام ١٩١٧ ، وكانت هناك أربع منظمات عالمية كل واحدة منها شيوعية ، فكان هناك نوع من التحالف فيما بينها . ثم كان قبل انشاء دولة باكستان المسلمة بتظليل أن قرر الشيوعيون تأسيس منظمات عالمية ، خاصة للعمل في المجال العمالي في هذه الدولة المسلمة فتأسست ثلاث منظمات عمالية كل واحدة منها شيوعية ، وهكذا انشئت دولة باكستان الاسلامية عام ١٩٤٧ م والقطاع العمالي فيها تحت سيطرة الشيوعيين الكاملة وكان لتلك السيطرة الشيوعية ان النقابة العمالية في سكة الحديد قررت القيام بالاضراب العام عن العمل ، وذلك في الايام التي كان يسافر فيها المهاجرون من الهند الى باكستان نتيجة لمجازر المسلمين ومذابحهم هناك على أيدي الهندوس والسيخ فاستدعا حاكم دولة باكستان الاول ومؤسسها السيد محمد علي جناح الطقب بالقائد الاعظم أن يؤجل ذلك الاضراب العام نظرا للظروف القاسية التي كانت هذه الدولة الجديدة فيها ، ولكن الشيوعيين لم يعتنوا بذلك الاستدعاء ولا يهتمهم ما كان يواجهه المسلمون في الهند فسي تلك الظروف القاسية ، فقرروا ان يواصلوا الاضراب العام وهذا ما انتهى اليه استشهاده مئات الالوف من المهاجرين على ايدي الهندوس والسيخ (١) ، وكان في مثل تلك الاوضاع ان قررت الجماعة الاسلامية ان تقوم لمواجهة ذلك التحدي فتأسست منظمة خاصة للعمل في قطاع العمال فكان بفضل الله ، ثم بفضل جهود هذه المنظمة المستمرة ان تمكنت الجماعة من انقاذ العمال المسلمين في الدوائر العمالية المختلفة من ايدي الشيوعيين فآكثر من مائتين وخمسين نقابة عمالية تنتمي اليوم الى الاتحاد العمالي الوطني التابع للجماعة الاسلامية ،

(١) انظر للتفصيل البروفسور محمد شفيح ملك - باكستان مزدور تحريك

وعدد العمال الذين ينتمون الى هذه النقابات العمالية يزيد عن خمسمائة ألف عامل (١) .

في دائرة الحياة الاجتماعية :

وأما دائرة الحياة الاجتماعية فنحن ذكرنا آنفا عن الصراع بين الحضارة الغربية وبين الحضارة الاسلامية فيها في دولة باكستان المسلحة خلال حديثنا عن ذلك الصراع في شبه القارة الهندية فلا حاجة لتكرار ذلك الحديث هنا ، بل يكفي ان نشير هنا الى الحقيقة أن هذا الصراع ما يزال مستمرا في المجتمع الباكستاني حتى اليوم .

وجملة القول أن الصراع الذي بدأ في دائرة الحياة الاجتماعية لسلم شبه القارة الهندية بين الحضارة الاسلامية وبين الحضارة الغربية مع بداية الاحتلال البريطاني لشبه القارة ما يزال مستمرا في باكستان حتى اليوم ، وسنفضل الكلام عن مؤثرات ذلك الصراع في المجتمع المسلم الباكستاني فيما بعد . وبالله التوفيق .

...

(١) اخبرني عن هذا البروفسور محمد شفيع ملك رئيس الاتحاد العمالي الوطني .

مؤثرات الصراع بين الاسلام والحضارة الغربية
 في عصر الأستان المودودي عرضا ومناقشة

وفي خاتمة حديثنا عن عصر الاستان المودودي ، من النواحي المختلفة ،
 يجدر بنا أن نشير هنا الى بعض الخصائص والمزايا التي يمتاز بها ذلك العصر
 وذلك لكي نعرف مؤثرات ذلك العصر في عطفه في مجال الدعوة ، هذا من ناحية ،
 ومن الناحية الاخرى لكي نتمكن من التعرف على مدى تأثيره العلمي والفكري على
 ذلك العصر ، والهيك موجز أهم هذه الخصائص والمزايا :

ان العصر الذي بدأ الاستان المودودي دعوته فيه كان عصر الصراع العنيف
 بين العالم الاسلامي وبين الاستعمار الاوروبي الفاشم ، بين الاسلام وبين
 الحضارة الغربية الجاهلية وكان لانفصال الامة المسلمة عن مصدر قوتها
 (الاسلام) ووقوعها في الانحطاط الفكري والعطى من ناحية ، ولظهور النهضة
 العلمية والتكنولوجية في العالم الغربي من الناحية الاخرى أن تمكن الاستعمار
 من السيطرة على معظم البلاد الاسلامية ، ولم يبق من احتلاله الا من شاء الله .

ان سيطرة الاستعمار السياسية على العالم الاسلامي كان تمهيدا
 لسيطرته الحضارية ، وكما أسلفنا كانت هذه الحضارة ، حضارة مادية جاهلية
 وذلك من مبادئها الى مظاهرها ، ومن رأسها الى عقيدها ، وهكذا العلوم
 والفلسفات والنظم التي جاءت بها تلك الحضارة كانت مادية جاهلية ، من أصولها
 الى فروعها ، ولعبت حامية الاستعمار لتلك الحضارة دورا هاما في نشرها في
 المجتمعات الاسلامية ، فكانت لها كلمة سموعة في كل دائرة من دوائر الحياة
 الفردية والاجتماعية وفي كل بلد من البلاد الاسلامية .

ان التجاوب الناشئ في المجتمعات الاسلامية تجاه غارة الاستعمار الحضارية كان ذا اتجاهين :

أولا : التجاوب الانفعالي والمراد منه الخضوع الكامل أمام الحضارة الغربية في كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية وقبول كل ما جاءت به هذه الحضارة الجاهلية المادية في العقائد والاخلاق والتعليم والسياسة والاقتصاد والمدنيقوما الى ذلك ، ولأن أصحاب هذا الموقف الخضوعي كانوا ممن المثقفين الجدد ، فتكثروا من السيطرة على المجتمعات الاسلامية ، فكبروا وعطسوا ، فهذا ما جعل تأثير هذه الحضارة يتوسع الى كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية .

ثانيا : التجاوب السلبي والمراد منه الرقخ الكامل لكل ما جاء ممن الغرب منسوق العلوم والفنون والنظريات والفلسفات ، ولأن أصحاب ذلك الموقف كانوا ينتمون الى طبقة العلماء والمشايخ ، فعارضوا كل قادم من الغرب من نافع وضار فكان مصير جمودهم فقدان تأثيرهم في المجتمع والتفاف الشعب حول المثقفين لأعمالهم اليومية وقضاء حاجاتهم من ابتكارات العلم والتكنولوجيا وقبول وجهات نظرهم بخصوص الغرب وحضارته وطوبه ، وانحصر دور العلماء في رسوم دينية وفي بعض المناسبات فقط ، وهكذا اهتمدوا عن معركة الحياة وقيادة الشعب .

وكان لسيطرة الاستعمار السياسية والحضارية على العالم الاسلامي أن روجت فيه عدة من الحركات الهدامة والدعوات المعادية التي كانت تهدف الى نشر الحضارة الغربية الجاهلية والعلوم المادية والفلسفات اللادينية والنظم الجاهلية التي هي تحتضنها من ناحية رالى القضاء على الانعان في صلاحية الاسلام لقيادة البشرية وحل مشاكلها في الحياة الفردية والاجتماعية في هذا

العصر من الناحية الاخرى والى القضاء على وحدة كلمتهم من الناحية الثالثة ،
وأهم تلك الحركات هي حركة التفرنج والتفريغ التي قادها السيد احمد خان
في شبه القارة الهندية ، والأستاذ قاسم أمين بك والدكتور طه حسين في
العالم العربي وضياء كوك ألب ومصطفى كمال في تركيا ، وحركة العلمانية
والديمقراطية والبرلمانية ، والشيوعية ، والاشتراكية والتبشير ، والقاديانية ،
والبهائية ، والدونمة ، والماسونية . . وما الى ذلك من الحركات الهدامة التي
لا تزال تعمل لمصالح الدول الاستعمارية في البلاد الاسلامية حتى اليوم .

وكان الغاء الخلافة العثمانية على أيدي عملاء الاستعمار ، وطى رأسهم
مصطفى كمال من أكبر الحوادث التي حدثت في العالم الاسلامي خلال ذلك
العصر ، وكان لذلك الحادث المؤلم دورا كبيرا في تحقيق أهداف الاستعمار
الشنيع في العالم الاسلامي .

ان حياة الأمة الاسلامية قد تأثرت بفارسة الاستعمار السياسية والحضارية
في كل نواحيها ، ولكن تلك الفارسة كانت أشد تأثرا في الدوائر الاتية :

— الحياة السياسية : كان لاهمية الحياة السياسية الهائلة أن قرر الاستعمار
أن يركز عليها بصفة خاصة ، فقد ألغيت الخلافة العثمانية وحلت محلها الجمهورية
العلمانية في تركيا حسب مخططات الاستعمار الهدامة ، كما خضعت البلاد
الاسلامية الاخرى للدول الاستعمارية المختلفة فشبها القارة الهندية قد سيطر
عليها الانجليز وخضعت مصر لفرنسا ثم للانجليز ، وأندونيسيا استولت عليها
هولندا ، وليبيا سيطرت عليها ايطاليا ، والجزائر وقعت تحت سيطرة فرنسا . . .
وهكذا البلاد الاسلامية الاخرى . هذا من ناحية ، ومن الناحية الاخرى تأثر
المسلمون المثقفون آنذاك من النظريات السياسية الحديثة الجاهلية مثل الديمقراطية
البرلمانية ، والعلمانية ، والشيوعية ، والاشتراكية ، والقومية الوطنية وما الى

ذلك من النظم السياسية الحديثة . كما تأثر هؤلاء المسلمون المثقفون بالقيم
الاخلاقية المادية التي جاها بها المفكرون السياسيون كميكافيلى وروسو وماركس
وانجلز ولينين وما الى ذلك من آباء السياسة اللادينية الحديثة .

وهذه النظريات والفلسفات السياسية الجاهلية من مستلزماتها نظرية
فصل الدين عن الدولة وانكار حاكمية الله سبحانه وتعالى لتحل محلها نظرية
حاكمية الجمهور الجاهلية ، وهذا ما يودى الى تنحية القيم الدينية والاخلاقية
السامية عن المجال السياسى واقتصار دائرة العمل السياسى على الدجل والكذب
والخدعة والتزوير وما الى ذلك من أخلاق المدنية المادية الجاهلية ، فلذا كان
لنشر هذه الفلسفات فى العالم الاسلامى أن الحركات التى بدأت فى ذلك
العصر لاستخلاص البلاد الاسلامية المختلفة كانت قومية ووطنية ، ولم تكن
تهدف الا الى اقامة الحكومات القومية العلمانية أو الاشتراكية أو الشيوعية ففى
هذه البلاد الاسلامية وكانت زعامة تلك الحركات فى أيدي المثقفين الجدد الذين
قد وقعوا فى العبودية الفكرية للحضارة الغربية . وقد فقدوا أذهانهم ففقدوا
صلاحية الاسلام للقيادة البشرية فى ذلك العصر وبدأوا يعتقدون أن النظم
السياسية الحديثة الجاهلية وحدها كانت تتمتع بهذه الصلاحية .

وأما شبه القارة الهندية وقد سيطر عليها الاستعمار الانجليزى بمسدد
أن استمر فيها حكم المسلمين لاكثر من ثمانية قرون، ولأن الثورة التى كانت ضد
الاستعمار فى عام ١٨٥٧ قد قادها المسلمون ، فلذا اذا فشلت الثورة خطط
الاستعمار المخططات للقضاء على الاسلام والمسلمين معا وذلك مع تمسك
الهندوس ، وجدير بالذكر أن زعامة مسلمى شبه القارة الهندية السياسية كانت
فى أيدي العلماء والشايخ فى البداية ، ولكنها انتقلت الى أيدي المثقفين

الجدد تدريجيا فلذا العلماء والمشايخ الموجودون في حزب المؤتمر الهندي
أو حزب رابطة المسلمين فقدوا السلطة التنفيذية في كليهما .

وجد بالذكر أن حزب المؤتمر الهندي كان يهدف إلى إقامة
الحكومة الوطنية المتحدة التي تكون فيها أغلبية غير مسلمة وتكون السلطة
الحقيقية في أيديهم ليتمكنوا من القضاء على الإسلام والمسلمين معا . وأما
حزب رابطة المسلمين فكان هدفه إقامة دولة إسلامية مستقلة . ولكن الإسلام
الذي كان قادتهم يتكلمون عنه لم يكن إلا الإسلام الجغرافي ، ولم يكن
لديهم أية فكرة للاستعداد لاقامة النظام الإسلامي بعد استقلال البلاد ، وهذا
ما أثبتته التاريخ بعد انشاء جمهورية باكستان الإسلامية في عام ١٩٤٧ الميلادي
حيث بدأ قادة باكستان يظهرون الآراء المتضاربة حول تطبيق الشريعة
الإسلامية في البلاد ، فخططت المخططات والمؤامرات لجعلها دولة علمانية
وبدأ الصراع العنيف بين الحركة الإسلامية والأحزاب الإسلامية الأخرى وبين
العلمانيين والشيوعيين والمتفرجين ومنكري السنة الموجودين في الدوائر
الحكومية حول هذا الموضوع ولا يزال هذا الصراع مستمر حتى اليوم .

— الحياة الدينية : وأما الحياة الدينية في العالم الإسلامي ولا سيما

في شبه القارة الهندية فقد دب فيه انحطاط واضمحلال قهلا قهلا حتى استعمار
الفاشم وذلك لإغلاق باب الاجتهاد وانفصال الدين عن الدولة واقتمار أثرته
على شؤون الحياة الفردية ، وحينئذ تمكن الاستعمار من السيطرة على المسلمين
الإسلامية خطط المخططات والمؤامرات للقضاء على الدين ورجال الدين
معا وذلك باتخاذ القرار بأن أبواب المعيشة لا يمكن فتحها إلا بفتح الثقافة

الغربية اللادينية ، وكان من الطبيعي أن أهبطت المدارس الدينية وحلست
 محلها الكليات والمدارس الحديثة . وزاد الطين بلة حينما قرر العلماء
 والمشايخ أن لا يقبلوا أى تغيير فى منهجهم التعليمى الذى قد أكل عليه
 الدهر وشرب واتخذوا الموقف السلبى تجاه كل ما جاءت به الحضارة الغربية
 نافعا كان أو ضارا . هذا من ناحية ومن الناحية الأخرى خطط الاستعمار
 لإنشاء الحركات الهدامة والدعوات المعادية للإسلام فى كل بلد من البلاد
 الإسلامية وذلك ليتمكن من القضاء على الإسلام من الداخل والخارج معا . فأهم
 تلك الحركات كما أسلفنا هى التبشير والاستشراق والعلمانية والشيوعية
 والماسونية من الخارج والقاديانية والبهائية والدونمة وانكار السنة النبوية
 وتطوير الإسلام " بالتوفيق " بين الإسلام والجاهلية الحديثة من الداخل ،
 ومن الناحية الثالثة اهتم الاستعمار بإشعال نار الخلافات بين الفرق الإسلامية
 المختلفة وذلك للقضاء على وحدتهم بجانب ولفظ نظرهم عن التحديات
 والتغيرات والمؤامرات التى كانت لهم بالمرصاد بالجانب الأخرى .

ومن أشنع وأخطر آثار الحضارة الغربية فى العالم الإسلامى هو
 وقوع المسلمين ولاسيما المسلمين المثقفين فى العبودية الفكرية للحضارة الغربية
 واتخاذهم الموقف الخضوعى تجاه هذه الحضارة الجاهلية وانعانتهم بأن
 كل ما يأتى من الغرب هو صحيح ولا مجال للشك والريب فيه ولولا هذا الموقف
 الخضوعى والعبودية الفكرية لم يتمكن الفزوة الحضارى الاستعمارى من انجاز
 ما نراه اليوم فى العالم الإسلامى .

وأما الدعوة الإسلامية التى بدأ بها الشيخ أبو الكلام آزاد فى العقيد
 الأول للقرن التاسع عشر الميلادى أو الدعوة التى حمل لواءها الدكتور محمد

اقبال رحمه الله من العقد الثاني الى العقد الرابع لهذا القرن أو الدعوات الاخرى التي ظهرت في ذلك العصر كل واحدة من تلك الحركات لها دور في مواجهة التحدي الحضارى الغربى ، الا أن هذه الدعوات لم تصبح حركة اسلامية شاملة تتمكن من مواجهة ذلك التحدي في كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية ومن اعادة ثقة المسلمين المثقفين في صلاحية الاسلام للقيادة البشرية في ذلك العصر بجانب ، وتقوم بالجهاد لاقامة الحكومة الاسلامية بالجانب الآخر.

وجسدي بالذكر أنه بعد انشاء دولة باكستان الاسلامية في عام ١٩٤٧ الميلادى ازدادت المؤامرات والتيارات لجعل دولة باكستان الاسلامية دولة عثمانية أو شيوعية ، ودخل الصراع بين الحركة الاسلامية وبين الحركات الهدامة في مرحلة عنيفة ولا تزال هذه الشدة تزداد يوماً فيوماً بانتصار الحركة الاسلامية وانهزام الحركات الجاهلية في كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية ، وهذا ما وعد به الله سبحانه وتعالى في قوله تعالى :
(قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً) (١) .

— الحياة الاجتماعية : وأما الحياة الاجتماعية في ذلك العصر فقد تأثرت بالحضارة الغربية الجاهلية في كل نشاطاتها ومظاهرها فأنشئت الحركات ، وظهرت الدعوات لتعميم الحضارة الغربية الحديثة في كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية ، ومن أهم الحركات التي ظهرت في هذا الصدد كانت " حركة تحرير المرأة " كما يسمونها فكانت تلك الحركة تهدف الى خروج المرأة المسلمة من حجابها وبيتها في اتباع المرأة الاوربية وذلك للقضاء على كيانه الاسرة المسلمة وقيم الحياة الاجتماعية الاسلامية السامية ، فمن أهم النتائج

لتلك الدعوة بداية التعليم المختلط في الكليات والجامعات الذي جاء^{هي} بالمفاسد الاجتماعية لا تمتد ولا تحصى ، وبداية خروج المرأة المسلمة للمشاركة في أنشطة الحياة الاجتماعية مثل الوظائف في دوائر الحكومة أو المشاركة في المهاريات القومية والدولية أو المشاركة في مهرجانات الشباب والشابات المختلطة أو في البرامج التمثيلية كال مسرح والسينما والتلفزيون أو في حفلات الرقص والموسيقى المختلطة أو القيام بخدمة ركاب الطائرات أو بخدمة المسافرين النازلين في الفنادق . . هذا من ناحية ومن الناحية الأخرى كان لتأثير الحضارة الغربية في حياتنا الاجتماعية أن ظهرت في المجتمعات الإسلامية الدعوات التي تخالف أحكام الشريعة الإسلامية مثل فكرة منع تعدد الزوجات وفكرة عدم وقوع الطلاق إلا عن طريق المحكمة وحركة تحديد النسل . . . وما إلى ذلك من الدعوات المعادية الأخرى .

وجد ير بالذكر أن هذه الحركات والدعوات التي قد ظهرت في شبه القارة الهندية بعد أن احتلها الاستعمار البريطاني في الغاشم ازدادت أشرا ونفوزا بعد انشاء دولة باكستان المسلمة عام ١٩٤٧ م حيث تأسست جمعية السيدات الباكستانيات لحمل لواءها فقامت الحكومة بدعمها ماديا ومعنويا لتحقيق أهدافها الشنيعة ، إلا أنه كان لاهتمام الحركة الإسلامية بمقاومتها بأنها لم تتمكن من تحقيق هذه الأهداف .

وأما مجال الأدب والصحافة ، فكان لاهميته البالغة أن ركز عليه الاستعمار بصفة خاصة والحركات والدعوات التي ظهرت في العالم الإسلامي لتعميم الحضارة الغربية في المجتمعات الإسلامية اعتنيت بصفة خاصة باستخدام الأدب والصحافة لتحقيق أهدافها الشنيعة فصدرت المجلات والجرائد

وألفت وترجمت الكتب ، هذا من ناحية ومن الناحية الاخرى بدأ الكتاب المتطورون الشيوعيون هجومهم العنيف ضد الاسلام وقيمه السامية للحياة الاجتماعية ولا سيما بعد ما تأسست جمعية الكتاب المتطورين في شبه القارة الهندية عام ١٩٣٦ م . هذا من ناحية ومن الناحية الاخرى خطط هؤلاء الكتاب للقضاء على قيم المجتمع الاسلامي السامية وذلك باصدار صور النساء العاريات أو شبه العاريات في المجلات والجرائد .

وجدير بالذكر أن الكتاب والصفين المتطورين كان لهم السيطرة الكاملة على مجال الادب والصحافة حينما أنشئت دولة باكستان المسلمة عام ١٩٤٧ م . ولكن بفضل جهود الجماعة الاسلامية المتواصلة في هذا المجال انه لم يبق لهم فيه الآن أثر يذكر . فله الحمد .

وأما في مجال التعليم والثقافة : فتركيز الاستعمار الفاشم لم يقلل عن تركيزه على المجالات الاخرى الهامة للحياة الاجتماعية وذلك لاهمية هذا المجال البالغة في حياة الأمم الاجتماعية ، فخطط المخططات والمؤامرات وقام بتغيير التطعيم الاسلامي بالتعليم الافرنجنى اللاديني الذي قد أنجبت الحضارة الغربية المادية الجاهلية فالغيت المعاهد الدينية وأسست المعاهد والكليات والجامعات لتعميم الثقافة الجاهلية الحديثة في المجتمعات الاسلامية كما ظهرت الدعوات والحركات الخاصة لتحقيق ذلك الهدف وذلك فضلا عن عدد غير قليل من المعاهد والكليات التبشيرية التي أنشأها المشرون المسيحيون تحت رعاية الاستعمار وبدعه السادي والمعنوي . هذا من ناحية . ومن الناحية الاخرى قرر الاستعمار أن أهواب الرزق لا تفتح الا بفتح الثقافة الغربية ، فكانت النتيجة أن كلا سلالة جديدة

من المسلمين كانت أسرع اليها من سابقتها . وبدأ يتخرج في هذه المعاهد والكليات جيل جديد لم تكن له أية علاقة بالاسلام سوى الاسم ، جيل جديد فرنجي من حيث النظر والفكر والوجدان والسيرة ومسلم من حيث الاسم والسلالِق واللون ، فيصدق الدكتور محمد اقبال حيث يقول عن هذه الثقافة :

" أوربه اهل كليسا كا نظام تعليم - اياك سازش هي فقط دين ومروت كيخلافه "

أي أن نظام التعليم الا فرنجي ليس الا مؤامرة على الدين والخلق والمروءة .

او يقول عن تأثيرها : " ماشا ايمين ازان طمي كه خواني كه رازوي روحى قومى تولى توان گشت "

أي اياك أن تكون آمنة عن العلم الذي تدريه فانه يستطيع أن يقتل روح أمة بأسرها .

وأما الثقافة الدينية : فكان من الطبيعي أن يفقد تأثيره يوما فيوما

وذلك لأن :

اولا : لاغلاق المدارس والمعاهد الدينية .

ثانيا : لاقلال باب الرزق على متخرجي المعاهد الدينية .

وثالثا : لكون منهج التعليم الديني منهجا قديما أكل عليه الدهر وشرب .

فكانت النتيجة تنحية العلماء والمشايع من معتقدهم الحياة ليصبح المجال

غاليا للمثقفين الجدد الخاضعين للحضارة الغربية الجاهلية .

وأما في دائرة الاقتصاد والمعيشة : فكان نتيجة لغارة الحضارة

الغربية الاستعمارية أن ظهرت في العالم الاسلامي الدعوات والحركات

لنشر الفلسفات الاقتصادية الجاهلية الحديثة كالشيوعية والرأسمالية والنظم

الاقتصادية الاخرى ومن أشدع النتائج التي جاءت بها هذه النظريات

الاقتصادية فقدان اذعان المثقفين الجدد في صلاحية نظام الاقتصاد الاسلامي لحل المعضلات الاقتصادية المعاصرة وانحصارهم في ذلك على الحلول المستوردة ، هذا من ناحية ، ومن الناحية الاخرى فقدان الوعي والتمييز بين الحلال وبين الحرام ، فبدأ بعض من المسلمين يشتغلون فسق الحرف المحرمة والبيع الفاسدة حتى بلغ الامر الى حد أن كثيرا من المسلمين المثقفين بدأوا يعتقدون أن حالة المسلمين الاقتصادية لا يمكن تحسينها الا بجواز الربا ، وزاد الطين بلة حينما قام بعض من علماء السوء باصدار الفتوى بجوازها ، فكان من المرجو أن يتغير ذلك الوضع بنفاد نظام الاقتصاد الاسلامي بعد انشاء دولة باكستان المسلمة عام ١٩٤٧ م ولكن مع الاسف ، لم يأت ذلك التغيير وقرر قادة هذه الدولة المسلمة أن النظام الاقتصادي في باكستان سيكون على نفس المنهج الذي كان عليه في أيام الاحتلال الاستعماري ، فلذا لا يزال هذا النظام قائما على الاسرار الرأسمالية الجاهلية حتى اليوم ، وهذا ما توسع به الخليج بين الاغنياء وبين الفقراء ، وهذا ما أدى الى نفوذ الشيوعيين في المجتمع ولولا تمكنت الحركة الاسلامية من اعادة ثقة الشباب المثقف في صلاحية النظام الاقتصادي الاسلامي لحل هذه المعضلات الاقتصادية لاصبحت دولة باكستان المسلمة دولة شيوعية او اشتراكية أعاننا الله منه .

وأما المجال العمالي : فكان لتلك الاوضاع الاقتصادية من ناحية

ولاهمية هذا المجال البالغة من الناحية الاخرى ان خطط الشيوعيون بصفة خاصة للنفوذ في هذا المجال فتمكنوا من السيطرة عليه ، فالاتحادات العمالية في شبه القارة الهندية قد سيطر عليها الشيوعيون سيطرة كاملة

وهكذا كان الوضع حينما أنشئت دولة باكستان الاسلامية في عام ١٩٤٧ م ،
فقد قررت الحركة الاسلامية أن تتصدى لذلك التحدى فكان الفضل لله
سبحانه ثم لجهودها المتواصلة أن تمكنت الحركة الاسلامية من انقاذ العامل
المسلم الباكستاني من سيطرة الشيوعيين الفاشمة واكثر الاتحادات العمالية
في باكستان اليوم تسيطر عليها الحركة الاسلامية فله الحمد .

وأما مجال القانون والتشريع فمن المعلوم أن القانون له صلة وثيقة
بالمبادئ الأساسية للمجتمع ، هذا بصفة عامة ، وأما الشريعة الاسلامية
الفراء فالغاية التي أنزلها الله لاجلها هي ليست الا أن يحكم بها المسلمون
والتحكيم بما أنزل الله ليس تطوعاً أو نافلة ، بل يعتبر أساساً لا يمانهم
بالله سبحانه لقوله تعالى : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم
الكافرون)^(١) وهذا ما يتبين منه أهمية الشريعة الاسلامية في حياة المسلمين
الاجتماعية فكان لهذه الأهمية للشريعة الاسلامية أن خطط الاستعمار
للقتضاء عليها ، فأنشئت كليات الحقوق لتعليم القانون الفرنجى الوضعى
فى كل بلد من البلدان الاسلامية ، كما أرسلت المبعوثين المسلمين الى
البلاد الغربية للتعليم العالى فى القانون الوضعى الفرنجى ، وهذه هي
كانت الخطوة الاولى ، ثم أخذ الاستعمار الخطوة الثانية وغير الشريعة الاسلامية
الفراء بالقوانين الوضعية الفرنجية فى كل بلد من البلدان الاسلامية
فكانت هذه القوانين الوضعية تخالف المبدأ بأن حق التشريع مختص لله
سبحانه وتعالى وحده . هذا من ناحية ومن الناحية الاخرى كانت هذه
القوانين الوضعية الفرنجية تختلف كل الاختلاف عن الشريعة الاسلامية
فكانت تحل ما تحرم الشريعة الاسلامية الفراء وتحرم ما تحل الشريعة الاسلامية
فأهلت الزنا والخمر والميسر وكثير من المحرمات والمنكرات الاخرى وقضت

على كثير من الخيرات ، ولكن ما هو أشنع وأخطر من كل ذلك هو انتشار
الفكرة الخاطئة بأن التشريع لا يخص الله سبحانه وتعالى بل يخص البرلمان
أو مجلس النواب أو مجلس الوزراء أو رئيس الدولة أو الملك الذي يمكن له أن يحل
أى حرام ويحرم أى حلال .

وجدت بالذکر ان شبه القارة الهندية قد تم فيها الغاء الشريعة
الاسلامية ونفاذ القوانين الوضعية فى اواسط القرن التاسع عشر الميلادى (١)
فكان من المقرر أن تُلغى القوانين الوضعية الفرنجية وتطبق الشريعة
الاسلامية بعد انشاء دولة باكستان الاسلاميه ، ولكن العلمانيين والشيوعيين
والمفرنجيين فى الحكومة لم يعجبهم تطبيق الشريعة الاسلاميه فقاموا
بالمخططات والمؤامرات المعادية للشريعة الاسلاميه ، وبدأ الصراع بين
الحركة الاسلاميه والاحزاب الاسلاميه الاخرى وبين العلمانيين والشيوعيين
والمفرنجيين وضمكروا السنة الموجودين فى الحكومة ولا يزال هذا الصراع
ستمر حتى اليوم .

وأما دائرة القيم الاخلاقية ، فقد تأثرت بتلك الفارة الحضارية
الاستعمارية تأثرا عظيما ومن المعلوم ان القيم الأخلاقية الاسلاميه غايتها السامية
هى كسب مرضاة الله سبحانه وتعالى بخدمة عباده حسب توجيهاته
وتعليماته ، ولكن بعدما تأثر المسلمون بالحضارة الجاهلية الحديثية
وطومها وفلسفاتها اللادينية المادية ، انتشرت فيهم القيم الاخلاقية المادية
التي تولدت من بطن الفلسفات المادية الجاهلية كالتفسير المادى الجدلى
لماركس وفلسفة التطور لداروين ونظرية السياسة اللادينية لكياقلى والتفسير

(١) انظر الاستاذ المودودى ، نظرية الاسلام وهديه فى السياسة والقانون

الجنسى لعلم النفس لفرويد وما الى ذلك من الفلسفات والنظريات المادية
الجاهلية ، وكان لانتشار هذه القيم الاخلاقية المادية فى المجتمعات
الاسلامية أن أصبح النفع المادى هو المقياس الوحيد للحق والباطل وللصحيح
والخطأ وللحلال والحرام وهذا مافسدت به حياتنا الفردية والاجتماعية فسئ
كل دوائرها .

وهكذا الدوائر الاخرى لحياة المسلمين الفردية والاجتماعية قد
تأثرت بتلك الغارة الحضارية للاستعمار الفاشم ولم يبق بلد من البلاد
الاسلامية الا وقد وقع فى العبودية الفكرية لتلك الحضارة الاستعمارية
الفاشمة .

فيتين ما أسلفنا أن عصر الاستان المودودى كان عصر التحدييات
والتيارات المعادية للاسلام والمسلمين ، عصر قد تنهى فيه الاسلام من
قيادة ركب البشرية لتحل مطها الجاهلية الحديثة ، عصر قد تمكن فيه
الاستعمار من السيطرة السياسية والحضارية على العالم الاسلامى ، عصر
قد وقع فيه المسلمون فى العبودية الفكرية للحضارة الجاهلية الحديثة
وفقدوا اذعانهم فى صلاحية الاسلام للقيادة البشرية وحل مشاكل الحياة
ومسائلها فى ذلك العصر ، عصر قد ظهرت فيه الحركات الهدامة والدعوات
المعادية للاسلام ، عصر قد خططت فيه المخططات والمؤامرات الاستعمارية
للقضاء على الاسلام والمسلمين من الداخل والخارج معا ، عصر اشتد فيه
الصراع بين الاسلام والجاهلية الحديثة وبين الحركة الاسلامية والحركات
المعادية للاسلام فى كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية .

وجطة القول أن العصر الذي عاش فيه الأستاذ المودودي وقام بعمل الدعوة إلى الله كان عصرا مليئا بالتيارات والتحديات ، ولم ير التاريخ الاسلامي مثله قبل ذلك ، وبهذا يمكننا أن نتعرف على المؤثرات البيئية والثقافية والدينية والسياسية والاجتماعية في تكوين شخص الأستاذ المودودي وظهور دعوته من ناحية وأن نعرف مدى مؤثرات هذه الدعوة الجليية من النواحي المختلفة ونعين مكانته العلمية .

...

الفصل الثاني

حياة الأستاذ أبي العباس الحووي في سطور
ومعزجهاوه في مجال الدعوة الإسلامية

المفكر الإسلامي الكبير الذي رد للإسلام إعتباره وأحل الفكر الإسلامي مكانه
اللائق به .. يواجه في صلاية فكر التحريات الفكر الأجنبي مستورد وتصدى
في قوة للفكر الذخيل المنتب زورًا الى الاسلام.

كان المودودي يحل فكرًا إسلاميًا أصيلًا وكان بهذا الفكر الإسلامي
أن يؤسس مدرسة .. تلاميذها من شتى أنحاء العالم الإسلامي ..
ولم يقف المودودي عند حدود تقديم العطا من الفكر الإسلامي .. بل تصدى
للأنظمة السحاكمة في ديار المسلمين ، والتي تعتنق فكرًا جاهليًا وفي نفس الوقت
تصدى للإستعمار الذي جثم على صدر الأمة المسلمة وتصدى لعملاء في ديار المسلمين .
وكان ما لقيه من الإستعمار الانجليزي أهون بكثير مما لقيه من عملاء الإستعمار البغيض
وإستطاع عملاؤه من الحكام ، أن يقدموه للحاكمة ، وحكموا عليه بالإعدام ، ثم خففوا
حكم الإعدام إلى السجن .. ولبث في السجن بضع سنين وخرج منه أكشده ما يكون
قوة إيمان .. وقوة عزيمة .. ووصل جهاده حتى لقي ربه .. بعد أن أسس مدرسة كبرى
يواجه الآن تلاميذها في أنحاء المعمورة لفكرهم النير ومفهومهم السليم كحقيقة ونهيم
لكل الذين جندوا أنفسهم لمناواة الإسلام .

حياة الأستاذ أبي الأعلى المودودي

أسرته :

ينتسب الأستاذ أبو الأعلى المودودي إلى أسرة عريقة الامجاد متميزة بالعلم والتقوى فجد هذه الأسرة الأعلى هو الشيخ قطب الدين بن مودود جشتي الذي ترجع سلسلة نسبه إلى سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما . وقد اتخذت هذه الأسرة مقراقامتها مدينة (جث) القريصة من مدينة (هرات) في أفغانستان ، وكان الشيخ قطب الدين مودود جشتي شيخ شيوخ السلسلة الجشتية بالهند ، وشيخ فرع الأسرة المودوديية الذي يرجع الاستاذ المودودي إليه قد هاجر إلى الهند في اواخر القرن العاشر من الهجرة وهو الشيخ ابوالاعلى المودودي الجد الأعلى لصاحب الترجمة وقد اتخذ اقامته في مدينة (برناس) في شمال الغربي من عاصمة الهند (دهل) ومنها انتقل إلى " دهل " وذلك في ايام (شاه عالم) ، أحد ملوك المغول في الهند ، واستمر بها بنوه إلى أن هجره والى الاستاذ المودودي حيث رحل إلى مدينة (أرونك آباد) في جنوب شبه القارة الهندية ، وقد أهد الاستاذ المودودي هذه المعلومات عن أسرته الأولى حينما ترجم لنفسه (٣) لمؤلف الكتاب " منظر الكرام " عام ١٩٣٢ الميلادي .

(١) انظر الاستاذ اسعد جيلاني — أبو الأعلى المودودي ، فكره ودعوته ص ١٧ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٢٠ .

(٣) انظر الاستاذ محمد يوسف — " مولانا مودودي ابني اور دوسرون كي نظرمين "

— والد الاستاذ المودودى :

والده هو سيد احمد حسن المودودى الذى ولد عام ١٢٧٣ من الهجرة
الموافق عام ١٨٥٥ الميلادى . من هذه الاسرة ذات الدين والتقوى وكانت
هناك صلة قرابة بين والدته وبين " سرسيد احمد خان " مؤسس جامعة (عليكوه)
الاسلامية . ولهذا اختار سيد احمد حسن المودودى للاحق بهذه
الجامعة ، وهى فى مرحلة انشائها الاولى (١) فعارض اعضاء الاسرة هذا
الاختيار ولم يوافقوا على تعليمه فى هذه الكلية التى تدرس الثقافة الانكليزية
الاستعمارية الا انهم قد اضطروا على الموافقة رعاية لصلة القرابة مع سيد احمد
خان وقبل ان يكمل سيد احمد حسن دراسته صادف مرة ان احد اقربائه قام
بزيارة عليكوه — وشاهدته يلعب الكراكت ويلبس زى الانكليز فتأثر وتألم
لمشاهدة ابن شيخ كبير فى هذه الحالة ، وما ان عاد الى " دهلى " حتى
ذهب الى والده وقال " يا أخى ، انفض يدك من احمد حسن فلقد رايتك فى
عليكوه يلبس ملابس الكفار وهو نصف عار يلعب العابهم " وبعد ما سمع والده
هذا الخبر قام على الفور باستدعاء ابنه من جامعة عليكوه وارسله الى جامعة
(آله آيات) حيث درس المحاماة (٢) .

(١) انظر الاستاذ اسعد جيلانى — ابوالاعلى المودودى فكره ودعوته ص ١٩٠ .

(٢) انظر الشورى عبدالرحمن عبد — سيد ابوالاعلى . مودودى ص ٤٨٠ .

وبعد تکمیل دراسته عین سید احمد حسن المودودی معلما لولی المعهد
 فی ولایة " دیوکرہ " واقام هناك عدة سنوات وبعد وفاة ولی المعهد فجأة
 ترك " دیوکرہ " وعمل فی المحاماة فی شتی المدن الهندية - كمدينة (میرت)
 ومدينة (غازي آباد) ومدينة (بلنڈ شہر) (۱) . وفي عام ۱۳۱۴ هـ الموافق
 ۱۸۹۶ م سافر الى مدينة (اورنگ آباد) بولاية حيدرآباد الدكن الاسلامية
 فی جنوب شبه القارة الهندية للدفاع فی قضية وقابل هناك قريه الشيخ محسن
 الدين خان رئيس مجلس القضاء في اورنگ آباد ، وكان يمتاز بالورع والتقوى ،
 والدعوة الى الله وكان من اثار ما حبت ان سيد احمد حسن المودودي الذي قد
 سيطرت عليه الثقافة الغربية وفقه الله ان يخلص نفسه من هذه السيطرة
 ويفير منهج حياته ، وأخذ يعيش الحياة الاسلامية ويحمل في سبيل الدعوة الى الله
 مع عله بالمحاماة . وكان ذلك في عام ۱۹۰۰ م الموافق عام ۱۳۱۸ هـ .

وبعد اربع سنوات في عام ۱۳۲۲^{هـ} الموافق عام ۱۹۰۴ م ترك المحاماة
 أو بتعبير أصح ترك الدنيا وقام بتقسيم متاع البيت وسافر الى دهلي واتخذ
 حى (عرب سراى) مقاما له ومسكنا وقام بزراعة قطعة من الارض ليصير
 عليها ، وكان يقضى معظم وقته فى العبادة ودراسة الدين وتدرسه واستمر
 فى هذه الحالة ثلاث سنوات ، وحينما عرف الشيخ محى الدين خان عن حاله هذا

(۱) انظر الاستاذ محمد يوسف - مولانا مودودي ابني اوردوسرون كى نظر صحیح

استدعاه الى " أرونك آباد " وقال له " الرجوع الى الله لا يعنى ترك الدنيا بل عليك ان تجتهد فى الكسب بطرق مشروعة " فوافقه وعاد الى المحاماة فترة ثانية ولكنه غير طريقته ، فلم يوافق على الدفاع عن أية قضية الا بعد أن يتحقق فى ان صاحبها على حق ، فظلت القضايا عنده وازدادت مشكلاته المادية يوما فيوما حتى اضطر أن يفاد راونك آباد فى عام ١٣٣٣ هـ وسافر الى حيدرآباد (١) حيث ساءت حالته الصحية ، ولم تمض على مكته بحيدرآباد ستة أشهر حتى انتقل الى مدينة (بهوبهال) حيث ابنه الاكبر سيد ابو محمد كان يعطى مديرا لهيئة البلدية بها ، وهناك اصابه مرض الشلل الذى لازمه حتى انتقل الى الرفيق الاعلى بعد اربع سنوات فى عام ١٣٣٩ هـ الموافق عام ١٩٢٠ م .

— والدته :

والدته هى السيدة / رقية بيغم من أسرة غير أسرة أبيه وترجع سلسلة نسبها الى أترك ماورا* النهر ، وقد هاجر جدها الاعلى ميرزا طولك بهى من وراء النهر الى (دهلى) عاصمة الهند ، فى زمن (عالمكير) أحد ملوك المغول فى الهند وقد اتخذها مستقرا له . وكما ذكرته اسرته التحق بالجيش ووالد السيدة / رقية بيغم ميرزا قربان على بيك خان سالك مع كونه جنديا كان شاعرا وأديبا . وكان تلميذا للشاعر الهندى الكبير ميرزا غالب ، وكان

(١) انظر الاستاذ خليل أحمد الحامدى — الامام ابوالاعلى المودودى — حياته دعوته ، جهاده ص ٧٠٧ .

رئيس التحرير لجريدة (مخزن الفوائد) ، اهدى الجرائد القديمة باللفظة
الاردية (١) ، وسيدة / رقية بيضم أصغر بناته الأربعة (٢) ، وكانت رحمها
الله عابدة زاهدة تعطي الفقراء والمساكين وتهتم بتربية اولادها اهتماما كبيرا
وكانت شديدة العناية بخدمة زوجها وتقيم معه في المسر والمسر راضية مرضية
في كل حال حتى قد رافقه بكل الرضا حينما ترك الدنيا وعاش حياته في عوز
مالي شديد (٣) . وقد هاجرت رحمها الله من الهند الى باكستان مع ابنيها
الاستاذ ابي الاعلى المودودي والاستاذ ابي الخير المودودي ، وقامت معها
في لاهور وتوفيت ودفنت هناك عام ١٩٥٨ الميلادي . (٤)

— اخوته :

كان لوالد الاستاذ المودودي ستة اولاد أربعة منهم من زوجته الاولى
واثنان من والدته الاستاذ المودودي ، واكبرهم سيد ابو محمد المودودي ، ولا نعرف
عنه شيئا الا انه كان مديرا لادارة البلدية لمدينة (بهوبهال) حينما انتقل
والده هناك من حيدرآباد عام ١٣٣٣ هـ الموافق عام ١٩١٥ م ، ومكث معه
الى وفاته عام ١٣٣٩ هـ الموافق عام ١٩٢٠ م . وابنه الثاني فهو ابو القاسم

-
- (١) انظر مجلة " سيارة " ايجست الشهرية لاهور عدد خاص في ذكرى الاستاذ
المودودي لشهر ديسمبر ١٩٧٩ م ص ١١٤-١١٥ .
(٢) انظر الشورى عبد الرحمن عبد - سيد ابو الاعلى مودودي ص ٤٧ .
(٣) انظر الاستاذ خليل احمد الحامدي - الامام ابو الاعلى المودودي - حياته
دعوتة وجهاده ص ٧ .
(٤) انظر مجلة " اثنان " الاسبوعية عدد خاص في ذكرى الاستاذ
المودودي لشهر نوفمبر ١٩٧٩ م ص ٣٢ .

المودودي ولا نعرف عنه شيئا والابنة الثالثة توفيت في طفولتها والرابعة تزوجت وانجبت ابنتين - وهو لاء الابناء الاربعة هم اخوة المودودي لاب فقط ولم يكن له أخ شقيق الا واحدا وهو سيد أبو الخير المودودي الذي كان يكبر الاستاذ المودودي بثلاث سنوات ، فلقد ولد في اورنگ آباد في عام ١٣١٨ هـ الموافق عام ١٩٠٠ م (١) . ويقول الاستاذ المودودي عن أخيه هذا " كنت أصغر من في البيت وكان لي أخ يكبرني بثلاث سنوات وكنت أتناول الحاجات ما يقع تحت يدي بينما كان أخي يختزن الحاجات ليتناولها في الوقت المناسب ، وهكذا كنت انفق على الفور ما يقع بيدي من قروش بينما كان أخي يوفر نقوده ليشتري بها شيئا ثمينا فكان هذا هو أساس الحراك الذي كان يحدث دائما بيننا بصفة مستمرة وكنت أحاول دائما أن أنال شيئا مسن نصيبه ، وكان هو بدوره يضطر الي ان يمطيني ما أريد بعد . ما نعمة لا تستمر كثيرا . وفي البداية كنت افسر هذا بانني انتصرت عليه وغنمست منه ثمرة النصر الا انني عرفت فيما بعد بأن أخي يحبني وانه كان يجد في عراكي معه متعة (٢) ، ومثل هذا يدل على ما كان بين المودودي وأخيه مسن مودة وحب وتعاطف .

(١) أخبرتنى عن هذا السيدة / حميرا المودودي ابنة الاستاذ المودودي .

(٢) انظر الاستاذ أسعد جيلاني - ابوالاعلى المودودي ، فكره ودعوته ص ٢٤ .

وأبو الخير المودودي تلقى الدراسة الابتدائية في بيته من والده سيد أحمد حسن المودودي (١) ، ومن الأساتذة الذين كانوا يدرسون للاستاذ المودودي لأن الشقيقتين كانا يدرسان معا في نفس الوقت ، وبعد دراسته الابتدائية التحق بالمدرسة الفوقانية باورنگ آباد (٢) ، لكنه قبل ان يكمل دراسته ساءت الحالة الصحية لوالده الذي اصابته الشلل عام ١٣٣٤ هـ الموافق عام ١٩١٦ م . فترك الدراسة واخذ يعمل ليكسب قوت عائلته ، ولمهـذا انضم الى جريدة (المدينة) اليومية التي كانت تصدر من مدينة (بجنور) وصار رئيس التحرير لها . وهذا كان في عام ١٣٣٦ م الموافق عام ١٩١٨ م . ولم يستمر عهده في الجريدة الا لشهرين فقط ، ثم انضم بعدها الى جريدة (التاج) التي كانت تصدر من مدينة (جبل بور) ولكن هذه الجريدة لم تستمر الا لبضعة اشهر (٣) ، فاضطر الى ترك ميدان الصحافة (٤) وانضم الى دار الترجمة العثمانية بحيدرآباد ، عاصمة ولاية حيدرآباد الاسلامية آنذاك ، واستمر في عهده هناك الى سقوط هذه الدولة الاسلامية في عام ١٩٤٨ م ، ثم هاجر الى باكستان واقام بمدينة لاهور ومكث هناك حتى وفاته

-
- (١) انظر المرجع السابق ص ٢٠ .
(٢) انظر الشودي عبدالرحمن عبد - سيد أبو الأعلى مودودي ص ٥٤ .
(٣) انظر الأستاذ أسعد جيلاني - أبو الأعلى المودودي ، فكره ودعوته ص ٣٠-٣١ .
(٤) انظر المرجع السابق ص ٣٢ .

في ٢٨ اغسطس عام ١٩٧٩ م اي ٢٥ يوم قبل وفاة الاستاذ المودودي ،
ودفن بلاهور (١) .

وكان ابوالخيرالمودودي أدبيا ممتازا في اللغة الاردية ، وله عدة
كتب في الادب الاردى بجانب كثير من الكتب التي ترجمها من اللغة العربية
وكما يقول في مقابله مع الشورى عبدالرحمن عبد مؤلف كتاب " سيرة
ابوالاعلى مودودي " - كان متأثرا من شخصية الاستاذ المودودي ، فيحكى
لنا عن تأثره هذا أن في عام ١٩٣٧ حينما كان الاستاذ المودودي يصدر
مجلة " ترجمان القرآن " من حيدرآباد استدعاه الشاعر الاسلامى الدكتور
محمد اقبال لمقابله واقترح عليه ان ينتقل من حيدرآباد الى بنجاب ،
ويعمل هناك ، فوافق الاستاذ على هذا الاقتراح وفي نفس الوقت عرضت عليه
الجامعة العثمانية بحيدرآباد ان يعمل استاذا في هذه الجامعة
براتب كبير ، لكنه رفض هذا العرض مع ان وضعه المالى كان ضيقا جدا ،
وهو لم يكن يعرف شيئا عن مصيره فى بنجاب ويقول ابوالخير بانه حاول اقتناعه
بقبول ذلك العرض نظرا لوضعه المادى وخوفا من انه لا يجد انصارا لدعوته
فى بنجاب ، وناقش الموضوع معه لست ساعات ولكنه لم يوافق واثرا لذهاب
الى بنجاب لكى يعمل هناك فى سبيل الدعوة حسب القرار مع الدكتور محمد
اقبال واتخذ اقامته فى قرية " دارالسلام " بعيدا عن الحياة المدنية التى
كان يعيشها هو وعائلته حتى الان . وهذه التضحية التى قدمها الاستاذ

(١) انظر مجلة " سيرة دائجست " الشهرية عدد خاص فى زكوى
الاستاذ المودودي لشهر ديسمبر ١٩٧٩ م ص ١٠٥-١٠٧ .

المودودي في سبيل الدعوة أشرت فيه الى حد كبير (١) .

وهكذا يقول الاستاذ ابو الخير المودودي في مقابلته مع منسندوب مجلة " آتش فشان " الاسبوعية السيد / فريد الدين احمد بانه يقرأ كسل ما يكتبه الاستاذ المودودي بالعناية واحيانا يكتب اليه ملاحظاته والحقيقة هو يتأثر عن اسلمه الجذاب ولا سيما عن تفسيره " تفهيم القرآن " الا انه لا يعجبه دخوله في مجال السياسة . وذلك لان مجال السياسة في رأيه يتدنس بأن يال كل من يدخل فيه (٢) .

— ولادة الاستاذ المودودي :

ولد الأستاذ أبو الأعلى المودودي في هذه الأسرة الحريقة في ٢ من رجب عام ١٣٢١ هـ الموافق ٢٥ سبتمبر عام ١٩٠٣ م (٣) . وسماه والده باسم جده الأكبر أبو الأعلى المودودي . وكما ذكرنا انفا بانه في هذه الايام قد سيدلوت على والد الاستاذ الافكار الاسلامية بتوجيه الشيخ محي الدين ومحمد مولده بسنة ترك الدنيا وتفرغ للعبادة والاذكار واستمر على ذلك ثلاث سنوات ولما طاد بعدها الى حياته العادية تجلب عليه الطابع الديني الذي ألفه خلال تلك الفترة وكانت والدته سيدة سالحة طابدة راضية برضاؤها في الحسر والبسر وكانت تعرف دينها . وفي هذا الجو تفتحت

-
- (١) انظر مجلة سيارة دائجست الشهرية عدد خاص في ذكرى الاستاذ ابو الأعلى المودودي لشهر ديسمبر عام ١٩٧٩ م ص ١٠٥-١٠٧ .
- (٢) انظر مجلة " آتش فشان " الاسبوعية لاهور لشهر نوفمبر ١٩٧٩ م ص ١٥ .
- (٣) الاستاذ أسعد جيلاني - ابو الأعلى مودودي ، فكره ودعوته ص ١٧ .

عينا الصبي فرضع منه الدين عملا وسلوكا مما كان له اثر كبير في تكوينه

شخصيته (١) .

— تربيته : —

حرص والد الاستاذ المودودي حرصا تاما على تربية ولده بمنهج الاسلام فعلمه التبرية الدينية الابتدائية في البيت وتولى التدريس بنفسه واغتار بعض الاساتذة لهذا الغرض . وقد تلقى المودودي دراسته الاولى في البيت فدرس القرآن والحديث والفقہ واللغة الاردية واللغة الفارسية واللغة العربية . وقد عرف بالذكا وقوة الحافظة منذ صغره حتى انه حفظ الموطأ للإمام مالك بظهر الغيب في هذه المرحلة (٢) . وكان والده يرغب في ان يجعله طالما متخصصا في الدين وعاملا في اطار الدعوة التي الله تعالى ، ولهذا ركز على تدريسه اللغة العربية مع اللغة الفارسية بالاضافة الى الفقه والحديث وغيرهما من العلوم الدينية . ولم تكن هناك رغبة في تدريس العلوم واللغة الانكليزية وما يتصل بها (٣) ، وبفضل هذا الاهتمام باللغة العربية استطاع ابوالاعلى المودودي ان يقوم بترجمة كتاب "الاسلام والاصلاح" للشيخ عبدالعزيز الشاوي من اللغة العربية الى اللغة الاردية وعمره لم يتجاوز ثلاث عشرة سنة (٤) ، واستمر ابوالاعلى

(١) انظر المرجع السابق ص ٢١ .

(٢) انظر الاستاذ خليل الحامدي — الامام ابوالاعلى المودودي حياته

ودعوته وجهاده ص ٦ .

(٣) انظر الاستاذ اسعد جيلاني — ابوالاعلى المودودي فكره ودعوته ص ٢٦ —

٠٢٧

(٤) انظر مقابلة السيد / فريد الدين احمد مع الاستاذ ابن الخير المودودي

نشرت في مجلة "اتش فشان" الاسبوعية (لاهور) نوفمبر ٢٧ ص ١٣ .

المودودي يدرس في البيت حتى السنة التاسعة من عمره ، ودرس خلال هذه
العدة الكتب الابتدائية في الصرف والنحو والادب العربي والفقہ (١) . وقد
حرص والده على تعليمه في البيت وتأخير دخوله المدارس النظامية محافظة
على أخلاقه ولغته وغرسا للاتجاه التعليمي الذي ينشده له . وكان والده
يتكلم باللهجة التي تروج في بيوتات " دهلي " وحرصه الشديد على تنشئة
ولده على العلم الصحيح واللغة السليمة ، وكان حينما تجرى على لسانه
كلمة سوقية يمنعه من استعمالها ويعلمه النطق السليم (٢) . وكان يهتم
اهتماما خاصا باصلاح أخلاقه وعاداته ولا يسمح له أن يلعب في الشوارع .

ومع هذا الاهتمام بتعليم ابنه الا على نجد الوالد قد اتبع مع ابنه
طريقة تربية في تنشئته وتربيته ومن ذلك :

- ١ - لم يكن يسمح له ان يلعب في الشوارع بل كان يجعله يلعب مع
أخيه في فناء البيت الذي أعدها الوالد لها بصفة خاصة ، وذلك
لكي لا يلعبان في الشوارع ولا يتعلمان العادات القبيحة (٣) .
- ٢ - كان يلازمه معظم الوقت كما كان يأخذه معه الى جلسات اصدقائه
العلمية لكي يتعلم العادات الطيبة منذ صغره ، وهذا من ناحية ،
ومن ناحية اخرى لكي يعلمه اللغة الاردية الفصيحة ولم تجر على
لسانه الكلمات السوقية (٤) .

-
- (١) انظر الاستاذ اسعد جيلاني - ابوالاعلى المودودي ، فكره
ودعوته ص ٢٨ .
 - (٢) انظر الاستاذ خليل الحامدي - الامام ابوالاعلى المودودي ، حياته
ودعوته وجهاده ص ٦ .
 - (٣) انظر الاستاذ اسعد جيلاني - " سيد مودودي " ، ج١ ، جواني ، برهابا
ص ٢٨ .
 - (٤) انظر المرجع السابق ص ٢٧ .

- ٣ — كان والده يحكى له قصص الانبياء والتاريخ الاسلامى والحكايات الاخلاقية وكان لهذا الاهتمام دورا هاما فى تكوين سيرته (١) .
- ٤ — كان لا يسمح له ان يرفع يده على الضعيف والمظلوم . واذما حصل ذلك كان يوبخه به كما يحكى لنا الاستاذ بانها صاف مرة ان ضرب ابن خادمه فجاء والده بهذا الطفل وامره ان يضربه كما قد ضربه (٢) .
- ٥ — كان يأخذ والوالك معه الى المسجد لاداء الصلوات الخمس بالانتظام وذلك لئلى يعلمه الصلاة ويذكره لاداء الصلوات الخمس بالانتظام والاهتمام (٣) .
- ٦ — كان يشجعه على الاعمال الخيرية وذلك لتعليمه من ناحية ، ولتزيد ثقته فى ذاته من ناحية اخرى . ونرى اهتمامه هذا فيما يحكى لنا شقيقه الاكبر سيد ابوالخير المودودى " انه صاف مرة ان كان الاستاذ مع والده فى المسجد والمؤذن لم يكن موجودا فقال له ابوه : قسم فأذن ، فأسرع ابوالاعلى وبدأ يؤذن فى ثقة دون تردد (٤) . وعمره لم يتجاوز خمس سنوات .

ومعد هذا التعليم والترهية فى بيته على ايدى والده والمدرسين الافاضل

التحق ابوالاعلى المودودى بالمدرسة الفوقانية باورنك اباد وكان حينئذ ان فى التاسعة من عمره (٥) . وشهج هذه المدرسة كان يشمل المواد التعليمية

- (١) انظر المرجع السابق ص ٢٧ .
- (٢) انظر الشورى عبدالرحمن عبد — سيد ابوالاعلى مودودى ص ٥٣ .
- (٣) انظر الاستاذ احمد ادريس — ابو — الاعلى المودودى — صفحات سن حياته وجهاده ص ٢٣ .
- (٤) العرجع الصالح ص ٢٣ .
- (٥) انظر الاستاذ اسعد جيلانى — ابوالاعلى المودودى فكره ودوته ص ٢٩ .

في المتوسطة والثانوية بالإضافة إلى اللغة العربية والفقه والحديث والمنطق
كمواد إجبارية (١) . وفي عام ١٩١٤ م حينما كان عمره إحدى عشرة سنة
فحسب اجتاز في اختبار الصف "المولوي" في هذه المدرسة وهذا الصف
كان يشمل بالإضافة إلى المواد الحديثة للثانوية المواد الدينية اللازمة وكان
المنطق يدرس من كتاب (المرآة) والفقه من كتاب (القدوري) والحديث
من كتاب (سنن الترمذي) وكان يقوم بتدريس هذه المواد نخبة من الأساتذة
المتأخرين بثقافتهم العربية (٢) ثم انتقل والد الأستاذ المودودي من أورنك
آباد إلى حيدرآباد مع عائلته ، وانتقل أبوالأعلى من المدرسة الفوتانية بأورنك
آباد إلى دار العلوم بحيدرآباد والتحق بصف "المولوي العالم" وهو يحلوا
الصف المولوي في المرتبة العلمية وكان يدير دار العلوم آنذاك العالم الكبير
ومفسر القرآن الشهير الشيخ حميد الدين الفراهي (٣) . ولم يمكث والد الأستاذ
المودودي في حيدرآباد طويلاً ، لأن حالته الصحية لم تسمح ببقائه هناك ،
وانتقل إلى بهبهال تاركاً ولده أبوالأعلى مودودي مع والدته بحيدرآباد .

وقد استمر أبوالأعلى في دراسته وسكن في بيت يبعد عن دار العلوم

خمسة عشر كيلومتراً ، وكان يذهب إليها ويمود منها ماشياً على الأقدام ،

-
- (١) انظر المرجع السابق ص ٢٨ .
(٢) انظر الأستاذان اسمعدي جيلاني - أبوالأعلى المودودي فكره ودعوتهم ص ٢٩ .
(٣) هو الشيخ حميد الدين الفراهي (عام ١٢٨٠ هـ - ١٣٤٩ هـ) كسان
عالم المحييا تلقى تعليمه على يدي نخبة من المصلين الأفاضل واشتغل
استاذاً في كلية علي كره وجامعة اله آباد ثم ديراً لدار العلوم بحيدرآباد ،
ثم أسس مدرسة الإصلاح بسرأي مهر " وله عدة تاليفات في الأدب العربي
والحديث والتفسير .
(انظر تزهره الخواطر ج ٨ ص : ٢٢٩) .

وأحيانا كان لا ينال ما يأكله (١) ، ولكنه مع ذلك قد استمر في دراسته ولم يقطع عنها الا بعد ستة اشهر حينما بلغه بان والده اصيب بالشلل الشديد ، فترك ابوالاعلى الدراسة وسافر مع والدته الى (بهو بهال) وقام على خدمة والده ابنا بارا له . وفي عام ١٣٣٩ هـ الموافق عام ١٩٢٠ م توفى والده الى رحمة الله (٢) .

مطالته للثقافة الانجليزية :

لم يتمكن الاستاذ المودودي ان يستمر في دراسته الرسمية بعد اصابة والده بالشلل . وكان لابد له ان يبحث عن عمل لكي يحصل قوتيه فلماذا في عام ١٣٣٦ هـ الموافق عام ١٩١٨ م دخل ميدان الصحافة مع شقيقه الاكبر ابي الخير المودودي . واجبره هذا العمل على دراسة اللغة الانجليزية وقد اتقنها في مدة قصيرة لم تستمر اكثر من اربعة اشهر حصلت له فيها المقدرة على مطالعة وفهم كتب التاريخ والفلسفة والسياسة وعلم الاجتماع والحضارة والاديان وغيرها باللغة الانجليزية ولم تصادفه اى صعوبة في فهم المقالات العلمية في هذه اللغة (٣) .

-
- (١) انظر الأستاذ خليل الحامدي - الامام ابوالاعلى المودودي - حياته - دعوته وجهاده ص ٧ .
 (٢) انظر المرجع السابق ص ٧ .
 (٣) انظر الأستاذ أسعد جيلاني - ابوالاعلى المودودي - فكره ودعوته ، ص ٣٠ - ٣١ .

عنايته بالثقافة الإسلامية :

كانت الفترة ما بين عام ١٩١٦ و عام ١٩٢١ م فترة الشدائد والمصائب
 في حياة الأستاذ المودودي فانقطع عن مواصلة الدراسة الرسمية عام ١٩١٦ م
 ولكن حينما وفقه الله ان يتخذ اقامته في " دهلي " كرئيس التحرير لجريدة
 (المسلم) عام ١٩٢١ م وجد الفرصة ان يتجه الى اكمال تعليمه مرة اخرى
 وهذه الهدى فكانت فيها نخبة من اهل العلم في ذلك الوقت (١) وهذا الامر
 شجعه على دراسة العلوم الدينية على أيدي هؤلاء الاساتذة بجانب
 علمه في الجريدة ، وقد تعلم علوم الحمانى والبلاغة والادب العربيـــــــة
 والمنطق والفلسفة وطم الكلام من الشيخ عبدالسلام نوازى وكان الشيخ رئيسا
 لدارالعلوم الامنية بدهلي في ذلك الوقت وكان يجيد اللغة العربية
 واللغة الفارسية واللغة الانجليزية واللغة الالمانية واللغة الفرنسية واللغة
 السنسكريتية وعدة لغات اخرى . وجدير بالذكر بان كان يتلقى تلك الدروس
 قبل صلاة الفجر (٢) ، كما انه قرأ كتب الحديث كجامع الترمذى والموطأ
 والكتب الاخرى في الحديث على المحدث اشفاق الرحمن الكاندهلوى وقرأ التفسير
 والفقه على الشيخ شريف الله خان (٣) ، واستمر الاستاذ المودودي في دراسته
 حتى نهاية عام ١٩٢٨ م . ولا يستثنى من ذلك سوى بضعة اشهر التمسس

(١) انظر الأستاذ خليل الحامدى - الامام ابوالاعلى المودودي - حياته ،
 دعوته وجهاده ص ٩٠ .

(٢) جريدة "جسارت" اليومية ، الكراتشى عدد خاص في ذكرى الاستاذ
 المودودي ص ١٣٢ .

(٣) انظر الأستاذ خليل الحامدى ، المربع السابق ص ١٠ .

قضاها الاستاذ في مدينة (بهوبهال) بعد أن أغلقت جريدة (المسلم) في عام ۱۹۲۳ م ولكنه خص هذه المدة أيضا لمطالعة أمهات الكتب في العلوم الدينية والعلوم الحديثة (۱) .

وهكذا بعد ما ترك الاستاذ المودودي مجال الصحافة عام ۱۹۲۹ م ، وافرح نفسه بالاستعداد لعمل الدعوة اهتم بتزويده بزاز علمي شامل وذلك بعد المدة أمهات الكتب في العلوم الدينية والعلوم الحديثة . واستمر الاستاذ في مطالعة هذا الى عام ۱۹۳۲ م ولم يشغل الاستاذ عن مطالعته هذه الا بحال البسيطة التي كان يمتنى بها الاستاذ ليعيش طيبها (۲) .

الاستاذ المودودي في حياته العلمية :

بدأ الاستاذ المودودي حياته العملية حينما دخل مجال الصحافة عام ۱۹۱۸ م بعد ان اصاب والده بالشلل وانضم مع شقيقه الاكبر الى جريدة (المدينة) التي كانت تصدر من مدينة بجنور ، ولكن بعد حوالي شهرين ترك هذه الجريدة وانضم الى جريدة (التاج) التي كانت تصدر من مدينة جبل بور واشتغل فيها الى نهاية عام ۱۹۲۱ م وذلك ما عدا المدة التي منحتها الحكومة من الاصدار (۳) .

-
- (۱) انظر الشودي عبد الرحمن عبد - سيد ابوالاعلى المودودي ص ۶۳ .
 (۲) انظر الاستاذ خليل الحامدي - الامام ابوالاعلى المودودي - حياته ، دعوته ، جهاده ص ۱۸-۱۹ .
 (۳) انظر الاستاذ محمد يوسف - مولانا مودودي اپنی اور دوسروں کی نظر میں . ص ۴۶ - ۴۷ .

وفي عام ١٩٢١م قررت جمعية المصلح^١ بالهند اصدار جريدة (المسلم) من عاصمة البلاد (دهلوى) وعين الاستاذ المودودي رئيس التحرير لها ، واشتمرت هذه الجريدة الى عام ١٩٢٣م واستمر الاستاذ يشغل فيها ثم حينما قررت الجمعية اصدار الجريدة (الجمعية) عام ١٩٢٤م اختير الاستاذ رئيسا لتحرير هذه الجريدة ايضا ، واستمر يشغل فيها حتى نهاية عام ١٩٢٩م حينما قرر الاستاذ ان يترك مجال الصحافة (١) .

وجدير بالذكر ان الاستاذ مع عطفه في مجال الصحافة قرر ان ينضم الى حركة الخلافة في بداية حياته العطية عام ١٩١٨م واستمر يحمل فيها حتى نهايتها في عام ١٩٢٤م هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى الف الاستاذ كتاب "النشاطات التبشيرية في تركيا" ^(٢) وترجم كتاب "مجازر اليونانيين في سمرنا" ^(٣) من اللغة الانكليزية الى اللغة الاردية خلال الفترة بين عام ١٩١٨م وعام ١٩٢٠م كما قام بتأليف الكتاب (مصدر قوة المسلم) عام ١٩٢٥م ^(٤) وكتاب "الجهاد في الاسلام" عام ١٩٢٨م ^(٥) .

وفي عام ١٩٢٨م بعد ما قررا الاستاذ ان يترك مجال الصحافة ليستمر نفسه لحمل الدعوة سافر الى حيدر اباد الدكن حيث كان شقيقه الاكبر يشغل في دار الترجمة العثمانية وأفرغ نفسه ، للمطالعة استعدادا لهذا العمل

-
- (١) انظر المرجع السابق ص ٤٧-٤٨ .
 (٢) انظر الاستاذ خليل الحامدي - الامام ابوالاعلى المودودي حياته ودعوته وجهاده ص ٨ .
 (٣) انظر مجلة "اتش فشان" الاسبوعية لاهور لشهر نوفمبر عام ١٩٢٩م ص ١٣ تحت عنوان "مقابلة السيد / فريد الدين مع الاستاذ المودودي"
 (٤) انظر الاستاذ المودودي - جماعت اسلامي ٢٩ سال ص ١٤ .
 (٥) انظر الاستاذ خليل الحامدي - الامام ابوالاعلى المودودي - حياته - دعوته - جهاده ص ١٦ .

الجليل . وذلك من عام ١٩٢٨ الى عام ١٩٣٢ م . ومع أنه قضى معظم وقته في المطالعة تمكن من تأليف أو ترجمة بعض الكتب خلال هذه الفترة ، وذلك ليكسب ما يعيش عليه ، فأما الكتب التي ألفها خلال هذه المدة فهي (تاريخ السلاجقة) و (تاريخ الدكن) . وأما الكتب التي نقلها إلى اللغة الأردية هي : تاريخ ابن الخلكان (الاجزاء المتعلقة بالفاطميين) والاسفار الاربعة للشيخ صدرالدين الشيرازي في الفلسفة (١) .

— اصدار مجلة ترجمان القرآن : —

في عام ١٩٣٢ م تولى الاستاذ المودودي ادارة مجلة ترجمان القرآن الشهرية التي كانت تصدر من مدينة حيدرآباد (الدكن) وكان يصدره السيد / ابو محمد صلح الدين ، ولم تكن عودته الى مجال الصحافة الا أن يستخدما لنشر الدعوة الاسلامية (٢) ، كما يتبين من الافتتاحية التي كتبها الاستاذ للمعد الأول لهذه المجلة : " ان هذه المجلة تضع اليوم قدمها في طريق محفوف بالمصاعب والمعن ، وتولي عبثها رجل يعترف لا اعتراف المجاملة بل اعتراف الحقيقة بأنه ضعيف فاقد القيمة ففسر الديدن ، ولكنه على رغم وعورة الطريق استعد لحمل هذا العبء على يقين واضح بأن الله الذي نور قلبه بالاسلام ، وخلق في نفسه حب الدعوة اليه هو الذي سوف يؤازره ، وينصره بنصر من عنده ويمنحه الرسوخ في العلم والصحة في الفكر والسلامة في القلب والطهارة في النفس والسمو في الروح " (٣) .

(١) انظر الاستاذ محمد يوسف ، مولانا مودودي اپنى اور دوسروں كى نظريوں

(٢) انظر سيد اسعد جيلاني ، تاريخ جماعت اسلامي ج ص ١٢٢-١٢٣ .

(٣) الاستاذ خليل الحامدي — الامام ابوالاعلى المودودي — حياته ، دعوته

وظل الأستاذ المودودي يستخدم هذه المجلة لنشر الدعوة حتى وفاته عام ١٩٧٩م بل لا تزال تصدر هذه المجلة على نفس المنهج حتى اليوم .

— عناية الاستاذ بالمهتئين الأساسيين :

واعتنى الاستاذ المودودي في بداية دعوته بالمهتئين الأساسيين وهما :

أولاً : أن ينتقد الحضارة الجاهلية الحديثة والمعلوم الماديية والفسافات اللادينية التي جاءت بها ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ينتقد الحركات الهدامة التي نشأت في المجتمع الاسلامي كأثر لهذه الحضارة المادية الاستعمارية وذلك بالبراهين العقلية القاطعة .

ثانياً : أن يبين بالادلة من القرآن والسنة والبراهين العقلية القوية أن الاسلام هو دين كامل وتتسع دائرته لكل ناحية من نواحي الحياة الفردية والاجتماعية ولا يجوز للمسلم ان يتبع أي نظام آخر في أي دائرة من دوائر حياته المختلفة . (١)

ومن أهم الكتب التي تحوى البحوث الصادرة خلال هذه المدد هي الكتب التالية :

- ١ — نحن والحضارة الغربية
- ٢ — الحضارة الاسلامية أسسها ومبادئها
- ٣ — الاسلام في مواجهة التحديات المعاصرة .
- ٤ — مفاهيم اسلامية حول الدين والدولة .

(١) انظر الأستاذ المودودي : " جماعت اسلامي كامقصد ، تاريخ اور لائحة عمل " ص ٢٣ — ٢٦ .

- ٥ - حقوق الزوجين .
 - ٦ - حركة تحديد النسل .
 - ٧ - مبادئ الاسلام .
 - ٨ - الحجاب .
 - ٩ - أسس الاقتصاد بين الاسلام والنظم المعاصرة .
 - ١٠ - مشكلة الجبر والقدر (١) .
 - ١١ - ملكية الأرض في الاسلام (٢) .
 - ١٢ - في محكمة العطف - التوحيد ، والرسالة ، والآخرة (٣) .
- وجدير بالذكر أن هذه الكتب لها دور هام في انقاذ المسلمين الشقيين من العبودية الفكرية للحضارة الغربية الحديثة واعادة ثقتهم في الاسلام كدين كامل .
- الزواج :

وفي عام ١٩٣٧ م تزوج الاستاذ المودودي بالسيدة / محموده بنت السيد / نصيرالدين الشمسي . وجدير بالذكر ان السيد / نصيرالدين هذا كان يسكن في دهلي ، عاصمة الهند ، وكانت هناك صلة قرابة بين والسيدة الاستاذ المودودي وبين والدة السيد / نصيرالدين الشمسي (٤) .

-
- (١) انظر الاستاذ المودودي : جماعت اسلامي كالمقصد تاريخ اور لائحة عمل ص ٢٦-٢٧ .
 - (٢) انظر الاستاذ المودودي : مقدمه الكتاب "مسئله ملكيت زمين باللغة الاردية .
 - (٣) الاستاذ خليل الحامدي هو الامام ابوالاعلى المودودي - حياته ، دعوته جهاده ص ٢٣ .
 - (٤) اخبرتنني عن هذا ابنة الاستاذ المودودي (السيدة / حميرا المودودي) .

نقده لسياسة حزب المؤتمر الهندي :

وكان في هذه المناسبة أن سافر الاستاذ المودودي الى دهلـى
خلال سفره شاهد حالة المسلمين السيئة في المناطق التي قد أقيمت
فيها حكومات حزب المؤتمر الهندي حسب دستور عام ١٩٣٥ م ، كما لاحظ
عن قرب المخططات الاستعمارية الهندوسية للقضاء على الاسلام والمسلمين في
هذه المناطق ، فكانت نتيجة هذه المشاهد أن بعد عودته الى حيدر اباد
بدأ الاستاذ يكتب في هذا الموضوع في مجلته " ترجمان القرآن " وظل يكتب
فيه الى نهاية عام ١٩٣٨ م والبحوث التي صدرت حول هذا الموضوع تشمل
نقده العلمي لنظرية القومية الوطنية المتحدة التي كان يحمل لواها حزب
المؤتمر الهندي وتأييدها جمعية علماء الهند . وذلك فضلا عن نقده لسياسة
حزب المؤتمر الهندي تجاه الاسلام والمسلمين في شبه القارة الهندية ، وجاء
الاستاذ في بحوثه تلك بالادلة من القرآن والسنة والبراهين العظيمة
القوية (١) .

وأعاد الجرائد والصحف الاسلامية هذه الحلقات المسلسلة ثم
طبعت تلك الحلقات فيما بعد في كتابين مستقلين اولهما " الصراع السياسي
الحاضر والمسلمون " (الجزء الاول والجزء الثاني) وثانيهما " المسألة
القومية " ويقول السيد شريف الدين بيرزاده (٢) عن تلك المقالات " كتب
المودودي سلسلة من المقالات في مجلته ترجمان القرآن عامي ١٩٣٨ و١٩٣٩ م
كشفت القناع فيها عن حقيقة حزب المؤتمر وحذر المسلمين . . . وفضح طمانينة

(١) انظر الشورى عبد الرحمن عبد . سيد ابوالاعلى مودودي ص ١١٤ .

(٢) هو السيد شريف الدين بيرزاده . احد قادة حزب رابطة المسلمين

قد اشتغل وزيرا للقانون في حكومة الجنرال ايوب خان . وهو يشتغل

الآن كمستشار قانوني في حكومة الجنرال ضياء الحق .

حزب المؤتمر وبين عدم صلاحية الحكم الديمقراطي في الهند نظراً لأنه سيكون
ثمة صوت إسلامي واحد مقابل أربعة أصوات هندوسية (١) .

— الهجرة إلى دار الإسلام :

وكان في عام ١٩٣٧ م أن الشاعر الإسلامي الدكتور محمد اقبال
وجه الدعوة إلى الاستاذ المودودي أن يقابل في مدينة لاهور وسافر الاستاذ
إلى لاهور لمقابلة الدكتور محمد اقبال . وخلال هذه المقابلة اقترح الدكتور
محمد اقبال أن يهاجر الاستاذ من حيدرآباد إلى بنجاب فاتفق الاستاذ
المودودي مع الدكتور محمد اقبال على أن يقيم في قرية " دار الإسلام " قرب
مدينة (بها نكوت) ويشرف على المركز الذي سينشأ هناك لتأليف الكتب
القيمة لبيان أوجه النظام الإسلامي واعداد الرجال الذين يصلحون لقيادة
المسلمين فكرياً وعطياً (٢) . كما كان من المقرر أن الدكتور محمد اقبال
أيضاً سياتي ويقيم في هذا المركز لبضعة شهور كل سنة (٣) .
وجد ير بالذكر أن قرية " دار الإسلام " قد وقف أرضها الشهودي
نياز علي أحد أصدقاء الدكتور محمد اقبال لخدمة الإسلام وكان في نفس الوقت
أن عرضت عليه الجامعة العثمانية أن يعمل استاذاً في هذه الجامعة براتب
كبير ولكنه رفض هذا العرض مع أن وضعه المالي كان ضيقاً جداً وهو لم يكن
يعرف شيئاً عن مصيره في بنجاب (٤) . وهاجر الاستاذ المودودي من حيدرآباد
(الدكن) إلى قرية دار الإسلام في بنجاب في ١٥ مارس عام ١٩٣٨ م ولم يمض

(١) السيد / شريف الدين بهرزاده — نشأة باكستان — ٢٣٥ .

(٢) انظر الشهودي عبد الرحمن مجد — سيد ابوالاعلى مودودي ص: ١٣١ .

(٣) انظر الاستاذ اسعد جيلاني — تاريخ جماعت اسلامي ج : ص ١٣٢ .

(٤) انظر الاستاذ اسعد جيلاني : ابوالاعلى المودودي : فكره ودعوته ص ٦١ .

على هجرته الا شهر وبضعة ايام حتى توفي الدكتور محمد اقبال الى رحمة
الله في ٢١ ابريل عام ١٩٣٨ م وكتب الاستاذ في كلمة رثائه للدكتور
الراحل : " فقدت أكبر سند لي في الدنيا بموت الدكتور محمد اقبال " (١) .

وجدير بالذكر أن مشروع " دار الاسلام " قد انتشر في مجلة
" ترجمان القرآن " قبل هجرة الاستاذ المودودي من حيدرآباد ، فقد
بين الاستاذ فيه أن تكون قرية " دار الاسلام " قرية اسلامية نموذجية تقام
فيها الحياة الفردية والاجتماعية على الأسس الاسلامية السامية ، فوجه
الاستاذ دعوته لكل من يعجبه هذا المشروع ويرغب في الاقامة في
دار الاسلام (٢) ، والذين استجابوا لهذه الدعوة وانتظوا الى دار الاسلام
في هذه المرحلة ، هم :

- ١ - الشيخ صدر الدين الاصلاحى ، ٢ - الشيخ عبدالعزيز الشرقى ،
- ٣ - الشيخ محمد صديق ٤ - الأستاذ نعيم الصديقى ، ٥ - السيد /
- محمد شاه (٣) .

— المسجد — المركز الاول للدعوة :

وجعل الاستاذ المودودي المسجد الجامع في قرية دار الاسلام مركزا
للدعوة يلقي فيه خطاب الجمعة يبين فيها حقيقة عقائد الاسلام الأساسية
واركانه مع بيان حكمتها وفلسفتها وذلك بأسلوب سهل وجذاب ليفهمها
عامة المسلمين بالسهولة فكانت تنشر هذه الخطب في مجلة ترجمان القرآن
الشهرية كما صدرت في صورة كتاب مستقل فيما بعد (٤) .

- (١) مجلة ترجمان القرآن الشهرية لشهر مايو عام ١٩٣٨ .
- (٢) انظر الشورى عبدالرحمن عبد - سيد ابوالاعلى مودودي ص ١٣٦ .
- (٣) انظر اسعد جيلانى : تاريخ جماعت اسلامى - ص ١٣٤ .
- (٤) انظر الشورى عبدالرحمن عبد - سيد ابوالاعلى مودودي ص ١٤٣ -

— في مدينة لاهور :

ولم يمتز على هجرة الاستاذ المودودي الى قرية دار الاسلام الا عشرة شهور حينما حصل غلاف بين الاستاذ وزملائه الذين جعلوه مركزا للحركة الاسلامية وبين صاحب الوقف الذي كان يرغب في جعله مركزا تعليميا ومهنيا للمسلمين . وقرر الاستاذ وزملائه ان ينتقلوا الى مدينة لاهور ويجعلوها مركزا للدعوة (١) .

— محاضر الشرف بالكلية الاسلامية بلاهور :

وسعد أن اتخذ الأستاذ اقامته بمدينة لاهور ، عرض عليه القائمون بالكلية الاسلامية بلاهور ان يكون محاضرا في الكلية فوافق الاستاذ على ذلك ولكن كمحاضر شرف ، وظل الأستاذ يلقي محاضراته في الكلية حول مبادئ الاسلام والدعوة لمدة سنة ، ولكن الحكومة لم يعجبها هذا العمل ، واضطر القائمون بها على الغاء عمله هذا (٢) .

— نقد الاستاذ المودودي لسياسة حزب رابطة المسلمين : كما ذكرنا

آنفا أن نقد الاستاذ المودودي للنظرية القومية الوطنية الهندية كان له أثرا عظيما في انقاذ المسلمين من شباك حزب المؤتمر وانضمامهم الى حزب رابطة المسلمين وهذا ما اعترف به كثير من قادة حزب الرابطة ومنهم الشيخ ظفر احمد الانصاري (٣) ، ومنهم السيد شريف الدين بيرزاده الذي

(١) انظر سيد احمد جيلاني ج تاريخ جماعت اسلامي ج ص ٤٥٢ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٤٥٣ .

(٣) هو الشيخ ظفر احمد الانصاري قد اشتغل كالامين العام المساعد لحزب

الرابطة وقد اختير عضوا للجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي وله دور هام في اصدار قرار المبادئ لدولة باكستان الاسلامية كما

له دور بارز في صوغ مبادئ اساسية للدولة الاسلامية التي قدمها

العلماء عام ١٩٥١ وهو تناول الموضوع في مقاله "نشأة باكستان والعلماء"

صدرت في مجلة جراف راه الشهرية عدد خاص عن نظرية باكستان

الاساسية ص ٢٣٣ .

يعد اقتراحاته من علامات على الطريق الى باكستان (١) ، ولكننا كما اسلفنا أن الاستاذ المودودي وزملاؤه اتخذوا احياى الحركة الاسلامية واقامة الحكومة الاسلامية على منهاج الخلافة الراشدة هدفا لهم واما حزب رابطة المسلمين الذى كان هدفه اقامة دولة المسلمين القومية فى المناطق فيها اكثريتهم كان حزبا سياسيا فحسب ، وكان اكثر قاداته وأعضائه ذو ثقافة انكليزية ولم يحرفوا شيئا عن الاسلام ولم يظهر اى اثر منهم فى حياتهم الشخصية فكان من الواضح انهم لن يقدروا على اقامة الحكومة الاسلامية على منهاج الخلافة الراشدة الا ان يستعدوا لها ولكن مع الاسف لم تكن لديهم اي فكرة عن هذا الاستعداد فرأى الاستاذ ضرورة عرض الطريق الصحيح عليهم لاقامة الحكومة الاسلامية على منهاج الخلافة الراشدة . بالادلة من القرآن والسنة والبراهين العقلية القوية ، وبدأ يكتب فى مجلته الحلقات المتتالية فى هذا الموضوع (٢) ، وصدرت هذه الحلقات فى صورة كتاب مستقل تحت عنوان " المسلمون والصراع السياسى الحاضر " (الجزء الثالث) فيما بمسند وهذا الكتاب قد اهتم الاستاذ فيه ببيان الفرق بين الاسلام الحقيقى وبين الاسلام الجفرافى وبين الحركة الاسلامية وبين احزاب المسلمين السياسية والكتب الاخرى فيها الاستاذ خلال تلك الايام هى +

١- نظرة فاحصة على العبادات الاسلامية (١٩٣٩) (٢) موجز تاريخ تجديد الدين واحيائه (١٩٤٠) . ٣ - المصطلحات الاربعة فى القرآن (١٩٤١) وذلك ماعدا المحاضرات التى القاها الاستاذ المودودي خلال هذه المدة والتي صدرت فيما بعد فى صورة كتيبات مستقلة وهى كالاتى :

١ - الجهاد فى سبيل الله (ابريل عام ١٩٣٩) ١٠

(١) انظر السيد / شريف الدين بيرزاده " نشأة باكستان " ص ٣١٠ .

(٢) انظر الاستاذ سمود الندوى - تاريخ الدعوة الاسلامية فى الهند ص ٢٤٨

٠٢٥٥ -

(٣) انظر الاستاذ المودودي - جماعت اسلامي كامقصد - تاريخ أور لائحة عمل

- ٢ - نظرية الاسلام السياسية (اكتوبر عام ١٩٣٦) .
- ٣ - كيف تقيم الحكومة الاسلامية (سبتمبر عام ١٩٤٠) .
- ٤ - منهج جديد للتعليم والتربية (ديسمبر عام ١٩٤٠ م) .
- ٥ - الاسلام والجاهلية (فبراير عام ١٩٤١) .
- ٦ - معضلات الانسان الاقتصادية وحلها في الاسلام (عام ١٩٤١ م) (١) .

تأسيس الجماعة الاسلامية :

وبعد أن استمر الاستاذ المودودي في نشر الدعوة الاسلامية عن طريق مجلته " ترجمان القرآن " الشهرية وكتبه ومحاضراته لأكثر من ثمان سنين وتأثر عدد غير قليل من العلماء والمثقفين الجدد من دعوته وجه دعوتهم اليهم لتأسيس الجماعة الاسلامية وفي اول شعبان عام ١٣٦٠ هـ الموافق ٢٥ من اغسطس عام ١٩٤١ م اجتمع خمسة وسبعون شخصا واتفقوا على تأسيس الجماعة الاسلامية لمواصلة الحركة الاسلامية ، وفي ٢ من شعبان عام ١٣٦٠ هـ ، الموافق ٢٦ من اغسطس عام ١٩٤١ م تأسست الجماعة الاسلامية واختير الاستاذ المودودي أميرا لها (٢) . وجدير بالذكر أن الجماعة الاسلامية لم تكن جماعة سياسية او جمعية دينية بالمعنى العام ، بل حركة اسلامية بمفهومها الشامل تؤمن بالاسلام كدعوة عالمية شاملة للحياة الانسانية ، وتريد تنفيذه في كمال دائرة من دوائر الحياة الانسانية (٣) .

(١) انظر الاستاذ المودودي : جماعت اسلامي كالمقصد ، تاريخ اورلاحة عمل : ٢٧

(٢) انظر سيد اسعد جيلاني : تاريخ جماعت اسلامي ج ١ ص : ١٦٥-١٦٦ .

(٣) الاستاذ خليل أحمد الحامدي - نظرة عابرة على الجماعة الاسلامية

— التركيز على التكوين والتربية :

وتعتبر الفترة ما بين عام ١٩٤١ م وعام ١٩٤٧ م فترة التكوين والتربية للجماعة الاسلامية ، فركز الاستاذ على ثلاثة أمور خلال تلك الفترة وهى :

اولا : اعداد الرجال الذين يحملون لواء الحركة الاسلامية يتميزون بالقوة والصدور مهما تكن الظروف قاسية ، ويجعلوا حياتهم ومواردهم وفقا لنشر الدعوة الاسلامية واقامة النظام الاسلامي .

ثانيا : تنظيم الجماعة على اقوى الاسس لكي تتمكن من مواجهة الاوضاع الراهنة في سبيل الدعوة .

ثالثا : اعداد الكتب القيمة الاسلامية عن كل ناحية من نواحي الحياة الفردية والاجتماعية في اسلوب عصري متين (١) .

— فكرة تأليف (تفهيم القرآن) :

وجدت بالذكر أن هذا التركيز على التكوين والتربية جعل الاستاذ يفكر بأنه مهما يبذل جهوده في سبيل الدعوة بظنه ولسانه لا ينجح فيه الا اذا جعل القرآن الكريم وسيلة للوصول الى ذلك الهدف القيم ، وهذا ما جعله ان يقوم بتفسير القرآن في فبراير عام ١٩٤٢ م ، اى بعد ستة اشهر من تاسيس الجماعة الاسلامية (٢) .

— قرية دار الاسلام مقرا جديدا للجماعة الاسلامية :

وفي يونيو عام ١٩٤٢ م انتقل المقر الرئيسي للجماعة الاسلامية من لاهور الى دار الاسلام وذلك بالموافقة مع صاحب الوقف (٣) . وهذا المقر الجديد ، لكونه بعيدا عن المدن ووسائل الحضارة الحديثة ومفاسد ها كان

(١) الأستان خليل أحمد الحامدي : نظرة عابرة على الجماعة الاسلامية

بباكستان ص ٨ .

(٢) انظر مجلة " آئين " الاسبوعية (لاهور) عدد خاص في مناسبة اكمال

تفهيم القرآن ص ١١٥ .

(٣) سيد اسعد جيلاني — تاريخ جماعت اسلامي — ص ١٩٢ .

مناسبا لتكوين أعضاء الجماعة الاسلامية وتربيتهم طمحا وعمليا فاستغلست الجماعة تلك الفرصة السعيدة لتحقيق ذلك الهدف وكان بفضل تلك التريسة والاستعداد ان تكنت الجماعة من مواجهة التحديات التي واجهتها فيما بعد وكان خلال تلك الفترة أن القى الاستاذ عدد من المحاضرات في المؤتمرات السنوية للجماعة او المناسبات الاخرى ، ركز فيها على التكوين والقربية ، وقد صدرت هذه المحاضرات بصورة الكتب المستنزة فيما بعد : وأهمها هي :

- ١- طريق السلام .
 - ٢- الدين القيم .
 - ٣- الاسس الاخلاقية للحركة الاسلامية .
 - ٤- الجهاد في سبيل الله .
 - ٥- شهادة الحق .
 - ٦- الدعوة الاسلامية ومتطلباتها .
 - ٧- دعوة الجماعة الاسلامية .
 - ٨- الصلاح والفساد .
 - ٩- عقوبة المرتد في الاسلام (١) .
- استقلال البلاد وتقسيم الجماعة الاسلامية الى شطرين :

وفي اغسطس عام ١٩٤٧م وافق الاستعمار على تحرير البلاد ، وتقسيمها الى دولتين مستقلتين وذلك تلبية لمطالبه حزب المؤتمر الهندي وحزب رابطة المسلمين فأنشئت الدولة الهندية وجمهورية باكستان الاسلامية ، فانقسمت الجماعة الاسلامية الى ثلاث جماعات وهي : الجماعة الاسلامية بباكستان ، والجماعة الاسلامية بالهند ، و الجماعة الاسلامية بولاية جامو وكشمير (٢) .

(١) انظر الاستاذ المودودي — جماعت اسلامي كالمقصد تاريخ اور لافحة عمل ص ٣٩ .

(٢) انظر الاستاذ المودودي — جماعت اسلامي كي ٢٩ سال ص ٥٢ .

الجماعة الاسلامية بالهند ومواجهة التحديات للاسلام والمسلمين :

دخل الاسلام والمسلمون في الهند بعد تقسيم البلاد فو متاعسب ومشاكل لانهاية لها فقامت الجماعة الاسلامية بالهند لمواجهة تلك التحديات وذلك بالدعوة والتبليغ في المسلمين وغير المسلمين معا ، ونشر الكتب والمجلات والجرائد بلفات الهند المختلفة وبانشاء المدارس والمعاهد وتنظيم وتربية العاطمين في مجال الدعوة ، وبتوعية عامة المسلمين وترجمة القرآن الكريم والكتب الاسلامية في لغات الهند المختلفة وببذل الجهود لاتحاد المسلمين وما الى ذلك (١) . واما الجماعة الاسلامية بولاية جامو وكشمير فاختلفت لها نفس المنهج لكون ظروفها نفس الظروف التي تواجهها الجماعة الاسلامية بالهند (٢) .

الجماعة الاسلامية بباكستان والجهاد لاقامة الحكومة الاسلامية :

واما في باكستان فمن المؤسف أن بعد وفاة مؤسس باكستان محمد علي جناح عام ١٩٤٨ م بدأ قادة باكستان يظهرن الآراء المتضاربة حول منهج الحكم في باكستان مع انه كان من المقرر أن يكون الاسلام هو منهج الحكم في الدولة المسلمة الجديدة ، وجدير بالذكر ان الشيوعيين مسن المسلمين الذين قد انضموا الى حزب رابطة المسلمين في السنوات الاخيرة

(١) انظر تقرير عن أنشطة الجماعة الاسلامية بالهند قدمه الاستاذ افضل حسين

الامين العام للجماعة في مؤتمرها السنوي لعام ١٩٨٠ الميلادي .

(٢) اخبرني عن هذا الشيخ سعد الدين امير الجماعة الاسلامية بولاية جامو وكشمير المحتلة .

لحركة انشا باستان لتحقيق أهدافهم الشنيمة بدأوا مؤامراتهم ضد النظام الاسلامى فى باستان ومعهم عملاء الاستعمار المتفرنجون والقاديانيون ومنكروا السنة فقامت الجماعة الاسلامية بباستان بمطالبة وضع الدستور الاسلامى وتطبيق القوانين الاسلامية والقوانين التى تخالف القرآن والسنة (١) .

الالتهام والاكاذيب والسجون :

لم تمجب الحكومة تلك المطالبات فخطت للقضاء عليها فمطقت على ترويج الاشاعات والاكاذيب ضد الجماعة ومنها الالتهام الصريح ان الاستاذ المودودى يحرم الجهاد لتحرير كشمير المسلمة (٢) ، بينما الحقيقة عكس ذلك فقد طالب الاستاذ من الحكومة ان تعلن الجهاد لتحرير كشمير المسلمة فوراً حتى يستطيع مسلموا باستان مد يد المساعدة الى اخوانهم المجاهدين فى كشمير (٣) ، فحاول ان يوضح تلك الحقيقة عن طريق الجرائد والاذاعة ولكن الحكومة لم تسمح للجرائد ان تنشر بيانه ولا للاذاعة ان تديعه لانها لم يهملها الجهاد لتحرير كشمير بل كان يهملها القضاء على الحركة التى قسد بدأت لتطبيق النظام الاسلامى فى باستان والقى القبض على الاستاذ المودودى وزملائه فى ٤ اكتوبر عام ١٩٤٨ م ولم يطلق سراحهم الا بعد عشرين شهراً (٤) .

-
- (١) انظر الاستاذ المودودى : تحريك اسلامى كآفنده لائحة عمل ص ١٤٥ .
 (٢) انظر الشورى عبدالرحمن عهد - سيد ابوالاعلى مودودى ص ٢٢٣-٢٢٦ .
 (٣) انظر المرجع السابق ص ٢٢٥ .
 (٤) انظر احمد ادريس - ابوالاعلى المودودى - صفحات من حياته وجهاده -

— اصدار قرار المبادئ لدولة باكستان الاسلامية :

ولكن بالرغم من اعتقال الاستاذ المودودي استمرت الحركة لتطبيق النظام الاسلامي حتى اضطرت الحكومة الى الموافقة ان تقوم المجلس التأسيسي للدولة باصدار القرار المعروف بقرار المبادئ . ويفيد هذا القرار " ان الحكم في باكستان لله سبحانه وتعالى وان الحكومة ملتزمة بتطبيق ما يريد الحاكم الاعلى وهو الله . ولا يزال هذا القرار يعتبر اساس الدولة الباكستانية حتى اليوم . وجدير بالذكر ان مشروع القرار عرض على الاستاذ في السجن بطريقة سرية لاخذ الموافقة منه (١) .

— اتفاق العلماء والمشايخ على مبادئ اساسية للدولة الاسلامية :

وفي سبتمبر عام ١٩٥٠ م صدرت توصيات المجلس التأسيسي لمبادئ الدولة وكانت منافية للروح الاسلامي ومتناقضة لقرار المبادئ . فقام الاستاذ المودودي والعلماء الاخرون باستنكار تلك التوصيات بكل قوة وصراحة ، واضطرت الحكومة الى سحبها وجاءت بالمؤامرة الاخرى فطلبت عن العلماء ان يقدموا مبادئ اساسية للدولة الاسلامية حيث لا تكون محل خلاف بين الفرق الدينية المختلفة المختلفة ولعلها كانت تظن ان مادام العلماء يمثلون الفرق الدينية المختلفة في باكستان ، لن يتفقوا على تلك المبادئ اطلاقا . فذلك سيكون دليلا قاطعا لاقامة الدولة العلمانية ولكن وفق الله العلماء يمثلون الفرق الدينية المختلفة في باكستان ان يجتمعوا تحت رئاسة الشيخ سيد سليمان الندوي (٢)

(١) الاستاذ خليل احمد الحامدي — الامام ابوالاعلى المودودي — حياته ،

دعوته ، جهاده ص ٥٨ ، ٥٩ .

(٢) هو الشيخ سيد سليمان الندوي (المولود عام ١٣٠٢ هـ) العالم الكبير قد

تعلم في المعهد الديني الشهير (ندوة العلماء) بالهند ثم عمل فيه استاذنا لمدة طويلة ثم هاجر الى باكستان بعد استقلال البلاد وله عدة من الكتب القيمة في الموضوعات الدينية المختلفة اعلمها كتابه الشهير في السنة النبوية (سيرة النبي صلى الله عليه وسلم) . (نزهة الخواطر ج ٨

ويفتقوا على اثنين وعشرين مبدأ أساسيا للدولة الاسلامية وكان للاستـاذ
المودودي دورا هاما في صوغ تلك المبادئ (١) .

— في مجال الانتخابات :

ثم أعلنت الحكومة اجراء الانتخابات في منطقة بنجاب في مارس عام
١٩٥١م فقررت الجماعة ان تشغول معركة الانتخابات ولكن هذا القرار لم
يحجب المتفرنجون والملمانيون والشيوعيون في الحكومة وذلك لانهم كانوا
يخافون عن اقامة النظام الاسلامي اشد خوفا فبدأوا يخططون المخططات
والمؤامرات لمضايقه الاستاذ المودودي وتقليل قيمته في اعين الناس وذلك
بافتراء الاتهامات والاكاذيب عن طريق الصحفيين المأجورين بان المودودي
كان معاديا لفكرة باكستان وعن طريق عملاء الاستعمار السوفيتي والامريكى
بانه عميل امريكى وعن طريق رجال الدين الرسميين بان المودودي لم يحصل
على الشهادة الرسمية في العلوم الدينية ، فلهذا اراءه الدينية لا تساوى شيئا
وعن طريق المتفرنجين والاشتراكيين بانه رجعي وكانت تلك الاكاذيب والاتهامات
تنشر في الصحف الحكومية وتذاع من الاناعة ، وجدير بالذكر بانه كان
للقاد يانيين والشيوعيين دورا كبيرا في تلك الحملات العدائية وكان من
حسن حظ الحكومة ان اتحدت الاحزاب السياسية والدينية لمخالفة الجماعة
الاسلامية في الانتخابات فلم تتمكن الجماعة من الفوز ولكنها تمكنت بمعون الله
تعالى من ابلاغ رسالتها الى الشعب خلال حملتها الانتخابية (٢) .

Region and Politics in
Pakistan Page:120.

(١) انظر المستشرق الانكليزي يائندر -

(٢) انظر الشورى عبدالرحمن عبد - سيد ابوالاعلى مودودي - ص ٢٥٠ -

المؤتمر العام للجماعة الاسلامية لعام ١٩٥١ الميلادي :

قرر مجلس الشورى للجماعة الاسلامية بباكستان ان يقوم المؤتمر العام للجماعة في مدينة (كراتشي) من ١٠ - ١٣ من نوفمبر عام ١٩٥١ م ، وذلك للاعتماد على المنهج المصطفى الذي اختارته الجماعة بعد استقلال البلاد والمحاضرات التي القاها الاستاذ في ذلك المؤتمر تضم معالم السياسة التي اختارتها الجماعة لمواصلة جهادها لاقامة الدولة الاسلامية وانتشار دعوتها وتربية اعضائها وقد صدرت هذه المحاضرات فيما بعد بصورة الكتب المستنظمة وهي :

١- شؤون باكستان الداخلية والخارجية .

٢- واقع المسلمين في سبيل النهوض بهم .

٣- الصفات اللازمة للمواطنين في مجال الدعوة . (١)

والكتب الاخرى التي صدرت خلال تلك الفترة هي :

١- نظام الحياة في الاسلام .

٢- القانون الاسلامي وطرق تنفيذه في باكستان .

٣- حقوق اهل الذمة في الاسلام .

٤- الربا . (٢)

الاستاذ يتصدى للتحدى :

وكان في تلك الآونة أن قام المحامي الشهير السيد / أ. ك. بروهي

بالتحدى ان " من استطاع ان يثبت لي أن القرآن يشمل مبادئ دستورية

فله جائزة خمسة الاف روبية " فظننت الحكومة ان الرجل سيخدم اهدافها

(١) انظر تقرير عن الجماعة لاسلامية بباكستان (الجزء السادس) ص ٩٥-

١٧٠ ، ص ٤١ ، ٣٤٧ ، ٤١٩٠ .

(٢) انظر الاستاذ المودودي - جماعت اسلامي كالمقصد ، تاريخ اور لا فحة عمل

ص: ٧٧ .

الشيعة في اقامه دولة العلمانية اختارته وزيرا للقانون . ويرى الاستاذ
 ضروريا أن يقوم بالقضاء على تلك المؤامرة فألف كتابه الشهير (اسس الدستور
 الاسلامي في القرآن) كمالقى محاضرة في عاصمة البلاد آنذاك (كراتشي)
 بعنوان (تدوين الدستور الاسلامي) وبين فيها طريقة تدوين الدستور
 الاسلامي فلما بلغ السيد / بروهي كتاب الاستاذ المودودي (أسس
 الدستور الاسلامي في القرآن) قام باعلان اقتناعه بان القرآن كتاب هداية
 في جميع نواحي الحياة وان فيه مبادئ دستورية تقام عليها الدولة في المصير
 الحديث كما وفقه الله تعالى أن يقدم فيما بعد في المجلس التأسيسي مشروع
 دستوريا موافقا للدستور الاسلامي (١) ، وهكذا قدر الله ان تخيب تلك
 المؤامرة ويعترف السيد / بروهي بفضل الاستاذ المودودي هذا حيث
 يقول : " انه قد عمل في باكستان ما لم يستطيع ان يعمل اي حزب من الاحزاب
 وعلى الشعب الباكستاني كله ان يعترف له بهذا الجليل " (٢) .

— المطالبة بتطبيق الدستور الاسلامي :

وفي مايو عام ١٩٥٢ م حمل الاستاذ المودودي لواء المطالبة
 بتطبيق الدستور الاسلامي وذلك بالقيام بجولات في البلاد من شرقها
 الى غربها فكان يلقي المحاضرات في المؤتمرات الجماهيرية ، وتلك المحاضرات
 كانت تخدم باقتراحات هامة لتنفيذ الدستور الاسلامي كما ان الجماعة الاسلامية
 بدأت تاخذ التوقيعات من الشعب في تأييد الدستور الاسلامي وقد بلغت

(١) الاستاذ خليل الحامدي — الامام ابو الاعلى المودودي ، حياته ، دعوته ،

جهاده ص ٥٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٩ .

أوراق التوقيعات من الكثرة بحيث انها اذا الصقت بعضها ببعض لبلغت
 اكثر من عشرين كيلومترا ، وقد مت تلك الاوراق الى المجلس التأسيسي وذلك
 فضلا عن مئات الالاف من البرقيات والرسائل التي ارسلت اليها ، حتى اضطرت
 الحكومة بالاعلان بانها ستقدم التوصيات الدستورية في ٢٢ نوفمبر عام ١٩٥٢ م^(١)
 وفي ٢١ نوفمبر عام ١٩٥٢ م اي بيوم واحد قبل الموعد خرجت في كراتشي
 — عاصمة البلاد انذاك — مظاهرة اسلامية كبيرة كان يقودها الاستاذ
 المودودي حيث كان المتظاهرون يهتفون بالمطالبة بالدستور الاسلامي
 ويرفعون اللافتات التي كتبت عليها عبارات المطالبة بالدستور الاسلامي
 فاضطرت الحكومة الى تأجيل اعلان التوصيات لكونها غير اسلامية ثم آتت
 في ديسمبر عام ١٩٥٢ م بالتوصيات الدستورية الجديدة تضم بعض المبادئ
 الدستورية وضمها العلماء^(٢) .

— الحكم بالاعدام :

وفي بداية عام ١٩٥٣ م قام المسلمون في منطقة بنجاب بالمطالبة
 من الحكومة باعتبار القاد يانين اقلية غير سلمة فبدأت اشتباكات عنيفة بين
 المسلمين والقاد يانين حيث استشهد فيها مئات من المسلمين وألف الاستاذ
 المودودي كتيبه الشهير (المسألة القاد يانية) كشف فيها عن عقائد هذه
 النحلة الضالة ومؤامرتها ضد الاسلام والمسلمين فاغتنت الحكومة تلك الفرصة
 للقضاء على الدستور الاسلامي من ناحية والقضاء على الرجل الذي كان يقود

(١) انظر الشودي عبدالرحمن عبد — سيد ابوالاطي؛ مودودي ص ٢٥٦ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٢٤٦ — ٢٥٩ .

حركة التطبيق للدستور الاسلامي من ناحية اخرى وكان رئيس باكستان آنذاك السيد غلام محمد وكان معروفاً لسميوله اللادينية ، وامر بتشكيل محكمة عسكرية خاصة للحكم على الاستاذ المودودي ، وجعلها ان تصدر القرار لاعداد الاستاذ المودودي لتأليف كتابه (المسألة القاديانية) (١)

— لا أسترحم أحد سوى الله :

وجد ير بالذكر أنه حينما جاءه ما مور السجن ليبلغه هذا القرار سمعه بالهدوء والوقار الذي يليق بالداعية وكان القرار يسمح له ان يقدم التماسا للعفو ولكنه رفض تقديم التماس بالعفو ، وقال : لا استرحم احداً سوى الله لأن أحكام الموت لا تصدر في الارض واتما تصدر من السماء . ثم قال الاستاذ متوجهاً الى زملائه : " لا يقدم احدكم التماسا للعفو، والدتي ولا اخي ولا زوجتي ولا احد من اولادي وارجو كذلك من زملائي . . ان لا يقدموا لاجلي التماسا للعفو " (٢) .

— استنكار العالم الاسلامي لحكم الاعداد :

وظهر رد الفعل في صورة برقيات الاستنكار من سائر انحاء العالم الاسلامي وكلها تستنكر وتطالب من الحكومة سحب هذا الحكم على الفور وكان من الذين أرسلوا برقيات الاستنكار من العالم الاسلامي الشيخ محمد بشير ابراهيمي الجزائري والشيخ امين الحسيني مفتي فلسطين الاعظم ورئيس المؤتمر الاسلامي والشيخ امجد الزهاوي امام اهل السنة والجماعة في العراق واية الله محمد الخالص مجتهد الشيعة الاعظم في العراق والشيخ عيسى

(١) انظر احمد ادريس — ابوالاعلى المودودي — صفحات من حياته وجهاده

ص ٦٣ — ٦٥ .

(٢) انظر مجلة جراف راه الشهرية (كراتشي) لشهر اكتوبر عام ١٩٥٣م

من ص ٧٢ ، ٩٨ ، ١١٠ .

الانصارى نيابة عن الاحزاب الاسلامية فى اندونيسيا ، والاخوان المسلمون من مصر ، والمسلمون المقيمون فى انجلترا ، كما انتشرت المقالات الخاصة فى الصحف الاسلامية . وهكذا اضطرت الحكومة ان تغير حكم الاعدام الذى حكم السجن المؤبد (١) ، ولكن قدر الله ان يطلق صراحه بعدما قضى فى السجن ثلاث سنوات ، وذلك حسب قرار المحكمة العليا بـلاهور فى يناير عام ١٩٥٦م (٢) .

— الدستور الاسلامى الجديد للبلاد :

وفى اغسطس عام ١٩٥٥ م اصبح السيد / الشورى محمد على رئيسا للوزراء وكان يشتهر بسبيله الاسلامي كما كانت له صلة بالاستاذ المودودى وذلك بعد ان اوصاه الشاعر الاسلامى الكبير الدكتور محمد اقبال ان يطالع كتاب (الجهاد فى الاسلام) (٣) فيذل جهوده لتدوين الدستور الاسلامى وفى عام ١٩٥٦م وفقه الله ان يعطى البلاد الدستور الاسلامى الشامل الذى رحبت به كافة طبقات الشعب وقال الاستاذ المودودى فى تصريح له " نبدأ اليوم حياة جديدة حياة شعب حر ، شعب قد قرر بلسان مثليه ان الحكم فى باكستان لله عز وجل وان السلطة امانة من الله فى عنقه لا يزاولها الا نسي حدود وضمها الله ورسوله فالحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله " (٤) .

-
- (١) انظر اسعد كيلانى . سيد مودودى ، بجين ، جواتى بـرهايا ص: ١١٦—١١٨ .
 (٢) انظر احمد ادريس . ابوالاعلى المودودى . صفحات من حياته وجهاده ، ص ٦٦ .
 (٣) انظر الشورى عبد الرحمن عيد — سيد ابوالاعلى مودودى ص ٢٦٢ .
 (٤) الاستاذ خليل الحامدى — الامام ابوالاعلى المودودى — حياته — دعوته جهاده ص ٦٥ .

— حضور الاستاذ في مؤتمر العالم الاسلامي بدمشق وأداء فريضة الحج :

وفي يونيو عام ١٩٥٦م تلقى الاستاذ المودودي الدعوة من قبل مؤتمر العالم الاسلامي بدمشق لحضور جلسات المؤتمر هناك وسافر الاستاذ الى سوريا لحضور المؤتمر والتقى بهما الحركات الاسلامية في أقطار العالم وبمسند انتها المؤتمر سافر الاستاذ الى الاردن ليلتقى بالمواطنين في مجال الدعوة هناك ثم توجه الى الحرمين الشريفين ليؤدي فريضة الحج ويتشرف بزيارة المسجد النبوي الشريف (١) .

— اعتماد أعضاء الجماعة على منهج عليها :

وفي فبراير عام ١٩٥٧م انعقد مؤتمر هام لأعضاء الجماعة الاسلامية في قرية (ماجي كوت) بلوآبها وليبور ، وذلك لكي يعتمد أعضاء الجماعة المنهج الذي قد اختارته الجماعة في مواصلة جهادها لاقامة النظام الاسلامي فوافق المؤتمر على القرار الذي قدمه الاستاذ المودودي حول منهج الجماعة في مجال الدعوة الا ان خالفه فيه خمسة عشر عضوا من تسعمائة وعشرين عضوا وقد صدر هذا القرار وتعليق الاستاذ عليه فيما بعد في صورة كتاب مستقل تحت عنوان " الحركة الاسلامية ومنهجها للمستقبل " (٢) .

— الانقلاب العسكري لعام ١٩٥٨م والغاء الدستور الاسلامي :

وكان من سوء حظ مسلمي باكستان بانه قبل ان يطبق ذلك الدستور الاسلامي في البلاد قام المتفرنجون واللا دينيون والشيوعيون في الحكومة والسياسية بمؤامرة القضاء على حكومة رئيس الوزراء الشوري محطس واختيار

(١) انظر احمد ادريس — ابوالاعلى مودودي — صفحات من حياته وجهاده ،

(٢) انظر الاستاذ المودودي — مقال الكتاب " تحريك اسلامي كاثينده لاشخه عمل " .

السيد / شهيد السهروري كرئيس الوزراء الا ان حكومته لم تستمر لاكثر من تسعة شهور وحل محله السيد / اسماعيل جندريكر ثم اختير السيد / فيروزخان نون كرئيس الوزراء الجديد وهكذا اصبحت الحكومة لعبة في ايدي السياسيين اللادينيين وكان خلال تلك الآونة ان قام رئيس الركان انذاك الجنرال ايوب خان بالانقلاب العسكري في البلاد واعلن الفناء الدستور والبرلمان والاحزاب السياسية (١) .

— بصيرة الاستاذ السياسية :

وجدير بالذكر ان الاستاذ المودودي كان لهصيرته السياسية حيث تنبأ عن الانقلاب قبل بضع ساعات خلال محاضرتة في مؤتمر الجماهير في لاهور حيث قال : " ان الوضع في باكستان الان قد ساء الى حد اننا لانستبعد ان نستيقظ من نومنا في الصباح لنجد انقلابا عسكريا قد وقع واعلى السلطة حاكم يجمع كل اعنة الحكم في يديه " (٢) .

— رحلة الاستاذ الى أرض القرآن :

وفي ٣ نوفمبر عام ١٩٥٩م قام الاستاذ المودودي بالرحلة الى أرض القرآن ليشاهد الاماكن التي ورد ذكرها في القرآن الكريم او كتب السيرة وذلك ليتمكن الأستان من فهم الآيات التي ورد فيها ذكر هذه الاماكن فهما جيدا ومن ثم يتمكن من تفسيرها وتفهميها بخراطط هذه الاماكن وصورها كما نراها في تفسيره اليوم . ورحلته هذه تمتد من ٣ نوفمبر عام ١٩٥٩ الى ٥ فبراير عام ١٩٦٠م وشاهد الاستاذ خلالها الاماكن التي تقع في المملكة العربية السعودية والمملكة الأردنية الهاشمية ، وفلسطين ، وسوريا ، وجمهورية مصر العربية ، الا أنه

- (١) انظر السيد شهاب الدين رئيس مجلس القضاء الاعلى الاسبق . مقاله صدرت في مجلة " آروود انجست " الشهرية لشهر اغسطس عام ١٩٧٩ ص ٧٢ .
- (٢) احمد ادريس — ابوالاعلى المودودي — صفحات من حياته وجهاده ، ص ٧٢ .

لم يتمكن من حصوله على التأشيرة للمعراق (١) .

— الاستفتاء حول الدستور الجديد للبلاد :

وفي عام ١٩٦١ م عين ايوب خان لجنة دستورية لتشكيل الدستور الجديد وذلك برئاسة السيد / شهاب الدين عضو مجلس القضاة الاعلى آنذاك (٢) فقامت اللجنة بطرح الاستفتاء حول الدستور الجديد للبلاد واجاب الاستاذ / المودودي اسئلة الاستفتاء اجابات مفصلة مؤيدا بالادلة العظيمة والقانونية وبالبراهين من الكتاب والسنة (٣) .

والحقيقة ان تشكيل اللجنة الدستورية ونشر اسئلة الاستفتاء حول الدستور لم تكن الا الطريقة الروتينية والحكومة قد قررت ان تاتي بالدستور الملطمانسى الدكتاتورى وجاءت به فعلا في مارس عام ١٩٦٢ م (٤) وقد غير فيه اسم البلاد الى (دولة باكستان) بدلا عن (جمهورية باكستان الاسلامية) كما ركز السلطة في ايدي الدكتاتور الرئيس الذى كان ينتخب عن طريق ثمانين الف شخص اختيروا من سكان البلاد البالغ عددهم مائة وعشرون مليون (٥) .

-
- (١) انظر للتفصيل الاستاذ عاصم الحداد — سفرنامه ارضي القرآن —
 (٢) انظر السيد / شهاب الدين . رئيس اللجنة الدستورية — مقالة نشرت في مجلة " اردو ايجست " الشهرية لشهر اغسطس عام ١٩٧٩ م ص ٧٣ .
 (٣) احمد ادريس — ابوالاعلى المودودي — صفحات من حياته وجهاده ، ص ٧٨ .
 (٤) انظر السيد شهاب الدين ، رئيس اللجنة الدستورية ، مقالة نشرت في مجلة اردو ايجست الشهرية لشهر اغسطس عام ١٩٧٩ م ص ٧٤ .
 (٥) انظر المشورى عبدالرحمن عبيد — سيد ابوالاعلى مودودي ص ٣١٠ .

— عضوية مجلس الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة :

وفي عام ١٩٦١م تلقى الأستاذ المودودي الدعوة من قبل حكومة المملكة العربية السعودية ليعرض عليها مشروع انشاء الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة وسافر الأستاذ الى الرياض في ديسمبر عام ١٩٦١م وعرض المشروع على القائمين بالجامعة وناقشوا الموضوع معهم حتى تم الاتفاق على النهج الدراسي والتهريفي في الجامعة واختير الاستاذ عضوا لمجلس الجامعة (١) .

— عضوية المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي :

وفي عام ١٩٦٢م تلقى الاستاذ المودودي دعوة اخرى من قبل حكومة المملكة العربية السعودية لحضور مؤتمر العالم الاسلامي بحكة المكرمة . وفي ١٨ من مايو عام ١٩٦٢م سافر الاستاذ الى المملكة العربية السعودية لحضور ذلك المؤتمر والتقى فيه محاضرة قيمة بعنوان " المدالة الاجتماعية في الاسلام " ثم قرر المؤتمر تأسيس رابطة العالم الاسلامي لمواجهة التحديات والمؤامرات التي يواجهها الاسلام والمسلمون واختير الاستاذ عضوا للمجلس التأسيسي للرابطة (٢) .

— رفع القيود عن الاحزاب السياسية :

وفي يوليو عام ١٩٦٢م اضطرت الحكومة الى رفع القيود عن أنشطة الاحزاب السياسية فكانت الجماعة الاسلامية اول جماعة بدأت أنشطتها السياسية وذلك خلال أربع وعشرين ساعة فحسب (٣) وكان ذلك غير عادي في تاريخ الاحزاب

(١) المرجع السابق ص ٢٩٣ .

(٢) انظر الشودري عبدالرحمن سيد — سيد ابوالاعلى مودودي ص ٢٩٦ —

٢٩٧ .

(٣) احمد ادريس — ابوالاعلى المودودي — صفحات من حياته وجهاده ص ٧٩ .

السياسية في باكستان .

— أساليب الحكومة لمضايقة الأستان المودودي :

وكانت الحكومة تراقب أنشطة الجماعة الإسلامية منذ رفع القيود وكانت ترى أن استمرار الجماعة ونجاحها في مجال السياسة يعرقل الحكومة في تحقيق أهدافها ولهذا استخدمت الطرق القديمة للقضاة عليها . فبدأت تنشر الاشاعات والاكاذيب والاتهام ضد الجماعة الإسلامية واميرها بواسطة علائقها من الشبهويين والعلمانيين والمتفرجين والقاد يانيين ومنكري السنسة النبوية والعلماء الرسميين والصحفيين الماجورين وذلك عن طريق الصحف والجرائد والاذاعة مما (١) .

— المؤتمر العام للجماعة الإسلامية لعام ١٩٦٣ م :

وكان في تلك الفترة ان قرر مجلس الشورى المركزي للجماعة الإسلامية ان يقيم المؤتمر العام للجماعة في اكتوبر عام ١٩٦٣ م في مدينة (لاهور) واختار لجنة خاصة للاهتمام بذلك المؤتمر فقد موا الطلاب للموافقة لاستخدام (حديقة اقبال) لعقد المؤتمر وذلك حوالي شهرين قبل موعد المؤتمر ولكن بعد حوالي شهر ونصف اعتذرت الحكومة وحينما لم يبق في المؤتمر الا اسبوعين وافقت بلدية لاهور على السماح لعقد المؤتمر في أحد الميادين الصغيرة القريبة من مسجد سيد علي الهجويري وقد قام اعضاء الجماعة باعداد المكان بكل ما يلزم من مقاعد وسرادق وكهرباء وأماكن للاكل والصلاة

(١) انظر الشورى عبد الرحمن ص ٣١٩-٣٢١

(٢) انظر احمد ادريس - ابوالاعلى المودودي - صفحات من حياته وجهاده ،

والحاجات الاخرى كما طلبوا للموافقة على استخدام مكبر الصوت ولكن الحكومة رفضت ولم يكن هناك أى سبب لذلك الرفض الا ان الحكومة لم يعجبهم ان انعقاد ذلك المؤتمر.

— مواجهة مشكلة مكبر الصوت :

فقررت الجماعة ان تواجه تلك المشكلة باستخدام طريقة قديمة للتبليغ وهى طريقة المكبرين وحينما بدأ المؤتمر فى صباح ٢٥ من اكتوبر عام ١٩٦٣ م قام الاستاذ المودودى ليلقى خطابه الافتتاحى وكان الاستاذ المودودى يلقي خطابه كالمعكلمة وكان المكبرون يتناولونها متناوبين ويلفونها الى آخر الصفوف (١) وما ذلك الا دليلا على ان الموانع والمراقيل لا تقدر ان تصد طريق الداعية الحكيم.

— من الذى يبقى واقفا لو جلست أنا :

وحينما رأَت الحكومة أن مؤامرتها لمنع المؤتمر لم تنجح قامت بالمؤامرة الجديدة فجاءت بجماعة من المشاغبين وزودتهم بالاسلحة فدخلوا المخيم تحت رعاية رجال الشرطة وسعد حوالي ١٢ دقيقة من بدء الخطاب قام المشاغبون يهتفون ضد الاستاذ المودودى والجماعة الاسلامية فاخذوا يطلقون النار نحو المنصة التى كان الاستاذ يقف عليها فنصحه بعض من زملائه ان يجلس ولكنه رفض وقال " من الذى يبقى واقفا اذا جلست انا " فلم يزل واقفا على المنصة فسعى ذلك الوضع الحرج (٢) ومن البين الواضح أنه لم يكن هناك اى هدف من اطلاق النار الا اغتيال الاستاذ المودودى ولكن الله انقذه منهم فاستشهد احد من اعضاء الجماعة دافعا عن الجزء النسوى للمخيم فجزاه الله احسن الجزاء فكان

(١) الاستاذ خليل احمد الحامدى — الامام ابوالاعلى المودودى — حياته —

دعوتة — جهاده ص ٦٩ .

(٢) سيد اسعد الجيلانى " قافلة سغت جان " ص ٣٣٧ .

من الطبيعي بعد هذه الحادثة المؤلمة ان يصير الوضع حربا كما كان من المؤكد ان تحصل مجابهة مسلحة بين اعضاء الجماعة وبين المشاغبيين ولكن الاستاذ بادر الى تدارك الامر وأمر ان يسمدوا المشاغبيين من المخيم بدون أى تعرض لهم (١) . وهكذا قدر الله أن تخيب تلك المؤامرة للقضاء على الجماعة فله الحمد .

— الحركة الاسلامية مثل الماء الجارى :

لم يزل المؤتمر مستمرا حسب برنامجه كما لم يزل المشاغبيون يحاولون افساد المؤتمر فقررت الجماعة ان تستخدم حوالى (ألفا واخديان) من اعضاءها لحراسة المخيم ليلا ونهارا لينعموا المشاغبيين من الدخول فى المخيم . وفى اليوم التالى جاء الاستاذ بفكرة حكيمة جد بيئدة قال لزمالكه : " ان الحركة الاسلامية مثل الماء الجارى وهو اذا وجد صخرة فسوى طريقه لا يحطم عليها راسه وانما ينعطف بطبيعته يمينا او يسارا يتابع جريانه ويترك الصخرة وراءه تمضيا ناملها بالفيظ وهكذا مكره سوف يبور والله خير الماكرين " (٢) . وتنفيذا لتلك الفكرة الحكيمة قام بتقسيم اعضاء الجماعة الى مجموعات صغيرة من ثلاثة او اربعة افراد فانطلقت تلك الجماعات الى مدينة لاهور والمدن والقرى المجاورة لها فكانت تحمل للناس رسالــــة الجماعة ودعوتها وتوقظ فيهم الوعى الاسلامى . ولان خبر مؤامرة الحكومة لافساد المؤتمر والمحاولة لاغتيال الاستاذ المودودى قد انتشر فى جرائد ذلك اليوم فكانت لتلك الدعوة استقبال حاد من قبل الناس فقد رالــــه

(١) انظر الأستاذ خليل الحامدى — الامام أبوالأعلى المودودى — حياته —

جهاده ص ٦٩ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٦٩ .

أن حوالي خمسة الاف من سكان مدينة (لاهور) والقرى المجاورة لها
اصبحوا مؤيدين للجماعة (١) . وفي ٢٧ من اكتوبر ١٩٦٣ م عقدت الجلسة
الخاصة للمؤتمر وألقى الاستاذ المودودي الكلمة الاخيرة . وهكذا انتهى
المؤتمر محققا لاهدافه فله الحمد .

— مواصلة الجهاد للدستور الاسلامي :

وفي نوفمبر عام ١٩٦٣ م قامت الجماعة الاسلامية بالمطالبة بتعديل
الدستور وتغيير اسم الدولة الى (جمهورية باكستان الاسلامية) بدلا من
(باكستان) واعادة الحقوق الانسانية الاساسية الى الشعب واجراء
الاصحاحات التي لها مقدمات بحركة شعبية لتحقيق تلك الاهداف وذلك بالتعاون
مع الاحزاب والجماعات الاخرى وبد أعضاء الجماعة ياخذون التوقيعات من
الشعب على تلك المطالبات وقد اصبحت تصرفات الحكومة مجنونة بعد فشلها
في مؤامرة القضاء على الجماعة الاسلامية واغتيال اميرها خلال مؤتمرها
السني .

— حل الجماعة الاسلامية واعتقال الاستاذ المودودي وزملائه :

اغتنمت الحكومة تلك الفرصة للقضاء على الجماعة الاسلامية ، ففي ٦ يناير
عام ١٩٦٤ م اصدرت قرارا لجعل الجماعة الاسلامية جماعة مخالفة للقانون ،
فألقي القبض على ٤٤ من أعضاء مجلس الشورى للجماعة الاسلامية وعلى رؤسهم
الاستاذ المودودي واغلقت مكاتبها كما صودرت اموالها فشكلت لجنة
خاصة للحكم في تلك القضية . وجدير بالذكر ان احد أعضاء تلك اللجنة
وهو السيد / محمود كان المستشار القانوني للجنة الخاصة التي كانت قد

(١) انظر الشورى عبد الرحمن عبد — سيد ابوالاعلى مودودي ص ٢٣١ .

أصدرت قرار اعدام الاستاذ المودودي عام ١٩٥٣ م والثاني هو السيد /
شهرزاد قعالمكير الذي اصدر قرار القبض على الاستاذ وزملائه بصفته مديرا
للأمن العام (١) ولهذا لم يكن هناك اي ابهام في الحكم الذي سيصدر ضد
الأستاذ في القضية .

... عمل الدعوة يستمر في السجن :

ولم يترك الاستاذ المودودي وزملاؤه مهنتهم في سبيل الدعوة وهم
في السجن فكان الاستاذ المودودي يلقي دروسا في تفسير القرآن الكريم
والاستاذ معين الدين كان يعلم اصول الفقه ، والشورى نذير احمد كان
يعلم تجويد القرآن الكريم (٢) وهكذا وفقهم الله أن يؤدوا فريضة الدعوة
كما اوجبه الله سبحانه .

... في المحكمة العليا — قرار الحكومة قرار باطل :

قررت الجماعة ان تقدم القضية امام المحكمة العليا في شطري باكستان
اي باكستان الشرقية وباكستان الغربية وبادرت الحكومة أن تأتي بتعديل خاص
في الدستور في مارس ١٩٦٤ وكان هذا التعديل يسمح للحكومة ان تأخذ
الاجراءات اللازمة لحل أي حزب سياسي والقاضي القبض على أعضائه . وجد يسر
بالذکر ان ذلك التعديل في الدستور كان مؤثرا بالماضي منذ عام ١٩٦٠ م ،
ففي ١٣ من يوليو عام ١٩٦٤ م صدر قرار المحكمة العليا بباكستان الشرقية
أن قرار الحكومة لجعل الجماعة الاسلامية مخالفة للقانون قرار باطل وبهذا
فالقاضي على اعضائها غير قانوني (٣) وهنا اضطرت الحكومة ان تقدم القضية

(١) انظر احمد ادريس — ابوالاعلى المودودي — صفحات من حياته وجهاده ص ٨٤ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٨٥ .

(٣) انظر الشورى عبد الرحمن عبد — سيد ابوالاعلى مودودي ص ٢٤ .

الى محكمة الاستئناف فجاءت بالاتهام الجديد وهو " تلقى المساعدة المالية من دولة أجنبية " وفي ٢٥ سبتمبر ١٩٦٤م اصدرت محكمة الاستئناف قرارها التاريخي " ان الحكم على الجماعة الاسلامية بانها جماعة غير شرعية يتعارض مع حق تشكيل الجماعة الذي اعطاه لها الدستور فان قرار الحكومة غير قانوني وحكمت الحكومة بالفناء (١) ، فأعدت الجماعة على الميدان جماعة قانونية فرفعت دعوى اخرى الى المحكمة العليا للموافقة على اطلاق سراح المسجونين فصدر قرار المحكمة في ٩ اكتوبر عام ١٩٦٤م. وذلك في ثلاث جمل فحسب " الحكم بالاجماع على ان الحبس غير قانوني فيفرج عن المسجونين فوراً " (٢) .

انتخابات الرئاسة للبلاد :

وكان الافراج عن قائد الجماعة في الوقت الذي حان فيه موعد الانتخابات العامة لرئاسة جمهورية باكستان الاسلامية ، وقد اتفقت الاحزاب السياسية المعارضة فيما بينها على ترشيح السيدة / فاطمة جناح لتلك الانتخابات وذلك لكونها شخصية بارزة كشقيقة القائد محمد علي جناح مؤسس باكستان فاضطر مجلس الشورى للجماعة على الموافقة على ذلك القرار لانه لم يبق هناك اى طريق لانقاذ البلاد من النظام الدكتاتوري الايوسى الذى قد جعل وسائل الدولة لنشر المنكرات في البلاد (٣) .

-
- (١) انظر مجلة " آئين " الاسبوعية (لاهور) عدد ١٧ / ١٠ / ١٩٦٤م .
 (٢) انظر الشورى عهد الرحمن عهد - سيد ابوالاعلى مودودي ص ٣٤٣ .
 (٣) انظر المرجع السابق ص ٣٤٩ .

أجريت الانتخابات في ٢ يناير عام ١٩٦٥ م وقد استخدم ايوب خان وسائل الدولة خلال حملته الانتخابية فضلا عن الفس والتزوير فاضطرت اللجنة الانتخابية ان تاتي بالنتائج المزورة وتعلن بنجاح ايوب خان ونشل فاطمة جنا . ولكن تمكنت الجماعة خلال حملتها الانتخابية ان تبلغ رسالتها السامية الى الشعب .

— الدفاع عن البلاد :

كان الاستعمار الهندي وسي يراقب الفرصة المناسبة يفتنمها للهجوم على جمهورية باكستان الاسلامية ففي ٦ سبتمبر عام ١٩٦٥ م اعتدت على باكستان وذلك لان باكستان كان تؤيد جهاد مسلمي كشمير لتحرير بلادهم من الاستعمار الهندي وسي فاصدر الاستاذ المودودي بيانا قال فيه ان باكستان بصفتها دار الاسلام فرض على كل مسلم فيها ان يصد العدو وحتى اخر قطرة من دمه (١) ، فقررت احزاب المعارضة القيام بتأييد الدولة لمقاومة ذلك الهجوم فاستدعى ايوب خان قادة المعارضة لمقابلته لبشاورهم في ذلك الامر فقابلوه فاتفقوا معه على خطة مقاومة الهجوم الاستعماري (٢) فاعتنى الاستاذ بالقائه المحاضرات المتتالية لنشر وعي الجهاد في الشعب كما القى الخطب والمحاضرات من الاذاعة في موضوع الجهاد ومتطلباته (٣) .

— الجهاد في سبيل الله — الحل الوحيد لقضية كشمير السلمية:

قررت الجماعة ان يقوم اعضاءها لجمع التبرعات لمئات الالوف من اللاجئين الذين هاجروا الى كشمير الحرة من كشمير المحتلة . واني لأهد أولئك شاهد

(١) مجلة " ايشيا " الاسبوعية (لاهور) عدد ١٥/٩/١٩٦٥ م .

(٢) انظر الشورى عبد الرحيم من عبد — سيد ابوالاعلى المودودي ص ٣٥٢ .

(٣) انظر سيد اسعد جيلاني — سيد مودودي ، بجنين ، جواني ، برها با ،

عيان للخدمات التي قامت بها الجماعة فأقيمت حوالي عشرة مراكز في شتى مسدن
 كشمير الحرة لتوزيع تلك التبرعات على هؤلاء اللاجئيين كما انشئت عدة
 " مستشفيات " لعلاجهم . وفي نوفمبر عام ١٩٦٥ م قام الاستاذ المودودي بزيادة
 كشمير الحرة والتقى بهؤلاء اللاجئيين وسمع منهم حكايات الظلم والوحشية
 التي ارتكبها الاستعمار الهندي في كشمير المحتلة والقى عدة محاضرات
 من اذاعة كشمير الحرة كما غطى في المؤتمرات الجماهيرية ووضح فيها
 ان الطريق الوحيد لتحرير كشمير من الاستعمار البرهمنى هو الجهاد ففى
 سبيل الله (١) .

— تأليف كتاب " قضية كشمير المسلمة " وتوزيعه في مسلمي العالم :

وكتب الاستاذ المودودي خطابات مفصلة الى قادة الدول المسلمة
 وزعماء الحركات الاسلامية في شتى بلاد اسلامية وطلب منهم أن يقوموا بدعم
 حكومة باكستان ومسلمي كشمير في ذلك الجهاد كما ألف كتابه الشهير
 (قضية كشمير المسلمة) عن ذلك النزاع فأوضح فيه حقيقة قضية كشمير
 وذكر المظالم الوحشية التي كان يرتكبها الاستعمار الهندي مع مسلمي
 الكشمير وبين واجب العالم الاسلامي تجاه تلك القضية فطبعت خمس وعشرون
 ألف نسخة من ذلك الكتاب باللغة العربية وعشرون ألف نسخة باللغة الانجليزية
 ووزعت بين الحجاج في موسم الحج لعام ١٩٦٦ م . وقد ترجمه الحجاج بمعد
 عودتهم الى بلادهم الى اللغة التركية واللغة الفرنسية واللغة السواحلية (٢) .

— رفض الاستاذ الموافقة على العيد بدون رؤية الهلال :

وفي عام ١٩٦٧ م القى القبض على الاستاذ للمرة الرابعة وتلك المرة كان
 اعتقاله لرفضه الموافقة على عيد الفطر بدون رؤية الهلال فقررت الحكومة

(١) انظر الاستاذ المودودي — مسألة كشمير ص ٩٨ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٧ .

ان يكون عيد الفطر بيوم واحد قبل رؤيته لال الميـد فرفض الاستاذ الموافقة على ذلك فألقى في السجن وتم اطلاق سراحه بعد شهرين (١) .

— اتحاد الاحزاب السياسية والجماعات الدينية ضد النظام الدكتاتوري :

وفي عام ١٩٦٧م اتحدت الاحزاب السياسية والجماعات الدينية المختلفة ومنها الجماعة الاسلامية باسم " حركة الديمقراطية ضد دكتاتورية أيوب خان وبدأ الصراع الحنيف بين الشعب والدكتاتور وانعقدت المؤتمرات الشعبية في شتى مدن البلاد وقام الاستاذ المودودي مع قادة الاحزاب الاخرى بالقاء الخطابات المتتالية في تلك المؤتمرات (٢) . وهكذا انتشر الوعي السياسي والاسلامي بين الشعب .

— اتحاد الشيوعيين والاديين ضد الاسلام والمسلمين :

كان الشيوعيون والقاديانيون والمتفرنجيون والاديين يخافون نتيجة ذلك الوعي فاجتمعوا تحت راية حزب الشعب في باكستان الغربية وحزب مؤتمر الشعب في باكستان الشرقية ، وجد يربالذكر أن مؤسس حزب الشعب ورئيسه آنذاك السيد / ذو الفقار علي بوتو كان وزيراً للشئون الخارجية في حكومة ايوبخان من عام ١٩٥٩م الى عام ١٩٦٧م وقد عزل من منصبه للخيانة التي ارتكبها وكان يعرف بميله الادي والشيوعية ورئيس حزب مؤتمر الشعب هو السيد / مجيب الرحمن الذي كان في تلك الأيام مسجوناً بتهمة العمالة

(١) انظر احمد ادريس — ابوالاعلى المودودي — صفحات من حياته وجهاده

(٢) انظر سيد اسعد جيلاني : سيد مودودي بحين جواني بزوايا ص ١٥٣ —

للاستعمار الهندوسى (١) . وكلا الخزيان دخلا فى الميدان يحملان راية
الاشتراكية ويسردان نعرات القوميات الجاهلية . ولان تمويلهما كان من
قبل الدول الاستعمارية قد استخدما اموالا طائلة لنفوذهما فى الشعب
فبدأ الصراع بين الاسلاميين واليساريين فى كلا شطرى باكستان وذلك فضلا
عن الصراع القائم بين الشعب والحكومة .

— باكستان بلد أمة محمد صلى الله عليه وسلم وليس بلد أمة ماركس أو ماؤ : —

وجدت بالذكر ان الاستاذ المودودى فى تلك الايام قد سافر الى لندن
لاجراء عملية جراحية فى المثانة وكان تحت ملاحظة الاطباء ولكن حينما بلغه
خبر ذلك الصراع اضطر الى العودة الى باكستان واعلن فور وصوله بلاهور فى
يوم ٢٩ ديسمبر ١٩٦٨ م " اننا ماد منا احياء فلن يجرؤ احد على تطبيق
نظام اخر فى هذا البلد غير نظام الاسلام لان هذا البلد بلد امة محمد صلى
الله عليه وسلم وليس بلد امة ماركس أو ماؤ ، وانا اضطررنا للقتال فى سبيل
ديننا فلن نجبن او نقعد عن القتال ولوفى مشرجهات وسنقاتل فى آن واحد
كلا من الدكتاتورية والملمانية اللادينية " (٢) .

— المفاوضات : —

وكان نتيجة للضغط من قبل حركة المديموقراطيين اضطر الدكتاتور ايوب
خان الى أن يدعو المعارضة للمفاوضات وفى ١٠ مارس ١٩٦٩ بدأت المفاوضات
بين ايوب خان وبين المعارضة والاستاذ المودودى أوضح خلال تلك المفاوضات
ان مايجرى فى البلاد من الفوضى لم يكن الا نتيجة عدم تطبيق النظرية

(١) انظر احمد ادريس — ابوالاعلى المودودى — صفحات من حياته وجهاده

ص ٩٤ — ٩٥ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٩٤ — ٩٥ .

التي قامت باكستان من أجلها (١) ، ونتيجة لتلك المفاوضات وافقت الحكومة على منح البالغ حق الانتخاب وإقامة النظام البرلماني .

— الفوضى وسياسة النهب والسلب :

ولكن ذلك القرار بين الحكومة وبين الأحزاب السياسية لم يعجب قادة اليساريين كالسيد / ذوالفقار علي بوتو رئيس حزب الشعب والسيّد / عبد الحميد بها شاني رئيس حزب الشعب القومي وذلك لأنهم اعتمدوا على سياسة الفوضى والنهب والسلب والتخريب ، وبيوم واحد قبل المفاوضات وصل السيد بها شاني من داكا الى لاهور وسأل عن أعضاء حزبه : " هل أحرقت بيت المودودي " فكانت نتيجة ذلك الخطاب بان في اليوم التالي توجه حوالي ثلاثمائة نفر الى مكتب الجماعة الإسلامية بلاهور فنهبوا المكتب وكسروا كل شيء . يقبل التكسير ثم أحرقوا الكتب وفيها المصحف الشريف والتفاسير والكتب الدينية الأخرى (٣) .

— الصراع بين الإسلاميين واليساريين واغتيال الشهيد عبد الطالك :

وفي تلك الأوضاع قدم ايوب خان استقالته في ٢٥ من مارس عام ١٩٦٩م وسلم السلطة لى يحيى خان رئيس اركان الجيش آنذاك . وهكذا وقعت البلاد تحت سيطرة الحكم المرفى مرة أخرى ولم تنقطع الفوضى بل استمرت وزادت مع مرور الايام كما اشتد الصراع بين الإسلاميين وبين اليساريين حتى اواسط اغسطس عام ١٩٦٩م ان قام الشيوعيون باغتيال الشهيد عبد المسالك

(١) انظر الشورى عبد الرحمن عبد — سيد ابوالاعلى مودودي ص ٣٨٧ .

(٢) انظر سيد اسعد جيلاني — سيد مودودي — بجين — جوانى — برهايا

ص ١٥٤-١٥٧ .

(٣) انظر الشورى عبد الرحمن عبد — سيد ابوالاعلى مودودي ص ٣٨٦ .

مسؤول جمعية الطلبة الاسلامية بجامعة داکا بباكستان الشرقية . ولم تكن جريمته سوى ان طالب الحكومة بتطبيق نظام التعليم الاسلامي بدلا عن نظام التعليم العلماني (١) .

— في جامعة القزوين بالفاس (المضرب) :

وفي سبتمبر عام ١٩٦٩م سافر الاستاذ المودودي الى الرباط بالعرب ليحضر مؤتمر التعليم الاسلامي الذي عقد بجامعة القزوين بفاس وبعد ما ألقى محاضراته في المؤتمر واجتمع مع التائمين بالمؤتمر وناقش الموضوع معهم . عشر المحفلات التي اقيمت من قبل الحركة الاسلامية بالفاس .

— اعلان عن موعد الانتخابات البرلمانية وقيام الاستاذ بجولة في باكستان

الشرقية :

وفي يناير عام ١٩٧٠م اعلن يحيى خان عن موعد الانتخابات البرلمانية فقام الاستاذ بجولته لباكستان الشرقية وفي ١٩ يناير ١٩٧٠م انعقد مؤتمر الجماهير الكبير في داکا عاصمة باكستان الشرقية فدخل الشيوعيون مخيم المؤتمر يهتفون ضد الاسلام والجماعة الاسلامية وفي أيديهم السكاكين والصدسات والتنايل اليدوية وما الى ذلك من الادوات الفتاكة وكل ذلك تحت اشراف رجال الشرطة وبدأوا يضربون الحضور حتى أخرجوهم من المخيم وهكذا انتهى المؤتمر قبل بدءه فكانت النتيجة شهادة اثنين من اعضاء الجماعة كما جرحوا اكثر من عسائة من اعضاء وؤيدي الجماعة الاسلامية (٣) .

(١) انظر مجلة "بين" الاسبوعية (لاهور) ٢٩/٨/١٩٦٩م .

(٢) المرجع السابق عدد ٣٠/٩/١٩٦٩م .

(٣) انظر مجلتي اثنين الاسبوعية عدد ٢٩/٨/١٩٦٩م .

وطبق الاستاذ المودودي على ذلك الحادث في خطابه في داکا في اليوم الثاني قائلا : " اذا كانت الأمور تسير على هذا المنوال فان هؤلاء المتطرفين اذا نجحوا لن يعطوا من اجل وحدة باكستان وسلامتها بسبل من اجل تفتيتها وتجزئتها " (١) وذلك ما أثبتته الأيام فيما بعد .

— يوم شوكة الاسلام :

اطن احد قادة اليساريين السيد / بهاشاني انه سيبدأ الحركة المباشرة للنظام الشيوعي في اول يونيو عام ١٩٧٠م فدعا الاستاذ المودودي الشعب لاقامة يوم " شوكة الاسلام " في ٣١ من مايو عام ١٩٧٠م اي بيوم واحد قبل موعد بهاشاني وكان هدف تلك المسيرات الكبرى ابراز القوة الشعبوية لمقاومة الشيوعية والمطالبة بتطبيق النظام الاسلامي . وقد رال ان أن وافقت اكثر الاحزاب السياسية على اقامة ذلك اليوم وفي ٣١ مايو عام ١٩٧٠م خرج الالف من الناس الى شوارع المدن بباكستان الغربية وباكستان الشرقية في مسيرات ضخمة يهتفون " مرحبا مرحبا مصطفى مصطفى " و " لاشيرقيية ولاغربية اسلامية اسلامية " ويحملون لافتات " لا اله الا الله محمد رسول الله " و " جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا " وفي مدينة لاهور كان الاستاذ المودودي يقود تلك المسيرة بنفسه ومعه بعض القادة ويقال انها كانت اكبر مسيرة في تاريخ لاهور فقال الاستاذ في نهاية تلك المسيرة " أهنتكم على مسيرتكم التي لم تر باكستان مثلها والتي اثبتت للعالم أن شعب باكستان المسلم لا يقبل غير نظرية الاسلام ولا صيحة ولا صوت يعطو في باكستان غير صيحة لا اله الا الله " (٢) .

(١) مجلة ايشيا الاسبوعية (لاهور) عدد ١/٢/١٩٧٠م .

(٢) مجلة " آئين " الاسبوعية في ٦/٦/١٩٧٠م .

وجد ير بالذكر انه لم يكن هناك اى حريق او اطلاق نار او ارتكاب
عنف فى تلك المسيرات الكبرى . وهكذا قدر الله أن تفشل دعوة السيد /
بهاشاني لاقامة المسيرة فى تأييد الشيوعية فى اول يونيو عام ١٩٧٠ الميلادى .

— الاستاذ يحذر الشعب من خطورة التحدى :

وكان موعد الانتخابات للبرلمان المركزى فى ٧ من ديسمبر عام
١٩٧٠م فبدأت الاحزاب السياسية حملاتها الانتخابية ولكن حالة الاستاذ
الصحية لم تسمح له ان يخوض تلك المعركة ويحضر ويخطب فى المؤتمرات
الجماهيرية فى انحاء البلاد . ولكنه مع ذلك قام بجولات فى المدن الكبرى
فى باكستان الغربية والشرقى لاجراءات فى المؤتمرات الجماهيرية وبين للناس بكل
الصراحة ان الاسلام والقومية الاسلامية هما اساسان اصليان لباكستان ، واذ
نجح الشيوعيون او الذين يدعون الى القوميات الجاهلية كالقومية البنغالية
او القومية البلوخية او القومية السندية لن تكون نتيجتها الا تقطيع
البلاد (١) . ومع الاسف ان نفس النتيجة ظهرت فيما بعد لعدم عنايتهم
بنصيحة الاستاذ المودودى .

— لو اتحدت الاحزاب الاسلامية والجماعات الدينية :

وكان من سوء حظ مسلمى باكستان ان الاحزاب السياسية والجماعات
الدينية التى قد اتحدت ضد النظام الدكتاتورى الايوبى وتمكنت من انقضاء
البلاد منه والجماعات الدينية والسياسية التى قد اتحدت لاقامة يوم شوكية
الاسلام وتمكنت من الاثبات ان الشعب المسلم الباكستانى لا يقبل غير نظرية
الاسلام بدأت فيها الخلافات المذهبية والسياسية ولم تتمكن من الاتحاد فى

(١) انظر الشورى عبد الرحمن عهد — سيد ابوالاعلى مودودى ص ٤١٠ — ٤١١

مرحلة الانتخابات وذلك لان قادة تلك الاحزاب لم يتمكنوا من ادراك خطورة التحدى الذى كان فى المرماد هذا من ناحية ومن ناحية أخرى وقع بعض القادة فريسة لحؤامرة الشيوعيين والقوميين والقاد يانيين الذين كانوا يخافون عن مصيرهم لو اتحد الاسلاميون فخططوا المخططات والمؤامرات لاشغال نار الخلافات المذهبية والسياسية بين الجماعات الدينية والسياسية . ومع الاسف تمكنوا من تحقيق هدفهم الشنيع . وفى الوقت الذى قد اتحد الشيوعيون والعلمانيون والقوميون والمتفرنجون والقاد يانيون رغم خلافاتهم المديدة لم تتمكن الجماعات الدينية والاحزاب الاسلامية من تكوين الاتحاد او الانضمام تحت راية واحدة تشطهم جميعا فكانت نتيجة ذلك ان نجح حزب الشعب للسيد / ذو الفقار على بوتو فى باكستان الغربية مع ان عدد الاصوات التى حصل عليها هذا الحزب لم يتجاوز ٣٧ ٪ ونجح حزب مؤتمر الشعب للشيخ مجيب الرحمن فى باكستان الشرقية مع ان عدد الاصوات التى حصل عليها هذا الحزب ايضا لم يتجاوز عدد الاصوات التى حصل عليها الاسلاميون . ونتيجة لتركيز الاحزاب السياسية الشيوعية واللا دينية والقاد يانيين والعلمانيين والعلماء الرسميين والفرق المذهبية المتعصبة لمخالفة الجماعة الاسلامية لم تتمكن الجماعة الا من الحصول على ٤ مقاعد فى البرلمان فحسب (١) .

— حادث انفصال باكستان الشرقية :

فلاشك ان تلك النتائج كانت مؤلمة جدا ولكن الذى كان اكثر ألما من ذلك هو حادث انفصال باكستان الشرقية عن باكستان الغربية فى ديسمبر عام ١٩٧١م (٢) وذلك نتيجة لحؤامرة الاستعمار الروسى والاستعمار الهندوسى

(١) انظر المرجع السابق ص ٤١٢ .

(٢) انظر الشورى عبد الرحمن عبيد ، سيد ابوالاعلى مودودى ص: ٤١٢ .

بالاتفاق مع القوميين والشيوعيين الذين نجحوا في تلك الانتخابات . وكما ذكرنا
آنفاً قد تنبأ الاستاذ المودودي عن ذلك الحادث في خطابه ومحاضراته
خلال حلقته الانتخابية ، ولكن كان من سوء حظنا ان الاحزاب السياسية
والجماعات الدينية الاخرى لم تمتن بذلك وفشلت في الانتخابات ونجح
القوميون والشيوعيون فحدث هذا الحادث المؤلم .

— استمرار على الدعوة :

ولكن مع ذلك الحادث المؤلم لم يزل الاستاذ المودودي يقود الحركة
الاسلامية بالصمود والاستمرار فحينما اجريت الانتخابات لجمعيات الاتحادات
الطلابية في الجامعات بعد بضعة شهور نجحت فيها جمعية الطلبة الاسلامية
نجاحاً بارزاً .

— اكمال التفسير (تفهيم القرآن) :

وفي ٢٤ من ربيع الثاني عام ١٣٩٢ هـ الموافق ٧ يونيو عام ١٩٧٢ م
تمكن الاستاذ المودودي من اكمال تفسيره (تفهيم القرآن) وذلك بعد
ان استمر الاستاذ في تاليفه ثلاثين عاماً وأربعة أشهر (١) .

— المرضي والتعني عن الامارة :

وفي ٤ نوفمبر عام ١٩٧٢ م اضطر الاستاذ المودودي ان يتعني
عن امارة الجماعة الاسلامية وذلك نتيجة لشدة مرضه من ناحية ولتمنيته لاكمال
كتابه في السيرة النبوية من ناحية اخرى وهكذا بعد ما تحمل الاستاذ
المودودي مسئولية امارة الجماعة الاسلامية لاكثر من ثلاثين سنة ، اختير

(١) انظر الاستاذ المودودي — خاتمة تفهيم القرآن .

الاستاذ طفيل محمد أميرا للجماعة الاسلامية ولكنه لم يزل مركزا حقيقيا
للحركة الاسلامية ، حتى ان توفى الى رحمة ربه عام ١٩٧٩ م .

— حصول الاستاذ المودودي على جائزة الطك فيصل العالمية الاولى لخدمة
الاسلام :

ويعد بالذكر أن جهاد الاستاذ المودودي في مجال الدعوة وخدمة
الاسلام لم يكن أثره مقصورا على شبه القارة الباكندية فحسب بل قد توسعت
دائره فله الحمد الى البلاد الاسلامية كلها وكان تقديرا لجهاده الطويل
في سبيل الدعوة وخدمة الاسلام ان قررت هيئة جائزة الطك فيصل العالمية
ان تمنحه جائزة الطك فيصل العالمية الاولى لخدمة الاسلام والمسلمين (١) وذلك
في ضوء الترشيحات من قبل الحركات الاسلامية العالمية .

— الجائزة لخدمة الاسلام توقفت لخدمته للاسلام :

ويجد ربنا ان نشير هنا الى أن هذه الجائزة عبارة عن مائتي ألف
ريال سعودي وميدالية ذهبية ، قرر الاستاذ ان يمنحها لمجمع المعارف
الاسلامية بمنصورة (لاهور) لتصرف في مشاريعه الاسلامية وقال " ان الجائزة
التي اعطيت لي لاجل خدمتي للاسلام لا ينبغي صرفها الا لخدمة الاسلام " (٢)

— المرض والوفاة :

وبعد ما اشتد المرض قرر الاستاذ المودودي أن يسافر لعلاجه
الى امريكا حيث كان ابنه الدكتور احمد فاروق المودودي طبيبا في مدينة
(يقالو) وذلك في مايو عام ١٩٧٩ م (٣) ومكث هناك لعلاجه الى ٢٢ سبتمبر

(١) انظر قرار هيئة جائزة الطك فيصل العالمية الصادرة في ٢ ربيع الثاني
عام ١٣٩٩ هـ .

(٢) انظر الاستاذ خليل احمد الحامدي — مجمع المعارف الاسلامية ص ٧ .

(٣) انظر مجلة " اتش فشان " الاسبوعية بلاهور عدد خاص في ذكرى الاستاذ
المودودي لشهر نوفمبر ١٩٧٩ م ص ٤٥ .

عام ١٩٢٩م حيث توفي الى رحمة الله (١) .

ثم انتقلت جثة الاستاذ المودودي من امريكا الى باكستان في طائفة
محموزة خاصة ودفنت هناك في فناء بيته بحي الاجهزة بمدينة (لاهور)
في ٢٦ سبتمبر عام ١٩٢٩م (٢) .

وهدير بالذكر أن كان من أثر دعوته في العالم الاسلامي أن اهتم
المسلمون في كل انحاء العالم الاسلامي ان يطلوا عليه غائبا ، وفي المملكة
السعودية السعودية صدرت موافقة سامية لاهتمام الصلاة عليه غائبا في الحرمين
الشريفين وفي سائر المساجد في المملكة ، وهكذا في بعض البلاد العربية
والاسلامية الأخرى .

...

(١) انظر جريدة " الجسارت " اليومية بكراتشي عدد خاص في ذكرى الاستاذ

المودودي ص ١٠ .

(٢) المرجع السابق ص ١٦ .

الفصل الثالث

وحمة الأستافأبي الأعللى الموروى

الأصل ووحمة الأستافأ الموروى	المبحث الأول
منها النص ووحمة الأستافأ الموروى	المبحث الثانى
منها نص ووحمة الأستافأ الموروى	المبحث الثالث
منها نص ووحمة الأستافأ الموروى	المبحث الرابع

١ - دعوتنا للبشر كافة وللمسلمين خاصة،
أن يعبدوا الله وحده ولا يشركوا به شيئاً
ولا يتخذوا إلهاً ولا رباً غيره.

٢ - ودعوتنا لكل من أظهر الرضا بالإسلام ديناً
أن يخلصوا دينهم لله، ويزكوا أنفسهم
من شوائب النفاق وأعمالهم من التناقض.

٣ - ودعوتنا لجميع أهل الأرض أن يحدثوا انقلاباً
عاماً في أصول الحكم الحاضر الذي
استبد به الطواغيت و الفجرة الذين ملأوا
الأرض فساداً، وأن ينزروا هذه الإمامة
الفكرية والعملية من أيديهم، حتى يأخذها
رجال يؤمنون بالله وباليوم الآخر
ويدينون دين الحق ولا يريدون
علواً في الأرض ولا فساداً.

الاستاذ الميرزا محمد باقر الخووي

تذكرة دعاء الإسلام صفة

أصول دعوة الاستاذ المودودي

الدعوة التي قام بها الاستاذ المودودي هي نفس الدعوة الجليلة التي جاء بها رسل الله عليهم السلام من ابي الانبياء آدم (عليه السلام) الذي سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) واننا قلنا بان قام باحيائها فحسب لكان صحيحا ، ومن المطلوبان غاية هذه الدعوة هي اقامة دين الله كاملا في جميع نواحي الحياة الفردية والاجتماعية وكذلك كانت اصول هذه الدعوة هي نفس الاصول التي قامت بها الدعوة الاسلامية لاول مرة وهي باجمال وكالاتي :

- ١ - الايمان بالتوحيد
- ٢ - الايمان بالرسالة
- ٣ - التركية عن النفاق والتناقض
- ٤ - اقامة الاما مالمصالحة .

وتفصيل هذه الامور فيما يلي :

١- الاصل الأول : الايمان بالتوحيد :

والايمان بالتوحيد هو الاصل الاول لهذه الدعوة ومن مقتضياته الاول بان لا يعتقد الانسان فيما دونه الله ربا ولا معبودا ويخلص "المعبودية" بكل انواعها لله تعالى فحسب وهذه كانت الغاية التي جاء رسل الله من سيدنا آدم عليه السلام الى خاتمهم سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) لتحقيقها فلذلك قررا الاستاذ المودودي ان يقوم باحيا "الدعوة الاسلامية" كان لا بد من أن يجعلها الاصل الاول لدعوته فيقول : "دعوتنا للبشر كافة وللمسلمين خاصة ان يعبدوا الله وحده ولا يشركوا به شيئا ولا يتخذوا لها غيره" (١).

والمراد من العبودية هو ان يخص الانسان عبادته ودعوته بكل أنواعها لله تعالى فحسب وذلك في كل ناحية من نواحي الحياة حيث لا يخرج من دائرة

(١) ابوالاعلى المودودي - تذكرة دعاة الاسلام - ص ٩ .

طاعته ولو جزئياً قليلين من حياته الفرد يقول الاجتماعية ، هذا هو التصور الصحيح للعبودية الذي جاء به الاسلام . واما تصور العبودية الذي يخصها بنا حياة من نواحي الحياة الفردية او الجماعية ويترك الحياة الباقية خارجة من دائرتها فهذا ليس التصور الصحيح للعبودية بل في الحقيقة هذا التصور للعبودية مسخ فكرة الدين الاسلامي ، ولا يمكن القيام بالدعوة الاسلامية الا بالقضاء التام على ذلك التصور للعبودية فلذلك ينتقد الاستاذان المودودي هذا التصور الناقص كما يلي : " والذي نراه ونجزم به ونعتقده وندعوا الناس اليه ان العبودية التي دعت اليها رسل الله الكرام من آدم عليه السلام الى سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) المراد بها ان يقرر العبد ويحتقد انه ما من اله الا الله الفرد الصمد الحاكم بين عباده السيد المطاع في بريته المشرع للدستور والقوانين والمالك لا مورهم المتصرف في شئونهم ، المجازي على افعالهم وان يسلم نفسه لذلك لله العزيز المقدر ، ويخلص دينه له ويذعن لعبوديته في كل شأن من شئون حياته الفردية منها والجماعية الخلقية منها والسياسية الاقتصادية منها والاجتماعية ، وبهذا المعنى ورد قوله سبحانه (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) (١) الذي يأمر فيه عباده أن يدخلوا في دين الله بمجموع حياتهم (٢) .

ولان الدعوة الى العبودية الكاملة هي الغاية الاصلية فقد اتخذت الجماعة

الاسلامية كلمة شهادة " لا اله الا الله محمد رسول الله " عقيدة لها (٣) ،

(١) سورة البقرة : الاية ٢٠٨ .

(٢) الاستاذان المودودي - تذكرة دعاء الاسلام ص ١٢ .

(٣) دستور الجماعة الاسلامية بباكستان - المادة الثالثة .

فيتطلب الجزء الاول من هذه العقيدة :

١ - أن لا يعتقد الانسان فيما دون الله وليا له ووكيلا وقاضيا لحاجاته
وكاشفا لمشكلاته ومجيبا لدعواته فغير الله لا يملك بتاتا سلطة من
السلطات المطلقة .

٢ - أن لا يعتقد في غير الله أنه ينفعه او يضره ، وان لا يتقى احد غيره ، ولا
يخاف الا اياه ولا يطمع الا منه ولا يتوكل الا عليه ، فالله وحده مصدر
جميع السلطات .

٣ - أن لا يدعو الا الله ولا يتعمد الا منه ولا يستعين الا به ولا يعتقد في
غيره ان له ظلما ونفوذا في التدابير الالهية أو أن شفاعته تبسـدل
قضاء الله وقدره . فالجميع في ملكة الله سواء من الملائكة او الانبياء
او الاولياء ليسوا الا رعية التي لا تطك شيئا الا باذنه .

٤ - أن لا يطأطن رأسه امام غير الله ولا يعبد الا اياه ولا يندرا الا له ،
ولا يتعامل مع احد غير الله ما كان يتعامله المشركون مع الهتهم . فالله
هو وحده يستحق ان يؤدى له كل أنواع العبادة .

٥ - أن لا يسلم غير الله بانه ملك ، أو مالك الطك ، او مصدر السلطان العليا
ولا يعترف لاحد غير الله بحقه في الامر والنهي بناء على سلطته الذاتية
وكذلك لا يؤمن بغير الله شارعا ومقننا مستقلا بذاته ويرفض كل طاعة
لا تتبع طاعة الله ولا تلتزم باحكام الله ، فالله وحده هو مالك حقيقى
لطكه وغالق حقيقى لمخلوقه وليس لغيره أبدا حق الطكية والحاكمية
بصفة مطلقة .

- ويستوجب بعد قبول هذه العقيدة :

- ١ - أن يتنازل الانسان عن حرمة وسيادته وان يتخلى عن اتباع اهوائه وان يكون عبدا مخلصا لله الذى آمن به الهادون منازع .
- ٢ - أن لا يزعم لنفسه مالكا حقيقيا لاي شىء بل يؤمن بأن كل ما عنده ممن الاشياء حتى نفسه وجوارحه ومواهبه الذهنية وقواه الجسدية ملك لله عزوجل ووديعة له عنده .
- ٣ - ان يعتبر نفسه مسئولا امام الله ومحاسبا عنده ولا يفهمين عن الله ، ولا للحظة من البصر حين استخدامه قواه ومواهبه وعند سائر تصرفاته ومعاملاته انه سوف يحاسب على كل شىء من ذلك .
- ٤ - وان يجعل رضى الله مقياس ما يحبه وسخط الله مقياس لما لا يحبه .
- ٥ - وان يجعل ابتغاء مرضات الله والتقرب اليه غاية جهوده ومناط حياته
- ٦ - وان يتخذ هدى الله هو الهدى فى اخلاقه ومعاملاته وحياته الاجتماعية والمدنية والاقتصادية والسياسية حتى فى كل امر من امور الدنيا ، وأن يرفض كل طريق او غميلة يخالف شريعة الله (١) .

— الأصل الثانى : الايمان بالرسالة :

الايمان بالرسالة هو الاصل الثانى لهذه الدعوة الجليلة فيقول الاستاذ المودودى : " والرسالة هي العقيدة الثانية فى الاسلام بعد التوحيد فكما أن التوحيد هو أصل الدين من ناحية الاعتقاد وكذلك ان الرسالة هي أصله من ناحية الاتباع " (٢) ، ويقول الاستاذ عن مقتضيات هذه العقيدة

(١) دستور الجماعة الاسلامية بباكستان — المادة الثالثة

(٢) الأستاذ المودودى — الحضارة الاسلامية ، أسسها ومبادئها ص ١٦٢ .

ومتطلباتها : " ومن النتيجة المحتومة لمعقيدة الرسالة ان يتبع الانسان ذلك الطريق الذى سلكه انبيا الله ورسله لا فى العقائد والمبادئ فحسب ولكن فى كل شأن من شئون الحياة المعطية ، لان نور العلم والبصيرة الذى قد أنعم الله عليهم كانوا يصرفون به الفرق بين الطرق الصحيحة والباطلة على وجه اليقين ولا جله ما كانوا يتركون شيئا او يتبعونه او يأمرون به او ينهون عنه الا من عند الله " (١) .

ولهذه الالهية بالغة تمتبر عقيدة الرسالة الاصل الثانى للس دعوة الاسلامية فيقول دستور الجماعة عن مقتضيات هذه العقيدة ومتطلباتها :
 " والمراد من الجزء الثانى من هذه العقيدة ان محمد رسول الله أى أن محمدا (صلى الله عليه وسلم) هو آخر الانبياء وبواسطته ارسل الله رب العالمين ومالك هذا الكون الهداية الحقيقية والاحكام المعتمدة الى الناس كافة وأمره (صلى الله عليه وسلم) ان يكون بتطبيق هذه الهداية والاحكام المعتمدة فى حياته المعطية مثلا يحتذى وقدوة يقتدى بها .

ومن مستلزمات الايمان بهذا الجزء من العقيدة :

- ١ - ان يقبل الانسان بدون تلكؤ كل ما ثبت عن محمد (صلى الله عليه وسلم) من تعليم أو هدى .
- ٢ - وأن يكون له الكفاية بصدور الاخذ بشىء أو الكف عنه فى ان ذلك الامر بما أمر به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) او نهى عنه الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولا تستند طاعته على أى دليل آخر سواه .

٣ - وأن لا يقبل احدا سوى الرسول (صلى الله عليه وسلم) هاديا ومرشدا مستقلا بالذات ولا تكون طاعته لاحد غيره الا تابعة لكتاب الله وسنة رسوله ولا منفصلة عنهما .

٤ - وان يتخذ كتاب الله وسنة رسوله مصدرين للاحتجاج والاستناد في كل شأن من شئون الحياة وكل رأى او عقيدة او طريق يوافق الكتاب والسنة ياخذ به رأى او عقيدة او طريق يخالفهما يرفضه ويجب أن يرجع اليهما في كل محضلة تتطلب الحل .

٥ - وان ينزع من قلبه كل نوع من العصبية سواء اكانت شخصية او عائلية او قبلية او عنصرية او قومية او وطنية ولا يشغف بأحد هبا او تقديرا يفوق حبا وتقدير الحق الذى جاء به النبى (صلى الله عليه وسلم) أو يدانيه .

٦ - وان لا يتخذ بشرا سوى الرسول صلى الله عليه وسلم مقياسا للحق وكذلك لا يرى احدا يفوق الانتقاد والسؤال عما يفعل وان لا يقع في العبودية الفكرية لاحد من الاشخاص سواء (صلى الله عليه وسلم) بل يضع كل شخص على ذلك المقياس الكامل الذى وضعه الله سبحانه وتعالى ويضع كل شخص في نفس المكان التى هى له بموجب ذلك المقياس .

٧ - وان لا يقبل لاحد جاء بعد النبى صلى الله عليه وسلم مقاما يكون الاقرار به وانكاره حاسما لكون المرء مؤمنا او كافرا (١) .

(١) دستور الجماعة الإسلامية بباكستان - الهند الثالث .

والحقيقة بان الايمان بالرسول (صلى الله عليه وسلم) واطاعته واتباعه هو طريق وحيد للوصول الى مرضات الله لانه لا يمكن التعرف على احكامه الا عن طريقه صلى الله عليه وسلم ولا تعتبر اية طاعة طاعة الله الا ان تكون عن هذا الطريق . وهذا ما يتبين من تفسير الاستاذ المودودي لقوله سبحانه وتعالى : " يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ، ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً " (١) .

يقول الاستاذ المودودي " والاصل الثانى فى الاسلام هو اطاعة الرسول وهى ليست اطاعة مستقلة بل فى الحقيقة هذه هى طريقة وحيدة للوصول الى طاعة الله ، والرسول مطاع لانه واسطة وحيدة التى تصل بيننا منها التعليمات من الله ، فالطريق الوحيد الذى يمكننا ان نطيع به الله هو اطاعة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولا تعتبر اية اطاعة ، اطاعة لله الا أن تكون عن هذا الطريق وكذلك معصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) هى فى الحقيقة معصية الله وهذا ما يتضح من قوله (صلى الله عليه وسلم) " من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله " (٢) ، وهذا ما يتبين من القرآن الكريم . (٣)

والمراد من اطاعة الرسول (صلى الله عليه وسلم) كما يفهمه الاستاذ المودودي رحمه الله " ليس اطاعته (صلى الله عليه وسلم) فى دائرة معينة من دوائر الحياة الفردية أو الاجتماعية كما يفهم بعض الناس ، بل المراد الحقيقى منه هو اطاعته فى كل ناحية من نواحي الحياة الفردية والاجتماعية ولا يجوز للمسلم الحقيقى كان فرداً أو جماعة أو كان مثلاً فى الإدارة او المحكمة او حتى

(١) سورة النساء الآية ٥٩ .

(٢) صحيح مسلم - كتاب الامارة - باب وجوب طاعة الامراء فى غير معصية الا

وتحريمها فى المعصية .

(٣) تفهيم القرآن ج ١ ص ٣٦٣ .

لو كان عضو مجلس النواب او رئيس الدولة بأنه يستخدم رأيه الحر في تدبير شئون الحياة الفردية والاجتماعية بدون الاعتناء بكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) ولا يمكن لذي عقل ان يجمع بين الاسلام وبين الاستقلال الكامل عن اطاعة الله واطاعة الرسول ، بل في الحقيقة هذا هو الفرق الحقيقي بين المسلم الحقيقي وبين الكافر والمنافق ، فيقول الاستاذ في تفسيره لقول الله سبحانه (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم) (١) .

" ومن مقتضيات الايمان الأساسية ومتطلباته بأن الذي يؤمن بالله رسالاً وبمحمد رسولاً وهادياً لا يمكن له اذا كان صادقا في ايمانه أن يقدم رأيه على رضا الله ورسوله ، أو أن يحكم في المعاملات بدون أن يرجع الى الله ورسوله " ثم يقول مستمرا في تفسيره : " وجد ير بالذكر ان هذا الحكم لا ينحصر على الامور التي تتعلق بالحياة الفردية فحسب بل يكون اطلاقه على الامور التي تتعلق بالحياة الاجتماعية أيضا ، ولذلك هذا الحكم يعتبر اصل الاصول في التشريع الاسلامي ولا يجوز لحكومة المسلمين ولا لمحكمتهم ولا لمجلس نوابهم ان يكونوا أحرارا في تدبير امورهم بدون الرجوع الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم " . ثم يذكر حديث معاذ بن جبل المشهور (٦) ويقول : والحقيقة بأن تقديم كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) على الاراء الشخصية هو الفرق الحقيقي بين حكام المسلمين وقضاة تهم وبين غير المسلمين من الحكام والقضاة وهذا أمر متفق عليه في التشريع بأن المصدر الأساسي للقانون الاسلامي هو كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) ولا قياس ولا اجتهاد ولا اجماع يقبل خلاف ذلك " (٣) .

(١) سورة الحجرات الاية ١ .

(٢) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثه

الى اليمن فقال كيف تصنع ان عرض لك قضاء قان أقضى بما في كتاب الله قال فان لم يكن في كتاب الله قال فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فان لم يكن في سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال اجتهد رأبي قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدرى ثم قال الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم (مسند الامام احمد . مرويات معاذ بن جبل رضي الله عنه)

(٣) تفهيم القرآن ج ٥ ص : ٧٠ .

فيثبت كما قلنا بأنه لا يمكن لاي فرد أو قوم بأنه ينتسب الى الاسلام، وسمع ذلك يختار طريقا للحياة بدون أى اعتناء على ما جاء به الرسول (صلى الله عليه وسلم) من عند الله ، ومن يرغب ان يعيش مسلما حقيقيا فعليه ان يجعل هواه تبعاً لما جاء به الرسول (صلى الله عليه وسلم) والذي لا يقدر ذلك فهو ليس مسلماً مهما يدعى بانه مسلماً بل هو في الحقيقة منافق .

فيتحقق من كل ذلك بان الايمان بالتوحيد والرسالة والعقل بمتطلباته هو أصل الاصول في الدين ، فهذا هو كان السبب بان الاستاذ المودودي جعله حجر الزاوية لدعوته واتخذ الكلمة الشهادة عقيدة لجماعته " الجماعة الاسلامية " .

— الاصل الثالث : التزكية عن النفاق والتناقض —

من المعلوم بان النفاق هو عدم الاخلاص في الايمان ، اى دعوى الايمان بدين أو بنظام مع علاقة الاخلاص أو الرضا بنظام آخر ، وهو عدم مطابقة العمل مع القول اى يكون عمل الانسان مناقضا بما يدعيه ، فلذلك من الواضح بانه لا يمكن للانسان أن يعمل بمتطلبات الايمان بالتوحيد والرسالة ، الا اذا تخلى ايمانه عن النفاق وعمله من التناقض فلذلك لا يمكن القيام بواجب الدعوة الا بعد أن تخلو من كليهما . فلذلك جعل الاستاذ المودودي " التزكية عنهما اصلاً ثالثاً لدعوته كما يقول : " ودعوتنا لكل من أظهر الرضا بالاسلام دينا ان يخلصوا دينهم لله ويزكوا أنفسهم من شوائب النفاق وأعطاهم من التناقض " ويجدر بنا أن نذكر هنا ما هو المراد من كلمتي " النفاق " و " التناقض " عند الاستاذ المودودي حيث يجعل التزكية عنهما احدى النقاط الاساسية لدعوته فاما " النفاق " فهو ان يدعى الرجل الايمان بنظام خاص ويتظاهر بالانتساب اليه والتمسك بأن ياله ثم يعيش راضياً مطمئناً في نظام للحياة مناقض للنظام الذي يؤمن به ولا يجتهد لقلب ذلك

النظام المعارض لعقيدته واستبدال النظام الصالح به ، بل ربما يبذل جهوده ويستنفد قواه وساعيه في توطيد دعائم ذلك النظام الفاسد الجائر أو إقامة نظام باطل آخر يسد مسد ذلك النظام الجائر الذي يعمش في كنفه هادئا مغتبطا فمثل هذا الطراز من الناس كمثل المنافق (١) .

وأما "التناقض" فهو " أن يكون عمل الرجل مناقضا لما يدعيه بلسانه ويظهره في أقواله ، كما انه من التناقض في صميه ان تختلف اعمال المرء باختلاف شئون الحياة ويناقض بعضها بعضا فليس من الاسلام في شئ " أن يتبع الرجل أو امر الله ويتمسك باهداب الشريعة في ناحية من نواحي حياته ويعص أمر الله ويتعدى حدوده في شعبها الاخرى (٢) .

فالحقيقة انا فكرنا في مقتضيات هذا التفسير لكلمتي " النفاق " و " التناقض " وجدناهما السببان الاصليان لجميع أمراض المسلمين ، الخلقية والاجتماعية كما انها السببان الحقيقيان لانتشار الافكار الباطلة والحركات الهدامة كمثل الشيوعية والاشتراكية والعلمانية والقومية الوطنية بهنهموهكذا هذان هما سببان بان المسلمين مع ايمانهم بالله ورسوله (صلى الله عليه وسلم) ومع مداواتهم على الصلاة والصيام والزكوة حينما يدخلون في معركة الحياة العظيمة ويبحثون عن الحلول لمشاكلهم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لا يمنعونهم أى مانع عن قبول الحلول المستوردة اللادينية كالشيوعية والاشتراكية والعلمانية والديمقراطية الراسمالية وما الى ذلك مع كونها مناقضة بالاسلام ، فلم هذا لا بد لمن يقوم بواجب الدعوة الاسلامية أن يدعو التزكية الكاطبة عن كليهما

(١) ابوالاعلى المودودي - تذكرة دعاة المسلمين ص ١٣-١٤ .

(٢) المرجع السابق ص ١٦ .

والا لا يمكن له ان يسير على طريق الدعوة ولو خطوة واحدة ، فكان لهذا
أن جعل الاستاذ التركيبة عنهما الاصل الثالث للدعوة .

٤ - الأصل الرابع : اقامة الامامة الصالحة :

واقامة الامامة الصالحة هي الاصل الرابع لهذه الدعوة فيقول
دستور الجماعة " ان غاية الجماعة الاسلامية ومناط جميع جهودها هو : اقامة
دين الله (أو اقامة الحكومة الالهية او اقامة النظام الاسلامي) واقامة
وكسب مرضاة الله والنجاة في الآخرة اصلا (١) .

وهذا الهدف الجليل لا يتحقق الا باستبدال امامة الطواغيت
والفجرة بامامة المؤمنين الصالحين ، فلذلك قرر الاستاذ المودودي أن يجعله
الاصل الرابع لدعوته . كما يقول : " ودعوتنا لجميع اهل الارض أن يحدثوا
انقلابا عاما في اصول الحكم الحاضر الذي استبد به الطواغيت والفجرة الذين
ملأوا الارض فسادا . وان تنتزع هذه الامامة الفكرية والمعوية من ايديهم
حتى يأخذها رجال يؤمنون بالله واليوم الآخر ويدينون دين الحق ولا يريدون
في الارض طوا ولا فسادا (٢) .

والحقيقة بان العمل بمقتضيات الايمان بالتوحيد والرسالة والتركيبة
عن النفاق والتناقض لا يمكن كما يفهم الاستاذ المودودي " الا باحداث
انقلاب عام في نظام الحياة الحاضر الذي يدور قطبه حول ربح الكفر والاحساد
والفسوق والمصيان والذي يديره ويدبر امره ويسير دفعة شكونه رجال انجرفسوا
عن الله ورسوله واستنكفوا عن عبادته واستكبروا في ارضه بغير الحق فمادت
أزمة أمور العالم بأيدي هؤلاء ومدامت العلوم والآداب والمعارف والصحف

(١) دستور الجماعة الاسلامية بباكستان - المادة الرابعة .

(٢) الاستاذ المودودي - تذكرة دعاة الاسلام ص ٢٠ .

والتشريع والتنفيذ والشئون الدولية والمالية والمسائل التجارية والصناعية
تتحرك دواليبها بحركاتهم وتتمشى عجالاتها حسب ارشادهم ورغباتهم لا يمكن
للمسلم ان يعيش في الدنيا مسلطاً ، متمسكاً بمبادئه ، متبعاً الشريعة
الا ... منقذا لقوانينها في حياته العملية " (١) ويقول مستمراً في حديثه
" وكذلك ثبت لنا باليقين والبرهان والمشاهدة انه لا أمل في صلاح العالم
ولا رجاء في استقامة الامور على موازين الرشاد والحق مادام اولئك الطفلة
المنحرفون عن الله ورسوله يتصرفون في شئون الطك ويدبرون اموره ويتصرفون
على جليلها وصغيرها " (٢) .

فيتبين من هذا ان النظام الاسلامي لا يمكن اقامته الا اذا كانت
الحكومة في ايدي المؤمنين الصالحين . وهذا الهدف لا يمكن تحقيقه الا
بالقضاء التام على حكومة الفجرة والطواغيت واستبدال امامتهم الفاسدة
بالامامة الصالحة وهذا ما يجعل اقامة الامامة الصالحة اساساً من اساس
الدعوة الاسلامية . وهذا ما يتبين من كثير من الايات القرآنية ومنها قوله سبحانه
(هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره
المشركون) (٣) وقوله سبحانه (ان الحكم الا لله امر الا تعبدوا الا اياه ذلك
الدين القيم) (٤) وهذا ما يدل عليه اسوة النبي صلى الله عليه وسلم خلال حياته
المدنية .

(١) الاستاذ المودودي — تذكرة دعاة الاسلام ص ٢١ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٢ .

(٣) التوبة - ٣٣ .

(٤) يوسف - ٤٠ .

خصائص دعوة الاستاذ المودودي ومزاياها

تتميز دعوة الاستاذ المودودي بالمزايا الخاصة نشير الى بعضها فـسـى
السطور التالية :

١- الدعوة العالمية :

وأولى هذه المزايا وأهمها ان دعوة الاستاذ المودودي ، وان
نشأت في شبه القارة الباكهنديـة فانها لم تكن دائرتها مقصورة على حدود
البلاد المعينة او الطة المعينة بل كانت دعوتـه موجهة الى كل شخص من
النوع الانساني في كل مكان وفي كل زمان ، لان الاسلام هو دين عالمي
والدعوة الاسلامية دعوة عالمية فلا بد للداعية ان يقدم دعوتـه الى كل شخص
مسلمـا كان او كافرا شرقيا او غربيا ويقول الاستاذ المودودي * لان دعوتنا
هي دعوة اسلامية فلذا لكون الاسلام دين عالمي هي دعوة عالمية فلذلك
دائـرة هذه الدعوة هي ليست محدودة الى طـة معينة ومشاكلها او بـبلاد
معينة ومسائلها بل هي موجهة الى كل انسان ومسائل النوع الانساني
كلها هي مسائلنا ، ونحن نقدم حلها من الكتاب والسنة وهو حل فيه سعادة
كل واحد منا فلذلك اذا قبلها المسلمون نامل ان يقبلها " السعداء " من
غير المسلمين ايضاً * (١)

٢- اقامة الدين بكامله :

والثانية من هذه المزايا الاهتمام باقامة الدين بكامله في حين
ان الحركات المعاصرة الأخرى كانت تتسع دائرة كل واحد قنـها الى جزء
أو طى الاكثر الى بعض اجزاء الدين وهكذا لان الدين تتسع دائرته الى كل

(١) تقرير عن الجماعة الاسلامية (الجزء الاول) ص ٨٠

ناحية من نواحي الحياة الانسانية فتبهم دعوة الاستاذ المودودي بكل
 ناحية من نواحي الحياة الفردية والاجتماعية ، وهذا هو فرق اساسي بين
 دعوة الاستاذ المودودي وبين الدعوات المماصرة الاخرى كما يقول الاستاذ :
 " ان غاية هذه الحركات الاخرى هي اقامة جزء معين من اجزاء الدين او تحقيق
 هدف من اهداف الدنيوية ولكن نحن نقوم بالدين الاسلامي بكامله وغايبته
 دعوتنا في ذلك هي اقامة الاسلام بكامله " (١) .

٣- القضاء على اسطورة فصل الدين عن الدولة :

وثالثة هذه المزايا أن الجماعات والحركات الاخرى اذا كانت
 " الدينية مثلا " فلاتهمها الامور التي تتعلق بالنواحي الاخرى من الحياة
 الاجتماعية كمثل الناحية السياسية والناحية الاقتصادية وغيرها من نواحي
 الحياة الاجتماعية بل يقال بان هذه النواحي الاخرى من الحياة تتعلق
 بأهل الدنيا ولا يجدر بنا ان نلوث فيها وهكذا اذا كانت تلك الحركات
 السياسية والاجتماعية فلا تهمها الناحية الدينية من الحياة ويقال بان
 هذه الناحية من الحياة تتعلق بالعلماء والمشايخ فحسب ولا يجدر بنا ان
 ندخل فيها قط ، هكذا لا يجوز للعلماء والمشايخ بان يدخلوا في حيزنا
 ويتكلموا عن السياسة والحكومة هم في واد ونحن في واد اخر . والمعلوم بان
 هذا الفكر الخاطيء نتج من اسطورة فصل الدين عن الدولة التي جاءت بها
 الحضارة الاستعمارية الغربية ولكن الجماعة الاسلامية بكونها حركة اسلامية
 تستهدف انقلابا كاملا في جميع دوائر الحياة الاجتماعية فاهتمت بالقضاء على
 هذه الاسطورة ، فيقول الاستاذ المودودي " هذه الجماعة ليست جماعة سياسية
 او جماعية دينية او جماعة اصلاحية بمفهومها العام ، بل هي جماعة اصولية
 بمفهومها الواسع وتتسع دائرة النظام الذي قامت به الجماعة الى كل ناحية من
 نواحي الحياة الانسانية " (٢) .

(١) انظر المرجع السابق ص ٧ .

(٢) منهج الحركة الاسلامية في المستقبل ص ٤٠ .

٤ - القضاء على ثنوية الحياة :

والرابعة من هذه المزايا ان الجماعة الاسلامية تضم في صفوفها "المثقفون" بالثقافة الدينية القديمة ، و "المثقفون" بالثقافة المعاصرة الحديثة . وكلا المنصرين تحت راية الجماعة الاسلامية يبدلان جهودهما سويا لاقامة النظام الاسلامي الذي لا يمكن اقامته الا بالتعاون الكامل بينهما . وهذا التعاون بين المنصرين لا يوجد الا في الجماعة الاسلامية واما الجماعات المعاصرة الاخرى فنرى بانها اذا كانت دينية لا تسمح للمثقفين الجدد ان يدخلوا في صفوفها وهكذا اذا كانت سياسية او اجتماعية لا يدخل فيها المثقفون بالثقافة الدينية القديمة الا قليلا وكانت زعامة تلك الجماعات السياسية بأيدي المثقفين الجدد وكان اكثرهم من العلمانيين او الشيوعيين ولكن الجماعة الاسلامية بحمد الله تمكنت من جمع كلا المنصرين تحت رايتها وهكذا تمكنت من القضاء على ثنوية الحياة واسطورة فصل الدين عن الدولة التي هي من اشنع الفاسد التي جاءت بها الحضارة الغربية الحديثة (١) .

٥ - التقوى أساس للمعضوية :

والخامسة من هذه المزايا ان المقياس الذي اختاره الاستاذ المودودي لمعضوية جماعته كان مستنبطاً من الكتاب والسنة وكانت التقوى والملاقة باللله والمجاهدة في سبيله والاهتمام بحسن السيرة والسلوك من متطلباته الاولى والذي يكون مقصراً فيها لا تقبل عضويته مهما تكن مكانته في المجتمع والحقيقة ان الاستاذ المودودي كان اكثر اهتماماً بحال حياة اعضاء الجماعة الاسلامية من اهتمامه بعدد هم ، ويقول : " انه ليس من المهم ان نكثر من رجال الدعوة ،

(١) انظر الاستاذ المودودي - جماعات اسلامي كى ٢٩ سال ص: ٤٣-٤٤ .

وانما المهم ان نستجمع افراد بصيرون مضرب المثل في طهارة الذلي ونظافة التصرف ونسلمهم مانشا من الامانات ثم نطمئن باننا قد أدينا الامانة الى أهلها " (١) .

٦ - الاهتمام باستحكام النظام :

والسادسة من هذه الخصائص هو اهتمام الاستاذ المودودي بأن يكون نظام الدعوة محكما قويا لانه كان يرى ان التساهل والضعف في نظام الجماعة يؤدي الى انهيار الدعوة وفشلها فقرر ان يكون شديدا في تطبيق النظام بكل الشدة ولم يسمح للاهمال والتخلخل فيه مهما كانت الاوضاع والحقيقة ان هذا الاهتمام هو سر حقيقى لقوة الجماعة الاسلامية كما ان كثيرا من المفاسد التي نراها في الجماعات الاخرى كنتيجة للاهمال من هذه الناحية لا توجد في الجماعة الاسلامية قط . فيقول الاستاذ المودودي " من اسباب انهيار الدعوات ايضا تخلخل نظامها فقررنا ان يكون نظام دعوتنا فسي غاية الشدة ولا نتحمل ولو شيئا يسيرا من التخلخل والضعف فيه ^{نقبل} ان ينفصل عنا أعز عزيز لدينا ولكن لا نقبل ان يدخل الى نظامنا ولو ابسط جانب ممن الاسترخاء ، ان فئة غليظة في عددها قوية في نظامها مرصوفة في صفها تقلب الحشد الهائل من غناء السيل " (٢) . وهذا ما اثبتته تاريخ الجماعة الاسلامية .

٧ - نظام النقد والاصلاح :

والسابعة من المزايا اختيار الاستاذ المودودي نظاما محكما مستقلا للنقد والاصلاح داخل الجماعة ودائرة ذلك النظام تتسع من الافراد السسى الجماعة ومن الاعضاء الى الامير سويا واما النظام الذي اختارته الجماعة لاصلاح

(١) الاستاذ خليل الحامدي . الامام ابو الاعلى المودودي ، حياته ، دعوته ، جهاده ، ص ٤٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٣ .

الفرد ، فالجزء الاول منه هو الاهتمام بالاصلاح عن اريق احتساب النفس وطريقته ان كل واحد من الاعضاء لا بد له ان يقدم الى امير الفرع فى المجالس الاسبوعية تقريراً مفصلاً عن اعماله خلال الاسبوع وذلك من مداومته على الفرائض والواجبات الى اهتمامه باعمال الدعوة . والجزء الثانى منه هو نقد ذات البين وطريقته بان كل واحد من الاعضاء يهتم باصلاح اخيه واذا خالجه شىء عن اخيه عليه أن يتحدث اليه فى الخلوة ويدعوه الى اصلاح نفسه واذا لم يتحقق الاصلاح فيعرض على امير الفرع الذى يحاول الاصلاح واذا لم يتمكن من النجاح يعرض الامر على مجلس الشورى وعلى هذا القياس ، واما النظام الذى اختير لاصلاح الجماعة فهو بان امير الجماعة والمسئولين الاخرين يقدمون انفسهم للنقد فى المؤتمرات السنوية وفى اجتماعات مجلس الشورى واعضاء الجماعة واعضاء مجلس الشورى ينتقدونهم وذلك النقد تتسع دائرته من سلوكهم الفردية الى اعمالهم الجماعية والحقيقة ان هذا الاهتمام بالنقد والاصلاح لا يسمح للمفاسد الاخلاقية ان تنتشر فى الجماعة او فى اعضائها . يقول الاستاذ المودودى عن هذا الاهتمام " فالنقد اذا روعيت فيه الحدود والاداب فانه لا يعود علينا بالنفع فحسب بل هو ضرورى لاغنى عنه لاصلاح الحياة الاجتماعية وبدونه لا تستطيع اى جماعة من الجماعات المنظمة ان تبقى متمسكة بالحق سالكة طريق الصواب لمدة طويلة ويجب ان لا يكون فى جماعتكم احد يستثنى من النقد سواء كان هو اميركم او مجلسكم للشورى او جماعتكم باجمعها . وانى لأعتقد ان النقد بهذه الصفات لا مندوحة عنه للاستبقاء على صحة الجماعة . فاذا اتسد بابه فى حياتنا الجماعية - لاسمح الله - فلا بد ان يفتح على الفور باب الفساد والاضطراب الداخلى فيها (١) .

(١) الاستاذ المودودى - تذكرة رعاة الاسلام ص ٩١ .

٨ - تجنب الوقوع في الخلافات بين المسلمين ، والسمة الثامنة لهذه الدعوة هي تجنب الوقوع في الخلافات الفرعية بين المسلمين كانت فقهية أو عقائدية . فكانت الجماعات الدينية تقوم على اساس هذه الخلافات ومع الاسف هذه الحالة لم تزل تستمر وتلك الجماعات لا يهتمها الدين نفسه كما تهتمها هذه الخلافات الفرعية الواهية . فلذا لم تكن مهمتها الا بذل كل ما يمكن لا تنتشر تلك الخلافات مهما تكن اوضاع المسلمين والعلماء والمشايخ فسي روسهم وخطبهم بعضهم يكفرون البعض ويبدلون مافي وسعهم لاشعال نار تلك الخلافات الفرعية حتى تقام المجادلات والمناظرات الخاصة بينهم لتحقيق ذلك الهدف الشنيع . ومن المؤلم ان المدارس والمساجد التي تقيمها تلك الجماعات لم تكن ابوابها مفتوحة للاخرين (١) . ولكن الاستاذ المودودي حذر جماعته من الوقوع في تلك الخلافات وقال : " على اعضاء الجماعة ان يتجنبوا الامور التي تجعلهم يفرقون فرق المسلمين فلا يجعلون مساجد خاصة لصلاتهم ولا يقومون في المناظرات والمجادلات مع المسلمين الاخرين " (٢) .

ولذلك نرى بان الجماعة الاسلامية تضم في صفوفها الحنفية وأهل الحديث سوية ، وهكذا انضم بها عدد غير قليل من الذين كانوا في اول امرهم من الديوبنديين او البريلويين ، كما يستعملان هذان الاصطلاحان في شبه القارة الهندية .

٩ - البعد عن العنف والتخريب :

والسمة التاسعة التي تمتاز بها دعوة الاستاذ المودودي هي بعدها عن العنف والتخريب وتجنبها عن استخدام طرق غير قانونية وسريية مهما تكن الاوضاع لان استخدام طرق غير قانونية وسريية او وسائل العنف والتخريب هي من سمات الحركات الهدامة كالشيوعية والاشتراكية ولا يجدر

(١) انظر تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند ص ١٩٦ .

(٢) تقرير عن الجماعة الاسلامية . الجزء الاول ص ١٣ .

بالحركة الاسلامية قط ، وتاريخ الدعوة الاسلامية في دورها المكي خير شاهد على ذلك . والحقيقة بان استخدام تلك الطرق والوسائل يبعد الناس عن الدعوة وينفرهم منها لانهم لا يجدون اى فرق بينها وبين الحركات الهدامة . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان استخدام وسائل التخريب وطرق غير قانونية يتيح الفرصة للطواغيت ان يتمكنوا من تشوية صورة الحركة في اعين الناس والقضاء عليها . فلذلك تتجنب الجماعة عنها تجنبها كاملا . فيقول دستور الجماعة : " لا يقوم كفاحها للوصول الى غايتها على النشاط السرى على غرار الحركات السرية في العالم بل انها تعمل كل ما تعمل علنا وفي وضوح النهار " (١) .

١- موقف الجماعة الاسلامية من الجماعات الدينية الاخرى :

والعاشرة من هذه المزايا هو موقف الجماعة الاسلامية من الجماعات الدينية الاخرى . ونرى بان الجماعات الدينية الاخرى تظن كل واحدة منها بان الحق كله معها والذي لم يدخل فيها حقق عليه قوله " من شذ في النار " ولكن الاستاذ المودودي في اول امره حذر اعضاء الجماعة الاسلامية من الوقوع في هذه الفكرة الخاطئة في اول خطابه بعد قيام الجماعة : " ان الذين يوفقه الله بالقيام باداء واجب الدعوة ولاقامة النظام الاسلامي ليس من الضروري ان تكون لهم جماعة واحدة فحسب بل قد تكون هناك اكثر من جماعة واحدة فلا يجوز لاي واحدة منها ان تقوم بالدعوة بانها وحيدة هي جماعة اسلامية واميرها وحيد ا هو امير المؤمنين فلذلك لا بد لمن يدخل في جماعتنا يجتنب من الغلو فيها فنحن لسنا فرقة من هذه الفرق ونستعيز بالله بان بدلا من ان نتكلم من خدما للدين نكون سببا من اسباب الفساد والفتنة في الامة الاسلامية (٢)

(١) انظر المادة الخامسة (٤) من دستور الجماعة الاسلامية بباكستان .

(٢) تقرير الجماعة الاسلامية (الجزء الاول) ص ٩٠ .

البحث الثالث :منهج دعوة الاستاذ المودودي

ان منهج الاستاذ المودودي في الدعوة ، كأصول دعوته مأخوذ من الكتاب والسنة ، فيقول الاستاذ المودودي " والحقيقة أن منهاجنا كدعوتنا ، انما هو مأخوذ من القرآن الكريم وسيرة الانبياء عليهم السلام " (١) .

والاجزاء التي يشملها هذا المنهج للدعوة كالآتي :

١- الجزء الاول : القدوة قبل الكلمة : فيتطلب هذا الجزء للمنهج ان لا يبد لكل من يقبل هذه الدعوة ان يعمل بمقتضيات الاسلام ويدخل في دين الله كافة لقوله سبحانه (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) (٢) ويبدل جهوده لتزكية حياته من كل ما يخالف بمقتضيات الاسلام ومتطلباته فيقول الاستاذ المودودي :

" فالذين يقبلون دعوتنا ويظهرون استعدادهم لحمل اعبائها وتبليغ رسالتها معنا . فان اول مانا البهم به ان يدخلوا في دين الله كافة ويصطبغوا بصفتيه بجملته شئون حياتهم من فكرية وعقلية ويجعلوا سلوكهم العام في الحياة هو الدليل على اخلاصهم وتجردهم ، ويبدلون سعيهم لتزكية حياتهم وتطهيرها من كل شئ يخالف ايمانهم " (٣) .

فمن مقتضيات هذا الجزء للمنهج ان الداعية يبذل ما في وسعه لتزكيتيه وتربيته وتكوين شخصيته على المنهج الاسلامي ويجتنب في معيشته وسائل الحرام وفي معاملاته الخداع والتزوير ولا يهتم بلومة لائم في سبيل الدعوة حتى تكون حياته العملية شاهدة على صدقه واخلاصه لدعوته ولا يمكن للمرء ان يستمر في عمل الدعوة

(١) انظر الاستاذ المودودي - تذكرة دعاة الاسلام ص : ٢٥ .

(٢) سورة البقرة الاية ٢٠٨ .

(٣) الاستاذ المودودي - تذكرة دعاة الاسلام ص ٢٥-٢٦ .

الا اذا اهتم بالعمل بمقتضيات الاسلام . فيقول الاستاذ المودودي :
 " هذه هي المرحلة الاولى التي قد هيأتها لنا المشيئة الالهية بنفسها لتربية
 الافراد على ما يحتاج سلوكه هذا الطريق من الصلاح والتقوى والاخلاص والاخلاق
 القوية الطاهرة . والذين يفشلون في هذه المرحلة الاولى يتعدون عنا
 بانفسهم دون ان نحمل شيئاً في فحوصهم وتفكر في فصلهم " (١) .

والحقيقة ان هذا الجزء للمنهج له اهمية بالغة في العمل بمقتضيات
 الدعوة ولا يمكن العمل في مجال الدعوة الا بالتمسك بها فيقول الاستاذ
 المودودي :

" لا تنقص الامة الاسلامية كلمات عن الاسلام مثلثة واحاديث في الخلق مشعة
 وبحوث عن حكمة الدين تنضح على اللؤلؤ والمرجان وحكايات عن ابطال الاسلام
 تأخذ باللب والجنان ، وانما تنقصها النماذج العية للمثل العليا ، ينقصها
 رجال جسدوا في حياتهم تلك الكلمات وصدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وتنقصها
 جماعات تصدق اعمالها دعائها فلا ينطبق عليها قول الله عز وجل (لم تقولون
 ما لا تفعلون) (٢) . (٣)

الجزء الثاني : القيام بعمل الدعوة ومقتضياته : ويتطلب الجزء الثاني
 لهذا المنهج ان يقوم الداعية فعلاً بعمل الدعوة ويدعو الناس الى الحق الذي
 قد شح الله صدره له . وذلك لقوله سبحانه (كنتم خيراً ما اخرجت للناس تأمرون
 بالمعروف وتنهون عن المنكر) (٤) فيقول الاستاذ المودودي :

" والامر المهم الثاني الذي نلزمه اعضاءنا بعد قبولهم هذه الدعوة هو ان يعرفوا
 بالحق الذي شح الله له صدرهم وهداهم الى نوره من حولهم من الناس مسن

(١) الاستاذ المودودي - تذكرة دعاة الاسلام ص ٢٧ .

(٢) الصف - ٢

(٣) الاستاذ خليل الحامدي - الامام ابو الاعلى المودودي حياته ، دعوته

وجهاده ص : ٥٢ .

(٤) ال عمران - ١١٠ .

من يرتبطون بهم بروابط القرابة والصداقة او الجوار او البيع او الشراء
ويدعوهم الى الاستغلال بظلمه الوارف المريح " (١) .

ومن متطلبات الاهتمام بهذه المبادئ ان يعتنى الداعية بالامور

الاتية :

اولا : الاهتمام بالحكمة والموعظة الحسنة : والمراد من الاهتمام بالحكمة
والموعظة الحسنة خلال العمل في مجال الدعوة ان معاملة الداعية مع الناس
تكون معاملة الطبيب مع المرضى وهو يصف المرن ويدرس طبيعة المريض ويختار
له الدواء حسب المرض وطبيعة المريض - وهو لا يكون كالطبيب الذي لا يمسرف
الا استعمال ابرة واحدة ويطحمها كل من يراجعه ، هذا من ناحية ، ومن
الناحية الاخرى هو يكون كالطبيب الذي يحارب المرض ولا يحارب المريض . ويقول
الاستاذ عن اهتمامها بمنفعة بتنشئة هذه الاوصاف الحكيمة في الداعية :
" وهذا الصدق قد بذلنا اقصى ما كنا نملك من الجهد والتفكير لان نرشده
أعضاءنا والعاملين معنا الى الطريق الذي قد دعا الله اليه سبحانه وتعالى
في القران حيث يقول : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
وجادلهم بالتى هي احسن) (٦) أى ان يمرضوا الناس قبل كل شىء على
مبادئ الدين الاساسية ثم يدعوهم الى مطالبه ومقتضياته ولوازمه شيئا فشيئا
وان لا يجرعوا احدا منهم غداً يستعص على قوة هضمه . . . وان لا يقابلوا
الواقعين في الشغلة والاضلال الاعتقادي والحمل بالكرهية والاحتقار والازدراء ،
بل عليهم ان يوجهوا فكرهم الى علاجهم ومواساتهم وبذل النصيحة لهم بمثل
ما يعامل به الطبيب مريضه " (٣) .

(١) الاستاذ المودودى - تذكرة دعاة الاسلام ص ٢٩ .

(٢) سورة النحل : ١٢٥ .

(٣) الاستاذ المودودى - تذكرة دعاة الاسلام ص ٣٢ .

ثانياً : الاهتمام بجدأ الأهم فالأهم : والمراد منه الاهتمام بالأمور حسب أهميتها ومكانتها في الدين ، ومن متطلبات هذه الصدا : أن لا تقدم الفروع على الاصول ولا تقدم الاحكام الجزئية على الكليات والقواعد الشاملة وان تعالج المفاصد الاساسية قبل تهذيب المفاصد الظاهرة وقطع الفروع الخارجية وشذبيها قبل ان يعالجوا المفاصد الاساسية الثابتة من الداخل" (١) وانطلاقاً من هذا الصدا لا يقع اعضاء الجماعة الاسلامية وانصارها في الخلافات الفقهية ولا يهتمون بالفروع خلال عملهم في مجال الدعوة بل يركزون كل التركيز على الاصول والكليات ، كما كان انطلاقاً من هذا الصدا ان قررت الجماعة الاسلامية ان تجعل اقامة الحكومة الاسلامية هدفاً اساسياً لجهودها في مجال الدعوة . وذلك لان احكام الاسلام وتعليماته لا يمكن العمل بها الا باقامة الحكومة الاسلامية ، وهكذا المفاصد الاجتماعية لا يمكن القضاء عليها الا اذا كانت السلطة بايدي المؤمنين الصالحين ، و" ملخص القول ان فساد البشرية وانحراف المجتمعات وتسكع الحضارات ياتي كل ذلك من مصدر السلطة لا يخضع لوصي الله ، نعم ، واذا صلح ذلك المصدر صلحت الحياة البشرية ، واذا فسد ذلك المصدر فسدت الحياة حسب تعبير الامام المودودي رحمه الله فدفعول الامام المودودي بجماعته في الممارك الانتخابية واستخدامه كل الوسائل السلمية لاصلاح الحكم دون اللجوء الى التخريب يرجع الى نفس المنطلق" (٢) .

(١) الاستاذ المودودي - تذكرة دعاة الاسلام ص ٣٢ .

(٢) الاستاذ خليل الحامدي - الامام أبو الاعلى المودودي ، حياته ، دعوته ،

جهاده ص : ٥١ .

ثالثاً : الاهتمام بالصبر والصمود : ومن متطلبات العمل في مجال الدعوة ان يهتم الداعية بالصبر والصمود ، ويتحمل بالصبر والثبات ما ياتي فسي طريق الدعوة من الاستهزاء والسخرية والايذاء والشدائد والحقيقة ان العمل في مجال الدعوة لا يمكن الا بالاهتمام بالصبر والثبات لقوله سبحانه (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) (١) . فيقول الاستاذ المودودي : " وما لا مجال فيه للريب ان اكبر ما يحتاج اليه الانسان لسلوك هذا المنهج هو الجهد المستمر مع الصبر على الشدائد والثبات في المصاعب ، ان هو لا يرى فيسه الى مدة طويلة زرعاً اخضر من النتائج العرضية الرائعة كما يراه متملاً بين يديه يعجب نظره ويثلج صدره في عشية او ضحاها اذا ما قام باعمال سطحية عاجلة ، وبذلك ينشأ في الداعي من جهة من قوة الايمان والبصيرة النافذة ، والجهد والوقار والمروءة وسمو الاخلاق والترفع عن سفاسف الامور ما سيكون في أشد حاجته اليه في مراحل الدعوة المقبلة التي لا يكون زاده فيها الا الصبر والجهد والحكمة والبصيرة . ومن جهة اخرى فان الدعوة وان كانت لا تتقدم بهذا الطريق بخطوات سريعة الا ان كل خطوة من خطواتها فيه تكون في غاية من الرسوخ والاستحكام " (٢) .

والحقيقة ان الداعية لا يمكن له ان يستمر في عمله ولا يمكن له ان يتمكن من تحقيق هدفه الا اذا اهتم بمقتضيات هذه المبادئ ، واسوة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه في عمل الدعوة هي خير شاهد على هذا الاهتمام .

(١) سورة العنكبوت - ٣

(٢) الاستاذ المودودي - تذكرة دعاء الاسلام ص : ٣٣-٣٤ .

الجزء الثالث : الاهتمام بالاستحكام في نظام الدعوة : وهكذا من متطلبات العمل في مجال الدعوة ان يكون نظام الدعوة محكما وقويا حيث لا يدخل فيه التساهل والضعف ، وذلك لان هذا ما يؤدي الدعوة الى الفشل والانهيار فيقول الاستاذ المودودي : " من اسباب انهيار الدعوات ايضا تداخل نظامها ، فقررنا ان يكون نظام دعوتنا في غاية الشدة والقسوة ، ولا نتحمل ولا شيئا يسيرا من الضعف والتخلخل . نقبل ان ينفصل عنا أعز عزيز لدينا ولا نقبل ان يدخل الى نظامنا ولو ابسط جانب من الاسترخاء ، ان فئسة قليلة في عددها قوية في نظامها مرصوفة في صفها تغلب الحشد الهائل من غناء السيل ولذلك جعلنا من شروط العضوية ان يكون عضو الدعوة يلتزم بالفرائض ويجتنب الكبائر ويحل ما احله الله ويحرم ما حرمه الله . هذه الشروط اقل ما يلزم به المسلم من عند الله ورسوله ، ومن لا يستطيع حتى الالتزام بذلك فليس منا " (١) .

الجزء الرابع : الاهتمام بالتكوين والتربية : ومن متطلبات

العمل في مجال الدعوة هو الاهتمام بالتكوين والتربية ، وذلك لان الداعية لا يمكن له ان يستمر في عمل الدعوة الا اذا كان قويا في العقيدة وموثوقا في سلوكه الفردي ، وهذا ما يحتاج اليه الاهتمام بالتكوين والتربية . فيقول الاستاذ المودودي :

" ما يدل عليه مشاهدات ان الشيء الذي ضرب في النهاية الحركات والدعوات هو انضمام اليها رجال غير مستقيمين السيرة وفي ضوء هذه المشاهدات والتجارب أرى انه ليس من المهم ان نكثر من رجال الدعوة . وانما المهم أن

(١) الاستاذ خليل الحامدي - الامام ابو الاعلى المودودي ، حياته ، دعوته

أن نستجمع افرادا يصيرون مضرب المثل في طهارة الذيل ونظافة التصرف
وتسلمهم مانثاء من الامانات ثم نظمئن باننا قد أدينا الامانة الى اهلها" (١) .
ويقول الاستاذ المود ودى متكلما عن اهمية التربية في الدعوة :

"الذين ننظمهم في سلك التنظيم الواحد نعنى بتربيتهم الفكرية والخلقية
حتى تكون فكرتهم اكثر وضوحا وقلوبهم اكثر نزاهة وقوة واجد ربالثقة والاعتماد ،
ولا يخفى علينا منذ اول أمرنا انه من المستحيل ان يقوم النظام الاسلامى
بمجرد رسم الخطط على القرطاس والدعاوى الفارغة بل الذى يتوقف عليه قيامه
ونفاذه هو: هل يستند هذا النظام الى مواهب فكرية انسانية وطباع فردية
صالحة ام لا " (٢) .

وجد ير بالذكر ان الاسلوب الذى اختاره الاستاذ المود ودى لاعداد
الرجال للوصول الى هذه الغاية لم يكن اللجوء الى الكهوف والخانقاهات
والحجرات اوممارسة الاساليب الخاصة المروجة عند شيوخ الطرق بل كان نفس
الاسلوب الذى قد اختاره القائمون بعمل الدعوة في كل زمان ، وهو الانشغال
بعمل الدعوة فعلا والاهتمام المستمر بالتمسك بمتطلبات الدعوة في الحياة
العملية ، كما يقول الاستاذ المود ودى : " لانحتاج في اعداد الرجال اللجوء
الى الصغار والكهوف ، ولا الى اختيار اساليب معينة في تزكية القلوب بل
الطريق الصحيح للتربية ان ينهض الرجل للدعوة الى دين الله ، فانه بمجرد
ان يقوم بهذا الامر يتسارع الناس الى وضع اصابعهم على ما فيه من نقص وعيب
متسائلين : كيف ان فضيلة الداعية ينصحنا بكذا وكذا من العيوب . هذه هى
التربية التى ينالها كل من يتولى مهمة الدعوة يوميا ، فيكون مثله كمثل اناء تدلكه

(١) المرجع السابق ص ٤٣ .

(٢) الاستاذ المود ودى - واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ص ١٨٤ .

الايدي الكثيرة الى أن تصقله جيدا ولا تترك عليه شيئا من الاوساخ
ولا أعرف اسلوبا آخر أكثر نفعا وأقوى تأثيرا لاعداد الرجال غير هذا الاسلوب
ولا ارى كذلك ان هذا النمط من التربية يمكن الحصول عليها في الخانقاهات
والحجرات " (١) .

٤ - الجيش الخامس - الاهتمام باصلاح المجتمع : والمراد منه اصلاح

المجتمع في كل ناحية من نواحيه ، وتتسع دائرته الى كل طبقة من طبقاته
المختلفة ، والحقيقة ان الدعوة الاسلامية لا يمكن تحقيق اهدافها الا بالعناية
باصلاح المجتمع ، والنظام الاسلامي لا يمكن اقامته حتى تليق الحالة الاجتماعية
لاقامته ، فلذا لا بد لمن يقوم بواجب الدعوة الاسلامية ان يهتم باصلاح المجتمع
بكل العناية والاهتمام فكان من هذا المنطلق ان قرر الاستاذ المودودي أن
يهتم باصلاح المجتمع بصفة خاصة ويجعله احدى العبادي الأساسية لبرنامج
دعوته (٢) ، وفي هذا الصدد رأى الاستاذ مناسبا ان يختار اسلوب التصنيف
وذلك ليكلف الرجل المناسب للعمل في مكانه المناسب ، فكان من هذا المنطلق
أن قسم الاستاذ المودودي العاطلين في مجال الدعوة للعمل في الدوائر
المختلفة ، وذلك حسب مواهبهم الشخصية ودائرة عملهم في المجتمع
فمنهم من كلف للعمل في طلاب الجامعات والكليات الحديثة ، ومنهم من
بدأ عمله في طلاب المعاهد الدينية ، ومنهم من اعتنى بالعمال في المصانع
ومنهم من بدأ عمله في الفلاحين واهل القرى ، ومنهم من بدأ يعمل في
الموظفين في الدوائر الحكومية المختلفة ، ومنهم من بدأ يبذل جهوده للعمل
في اساتذة الجامعات والكليات الحديثة ، ومنهم من بدأ عمله في العلماء والشايخ

(١) الاستاذ خليل الحاطي - الامام ابو الاعلى المودودي - حياته ودعوته ،

وجهاده ص ٤٤-٤٥ .

(٢) انظر للتفصيل الاستاذ المودودي - واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ،

ومنهم من دخل في ميدان الشعر والادب ومنهم من دخل في مجال الصحافة
ومنهم من بدأ يعمل في رجال القانون والمحامين ومنهم من بدأ يشتغل
في الدكاترة والمهندسين وهؤلاء العاملين في الدعوة في دوائر المجتمع
المختلفة كل واحد منهم يحمل للوصول الى نفس الهدف فيقول الاستاذ
المودودي : " فهؤلاء جميعا وان كانوا قائمين باعمالهم في دوائرهم الخاصة ،
ولكن قد وضعوا امام اعينهم مقصدا وحيدا ومشروعا بعينه يريدون ويجهدون
ليوجهوا اليه جميع طبقات الامة " (١) . فكان بفضل الله ثم بفضل هذا
الاسلوب الحكيم ان تمكنت الجماعة من نشر دعوتها في كل طبقة من طبقات
المجتمع المختلفة ومن انقاذهم من الشيوعية والاشتراكية والعلمانية وما الى
ذلك من الحركات الهدامة .

الجزء السادس : اصلاح الحكومة : من المعلوم ان الدعوة الاسلامية
لا يمكن العمل بمطالباتها الا باقامة النظام الاسلامي ، وهذا الهدف السامي
لا يمكن تحقيقه الا اذا كانت السلطة في ايدي المؤمنين الصالحين الذين
تكون فاية حكمهم الاهتمام بتنفيذ الحدود الشرعية والعمل بالتعليمات
الاسلامية من ناحية ، والقضاء التام على الفاسد الاجتماعية والحركات الهدامة
في المجتمع الاسلامي من الناحية الاخرى ، فاصلاح الحكومة اذن واجب
ديني لا يمكن للداعية ان ينصرف عن ادائه مهما تكا الازواج فيقول الاستاذ
المودودي متكلما عن اهمية اصلاح الحكومة : " فان الفساد الذي يبيث في
الناس اثاره معتمدا على قوى التعليم والقانون والادارة وتوزيع الرزق لا يمكن
ان يجدي شيئا في قمحه ما يبذل من الجهود للاصلاح والبناء بالاعتماد
على وسائل الوعظ والتلقين والدعوة والارشاد فحسب ، فان كنا نريد اليوم

(١) الاستاذ المودودي : واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ص ١٨٥ .

أن تصرف بنظام الحياة في بلادنا عن طريق الضلال والفساد والفسق
والعصيان ونسيير به في طريق الاسلام المستقيم ، فلا بد لنا ان نبذل جهودنا
بطريق مباشر في ازالة الفساد عن منصة النفوذ والسلطة واحلال الصلاح
مكانه (١) .

وكان من هذا المنطلق ان قررت الجماعة الاسلامية ان تخوض فسي
سشارك الانتخابات لكي تربي الرأي العام وتطهر طريقة الانتخاب من الفسح
والتزوير ، مهذا تتمكن من الوصول الى السلطة لاقامة الحكومة الاسلامية وتنفيذ
الحدود الشرعية .

فيجب ان اسلفنا ان منهج الاستاذ المودودي في الدعوة كان مستنهدا
من الكتاب والسنة واسوة النبي صلى الله عليه وسلم . هذا من ناحية ، ومن
الناحية الاخرى يتسع نطاق دائرته الى كل ناحية من نواحي الحياة الفردية
والاجتماعية .

...

(١) الاستاذ المودودي : واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ص : ١٨٧ .

المراحل التي مرت بها دعوة الاستاذ المودودي

كما أسلفنا ان الاستاذ المودودي بدأ عمله في مجال الدعوة عام ١٩٢٩م حينما افرغ نفسه ليستمد لمهمة الدعوة السامية وظل يقود الحركة الاسلامية فسي شبه القارة الهندية ، فكريا وعليا ، لهوالى نصف قرن . ومرت الحركة خلال هذه العدة بمدة مراحل حسب مقتضيات الظروف والاضاع ، ولا يمكن لنا أن نفهم هذه الدعوة فهما صحيحا الا اذا فهمنا مراحلها المختلفة فترى ضروريا ان ندرس هنا هذه المراحل دراسة اجمالية . فيمكن لنا ان نقسم هذه المراحل كالآتي :

- ١ - الاستعداد للدعوة .
- ٢ - بداية الدعوة .
- ٣ - التكوين والتربية .
- ٤ - الجهاد لاصلاح المجتمع واقامة الحكومة الاسلامية .

واليك موجز هذه المراحل :

المرحلة الاولى : استعداد الاستاذ المودودي لعمل الدعوة :

في أواخر عام ١٩٢٨م قرر الاستاذ المودودي ان يترك مجال الصطفة ويفرغ نفسه ليستمد لمهمة الدعوة الجليلة استعدادا كاملا وكان لهذا القرار ان ترك الاستاذ عمله كرئيس التحرير لجريدة " الجمعية " وغادر " دهلي " الى " حيدر اباد الدكن " حيثما بدأ يقضى معظم اوقاته في المطالعة استعداد للقيام بواجب الدعوة . واستمر في ذلك حتى نهاية عام ١٩٣٢م فيقول الاستاذ عن ذلك الاستعداد " افرغت عام ١٩٢٩م الى ١٩٣٢م العديد من خزانات الكتب والمراجع في ذهني استعدادا للمهمة الجديدة ، مهمة الدعوة الى الاسلام فسي عصر طي " بالافكار والتيارات ، عصر يفرض على الداعيان يتزود بزاد علمي شامل ، وان يحللي بعضا من البرهان يتوكأ عليها ويهش بها على غنه ويحقق بها

مآرب أخرى* (١) . والحقيقة كان بفضل ذلك الاستعداد التام لعمل الدعوة ان تمكن الاستاذ المودودي من قيادة الحركة الاسلامية في هذا العصر الطي* بالتيارات والتحديات . كما تمكن من مواجهة التحديات بواجهتها الاسلام والمسلمون نتيجة لاستيلاء الاستعمار الاوربي الفاشم وحضارته الجاهلية على العالم الاسلامي .

٢ - المرحلة الثانية : بداية الدعوة والاهتمام بالنقد للجاهلية الحديثة:

وبعد استمداه لعمل الدعوة قرر الاستاذ المودودي عام ١٩٣٣ م أن يقوم بواجب الدعوة بتولييه ادارة مجلة (ترجمان القرآن) الشهرية التي كانت تصدر من حيدر اباد الدكن . ويشير الاستاذ الى هذه المهمة الهمة بقوله الافتتاحية للمعدد الاول لهذه المجلة حيث يقول : " ان هذه المجلة توضع اليوم قدمها في طريق محفوف بالمصاعب والمحن وتولى عنها لرجل يحترف لا اعتراف المجاملة بل اعتراف الحقيقة بانه ضعيف فاقد القيمة صفر اليمين ، ولكنه رغم وعورة الطريق استعد لحمل هذا العبء على يقين واضح بان الله الذي نور قلبه بالاسلام وخلق في نفسه حب الدعوة اليه هو الذي سؤوف يؤازره بنصره من عنده ويمنحه الرسوخ في العلم والصحة والفكر والسلامة في القلب والطهارة في النفس والسمو في الروح (٢) .

وقرر الاستاذ ان يبدأ عمله في هذا المجال بالنقد للنظريات اللادينية والفلسفات المادية التي جاءت بها الحضارة الحديثة تحت رعاية الاستعمار الاوربي الفاشم لانقاذ المسلمين من عبوديتها الفكرية . هذا من ناحية ومن ناحية اخرى بعرض مبادئ الاسلام الاساسية لكل دائرة من دوائر

(١) الاستاذ خليل الحامدي : الامام ابوالاعلى المودودي ، حياته ، دعوته ،

جهاده ص ١٨-١٩ .

(٢) المرجع السابق ص ١٩ .

الحياة المختلفة ولاعادة ثقتهم في الاسلام لقيام بالبشرية في هذا العصر وذلك بالاسلوب المصرى الجذاب مؤيدا بالبراهين العقلية القوية والادلة من الكتاب والسنة . وهذا ماكان يشير اليه غلاف المجلة في كل اعدادها بالعبارة التالية :

" ان هذه المجلة فريدة في نوعها في انحاء شبه القارة الهندية وغايتها الوحيدة اعلاء كماله والدعوة الى الجهاد في سبيل الله ومهبتها الاصلية هي نقد الافكار الحديثة ومبادئ الحضارة والمدنية السائدة بحكم القرآن ، ثم عرض المبادئ التي جاء بها كتاب الله وسنة رسوله في كل مجال من مجالات الفلسفة والعلم والسياسة والاقتصاد والمدنية والاجتماعية وتطبيق تلك المبادئ على ظروف العصر الحاضر وان هذه المجلة تدعو الامة المسلمة الى حياة جديدة وخالصة دعوتها " ايها الناس اجملوا قلوبكم وانهانكم مسلمة خاضعة لله وتخلوا عن نظم الجاهلية واسلكوا صراط الله المستقيم وخذوا كتاب الله بالقوة لتكونوا سادة العالم وائمة الحضارات " (١) .

وجملة القول ان تناول الاستاذ الجاهل ية القديمة والجاهلية الحديثة بكل انواعها وانتقدها بالبراهين والادلة القوية كماخذ النظريات اللادينية والفلسفات المادية التي جاءت بها الحضارة الجاهلية الحديثة وانتقدها بالادلة والبراهين كما انتقد الدعوات والحركات التي انشئت في المجتمعات الاسلامية تحت رعاية الاستعمار ولتحقيق اهدافها كما انتقد القائلين بتفسير القرآن لتأييد ما جاء به الحضارة الجاهلية الغربية وكذلك انتقد المنكرين للسنة النبوية . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى اهتم الاستاذ ببيان النواحي المختلفة لنظام الحياة الاسلامى ، وبين أن الاسلام دين كامل يشمل كل ناحية من نواحي الحياة الفردية والاجتماعية ويحل مشكلات الحياة الانسانية كلها ، وذلك

(١) الاستاذ خليل الحامدى : الاطام ابوالاعلى المودودى بحياته ، دعوته ،

بأسلوب يفهمه الانسان المصرى ، وبالأدلة من الكتاب والسنة والبراهين
العقلية القاطعة (١) .

تمتد تلك المرحلة للدعوة من عام ١٩٣٣ م الى عام ١٩٤١ م والكسب
والبحوث التي اصدرها الاستاذ المودودى خلال تلك الفترة حول مقتضيات
تلك المرحلة للدعوة هي كالآتى :

- ١ - الحضارة الاسلامية - اسسها ومبادئها .
- ٢ - مسألة الجبر والقدر
- ٣ - نحن والحضارة الغربية .
- ٤ - الاسلام فى مواجهة التحديات
- ٥ - مبادئ اسلامية حول الدين والدولة
- ٦ - حقوق الزوجين
- ٧ - حركة تحديد النسل .
- ٨ - مبادئ الاسلام
- ٩ - فى محكمة العقل - التوحيد
والرسالة والاخرة .
- ١٠ - اسس الاقتصاد بين الاسلام والنظم المعاصرة .
- ١١ - الحجاب
- ١٢ - الخطب
- ١٣ - نظرية الاسلام السياسية
- ١٤ - نظرة فاحصة على العبادات الاسلامية
- ١٥ - تجديد الدين وحياته
- ١٦ - كيف تقام الحكومة الاسلامية
- ١٧ - استفسار زوبال
- ١٨ - المصطلحات الاربعة فى القرآن
- ١٩ - الاسلام والجاهلية
- ٢٠ - منهج جديد للتعليم والثرية
- ٢١ - معضلات الانسان الاقتصادية وتحولها فى الاسلام . (٢) .

وجدير بالذكر ان هذه الكتب لها دور هام فى انتان المسلمين من
العبودية الفكرية للحضارة الغربية ، واعادة ثقتهم فى صلاحية الاسلام لقيادة
البشرية فى هذا العصر . ويقول الاستاذ احمد ادريس عن تلك المرحلة للدعوة

(١) انظر الاستاذ المودودى : جماعت اسلامي كالمقصد ، تاريخ اور لائحة عمل ص : ٢١-٢٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٦-٢٧ .

* والواقع أن الدارس للحركة التي أسسها الاستاذ المودودي يلاحظ أن (ترجمان القرآن) كانت المشعل الذي أضأ طريقها ، فيها رسي الاستاذ عقولا وبها نشر دعوته وأزال كتلا من التصورات الخاطئة ، وفتح قلوبها وغزا أفئدة ، نزل الاستاذ ميدان الجهاد وفي يده سلاح واحد اعتمد عليه في تأسيس الجماعة الاسلامية التي تعتبر من اكبر وانجح الحركات الاسلامية في العالم كله ، وجعل مقالاته جيوشا تغزو العقول وتخضع القلوب ، وهو امر فريد في ذاته وترجمان القرآن التي اسس بها الاستاذ حركته هي بلاشك حجر الزاوية في هذه الحركة * (١) .

ويقول الاستاذ مسعود الندوي : " وجطة القول ان بضع السنين الاولى من مجلة ترجمان القرآن ، كانت اعوام نشر الفكرة وبث مبادئ الدعوة كأن صاحبها مهد السبيل بذلك وهياً الاسباب لما كان يريد من اقامة حركة دينية شاملة ، وكان مساعيه في تلك الاعوام كانت بمثابة نواة للحركة الاسلامية الخالصة * (٢) .

وكان خلال تلك المرحلة للدعوة الاسلامية بان الاستاذ المودودي اهتم ببيان موقف (الحركة الاسلامية) من كل من حزب المؤتمر الهندي وسياسته تجاه الاسلام والمسلمين وحركة القومية الهندية الوطنية وحزب رابطة المسلمين وسياسته كما كان خلال حديثه حول هذه الموضوعات بانه بين الفرق بين الاسلام وبين ما ينتسب الى المسلمين وبين الجماعة الاسلامية وبين احزاب المسلمين السياسية وذلك بالادلة من الكتاب والسنة والبراهين العظيمة القوية وقد صدرت بحوثه حول هذه الموضوعات فيما بعد بصورة كتب مستقلة

(١) احمد ادريس : ابوالاعلى المودودي ، صفحات من حياته وجهاده ،

(٢) الاستاذ مسعود الندوي : تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند ص ٢٨٠ .

وهي : ١- المسلمون والصراع السياسي الحاضر - ثلاثة اجزاء ، و مسألة القومية (١) . كما كان خلال تلك المرحلة هاجر الاستاذ الى قرية " دار الاسلام " ليجعلها مستقر الدعوة وذلك تلبية لدعوة الدكتور محمد اقبال (٢) .

المرحلة الثالثة : تأسيس الجماعة والاهتمام بالتكوين والتربية ونشر الدعوة :

تبدأ تلك المرحلة للدعوة الاسلامية من تأسيس الجماعة الاسلامية في اغسطس عام ١٩٤١ الميلادي وتمتد الى استقلال البلاد عام ١٩٤٧ م ، وتماز هذه الفترة للدعوة الاسلامية بالعناية بالتكوين والتربية والاهتمام بنشر الدعوة الاسلامية . واختارت الجماعة برنامجا خاصا لتربية اعضائها من النواحي الفكرية والعلمية والعطية . ويشمل هذا البرنامج دراسة القرآن والحديث والعلوم الدينية الاخرى فضلا عن دراسة العلوم الاجتماعية الحديثة هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى يركز هذا البرنامج على تربية عطية لاجراء الجماعة الاسلامية من النواحي الخلقية والدينية والسلوكية ، وذلك ليتمكنوا من اداء واجب الدعوة ومن مواجهة التحديات التي كان لابد ان تواجههم في طريق الدعوة .

وكان لذلك التركيز على التكوين والتربية للاعضاء ان قرر مجلس الشورى للجماعة الاسلامية نقل مقرها الرئيسي من مدينة (لاهور) الى قرية (دار الاسلام) التي ذكرنا عنها انفا وذلك لكونها بعيدة عن المدن في وسط

(١) انظر الاستاذ المودودي : جماعت اسلامي ك مقصد تاريخ اور لائحة عمل ص ٣١-٣٢

(٢) انظر احمد ادريس : ابوالاعلى المودودي : صفحات من حياته وجهاده ،

الغابات . ويقول الاستاذ المودودي عن ذلك القرار لمجلس الشورى : " كنا نستهدف من وراء هذه الهجرة ان نجلس في قرية هادئة لنقوم على تربية أعضاء الجماعة ومؤيديها تربية ثقافية ومعنوية وتنظيمهم على اقوى قواعد وأصمد خطوط ليمتكنوا من مواجهة الظروف التي سوف تنشأ في المستقبل لو فشلت حركة انشاء باكستان - لاسمح الله - وكذلك لمواجهة الظروف من نوع آخر اذا نجحت تلك الحركة وانقسمت شبه القارة الى الهند وباكستان . لانه من المحتمل بنسبة قوية بعد هذا التقسيم ان يدخل المسلمون في الهند فسيبتاع والمشاكل التي لانهاية لها ، فيكونون في حاجة الى من يواسيهم وينمشهم من جديد وينظم امرهم على قاعدة صاعدة تحافظ على كيانهم وتضمهم من ان يتلاشوا في المجتمع الوثني العنيد ، وان يدخل الاسلام في باكستان في محنة قاسية على ايدي قادة باكستان فتكون باكستان احوج منها تكون الى جماعة ترغم القيادة الباكستانية على انجاز وعودها لتطبيق الاسلام في ناحية ، ومن ناحية اخرى تسهر على اعداد الشعب الباكستاني شعبا مسلما واعيا لا يقبل سوى الاسلام بدلا " (١) .

وتمتاز تلك المرحلة للدعوة بالمزايا العديدة يذكر منها بعض زملاء الاستاذ المودودي فيقول الاستاذ سمعود الندوي : " وجمة القول ان الجماعة في السنين الارلى من حياتها عنيت بوجه خاص بنشر الدعوة وتعميم كلمتها في الديار الهندية واداء الشهادة القولية على اتم طريق واحسنه وذلك في مختلف اللغات الهندية الراجعة في اقطارها المترامية الاطراف ، الا ان معظم كتبها ومؤلفاتها باللغة الاردية ، لغة مسلمي الهند عامة ، وكذلك اهتمت الجماعة اهتماما بالغا باداء الشهادة العظيمة بان يظهر أعضاؤها في أخلاقهم ومعاملتهم وسائر اعمالهم بمظهر وضي وقور يكون حجة قاطعة

(١) الاستاذ خليل العامدي - الامام ابوالاعلى المودودي - حياته ، دعوته

للاسلام على اهل هذا العصر بانهم اذا شوهوا في متاجرهم واسواقهم وعولوا في معاملتهم و امتحنوا في انديتهم ومدارسهم يتجلى لمن يشاهدهم ويعاملهم ويستحسنهم ان الذي ينبغي ويكون مثل هؤلاء الرجال الصالحين في معاملتهم والصالحين في شؤنهم لا بد ان يكون دينا الهيارانيا صالحا للمجتمع والعمران في كل عصوره أجل ذلك بالفت الجماعة في الاهتمام بتربية اعضائها وتنشئتهم على الاداب الاسلامية والاخلاق الفاضلة واختارت لذلك طرقا ومناهج نافعة ومثمرة (١) .

ويقول الاستاذ خليل الحامدي : " شرعت الجماعة الاسلامية فسي مهمتها بتعميم الدعوة ونشر فكرة الاسلام ففي جانب كان الاستاذ المسودوي لا يزال ينشر آراءه وافكاره في مجلة (ترجمان القرآن) ويلقى المحاضرات فسي مواضيع اسلامية امام طلاب الجامعات واساتذتها كما ظهر في الجماعة نخبة من المؤلفين وقفوا حياتهم ومواهبهم لاستجلاء محاسن الاسلام باسلوب عصري متين . وفي الجانب الاخر عنيت الجماعة بتربية اعضائها على الاخلاق الاسلامية وحثهم على اداء شهادة الحق قولاً وعملاً اي الشهادة التي انيطت بها الامة المسلمة في قول الله عزوجل : (وكذلك جعلناكم امة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) (٢) . وكان جعل اعتمادها في هذه المرحلة على امور ثلاثة :

١ - الدعوة : من واجب كل عضو أن يزود نفسه بما يقدر عليه من العلم والدراسة ويعمر بالدعوة ومطالبتها وتفصيلها على كل من يتصل به من اقربائه واصدقائه وغيرهم من المسلمين ويلزم نفسه بالصدق والامانة وقول الحق والكسب الحلال .

(١) الاستاذ مسعود الندوي : تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند ص ٢٨٩ .

(٢) سورة البقرة الاية ١٤٣ .

٢ - المحافظ على نظام الجماعة .

٣ - ممارسات النقد في داخل الجماعة وخارجها (١) .

وكان بفضل ذلك الاهتمام بالتكوين والتربية لاجزاء الجماعة ان تمكنت

الجماع من مواصلة جهادها في الظروف القاسية التي واجهتها فيما بعد .

والكتب والبحوث التي صدرت حول مقتضيات تلك المرحلة للدعوة الاسلامية

هي كالاتي :

١ - الاسس الاخلاقية للحركة الاسلامية .

٢ - الدعوة الاسلامية ومتطلباتها .

٣ - دعوة الجماعة الاسلامية

٤ - شهادة الحق

٥ - اصلاح والفساد

٦ - الدين القيم

٧ - الطريق الى السلام

٨ - نظرية الاسلام الخلقية

٩ - الدعوة الاسلامية ومنهجها

١٠ - عقوبة المرتد في الاسلام

١١ - بداية تاليف تفهيم القرآن

١٢ - رسائل ومسابقات (الاجزاء الابتدائية)

١٣ - الدعوة الاسلامية ومستقبلها في الهند

١٤ - تقرير عن الجماعة الاسلامية (من الجزء الاول الى الجزء الخامس) (٢)

ولا تزال تعتبر هذه الكتب حجر زاوية للبرنامج التربوي للجماعة الاسلامية

حتى اليوم .

المرحلة الرابعة : الجهاد لاصلاح المجتمع واقامة الحكومة الاسلامية :

تبدأ هذه المرحلة للحركة الاسلامية بعد استقلال البلاد عام ١٩٤٧م

ولا تزال مستمرة حتى اليوم ، قد انقسمت شبه القارة بعد الاستقلال الى دولتين

مستقلتين : الهند وباكستان . ومع هذا التقسيم لشبه القارة الهندية انقسمت

(١) الاستاذ خليل الحامدي : نظرة قاصرة على الجماعة الاسلامية بباكستان . (٩-١) .

(٢) الاستاذ المودودي : جماعت اسلامي كالمقصد ، تاريخ اور لائحة عمل صفحة

الجماعة الاسلامية الى :

- ١- الجماعة الاسلامية بالهند
- ٢- الجماعة الاسلامية بباكستان
- ٣- الجماعة الاسلامية بولاية جامو وكشمير المحتلة (١) .

ولأن الاوضاع في كل من تلك البلاد كانت تختلف فيما بينها ، فاخترت كل من تلك الجماعات برنامجا للعمل حسب اوضاع بلادها ، فأما الجماعة الاسلامية بالهند والجماعة الاسلامية بولاية جامو وكشمير المحتلة فاخترتا نفس البرنامج للعمل في مجال الدعوة الذي قد اختارتها الجماعة الاسلامية قبل تقسيم البلاد . واما الجماعة الاسلامية بباكستان . اخترت لها البرنامج الجديد حسب أوضاع دولة أنشئت لاقامة الحكومة الاسلامية ، فنحن نشير هنا الى بعض المزايا لمنهج الحركة الاسلامية في كل من تلك البلاد في تلك المرحلة للدعوة .

وأما الجماعة الاسلامية بالهند ، فكما ذكرنا انفا لم تزل تسير على نفس الخط الذي قد اختاره الجماعة قبل تقسيم البلاد ، فيقول الاستاذ مسعود الندوي : " لاتزال الجماعة الاسلامية في الهند قائمة على مبدئها ثابتة على خطتها تدعو الناس على اختلاف ادیانهم ومشاربهم الى عبادة الله واقامة نظام الحق ، شأن المجاهدين الصادقين الذين يقومون بواجباتهم في كل حال ولا يكثرثون للاخطار والاضطهادات مهما كانت شديدة وقاسية ومنهاجهم فسي كل ذلك هو منهاج النبي (صلى الله عليه وسلم) في حياته المكية ، يتبعون معاليه الكريمة (٢) .

(١) الاستاذ المودودي : جماعت اسلامي كي ٢٩ سال ص ٥٢ .

(٢) الاستاذ مسعود الندوي : تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند ص ٢٩٩ .

وكان بفضل جهود الجماعة الاسلامية بالهند في مجال الدعوة الاسلامية
 أن صدرت ترجمة القرآن الكريم في أكثر من سبع عشرة لغات الهند المحلية
 وهكذا نقلت ونشرت كثير من الكتب الاسلامية القيمة في لغات الهند
 المختلفة ، كما صدرت المجالات والجرائد الاسلامية في هذه اللغات . والحقيقة
 أن الجماعة الاسلامية بالهند كان لها دور بارز في المحافظة على شخصية
 مسلمي الهند وحضارتهم (١) .

وأما الجماعة الاسلامية بولاية جامو وكشمير المحتلة ، ولانها واجهت
 نفس الاوضاع القاسية التي واجهتها الجماعة الاسلامية بالهند ، فاخترت
 لها نفس البرنامج للعمل الذي قد اختارته الجماعة الاسلامية بالهند ، وكانت
 لجهودها نفس النتائج التي كانت لجهود الجماعة الاسلامية بالهند .

وأما الجماعة الاسلامية بباكستان فتمتاز تلك المرحلة من تاريخها
 بجهادها المسلسل لتطبيق النظام الاسلامي في هذه الدولة الجديدة
 والبرنامج الذي اختارته الجماعة الاسلامية خلال هذه المرحلة ، يشمل
 اربعة اجزاء وهي :

- ١- الجزء الاول : هو تطهير الافكار وتمهيدها بالفرس والتنمية ليحدث
 الانقلاب في الافكار ومجرى الحياة بتغييرها .
- ٢- الجزء الثاني : هو السعي في استخلاص الافراد الصالحين وجمعهم في
 نظام واحد وتربيتهم وذلك بالعمل في مجال الدعوة .
- ٣- الجزء الثالث : هو السعي في اصلاح الاجتماع وهو يشمل اصلاح كل
 طبقة في المجتمع حسب احوالها وتسمح لاثرتة على قدر ما تتوفر الوسائل .

(١) انظر تقرير عن أنشطة الجماعة الاسلامية بالهند قدمه الامين العام للجماعة
 الاسلامية بالهند في المؤتمر العام للجماعة في سبتمبر عام ١٩٨٠ . ومجلة
 "اربعون اجست" الشهرية لشهر مارس ١٩٨٢ م .

٤ - الجزء الرابع : هو اصلاح الحكم والادارة ، وذلك لان هدف اقامة الدين لا يمكن تحقيقه الا اذا كانت السلطة في ايدي المؤمنين الصالحين .^(١)

وكان لتحقيق هذه الاهداف ان قررت الجماعة الاسلامية ان تـخـوض في المجال السياسي مع عملها في مجال الدعوة ومازالت الجماعة تسير على هذه الخطوط (٢) .

وجدير بالذكر أن الاساليب والوسائل التي اختارتها الجماعة الاسلامية خلال هذه المرحلة للدعوة تتسع الى كل جزء من اجزاء هذا البرنامج . ونحن تحدثنا عن بعض النواحي لجهد الجماعة لاقامة الحكومة الاسلامية خلال حديثنا عن حياة الاستاذ المودودي ، ولهذا لا حاجة لذكرها مرة ثانية ، فيتبين بما ذكرنا هناك ان الجماعة الاسلامية كان لجهداها لاقامة الحكومة الاسلامية تـقـلـى منهاج الخلافة الراشدة دورا هاما في الكفاح الطويل لنفاذ الدستور الاسلامي بباكستان " وذلك لان الدستور بمثابة الاساس ، فاذا وضع الاساس على غير الاسلام لا بد ان يرتفع كل البناء على الطراز غير الاسلامي ، وغذ لذلك مثلا من تركيا بأن عثمانية دستور التركي عرقت ، ولا تزال ، النهضة الاسلامية ، وكلما حاول مسلمو تركيا تغيير اوضاعهم المنحرفة عن الاسلام ، استعانت الفئات اللادينية بعلمانية الدستور وابطلت كل مشروع يتبنى تكريس حياة اسلامية فيها" (٢) .

(١) انظر الاستاذ المودودي : واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ،

ص ١٨٢ ، ١٨٩ .

(٢) الاستاذ خليل الحامدي : نظرة عابرة على الجماعة الاسلامية بباكستان ،

صفحة ١٢ .

وأما الأساليب والوسائل الأخرى التي اختارت الجماعة الإسلامية في هذه المرحلة للدعوة فنحن نذكر بعضها فيما يلي :

أولاً : إصدار الكتب والبحوث لبيان أهمية إقامة الحكومة الإسلامية وشرح الجوانب المختلفة للحياة الإسلامية :

أصدرت الجماعة علمياً ^{من} الكتب والبحوث لبيان أهمية إقامة الحكومة الإسلامية ولشرح الجوانب المختلفة في النظام الإسلامي . ومن أهم الكتب التي صدرت حول مقتضيات هذه المرحلة كالآتي :

- ١ - نظام الحياة في الإسلام
- ٢ - القانون الإسلامي وطرق تنفيذه في باكستان .
- ٣ - حقوق أهل الذمة في الدولة الإسلامية
- ٤ - تدوين الدستور الإسلامي
- ٥ - الصفات اللازمة للمواطنين في مجال الدعوة .
- ٦ - الربا
- ٧ - المقترحات الدستورية
- ٨ - أسرار الدستور الإسلامي في القرآن
- ٩ - الجماعة الإسلامية ، هدفها ، تاريخها ، وبرنامجها .
- ١٠ - المسألة القاديانية
- ١١ - الحركة الإسلامية ومنهجها في المستقبل
- ١٢ - المدد القلا اجتماعية في الإسلام
- ١٣ - حقوق الإنسان الأساسية
- ١٤ - مكانة السنة في التشريع
- ١٥ - المطالبة بالنظام الإسلامي
- ١٦ - الخلافة والملك
- ١٧ - الدولة الإسلامية
- ١٨ - السيرة النبوية
- ١٩ - واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم
- ٢٠ - قضية كشمير المسلمة

ثانيا : اصدار الجرائد والمجلات :

والوسيلة الثانية التي اختارت الجماعة لسلامة لنشر دعوتها هي الجرائد والمجلات منها الجرائد اليومية كجريدة (تسنيم) اليومية وجريدة (كوهستان) اليومية ، وجريدة (جسارت) اليومية ومنها المجلات الاسبوعية كمجلة (آسيا) الاسبوعية ومجلة (ائمن) الاسبوعية ومجلة (نور) (للاطفال) ومنها مجلات شهرية كمجلة (ترجمان القرآن) الشهرية ومجلة (بتول) الشهرية (للسيدات) ومجلة الحسنات الشهرية (للسيدات) ومجلة الرسالة The message باللغة الانجليزية ، فضلا عن ذلك هناك عدد من الجرائد والمجلات تصدرها بعض اعضاء الجماعة أو أنصارها شخصا .

ثالثا : الدروس والمحاضرات :

والوسيلة الثالثة التي اختارت الجماعة لنشر الدعوة وتمميمها هي تنظيم اللقاءات والندوات والمؤتمرات الاسبوعية والشهرية والسنوية تلقى فيها الدروس والمحاضرات عن القرآن والسنة والسيرة وجوانب النظام الاسلامي المختلفة وما الى ذلك ، وكان عدد المراكز لدروس القرآن في أنحاء البلاد عام ١٩٨٢ م اكثر من ٢٤٦٥ مركزا (١) وذلك ما عدا الجوامع التي يخطب فيها رجال الجماعة والتي كان عددها ١٥١٢ عام ١٩٧٨ م (٢) .

(١) انظر دستور الجماعة الاسلامية بباكستان - توطئة ص : ك .

(٢) انظر الاستاذ خليل الحامدي - نظرة عابرة على الجماعة الاسلامية بباكستان

رابعاً : انشاء دور المطالعة والمكتبات :

والوسيلة الرابعة اختارتها الجماعة لنشر دعوتها خلال هذه المرحلة هي انشاء دور المطالعة والمكتبات في انحاء البلاد تضم كل دار ومكتبة عددا كبيرا من الكتب والجرائد والمجلات الاسلامية يقرأها الرواد في قاعات مخصصة للمطالعة ويستعمرونها حسب النظام . وكان عدد هذه الدور للمطالعة والمكتبات في انحاء البلاد ٢٢٢٧ في عام ١٩٧٨ م (١) .

خامساً : انشاء المدارس والمعاهد :

ويعتبر انشاء المدارس والمعاهد الدينية الوسيلة الخاصة التي اختارتها الجماعة لنشر دعوتها ، وهذه المعاهد تضم مناهجها العلوم الاجتماعية العصرية فضلا عن المواد الدينية كال تفسير والحديث والرجال والفقه والتاريخ الاسلامي واللغة العربية والنحو والبلاغة والعناية الخاصة بالتكوين والتربية ليتخرج منها الدعاة . وكان عدد هذه المعاهد والمدارس الدينية في عام ١٩٨٢ م ٤٨٦ معهدا (٢) .

— في مجال الخدمات الخيرية :

وهكذا اهتمت الجماعة في هذه المرحلة للدعوة بالخدمات الخيرية تشمل اقامة المستشفيات والمستوصفات يوزع منها العلاج على الفقراء والمساكين ، ومساعدة الايتام والارامل والفقراء والطلاب الفقراء في الكليات والجامعات والعناية بالمنكوبين في الحوادث واللاجئين من الهند والكشمير وافغانستان . وكان عدد المستشفيات والعيادات تحت رعاية الجماعة (٨٠) وحدة عام ١٩٨٢ م . وللجماعة خدمات جليلة في اغاثة المنكوبين واللاجئين وقد بدأت الجماعة انشطتها في هذا المجال

(١) انظر الاستاذ خليل الحامدي — نظرة عابرة على الجماعة الاسلامية بباكستان ،

(٢) انظر دستور الجماعة الاسلامية بباكستان : توطئة ص : ك .

من القيام في خدمة اللاجئين من الهند عام ١٩٤٧م، ثم قامت بخدمة اللاجئين من كشمير المحتلة عام ١٩٦٥ م ثم اهتمت باغاثة المنكوبين من الفيضانات عام ١٩٧٣ وباغاثة المنكوبين من الزلازل عام ١٩٧٤م^(١). ولكن ابرز خدمات الجماعة في هذا المجال واحمها هو خدماتها تجاه الجهاد في افغانستان فقامت الجماعة بما في وسعها لخدمة اللاجئين من افغانستان فاهتمت بتوفير الحاجات الاساسية للمهاجرين بصفة عامة وللمجاهدين بصفة خاصة ، وبانشاء المدارس والمعاهد الدينية لاولاد المجاهدين والمهاجرين . وهناك (٢٦٦) مدرسة ابتدائية وخمسة معاهد دينية للتعليم العالي تشتغل في مخيمات المهاجرين تحت رعاية الجماعة الاسلامية ، وانشأت الجماعة (١٣٣) سجدا في هذه المخيمات كما اهتمت الجماعة بانشاء (٤) مستشفيات وعددا من المستوصفات لعلاج المجاهدين والمهاجرين وقامت باصدار عدد من الكتيب القيمة فوسى لفاتهم الخاصة كما تعنى الجماعة بمعقد مؤتمرات الجهاد لتحقيق هذا الهدف القيم^(٢) . فضلا عن هذه الخدمات تجاه المهاجرين والمجاهدين الافغان انشأت الجماعة وكالة خاصة باتباء الجهاد الاسلامي بافغانستان باسم " وكالة الانباء الافغانية"^(٣) .

(١) انظر الاستاذ خليل الحامدي ، نظرة عابرة على الجماعة الاسلامية بباكستان

ص ٤٦-٤٧ .

(٢) انظر الاستاذ طفيل محمد - امير الجماعة الاسلامية بباكستان . تقرير عن خدمات الجماعة الاسلامية نحو مهاجرين افغان لعام ١٩٨٢ الميلادي .

(٣) انظر الاستاذ طفيل محمد امير الجماعة الاسلامية بباكستان . مشروع خدمة

الجهاد الاسلامي الافغاني في مجال الاعلام .

الاهتمام بالمجالات الاخرى المختلفة :

واهتمت الحركة الاسلامية في هذه المرحلة بعدة مجالات اخرى نذكر

منها على سبيل المثال كالاتي :

الاهتمام بالجيل الجديد : اعتنت الحركة الاسلامية في هذه المرحلة

بصفة خاصة بالجيل الجديد وفي عام ١٩٤٨ م انشئت جمعية الطلبة الاسلامية

بباكستان للعمل في هذا المجال . فكان لجهودها العملية بأن المدارس

والمعاهد والكليات والجامعات التي قد انشئت لتعميم الثقافة الانجليزية

الادينية بدأ يتخرج فيها الشباب المثقون الذين جعلوا الاسلام غاية

حياتهم وجدير بالذكر انه ليس هناك معهد او كلية او جامعة باكستان

الا وقد تمكنت الجمعية من انشاء فرعها فيها . واكثر من ٨٠ ٪ من هذه

لكليات والمعاهد والجامعات تسيار عليها جمعية الطلبة الاسلامية سيطرة

كاملة . فله الحمد . وجدير بالذكر ان جمعية الطلبة الاسلامية تقوفا صدار

مجلة (همقدم) الشهرية . ولها دار خاصة للطباعة والنشر .

وأما محيط الطالبات ، فقد انشئت جمعية الطالبات المسلمات للعمل

فيها ، وهذه الجمعية دورها في الطالبات لا يقل عن دور جمعية الطلبة

الاسلامية في الطلاب .

وهكذا قد انشئت جمعية الطلبة العربية للعمل في المدارس والمعاهد

الدينية ليتخرج فيها العلماء والخطباء والكتاب يجعلون العمل في مجال

الدعوة غاية جهدهم وحياتهم وتقوم الجمعية باصدار مجلة " المصباح "

الشهرية (١) .

(١) اخبرني بهذا الاخ بشير احمد خان رئيس جمعية الطلبة الاسلامية السابق .

- الاهتمام بالمدرسين والاساتذة :

وأما مجال التعليم والتربية فتشتغل فيه " منظمة الاساتذة " وهى تتسع دائرتها من المدارس الابتدائية والثانوية الى الكليات والجامعات وتركز هذه الجمعية جهودها لنشر الدعوة فى الاساتذة والمعلمين من ناحية وتعارض ضغوطها على السلطات لاجل تنفيذ منهج اسلامى للتعليم والتربية من ناحية أخرى ، وجملة القول تعمل (منظمة الاساتذة) للانقلاب الاسلامى الكامل فى مجال التعليم (١) .

- الاهتمام بالعمال :

وهكذا اعتنت الحركة الاسلامية فى هذه المرحلة بصفة خاصة بالعمال الذين يشتغلون فى المصانع والشركات فكانوا فيما قبل فى شبك المؤامرة الشيوعيين والاشتراكيين فركزت الحركة الاسلامية على هذا المجال وتأسس (الاتحاد الوطنى للعمال) يضم الاتحادات العمالية تحت رعاية الحركة الاسلامية فتمكنت الحركة الاسلامية من انقاذ اكثر العمال المسلمين من شبك مؤامرة الشيوعيين وكان بفضل هذه الجهود ان اكثر من ٢٥٠ اتحاد عمال فسى اكثر قطاعات العمال فى المؤسسات الكبيرة كوزارة الكهرباء والماء ووزارة البرق والبريد وسكة الحديد الباكستانية ومصانع الحديد الباكستانية تنتمى الى الحركة الاسلامية وعدد العمال المنتمين لهذه الاتحادات العمالية يزيد عن خمسمائة الف (٢) .

- الاهتمام بالفلاحين :

يمثل الفلاحون نسبة ٨٠ ٪ من سكان الباكستان واكثرهم لا يعرفون القراءة والكتابة . فأنشئت (مؤسسة الفلاحين) للعمل فيهم وتعمل هذه المؤسسة لتوعية الفلاحين من الناحية الدينية (٣) .

- (١) اخبرنى بهذا الاخ / نصير الدين همايون الامين العام للمنظمة .
 (٢) اخبرنى عن هذا الاخ ٪ محمد شفيق ملك رئيس الاتحاد الوطنى للعمال .
 (٣) الاستاذ خليل الحامدى - الامام أبوالاعلى المودودى ، حياته ، دعوته ، جهاده ص ٤٨ .

— الاهتمام بالاتحاد بين العلماء والمشايخ :

ويعتبر النزاع الطائفي بين العلماء والمشايخ أحد عوامل فشل الأحزاب الإسلامية والجماعات الدينية في الانتخابات . فأنشئت جمعية اتحاد العلماء لتوحيد كفاء العلماء والمشايخ وبالتالي توحيد صفوف عامة المسلمين ولها دور بارز في هذا المجال ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى اهتمت الجمعية بقيام مجمع العلماء الذي ينظم دورات تدريبية لتربية الأئمة والخطباء (١) .

— عمل الدعوة في مجال السيدات :

ويشتغل في مجال السيدات القسم النسائي للجماعة الإسلامية ، ودوره في هذا المجال لا يقل عن دور الرجال في مجالهم . ويضم برنامج هذا القسم للجماعة اللقاءات الأسبوعية والمؤتمرات الشهرية والسنوية ، واللقاءات الدروس والمحاضرات بالعناية الخاصة ببيان دور المرأة في الإسلام . ويصدر هذا القسم مجلة " بتول " الشهرية ومجلة " الحسنات " الشهرية للسيدات ومجلة " النور " للأطفال .

وهكذا هناك عدة منظمات أخرى في مجال الصحافة ورجال القانون والمحاماة والأطباء والمهندسين وموظفي الحكومة كلها تعمل لتحقيق نفس الهدف وهي نشر الدعوة وإقامة الحكومة الإسلامية .

— مدى تأثير الدعوة الإسلامية في المجتمع بلغة الأرقام :

بعد ان ذكرنا موجزا عن أنشطة الجماعة الإسلامية في المجالات المختلفة وتحدثنا عن أسلوبها لعمل الدعوة في دوائر الحياة المختلفة ناتي هنا بفكرة عامة عن مدى تأثير الدعوة الإسلامية في المجتمع المسلم الباكستاني وذلك بلغة الأرقام

(١) اخبرني عن هذا الشيخ /كزار احمد المظاهري الأمين العام للجمعية .

كما كانت في اواخر عام ١٩٨٢ الميلادى :

١- عدد أعضاء الجماعة ٤٥٦٦ عضوا . وذلك معان عضوية الجماعة

لا تتحصل الا بعد ان يستمر المرء مؤيدا لها وانصرا عدة سنوات ويثبت لنفسه أهلا لتعمل عبء العضوية .

٢- عدد انصار الجماعة (مسجلين) ٤٥٦٢٧ شخصا وذلك فضلا عن مئات

الالوف من الانصار والمؤيدين الذين لم تسجل أسماءهم .

٣- الفروع المتكونة من الاعضاء ٥٢٩ فرعا .

٤- الفروع المتكونة من الانصار والمؤيدين ٤١٧٥ فرعا (١)

ذلك فضلا عن ما ذكرناه عن مدى تاثير الدعوة الاسلامية في الدوائى

المختلفة للمجتمع مثل الطلاب والاساتذة والمعلم والفلاحين وما الى ذلك من طبقات المجتمع المختلفة .

...

(١) انظر دستور الجماعة الاسلامية بباكستان - توطئة ص : ك .

الدعوة الإسلامية دعوة عالمية

ولا يتم الحديث عن هذه المرحلة للدعوة الا اذا تحدثنا عن انشطة الجماعة الإسلامية على المستوى العالمي ولولا ضيق المجال لتكلمنا فسي هذا الموضوع بالتفصيل ولكننا سنكتفى بالاشارة الى الأمور التالية :

١- العلاقات مع الحركات الإسلامية العالمية :

وتمتاز هذه المرحلة للجماعة الإسلامية بباكستان ببداية علاقاتها الوثيقة مع الحركات الإسلامية العالمية الاخرى وذلك لان هذه الحركات كلها تنطلق من نفس المنطلق وهو (الكتاب والسنة) وتهدف الى نفس الهدف وهو اقامة الحكومة الإسلامية ، واهم هذه الحركات الإسلامية العالمية هي :

- ١- حركة الاخوان المسلمين بالعالم العربي .
- ٢- حزب الطلي السلامة بتركيا .
- ٣- مجلس الشورى لمسلمي اندونيسيا .
- ٤- جمعية الطلبة المسلمين الجزائريين .
- ٥- حزب الاستقلال بالمغرب .
- ٦- الاتحاد الاسلامي لمجاهدي افغانستان وعدد من الحركات الإسلامية الاخرى في العالم الاسلامي .

٢- اصدار الكتب في اللغات العالمية الاخرى :

والامر الثاني الذي اهتمت به الجماعة الإسلامية في هذه المرحلة للحركة الإسلامية هو نقل كتب الجماعة الإسلامية باللغات العالمية الاخرى ، فكان لتحقيق هذا الهدف ان اهتمت الجماعة بقيام عدة من المؤسسات أهمها كالآتي :

دار العربية للدعوة الاسلامية :

وقد اقيمت هذه الدار لنقل كتب الجماعة الاسلامية باللغة العربية ولنقل كتب الاخوان المسلمين من اللغة العربية الى اللغة الاردية . هذا من ناحية - ومن ناحية اخرى تحظى هذه الدار كالواسطة بين الجماعة الاسلامية وبين الاخوان المسامحين والحركات الاسلامية الاخرى في العالم العربي ، فتمكنت هذه الدار من نقل الكثير من الكتب للاستاذ المودودي من اللغسة الاردية الى اللغة العربية كما تمكنت من ترجمة كثير من الكتب للامام الشهيد حسن البنا والشهيد سيد قطب والاستاذ محمد قطب وغيرهم من قادة الحركة الاسلامية في العالم العربي من اللغة العربية الى اللغة الاردية (١)

مجمع المعارف الاسلامية :

يحتوى مجمع المعارف الاسلامية باخراج البحوث وتربية الباحثين وتفذية الحركة بما يلزم من الشذات الفكرى والزاد العلمى (١) هذا من ناحية ومن ناحية اخرى قرر من الغايات المجمع واهدافه ان يتم بمصفا خاصة لا مسور الاتية :

١- احيا التراث الاسلامى العظيم ونظنه الى اللغة الاردية واللغات

الحية الاخرى باسلوب عصري متين .

٢- نقل الافكار والبحوث التى ينتجها المفكرون المسلمون المعاصرون باللغة

الاردية واللغات الاخرى ونقل وترويج كتب الاستاذ المودودي حول

الدعوة ومقتضياتها او حول جوانب النظام الاسلامى المختلفة الى اللغات

العالمية المختلفة .

(١) اخبرنى عن هذا الاستاذ خليل الحامدى ، المدير العام للدار العربية للدعوة الاسلامية .

- ٣ - دراسة المشكلات التي اوجدتها الحضارة العصرية ثم وضع الحلول لها في ضوء الاسلام بتوجيه من المفكرين المسلمين .
- ٤ - اعداد دراسات حول ما يحره العالم الاسلامي من ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية .
- ٥ - بذل المحاولات في توحيد المذاهب الفقهية الاسلامية على اساس كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .
- ٦ - انشاء العلاقات مع الاكاديميات والجامعات والمؤسسات العلمية في البلاد العربية والاسلامية لايجاد اوجه التعاون فيما يتعلق بترويج الافكار الاسلامية واعياء التراث الاسلامي ولتنسيق المشاريع في مجال الدعوة " (١)

وكما أسلفنا أن الاستاذ المودودي قد منح للمجمع الجائزة التي قد اعطيت له من قبل هيئة جائزة الملك فيصل العالمية عام ١٣٩٩ هـ لخدماته في مجال الدعوة .

وجدير بالذكر أن مجمع المعارف الاسلامية له فرع في كراتشي ايضا وقد صدرت من مجمع المعارف الاسلامية حتى الآن اكثر من اربعين كتابا فيما تشتمل على المواضيع الاسلامية المختلفة (٢) .

المؤسسة الاسلامية ببريطانيا :

وقد تأسست هذه المؤسسة لنقل وترويج كتب الاستاذ المودودي ، ومفكرى الاسلام المعاصرين الى اللغة الانجليزية ولغات اوربا المختلفة الاخرى وللدرد على مايكتبه المستشرقون ضد الاسلام والنبى صلى الله عليه وسلم ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى لدراسة مخططات مبشرين الاستعمارية

(١) انظر للتفصيل الاستاذ خليل الحامدي : التمرين عن مجمع المعارف الاسلامية

بلاهور ص ٩ - ١٢ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٦ - ٧ .

ومؤامراتهم في العالم الاسلامي ، ولتخطيط مخططات ايجابية لمواجهة هذه المؤامرات . وقد تمكنت المؤسسة من اصدار عدد غير قليل من كتب الاستاذ المودودي ومفكرى الاسلام المعاصرين باللغة الانجليزية ولغات اوربا الاخرى . كما تمكنت من دراسة أنشطة المبشرين ومخططاتهم في العالم الاسلامي ولا سيما في اندونيسيا ، وافريقيا ، والشرق الاوسط وبنغلاديش وباكستان والبلاد الاسلامية الاخرى وقد صدرت تقارير عن هذه الدراسة باللغة الانجليزية واللغة العربية . هذا وللمؤسسة دور هام في نشر الدعوة الاسلامية في المسلمين المقيمين في انجلترا وبلاد اوربا الاخرى وفي المحافظة على شخصيتهم الاسلامية في مركز الحضارة الجاهلية الحديثة (١) .

وهدير بالذكر ان للمؤسسة فرع في نيروبي (افريقية الشرقية) ويحمل هذا الفرع على نفس المنهج لمواجهة مخططات ومؤامرات المبشرين المسيحيين والقاديانيين في القارة الافريقية . وقد انشأت المؤسسة عشرات من المدارس الابتدائية والثانوية لتعليم اولاد المسلمين المقيمين هناك وذلك لكي لا يقع المسلمون في مؤامرات المبشرين المسيحيين والقاديانيين في المجال التعليمي . (٢)

(١) اخبرني عن هذا الاستاذ خورشيد احمد ، رئيس المؤسسة الاسلامية

والاستاذ غرم جاه مراد المدير العام لها .

(٢) اخبرني عن هذا الاستاذ محمد اختر راء ، المدير العام للفرع .

— الاهتمام بترويج الكتب الاسلامية في اللغات العالمية الاخرى :

وكان خلال هذه المرحلة أن تمكنت الجماعة الاسلامية من نقل
واصدار عدد غير قليل من كتب الاستاذ المودودي وقادة الحركات الاسلامية
المعاصرة في اكثر من اربعين لغة عالمية اهمها اللغة العربية، واللغة الانجليزية،
واللغة الفرنسية، واللغة الايطالية، واللغة الالمانية، واللغة الاسبانية، واللغة
الفارسية، واللغة البشتوية، واللغة الروسية، واللغة اليابانية، واللغة الكورية،
واللغة الماليزية، واللغة الاندونيسية، واللغة التركية، واللغات العالمية
الاخرى .

ويتبين مما أسلفنا أن الدعوة الاسلامية في هذه المرحلة لم تزل تسيّر
على نفس السياسة التي قد اتخذت لها في البداية والبرنامج الذي اختارته
الجماعة في بداية هذه المرحلة كان مطابقاً مع غايتها كل المطابقة، وحققت
في هذا السبيل ما حققت من المآرب والغايات بما قد يسر الله لها من الوسائل
المعنوية والمادية .

الفصل الرابع

تَابِعَاتِ اللَّهِ تَأْتِي أَبِي اللَّهِ إِلَى الْمُرُودِي

كُتِبَت كِتَابَاتُ الْأَسْتَاذِ الْكَبِيرِ أَبِي الْأَعْلَى الْمُودودي تُعْتَبَرُ مِنَ الْمَنَارَاتِ
فِي الْفِكْرِ الْإِسْلَامِيِّ الْمَعَاوِرِ، وَأَدَّتْ دَوْرًا كَبِيرًا فِي تَقْدِيمِ حَقَائِقِ الْإِسْلَامِ
لِلْمَسَامِ الْمَعَاوِرِ بِطَرِيقَةٍ مَبْسُوطَةٍ مَبْلُورَةٍ يَسْهَلُ فَهْمُهَا وَإِسْتِعْجَالُهَا.

الكتاب والمؤلف في تقابله مع مذروب بحجة "لمودو تحبب" الشهيرة

كَانَتْ كِتَابَاتُهُ وَبُحُوثُهُ مَوْجَّهَةً إِلَى مَعْرِفَةِ طَبِيعَةِ هَذِهِ الْحَضَارَةِ الْغَرْبِيَّةِ وَفَلْسَفَتِهَا
لِلْحَيَاةِ، وَتَحْلِيلِهَا تَحْلِيلًا عَمَلِيًّا قَلَّمَا يُوَجِّدُ لَهُ نَظِيرًا فِي الزَّمَنِ الْقَرِيبِ، وَقَدْ عَرَضَ
الْإِسْلَامَ وَنِظَامَ حَيَاتِهِ، وَأَوْضَحَ حَضَارَتَهُ وَحَاكَمَهُ، وَصَيَّاغَتَهُ لِامْتِجَاعِ
وَالْحَيَاةِ، وَقِيَادَتَهُ لِلرَّكِبِ الْبَشَرِيِّ وَالْمَسِيرَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ فِي أُسْلُوبٍ عِلْمِي رَحِيمٍ
وَفِي لُغَةٍ عَصْرِيَّةٍ تَتَّفَعُ مَعَ نَفْسِيَّةِ الْجِيلِ الْمُتَقَدِّمِ وَمَسْتَوَى الْعَصْرِ الْعِلْمِيِّ، وَبِمَلِكِ الْفِرَاقِ
الَّذِي كَانَ يُوجِدُ فِي الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ الْمَعَاوِرِ مِنْ زَمَنِ طُولِي، وَيَقْضِي حَاجَتَهُ فِي
نَفْسِ الشَّبَابِ الطَّمُوحِ إِلَى مَجْدِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَقِيَامِ دَوْلِهِ وَمُجْتَمَعَاتِهِ الشَّرِيفَةِ الْمُعْتَزَّةِ
نَفْسِهَا وَدِينِهَا وَرِثَتِهَا وَمَقَوِّمَاتِ حَيَاتِهَا فِي الْإِقْطَالِ الْإِسْلَامِيِّ أَوْلَادًا فِي الْعَالَمِ بِالنَّالِ.

الشيخ أبو الحسن علي بن مودودي

مؤلفات الاستاذ المودودي

لم يكن الأستاذ المودودي مؤلفا عاديا كغيره من المؤلفين الذين يؤلفون الكتب لكي يخدموا العلم والادب . وهكذا يضيفون في ذخيرة الكتب ولكن مع ذلك لا يزيدون اى شىء يذكر في ذخيرة العلم . وهو لم يكن ممن المؤلفين الذين يتخذون من التأليف والتصنيف حرفة لهم يكسبون بها ، بل كان من المؤلفين الكبار الذين يدخلون في ميدان التأليف والتصنيف لتحقيق الهدف الذى يتخذونه لحياتهم وللوصول الى الغاية التى يعيشون لها .

فذلك تختلف مكانة مؤلفات هؤلاء المؤلفين مع اختلاف الأهداف التى يتخذونها لحياتهم . ومن المعلوم أن الأستاذ المودودي اتخذ نشر الدعوة الاسلامية واقام النظام الاسلامى هدفا لحياته وذلك في عصر طوىء بالفكر والتفكرات التى جاءت بها الحضارة الجاهلية الحديثة . فذلك هو لم يكتب كتابا ولم يصدر بحثا الا وكان يتعلق بذلك الهدف القيم كما يقول الأستاذ المودودي نفسه : " لم اقصد اصدار بحوث علمية في المواضيع الاسلامية فحسب بل استهدفت من ذلك أن يؤمن الانسان المعاصر بالاسلام بالشعور والقناعة لا بالقشور والعاطفة ثم يندفع تلقائيا الى اقامته وتخليه ، ويستमित في سبيل تنكيس كمالها لطل ورفع كلمة الحق وفي سبيل استئصال امامة الكفر ونصب امامة الاسلام " (١) .

فترى بأن الكتب والكتيبات التى أصدرها الأستاذ المودودي والتى تصل عددها الى ١٢٨ كتابا ^(٢) مع أنها متنوعة في موضوعاتها ، هناك رابطة

(١) الأستاذ خليل الحامدي - الامام أبو الأعلى المودودي - حياته - دعوته

- جهاده ص ٢٥ .

(٢) انظر جريدة "جسارت" اليومية (كراتشى) عدد خاص في ذكرى الاستاذ

المودودي ص ١٧-١٨ .

يربط بينها وذلك الرابط هو وحدة الغاية فكل من تلك الكتب مربوطة بها ، وهناك كتب انتقد الاستاذ المودودي فيها الجاهلية القديمة والجاهلية الحديثة التي قد جاءت بها الحضارة الغربية الحديثة واثارها الفكرية والدينية ومضارها الاجتماعية والحضارية في المجتمعات الاسلامية كما ان هناك كتب انتقد فيها الاستاذ الجمود الفكري عند علماء المسلمين كما انتقد الاوهام والخرافات التي اتخذت سبيلها في عامة المسلمين وهكذا هناك كتب قدم الاستاذ فيها الدعوة الاسلامية ، وبين متطلباتها ومقتضياتها كما ان هناك كتب شرح الاستاذ فيها ماهو نظام الحياة للاسلام وماهى متعلقاته وماهى عقيدته ، وماهى عباداته ، وماهى أسس حضارته وماهى تعليماته في الاقتصاد والسياسة والاجتماع ، ولكن مع ذلك التنوع الكبير في الموضوعات كانت هذه الكتب مربوطة بذلك الرابط اى رابط وحدة الغاية .

ويجد ربنا أن نذكر هنا بعضا من المزايا التي تمتاز بها تلك الكتب أولها : أن الأستاذ المودودي كان يأتي بالأدلة من الكتاب والسنة والبراهين العلمية والعقلية في تأييد كل مايقول ، فلذلك نجد كتبه تؤثر في الأذهان تأثيرا كبيرا .

ثانيها : كانت الأدلة العلمية العقلية التي يأتي بها الأستاذ المودودي في كتبه تتعلق بالأشياء التي يراها كل واحد منا حوله كل يوم ، وهذا مايمكنه من فهمها بسهولة .

ثالثها : ان الله قد وهبه بالاخلاص الذي قد جعل أسلوبه مؤثرا جدا ، يؤثر الأذهان والطوب سويا ، فلا يمكن ان يقرأ الانسان كتبه ولا يتأثر به ساء فكانت نتيجة لذلك ان مئات الالاف من الناس الذين قد قرأوا كتبه قد تأثروا

عنها واصبحوا أنصارا لدعوته .

رابعها : أن كتب الاستاذ المودودي ، مع كونها طمسية ، لا توجد فيها الاصطلاحات العلمية التي لا يفهمها الا اصحاب العلم ، وذلك لان دعوته كانت للمسلمين كافة خاصة بهم وعامتهم فكان لا بد ان لا تفوق عن فهمهم .

خامسها : ان الاستاذ المودودي لم يتناول موضوعا من الموضوعات المتنوعة التي تتسع اليها دائرة كتبه ، الا وقد قرأ فيه كل ما كتب قديما وحديثا ، ثم كتب فيه ، وجاء بالادلة من كل ما قرأ من القديم او الحديث في تأييد موقفه هذا ما يجعل كتبه تمتاز بالجامعية التي لا توجد في المؤلفين الا قليلا .

سادسها : ان الاستاذ المودودي كان يمتنى بصفة خاصة بان تكون كتبه صغيرة الحجم حتى تسهل قراءتها كما يسهل انتشارها ، فنرى ان معظم مؤلفاته قد صدرت في صورة كتيبات صغيرة الا انها تحمل معان كبيرة فهو تمكن من جمع الأنهار في كوب .

سابعها : ان الاستاذ المودودي قد وهبه الله بامعان النظر في الكتاب والسنة فضلا عن البصيرة الصحيحة في شؤون الحياة الفردية و الحياة الاجتماعية المختلفة فلذا حينما كان يكتب كتابا او يصدر بحثا كان يلاحظها كلها بالاهتمام ، لذلك كانت كتبه تفوق كتب الاخصائيين الذين لا يعرفون شيئا خارجا عن دائرة تخصصهم .

ومن المعلوم ان اللغة التي كتب الاستاذ المودودي كتبه كانت هي اللغة الاردية ، ولكن اكثر تلك الكتب قد نقلت الى اللغات الاخرى مثل اللغة الانجليزية واللغة العربية واللغة البنغالية واللغة الهندية ، واللغة الفرنسية وكثير من اللغات العالمية الاخرى ، وبعضها كما دى الاسلام قد نقلت الى اكثر من ٣٠ لغة ، وهذا خير شاهد على القبول العام الذي قد ناله كتب الاستاذ المودودي في العالم .

والان نتعرف على اهم هذه الكتب :

(١) تفهيم القرآن

وهو تفسير للقرآن الكريم الذى اخترناه موضوعا لرسالتنا هذه ، وستفصل الكلام فيه فيما بعد ان شاء الله .

(٢) مبادئ الاسلام

هذا الكتاب الذى قد صدر لأول مرة فى عام ١٩٣٧^(١) قد نال القبول العام فى العالم الى حد انه قد نقل الى الان الى اكثر من ٣٠ لغة^(٢) من اللغات العالمية وقد نشرت الملايين من نسخه فى اللغات العالمية المختلفة ووزعت فى البلاد الاسلامية والعالمية المختلفة ولا تزال ترجمته فى اللغات الاخرى المختلفة مستمرة .

ويشمل هذا الكتاب المعلومات الابتدائية عن الاسلام فى اسلوب سهيل وجذاب لكى يتمكن عامة المسلمين من فهم ماهو الاسلام وماهى متطلباته ويبلغ تأثيره الى حد انه حينما يبدأ القارىء قراءته لا يقدر ان يتوقف الا ان يكمله ويحظم هذا الكتاب فكرة اتخاها الدين طقوسا يقين فحسب ، بل يؤدى الفكرة بان الاسلام هو دين كامل ويجعل القارىء ان يقوم لاقامته ، فصدق الشيخ المفتى عتيق الرحمن رئيس المجلس الاستشارى بالهند ورئيس ندوة المصنفين ، بدلهم حيث قال بانه لا يصرف كتابا اخر ينال الكتاب " مبادئ الاسلام " لفهم الصحيح الابتدائى للاسلام^(٣)

(١) مبادئ الاسلام - مقدمة الناشر للطبعة الثامنة والثلاثين ص ٧ .

(٢) انظر الاستاذ خليل الحامدى - الامام ابوالاعلى المودودى - حياته -

دعوته - جهاده ص ٢٥ .

(٣) جريدة "جسمارت" اليومية - عدد خاص بذكرى الاستاذ المودودى ص ٦٥ .

ومن أهم اللغات المالمية التي نقل اليها هذا الكتاب هي اللغة العربية ، واللغة الانكليزية ، واللغة البنغالية ، واللغة الفارسية ، واللغة الهندية ، واللغة التركية ، واللغة الاندونيسية ، واللغة السواحلية ، واللغة الفرنسية ، واللغة الهاوسية ، واللغة الالمانية ، واللغة الاسبانية ، واللغة اليابانية ، واللغة السنديية ، واللغة البشتوية ، واللغة المالبارية ، واللغة الهولندية ، واللغة البرتغالية ، واللغة الكورية ، واللغة الروسية ، واللغة الكجراتية ، واللغة التاميلية ، واللغة الماليزية ، وغيرها كثير من اللغات المالمية المختلفة ، وقد نال هذا الكتاب رواجاً عظيماً في البلاد الغربية وعدد غير قليل من غير المسلمين ، وقد هداهم الله الى الاسلام بقراءته (١) ، ومئات الالاف من المسلمين ، وقد عادت ثقتهم في الاسلام به . فله الحمد .

نحن والحضارة الغربية

يشمل هذا الكتاب الكلمات الافتتاحية والمقالات التي نشرها الاستاذ المودودي في مجلته الشهيرة "ترجمان القران" من العام ١٣٥٢ الهجري عام ١٣٥٧ هـ الموافق عام ١٩٣٢ م الى عام ١٩٣٨ م والتي نشرت فيما بعد في عام ١٣٥٨ هـ / عام ١٩٣٩ م بصورة كتاب اسماه الاستاذ المودودي "التحقيقات" باللغة الاردية والذي نقل فيما بعد الى اللغة العربية باسم "نحن والحضارة الغربية" . والموضوع الذي تناوله الاستاذ في المقالات التي يضمها هذا الكتاب هو مواجهة الحضارة الغربية ومؤثراتها في العالم الاسلامي وهذا هو الرابط الذي يربط بينها ويجعلها كتاباً مستقلاً وموقف الاستاذ المودودي في الصراع الذي قد بدأ بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية بعد استيلاء الاستعمار الفاشم على العالم الاسلامي لم يكن موقف الخضوع والعبودية الفكرية الذي قد اتخذه المثقفون الجدد ولا كان موقف

(١) انظر الاستاذ خليل الحامدي - الامام ابو الالطي المودودي - حياته ،

الرفض والاعتزال الذي قد اتخذه اكثر العلماء والمشايخ ، بل كما يتبين من محتويات الكتاب كان موقف الايمان والثقة موقف الشجاعة والجرأة ، وذلك لبصيرته في الكتاب والسنة مع معرفته العميقة بالنظريات والفلسفات اللادينية التي قد جاءت بها الحضارة الاستعمارية الحديثة ، فذلك تمكن مسن نقد الجاهلية الحديثة التي تقوم عليها اسس الحضارة الغربية وطومها ، وهكذا انتقد مؤثرات الحضارة الغربية ومضارها في المجتمعات الاسلامية ، كما انتقد موقف الخضوع والعبودية الفكرية ودعوات التجرد والتحرر في الاسلام مع نقده موقف الرفض والجمود الذي اتخذه العلماء والمشايخ ، هذا من ناحية ومن الناحية الاخرى تمكن الاستاذ من عرض الاسلام ومطالباته بأسلوب عصرى جذاب وكل ذلك بالبراهين العقلية والعلمية والادلة من القران والسنة والحقيقة انه كان لهذا الكتاب دورا هاما في اعادة ثقة المثقفين الجدد ففسح صلاحية الاسلام ، لا في شبه القارة الباكهنديية فحسب ، بل في العالم الاسلامي كله ، ويجدر بنا ان ننقل . . . من هذا الكتاب ، وذلك من المقالة بعنوان : شرعة الابطال ، لشرعة الضماف^(١) ، لكي نرى ما هو الاسلوب الجذاب الذي قد اختاره الاستاذ المودودي في هذا الكتاب :

" ان الشريعة الربانية لم تنزل للأقزام الخانمين ، ولا لمعدة الالهوا^(٢) وهواة الدنيا ، ولا للذين مثلهم كمثل الريشة في مهب الرياح او كالخفا^(٣) الجارى مع تيار الماء ولا للحرثانيين الذين يتلونون بكل لون من الوان الظروف ، وانما انزلت لأولئك اللبوث الابطال الذين يطقون بشجاعتهم تفتير مهب الرياح وتحويل مجرى المياه الى ما يريدون ويحبون صبغة الله على سائر الاصباغ والألوان ، وقد عزموا ان يصبغوا بها جميع العالم " (١) .

(١) نحن والحضارة الغربية ص ٢٧٧ .

الخطب

هذا الكتاب الذى صدر فى عام ١٣٥٩ هـ الموافق عام ١٩٤٠م (١) لاول مرة يشمل المحاضرات التى القاها الاستاذ المودودى فى جامع دار الاسلام فى ولاية بنجاب فى عام ١٣٥٢ هـ الموافق ١٩٣٨م كخطب الجمعة (٢) ، وذلك بعد ما انتقل الاستاذ المودودى هناك مهاجرا من حيدر اباد الدكن على دعوة الفكر الاسلامى الكبير ، الدكتور محمد اقبال ، وتشمل هذه المحاضرات القيمة الموضوعات الاتية : حقيقة الايمان ، حقيقة الاسلام ، حقيقة الصلاة ، حقيقة الزكاة ، حقيقة الصوم ، حقيقة الحج ، وحقيقة الجهاد . وكان مخاطبوا الاستاذ فى تلك المحاضرات مسلمى القرى الذين لم يكن مستوى علمهم وفهمهم عاليا فاهتم الاستاذ المودودى بأن تكون لغتها واسلوبها سهلا جدا حتى يتمكن هؤلاء المسلمون من فهمها ، وفوقه الله لتحقيق ذلك الهدف ، ومن مزايا تلك المحاضرات أن الاستاذ يدعم ما يدعو اليه بالأدلة من القرآن والسنة وبالبراهين العظيمة والعلمية وجدير بالذكر بان هذه الأدلة ، مع كونها علمية وعقيدة ، يأتى بها الاستاذ من الأشياء التى يراها كل واحد من حوله فى حياته اليومية ، وهذا ما يجعلها سهلة الفهم ، فلذا أسلوبها ، مع كونه داعيا وطعيا ، لم يزل سهلا وجذابا ومؤثرا . والحقيقة بان القارىء حينما يبدأ قراءته لا يقدر ان يتوقف الا اذا اكمله ، ويشعر خلال قراءته بان الحجاب الذى كان بينه وبين الاسلام قد رفع وهو عرف ما هو الاسلام الحقيقى الذى جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذا ما يجعله يقوم للعمل الاسلامى ، ومن مثلات الالاف من الامثلة لذلك يكفى بنا أن نذكر هنا ما يحكى الشيخ غلام نبي نائيب

(١) مقدمة الخطب ص ٢٢٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٢٠ .

امير الجماعة الاسلامية بولاية جامو وكشمير : اننى بعدما تخرجت فى دارالعلوم ديوبند (الهند) وعدت الى كشمير ، صادفتى ذات مرة أن احدا ممن اصداقائى جئنى بكتيب يحمل اسم " حقيقة الايمان " واقترح لى ان اقراه ، ولم يمجبنى هذا قط ، فكيف يجدر بمالم كبير مثلى انا ان يقرأ كتيبا صغيرا مثل هذا الكتيب ، ولكننى لم اقدر ان ارفض لذلك الصديق ، وبدأت قراءته ولم اقدر ان اتوقف حتى انتهيت منه ، وشمرت باننى مع اكمال دراستى فى العلوم الدينية لم افهم حقيقة الايمان وحقيقة الاسلام الا بعدما قرأت ذلك الكتيب (١) .

الجهاد فى الاسلام

هذا الكتاب الذى صدر لأول مرة فى عام ١٩٢٧ م كان يعتبر أول كتاب ألفه الأستاذ المودودى ولكن بعدما صدر الكتاب " مصدر قوة المسلم " قد تحولت الولاية اليه ، ولكن اوليته فى الاصدار لم تنزل باقية والى الاستاذ المودودى هذا الكتاب خلال عام ١٩٢٦ حينما كان عمره ٢٣ سنة فحسب ، وكان سبب تأليف هذا الكتاب بانه فى عام ١٩٢٦ قسام احد من المسلمين بقتل شريهاوند رئيس حركة التهنيد (اى جعل المسلمين هندوسا) الذى قد اصدر كتابا طمئن فيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فظمت حركة عنيفة تهجم الاسلام والمسلمين وبدأ الهندوس يطعنون فى الاسلام قائلين بانه دين العنف والارهاب ، وانتشر فى العالم على حد السيف ، فكان خلال تلك الايام حينما قال الشيخ محمد على الجوهر رئيس حركة الخلافة بالهند فى احدى محاضراته فى الجامع بدلهلى " ليت شخصا من المسلمين

(١) أخبرنى عن هذا الشيخ سعد الدين أمير الجماعة الاسلامية بولاية جامو وكشمير المحتلة .

يقوم ويفند الافتراءات التي يوجهها الهندوس الى الاسلام ، فمزمز الاستاذ المودودي وهو شاب لم يتجاوز عمره ٢٣ عاماً بانه يواجه ذلك التحدي ان شاء الله (١) . فبدأ يطالع أهمّ الكتب في ذلك الموضوع كما بدأ يقرأ تاريخ الحروب في الاديان الأخرى وفي الحضارة الغربية الحديثة ، فبدأ يكتب حلقات متتالية في جريدته "الجمعية" ، وصدرت تلك الحلقات فيما بعد بصورة كتاب سماه الاستاذ "الجهاد في الاسلام" ومن أهم مزايا هذا الكتاب هي :

أولاً : نرى بانه نتيجة للمعبودية الفكرية التي قد وقع فيها المسلمون خاصتهم وعاصمتهم بعد استيلاء الاستعمار الأوربي على معظم العالم الاسلامي قد اصبح موقفهم تجاه اعتراضات المستشرقين ضد الاسلام ولا سيما في باب الجهاد ، موقف الخضوع والاعتذار ولكن الأستاذ المودودي فسح تأليفه هذا تمكن من مواجهة هذه العقبة ، وقدّم الصورة الحقيقية لفلسفة الجهاد الاسلامي ، وكان موقفه في ذلك موقف الايمان والثقة ، موقف الشجاعة والجرأة ، وهو أيد موقفه هذا بالبراهين العلمية والعقلية وبالادلة من القرآن والسنة .

ثانياً لم يكتب الأستاذ المودودي بتقديم فلسفة الجهاد الاسلامي بصورته الصحيحة فحسب بل اهتم ان يقارن بين فلسفة الجهاد الاسلامي وبين فلسفة الحروب في الاديان الأخرى ، بين الجهاد الاسلامي وبين الحروب في البلاد المتقدمة الحديثة ، وهكذا تمكن من الاثبات بالشواهد التاريخية بان الجهاد الاسلامي يهدف الى انقاذ النوع الانساني من الظلم والجور والظلميان وذلك بما قاما لامة الصالحة حيث الحرب في الايمان

(١) انظر الاستاذ المودودي "جماعت اسلامي كى ٢٩ سال" ص ١٥٠ .

الاخرى والحفارة الغربية الحديثة ، ليس هدفه الا قتل الابرياء والسلب والنهب واستيلاء القوى على الضميف .

ثالثا : خلال حديثه في موضوع الجهاد اهتم الاستاذ المودودي أن يتناول موضوعا هاما اخر ايضا وهو ما هي الغاية التي اخرجت الامة الاسلامية لأجلها ؟ وبين بالبراهين والادلة من الكتاب والسنة بأن غايتها الاصلية هي استئصال اقامة الكفر والطغيان واقامة الامة السالحة محلها .

رابعا : اسلوب الاستاذ المودودي في هذا الكتاب ، مع كونه اول تاليفه المستقل هو اسلوب علمي جذاب مؤثر والقارىء بعد ما يبدأ قراءته لا يمكن له ان يتوقف قبل ان يكمله .

والحقيقة بان الانسان ياخذ العجب والحيرة حينما يرى بأن شابا لم يتجاوز عمره ٢٢ سنة يؤلف كتابا مثل هذا الكتاب وبهذا الاسلوب الذي قال الدكتور محمد اقبال فيه : " لم يرامام نظري مثل اهذا الكتاب الملمس الجامع الذي كتب عن هذا الموضوع في اللغة الاردية " (١) . فذلك كان دائما ينصح الشباب المسلمين باقتناء هذا الكتاب (٢) ، ويجسد بنا ان نذكر هنا مثلا عن تاثير هذا الكتاب على القارىء فيذكر لنا الصحافى والكاتب الشهير السيد / غاشورش الكاشميري بانه قد اصبح شيوعيا ولكن بعد ما صادفه ان قرأ كتاب " الجهاد في الاسلام " وذلك حينما كان في السجن في عام ١٩٤٥ م قد أنقذه الله من الشيوعية (٣) .

(١) انظر الاستاذ اسعد جيلانى - ابوالاعلى المودودي - فكره ودعوته

ص ٣٩٩ .

(٢) انظر الاستاذ خليل الحامدى - الامام ابوالاعلى المودودي - حياته ،

دعوته بجهاده ص ١٦ .

(٣) انظر الاستاذ محمد يوسف - " مولانا مودودي ابنى اورديوسرى كى نظرمين " .

ص ٥٣٨-٥٣٩ .

ونختم حديثنا في هذا الكتاب بما قال الاستاذ المودودي نفسه :
 " ان كتاب الجهاد في الاسلام " نفعني أكثر من أى شخص آخر ، دخلت
 في تأليفه وكنت على الحمية القومية وخرجت وأنا على حمية الاسلام ، عرفت
 طريقة احياهم " (١) .

المصطلحات الأربعة في القرآن

صدر هذا الكتاب لأول مرة عام ١٣٦٠ هـ الموافق عام ١٩٤١ م اي نفس
 العام الذي تأسست فيه الجماعة الاسلامية وهو من أهم الكتب التي ألفها
 الاستاذ المودودي . ويشمل تفسير المصطلحات الأربعة الأساسية للقرآن
 وهي الاله والرب ، والعبادة ، والدين ، كما يفهمها الأستاذ المودودي
 من القرآن والسنة واللغة . والحقيقة بأن هذه المصطلحات هي مفاتيح
 القرآن لان كل ما جاء به القرآن يدور حول هذه المصطلحات الأربعة
 أي أن الله وحده هو الاله والرب ، فايه ينفي ان يعبد الانسان ، ولله
 وحده ينفي ان يخلص الدين ، واذ كانت هذه هي الحقيقة فيمكننا
 ان نقول بأن الفهم الصحيح للقرآن ينحصر على الفهم الصحيح لهذه
 المصطلحات الأربعة ، فلذلك لا بد لمن يقوم لاحياء الدعوة الاسلامية
 أن يمتنى بالتفسير الصحيح لتلك المصطلحات الأربعة الأساسية في القرآن
 فالأستاذ المودودي كالداعية الاسلامي الكبير كان لا بد له أن يهتم بذلك
 فجاء بالتفسير الصحيح لها وبين بأن كالمقال له ليس المراد منها المعبود بمفهومه
 المماد فحسب بل يشمل مفهومها المالك والملك والحاكم والشارع ايضاً ، وهكذا
 كلمة الرب ليس المراد منها المربى فحسب بل يشمل مفهومها كل من تملك

(١) انظر الاستاذ محمد يوسف - مولانا مودودي ، ابنى اورد وسرلى كى نظري

المعاني التي تشملها كلمة الاله ، وكلمة العبادة ليس المراد منها أداء الطقوس فحسب ، بل في الحقيقة تتسع دائرتها الى كل ناحية من نواحي الحياة الفردية والاجتماعية ، وهكذا كالمقالدين ليس المراد بها المعاملة الشخصية بين الانسان والاله كما يفهم بعض الناس بل يشمل مفهومها كسل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية والحقيقية التي لا بد ان نشير اليها هي بأن هذه المعاني لتلك المصطلحات الاربعة الأساسية لم تكن جديدة بل كما بين الأستاذان المودودي بالأدلة من القرآن والسنة والشواهد من الأدب الجاهلي بأنها كانت معروفة لدى أهل اللغة العربية فسي القرون الاولى ولكن مع الاسف نسي المسلمون او تناسوا هذه المعاني فسي القرون الأخيرة ، فكانت النتيجة بان المفهوم الصحيح للاسلام قد اختفى من العيون فالاستاذ المودودي حينما قرران يقوم لاهيا الدعوة الاسلامية كان لا بد له ان يمتنى باهيا المفهوم الصحيح لهذه المصطلحات الاربعة الاساسية التي ينحصر فيها اهيا التصور الصحيح للاسلام .

وجدير بالذكر ان بعض من العلماء والمثابيح لهم بعض الملاحظات على هذا التفسير لتلك المصطلحات الاربعة الاساسية ولكن الحقيقة بنان الأدلة التي جاء بها هؤلاء العلماء لا تساوى ولا تنال بالأدلة التي قد جاء بها الأستاذان المودودي ، فأدلة الاستاذ المودودي لاتزال تفوق .

تجديد الدين واهيائه

يشمل هذا الكتاب المقال الهام الذي كتبه الأستاذان المودودي لمجلة "الفرقان" الشهرية التي تصدر من بريلي (الهند) وذلك بعددها الخاص في ذكرى الامام ولي الله الدهلوى في عام ١٩٤٠ م ، ثم صدر هذا المقال بصورة كتاب في عام ١٣٦٠ هـ الموافق ١٩٤٠ م وهذا المقال صبح ان موضوعه كان يدور حول قضايا التجديد التي قام بها الامام ولي الله الدهلوى ، ولكن الاستاذان المودودي خلال حديثه في الامام ولي الله الدهلوى

تناول موضوعا هاما آخر أيضا ، وهو بيان حقيقة عمل التجديد ومقتضياته كما اهتم ببيان تاريخ عمل التجديد ، وبين بأنه كلما تمكنت الجاهلية من ايجاد طريق داخل النظام الاسلامي فلا بد من ظهور شخصية او شخصيات تهتم باجلاء وجه الاسلام بكل الاهتمام ، وتستمر في الجهاد للوصول الى الغاية ، مهما تكن الاوضاع ، حتى تتمكن من تصفية ما تكاثف عليه من بدع وخرافات وتكلم خلال ذلك بالايجاز عن عمل التجديد الذي قام بها بعض مســلمين المجددين الكبار كالخليفة الراشد عمر بن عبدالعزیز ، والائمة الاربعية والامام الغزالي والامام ابن تيمية ، والامام أحمد السرهندي ، والامام ولسلي الله الدهلوي ، والامامين الشهيدین ای الامام احمد البريلوي والامام اسماعيل " وبين بالايجاز ما هو دور كل واحد منهم في القضاء على الجاهلية التي قد تمكنت من الدخول في النظام الاسلامي في عصره ، كما ذكر ملاحظاته على بعض الأفكار لبعض من هؤلاء الائمة الكبار كالامام الغزالي والامام احمد السرهندي والامام ولي الله الدهلوي والامامين الشهيدین ، وفي بدايسته هذا الكتاب بين الأستاذ المودودي ما هو الفرق بين الاسلام والجاهلية بأنواعها المختلفة ، كما يشتمل اخر الكتاب الضميمة التي فيها ردود الاسئلة الموجبة اليه فيما بعد في هذا الموضوع .

مكانة السنة في التشريع

من المعلوم ان حركة انكار حجية السنة النبوية في التفسير والتشريع هي من الحركات الهدامة المعادية للاسلام التي أنشئت اثر غزو الاستعمار الحضارى على العالم الاسلامى للتوفيق بين الاسلام وبين الحضارة الغربية الجاهلية وانتشرت هذه الحركة في شبه القارة الباكهندية تحت رعاية الاستعمار الفاشم . وهكذا كانت فترة حكام باكستان العلمانيين فترة خصبة لانتشار دعوة هذه الفئة الضالقولاسيما في عهد الرئيس ايوب خان حصلت لهم السلطة التنفيذية في شئون الدولة ، فتأسست خلال هذه الفترة ادارة التحقيقات الاسلامية باسلام اباد ، ليتكمن منكروا السنة من نشر افكارهم على حساب الدولة . وبدأ كتابهم الهجوم العنيف على مكانة السنة النبوية في التفسير والتشريع . . وهكذا كان لتشجيع الحكومة لمجلة منكرى السنة الرسمية (طلوع اسلام) (١) أن حصل لها نفوذا كبيرا فى الدوائر الحكومية العسكرية والمدنية . . . فهنا قرر الاستاذ المودودى ان يعتنى بالقضاء على هذه الحركة الهدامة ، فقام بتأليف كتابه الشهير (مكانة السنة فى التشريع) وفضح فيه الوجه الحقيقى لهذه الفئة الضالة وجاء بالادلة من القرآن الكريم والبراهين العقلية القوية على ان القرآن لا يمكن العمل بمقتضياته وتعليماته الا عن طريق السنة النبوية . وهكذا بين كون السنة النبوية مصدرا ثانيا للتفسير والتشريع ردا على اعتراضات منكرى السنة على مكانتها فى الدين

(١) مجلة (طلوع اسلام) الشهرية تعتبر مجلة رسمية لفئة منكرى السنة ويصدرها الشورى غلام احمد برويز ، اكبر دعاة انكار السنة فى باكستان فى هذه الايام ، وكانت هذه المجلة تصدر من (دهلى) فى اول امرها ثم نقل مركزها الى كراتشى عام ١٩٤٧ الميلادى ثم فى عام ١٩٥٨ نقل مركزها الى لاهور.

وحدد بالذکر ان هذا الكتاب يشمل جزئين ، الجزء الاول : ردود الاستاذ المودودي على الخطابات التي وجهت اليه من قبل احد اعضاء ادارة (طلوع اسلام) الهارزين الدكتور عبدالودود ، والجزء الثاني يشمل مناقشة الاستاذ المودودي لما كتبه احد قضاة المحكمة العليا بلاهور السيد القاضي محمد شفيق هجويا على مكانة السنة في التشريع في حكمه في احدى القضايا ، والحقيقة ان الكتاب (مكانة السنة في التشريع) له دور هام في القضاء على سيطرة فئة منكري السنة في المجتمع الباكستاني ، فيقول الطالب / خادم حسين الهي بخش في رسالته للماجستير (فرقة اهل القرآن بباكستان وموقف الاسلام منها) عن دور هذا الكتاب في الدفاع عن السنة النبوية في باكستان :

" واصبحت مدينة لاهور ، مدينة اقبال - مقرا دائما لدعوة (طلوع اسلام) همام ١٩٥٨ م لكن القوى الالهية كانت له بالمرصاد ، اذا جعل مولانا المودودي لاهور نفسها مقرا للجماعة الاسلامية وسلط اعضاء مستفيضة على دعوة برويز وحذر الناس من اتباعه وعواقبه الوخيمة التي تنتظر متبعيه يوم القيامة ، فلولا وجود مولانا المودودي في لاهور لكان لطلوع اسلام وصاحبه شان غير طاعيه الان " (١) .

فيمكننا من هذا أن نعين مكانة هذا الكتاب القيم ونقدر عن دورها في الدفاع عن السنة النبوية ، فصدر هذا الكتاب لأول مرة عام ١٩٦٣ م من قبل " الناشرين الاسلاميين " بلاهور ، واما ترجمته باللغة العربية فلم تصدر حتى الان .

...

(١) خادم حسين الهي بخش - فرقة اهل القرآن بباكستان وموقف الاسلام منها

الحجاب

لقد أسلفنا في هذه الرسالة ان حياة مسلمي الاجتماعية كان لاهميتها البالغة ان ركز عليها الاستعمار وعملائه بصفة خاصة ، فقد ظهرت الدعوات والحركات تحت رعاية الاستعمار المباشرة او غير المباشرة في البلاد الاسلامية المختلفة وكانت هذه الحركات والدعوات تهدف الى ان تسيير المرأة المسلمة على نفس المنهج الذي كانت تسيير عليه المرأة الغربية وتترك الحجاب الشرعى وتختار الخلاء والسفور وتخرج من البيت سافرة الوجه بل شبه العارية وتشارك الرجال في أنشطة الحياة الاجتماعية وذلك من التوظيف في الدوائر الحكومية المدنية والعسكرية الى المشاركة في المبارات القومية والدولية ومهرجانات الشباب والشابات المختلفة ، ومن خدمة الركاب في الطائرات الى تمرين المرضى في المستشفيات ومن استقبال النزلاء في الفنادق والمقاهى الى المشاركة في حفلات الرقص والموسيقى المختلفة ، وكل ذلك باسم حقوق المرأة وتحريرها من سيطرة الرجال . فكان من الطبيعي ان يترك ذلك الاختلاط بين الرجال والنساء في دوائر الحياة المختلفة اثاره الطبيعية فاكثرت الفواحش والمنكرات في المجتمعات الاسلامية المختلفة ، وزاد الطين بلة ان قام بعض من " علماء السوء " باصدار الفتوى ان حجاب المرأة المسلمة ليس له اى اساس فى الشريعة الاسلامية ، وهذا ما اضطر به الاستاذ المودودى الى ان يقوم لمواجهة ذلك التحدى بتأليف كتابه الشهير " الحجاب " والكتاب يشمل عدة مباحث والبحث الاول ياتى فيه الاستاذ بالسياق التاريخى لهذه المسألة من الحضارة اليونانية الى الحضارة الاوربية الحديثة ويبين بالبراهين القوية ان اختلاط النساء بالرجال ومشاركتهن فى أنشطة الحياة الاجتماعية يودى الى انهيار المجتمع ، ثم يتكلم الاستاذ عن الاسباب التى جعلت المسلمين يقعون فريسة لغزو الاستعمار الحضارى ، ثم يذكر الخلفية التى اضارت بها المرأة فى

في المجتمعات الغربية الى الخروج من البيت والمشاركة في أنشطة الحياة الاجتماعية . ويذكر الاستاذ المؤثرات التي جاء بها خروج المرأة من البيت ومشاركتها في أنشطة الحياة الاجتماعية في المجتمع الغربي المعاصر ثم يبين بالتفصيل النتائج التي سيأتي بها سفور المرأة في المجتمع الاسلامي ويحذر الامة الاسلامية عنها ، ثم يذكر متطلبات المدنية الصالحة ومقتضياتها ثم يتكلم عن الهاديء الاساسية لحياة مسلمي الاجتماعية ثم يذكر احكام حجاب المرأة المسلمة مستدلا من الكتاب والسنة ، وبهذا يختم الاستاذ هذا الكتاب القيم الذي صدر لأول مرة عام ١٩٣٩ الميلادي ثم صدرت ترجمته باللغة العربية عام ١٩٥٦ م .

الدولة الاسلامية

كما أسلفنا أن اقامة الحكومة الاسلامية هي من اهم اهداف الحركة الاسلامية . والاسلام لا يمكن العمل بمطالباته ومقتضياته الا باقامة الحكومة الاسلامية ولكن كان لمؤثرات غارة الاستعمار السياسية والحضارية ان نسي المسلمون او تناسوا اهميتها البالغة في الدين فاختلفت عليهم اوجه النظام الاسلامي المختلفة ، فكان من الطبيعي ان يهتني بها الاستاذ بصفة خاصة ويبين اهميتها في الدين ويوضح بالتفصيل اوجه النظام الاسلامي المختلفة ، والكتاب (الدولة الاسلامية) يشمل مختارات كل ما كتبه الاستاذ المودودي في هذا الموضوع في المناسبات المختلفة من بداية الدعوة الى عام ١٩٦٢ م حيث قام البروفسور خورشيد احمد (١)

(١) هو البروفسور خورشيد احمد بن محمد نذير القرشي قد تاشربدعوة الاستاذ المودودي وهو طالب فانضم الى جمعية الطلبة لاسلامية بباكستان وانتخب رئيسا لها في عام (١٩٥٣ م) حصل على شهادة الماجستير في الاقتصاد من جامعة الكراتشي عام ١٩٥٥ وعين استاذا فيه وفي الوقت ذاته انضم الى الجماعة الاسلامية وانتخب عضوا للمجلس الشورى للجماعة وأمين عام لمجمع المعارف الاسلامية التابع للجماعة ثم في عام ١٩٦٨ ترك عله فسي الجامعة وقام بتاسيس المؤسسة الاسلامية بلستر (انجلترا) تحت رعاية الجماعة الاسلامية . ثم في عام ١٩٧٨ عين وزيرا للتخطيط في حكومة (=)

احد تلاميذ الاستاذ البارزين بتدوين هذا الكتاب ونشره في صورته الحالية
والكتاب يشمل اربعة اجزاء : الجزء الاول يشمل خمسة ابواب والباب الاول يبين
فيه الاستاذ بالدلة من الكتاب والسنة ان الاسلام دين ودولة وان الاسلام
لا يمكن العطل به الا باقامة الحكومة الاسلامية . والباب الثاني يشمل محاضرة
الاستاذ المودودي الشهيرة (نظرية الاسلام السياسية) التي يقول فيها
الكاتب الاسلامي الكبير الدكتور محمد المبارك * ولعلها من اجود ما كتب في
الموضوع مع سعة في الاطلاع وفي افق التفكير وسلامة في الاتجاه ودقة في تمييز
نظام الاسلام من غيره * (١) والباب الثالث يتكلم فيه الاستاذ عن فلسفة
القرآن السياسية . والباب الرابع يتحدث عن المراد من كون الانسان خليفة الله
على الارض والباب الخامس يشمل ما كتبه الاستاذ نقدا لنظرية القومية الوطنية
الجاهلية . واما الجزء الثاني فيشمل ستة ابواب : الباب الاول يتحدث عن
المصادر الاساسية للدستور الاسلامي والباب الثاني يتكلم فيه الاستاذ عن
المبادئ الاساسية للدولة الاسلامية والباب الثالث يتحدث فيه الاستاذ عن مبادئ
الدستور الاسلامي الاساسية . والباب الرابع يتحدث عن الحكومة الاسلامية
النموذجية وهي الحكومة في عهد النبوة والخلافة الراشدة . والباب الخامس
يتكلم فيه الاستاذ عن مقتضيات التشريع والاجتهاد . والباب السادس يشمل
بعض المباحث الدستورية الهامة . واما الجزء الثالث فيشمل اربعة ابواب والباب
الاول يتحدث عن حقوق الانسان الاساسية في الاسلام . والباب الثاني يتكلم
فيه الاستاذ عن حقوق اهل الذمة . واما الباب الثالث يتكلم عن العدالة الاجتماعية
في الاسلام . والباب الرابع يتحدث فيه الاستاذ عن اهم مبادئ الدولة الاسلامية

(=) الجنرال ضياء الحق ثم مستقلى من الوزارة حينما قررت الجماعة الاسلامية
الانسحاب من الحكومة . ثم قام بتأسيس المعهد للدراسات الاستراتيجية
باسلام اباد وما زال رئيسا للمعهد حتى اليوم .

(١) الدكتور محمد المبارك - الحكم والدولة ص : ٨٠

الاساسية . وأما الجزء الرابع فيشمل محاضرة الاستاذ المودودي الشهيرة
(كيف تقام الحكومة الاسلامية) ، وهكذا اصبح هذا الكتاب موسوعة قيمة لما
يتعلق بالدولة الاسلامية ، وصدر هذا الكتاب لأول مرة عام ١٩٦٢ الميلادي ونقله
الى اللغة العربية الاستاذ احمد ادريس وقامت مكتبة المختار الاسلامي بمصر بنشر
هذه الترجمة وتوزيعها .

...

قائمة بمؤلفات الاستاذ المودودي حسب التصنيف الموضوعي

وبعد ان تكلمنا عن بعض من أهم مؤلفات الاستاذ المودودي يجدر بنا
 أن نأتي هنا بقائمة مؤلفاته حسب التصنيف الموضوعي مع الاشارة الى بعض
 المزايا لكل صنف. واليك بيان ذلك :

الكتاب والسنة

من المعلوم ان الكتاب والسنة هما المصدران الاساسيان للدعوة الاسلامية
 ولا يمكن القيام بعمل الدعوة الاسلامية الا بالاهتداء بهما ، ولذا كان من
 مقتضيات القيام بعمل الدعوة ان يعنى الاستاذ بصفة خاصة بفهمها ويقدم
 الحلول لمشاكل الحياة الفردية والاجتماعية في ضوءها ويرد على الاعتراضات
 التي ياتي بها المستشرقون وتلامذتهم على القرآن والسنة من النواحي المختلفة
 ولا سيما على الاعتراضات الواردة على العلاقة بين الكتاب والسنة ومكانة السنة في
 التشريع والكتب التي ألفها الاستاذ حول هذا الموضوع هي كالاتي :

١- تفهيم القرآن (ست مجلدات) وهو تفسيره للقران الكريم الذي اخترناه موضوعا
 لهذه الرسالة .

٢- ترجمة القران باللغة الاردية وهي تشمل ترجمة الاستاذ المودودي للقران
 الكريم مع موجز الهوامش التي كتبها الاستاذ المودودي لتفسيره (تفهيم القران)
 وصدرت هذه الترجمة عام ١٩٧١ م .

٣- مبادئ اساسية لفهم القران : هذا الكتاب يشمل مقدمة تفسيره للقران الكريم
 (تفهيم القران) ثم صدر بصورته كتاب مستقل وصدرت ترجمته باللغة العربية
 للاستاذ خليل الحامدي عام ١٩٦٨ الميلادي .

٤- القران والحديث : هذا الكتاب يشمل ما كتبه الاستاذ المودودي دفاعا
 عن السنة النبوية ومبينا العلاقة بين القران والسنة من بداية دعوته التي
 عام ١٩٥٣ الميلادي . وصدر من لاهور عام ١٩٥٣ م .

- ٥ - فضائل القرآن : كتاب نشر عام ١٩٧٧ الميلادى .
- ٦ - المصطلحات الاربعة فى القرآن : هذا الكتاب ذكرنا عنه بالتفصيل .
- ٧ - كتاب الصوم : كتاب يشمل دروس الاستاذ المودودى من كتاب الصوم لمشكوة المصاييح وقد اهتم بتدوينه واصداره الاستاذ حفيظ الرحمن احسن عام ١٩٧٣ الميلادى .
- ٨ - مكانة السنة فى التشريع : هذا الكتاب اسلفنا عن ذكره بالتفصيل .
- ٩ - تفهيم الحديث : موسوعة كبيرة فى الاحاديث النبوية الشريفة تشمل الاحاديث الشريفة التى اوردها الاستاذ المودودى فى تفهيم القرآن وتاليقاته الاخرى واهتم بتدوينها واصدارها مجمع المعارف الاسلامية بلاهور .

السيرة النبوية

ان السيرة النبوية هى سيرة مؤسسى الحركة قالا سلامية وقائدها ولا يمكن فهمها فهما صحيحا الا بدراسة السيرة النبوية دراسة شاملة ولا يمكن العمل فى مجال الدعوة الا بالاهتداء بها . فكان من هذا المنطلق ان قرر الاستاذ المودودى القيام بدراسة السيرة النبوية دراسة شاملة قبل بداية الحركة الاسلامية ثم قرر ان يقوم بتأليف الكتب فى السيرة النبوية بأسلوب يهتدى بها المعاطون فى مجال الدعوة والكتب التى ألفها الاستاذ المودودى حول هذا الموضوع كالاتى :

- ١ - سيرة سيد العالم : هذا الكتاب موسوعة كبيرة يشمل كل ما كتبه الاستاذ المودودى فى السيرة النبوية وصدرنه القسم الاول والثانى حتى عام ١٩٧٢ م والقسم الاول يشمل الجارى الاساسية للموضوع . والقسم الثانى يتناول المعهد العلى ، واما القسم الثالث الذى يشمل المعهد المدنى وهو الان تحت الطبع ، واما ترجمته باللغة العربية لم تصدر حتى الآن .

- ٢- النبوة المحمدية في محكمة العقل : وهو كتاب صغير جاء الاستاذ فيسه بالبراهين العقلية القوية على النبوة المحمدية ليقنع الجيل المثقف الجديد وهذا الكتاب صدر في اللغة الاردية عام ١٩٣٧ الميلادية ثم صدرت ترجمته باللغة العربية للاستاذ خليل الحامدي عام ١٩٧٨ الميلادي .
- ٣- رسالة السيرة النبوية : كتيب صغير صدر عام ١٩٧٦ الميلادي .
- ٤- سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم : كتيب صغير صدر عام ١٩٧٠ الميلادي .
- ٥- سيرة ختم المرسلين : كتيب صغير صدر عام ١٩٧٦ الميلادي .
- ٦- السيرة الطاهرة : كتيب صغير صدر عام ١٩٧٨ الميلادي .
- ٧- القرآن والرسول : كتيب صدر في عام ١٩٥٤ الميلادي .
- ٨- سيد العالم : كتيب صغير يشمل حديث الاستاذ المودودي من الاذاعة عام ١٩٤١ الميلادي .

العقائد والالهيات ومبادئ الاسلام الاساسية

ان العقائد والالهيات والمبادئ الاساسية الاخرى مكانتها في الدين كمكانة القلب في الجسم ، ولكن كان لظهور الانحطاط الفكري والعلمي في المسلمين من ناحية ، ولوقوعهم في المبودية الفكرية للحضارة الغربية الجاهلية من الناحية الاخرى ، ان اذعانهم في العقائد الاسلامية الاساسية اصبح طقسا فارغا عن الروح الحقيقي ، كما تأثر اكثرهم من الشبهات التي جاء بها المستشرقون والمبشرون في العقائد والالهيات الاسلامية فلم هذا كان من متطلبات القيام بعمل الدعوة أن يعتنى الاستاذ ببيان هذه العقائد الاساسية باسلوب جذاب مدلل يقتنع به الجيل المثقف الجديد فقام بعدد من التأليفات القيمة حول ذلك الموضوع ومن مزايا هذه الكتب ان ياتي فيها الاستاذ بالادلة من الكتاب والسنة علاوة عن البراهين العقلية القوية وذلك باسلوب سهل جذاب ، وكان بفضل الله ثم بفضل

هذا الاسلوب السهل الجذاب ان تمكن الاستاذ من ازالة الشبهات عن اذهان الشباب المثقفين واعادة ثقتهم في العقائد الاسلامية الاساسية كما كان بفضل هذا الاسلوب المبرهن الحكيم ان عددا غير قليل من غير المسلمين هداهم الله الواحد الاسلام ومنهم الدكتور ضياء الرحمن الاعظمى الاستاذ بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة الذي كان هندوسيا وهداه الله بنعمة الاسلام بقراءة الكتاب (الدين القيم) والكتب التي ألفها الاستاذ المودودي حول هذا الموضوع كالاتي :

- ١- هادي الاسلام : هذا الكتاب قد فصلنا القول فيه في هذه الرسالة.
- ٢- الخطب : هذا الكتاب أيضا فصلنا القول فيه في هذه الرسالة.
- ٣- نارة فاحصة على العبادات الاسلامية : هذا الكتاب ألفه الاستاذ في عام ١٩٣٩ الميلادي .
- ٤- خطبات الحرم الشريف : كتاب يضم الخطب التي ألقاها الاستاذ المودودي في الحرم المكي الشريف خلال موسم الحج عام ١٩٦٣ الميلادي .
- ٥- الاسلام والجاهلية : كتيب صغير يشمل محاضرة الاستاذ المودودي التي ألقاها في الكلية الاسلامية ببشاور عام ١٩٤١ الميلادي .
- ٦- طريق السلام : هذا الكتاب يشمل محاضرة الاستاذ التي ألقاها عام ١٩٤٠ الميلادي وصدرت ترجمته باللغة العربية للاستاذ خليل الحامدي عام ١٩٧٦ الميلادي .
- ٧- الحضارة الاسلامية - اسسها ومبادئها : هذا الكتاب ألفه الاستاذ المودودي عام ١٩٣٣ وصدرت ترجمته باللغة العربية فيما بعد من قبل دار الخلافة للطباعة والنشر.

- ٨ - الدين القيم : كتاب هام يشمل محاضرة الاستاذ المودودي التي ألقاها في الجامعة الطبية بالدهلي عام ١٩٤٣ الميلادي ، وصدرت ترجمته باللغة العربية من قبل مؤسسة الرسالة ببيروت .
- ٩ - البعث بعد الموت : كتيب صغير يشمل حديث الاستاذ المودودي من الاذاعة عام ١٩٤١ الميلادي وصدرت ترجمته باللغة العربية للاستاذ خليل الحامدي عام ١٩٧٨ الميلادي وتضم الكتاب " في محكمة العقل " .
- ١٠ - مسألة الجبر والاختيار : هذا الكتاب ألفه الاستاذ المودودي عام ١٩٣٣ الميلادي ردا على اعتراضات أحد قادة حركة جهود حجيت السنة النبوية الشورى غلام احمد برويز على هذه العقيدة الاساسية .
- ١١ - في محكمة العقل : هذا الكتاب يشمل مختارات ماكتبه الاستاذ المودودي في التوحيد والرسالة والبعث والقدر ، وقام بتدوينه وترجمته باللغة العربية الاستاذ خليل الحامدي عام ١٩٧٨ الميلادي .

الدعوة الاسلامية ومتطلباتها

من المعلوم أن الاستاذ المودودي لم يكن مؤلفا عاديا بل كان مؤلفا داعيا فلذا من الطبيعي ان عدد اغير قليل من تأليفاته يدور حول موضوع الدعوة ، ومنها الكتب التي ألفها الاستاذ المودودي مبينا مبادئ الدعوة الاسلامية وأسسها ومنها الكتب التي تتحدث عن خصائص الدعوة الاسلامية ومزاياها . ومنها الكتب التي ألفها الاستاذ المودودي لبيان منهج الدعوة الاسلامية وبرامجها . كما أن منها الكتب التي يتكلم فيها الاستاذ عن الصفات اللازمة للدعاة وهكذا منها الكتب المستقلة التي ألفها الاستاذ حول هذا الموضوع ، ومنها الكتب التي تضم المحاضرات التي ألقاها الاستاذ في مؤتمرات الجماعة الاسلامية السنوية توجيهها للمواطنين في مجال الدعوة ومنها ماكتبه الاستاذ ردا على الاسئلة حول الدعوة

ومتطلباتها . واليك بيان تأليفات الاستاذ المودودي حول ذلك الموضوع :

- ١- الدعوة الاسلامية ومتطلباتها : كتاب يشمل المحاضرة التي ألقاها الاستاذ المودودي في المؤتمر السنوي للجماعة الاسلامية عام ١٩٤٥ م وترجمته باللغة العربية للاستاذ خليل الحامدي تضم الكتاب تذكرة دعاء الاسلام .
- ٢- الاسس الاخلاقية للحركة الاسلامية : كتاب يشمل محاضرة الاستاذ المودودي التي ألقاها في مؤتمر الجماعة الاسلامية عام ١٩٤٥ الميلادي وصدرت ترجمته باللغة العربية من قبل الاتحاد العام لطلاب مصر .
- ٣- الجهاد في الاسلام : هذا الكتاب فصلنا القول فيه في بداية الفصل .
- ٤- الجهاد في سبيل الله : كتاب يشمل محاضرة الاستاذ المودودي التي ألقاها عام ١٩٣٩ م . فقد صدرت ترجمة الكتاب باللغة العربية .
- ٥- تجديد الدين وحيائه : هذا الكتاب ذكرنا عنه بالتفصيل .
- ٦- شهادة الحق : هذا الكتاب يشمل محاضرة الاستاذ القاها في مؤتمر الجماعة الاسلامية عام ١٩٤٦ م فقد صدرت ترجمته باللغة العربية من قبل مؤسسة الرسالة ببيروت .
- ٧- الصفات اللازمة للعاملين في مجال الدعوة الاسلامية : كتاب يشمل محاضرة الاستاذ المودودي القاها في المؤتمر العام للجماعة الاسلامية عام ١٩٥١ م وترجمته باللغة العربية للاستاذ خليل الحامدي تضم الكتاب " تذكرة دعاء الاسلام " .
- ٨- الشروط اللازمة لنجاح الحركة الاسلامية : كتاب يشمل توجيهات الاستاذ المودودي للعاملين في مجال الدعوة وصدر في عام ١٩٦٢ الميلادي .
- ٩- واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم : كتاب يشمل محاضرة الاستاذ القاها في المؤتمر العام للجماعة الاسلامية عام ١٩٥١ م فقد صدرت ترجمته باللغة العربية للاستاذ عاصم الحداد ونشرت من قبل مؤسسة الرسالة ببيروت .

- ١٠- الجماعة الاسلامية - هدفها ، تاريخها وبرامجها : كتاب ألفه الاستاذ المودودي عام ١٩٥١ الميلادي .
- ١١- دعوة الجماعة الاسلامية : كتاب يشمل المحاضرة التي ألقاها الاستاذ المودودي في مؤتمر الجماعة الاسلامية عام ١٩٤٧ الميلادي .
- ١٢- دور المرأة المسلمة في الحركة الاسلامية : كتاب يشمل محاضرة الاستاذ المودودي التي ألقاها في مؤتمر السيدات الذي انعقد تحت رعاية الجماعة الاسلامية بـلاهور عام ١٩٤٨ الميلادي .
- ١٣- مصدر قوة المسلم : كتاب ألفه الاستاذ المودودي عام ١٩٢٥ الميلادي حين كان عمره ٢٢ عاما وصدر هذا الكتاب لأول مرة عام ١٩٦٩ الميلادي
- ١٤- ماهي الدعوة الاسلامية : كتيب صغير يشمل دعوة الجماعة الاسلامية .
- ١٥- مستقبل الحركة الاسلامية في الهند : كتاب يشمل المحاضرة التي ألقاها الاستاذ المودودي في مؤتمر الجماعة الاسلامية عام ١٩٤٧ ، قبل تقسيم البلاد الى دولتين مستقلتين : الهند وباكستان .
- ١٦- الدعوة الاسلامية ومنهجها : كتاب يشمل محاضرة الاستاذ المودودي التي ألقاها في مؤتمر الجماعة الاسلامية عام ١٩٤٥ الميلادي .
- ١٧- برنامج الحركة الاسلامية للمستقبل : كتاب يشمل المحاضرة الطويلة التي ألقاها الاستاذ المودودي في المؤتمر العام للجماعة عام ١٩٥٦ الميلادي .
- ١٨- الجماعة الاسلامية خلال ٢٩ سنة : كتاب يشمل محاضرة الاستاذ المودودي التي ألقاها عام ١٩٧٠ الميلادي في ذكرى تاسيس الجماعة الاسلامية .
- ١٩- تذكرة دعاء الاسلام : كتاب يشمل مختارات ماكتبه الاستاذ حول الدعوة الاسلامية ومتالباتها في المناسبات المختلفة ، وقام باختيارها وترجمتها باللغة العربية الاستاذ خليل الحامدي .

٢٠- العلم والعمل : كتاب يشمل مختارات ما كتبه الاستاذ المودودي حول الدعوة ومتطلباتها في المناسبات المختلفة وقام باختيارها الاستاذ عاصم النضاني .

٢١- هلموا نقوم بتغيير هذا العالم : كتيب صغير يشمل مختارات ما كتبه الاستاذ حول الدعوة ومتطلباتها واهتم بتدوينه واصداره باللغة الانجليزية الاستاذ كوكب الصديقي .

٢٢- الحركة الاسلامية - دعوتها وتاريخها : كتاب يشمل مختارات ما كتبه الاستاذ المودودي حول الدعوة ومتطلباتها وقام باختيارها البروفسور غورشيد أحمد .

٢٣- تقرير عن الجماعة الاسلامية (ستة مجلدات) : موسوعة كبيرة تشمل التقارير عن أنشطة الجماعة الاسلامية من تاسيسها في عام ١٩٤١ الى عام ١٩٥١ م .

الحكومة الاسلامية وما يتعلق بها

ان الاسلام دين كامل يشمل كل دائرة من دوائر الحياة المختلفة ولا يمكن العمل به الا اذا اقيمت الحكومة الاسلامية ، فاقامة الحكومة الاسلامية اذن تعتبر من اهم اهداف الحركة الاسلامية وهذا ما تدل عليه اسوة النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين ولكن كان لانهما المسلمون الفكري والسياسي من ناحية ، وانفضال الدين عن الشؤون الحكومية من الناحية الثانية وخضوع المسلمين للنظم السياسية الغربية اللادينية من الناحية الثالثة ان نسي المسلمون او تناسوا اهمية اقامة الحكومة الاسلامية ، فكان من متطلبات القيام بعمل الدعوة ان يعنى الاستاذ بعفة خاصة بالجهاد لاقامة الحكومة الاسلامية ويبين بكل الوضوح اهمية اقامة الحكومة الاسلامية مع بيان منهجها ويوضح بكل الصراحة نظرية الاسلام السياسية مع بيان الفروق بينها وبين النظم السياسية العلمانية الحديثة . وهذا ما نراه في

تأليفاته القيمة في هذا الموضوع. وجدير بالذكر أن تأليفاته في ذلك الموضوع تتاز بأسلوبها الجذاب الموهن الذي يتأثر به القلب والذهن معا. فلذا هذه الكتب كان لها دورا كبيرا في انقاذ الجيل المثقف الجديد من العبودية الفكرية للنظام السياسية الغربية واقناعهم باهمية اقامة الحكومة الاسلاميواعادة ثقمتهم في نظام الاسلام السياسي والكتب التي ألفها الاستاذ في هذا الموضوع كالاتي :

- ١- كيف تقام الحكومة الاسلامية : كتاب يشمل المحاضرة التي القاها الاستاذ المودودي في جامعة علي كره الاسلامية عام ١٩٣٩ الميلادي فصدرت ترجمته باللغة العربية من قبل دار العموية للدعوقلاسلامية عام ١٩٤٦ باسم (منهاج الانقلاب الاسلامي) .
- ٢- نظرية الاسلام السياسية : كتاب يشمل محاضرات الاستاذ المودودي التي القاها في لاهور عام ١٩٣٩ الميلادي فصدرت ترجمته باللغة العربية من قبل دار العموية للدعوقلاسلامية التابعة للجماعة الاسلامية عام ١٩٤٦ م .
- ٣- استفتاء نوبال : كتيب هام كتبه الاستاذ المودودي عام ١٩٤٠ الميلادي ردا على احدي الاسئلة ومبيننا فيه اهمية الاحتكام بما أنزل الله .
- ٤- الشريعة الاسلامية وطرق تنفيذها في باكستان : كتاب يشمل المحاضرة التي القاها الاستاذ المودودي في كلية الحقوق بلاهور عام ١٩٤٨ الميلادي فصدرت ترجمته باللغة العربيلاستان عاصم الحداد باسم (القانون الاسلامي وطرق تنفيذه في باكستان) .
- ٥- أسس الدستور الاسلامي في القرآن : هذا الكتاب ألفه الاستاذ عام ١٩٥٢ مواجبة للتحدي الذي طرحه المحامي الشهير السيد / بروهي ان القرآن الكريم لا توجد فيه اسس الدستور الاسلامي قط .
- ٦- تدوين الدستور الاسلامي : كتاب يشمل محاضرة للاستاذ المودودي التي القاها لمواجهة نفس التحدي من قبل السيد / بروهي عام ١٩٥٢ م وصدت

ترجمته باللغة العربية للاستاذ عاصم الحداد عام ١٩٥٣ م .

٧- عقوبة المرتد في الشريعة الاسلامية : كتاب الفه الاستاذ المودودي عام

١٩٤٣ م .

٨- حقوق اهل الذمة في الدولة الاسلامية : كتاب الفه الاستاذ المودودي عام

١٩٤٨ م وصدرت ترجمته باللغة العربية للاستاذ عاصم الحداد عام ١٩٦٠

الميلادي .

٩- المقترحات الدستورية : كتاب يشمل المقترحات الدستورية التي قدمها

الاستاذ المودودي لتدوين الدستور الاسلامي لدولة باكستان الاسلامية . عام ١٩٥٢ م

١٠- حقوق الانسان الاساسية : كتاب يشمل المحاضرة التي القاها الاستاذ

المودودي في لاهور عام ١٩٦٣ الميلادي .

١١- حول تطبيق الشريعة الاسلامية في باكستان : كتاب يشمل الحوار بين

الاستاذ المودودي وبين مندوب اذاعة جمهورية باكستان الاسلامية

حول تطبيق الشريعة الاسلامية في باكستان في عام ١٩٧٨ م .

١٢- نظام الحياة في الاسلام : كتاب يشمل محاضرات الاستاذ المودودي من

اذاعة باكستان في عام ١٩٤٨ الميلادي وصدرت ترجمته باللغة العربية

من قبل مؤسسة الرسالة .

١٣- الخلافة والملك : كتاب ألفه الاستاذ المودودي مبينا الفرق بين الخلافة

الراشدة والملك فقد صدر ذلك الكتاب لاول مرة عام ١٩٦٦ الميلادي

ثم صدرت ترجمته باللغة العربية للاستاذ احمد ادريس من قبل المختار

الاسلامي بالقاهرة عام ١٩٧٨ الميلادي .

١٤- الاسلام والديمقراطية العلمانية : كتاب يشمل محاضرات الاستاذ المودودي

التي القاها في مؤتمر الجماعة الاسلامية عام ١٩٤٧ الميلادي .

١٥- المطالبة باقامة النظام الاسلامي : كتاب يشمل المحاضرة التي القاها الاستاذ

المودودي عام ١٩٤٨ خلال جهاده لاقامة النظام الاسلامي .

- ١٦- نظام الحياة للاسلام ومبادئه الاساسية : كتاب يشمل عديد من المحاضرات التي ألقاها الاستاذ المودودي حول هذا الموضوع في المناسبات المختلفة.
- ١٧- الدولة الاسلامية : هذا الكتاب اسلفنا عن ذكره بالتفصيل .
- ١٨- حقوق الانسان الاساسية في الاسلام : كتاب يشمل مختارات ماكتبه الاستاذ المودودي في الموضوع في المناسبات المختلفة ، وهذا الكتاب قام بتدوينه واصداره باللغة الانجليزية السيد / ايم - ايم - شريف .
- ١٩- مفاهيم اسلامية حول الدين والدولة : كتاب يشمل مختارات ماكتبه الاستاذ في الموضوع في المناسبات المختلفة . وهذا الكتاب قام بتدوينه واصداره باللغة العربية الاستاذ خليل الحامدي .
- ٢٠- نظرية الاسلام وهدى في السياسة والقانون والدستور : كتاب يشمل مختارات ماكتبه الاستاذ المودودي في السياسة والشريعة والدستور . واهتم بتدوينه واصداره باللغة العربية الاستاذ عاصم الحداد سنة ١٩٦٠ الميلادي .

الاقتصاد والمعيشة

من المعلوم أن الفلسفات الاقتصادية الحديثة كان لانتشارها اثر كبير في المسلمين المثقفين حيث انهم فقدوا اذعانهم في صلاحية نظام الاقتصاد الاسلامي لحل المعضلات الاقتصادية المعاصرة بل في الحقيقة لم يدرك هؤلاء الناس ما هو نظام الاقتصاد الاسلامي ولم يعرفوا عنه الا اسمه فاعتمدوا على الاعتماد على النظم الاقتصادية الجاهلية في حل معضلاتهم الاقتصادية وراوا ان نهضة المسلمين الاقتصادية مرتبطة باختيار هذه النظم الاقتصادية الجاهلية . فبدأ البعض يشتغلون في الحرفة المحرمة حتى بلغ الامر الى ان قام بعض من علماء السوء باصدار الفتوى بجواز الربا . وزاد الطين بلة ان اقيمت الحكومات الديمقراطية في البلاد الاسلامية فقاموا بنفاز النظام الاقتصادي الشيوعي او النظام الاقتصادي

الاشتراكي او النظام الاقتصادى الراسالى . فاهتم الاستاذ المودودى بهذا الموضوع بصفة خاصة فقام بتأليف عدد من الكتب القيمة فيه ومنها الكتب التى انتقد فيها الاستاذ المودودى النظم الاقتصادية المعاصرة نقداً طعماً مدعماً بالبراهين العقلية القوية ومنها الكتب التى بين فيها الاستاذ اوجه نظام الاقتصاد الاسلامى المختلفة ومنها الكتب التى انتقد فيها الاستاذ الربا والحرف المحرمة الاخرى وكل ذلك بأسلوب عصى جذاب ليقنع به الجيل الجديد فى صلاحية نظام الاقتصاد الاسلامى لحل المعضلات الاقتصادية المعاصرة واهم هذه الكتب ما يلى :

- ١- معضلات الانسان الاقتصادى يحوّلها فى الاسلام : كتاب يشمل معاصرة الاستاذ المودودى ألقاها فى جامعة على كره الاسلامية عام ١٩٤١ الميلادى ، فقد صدرت ترجمته باللغة العربية للاستاذ سمسود الندوى من قبل دور الصربية للدعوة الاسلامية .
- ٢- أسس الاقتصاد بين الاسلام والنظم المعاصرة : كتاب هام ألفه الاستاذ المودودى عام ١٩٣٧ الميلادى وصدرت ترجمته باللغة العربية للاستاذ عاصم الحداد من قبل الدار السمودية للنشر .
- ٣- الربا : كتاب هام ألفه الاستاذ المودودى عام ١٩٤٩ م وصدرت ترجمته باللغة العربية للاستاذ عاصم الحداد من قبل مؤسسة الرسالة ببيروت ودار الانصار بالقاهرة .
- ٤- مسألة ملكية الارض فى الاسلام : كتاب ألفه الاستاذ المودودى عام ١٩٣٤ م ولكنه صدر لأول مرة عام ١٩٥٠ الميلادى وصدرت ترجمته باللغة العربية للاستاذ خليل الحامدى من قبل دار الظم بالكويت .
- ٥- مبادئ الاقتصاد فى القرآن : كتاب ألفه الاستاذ المودودى عام ١٩٦٩ م ،
- ٦- مبادئ اساسية للاقتصاد الاسلامى : كتاب يشمل معاصرة الاستاذ المودودى التى القاها فى جامعة بنجاب عام ١٩٦٥ .

- ٧ - الرأسمالية والشيوعية : كتاب نشر عام ١٩٥٣ الميلادي .
- ٨ - الاسلام والعدالة الاجتماعية : كتاب يشمل محاضرة الاستاذ المودودي التي القاها في المؤتمر الاسلامي بمكة المكرمة عام ١٩٦٢ م وصدرت ترجمته باللغة العربية من قبل مكتبة دار البيان بالكويت .
- ٩ - نظام الاقتصاد الاسلامي : كتابهاام يشمل مختارات ماكتبه الاستاذ المودودي في المسائل الاقتصادية في المناسبات المختلفة ، وهذا الكتاب قام بتدوينه الهورفور خورشيد احمد عام ١٩٦٩ م .

الاخلاق والتركيبية

كما ذكرنا خلال حديثنا عن مؤثرات الحضارة الغربية الحديثة أن انتشار الفلسفات المادية الجاهلية في المجتمعات الاسلامية انتهى الى تغيير القيم الاخلاقية المادية ، وهذا التغيير كان له تأثيرا بالغا في حياة مسلمي الفردية والاجتماعية وذلك لان القيم الاخلاقية الاسلامية تهدف الى كسب مرضات الله حيث القيم الاخلاقية المادية تهدف الى حصول النفع المادي بصرف النظر عن كون الفعل صحيحا او غير صحيح وجائزا او غير جائز ، وهذا ما يغير حياة الانسان الفردية والاجتماعية كلها فكان لهذه الاهمية للقيم الاخلاقية ان اهتم الاستاذ المودودي بتأليف الكتب الاتية :

- ١ - نظرية الاسلام الاخلاقية : كتاب ألفه الاستاذ المودودي عام ١٩٤٤ الميلادي ونشر عام ١٩٥٥ الميلادي .
- ٢ - الصلاح والفساد : كتاب يشمل محاضرة الاستاذ المودودي التي القاها في المؤتمر العام للجماعة الاسلامية عام ١٩٤٧ الميلادي وصدرت ترجمته باللغة العربية للاستاذ خليل الحامدي عام ١٩٧٦ الميلادي .
- ٣ - الاسلام والعناية بتركيبية النفس : كتاب هام نشر باهتمام الجماعة الاسلامية

بالحند عام ١٩٦٢ م .

الحياة الاجتماعية

لقد ذكرنا آنفاً أن دائرة الحياة الاجتماعية كانت أكثر تاثراً من غزو الاستعمار الحضارى ، وذلك لتركيز الاستعمار عليها بصفة خاصة ، فقد أنشئت الحركات والدعوات الخاصة لاخراج المرأة المسلمة من البيت واختلاطها مع الرجال للمشاركة فى أنشطة الحياة الاجتماعية وذلك باسم تحرير المرأة ، فكان لهذه الدعوات والحركات ان بدأت المرأة المسلمة ولاسيما فى البيوتات الارستقراطية تسير على خطوات المرأة الاوربية ، وبدأ ظهور نفس المفاسد فى المجتمع الاسلامى التى قد ظهرت فى المجتمعات الغربية ومنها بداية السفور والخلاعة ومنها شيوع الاختلاط بين النساء والرجال ومنها مشاركة المرأة فى أنشطة الحياة الاجتماعية ، ومنها بداية حركية تحديد النسل وماالى ذلك من المفاسد الاجتماعية فكان من الطبيعى ان يعتنى الاستاذ المودودى بالقضاء على هذه المفاسد الاجتماعية فألف عد يد من الكتب القيمة فى ذلك الموضوع . وتمتاز هذه الكتب بالاسلوب الجذاب المبرهن بالادلة من الكتاب والسنة والبراهين العقلية القوية الذى يسخرالذهن والقلب معا ، فكان لتاثير هذه الكتب القيمة ان عددا غير قليل من المثقفين الجدد أغادت ثقتهم فى القيم والتعليمات الاسلامية السامية للحياة الاجتماعية واليك ذكر بعض من هذه الكتب :

١- الحجاب : هذا الكتاب أسلفنا عن ذكره بالتفصيل .

٢- حقوق الزوجين : كتاب هام الفه الاستاذ المودودى عام ١٩٣٥ الميلادى

وصدرت ترجمته باللغة العربية للاستاذ أحمد ادريس عام ١٩٢٩ الميلادى

من قبل المختار الاسلامى بالقاهرة .

- ٣- حركة تحديد النسل فى الميزان : كتاب ألفه الاستاذ المودودى عام ١٩٣٥ م ثم صدرت ترجمته باللغة العربية فيما بعد من قبل مؤسسة الرسالة بميروت .
- ٤- الاسلام وتنظيم الاسرة : كتاب صغير ألفه الاستاذ المودودى عام ١٩٦٠ م .
- ٥- مسألة اللباس : كتاب يشمل البحث القيم الذى كتبه الاستاذ المودودى عام ١٩٢٩ م وصدرت ترجمته باللغة العربية للاستاذ خليل الحامدى عام ١٩٧٦ الميلادى .
- ٦- مسألة تعدد الزوجات : كتاب يشمل البحث الذى كتبه الاستاذ عام ١٩٦٣ م ردا على اعتراضات منكرى السنة النبوية .

التعليم والثقافة

ان التعليم هو من أقوى الوسائل التى اختارها الاستعمار الفاشم خلال غزوه الحضارى للعالم الاسلامى ، والحقيقة انه عن طريق التعليم تمكن الاستعمار من النفوذ الحضارى فى المجتمعات الاسلامية كما انه عن طريق التعليم انتشرت الفلسفات الجاهلية والنظريات اللادينية فى الجيل المثقف ، هذا من ناحية ، ومن الناحية الاخرى كان لتعميم الثقافة الانجليزية فى المسلمين ان ثقتهم فى عقائد الاسلام الاساسية بدأت تضمحل يوما فيوما حتى بلغ الامر الى ان عددا غير قليل من المثقفين الجدد فقدوا اذعانهم فى عقائد الاسلام الاساسية فجهدوها فكان لهذه المؤثرات للثقافة الغربية اللادينية ان اضطر الدكتور محمد اقبال رحمه الله ان يقول :

مهاشرايين ازان على كرهغوانى ، گرازوى روح قوى مى توان كشت
أى " اياك ان تكون آتيا فى العلم الذى تدرسه فانه يستطيع ان يقتل روح أمة بأسرها "

- فلذا كان من الضروري أن يقوم الاستاذ لمواجهة هذا التحدى نقداً هـذـه الثقافة اللادينية ومبينا موقف الاسلام منها ومقدما المنهج الاسلامى للتعليم والتربية . واليك بيان أهم مؤلفات الاستاذ المودودى فى هذا الموضوع :
- ١- منهج جديد للتعليم والتربية : كتاب يشمل محاضرة الاستاذ المودودى التى ألقاها فى دارالعلوم لندوة العلماء بلكهنو فى ديسمبر عام ١٩٤٠ م .
 - ٢- المنهج الاسلامى للتعليم وطرق تنفيذه فى باكستان : كتيب يشمل المحاضرة التى ألقاها الاستاذ المودودى فى المؤتمر العام لجمعية الطلبة الاسلامية عام ١٩٥٢ م .
 - ٣- منهج التعليم الاسلامى : كتاب يشمل ماكتبه الاستاذ المودودى رداً على الاسئلة الصادرة من قبل اللجنة التعليمية عام ١٩٦٣ الميلادى .
 - ٤- خطبة توزيع الشهادات : كتيب صغير يشمل خطبة الاستاذ المودودى التى ألقاها فى حفل التخرج لحدى الكليات الاسلامية عام ١٩٤٠ م .
 - ٥- التعليمات : كتاب هام يشمل مفاترات ماكتبه الاستاذ المودودى حول نواحي التعليم المختلفة فى مناسبات مختلفة ، و صدر هذا الكتاب عام ١٩٦٣ الميلادى .

في مواجهة التحديات المعاصرة

يعتبر عصر الاستان المودودي عصر التحديات للاسلام وللإسلامية
 وذلك لان الحضارة الجاهلية الحديثة التي سيطرت على العالم الاسلامي فسي
 ذلك العصر تحت رعاية الاستعمار الغاشم كانت مادية لادينية من باطنها التي
 ظاهرها ، وهكذا العلوم والفلسفات والنظريات التي جاءت بها هذه الحضارة
 كانت مادية جاهلية من رأسها الى قدميها ، فكان نتيجة سيطرة هذه الحضارة
 الجاهلية ان راجت في العالم الاسلامي النظريات والفلسفات المادية الجاهلية
 مثل التفسير الجدلي للتاريخ لهيجل والتفسير الجدلي المادي لماركس ونظرية
 النشوء والارتقاء لداروين والتفسير الجنسي لملم النفس لغرويد والشيوعية
 والعلمانية والرأسمالية ، والديمقراطية اللادينية ، والقومية الوطنية الجاهلية
 وما الى ذلك من الفلسفات والنظريات الجاهلية اللادينية فوق الجيل المثقف
 الجديد من المسلمين في العبودية الفكرية للحضارة الغربية والمعلوم التي
 جاءت بها وثقتهم في عقائد الاسلام الاساسية بدأت تضمحل يوما فيوما فسرأى
 الاستان ضرورة ~~المواجهة~~ هذا التحدي وانقاذ الجيل المثقف الجديد من
 هذه العبودية الفكرية واعادة ثقتهم في صلاحية الاسلام لقيادة البشرية في ذلك
 العصر وجاء بالكتب القيمة الالية في ذلك الموضوع :

- ١- نحن والحضارة الغربية : هذا الكتاب ذكرنا عنه بالتفصيل .
- ٢- الاسلام والمدنية الحديثة : كتاب يشمل البحث الذي كتبه الاستان المودودي
 عام ١٩٤٧ الميلادي وصدرت ترجمته باللغة العربية للاستان خليل
 الحامدي من قبل الدار السعودية للنشر بجدة ودار الانصار بالقاهرة .
- ٣- الاسلام اليوم : كتاب يشمل محاضرة الاستان المودودي التي القاها عام
 ١٩٦٣ الميلادي وصدرت ترجمته باللغة العربية للاستان خليل الحامدي
 من قبل دار العربية للدعوة الاسلامية بلاهور .

٤- المحاضرات في اوربا : كتاب يشمل محاضرات الاستاذ المودودي القاها في اوربا وامريكا في المناسبات المختلفة و صدر هذا الكتاب عام ١٩٨١ الميلادي من قبل ادارة ترجمان القرآن بلاهور .

٥- الاسلام في مواجهة التحديات المعاصرة : كتاب هام يشمل مختارات ماكتبه الاستاذ المودودي في هذا الموضوع في المناسبات المختلفة . وهذا الكتاب القيم قام بتدوينه وترجمته باللغة العربية واصداه الاستاذ خليل الحامدي .

بين يدي الشباب

ان الجيل المثقف الجديد في العالم الاسلامي قد ركز عليه الاستعمار الفاشم بصفة خاصة ليجعله فريسة لمؤامراته ومخططاته الشنيعة . ولكن كان ممن فضل الله ثم من فضل جهود الحركات الاسلامية في البلاد الاسلامية المختلفة ان عددا غير قليل من الشباب انقذهم الله من العبودية الفكرية للحضارة الغربية الجاهلية حيث انضموا الى الحركة الاسلامية وبدأوا العمل في مجال الدعوة بتأسيس منظمات اسلامية مستقلة وهؤلاء الطلاب علاقتهم مع الاستاذ المودودي كانت علاقة الابناء مع الاب او علاقة التلاميذ مع الاستاذ فهم كانوا يراجعون الاستاذ لتوجيهاته الحكيمة للعمل في مجال الدعوة . فالاستاذ المودودي كان يمتنى بهم بصفة خاصة ويرشدهم بتوجيهاته القيمة والمحاضرات والكلمات التي القاها الاستاذ في هذا الصدد صدرت فيما بعد في صورة كتب مستقلة . واهم هذه الكتب كالاتي :

١- واجب الشباب المسلم اليوم : كتاب يشمل محاضرة الاستاذ المودودي التي القاها امام جمع من الشباب المسلم في مسجد الدهلوي بكة المكرمة في موسم الحج عام ١٣٨١ الهجرية الموافق ١٩٦٢ الميلادي و صدرت ترجمته باللغة العربية من قبل المكتب الاسلامي ببيروت .

٢- تحديات العصر الجديد والشباب : كتاب يشمل المحاضرة التي ألقاها
الاستاذ المودودي في المؤتمر السنوي لجمعية الطلبة الاسلامية عام ١٩٧٥ م
وصدرت ترجمته باللغة العربية للاستاذ خليل الحامدي من قبل دار المروية
للدعوة الاسلامية بلاهور.

٣- دور الطلبة المسلمين في بناء مستقبل العالم الاسلامي : هذا الكتاب
يشمل محاضرة الاستاذ المودودي التي ألقاها في المؤتمر السنوي لجمعية
الطلبة الاسلامية عام ١٩٦٦ م وصدرت ترجمته باللغة العربية للاستاذ
خليل الحامدي من قبل الاتحاد الاسلامي للعالم للمنظمات الاسلامية
بالكويت .

٤- دور الطلبة في بناء مستقبل دولة باكستان الاسلامية : كتاب يشمل محاضرة
الاستاذ المودودي التي ألقاها في المؤتمر السنوي لجمعية الطلبة الاسلامية
عام ١٩٦٥ الميلادي .

٥- التصريحات : كتاب يشمل ما قاله الاستاذ المودودي في محاضراته او كلماته
في المؤتمرات الطلابية او ردا على اسئلة الطلاب في المناسبات المختلفة
ولذا يضم هذا الكتاب توجيهات الاستاذ الحكيمة للشباب الاسلامي وقامت
بتدوينه واصداؤه جمعية الطلبة الاسلامية عام ١٩٧٩ الميلادي .

٦- بين يدي الشباب : كتاب يشمل مختارات ما كتبه الاستاذ لتوجيه الشباب
الاسلامي في المناسبات المختلفة . وهذا الكتاب قام بتدوينه واصداؤه
الاستاذ خليل الحامدي .

قضايا العالم الاسلامى

كان لمخططات الاستعمار ومؤامراته الشنيعة أن شهد العالم الاسلامى عديدا من الحوادث المؤلمة خلال ذلك العصر ، ومن أهم هذه الحوادث سقوط الخلافة الاسلامية على يد العميل الاستعمارى مصطفى كمال ، ومؤامرة احتلال فلسطين واقامة دولة اسرائيل الصهيونية عام ١٩٤٨ م واحتلال دولة كشمير المسلمون قبل الاستعمار الهندوسى عام ١٩٤٨ م وسقوط بيت المقدس عام ١٩٦٧ الميلادى ، وسقوط باكستان الشرقية عام ١٩٧١ م وما الى ذلك من المأسى التى شهدتها الامة الاسلامية خلال ذلك العصر. والاستاذ المودودى عاش هذه القضايا وشهد لها بالقلب المتألم وكان لكونه داعية ومفكرا اسلامية كبيرا انه اعتنى بتأليف العديد من الكتب القيمة التى تكلم فيها عن المخططات الاستعمارية وراء هذه القضايا وجاء بالاقتراعات الحكيمة لحلها . واهم ماكتبه الاستاذ المودودى فى هذا الصدد كالاتى :

- ١- مسألة الخلافة : كتيب يشمل البحث الذى كتبه الاستاذ المودودى على مسألة الخلافة عام ١٩٢٢ م خلال انضمامه الى الحركة بالمحافظة على الخلافة الاسلامية .
- ٢- مجازر اليونانيين فى سمرنا : كتيب آخر كتبه الاستاذ المودودى خلال تلك الفترة لحياته .
- ٣- النشاطات التبشيرية فى تركيا : هذا الكتاب ايضا الفه الاستاذ المودودى خلال نفس الفترة .
- ٤- قضايانا الداخلية والخارجية : هذا الكتاب يشمل محاضرة القاها الاستاذ المودودى فى المؤتمر السنوى للجماعة الاسلامية لعام ١٩٥١ م .

- ٥ - بين الدعوة القومية والرابطة الاسلامية : كتاب يشمل البحث الذى كتبه
الاستاذ المودودى عام ١٩٣٩ م نقد للقومية الوطنية الهندية التى يرفع
لواءها المؤتمر الوطنى الهندى . وصدرت ترجمته باللغة العربية للاستاذ
خليل الحامدى عام ١٩٦٧ م من قبل دار العربية للطباعة والنشر
ببيروت .
- ٦ - أضواء على حركة التضامن الاسلامى : كتاب يشمل خطاب الاستاذ
المودودى الذى ألقاه فى ندوة المؤتمر الاسلامى بالاهور عام ١٩٦٥ م
وصدرت ترجمته باللغة العربية للاستاذ خليل الحامدى عام ١٩٦٧ م من
قبل الدار السعودية للنشر بجدة .
- ٧ - مأساة الشرق الاوسط : كتاب يشمل البحث الذى كتبه الاستاذ المودودى
عام ١٩٦٧ م بعد سقوط بيت المقدس على ايدى الاستعمار الصهيونى وترجمته
باللغة العربية للاستاذ خليل الحامدى يشملها الكتاب (طائفة من قضايا
الامة الاسلامية) .
- ٨ - فاجعة المسجد الاقصى : كتاب يشمل خطاب الاستاذ المودودى الذى
ألقاه فى اجتماع عقدته الجماعة الاسلامية بالاهور عقب حدوث جريمة حريق
المسجد الاقصى عام ١٩٦٩ الميلادى . وترجمته باللغة العربية للاستاذ
خليل الحامدى يشملها الكتاب (طائفة من قضايا الامة الاسلامية) .
- ٩ - قضية كشمير المسلمة : كتاب يشمل البحث الذى كتبه الاستاذ المودودى
عام ١٩٦٥ الميلادى بعد وقوع الحرب بين الهند وباكستان حول هذه
القضية وصدرت ترجمته باللغة العربية للاستاذ خليل الحامدى فى نفس
الوقت من قبل دار الصربية للدعوة الاسلامية بالاهور .

- ١٠- نحن وينغلا ديش : كتاب يشمل البحث الذي كتبه الاستاذ المود ودي عام ١٩٧٢ م بعد سقوط باكستان الشرقية وانشاء دولة بنغلا ديش الجمهورية عام ١٩٧١ الميلادي وترجمته باللغة العربية للاستاذ خليل الحامدي يشملها الكتاب (طائفة من قضايا الامة الاسلامية) .
- ١١- عرض موجز للوضع الذي تعيش فيه الاقلية الاسلامية في الهند : كتيب يشمل المقال الذي كتبه الاستاذ المود ودي عام ١٩٦٩ م قبيل انعقاد مؤتمر القمة الاسلامي الاول في الرباط ، وترجمته باللغة العربية للاستاذ خليل الحامدي يشملها الكتاب (طائفة من قضايا الامة الاسلامية) .
- ١٢- قضايا اسلامية هامة تنتظر الحلول : كتيب يشمل نص المذكرة التي قدمها الاستاذ المود ودي الى مؤتمر القمة الاسلامي في لاهور عام ١٩٧٤ م وترجمته باللغة العربية يشمل الكتاب (طائفة من قضايا الامة الاسلامية)
- ١٣- طائفة من قضايا الامة الاسلامية في القرن الحاضر: كتابها يشمل مختارات ماكتبه الاستاذ المود ودي حول قضايا العالم الاسلامي فسي المناسبات المختلفة . وهذا الكتاب قام بتدوينه واصداره باللغة العربية الاستاذ خليل الحامدي عام ١٩٨١ م من قبل دار العربية للدعوة الاسلامية بمنصوره ، لاهور .

الحركات الهدامة المعادية للاسلام

كان ظهور الدعوات والحركات الهدامة المعادية للاسلام في العصر الحاضر حسب مخططات الاستعمار الفاشم ولتحقيق اهدافه الشنيعة للقضاء على الاسلام والمسلمين معا . وهذا مايتبين من اهتمام الاستعمار بانشاء هذه الحركات ودعيمها بكل ما في وسعه من ناحية ، ومن دور هذه الحركات في العالم الاسلامي مسن الناحية الثانية . وأهم هذه الحركات الهدامة هي حركة القاديانية وحركة انكسار حجية السنة النبوية ، وحركة التفريج والتغريب ، وحركة القومية الوطنية وما السى

ذلك من الحركات الهدامة ، فكان من مقتضيات القيام بعمل الدعوة ان يعتنى الاستاذ بالنقد لتلك الحركات الهدامة نقدا علميا مبرهنا بالادلة من الكتاب والسنة والبراهين العقلية القوية ويحذر الامة الاسلامية من الانضمام اليها . واهم الكتب التي فيها الاستاذ المودودي نقدا للحركات الهدامة هي كالاتي :

١- المسألة القاديانية : كتيب يشمل البحث الذي كتبه الاستاذ المودودي عام ١٩٥٣م خلال ثورة المسلمين ضد القاديانيين . وكان لتأليف هذا الكتاب ان صدر حكم اعدامه ، وصدرت ترجمة هذا الكتاب باللغة العربية فيما بعد .

٢- ختم النبوة : هذا الكتاب يشمل ما كتبه الاستاذ المودودي في تفسيره للاية الكريمة (ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) (١) . وصدرت ترجمته باللغة العربية للاستاذ خليل الحامدي من قبل دار الحرية للدعوة الاسلامية بالمنصورة ، لاهور .

٣- البيانات : هذا الكتاب يشمل بيانات الاستاذ المودودي الثلاثة امام المحكمة الخاصة التي شكلتها الحكومة للحكم عليه بعد ثورة المسلمين ضد القاديانيين عام ١٩٥٣ الميلادي .

٤- التعليق على تقرير القاضي محمد منير حول الاضطرابات لعام ١٩٥٣م : كتاب يشمل ما كتبه الاستاذ المودودي نقدا وتعليقا على التقرير الذي قدمه القاضي محمد منير حول الاضطرابات والمجازر التي اقيمت خلال ثورة المسلمين ضد القاديانيين عام ١٩٥٣ الميلادي .

٥- مكانة السنة في التشريع : هذا الكتاب كتبه الاستاذ المودودي رد اعلى اعتراضات منكري السنة الباطلة وقد اسلفنا ذكره بالتفصيل .

- ٦ - اثبات الذبح بآيات الذبح : كتاب يشمل ما كتبه الاستاذ المودودي عام ١٩٣٧ م ردا على اعتراضات منكري السنة حول الذبح .
- ٧ - الذبح - في محكمة العقل والشريعة : كتاب يشمل البحث الذي كتبه الاستاذ المودودي عام ١٩٥٠ م نقدا لموقف منكري السنة عن الذبح .
- ٨ - بين المودودي والبابا : كتيب يشمل ما كتبه الاستاذ المودودي عن الأنشطة التبشيرية في العالم الاسلامي عام ١٩٦٧ م ردا على الرسالة من البابا وترجمته باللغة العربية للاستاذ خليل الحامدي يشتمها الكتاب (طائفة من قضايا الامة الاسلامية) .
- ٩ - مسألة القومية : كتاب هام كتبه الاستاذ المودودي عام ١٩٣٩ م نقدا لحركة القومية الوطنية الجاهلية التي قد تأثر بها كثير من المثقفين وصدرت ترجمته باللغة العربية فيما بعد .

حول قضايا البلاد الداخلية

لم يعيش الاستاذ المودودي حياة بعيدة عما كان يجري في بلاده من النواحي المختلفة ، بل عاش حياة شاملة لكل جوانبها مكافعا ضد ما كان يجري في البلاد ضد الاسلام والمسلمين . فكان يهتم كل العناية بالقضايا التي كانت لها ايتعلقة بوطنه الاسلامي ، وكان يدرسها بوجهة النظر الاسلامية مبينا بكل صراحة موقف الاسلام عنها . وجد ير بالذكر انه لم يكتف بالنقد فحسب بل كان ياتي باقتراحاته القيمة لحل هذه القضايا ، وذلك بالادلة من الكتاب والسنة والبراهين العقلية القوية . والحقيقة ان توجيهاته الحكيمه واقتراحاته القيمة لحل تلك القضايا تدل على بصيرته السياسية مع سعة نظره وحق فكره من ناحية ، وعلى قلبه الحنون المتألم على ما كان يجري في بلاده ضد الاسلام والمسلمين

من الناحية الاخرى ، وأهم الكتب التي ألفها الاستاذ المودودي مبينا موقف الاسلام عن هذه القضايا الداخلية كالآتي :

- ١- حركة تحرير الهند والمسلمون : كتاب هام ألفه الاستاذ المودودي خلال عام ١٩٣٧ الميلادي وعام ١٩٤١ الميلادي . وجد ير بالذكسر ان هذا الكتاب الذي يشمل جزئين قد صدر لأول مرة في ثلاثة أجزاء باسم " المسلمون والصراع السياسي الحاضر " .
- ٢- النشاط الانتخابي : كتاب يشمل البحث الصغير الذي كتبه الاستاذ المودودي عام ١٩٥١ الميلادي .
- ٣- الانتخابات المختلطة . لماذا لا ؟ كتاب يشمل البحث الذي كتبه الاستاذ المودودي عام ١٩٥٦ الميلادي .
- ٤- الحركة لاعادة الديمقراطية : كتيب يشمل البحث الذي كتبه الاستاذ المودودي عام ١٩٦٨ الميلادي تعريفيا بالحركة لاعادة الديمقراطية .
- ٥- مقتضيات الحرية والاسلام : كتيب يشمل البحث الذي كتبه الاستاذ المودودي عام ١٩٤٨ الميلادي .
- ٦- التعليق على التوصيات الدستورية : كتيب صغير كتبه الاستاذ المودودي عام ١٩٥٠ الميلادي .
- ٧- تحليل لوضع باكستان الشرقية : كتاب يشمل التفسير الذي كتبه الاستاذ المودودي عام ١٩٥٥ م عن الازعاع السائدة في باكستان الشرقية بعد جولته للشطر الشرق للبلاد .

الموسوعات الاسلامية

هناك بعض الكتب القيمة التي تشمل ما كتبه او قاله الاستاذ المودودي فسي
الموضوعات المختلفة في المناسبات المختلفة من بداية دعوته الى وفاته ، وهذه
الموضوعات يتسع نطاق دائرتها من العقائد والالهيّات الى المسائل التفسيرية
والفقهية . ومن المعضلات الاقتصادية الى المشاكل الاجتماعية والمسائل السياسية
وما الى ذلك من الموضوعات المختلفة المتروعة ، ومنها ما كتبه الاستاذ المودودي ،
مبينا موقف الاسلام مما جاءت به الحضارة الغربية الجاهلية ، ومنها ما كتبه
الاستاذ ردا على اعتراضات منكري السنة على مكانة السنة النبوية في التفسير
والتشريع او حول بعض المبادئ والاحكام الاسلامية ومنها ما كتبه ردا على الاسئلة
الواردة عن الجهات المختلفة ومنه ما قاله الاستاذ المودودي ردا على الاسئلة
في جلساته اليومية . وهذا ما جعل هذه الكتب موسوعات اسلامية قيمة . وجدير
بالذكر ان اسلوب الاستاذ المودودي في هذه الكتب يمتاز لكونه مبرهنا بالادلة
من الكتاب والسنة والبراهين العقلية القوية من ناحية وكونه سهلا وجذابا
ومتينا من الناحية الاخرى ، وكان لتاثير هذه الكتب القيمة ان مئات الالاف من
الشباب المثقفين وفقهم الله بالانضمام الى الحركة الاسلامية . ولولا ضيق المجال
لكلمنا عنها بالتفصيل . فنكتفي بذكر هذه الكتب بايجاز :

- ١- التفهيمات : كتاب يضم ما كتبه الاستاذ المودودي من بداية دعوته
الى وفاته مبينا موقف الاسلام مما جاءت به الحضارة الغربية اورد اعلى
الاعتراضات او الشبهات التي راجت في العالم الاسلامي حول مبادئ الاسلام
وتعليماته اثر غزو الاستعمار الحضاري ، وهذا الكتاب يشمل ثلاثة مجلدات .
- ٢- الرسائل والمسائل : كتاب يضم مختارات ما كتبه الاستاذ المودودي ردا
على الاسئلة الواردة اليه في الموضوعات المختلفة ومن الجهات المختلفة
وهذا الكتاب يشمل خمسة مجلدات .

- ٣ - المقابلات الصحفية : كتاب يضم مختارات مقابلات الاستاذ المودودي
الصحفية في المواقع المختلفة . وهذا الكتاب اهتمتد وبينه واصداره السيد /
أبوطارق
- ٤ - المحاضرات : كتاب يضم مختارات محاضرات الاستاذ المودودي فسى
المناسبات المختلفة ، وهذا الكتاب يشمل جزئين وقام بتد وبينه واصداره
الاستاذ ثروت صولت .
- ٥ - الرسائل : كتاب يشمل رسائل الاستاذ المودودي التي لا يضم الكتاب
(الرسائل والمسائل) وقامتد وبينه سكرتيره الشيخ عاصم النعماني ، والكتاب
صدر منه جزئين حتى الان .
- ٦ - رسائل من الزنزانة : كتاب يشمل الرسائل التي كتبها الاستاذ المودودي
من السجن والكتاب اهتم بتد وبينه الشيخ محمد شريف .
- ٧ - الخطبات الازاعية : كتاب يشمل الخطب التي القاها الاستاذ المودودي
من الازاعة في الموضوعات المختلفة والمناسبات المختلفة .
- ٨ - في جلسات الاستاذ المودودي العصرية : كتاب يضم مختارات ما قاله
الاستاذ المودودي في رده على الاسئلة التي وجهت اليه خلال جلساته
اليومية بعد صلاة العصر في فناء مكتب الجماعة الاسلامية ، والكتاب قام
بتد وبينه الدكتور رفيع الدين الهاشمي والاستاذ مظفر بيك وصدر منه
جزئين .

الموضوعات المختلفة

وهناك بعض الكتب التي لا يمكن لنا أن نذكرها حسب التصنيف الموضوعي
وذلك لاختلاف موضوعاتها . وهذه الكتب نتكلم عنها بايجاز كالآتي :

- ١ - مسألة اللباس : كتيب يشمل البحث الذي كتبه الاستاذ المودودي في عام ١٩٢٩ الميلادي وصدرت ترجمته باللغة العربية للاستاذ خليل الحامدي عام ١٩٦٧ الميلادي .
- ٢ - كسوة الكعبة المشرفة - تاريخها وحكمها الشرعي : كتاب يشمل البحث الذي كتبه الاستاذ عام ١٩٦٣ الميلادي .
- ٣ - الشخصيات الاسلامية المعاصرة : كتاب يضم ما كتبه الاستاذ المودودي عن الشخصيات الاسلامية المعاصرين في المناسبات المختلفة . صدر من لاهور عام ١٩٧٨ م
- ٤ - المراسلة بين الاستاذ المودودي والسيدة مريم جميلة : مجموعة من الرسائل المتبادلة بين الاستاذ المودودي والسيدة مريم جميلة سيدة امريكية حديثة العهد بالاسلام (١) .
- ٥ - مبادئ الاسلام الاقتصادية والسياسية : كتاب يضم مختارات ما كتبه الاستاذ المودودي في الاقتصاد والسياسة في المناسبات المختلفة . وقام بتدوينه وترجمته الاستاذ / ايم - ايم - شريف باللغة الانجليزية .
- ٦ - الامامان الجليلان ابوحنيفة وابويوسف : كتاب يضم ما كتبه الاستاذ المودودي عن هذين الامامين الجليلين . وقام بتدوينه وترجمته باللغة الانجليزية السيد / ايم - ايم - شريف .
- ٧ - اليهود والنصارى : هذا الكتاب يشمل ما كتبه الاستاذ المودودي عن اليهود والنصارى في تاليفاته المختلفة . وقام بجمعه وتدوينه الاستاذ نعيم الصديقي .
- ٨ - اى شىء يدعو الاسلام : كتاب يشمل البحث الذي كتبه الاستاذ المودودي بطلب من المجلس الاسلامي الاوروبي بلندن للاقائه في المؤتمر الاسلامي الدولي عام ١٩٧٦ م بلندن .

(١) هي السيدة مريم جميلة ولدت في بيئة يهودية امريكية عام ١٩٣٥ الميلادي ثم هداها الله الى الاسلام بعد ان قرأت كتب الاستاذ المودودي وهاجرت اليه باستان وتزوجت مع السيد / محمد يوسف احد اعضاء الجماعة الاسلامية ولها عدد غير قليل من المؤلفات القيمة حول الموضوعات الاسلامية المختلفة .

- ٩ - ذبائح أهل الكتاب : هذا البحث يشمل تاليف الاستاذ المودودي الشهير التفهيمات باللغة الارديسية وصدرت ترجمته باللغة العربية للاستاذ خليل الحامدي عام ١٩٧٥ الميلادي من قبل دار المعروية للدعوة الاسلامية بلاهور.

الكتب التي ألفها الاستاذ المودودي قبل

قيامه للدعوة الاسلامية

هناك عدد غير قليل من الكتب القيمة التي ألفها الاستاذ المودودي ، قبل قيامه للدعوة الاسلامية عام ١٩٣٣ م . وقد اسلفنا ذكر بعضها . والان يجدر بنا أن نتكلم عن هذه الكتب بايجاز :

(١) التأليفات :

- ١- مجاز اليونانيين في سمرنا : هذا الكتاب أسلفنا عن ذكره .
- ٢- النشاطات التبشيرية في تركيا : هذا الكتاب أسلفنا ذكره .
- ٣- مسألة الخلافة : هذا الكتاب أسلفنا ذكره .
- ٤- الاخلاق الاجتماعية وفلسفتها : هذا الكتاب ألفه الاستاذ المودودي عام ١٩٢٤ الميلادي ولكنه صدر متأخرا في عام ١٩٨٠ م من قبل الاخوان للنشر والتوزيع بكراتشي .
- ٥- مصدر قوة المسلم : هذا الكتاب أسلفنا عن ذكره .
- ٦- الجهاد في الاسلام : هذا الكتاب اسلفنا عن ذكره .
- ٧- مسألة اللباس : هذا الكتاب ايضا اسلفنا عن ذكره .
- ٨- الدولة الاصفية والاستعمار البربراني : كتاب ألفه الاستاذ عام ١٩٢٨ الميلادي .
- ٩- السلاجقة : هذا الكتاب ألفه الاستاذ عام ١٩٣٠ الميلادي .

١٠٠- تاريخ الدكن السياسي : كتاب ألفه الاستاذ عام ١٩٣١ الميلادي .

التراجم من اللغة العربية :

وهذه الكتب نقلها الاستاذ المودودي من اللغة العربية الى اللفـة

الانجليزية :

١- الاسلام والاصلاح للشيخ عبدالمعز الشاويش : هذا الكتاب نقله الاستاذ من اللغة العربية الى اللغة الاردية عام ١٩١٦ م حيث كان عمره ١٣ سنة (١) .

٢- تحرير المرأة للاستاذ قاسم امين : هذا الكتاب نقله الاستاذ من اللفـة العربية الى اللغة الاردية في عام ١٩١٩ م حيث كان عمره ١٦ سنة (٢) .

٣- تاريخ الاسلام لابن الخلكان : هذا الكتاب ترجم الاستاذ جزء منه وهو الجزء الذي يتعلق بالفاطميين وذلك في عام ١٩٢٩ م (٣) .

٤- الاسفار الاربعة للشيخ صدر الدين الشيرازي : هذا الكتاب نقله الاستاذ من اللغة العربية الى اللغة الاردية في عام ١٩٣١ الميلادي (٤) .

...

(١) انظر جريدة آتش فشان الاسبوعية عدد خاص في ذكرى الاستاذ المودودي

لشهر نوفمبر ١٩٢٩ م .

(٢) انظر المرجع السابق .

(٣) انظر الاستاذ محمد يوسف - مولانا مودودي انبي وترو وسرول كى نظرين

ص ٤٩ .

(٤) انظر المرجع السابق ص ٤٩ .

الفصل الخامس

تذكير وعقوبة الاستغناء عن الفكرة العلمية

إنني لأعجز وعجلاً أثرني الحس الإسلامي العظيم فكراً وحليماً ضد تأثير الرأسمال العظيم
 الذي في العمود والذات السمة، وقد كان السير جمال الدين الأفغاني من أقوى شخصيات الإسلام
 التي نبغت في القرن الماضي ولا كبرها فهو في حقول السبب المتقف، وسيطرة بن
 سحر حديثها، وتأثير في الفكر والإبتهات والاساليب اللغوية والكتابية والخطابية
 حتى كان صانع عرس وفتح عهده ولكن الحق يقول أن سيطرته العقلية والنفسية كانت
 محدودة في السخط على الأوضاع السيكلية القائمة، والاستعمار الأجنبي، وفي أداة الألفة
 والنخوة في الشعوب الإسلامية المحكومة في بلادها، والعمل للجامعة الإسلامية، ولم تر أفتحا
 فكرة نسفة، والوحدة والوحدة إيجابية تقوم على الدراسات الإسلامية العميقة بخلاف
 الكتابات السيراني الأحملي الموروثة التي قامت وعوت على الكس العلمية أعمق وأشد
 من كس تقوم عليها وحولت سيكليه وروو فعل الاستعمار الأجنبي، وما يجب أن يسجل في
 مآثره الخالدة أنه قد كان كتاباته فضل كبير في إغاوة الثقة إلى نفوس السبب المتقف الذي
 هدد حية الإسلام لمسيرة العصر الحديث بل لبقاوتها، وتغلب على مشكلة الظرفية المعقدة
 ومعالجتها بل للفتح عرس وقومها، ومحاورة "مركب النقص" في نفوس هؤلاء الشباب فيما
 يتصل بالعقائد والأخلاق ونظم الحياة الإسلامية، وقد لعبت كتاباته القوية ثم صهروه
 المتواصلة الرخبة القوية العارثة لقيم حكم إسلامي ونظام إسلامي وجمع أفضس في كل بلد
 إسلامي، بل في كل بقعة من بقاع الارض.

الشيخ ابوالحسن على الندوي

مؤثرات دعوة الاستاذ المودودي الفكرية والعلمية

في ختام حديثنا عن عصر الاستاذ المودودي وحياته ودعوته ومؤلفاته نذكر هنا موجز مؤثرات دعوته الفكرية والعلمية ، وذلك لكي نعرف مدى تأثير دعوته في العالم الاسلامي ، وبهذا الصدد يجدر بنا ان نقارن بين اوضاع العالم الاسلامي في العصر الذي بدأ الاستاذ المودودي دعوته فيه وبين الاوضاع التي يعيش بها العالم الاسلامي اليوم وذلك من النواحي المختلفة ، وهذه المقارنة يتبين منها بكل صراحة ان الصراع الذي قد بدأ في العالم الاسلامي بعد سيطرة الاستعمار السياسي والحضارية بوقوع الامة الاسلامية في العبودية الفكرية للحضارة الغربية الحديثة والفلسفات الجاهلية التي هي جاءت بها ويفقدان الازعان في صلاحية الاسلام لقيادة الركب البشري نراه الان في مرحلة جديدة ، وهذه المرحلة الجديدة تختلف بكثير من المرحلة الاولى حيث نجد ان العبودية الفكرية للحضارة الغربية وعلومها المادية وفلسفاتها الجاهلية بدأت تضعف يوما فيوما ، وقد أنقذ الله كثيرا ممن المسلمين المثقفين منها وهكذا نرى ان عانهم في صلاحية الاسلام لقيادة البشرية وحل مشاكلها يزيد مع مرور الايام ، فضلا عن هذا نرى ظهور الحركات الاسلامية في البلاد الاسلامية المختلفة ولا تزال هذه الحركات تزيد أثرا ونفوذاً فله الحمد .

والحقيقة أن هذا التخيير العظيم في العالم الاسلامي كان ظهوره نتيجة للدعوات الاسلامية التي ظهرت في البلاد الاسلامية المختلفة خلال ذلك العصر ومن أهم هذه الدعوات هي الدعوة التي قام بها الاستاذ المودودي ، وهذا ما يتبين من مؤثرات دعوته الفكرية والعلمية في المجالات المختلفة وأهم هذه المؤثرات الفكرية والعلمية هي كالاتي :

١- احياء التصور الصحيح للدين : من أهم أعمال الانتسابان المودودي وأكبرها احياء التصور الصحيح للإسلام الذي هو دين كامل وتتسع دائرته الى كل ناحية من نواحي الحياة الفردية والاجتماعية .
والحقيقة بانه لم يكن تصورا جديدا بل هو نفس التصور الحقيقي الذي تشير اليه الآية الكريمة (اليوم أكملت لكم دينكم واتممت تكميلكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) (١) ، والتي تدل عليه أسوة النبي وخلفائه الراشدين ، ولكن مع مرور الايام بدأ ذلك التصور الحقيقي يختفى من العميون ، فبعد سيطرة الاستعمار الاوربي الفاشم على معظم البلاد الاسلامية تنسى المسلمون او تناشوا غايتهم وخصائهم ذلك التصور الاسلامي الصحيح . ولذلك بدأ المودودي باحياء التصور الصحيح للإسلام الذي تتسع دائرته في كل ناحية من نواحي الحياة الفردية والاجتماعية وذلك بالادلة من القرآن والسنة وبالبراهين العلمية والحقوية ، وقد بذل وسعه لشرح النظام الاسلامي وشروطه المختلفة ، وذلك بأسلوب علمي عصري متين ، وألف عدة من الكتب القيمة لتحقيق ذلك الهدف ومنها تفسيره "تفهم القرآن" و "مفاهيم اسلامية حول الدين والدولة" و "نظرية الاسلام وهدديه في السياسة والقانون والدستور" و "كيف تقام الحكومة الاسلامية" و "الخلافة والملك" و "تدوين الدستور الاسلامي" و "الاسلام ومعضلات الاقتصاد" و "نظرية الاسلام السياسية" و "نظام الحياة في الاسلام" وغيرها وهكذا تمكن من احياء التصور الصحيح للإسلام . ويقول الشيخ أبوالمعسن علي الندوي عن عظمه الجليل هذا " قد عرض الاسلام ونظام حياته وواضع حضارته وحكمه ، وصياغته للمجتمع والحياة ، وقيادته للركب البشري والمسيرة الانسانية في اسلوب علمي رصين في لفه عصرية تتفق مع نفسية الجيل المثقف ومستوى العصر العلمي " (٢) .

(١) سورة المائدة آية ١١ .

(٢) مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ٤٥٩ ص ٢٤ .

٢- أبراز التصور الصحيح للتوحيد ومتطلباته :

ومن أعماله الجليلة الخالدات حياة التصور الصحيح للتوحيد ، ومن المعلوم بان عقيدة التوحيد هي اصل الدين واذا فسدت هذه العقيدة فسدت الدين كله ، وعقيدة التوحيد تشتمل - كما يتبين من القرآن والحديث - توحيد الربوبية وتوحيد الالهية وتوحيد الحاكمية .

ومن متطلبات التوحيد الاساسية ان يكون الحكم لله ولكن بدأ المسلمون يرون ان التوحيد يشمل توحيد الالهية وتوحيد الربوبية فحسب ، واما توحيد الحاكمية فتجاهل المسلمون كونها من انواع التوحيد ، مع ان عددا غير قليل من آيات القرآن تدل على ذلك ومنها قوله سبحانه (ان الحكم الا لله امر الا تعبدوا الا اياه ، ذلك الدين القيم) (١) . وقوله سبحانه (ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون) وقوله سبحانه (ان الحكم الا لله) (٢) وغيرها كثير من الآيات الكريمة . . . وكان لذلك ان كثير من المسلمين الذين كانوا يعتقدون في عقيدة التوحيد لم تمنعهم هذه العقيدة من الوقوع في الشرك في الحاكمية . . . حتى الملماء والمشايع الذين كانوا يتمسكون بعقيدة التوحيد بالشدة ، وكانوا ينكرون الشرك في الربوبية والالهية لم يهجموا على فساد الحاكمية قبل ، حتى ان كثيرا منهم كانوا راضين عن الحكومات غير الاسلامية ولم يجتهدوا لقيام الحكومات الاسلامية التي تتمكن من القضاء على الشرك في الحاكمية . ولكن الاستاذ المودودي قد وفقه الله ان يثبت بالادلة من القرآن والحديث بأن عقيدة التوحيد لن تكمل الا اذا اشتملت على توحيد الحاكمية ، والكتب التي شرح الاستاذ فيها هذه العقيدة كثيرة ومنها

-
- (١) يوسف / ٤٠ .
 - (٢) الطائفة / ٤٤ .
 - (٣) الانعام / ٥٧ .

تفسيره " تفهيم القرآن " و " المصطلحات الأربعة في القرآن " و " مبادئ الاسلام " والخطب ، والحضارة الاسلامية أسسها ، ومبادئها ، وغيرها مسن الكتب ، حتى جعله عقيدة لجماعته كما يقول دستور الجماعة : " ان لا يسلم لغير الله بانه ملك او مالك الملك ، او مصدر السلطة العليا ، ولا يعترف لاحد غير الله بحقه في الأمر والنهي بنا " على سلطته الذاتية وكذلك لا يدين بغير الله شارعا ومقننا مستقلا بذاته ، ويرفض كل طاعة لا تتبع طاعة الله ولا تلتزم باحكام الله ، فالله وحده هو مالك حقيقي لملكه وغالقا لمخلوقه وليس لغيره ابدا حق الطكية والحاكمية بصفة مطلقة " (١) .

٣- اثبات صلاحية الاسلام في كل زمان ومكان :

ومن أعماله الكبيرة مواجهته للتحدي الذي جاءت به الحضارة الغربية الحديثة تحت رعاية الاستعمار الفاشم واعادة الثقة في صلاحية الاسلام للمصر الحديث . والحقيقة ان ذلك التحدي كان أكبر التحديتات التي واجهها الاسلام والمسلمون في التاريخ ، لأنه - كما ذكرنا في الفصل الاول - كانت دائرته تتسع في كل ناحية من نواحي الحياة الفردية والاجتماعية وكانت تحيط بالعقائد والنظريات والافكار والعلوم والسياسة والحكومة والتعليم والتربية ، والاقتصاد والمدنية ، ولم يبق شيئا خارجا عن دائرته سيطرته ونفوذه ، والنظريات الفاسدة والحركات الهدامة كالمادية والعلمانية والشيعوية والاشتراكية وغيرها من الفلسفات المادية اللادينية التي جاءت بها الحضارة الغربية الحديثة ، والموقف الذي قد اتخذه المسلمون تجاه هذه الحضارة الجاهلية ، كان موقف الخضوع والاستسلام الذي اتخذه المثقون الجدد الذين كانت في ايديهم زعامة السلطة في المجتمع او موقف الاعتزال والوقف السلبي الذي اتخذه العلماء والمشايخ الذين لم يبق لهم في المجتمع

(١) دستور الجماعة الاسلامية بباكستان - المادة الثالثة (٥) ص ٣٠

أثر يذكر ، والحقيقتان كلا الموقفين كانت مفاسدهما أكثر من نفعهما ، وكان أكبر تلك المفاسد وخطرهما ان المثقفين الجدد الذين كانت زمامة السلطة في ايديهم قد وقعوا في العبودية الفكرية للحضارة الغربية الحديثة والنظريات المادية بنية والفلسفات المادية الجاهلية التي جاءت بها ، ونتيجة لهذه العبودية الحضارية بدأت ثقتهم في صلاحية الاسلام تنقص يوما بعد يوم وبدأت الحركات الهدامة تنتشر في المسلمين ، واما العلماء والشايخ الذين كان من واجبههم ان يقوموا لمواجهة تلك الحركات فانهم لم يعرفوا عنها شيئا ، ولذلك لسم يتمكنوا من مواجهتها ، ولكن الاستاذ الحودودي فضلا عن امعان نظره في الكتاب والسنة والعلوم الاسلامية الاخرى ، درس أيضا النظريات والفلسفات المادية المادية بنية التي قد جاءت بها الحضارة الغربية الحديثة دراسة عميقة ، فتمكن من اتخاذ الموقف الجريء الصحيح تجاه هذه الحضارة المادية بنية وانتقد النظريات والفلسفات المادية المادية بنية التي جاءت بها نقدا عظيما مؤيدا بالادلة العقلية ، وهكذا بحمد الله - تمكن من انقاذ الشباب من العبودية الفكرية التي وقعوا فيها بعد تعليمهم في المعاهد الحديثة كما تمكن من اعادة ثقتهم في صلاحية الاسلام لحل مشاكل الحياة ولقيادة البشرية في العصر الحاضر وبعض كتبه التي لها دور خاص في ذلك التخيير هي " نحن والحضارة الغربية " و " الاسلام في مواجهة التحديات المعاصرة " و " العجائب " و " حركة تحديد النسل " و " الربا " و " مفاهيم اسلامية حول الدين والدولة " ، فكانت السنة الشريفة في التشريع " ، " طريق السلام " ، " رسائل ومسائل " ، الاسلام والجاهلية " ، حركة تحرير الهند والمسلمون " و " الاسلام ومعضلات الاقتصاد " ، و " الاسلام ونظريات الاقتصاد الحديثة " وغيرها من الكتيبات الصغيرة .

ويجدر بنا ان ننقل هنا اراء بعض من العلماء الكبار في علمه هذا ، فيقول

الشيخ عتيق الرحمن رئيس المجلس الاستشاري لسلطة الهند ورئيس ندوة

المصنفين بدله في كلمة رثائه : " ان الاستاذ المودودي قد وفقه الله بالقدرة بانسه كان يعرض التعليمات الاسلامية القيمة في أسلوب جذاب يجعل المثقفين الجدد يتأثرون به ، والحقيقة بان الأسلوب العظي الذي كان يعرض الاسلام فيه كان اسلوبا جديدا موهوبا جدا ، ان لم يكن عظما جديدا " ثم يقول : " وكان من تاثير طمحه الجذاب بان الشباب المسلمين تأثروا عنه في العالم كله والحقيقة بان هذا العصر الجديد قد اثره الاستاذ المودودي بفكره الى حد كبير واننى لا اعرف شخصا اخر في التاريخ اثرى عصره الى هذا الحد " (١) .

ويقول الشيخ ابوالحسن علي الندوي : " وما يجب ان يسجل في مآثره الخالدة انه قد كان لكتاباته فضل كبير في اعادة الثقة الى نفوس الشباب المثقف الذكي بصلاحيه الاسلام لمسيرة العصر الحديث ، بل لقيادته ولتخلب على مشكلاته الطريفة المعقدة ومعالجتها بل لل منع عن وقوعها ، ومحاربة مركب النقص " في نفوس هؤلاء الشباب فيما يتصل بالعقائد ، والاخلاق ونظم الحياة الاسلامية ، وقد بعثت كتاباته القوية ثم جهوده المتواصلة الرغصة القوية العارمة لقيام حكم اسلامي ونظام اسلامي ومجتمع افضل في كل بلد اسلامي بل في كل بقعة من بقاع الارض " (٢) .

٤- تجديد اسلوب الدفاع عن الاسلام :

ومن اعماله العلمية الكبيرة انشاء علم الكلام الجديد ، ومن المعلوم ان علم الكلام الذي يدرس في المعاهد الدينية القديمة قد انشأ طمعا الاسلام قبل قرون لمواجهة التحدي الذي كان يواجهه العالم الاسلامي فسق ذلك الوقت من قبل فلسفة الاغريق اللادينية ، فالحمد لله ، انهم تمكنوا من مواجهة ذلك التحدي وانقاذ العالم الاسلامي من سيطرتها ، ولكن التحدي

(١) جريدة "جسارت" اليومية كراتشي عدد خاص في ذكرى الاستاذ

المودودي ص ٦٥ .

(٢) مجلة المجتمع الكويتية عدد ٤٥٩ ص ٢٤ .

الذى جاءت به الحضارة الغربية الحديثة كان يختلف عن ذلك التحدى بكثير ، ولذلك اهتم الاستاذ بانشاء علم الكلام الجديد لمواجهة هذا التحدى ، ومن مزايا علم الكلام هذا ان الاستاذ المودودى يأتى بأدلة من الاشياء العامة التى نراها حولنا ، وفق اسلوب عطفى جذاب يفهمه العلماء والمشائخ وعامة المسلمين سويا وفق لغة مجردة من اصطلاحات علم الكلام لكى يتمكن كل واحد من فهمه بسهولة ولكن مع ذلك لم تنزل أدلته متمسكاً بالقوة العلمية التى لا يمكن لدعاة الفلسفات المادية الحديثة ان يتفوقوا امامها وكتب الاستاذ المودودى كلها طيبة بالامثلة لهذا الاسلوب ولا سيما الكتب الآتية : " فى محكمة العدل " - التوحيد والرسالة والاخرة " ، طريق السلام ، الاسلام والجاهلية " ، " نحن والحضارة الغربية " ، الاسلام ومعضلات الاقتصاد " ، " الربا " ، " الحجاب " ، حركة تحدى النسل " الاسلام فى مواجهة التحديات المعاصرة " ، " مفاهيم اسلامية حول الدين والدنيا " .

وفى هذا الصدد يجدر بنا ان ننقل هنا ما قال فيه الشيخ سيد سليمان الندوى احد كبار العلماء فى شبه القارة الهندية ، : " اننى اقدم اليكم اليوم عالماً متبحراً ، ويعرف العالم كله الاستاذ المودودى ، ولا شك فى انه متكلم الاسلام فى هذا العصر ، وعالم دين له مكانة عالية ، وطوفان الاحاد الذى طغى على شبه القارة الهندية ، كان من مشيئته ان يواجهه رجل له بصيرة عميقة فى العلوم والفلسفات الاوربية الحديثة والقديمة من ناحية ، ومن ناحية اخرى هو عالم فاضل درس القرآن والحديث دراسة عميقة مكنته من ان يناقش جميع مشاكل العصر الحاضر فى ضوءها بمنتهى الاطمئنان . وهذا هو السبب الذى يجعل الطحدين والدهريين يرتعدون منه ويهربون امام أدلته وحججه القوية " (١) .

(١) الاستاذ محمد يوسف - " مولانا مودودى ابنى اوردوسروى كى نظريات من

٥ - بيان الفرق بين الاسلام وبين ما هو ينتسب الى المسلمين :

ومن أعماله الكبيرة التي لا ينافسه فيها احد عنايته بالفرق بين الاسلام وبين ما هو ينتسب الى المسلمين وكان يعتقد بان كل ما ينتسب الى المسلمين فردا او جماعة او شعبا او حكومة فهو " اسلامي " ففرى بان مجتمع المسلمين مهما تكن حالته الدينية والاخلاقية والاجتماعية مخالفا للروح الاسلامي فهو يعتبر " المجتمع الاسلامي " والجماعات السياسية او القومية التي تعمل في بلاد المسلمين تعتبر من " الجماعات الاسلامية " مع ان اكثرها لا يهتمها الاسلام او تعليماته القيمة ، ومع أن أكثرها لا تكون الا أحزابا ليبرالية ديمقراطية او شيوعية والمعاهد التعليمية التي أنشئت ليث التعليم اللاديني الا فرنجي اطلق عليها اسم الكلية الاسلامية والمدرسة الاسلامية ككلية عليكرة الاسلامية التي قد اسسها السيد احمد خان لانتشار الثقافة الحديثة اللادينية في المسامير وحكومات ملوك المسلمين ورؤسائهم تعتبر " الحكومات الاسلامية " مع ان اكثرها تكون قومية او عثمانيّة او شيوعية في كيانها . حتى كثير من الشخصيات الكبيرة والذين احتلوا مناصب عليا في المجتمعات الاسلامية بذلوا ما في وسعهم لمحاربة الاسلام وشعائره لكن مع ذلك يعتبرون كالشخصيات الاسلامية الكبيرة واليك مثال مصطفى كمال الذي كان يدعى " الفازي " مع كونه أكبر أعداء الاسلام والمسلمين . والطك أمان الله الافغاني الذي كان يدعى ايضا " الفازي " مع كونه اول داعية التفرب والتفرنج في المجتمع الافغاني المسلم . وكانت نتيجة ذلك الالتباس بان الفاسد التي كانت في مجتمع المسلمين او حكوماتهم كانت تعتبر مفسد المجتمع الاسلامي والحكومة الاسلامية وهكذا كانت عيوب أفرادهم أو زعمائهم تنسب الى الاسلام وتعليماته فكانت تسبب في ابتعاد الناس عن الاسلام . فينتقد الاستاذ المودودي هذا المنهج الخاطيء للفكر فيقول " بعض الناس اذا يفكرون في مصلحة المسلمين حسب رأيهم يظنون بانهم يفكرون في مصلحة الاسلام ولا يميزون بين هذا وذاك " (١)

(١) حركة تحرير الهند والمسلمون . الجزء الثاني ص ١٢٠ .

وفي هذا الصدد يحكي لنا الاستاذ حكاية اهد زعماء حزب رابطة المسلمين بالهند الذي اشتكى عن بعض الأثنياء من " المسلمين " بانهم يذهبون السي " البخايا المتفرجات " حيث أن البخايا من " المسلمات " أحق بمعنايتهم (١) .

والاستاذ المودودي انتقد ذلك المنهج الخاطي للفكر وقدم الفكر الاسلامي الصحيح بالادلة من الكتاب والسنة وبالبراهين العقلية والعلمية وذلك في عدد من الكتب اهمها : حركة تحرير الهند والمسلمون ، والخطب ، ونحن والحضارة الغربية ، وتفهم القرآن .

وهكذا نرى بان تاريخ ملوك المسلمين ورؤسائهم يعتبر تاريخ الاسلام مع أننا نرى بان عددا غير قليل منهم لم تكن لحياتهم الشخصية او لحكوماتهم اية علاقة بالاسلام ، وهكذا نرى بان ذخائر الشعر والأدب التي جاء بها الشعراء والأدباء في عهد هؤلاء الملوك ، مهما كان اكثرها مخالفا للروح الاسلامية مما كان يسمى بالشعر والأدب الاسلامي ، حتى الغناء والموسيقى التي ازدهرت في عهدهم - مع كونها مخالفة للشريعة السمحة - كانت تسمى " بالغناء " و " الموسيقى الاسلامية " . وطن ذلك المقياس . . وكانت نتيجة ذلك المنهج الخاطي للفكر ان تمكن المستشرقون من الطعن في الاسلام كما كان من نتيجة ذلك ان كثيرا من الملوك والرؤساء في القرون المتأخرة حاولوا أن ياتوا بالادلة من ذلك " تاريخ الاسلام ، لأعمالهم القبيحة ولأفعالهم فيسر الاسلامية . وهكذا انتسب ذلك التاريخ الى الاسلام وجاء بالمشاكل الكبيرة في طريق الدعوة الاسلامية لأن من الطبيعي أن يأتي السؤال بان هل المقصود من الدعوة اعادة نظام هؤلاء الملوك ، فلذلك الاستاذ المودودي لكونه داعية رأى ضروريا أن يبين الفرق بين تاريخ الاسلام وبين تاريخ المسلمين ، ومن أهم الكتب التي ألفها في هذا الموضوع هي " تجديد الدين وحياته " و " الخلافة والملك " و " الحكومة الاسلامية " و " كيف تقام الحكومة الاسلامية " .

(١) انظر حركة تحرير الهند والمسلمون ، الجزء الثاني ص ٨٠ .

— ابراز أهمية فريضة اقامة الدين :

وهكذا من اعماله البارزة الجليلة تمكنه من احياء الموقف الصحيح تجاه الاسلام وتعليماته القيمة والاسلام هو الدين الذي جاء به الرسل ممن آدم عليه الصلاة والسلام الى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والنهاية التسي ارسله الله لاجلها هي اقامته في الحياة الانسانية السليمتكما يقول سبحانه (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) (١) . وكما بين النبي من علمه باقامة الدولة الاسلامية بالمدينة المنورة وتنفيذ الاحكام الاسلامية في الحياة الاجتماعية كلها وكما عمل خلفاؤه الراشدون باقامة الامة الصالحة على منهاج النبوة ، ولكن نرى ان مع مرور الايام بدأ المسلمون وحتى طماؤهم يفكرون بان اقامة النظام الاسلامي كانت مهمة النبي واصحابه في غير القرون فحسب ولكن اقامة النظام الاسلامي على منهاج النبوة او على منهاج الخلفاء الراشدة في ذلك العصر ، هذا ما لا نقدر عليه ابدا ، لاننا لسنا كالنبي او اصحابه ولا عصرنا كمصرهم ، فلهذا يكفيننا بان نهتم بدراسة القران والحديث والكتب الاسلامية الاخرى وتدريسها وننشئ المدارس الدينية لتحقيق ذلك الهدف او نكتفي بالدعوة والتبليغ وذلك بالقاء المحاضرات او بتأليف الكتب فحسب او نحافظ على التعليمات الاسلامية في حياتنا الشخصية ، وننتظر لظهور الامام المهدي لا قامة النظام الاسلامي بكامله ، وهكذا قد اصبح الاسلام طما يدرس ويدرس في المدارس او يطلع عليه في الكتب والمحاضرات ، او ديننا قد اختلفت بعض تعليماته في الحياة الفردية وقد اهلقت تعليماته للحياة الاجتماعية في انتظار الامام المهدي ، فهذه كانت الأوضاع حينما قام الأستاذان المودودي بالدعوة بأن الاسلام هو دين كامل شامل بكل ناحية من نواحي الحياة الفردية والاجتماعية ولا يعتبر الايمان به كاملا ولا الانتساب اليه صحيحا الا بالاعتقاد بان اقامة الدين بكامله هو واجب ديني لا بد لكل مسلم ومسلمة

(١) سورة الشورى الآية ١٣ .

الاهتمام به والقيام له ، فمن مقتضيات ايماننا ان نأخذ ان نقوم لاقامة النظام الاسلامى بكامله كما قام باقامته النبى صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون ، واما الاكتفاء بدراسة القرآن والحديث والكتب الدينية الاخرى بدون الاعتناء بإقامة الدين بكامله فهو مالا يسمح له الايمان لا العقل . فيقول الاستاذ المودودى " ما رأيكم فى المريض الذى يقرأ كتابا فى علم الطب ويظن بأن قراءته لذلك الكتاب ستشفيه من المرض فيكون ظنكم به بان اصبح مجنوناً فلا بد ان ينقل الى مستشفى الأمراض النفسية ، فطبا لكم ان بان الكتاب الذى قد أرسله الله سبحانه وتعالى لعلاج جميع امراضكم الفردية والاجتماعية فتظنون بأن قراءته فحسب تكفى لعلاج جميع تلك الأمراض " (١) بل يرى الاستاذ المودودى بان هذا الاهتمام بدراسة القرآن وتدرسه بدون الاعتناء باقامة النظام الاسلامى لا يتمكن الانسان به من فهم القرآن قط فيقول : " ان القرآن ليس بكتاب يحوى نظريات مجردة وافكار محضه حتى تدرسه جالسا على الاربعه ثم تفهم جميع مطالبه كما أنه ليس بكتاب يبحث فى اللاهوت فتحمل جميع أسراره ومكنوناته فى المعاهد والزوايا . ان هذا الكتاب كما قلت فسى بداية المقدمة^(٢) كتاب دعوة وحركة " ثم يواصل حديثه : ان كيف يتأتى لك اليوم ان يتجلى لك جميع ما يضم هذا الكتاب من أسرار وحقائق بمجرد ان تمر على حروفه وتنطق بكلماته ، وبدون ان تنزل الى ميدان الصراع بين الاسلام والكفر ، وتخبر قد ميك فى معركة الاسلام والجاهلية وبدون ان يصادفك المرور بمنزل من منازل هذا الكفاح " (٣) .

(١) الخطب ، الجزء الاول ص ٤٧ .

(٢) يعنى بها مقدمة تفسيره (تفهيم القرآن) .

(٣) مقدمة تفهيم القرآن ص: ٣٣-٣٤ .

ابرار أهمية التوازن في الاهتمام بأحكام الاسلام وتعليماته

وكذلك من أعماله الكبيرة ابرار أهمية مبدأ الأهم فالأهم والاهتمام بأحكام الاسلام وتعليماته المختلفة حسب مكانتها في الدين والاسلام دين كامل شامل لكل ناحية من نواحي الحياة الفردية والاجتماعية ، وهو تشمله العقائد والعبادات والأحكام والحدود والمبادئ الأساسية ومعالم الطريق لكل دائرة من دوائر الحياة المختلفة ، وكل من هذه العقائد والمبادئ والعبادات والأحكام لها مكانة خاصة في الدين . ولا بد من الاهتمام بها حسب مكانتها ، وإي تغيير في مكانتها الخاصة لا بد من أن يأتي بالفساد العظيم في الدين ، وهكذا الاهتمام بالعمل لبعض الأحكام وعدم العناية ببعضها يأتي في حكم قوله سبحانه (أفترؤن من بعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب) (١) .

فلهذا نرى أن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضوا الله عنهم كانوا يهتمون بأحكام الدين وتعليماته القيمة حسب مكانتها في الدين فكانوا يهتمون بشؤون الدولة مع مداومتهم على العبادات وأنوا اكثر اهتماما بالفرائض والواجبات من اهتمامهم بالنوافل - ولكن لم يتمكن المسلمون من الاهتمام بهذا المبدأ في القرون الأخيرة ولا سيما بعد استيلاء الاستعمار السياسي والحضاري على العالم الاسلامي فكان لهذا عدم الاهتمام بأحكام الدين وتعليماته أن رأى بعض العلماء والمشايخ ان الدين لا يشمل الا اداء الطقوس واما اقامة الحكومة الاسلامية فلا حتكام بما أنزل الله وهذا ما ليس له اية علاقة بالدين وهذا ما انتهى الى انتشار فكرة فصل الدين عن الدولة وانهور الفساد في حياة الامة الاسلامية الاجتماعية كما كان نتيجة انتشار هذه الفكرة الخاطئة ان اصبح المسلمون اكثر عناية بالفروع والجزئيات من عنايتهم بالاصول والمبادئ ، فانتقد الاستاذ المودودي هذه الفكرة الضالة بالادلة من الكتاب والسنة والبراهين العقلية القوية في تأليفاته المختلفة وبين بكل صراحة ان الاسلام لا يمكن العمل بمقتضياته الا بالاهتمام بمبدأ الأهم فالأهم

وبالعناية باحكام الدين وتعليماته حسب مكانتها . فأهم الكتب التي تناول الاستاذ هذا الموضوع فيها هي " نحن والحضارة الغربية " و " الخطب " و " التفهيمات " و " الحكومة الاسلامية " فكان لجهاد الطويل في هذا المجال ان تمكن الاستاذ المودودي من انقاذ ملايين من المسلمين من سيطرة هذه الفكرة الضالة لافى شبيهه القارة الباكهنديية فحسب بل في العالم الاسلامي من شرقه الى غربه .

مواجهة التحديات المعاصرة والحركات الهدامة

ذكرنا في هذه الرسالة ان سيطرة الغرب السياسية والحضارية جاءت بالتحديات المعادية العنيفة للاسلام فكان لهذه السيطرة الفاشحة ان ظهرت في المجتمعات الاسلامية عديدا من الحركات الهدامة ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، كان لوطية الاستعمار ان انتشرت في المسلمين الفلسفات المادية الجاهلية كال تفسير الجدلي للتاريخ لهيجل والتفسير الجدلي للمادى للتاريخ لماركس ونظرية داروين للتطور والتفسير الجنسى لعلم النفس لفرويد والشيوعية ، والعلمانية ، والقومية لوطنية ، وما الى ذلك من الفلسفات الجاهلية والنظم اللادينية ، وكان للعبودية الفكرية للحضارة الغربية ان تأثر بها كثير من المسلمين المثقفين وظهرت في العالم الاسلامي الحركات المستقلة للتمميم هذه الفلسفات الجاهلية والنظريات اللادينية فكان لهذه الظاهرة ان الحركات ^{التي} بدأت لتحرير البلاد الاسلامية من سيطرة الاستعمار الفاشم كانت اكثرها تقوم على اساس القوميات الوطنية واللسانية الجاهلية وانت تهدف الى اقامة الحكومات القومية اللادينية او الحكومات الشيوعية كما كان لهذا السبب ان الحكومات التي اقيمت في البلاد الاسلامية المختلفة بعد تحريرها من الاحتلال الاستعماري كانت اكثرها قومية علمانية او شيوعية او اشتراكية ، وهكذا دوائر الحياة الاخرى المختلفة سيطرت عليها العلمانية بكل مفسدها واقتصرت دائرة الدين الى اداء الطقوس فحسب ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى كان لظهور الحركات الهدامة المعادية كالكاديبانية والبهائية وجحود السنة النبوية ان زادت المخططات والموامرات المعادية بجانب وانتشرت التأويلات الباطلة للآيات القرآنية التي جاء بها دعاء هذه الحركات لتحقيق اهدافهم الشنيعة بجانب آخر .

والاستاذ المودودي بعدما قام بعمل الدعوة ، رأى ضروريا ان يهتم بمواجهة هذه التحديات والتيارات المعادية والحركات الهدامة فقام باصدار عدد من التأليفات والبحوث القيمة التي انتقد فيها الفلسفات المادية الجاهلية والنظم اللادينية والحركات الهدامة بالبراهين العقلية القوية . وهكذا تمكن من القضاء على الصبغة الفكرية للحضارة الجاهلية الحديثة واعادة ثقة المسلمين في صلاحية الاسلام لقيادة البشرية في ذلك العصر ، وكان لجهوده في هذا المجال اثرا كبيرا في شبه القارة الهندية فحسب بل في العالم الاسلامي بأسره فتقول مجلة " الاعتصام " المصرية متحدثة عن مدى تأثير جهود الاستاذ المودودي في ذلك المجال : " المفكر الاسلامي الكبير الذي رد للاسلام اعتراره ، وأحل الفكر الاسلامي مكانه اللائق به يواجه في صلابته تحديات الفكر الاجنبي المستورد ، ويتصدى في قوة للفكر الدخيل المنتسب زورا الى الاسلام " (١) .

الدعم الفكري للحركات الاسلامية المعاصرة

ومن أعمال الاستاذ المودودي الخالدة في مجال الدعوة الاسلامية هو تقديمه الدعم الفكري للحركات الاسلامية المعاصرة ، وتأليفات الاستاذ المودودي حول الموضوعات الاسلامية المختلفة لها دور كبير في انشاء الحركات الاسلامية في بلدان العالم المختلفة منها باكستان والهند وبنغلاديش وولاية جامو وكشمير الحرة وولاية جامو وكشمير المحتلة وسيلان وبورما التي تشتغل فيها الحركة الاسلامية باسم " الجماعة الاسلامية " ومنها البلاد التي قد أنشئت فيها الحركة الاسلامية نتيجة لمؤثرات دعوة الاستاذ المودودي مثل البلد الاسلامي المريق أفغانستان كما أسلفنا عن ذكره في هذه الرسالة (٢) . فضلا عن هذا تأليفات الاستاذ المودودي القيمة يستفيد بها العاطلون في مجال الدعوة الاسلامية في أنحاء العالم . ويقول الاستاذ محمد قطب :

" كتابات الاستاذ الكبير ابي الاعلى المودودي تعتبر من منارات الفكر الاسلامي المعاصر ، وأدوات ورا كبرى في تقديم حقائق الاسلام للمسلم المعاصر بطريقتة مبسطة مبلورة يسهل فهمها واستيعابها " (٣)

(١) مجلة الاعتصام المصرية - العدد الاول لعام ١٤٠١ هـ .

(٢) انظر هـ من هذه الرسالة .

(٣) الاستاذ محمد قطب - في مقالته " من ذب مجلة " اردو داجست الشهرية " .

ويقول الاستاذ ابو الحسن علي الندوي : " كانت كتاباته وبحوثه موجهة الى معرفة طبيعة الحضارة الغربية وفلسفتها للحياة وتحليلها تحليلًا علميًا قلما يوجد له نظير في الزمن القريب ، ، ، وقد عرض الاسلام ونظام حياته ، واوضاع حضارته وحكمه للمجتمع والحياة وقيادته للركب البشري والمسيرة الانسانية في اسلوب علمي رصين وفولغية عصرية تتفق مع نفسية الجيل المثقف ومستوى العصر العلمي وبملا الفراغ الذي كان موجودا في الادب الاسلامي المعاصر منذ زمن طويل ويقضى حاجة في نفس الشباب الطموح الى مجد الاسلام والمسلمين وقيام دولة ومجتمعاته الشريفة المعترزة بنفسها ودونها ورسالتها ومقومات حياتها في الاقطار الاسلامية اولا وفي العالم بالتالي " (١) .

وتقول مجلة الاعتصام المصرية : " كان الاستاذ المودودي يحمل فكريا اسلاميا أصيلا وكان لهذا الفكر الاسلامي أن يؤسس مدرسة تلامذتها من شتى انحاء العالم الاسلامي ولم يقف المودودي عند حدود تقديم العطاء من الفكر الاسلامي بل تصدى للانظمة الحاكمة في ديار المسلمين والتي تعتنق فكريا جاهليا . . . وفي نفس الوقت تصدى للاستعمار الذي جثم على صدر الامة المسلمة وتصدى لعملائه فسو ديار المسلمين . . . وواصل جهاده حتى لقي ربه بعد ان اسس مدرسة كبرى يواجهه الان تلامذتها في انحاء المعمورة بفكرهم النير ومفهومهم السليم . الحقيقة د بينهم الذين جندوا أنفسهم لناواة الاسلام " (٢) .

وجملة القول أن دعوة الاستاذ المودودي نجد مؤثراتها الفكرية والعلمية في كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية وفي كل بلد من بلدان العالم وله دور كبير في احياء التصور الصحيح للاسلام وأنشأ ودعم الحركات الاسلامية فسو انحاء المعمورة هذا من ناحية وفي القضاء على العبودية الفكرية للحضارة الغربية واعادة الثقة في صلاحية الاسلام بقيادة البشرية في ذلك العصور يقول الشيخ ابو الحسن علي الندوي في كلمة رثائه للاستاذ المودودي : " انني لا أعرف رجلا أثر في الجيل الاسلامي الجديد فكريا وعلميا مثل تاشير الراحل العظيم لا في العمق ولا في السعة . . . وقد كان السيد جمال الدين الافغاني من اقوى الشخصيات الاسلامية التي نبخت في القرن الماضي واكبرها نفوذا في عقول شباب المثقف وسيطرة بل سحرا عليها وتأثيرا في الفكر والاتجاهات والاساليب الادبية والخطابية حتى كان صانع جيل ومفتتح عهد ولكن الحق يقال ان سيطرته العقلية كانت محدودة في السخط على الاوضاع السياسية القائمة والاستعمار الاجنبي وفي اثاره الانفة والنخوة في الشعوب الاسلامية المحكومة في بلادها والصل للجامعة الاسلامية لم ترافقها فكرة منسقة ولا دعوة ايجابية تقوم على الدراسات الاسلامية الصحيحة . . . بخلاف الاستاذ المودودي الذي قامت دعواته على أساس عملية اعمق وامتن من اساس تقوم عليها دعوات سياسية وردود فعل للاستعمار الاجنبي " (٣) .

(١) مجلة المجتمع الكويتية العدد ٤٥٩ - التاريخ : غرة محرم ١٤٠٠ هـ .

(٢) مجلة الاعتصام المصرية - العدد الاول لعام ١٤٠١ هـ .

الباب الثاني

منهج الاستاذ المودودي في تفسير القرآن الكريم

التفسير وتطوره خلال العصور

الفصل الاول

مقدمات أساسية لدراسة منهج
الاستاذ المودودي في تفسير
القرآن الكريم.

الفصل الثاني

منهج الاستاذ المودودي في تفسير
القرآن الكريم.

الفصل الثالث

الفصل الأول

التفسير وظوره عند العرب

بداية التفسير وظوره عند العرب.

المبحث الأول

التفسير في شبه القارة الهندية.

المبحث الثاني

المبحث الاول :التفسير وتطوره خلال العصور

التفسير لفظة هو الايضاح والتبيين . وفي لسان العرب (الفسر) البيان
فسر الشيء يفسر بالكسرة ويفسره بالضم فسرا ، وفسره آباءه . والتفسير
مثله ، ثم قال الفسر كشف المغطى والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل (١)
وهذا ما يؤيده قوله تعالى (ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن
تفسيرا) (٢) .

والتفسير في الاصطلاح هو علم يبحث عن معاني كتاب الله بقدر
الطاقة البشرية ويعرفه الزركشى (٣) بانه : " علم يعرف به فهم كتاب الله
المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج احكامه
وهكاه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان واصول الفقه
والقرآن ويحتاج لمعرفة اسباب النزول والناسخ والمنسوخ (٤) .

— الحاجة الى التفسير :

ومن المعلوم بأن القرآن قد أنزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه
وسلم باللسان العربي المبين و حكمه نزول القرآن باللغة العربية هي سهولة
الفهم لمن بحث النبي صلى الله عليه وسلم فيهم . وهذا ما يشير اليه قوله
تعالى : (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) (٥) . فيتضح
من ذلك ان من سنة الله تعالى أنه كان ينزل الكتاب بلسان قوم الرسول ،
لكي يتمكنوا من فهمه ، وهكذا أنزل القرآن ، ولكن من المعلوم ان فهم

(١) لسان العرب ج ٥ ص ٥٥٥ .

(٢) سورة الفرقان الآية ٣٣ .

(٣) هو الامام صدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى المصري (٥٧٤٥هـ - ٧٩٣م) .

(٤) البرهان في علوم القرآن ج ١ ص ١٢٠ .

(٥) سورة ابراهيم الآية ٤ .

اللغة ولا سيما فهم دقائقها يختلف باختلاف الأفراد ، ومن هنا كانت الحاجة الى التفسير لتمكن الافهام العادية من فهم المراد من القرآن الكريم .

— مصادر التفسير :

- ١ — القرآن الكريم : وأول مصدر للتفسير هو القرآن الكريم لأن القرآن يفسر بعضه بعضا فما اوجز في مكان قد يبسط في مكان آخر وما كان مطلقا في موضع قد يقيد في موضع آخر . ولهذا يعتبر القرآن الكريم أول مصادر التفسير وأهمها . ويقول الزركشى : " احسن طريق التفسير ان يفسر القرآن بالقرآن . فما اجل في مكان قد فصل في موضع آخر وما اختصر في مكان فانه قد يبسط في آخر " (٢) .
- ٢ — السنة النبوية : وسننا النبي صلى الله عليه وسلم هي المصدر الثاني للتفسير لانه صلى الله عليه وسلم قد بعثه ربه لتبيين القرآن الكريم كما قال تعالى : (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم لعلهم يتفكرون) (٢) . وكما قال سبحانه (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) (٣) . والحقيقة التي تبين من هذه الآيات ان الفاية التي بعث النبي صلى الله عليه وسلم لاجلها لم تكن إلا أن يبين بقوله وفعله المراد بما أنزل الله عليه . فذلك قد أوحى الله اليه صلى الله عليه وسلم معاني القرآن الكريم كما أوحى اليه ألفاظه . وهذا ما يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم : (ألا وانى أوتيت الكتاب ومثله معه) (٤) فذلك

(١) الزركشى — البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ١٧٥ .

(٢) النحل الآية ٤٤ .

(٣) سورة الجمعة الآية ٢ .

(٤) سنن أبي داود — كتاب السنة — باب في لزوم السنة .

كان من الطبيعي : بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان أعظم الناس بمسرات
 ما أنزل الله عليه . فلذلك اهتم النبي صلى الله عليه وسلم ببيان
 ما أنزل عليه بقوله وفعله . فيقول شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية :
 يجب أن يعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه معاني
 القرآن كما يتبين لهم الفاظه (١) .

٣ - والمصدر الثالث للتعليق هو تفسير الصحابة رضي الله عنهم لأنهم قد
 تعلموا القرآن الكريم من النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا يعرفون
 الأسباب التي نزلت فيها أكثر من السور أو الآيات وكانوا أكثر الناس
 فهما لللفظة التي نزل فيها القرآن ، كما كانوا يعرفون عادات العرب
 وأحوال اليهود والنصارى في جزيرة العرب وقت نزول القرآن .
 وجد ير بالذكر بأن الصحابة كانوا يتفاوتون فيما بينهم في قدرتهم
 في فهم القرآن وتفسيره (٢) . وكان أشهرهم حبر الأمة عبد الله بن عباس (٣)
 الذي دعا له النبي صلى الله عليه وسلم : " اللهم فقهه في الدين وعلمه
 الكتاب وعلمه التأويل " (٤) أو كما قال عليه السلام . فكان يعتبر أعظم

(١) الإمام ابن تيمية - مقدمة التفسير ص ٣٣١ .

(٢)

(٣) انظر الإمام ابن تيمية - مقدمة التفسير ص ٣٦٤-٣٦٥ .

(٤) هو عبد الله بن عباس ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وأحد من الصحابة
 الكبار . ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وقد توفي في الطائف عام ٦٨ هـ ،

الاصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص ٣٣٠-٣٣٤ .

(٥) صحيح البخاري - كتاب فضائل الصحابة - باب ذكر ابن عباس رضي الله
 عنهما .

الصحابة بالتفسير كما يقول ابن عمر رضى الله عنهما (١) (ابن عباس أظم الناس بما أنزل الله على محمد) (٢) . ومنهم عبد الله بن مسعود (٣) وكان ممن أوائل المسلمين وكان يلزم النبي صلى الله عليه وسلم في حله وترحاله ، وروى عنه صلى الله عليه وسلم (استقرئوا القرآن من أريمة ، من عبد الله بن مسعود ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل) (٤) .

ومنهم سيد القراء أبي بن كعب (٥) وهو من الأريمة الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم لاخذ القرآن منهم ، ومنهم الخلفاء الأريمة (٦) وزيد بن ثابت (٧)

-
- (١) هو عبد الله بن عمر الفاروق . ولد في السنة الثالثة بعد الهجرة وكان طالما زاهدا وقد توفي عام ٧٢ هـ أو ٧٣ هـ (الاصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص ٣٤٧-٣٥٠) .
- (٢) حافظ بن حجر المصقلاني - فتح الباري ج ٧ ص ١٠٠ (كتاب فضائل الصحابة - باب ذكر عبد الله بن عباس ض) .
- (٣) هو عبد الله بن مسعود بن غافل من بني هذيل قد اسلم قديما وكان كثير الملازمة للنبي صلى الله عليه وسلم وتوفي في سنة ٣٢ أو ٣٣ هـ ، (الاصابة ج ٢ ص ٣٦٨ الى ٣٧٠) .
- (٤) صحيح البخاري - كتاب فضائل الصحابة - باب مناقب عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .
- (٥) هو أبي بن كعب بن قيس من بني النجار كان يكنى بابي المنذر وكان من السابقين الى دار الاسلام وقد توفي عام ٣٠ هـ . (الاصابة في تمييز الصحابة ج ١ ص ١٩ - ٢٠) .
- (٦) وهم الخليفة الاول سيدنا ابوبكر رضى الله عنه . والخليفة الثانى سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه . والخليفة الثالث سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه . والخليفة الرابع سيدنا علي بن أبى طالب رضى الله عنه .
- (٧) هو زيد بن ثابت بن الضمك بن زيد بن موفان من بني مالك بن النجار وكان كاتب الوحي . قد كلفه سيدنا ابوبكر الصديق لجمع القرآن الكريم ثم كلفه سيدنا عثمان بجمع القرآن على لغة القريش . قد توفي عام ٤٥ هـ . (الاصابة في تمييز الصحابة ج ١ ص ٥٦٢-٥٦٣) .

وابوموسى الاشعري^(١) و : عبد الله بن الزبير^(٢) ومنهم أبوهريرة^(٣) وأنس بن مالك^(٤) وعبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله^(٥) وأم المؤمنين السيدة عائشة^(٦) رضى الله عنها ، وأما قيمة التفسير الماثور عن الصحابة ، وإن كان هذا التفسير يتعلق بسبب نزول الآية او السورة فله حكم المرفوع . وأما التفسير الذى يكون من نتيجة اجتهاد الصحابة فله حكم الموقوف^(٧) ومكانته لا يسد

-
- (١) هو عبد الله بن القيس أبوموسى الأشعري الصحابي الشهير توفى عام ٥٣ هـ أو ٦٣ هـ (الاصابة فى تمييز الصحابة ج ٢ ص ٣٥٩)
- (٢) هو عبد الله بن الزبير بن العوام القرشى الأسدى وأمه أسماء بنت أبى بكر اُخت أم المؤمنين عائشة الصديقة . وقد ولد عام الهجرة واستشهد على يدى الحجاج بن يوسف الثقفى عام ٧٣ هـ (الاصابة فى تمييز الصحابة ج ٢ ص ٣٠٩ - ٣١٩)
- (٣) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسى وقيل عبد الله بن صخر الدوسى وكان اسمه قبل الاسلام عبد الشمس فغيره النبى صلى الله عليه وسلم . أسلم عام خمير وفرغ نفسه لحصول العلم من عند النبى صلى الله عليه وسلم فكان دائما يلازمه فى حله وترحاله . توفى عام ٥٧ هـ (الاصابة ج ٤ ص ٢٠٢ - ٢١٠)
- (٤) هو أنس بن مالك بن النضر الأنصارى الخزرجى خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكان دائما يلازمه دائما فذلك كان من المكثرين فى الرواية توفى عام ١٠٣ هـ وقيل ١٠٧ هـ (الاصابة فى تمييز الصحابة ج ١ ص ٧١)
- (٥) هو جابر بن عبد الله بن عمر بن حرام الأنصارى كان يكنى بابى عبد الله وابن عبد الرحمن وكان من المكثرين عن النبى صلى الله عليه وسلم وقد توفى فى عام ٧٤ هـ وقيل ٧٣ هـ (الاصابة فى تمييز الصحابة ج ١ ص ٢١٣)
- (٦) هى أم المؤمنين عائشة الصديقة زوجة النبى صلى الله عليه وسلم ، أبوها سيدنا ابوبكر الصديق . ولدت بعد البعث بأربع سنوات وكانت كتيبة الرواية عن النبى صلى الله عليه وسلم وتوفيت عام ٥٨ هـ . (الاصابة فى تمييز الصحابة ج ٤ ص ٣٥٩ - ٣٦١)
- (٧) الإمام الزركشى - البرهان فى علوم القرآن ج ٢ ص ١٥٨

أن تكون بعد الكتاب والسنة كما يقول الإمام ابن تيمية : " وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى قول الصحابة ، فإنهم أدري بذلك لما شأهده من القرائن والأحوال التي اختلفوا بها ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح " (١) ، ومن مزايا التفسير من الصحابة الاكتفاء بالمعنى الاجمالي والاقتضار على المعنى اللغوي وندرة الاستنباط العلمي للأحكام الفقهية وقلّة اختلافهم فيما بينهم وجدير بالذكر انهم كانوا يكتفون بتفسير ما غضى فهمه ، وكانوا يعتمدون على اجتهادهم ومعرفةتهم باللغة العربية (٢) . ولا يتم الحديث عن التفسير في عهد الصحابة إلا إذا انكونا فيه رغبة بمضمونهم في الرواية عن أهل الكتاب ، ولا سيما عن علماءهم الذين قد أسلموا كعبد الله بن سلام (٣) وكعب الأحمير (٤) وغيرهما وذلك في تفصيل بمعنى قصص أنبياء بني اسرائيل التي قد وردت في القرآن للمبرة ولكنهم كانوا يجتنبون ما كان يتعارض مع القرآن ومع ذلك يمكننا أن نقول بأن رجوعهم إلى روايات أهل الكتاب فتح الباب لدخول الاسرائيليات في التفاسير فيما بعد (٥) .

(١) الإمام ابن تيمية — مقدمة التفسير ص ٣٦٤ .

(٢) انظر الدكتور محمد حسين الذهبي — التفسير والمفسرون ج ١ ص ٩٧—٩٨ .

(٣) هو ابو يوسف عبد الله بن سلام بن الحارث بن بنو قينقاع كان عالما يهوديا

كبيرا قد أسلم أول ما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة . قد توفي سنة ٤٣

من الهجرة (الاصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص : ٣٢٠ : ٣٢٠) .

(٤) هو كعب بن ماتع الحميري المعروف بكعب الأحمير . كان عالما يهوديا

كبيرا وقد أسلم في خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه وتوفي عام ٣٢ هـ .

(٥) انظر الدكتور محمد حسين الذهبي — التفسير والمفسرون ج ١ ص ٦١—٦٢ .

التفسير في عصر التابعين

تلقى التابعون تعليمهم من كبار المفسرين من الصحابة كعبد الله بن عباس في مكة المكرمة وعبد الله بن مسعود في الكوفة وأبي بن كعب في المدينة المنورة وجدير بالذكر أن كل واحد من هؤلاء الصحابة المفسرين يعتبر مؤسس مدرسة خاصة في التفسير . وكان ابن عباس مؤسس مدرسة التفسير بمكة المكرمة ومن أشهر التابعين الذين تلقوا تعليمهم منه هم سعيد بن جبير (١) ومجاهد (٢) وعكرمة (٣) وطاؤس بن كيسان (٤) اليماني وعطاء بن أبي رباح (٥) ولكل واحد منهم مكانة خاصة في التفسير . وهكذا أسلوب كل واحد منهم يمتاز بالمزايا الخاصة (٦) وأبي بن كعب يعتبر مؤسس مدرسة التفسير بالمدينة المنورة ومن أشهر المفسرين الذين تلقوا تعليمهم فهمها

(١) هو سعيد بن جبير، مولى يعقوب واليه من بنو أسد بن خزيمة كان من تلاميذ

ابن عباس وقد استشهد في عام ٩٥ طلى يد الحجاج بن يوسف الثقفي

(انظر تهذيب التهذيب ج ٤ ص ١٣ - ١٤) .

(٢) هو مجاهد بن جبير المكي مولى السائب بن أبي السائب ولد سنة ٢١ هـ

وكان من أبرز تلاميذ ابن عباس وأكثرهم ملازمة له . وقد توفي عام ١٠٢ هـ

(انظر المرجع السابق ج ١ ص ٤٢) .

(٣) هو أبو عبد الله عكرمة بن البربري مولى ابن عباس، وكان في ملازمة ابن عباس من

صغره وقد تعلم عنه التفسير والحديث . وقد توفي عام ١٠٥ هـ (انظر

المرجع السابق ج ٧ ص ٢٦٣ - ٢٧٣) .

(٤) هو طاؤس بن كيسان اليماني سمع زيد ابن ثابت وعائشة وأبا هريرة وغيرهم

وقد توفي بمكة المكرمة سنحت ومائة وله آراء كثيرة في تفسير القرآن الكريم .

(انظر المرجع السابق ج ٥ ص ٨ - ١٠) .

(٥) هو عطاء بن أبي رباح كان يعني الأصل وقد هاجر إلى مكة وكان من تلاميذ ابن

عباس وقد توفي في عام ١١٤ هـ . انظر المرجع السابق ج ٧ ص ١٩٩ - ٢٠٣) .

(٦) انظر الدكتور محمد حسين الذهبي - التفسير والمفسرون ج ١ ص ٩٩ -

هم زيد بن أسلم (١) وأبو العالية (٢) ومحمد بن كعب القرظي (٣) ولكل واحد منهم مكانة خاصة في التفسير (٤) . وهكذا مدرسة التفسير بالمعنى يترتب الي عبد الله بن مسعود الذي بعثه سيدنا عمر الي كوفه معلما ، ومن أشهر رجالها طقمة بن قيس (٥) ومسروق (٦) والاسود بن يزيد (٧) ، ومرة

- (١) هو زيد بن أسلم وكان أبوه مولى لسيدنا عمر الفاروق وقد تعلم من أبي بن كعب وابن عمر وغيرهم وكان من تلاميذه إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس . وقد توفي في عام ١٣٦ هـ (انظر تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٣٩٥-٣٩٧) .
- (٢) هو أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي ، أسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين . روى عن علي وابن مسعود وابن عباس وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم وهم من ثقات التابعين المشهورين بالتفسير وقد توفي في عام ٩٠ هـ (انظر المرجع السابق ج ٣ ص ٢٨٤-٢٨٥) .
- (٣) هو ابو حمزة وأبو عبد الله - محمد بن كعب القرظي المدني وكان من تلاميذ أبي بن كعب وكان ثقة وعالما وقد توفي في ١١٨ هـ . (انظر التهذيب ج ٨ ص ٤٢٠-٤٢٢) .
- (٤) انظر الدكتور محمد بن ابو شهبه - الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص ٩٧-٩٨ .
- (٥) هو طقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك النخعي الكوفي (المتوفى ٦١ هـ) وهو أشهر رواة عبد الله بن مسعود وأعرفهم به وأعلمهم (انظر تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٢٧٦-٢٧٨) .
- (٦) هو ابو ائشة مسروق بن الاعدع بن مالك بن امية الهمداني الكوفي . كان من تلاميذ ابن مسعود وكان أعلم منهم وأكثر اخذا منه وقد روى عنه كثير من أصحاب الكتب الستة . توفي عام ٦٣ هـ (المرجع السابق ج ١٠ ص ١٠٩-١١١) .
- (٧) هو أبو عبد الرحمن الاسود بن يزيد ابن قيس النخعي من كبار التابعين (توفي ٧٤ هـ أو ٧٥ هـ) قال فيه الإمام أحمد : ثقة من أهل الخير . انظر تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٣٤٢-٣٤٣ .

الجمداني (١) وعامر الشعبي (٢) والحسن البصري (٣) ، وقادة بن دعامة (٤) السدوسي (٤) وجدير بالذكر بأن تلك المدرسة تمتاز بلون خاص وهو تفسير القرآن بالرأى والاجتهاد ، ولكل واحد منهم مكانة علمية خاصة كما هنالك مزايا خاصة لاسلوب كل واحد منهم .

ويجدربنا أن ننقل هنا رأى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥) فى تلك المدارس للتفسير إذ يقول : " وأما التفسير فان أعلم الناس به أهل مكة لانهم أصحاب ابن عباس كمجاهد وعطاء بن ابن أبي رباح ، وعكرمة مولى ابن عباس وغيرهم من أصحاب ابن عباس كطاووس وأبى الشعثاء وسعيد بن جبير وامثالهم ، وكذلك أهل الكوفة من أصحاب ابن مسعود ، ومن ذلك ماتموزوا به

-
- (١) هو أبو اسماعيل ، مرة بن شراحيل الكوفى كان من أصحاب ابن مسعود وقد روى عنه وعن أبي بكر رضى الله عنه وطفى رضى الله عنه وروى عنه الشعبي وثقة ابن معين وتوفى فى عام ٧٦ هـ (المرجع السابق ج ١٠ ص ٨٨-٨٩)
- (٢) هو أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي الحميرى الكوفى قاضى الكوفة (المتوفى ١٠٩ هـ) روى عن كثير من الصحابة وقال فيه ابن هبان : كان فقيها وشاعرا وقال ابن معين : كان الشعبي ثقة (المرجع السابق ج ٥ ص ٦٥-٦٩) .
- (٣) هو الإمام أبو سعيد الحسن بن يسار البصرى مولى الأنصار - ولد قبل وفاة عمر بسنتين وكان عالما فقيها زاهدا . كان من تلاميذ ابن مسعود وروى عنه وعن كثير من الصحابة وروى عنه كثير من تبع تابعين وقد توفى عام ١١٠ هـ (انظر المرجع السابق ج ٢ ص ٢٦٣-٢٧٠) .
- (٤) هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسى الأكمه ، عربى الأصل كان يسكن البصرة - تعلم من ابن مسعود وقد اكتسب شهرة فى التفسير . وقال فيه سعيد بن المسيب : " ما رأيت عراقيا احفظ من قتادة وقد احتج به أصحاب الكتب الستة وقد توفى عام ١١٧ هـ (المرجع السابق ج ٨ ص ٣٥١)
- (٥) هو تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية (عام ٦٦١ هـ من الهجرة - عام ٣٧٨ من الهجرة) كان عالما متبحرا داعيا إلى الله . مجاهدا فى سبيل الله يعتبر مجدد عصره . اشترك رحمه الله فى عدة معارك ضد التتار قلعه عدة كتب قيمة فى نواحي الحياة المختلفة . (انظر اخبار الدين الزركلى بالاعلام ج ١ ص ١٤٠-١٤١) .

على غيرهم وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل زيد بن أسلم الذي أخذ عنه مالك التفسير وأخذه عنه أيضا ابنه عبد الرحمن وأخذه عن عبد الرحمن عبد الله بن وهب (١) .

وأما التفسير المأثور عن التابعين فقد اختلف الملماء في بيان قيمتها ويقول الإمام أبو حنيفة " ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فملى السمين والرأس وما جاء عن الصحابة تخيرنا وما جاء عن التابعين فهم رجال ونحن رجال (٢) " ونقل عن الإمام أحمد روايتان : رواية بقبول ورواية بعدم قبول (٣) ويقول شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية : " إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة فقد رجح كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد ابن جبير فإنه كان آية في التفسير (٤) . ثم يقول : " وقال شعبة بن الحجاج أو غيره أقوال التابعين في الفروع ليست حجة فكيف تكون حجة في التفسير يعني أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم وهذا صحيح إذ اجتمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة فان اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم ويرجح في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة وعلوم لغة العرب أو أقوال الصحابة في ذلك (٥) .

-
- (١) الإمام ابن تيمية - مقدمة التفسير ص ٣٤٧ .
(٢) نقل عن الدكتور محمد حسين الذهبي - التفسير والمفسرون ج ١ ص ١٢٨ .
(٣) انظر الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى - البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ١٥٨ .
(٤) الإمام تقي الدين أحمد ابن تيمية - مقدمة التفسير ص ٣٦٨ .
(٥) المراجع السابقة ص ٣٧٠ .

ومن خصائص التفسير في ذلك العصر دخول الاسرائيليات وظهور
الخلاف المذهبي بين بعض المفسرين ولكن لم يزل التفسير محتفظا بطابع
التلقي والرواية (١) .

التفسير في عصر تابعي التابعين

ثم يأتي عصر تابعي التابعين الذين تعلموا من التابعين مثل
سفيان بن عيينة (٢) ووكيع بن الجراح (٣) وشعبة بن الحجاج (٤) ويزيد بن
هارون (٥) وعبد بن حميد (٦) وروح بن عمار البصري (٧) وعبد الرزاق بن
هشام (٨) . ومن مزايا التفسير في ذلك العصر بداية تدوين التفسير ولكن
لم يكن ذلك التدوين في صورة كتاب مستقل أو حسب ترتيب المصحف الشريف
بل كان بصورة باب من أبواب كتب الحديث (٩) . وجدير بالذكر أن جميعا

(١) انظر الدكتور محمد حسين الذهبي - التفسير والمفسرون ج ١ ص ١٣٠ -

٠١٣١

(٢) المتوفى سنة ١٩٨ هـ . (انظر الاعلام ٣/١٥٩) .

(٣) المتوفى سنة ١٩٧ هـ . (انظر الاعلام ٩/١٣٥) .

(٤) المتوفى سنة ١٦٠ هـ . (انظر الاعلام ٢/٢٤١) .

(٥) المتوفى سنة ٢٦٠ هـ . (الاعلام ٩/٢٤٧) .

(٦) المتوفى سنة ٢٤٩ هـ . (انظر الاعلام ٤/٤٠) .

(٧) المتوفى سنة ٢٠٥ هـ . (انظر الاعلام ٣/٦٣) .

(٨) المتوفى سنة ٢١١ هـ . (انظر الاعلام ٤/١٢٦) .

(٩) انظر الدكتور محمد حسين الذهبي - التفسير والمفسرون ج ١ ص ١٤١ .

من هذه التفاسير كانت تسمى بالتفسير المأثور (١) . ثم تأتي المرحلة التي جاء المفسرون فيها بالكتب المستقلة في التفسير وكان من أشهر رجال التفسير في ذلك العصر يحيى بن سلام (٢) وابن جرير الطبري (٣) وابن ماجه (٤) وأبو بكر النيسابوري (٥) وابن أبي حاتم (٦) وأبو بكر بن مردويه (٧) وغيرهم . ومن مزايا التفسير في ذلك العصر الاتيان بالتفسير لكل آية من القرآن حسب ترتيب المصحف الشريف والاعتماد على ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أو الصحابة رضي الله عنهم أو التابعين (٨) . وجد ير بالذكر أن ابن جرير الطبري يعتبر أول المفسرين الذي اعتنى في تفسيره الشهير " جامع البيان في علوم القرآن " بعرض ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة أو التابعين مع أسانيدها والتي ترجح بعض الروايات على الأخرى واهتم باستنباط الأحكام من الآيات وذكر بعض وجوه الإعراب التي تزيد المعنى وضوحا (٩) . وهو يعتبر من مؤسسي علم التفسير . وأما تفسيره من جرير

-
- (١) انظر الدكتور صبحي الصالح - باحث في علوم القرآن ص ٢٩٠ .
(٢) هو يحيى بن سلام التميمي البصري الأفيقي المتوفى عام ٢٠٠ هـ بالأعلام ١٨٢/٩ .
(٣) هو الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري - المفسر والمؤرخ والمحدث ، المولود عام ٢٢٣ هـ والمتوفى عام ٣١٠ هـ (الأعلام ٦/٢٩٤) .
(٤) المتوفى سنة ٢٧٣ هـ . (الأعلام ٨/١٥) .
(٥) هو محمد بن ابراهيم بن المنذر أبو بكر النيسابوري (ت : ٣١٨ هـ) (انظر معجم المؤلفين ٨/٢٢٠) .
(٦) هو عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم (ت : ٣٢٧ هـ) (انظر الأعلام ٤/٩٩) .
(٧) هو أحمد بن موسى بن مردويه . أبو بكر (ت : ٤١٠ هـ) (انظر الأعلام ١/٢٤٦) .
(٨) انظر الدكتور محمد حسين الذهبي - التفسير والمفسرون ج ١/١٤١-١٤٢ .
(٩) انظر الدكتور صبحي الصالح - باحث في علوم القرآن ص : ٢٩١ .

الطبرى فيكفى بنا ان ننقل فيه قول الإمام ابن تيمية * وأما التفسير التى فسى
أيدى الناس فاصحها تفسير محمد بن جرير الطبرى * (١) ، ومع ذلك نجد
أحيانا لا يلتزم الصحة فى كل ما يرويه ويذكر غير الصحيح دون أن ينبه عليه (٢) ،
وفى الجمة تفسيره الجليل جامع من كل النواحي كشخصيته مؤلفه الكبير .

أنواع التفسير

وبعد أن وصل التفسير الى مرحلة التدوين بدأ يتوسع نطاقه الى أنواع
مختلفة ومنها التفسير بالمأثور والتفسير بالرأى والتفسير الإشارى والتفسير الفقهن وتفسير
الفرق المختلفة كالمعتزلة والباطنية والصوفية وغيرها . ونحن نتكلم هنا
عن التفسير بالمأثور والتفسير بالرأى الجائز بالإيجاز :

— التفسير بالمأثور :

يشمل التفسير بالمأثور تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالحدِيث
وتفسير القرآن بما نقل عن الصحابة وفى بعض الأحوال تفسير القرآن بما جاء
من التابعين فلا بد للصحة فى التفسير بالمأثور أن تتوفر فى المفسر الشروط
الآتية :

- أولا : معرفة أسباب الضعف فى الرواية .
- ثانيا : النظر فى علم أسماء الرجال .
- ثالثا : الاهتمام بذكر الأسانيد .
- رابعا : الاحتياط فى قبول الاسرائيليات .

(١) انظر الإمام ابن تيمية — مقدمات التفسير ص ٣٨٥ .
(٢) انظر الدكتور صبحى المالح — مهاجرت فى علوم القرآن ص ٢٩١ .

وإذا لم يهتم المفسر بهذه الشروط فلا بد أن يدخل الوضع والإسرائيليات في تفسيره ويلتبس الباطل بالحق ويصبح الوصول إلى الحق صعباً (١) . وأشهر كتب التفسير بالمأثور هي كالاتي :

- ١ - جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري .
- ٢ - بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي
- ٣ - الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي اسحاق الشلمبي
- ٤ - معالم التنزيل لأبي محمد الحسين البغوي
- ٥ - المحرر الوجيز في تفسير آيات الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي
- ٦ - تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء حافظ ابن كثير
- ٧ - الجواهر الحسان في تفسير القرآن لمحمد الرحمن الشالمبي
- ٨ - الدر المنثور في تفسير المأثور لجلال الدين السيوطي (٢)

التفسير بالرأى :

والمراد من التفسير بالرأى هو تفسير القرآن بالاجتهاد . وهناك خلاف بين العلماء في جوازهم فمنهم من قال انه لا يجوز مستدلين بقوله صلى الله عليه وسلم : " من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار " (٣) ومنهم من قال بجوازهم مستدلاً بقوله تعالى : (أفلا يتدبرون القرآن أم على غلوب أبقالها) (٤) ، ويقوله صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل (٥)

(١) انظر الدكتور محمد حسين الذهبي - التفسير والمفسرون ج ١ ص ١٥٢ - ١٦٤ .

(٢) انظر الدكتور محمد حسين الذهبي - التفسير والمفسرون ج ١ ص ٢٠٤ .

(٣) سنن الترمذي - أبواب التفسير

(٤) سورة محمد الآية ٢٤ .

(٥) صحيح البخاري - كتاب فضائل الصحابة - باب ذكر ابن عباس رضي الله عنه .

والحقيقة أن التفسير بالرأى، جائز اذا توفرت في المفسر شروط أهمها معرفة اللغة العربية ومعرفة علم القراءات وأسباب النزول والبصيرة في أصول الدين وأصول الفقه والأحاديث النبوية والعلم بالناسخ والمنسوخ وبالقصص القرآني (١) . ولا بد للمفسر أن يعنى بالأموال الآتية :

اولا : النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع التحرز عن الضميف والموضوع .
ثانيا : الأخذ بقول الصحابي . فلقد قيل أنه في حكم المرفوع مطلقا وخصه بعضهم بأسباب النزول ونحوها مما لا مجال للرأى فيه .
ثالثا : الأخذ بمفهوم اللفظة مع الاحتراز عن صرف الآيات التي لا يدل عليه الكثير من كلام العرب .

رابعا : الأخذ بما يقتضيه الكلام من معان وهذا مادعا به النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنه حيث قال (اللهم فقهه في الدين وطمه التأويل) (٢) .

وأهم التفاسير بالرأى هي كالآتي :

١ -	مفاتيح الغيب	لفخر الدين الرازي
٢ -	أنوار التنزيل وأسرار التأويل	للبيضاوي
٣ -	مدارك التنزيل وحقائق التأويل	للسفي
٤ -	لباب التأويل في معاني التنزيل	للخازن
٥ -	البحر المحيط	لأبي حنيفة
٦ -	غرائب القرآن ورفاء الفرقان	للنيسابوري
٧ -	تفسير الجلالين	لجلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي

(١) انظر الدكتور محمد حسين الذهبي - التفسير والمفسرون ج١ ص ٢٦٥ -

٢٦٨ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٢٧٣ - ٢٧٥ .

٨ - السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير

للخطيب الشريفي

٩ - ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم لابن السمود

١٠ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي (١) .

التفسير في العصر الحديث

وأما التفسير في العصر الحديث فيمكننا ان نقسمه كالآتي : التفسير المذهبي - والتفسير الالهادي ، والتفسير الأدبي الاجتماعي ، والتفسير العلمي . واليك موجز لكل من هذه الأنواع :

أما التفسير المذهبي : فاهتم بمضئ المفسرين الذين ينتمون إلى الفرق الإسلامية المختلفة أن يأتوا بالتفسير حسب مذاهبهم الخاصة وذلك على المنهج ما كان لديهم من الذخائر التفسيرية ولم يأتوا بشيء جديد .
فذلك لا تطول الكلام فيه .

التفسير الالهادي : هو محاولة تاويل الآيات القرآنية حسب

ما كتبه المستشرقون المتمصبون أو ماجات الجاهلية الجديدة به من الأفكار

والنظريات والفلسفات ، ومن لدواع التي جهلت المفسرين الحضريين يقومون بهذا العمل

تأثرهم بالنظريات اللادينية والفلسفات المادية التي جاءت بها الحضارة الغربية

الحديثة او بطاوتهم من المستشرقين المتمصبين ورغبتهم للتوفيق بين

الإسلام وبين تلك النظريات اللادينية وذلك مع جهلهم بحقيقة الإسلام

(١) انظر الدكتور محمد حسين الذهبي - التفسير والمفسرون ج ١ ص ٢٨٩ .

وأصول التفسير وأما لمعالجة بعضهم للحركات المعادية للإسلام ورغبتهم في تحقيق أهدافهم الشنيعة ، وذلك جعلهم ينكرون الأحاديث الصحيحة في التفسير وينتقدون المفسرين المتقدمين لكي يتمكنوا من تأويل الآيات حسب أهواءهم ، ولذا أنكروا وجود الملائكة والشياطين والجن ، وأنكروا الحدود والمعجزات وتعدد الزوجات . وفي الجملتين أنكروا كل ما لم يوافق الفلاسفة المادية الحديثة أو ما انتقده أساتذتهم المستشرقون . ولذلك من الطبيعي أن يطلق على هذا النوع من التفسير اسم التفسير الأحادي (١) ومن هذا النوع من التفسير هو تفسير القرآن لسيد أحمد خان ، ومفهوم القرآن لشودري غلام أحمد بروبير . وسوف نفصل الحديث فنيهما في الفصل الاتي خلال حديثنا عن التفسير في شبه القارة الهندية .

— وأما التفسير الأدبي الاجتماعي : فيمتاز هذا النوع من التفسير بالاعتناء بالأسلوب الأدبي في التفسير وبالأهتمام بمعالجة المشكلات الاجتماعية في ضوء التعليقات القرآنية . ومن أهم هذه التفاسير (تفسير المنار) الذي ألفه الشيخ محمد عبده ، وتلميذه الشيخ محمد رشيد رضا . وتفسير في ظلال القرآن للشهيد سيد قطب وأما تفسير المنار فكان مؤلفه الشيخ محمد عبده أكثر عنايتاً بتوضيح المفهوم المراد من الآيات القرآنية وبيان حكمة التشريع في الحقائق والأحكام من عنايته بالفاظ النحوية والبلاغية واهتمامه بالنقل من المفسرين المتقدمين كما يقول نفسه : ان الله يوم القيامة لا يسألنا إلا عن كتابه الذي أنزله لا رشادنا وهدايتنا وعن سنة نبينا الذي بين لنا منزل النبوة (٢) ويمتاز هذا التفسير بالمناسبة إلى معالجة المشكلات الاجتماعية في ضوء التعليقات القرآنية : مع المحاولة للتوفيق بين الإسلام وبين ما جاء به الحضارة الغربية

(١) انظر الدكتور محمد حسين الذهبي — التفسير والمفسرون ج ٣

(٢) تفسير المنار ج ٢ ص ٢٧ ملخصاً .

من العلوم والنظريات ، وجدير بالذكر أن منهج الشيخ محمد رشيد رضا فى التفسير هو نفس المنهج الذى اختاره استاذه الشيخ محمد عبده ، والحقيقة ان الحديث عن هذا التفسير لا يتم إلا إذا ذكرنا عن الحريضة الواسعة التى أعطاها الأستاذان لعقهما فى فهم المراد من الآيات القرآنية وذلك الى حد انهما انكرا بعض الأحاديث الصحيحة والحقائق الثابتة ومنها انكار الشيخ محمد عبده لحقيقة السحر وانكار الشيخ محمد رشيد رضا لمعجزات النبى صلى الله عليه وسلم . وما إلى ذلك (١)

وأما تفسير " فى ظلال القرآن " للشهيد سيد قطب ، فمؤلفه الداعى الاسلامى الكبير قد وفقه الله أن يفسر القرآن بمنهج يرشد القارئ الى القيام بالدعوة التى جاء القرآن بها " وفى الحقيقة أن (الظلال) ليس تفسيراً للقرآن بالمعنى التقليدى لكلمة التفسير وإنما هو موسوعة تعرض فيها سيد قطب لكافة فنون المحرفة والثقافة طوى ضوء الإسلام وطوى منهج القرآن . كما تعرض لمناهج الحياة فى الإسلام والمناهج السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتربوية والحركية . والاهم من هذا كله أن (ظلاله) حياة فى ظلال القرآن لكل ما تحطه كلمة حياة من معنى ، انه وهو يتحدث عن الآيات يتحدث عن حقيقة لسانها وحياة عاشها وتجربة واقعية قربها وحلاوة تذوقها ونعمة أحس بها . ولذلك فهو ليس تفسيراً للقرآن فقط ، بل هو أكثر من التفسير بكثير " (٢) .

— أما التفسير العلمى : فيظن القائمون بهذا النوع من التفسير بأن القرآن يشمل العلوم المختلفة كلها مهما اختلفت فى أنواعها أو مدارجها

(١) انظر الدكتور محمد حسين الذهبي — التفسير والمفسرون ج ٢ ص ٢١٤ — ٢٥٥ .
 (٢) انظر صلاح عبد الفتاح الخالدي — سيد قطب الشهيد الحى ص ٢٤٤ .

ولهذا يحاولون أن يثبتوا المسائل العلمية والآراء الفلسفية من الآيات القرآنية بصرف النظر عن المفهوم الحقيقي لتلك الآيات ، كان من الناحية اللغوية أو في ضوء الاحاديث الصحيحة . فلهذا ليس هذا النوع من التفسير إلا تحريفاً للقرآن الكريم . ولكن ما يجعله أشد خطراً من ذلك هو أن المسائل العلمية والآراء الفلسفية تتغير بمرور الأيام . فلهذا لا بد للتفسير العلمي أن يتغير بتغيير آراء العلماء والفلاسفة ويصبح اللعنة في أيدي هؤلاء الناس والحقيقة بأن القرآن ليس كتاباً علمياً ولا موسوعة فلسفية بل إنه كتاب أنزله الله لهداية الناس . والقرآن لا يتعرض بالحقائق الكونية إلا للمبرة والموعظة وذلك مع أن ليس فيه نصاً صريحاً يصادم حقيقة علمية ثابتة .

وأشهر هذه التفاسير في عصرنا الحاضر هي الجواهر في تفسير القرآن للشيخ طنطاوي جوهرى ، وطبائع الاستبداد ومضارع الاستعباد للكواكبي وكشف الاسرار النورانية القرآنية فيما يتعلق بالأجرام السماوية والارضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية للطبيب محمد بن أحمد الاسكندراني (١) .

(١) انظر الدكتور عبد المجيد عبد السلام المحتسب - اتجاهات التفسير في

التفسير في شبه القارة الهندية

كما أسلفنا بان الإسلام دخل شبه القارة الهندية خلال القرن الأول من الهجرة وصاحب الفاتحين في ذلك العصر نخبة من العلماء من البلاد العربية المختلفة واتخذوا اقامتهم في إقليم السند وقاموا بإنشاء المدارس والمعاهد الدينية لتدريس القرآن والحديث والعلوم الدينية الأخرى (١) واهتم في تلك الاونة بعض العلماء بتفسير القرآن الكريم وأول تفسير يذكر عنه وقته ألف في عام ٢٧٠ من الهجرة بامر عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز والى إقليم السند آنذاك إلا أن هذا التفسير لا يوجد الآن (٢) .

وأول تفسير عثر عليه هو تفسير "غرائب القرآن ورفائب الفرقان" للشيخ نظام الدين بن محمد بن حسين الشافعي المعروف بالشيخ نظام النيسابوري ، ثم الدولة أبادي ، ألفه بين عامي ٧٢٨ - ٧٣٠ هـ وقد صدر هذا التفسير من طهران (ايران) عام ١٢٨٠ هـ (٣) .

ومنذ ذلك العصر أفتالت تفسير الكثرة باللغة العربية واللفظة الفارسية واللفظة الأردية ولغات شبه القارة الأخرى ومنها التفسير بالمأثور ومنها تفسير اهتم فيها المفسرون بالنواحي اللغوية والأدبية ، ومنها تفاسير

(١) انظر تاريخ أبيات سلطانين باك وهند ج ٢ ص ٢٥ - ٦٠ .

(٢) انظر مجلة ائمين الاسبوعية (لاهور) عدد خاص عن اكمال تفهيم القرآن

لشهر ديسمبر ١٩٧٢ م ص ٢٢ (مقالة الاستاذ خورشيد أحمد بعنوان :

تفهم القرآن - كتاب انقلاب) .

(٣) انظر الدكتور محمد حسين الذهبي - التفسير والمفسرون ج ١ ص ٣٢٢ .

جمع فيها المفسرون بين الرواية والدراية معا . ومنها التفاسير التي ألفها المفسرون حسب مذاهبيهم الفقهية او مسالكهم العقائدية ومنها تفاسير ألفها المفسرون ليمثتوا من القرآن ما جاء به الحضارة الجاهلية الحديثة أو يأتوا بالموافقة بين الإسلام وبين ما قاله المستشرقون في هذا الصدد . ولا يمكن لنا ان نتكلم هنا عن كل هذه التفاسير ولهذا نكتفي بذكر بعضها بايجاز :

— التفسير باللغة العربية في شبه القارة الهندية : —

وأما التفسير باللغة العربية في شبه القارة الهندية فيمكن لنا أن نقسمه

كالاتي : ١— التفسير بالمأثور ٢— التفسير الاشارة

٣— التفسير بالجمع بين الرواية والدراية

٤— التفسير بالعناية بنظم القرآن

١— وأما التفسير بالمأثور فاهم التفاسير على هذا المنهج هو كالاتي :

١— غرائب القرآن و غرائب الفرقان للشيخ نظام الدين حسن بن محمد بسن حسين الشافعي المعروف بالشيخ نظام النيسابوري ثم الدولة آبادي ، وقد

ألف عام ٧٣٠ هـ في الدكن ونشر عام ١٢٨٠ هـ بالتهران (١) .

٢— زبدة التفاسير للقده المشاهير لشيخ الإسلام بن قاضي عبدالوهاب

الكجراتي (المتوفى عام ١١٠٩ هـ) وقد ألف عام ١٩٠٣ من الهجرة

والمخطوطة موجودة في المكتبة المركزية بمدينة رامبور بالهند (٢) .

٣— قرآن القرآن بالبيان : للشيخ كليم الله جهان آبادي (المتوفى عام

١٤١١ هـ) وقد ألف هذا التفسير عام ١١٢٥ هـ و أصدرته مطبعة

(١) انظر المرجع السابق ص ٢٠٢ .

(٢) انظر الدكتور سالم القدواني — هندوستانى مفسرين أور ان كى عربى

الاحباب بالهند عام ١٢٩٠ هـ (١) .

ب - واما التفسير بالجمع بين الرواية والدراية فاشهر التقاسير على هذا المنهج هي كالاتي :

١ - منبع عيون المعاني ومطلع شمس المثنى للشيخ مبارك بن الخضر ناكوري

(المتوفى عام ١٠٠١ هـ) توجد مخطوطة هذا التفسير في خمسة اجزاء

في مكتبة السيد التقى بلكنهو ويمتاز هذا التفسير بالجمع بين الرواية والدراية (٢) .

٢ - سواطع الاليهام للشيخ ابي الفيض الفيض (المتوفى عام ١٠٠٤ هـ) وقد

كمل هذا التفسير عام ١٠٠٢ هـ ومن مزايا هذا التفسير أن أهتم فيه

المؤلف ان لا يستخدم الا الحروف غير المنقوطة (٣) .

٣ - زبدة التفاسير للشيخ معين الدين بن خاوند محمود الكشميري (المتوفى

عام ١٠٧٥ هـ) وقد كمل هذا التفسير عام ١١٥٠ هـ وتوجد

مخطوطة هذا التفسير في مكتبة الشيخ محمد عرفان بمدينة تونك (٤) .

٤ - التفسير المظهرى للقاضي ثناء الله بانى بتي (المتوفى عام ١٢٢٥ هـ)

وقد الفه المؤلف على منهج التفسير " انوار التنزيل واسرار التأويل "

(١) انظر الدكتور سالم القدواشي - هندوستانى مفسرين اورانكى عربى تفسيرين

ص ٩٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٢ .

(٣) انظر الشيخ مناظر حسن الجيلانى - هندوستان مين مسلمانون كانظام

تعليم وتربيت ص ٢٨٥ .

(٤) انظر مجلة المعارف الشهرية (اعظم كره - الهند) لشهر مارس عام ١٩٦٧ م

المقالة بعنوان : " شيخ معين الدين كشميرى اورانكى تصانيف) .

للبيضاوى ثم أسماه على اسم شيخه المرزا مظهر جانجانان (١) ومن
مزايا هذا التفسير اهتمام مؤلفه ببيان وجوه الترجيح للمذهب الحنفى
خلال تفسيره لآيات الأحكام .

٥ - فتح البيان في مقاصد القرآن للعالم الشهير الشيخ صديق الحسن
خان القتوجى (المتوفى عام ١٣٠٧ هـ) (٢) . واتبع فيه مؤلفه منهج
الدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطى ويمتاز هذا التفسير بالجمع
بين الرواية والدراية .

٦ - تفسير القرآن بكلام الرحمن للشيخ ثناء الله الأرتسرى (المتوفى سنة
١٣٦٧ هـ) واهتم فيه مؤلفه أن يفسر القرآن بالقرآن بدون الاعتناء
بمصادر التفسير الأخرى وهذا ما جعل منهجه صعبا . (٣)

ج - التفسير الاشارى . واهم التفاسير على هذا الأسلوب هى

كالاتى :

١ - كشف الحقائق وقاموس الدقائق للشيخ محمد بن أحمد بن محمد
الشريحى التهانيسرى الكجراتى (المتوفى عام ٨٢٠ هـ) وتوجد مخطوطته
هـ بمكتبة "المجمع الآسياتى" بكلكتة . (٤) .

٢ - التفسير الملتقط للشيخ السيد محمد حسن كيسودراز (المتوفى عام
٨٢٨ هـ) وتوجد مخطوطة هذا التفسير بمكتبة الناصرية بليكهنسو

(المهند) ومكتبة المكتب الهندى (India Office Library)

بانجلترا (٥) .

(١) انظر بالشيخ اهد الحق الحسنى - نزعة الخوارج ج ٧ ص : ١١٤-١١٤ .

(٢) انظر الدكتور سالم القدوائى - هند وستانى مفسرين أورانكى تفسيرين ص ١٠٢-١٠٤ .

(٣) انظر المرجع السابق ص ١٨٥٧-١٠٧ .

(٤) انظر المرجع السابق ص ٢٤ .

(٥) انظر المرجع السابق وتاريخ أدبيات سلطمانان باك وهند ج ٢ ص : ١٧٠-١٧٣ .

د - التفسير بالعناية بنظم القرآن : وأهم التفاسير على هذا

المنهج هي كالاتي :

- ١- تبصير الرحمن وتيسير المنان بعض ما يشير إلى اعجاز القرآن للشيخ علاء الدين علي بن أحمد المهاشمي (المتوفى عام ٨٣٥هـ) وهذا التفسير قد اهتم فيه المؤلف بصفة خاصة ببيان نظم القرآن ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ، يمتاز هذا التفسير بلونه الاشاري (١) .
- ٢- التفسير المحمدي للشيخ ابي صالح حسن محمد بن أحمد بن نصير الأحمدي آبادي الكجراتي (المتوفى عام ٩٨٢هـ) وقد اهتم في المؤلف أن يبين النظم والربط بين الآيات والسور القرآنية ، وتوجد مخطوطة هذا التفسير بمكتبة المكتب الهندي بلانجلترا (٢) .
- ٣- نظام القرآن وتأويل الفرقان للشيخ حميد الدين الفراهي (المتوفى عام ١٣٤٩هـ) ويمتاز هذا التفسير ببيان نظام القرآن وربط آياته وسوره فيما بينها إلا أنه غير الكاملة وتسبقه مقدمة كتبها تلميذة الشيخ أمين أحسن الإصلاحي (٣) .

...

(١) انظر السيد عبدالحق الحسيني - ياد أيام ص : ٥٩-٦٠ ونزهة الخواطر ج ٣

(٢) انظر الدكتور سالم القدواني - هندوستانى سلمان اوزانكى عربى تفسيرى ص : ١٠٥

ص ٤٧ ونزهة الخواطر ج ٤ ص : ٨٧ .

(٣) راجعت ترجمة هذا التفسير باللغة الوردية للشيخ امين احسن الاصلاحى فى مكتبة جامعة أم القرى .

التفسير باللغة الأردنية

وأما التفسير باللغة الأردنية ، فأول تفسير بهذه اللغة عشر عليــــــــــــــــه هو "تفسير التنزيل" للسيد بابا القادري ، وكملة مؤلفه عام ١١٤٧ من الهجرة (١) ، ثم يليه تفسير "موضح القرآن" للشيخ عبدالقادر بن الشيخ ولوالله الدهلوي (المتوفى عام ١٢٣٠ هـ) (٢) . وبعد تلك البداية في التفسير باللغة الأردنية اهتم المفسرون في القرون الآتية ان يهتموا بتفسير القرآن بهذه اللغة لكونها لغة شعبية ، حتى كان عدد التفاسير الكاملة باللغة الأردنية ٢٥٧ تفسيراً هبام ١٩٦٩ (٣) . وأما التفاسير الغير الكاملة فكان عددها ٣٦٦ تفسيراً عام ١٩٦٩ الميلادي (٤) ، وما زال هذا العدد يزداد يوماً فيوماً حتى يومنا هذا ، ولا يمكن لنا ان نتكلم عن هذه التفاسير كلها فنكتفى بذكر أهمها ، فلذلك نقسمها كالآتي :

١- التفسير بالجمع بين الرواية والدراية .

٢- التفسير بالرأى المنكر للتفسير بالمأثور .

وأما التفسير بالجمع بين الرواية والدراية فأهم كتب فيها كالآتي :

١- تفسير موضح القرآن للشيخ عبدالقادر بن الشيخ ولوالله الدهلوي

(المتوفى عام ١٢٣٠ هـ) ويمتاز هذا التفسير بالجمع بين الرواية

والدراية مع الاهتمام بالإيجاز والاختصار (٥) .

(١) انظر مجلة دائرته الشهرية (لاهور) عدد خاص عن القرآن وعلومه ،
لشهر نوفمبر عام ١٩٦٩ ص ٦١٨ .

(٢) انظر شيخ محمد اكرام - رودكوثر ص ٥٩٦ .

(٣) انظر مجلة سياره دائرته الشهرية (لاهور) عدد خاص عن القرآن

الكريم لشهر نوفمبر ١٩٦٩ ص ٨٨٧ .

(٤) انظر المرجع السابق ص ٩٠٤ .

(٥) انظر الشيخ عبدالجني الحسنی - نزهة الخواطر ج ٧ ص: ٢٩٥-٢٩٦ .

- ٢ - تفسير فتح المنان للشيخ عبدالحق الحقاني الدهلوي (المتوفى عام ١٣٣٥ هـ) والمصروف بتفسير الحقاني على اسم مؤلفه وهذا التفسير قد جمع فيه المؤلف بين الرواية والدراية مع العناية بالسائل اللغوية والبلاغية . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى قد اعتنى فيه المؤلف بنقد التأويلات الباطلة التي جاء بها السيد أحمد خان في تفسيره . وتسبب مدامته مفصلة تناول فيه المؤلف ما يتعلق بالقرآن والتفسير من العلوم المختلفة (١) .
- ٣ - تفسير موضح الفرقان للشيخ محمود الحسن (المتوفى عام ١٣٣٨ هـ) والشيخ شبير أحمد المصطفى (المتوفى عام ١٩٤٩ م) وكان الشيخ محمود الحسن من أكابر علماء الهند وقد كتب تفسيره للقرآن الكريم إلى سورة النساء حيث توفي إلى رحمة الله وكمل هذا التفسير الشيخ شبير أحمد المصطفى (المتوفى عام ١٩٤٩ م) فيابعد ويمتاز حسنا التفسير بالجمع بين الرواية والدراية مع عناية المؤلف بالإيجاز والاختصار (٢)
- ٤ - تفسير بيان القرآن للشيخ اشرف علي التهانوي (المتوفى عام ١٣٦٢ هـ) والشيخ التهانوي هو من كبار العلماء بالهند وله عدة من الكتب القيمة وقد اهتم فيه المؤلف بالجمع بين الرواية والدراية وبيان الاحكام الفقهية مع عناية بالتفسير الاشاري (٣) .

(١) راجعت هذا التفسير في مكتبة جامعة أم القرى بمكة المركزية .
(٢) انظر مجلة سيارة داعجت الشهرية (لاهور) عدد خاص عن القرآن وطلوه لشهر نوفمبر ١٩٦٩ م ص ٨٧١-٨٨١ .
(٣) راجعت هذا التفسير في مكتبة جامعة أم القرى المركزية بمكة المكرمة .

٥ - التفسير الثنائى للشيخ ثناء الله الأمرتسرى (المتوفى عام ١٣٦٢ هـ) ،
 ونحن اسلفنا بذكر تفسيره الموسوم بتفسير القرآن بكلام الرحمن باللغة
 العربية خلال حديثنا عن التفاسير باللغة العربية وهذا التفسير
 باللغة الأردية . وقد اهتم فيه المؤلف بالجمع بين الرواية والدراسة
 معنائه بالأحكام الفقهية . هذا من ناحية . وقد اعتنى فيه مؤلفه
 بالرد على التأويلات الباطلة التى جاء بها السيد أحمد خان فى تفسيره
 من ناحية أخرى (١) .

٦ - ترجمان القرآن للشيخ أبى الكلام آزاد (المتوفى عام ١٩٥٨ الميلادى) ،
 والشيخ أبوالكلام آزاد هو من كبار علماء الهند وله دور هام فى نشر
 الوعى الإسلامى فى شبه القارة الهندية . ولكنه كما أسلفنا وقع فى شباك
 مؤامرة (غاندى) فيما بعد وغير مجرى حياته . وأما هذا التفسير فقد
 بدأ تأليفه قبل هذا التفسير ، وكان يرغب فى تأليف تفسير مفصل باسم
 (تفسير البيان) مع تأليف تفسير مختصر باسم (ترجمان القرآن) إلا أن
 انشطته السياسية لم تسمح له ان يكمل كليهما وقد كتب تفسير ترجمان
 القرآن الى سورة (المؤمنون) وأما تفسير بيان القرآن فلم يصدر منه
 إلا تفسير سورة الفاتحة ، فاهتم فيه المؤلف بالجمع بين الرواية
 والدراسة كما اعتنى بنقد التأويلات الباطلة للسيد أحمد خان ومن سلك
 مسلكه ولكن مع ذلك نراه أحيانا يخالف الجمهور فى بعض آرائه
 التفسيرية (٢) .

(١) راجعت هذا التفسير فى مكتبة جامعة ام القرى المركزية .

(٢) راجعت هذا التفسير فى مكتبة جامعة ام القرى المركزية .

٧- تدبر القرآن للشيخ أمين أحسن إصلاحي ، والشيخ الإصلاحي هو تلميذ للشيخ حميد الدين الفراهي الذي ذكرنا عن تفسيره (نظام القرآن وتأويل الفرقان) خلال حديثنا عن التفسير باللغة العربية ، والشيخ الإصلاحي كاستاذة الشيخ الفراهي يمتاز بعنايته ببيان النظم بين السور والآيات القرآنية ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى نراه يمتنى بإبراز الجانب الاجتماعي للتفسير ومن مزايا تفسيره بأنه يهتم بالجمع بين الرواية والدراية . ولكن مع ذلك نراه يخالف الجمهور في بعض آرائه التفسيرية ومنها موقفه عن حد الزاني المحصن (١) .

٨- التفسير الماجدي للشيخ عبد الماجد الدرايا بادي ، والشيخ عبد الماجد الدرايا بادي قد تلقى دراسته في المعاهد الحديثة فقد تأثر بالحضارة الغربية والعلوم والنظريات التي جاءت بها هذه الحضارة الجاهلية ثم وفقه الله أن ينقذ نفسه من سيطرتها فتفرغ للدراسة للقرآن والحديث والعلوم الدينية الأخرى ، ثم اعتنى بتفسير القرآن الكريم فضلا عن تأليف عدد من الكتب الدينية المختلفة . فكان لهذه الخلفية بأنه يمتنى بالرد على الشكوك والشبهات التي جاءت بها العلوم المادية والفلسفات اللادينية الحديثة وذلك فضلا عن اهتمامه بالتفسير المأثور (٢) .

٩- معارف القرآن للشيخ ، والشيخ المفتي محمد شفيع رحمه الله وهو كان أحد كبار علماء باكستان وله العديد من المؤلفات القيمة . وأما التفسير فكما يبين الشيخ نفسه في تقديمه له يضم تفسير بيان القرآن للشيخ أشرف علي التهانوي فضلا عن ما يأتي به الشيخ مبينا للأحكام

(١) راجعت هذا التفسير في مكتبة جامعة ام القرى المركزية .

(٢) راجعت هذا التفسير في مكتبة جامعة ام القرى المركزية .

الفقهية للآيات الكريمة ، هذا بجانب ، وبجانب آخر يمتنى فيه المؤلف
بالنواحي الاجتماعية والمشاكل المصرية أيضا . وجدير بالذكر أن تسبقه
مقدمة مفصلة كتبه ابنه الشيخ محمد تقي العثماني (١) .

١- خزائن العرفان على كنز الإيمان للشيخ محمد نعيم المراد أبادي ،

(المتوفى عام ١٣٦٧ هـ) وجدير بالذكر أن كنز الإيمان في ترجمة القوان هي
ترجمة القرآن باللغة الأردنية للشيخ أحمد رضا خان البريلوي الشهير
(المتوفى عام ١٣٤٠ هـ) والشيخ أحمد رضا خان البريلوي له سلك
خاص في بعض العقائد الخاصة وله عديد من الكتب الفها لتأييد هذا المسلك
وأما تفسير خزائن العرفان على كنز الإيمان فاهتم فيه مؤلفه أن يأتي
بموجز ماورد في التفسير بالمأثور هذا من ناحية ومن ناحية أخرى اعتنى
فيه المؤلف بتاويل بعض الآيات الكريمة لتأييد سلك الشيخ أحمد رضا
خان البريلوي في بعض العقائد ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم
نور (٢) . ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم عنده علم الغيب (٣) ومنها
أن النبي صلى الله عليه وسلم يشاهد أعمال أمته إلى يوم القيامة (٤) وما
إلى ذلك .

(١) راجعت هذا التفسير في مكتبة جامعة ام القرى المركزية .

(٢) انظر تفسير خزائن العرفان على كنز الإيمان ص : ١٦٣ .

(٣) انظر المرجع السابق ص ٨٥٩ .

(٤) انظر المرجع السابق ص ٦٣٤ .

١١ - نورالعرفان في حاشية القرآن للشيخ أحمد يارخان وهذا التفسير لا يختلف عن تفسير خزائن العرفان على كثر إلايمان للشيخ محمد نعيم الدين المراد أبدي بكثير إلا أن المؤلف يفصل الكلام فيسه ويمتنى ببيان أسباب النزول وفضائل السور وعلاقة السورة بما قبلها ويمدها كما يرد على الاعتراضات الواردة من قبل الهنادكة . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى هو أشد تحمسا في تأييد مسلكه وفي الرد على من يخالفه في ذلك (١) .

١٢ - ضياء القرآن للشيخ محمد كرم شاه الأزهرى المولود عام ١٩١٨ م والشيخ محمد كرم شاه الأزهرى هو من كبار علماء باكستان فقد تلقى دراسته بجامعة الأزهر الشريف ويمد عودته إلى بلاده قام بإصدار مجلة " ضياءى هرم الشهرية " ثم عين عضواً في المجلس الأعلى للقضاء بباكستان وله عدة مؤلفات (٢) . وأما تفسيره ضياء القرآن فقد سلك فيسه مسلك الشيخ أحمد رضا خان البريلوى إلا أنه ليس بشديد فيسه وقد اهتم فيه بابرزا الجانب الاجتماعى للتفسير مع اهتمامه بالتفسير المأثور . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى قد اتبع فيه المؤلف منهج تفهيم القرآن في اتيان المقدمة في بداية كل سورة وإيراد الخرافط للأماكن التي ورد ذكرها في القرآن الكريم (٣) ، على ما سنفصله فى بيان منهج الأستاذ المودودى .

(١) راجعت هذا التفسير في مكتبة جامعة أم القرى المركزية .

(٢) انظر مقدمة الكتاب " مقالات ضياء الامت " .

(٣) راجعت هذا التفسير في مكتبة جامعة أم القرى المركزية .

— التفسير بالرأى المنكر للتفسير بالمأثور :

كان بداية هذا النوع من التفسير فى شبه القارة الهندية حينما قام السيد أحمد خان مؤسس كلية عليكره الإسلامية (المتوفى عام ١٣١٥ هـ) بتأليف تفسيره الشهير " تفسير القرآن وهو الهدى والفرقان " وكما أسلفنا أن السيد أحمد خان يرى أن نهضة المسلمين فى هذا العصر تنحصر على اتباع الحضارة الغربية الحديثة والمعلوم والفلسفات التى جاءت بها تلك الحضارة . وكان لموقفه الخضوعى أمام الحضارة الغربية بأنه حاول أن يؤول الآيات القرآنية للتوفيق بين الإسلام وبين الحضارة الغربية الجاهلية ، ولأن الأحاديث النبوية لم تسمح لهذه التأويلات الباطلة فقام بانكارها ، فيقول الدكتور محمد البهى عن تفسيره للقرآن الكريم :

" وقد نهج السيد / أحمد خان فى تفسيره للقرآن الكريم على تطبيق آياته على أساس طبيعى مما يناقض تماما القول بالمعجزات وخوارق العادات ولهذا جعل " النبوة " غاية تحصل وتكتسب عن طريق الرياضة النفسية . فهى غاية إنسانية طبيعية وطريقها طريق انساني غير خارق للعادة . " ثم يضيف : " وفى شرحه لآيات القتال أضعف من فرضية " الجهاد " فى الوقت الحاضر كما أنه فسّر الآيات الأخرى الخاصة بأهل الكتاب عبر فى غير ليل عن توهين الفجوة بين أهل الكتاب من جانب المسلمين من جانب آخر وطلب التعاون بين المسلمين والغربيين ودعا إلى ما أسماه " إنسانية الأديان أى المعنى الإنساني العمام الذى تدعو الأديان السماوية إلى اعتباره وهو ما يشبه اليوم فكرة " العالمية " التى تتبناها اليهودية الرأسمالية والشيوعية الدولية ، وقد كانت من قبيل طبق بالفكرة " الماسونية " وفى هذه الفكرة تمنحى كل الفوارق بين الأوطان والقوميات والأديان والمذاهب (١) .

(١) الدكتور محمد البهى — الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى

ويقول الأستاذ أبو الحسن علي الندوي : " وأصبحت نظرية ماديــــــــــــــــة
بعثة . تخضع للقوى الطبيعية والسنن الكونية كما يفهمها خصوصا زائدًا ويخضع
لها عقيدته ويؤول على أساسها القرآن تاويلا يبلغ به حد التحريف والعيبث
باصول العربية واللفظة والنحو والتواتر والاجماع . فصار يفسر القرآن تفسيراً
يخرق الاجماع فيه وينقص به اللفظة " (١) .

ورفض السيد أحمد خان في تفسيره هذا حقيقة الجنة والنار والملائكة
والأسرار والجن والشيطان كما رفض عن ولادة سيدنا عيسى عليه السلام بسدون
أب ورفعته إلى السماء وما إلى ذلك (٢) .

والحقيقة أن جرأة السيد أحمد خان على هذا النوع من التفسير
" فتح باباً للفتنة والتحريف والإلحاد في آيات الله والفوضى في الدين
والمقيدة التي انتشرت في العصر الأخير " (٣) .

ويقول الدكتور البهي : " والدعوى التي ادعاها السيد أحمد خان
باسم الإصلاح والتقدمية تعتبر مقدمة وتمهيدا لنشأة الطائفة (٤) " .

(١) الأستاذ أبو الحسن علي الندوي - الصراع بين الفكرة الإسلامية

والفكرة الغربية في الاقطار الإسلامية ص ٨٦ .

(٢) انظر شيخ محمد اكرام - موج كوشر ص ١٥٩ .

(٣) الأستاذ أبو الحسن علي الندوي - الصراع بين الفكرة الإسلامية

والغربية ص : ٨٧ .

(٤) الدكتور محمد البهي - الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاشتمار

الغربي ص : ٣٧ .

وكان لهذه البداية لتأويل الآيات القرآنية للتوفيق بين الإسلام وبين الحضارة الغربية الجاهلية ولإنكار عن كون السنة النبوية مصدرا ثانيا للتلخيص والتشريع ان فتح باب التأويل للآيات القرآنية تاويلات باطلة بعميدة عن ماجاه النبي صلى الله عليه وسلم من عند الله . وفيما يلي ذكر أشهر التفاسير على هذا المنهج :

- ١- تفسير القرآن بآيات الفرقان لمحمد الله الجكرالوى (المتوفى عام ١٩١٨ م) (١)
- ٢- تفسير بيان للناس لخواجه أحمد الدين الأرتسرى (المتوفى عام ١٩٣٦ ميلادى) (٢) .

- ٣- تفسير بيان القرآن لمحمد على اللاهورى (المتوفى عام ١٣٧١ من الهجرة) (٣)
- ٤- مفهوم القرآن للشودرى غلام أحمد برويز (٤) .

وجد ير بالذكر أن كل من هؤلاء المفسرين سلك نفس المسلك الذى قد سلكه السيد أحمد خان خلال تفسيره فقام بتأويل الآيات القرآنية تاويلات باطلة رفضا عن كون السنة النبوية مصدرا للتلخيص والتشريع إلا انهم يختلفون فيما بينهم فى بعض آرائهم التفسيرية وذلك لأن كل واحد منهم جعل عقده وفهه مقياسا لآرائه التفسيرية فثلاثة من هؤلاء المفسرين وهم عبد الله الجكرالوى وخواجه أحمد الدين الأرتسرى والشودرى غلام أحمد برويز يعتبرون آئمة فرقة منكرى السنة فى شبه القارة الهندية . وأما محمد على اللاهورى فكان تلميذا للمتنبى الكاذب ميرزا غلام أحمد القادىانى (المتوفى

(١) انظر الطالب خادم حسين الهى بخش - رسالة ماجستير بعنوان " فرقة

أهل القرآن بباكستان وموقف الاسلام منها " ص ١٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٤ .

(٣) المرجع السابق ص ٨٣ .

(٤) المرجع السابق ص ٣٦ .

عام ١٩٠٨ (الميلادى) واختير زعيما للفرع اللاهورى للقاد يانينين بمعد
وفاة ميرزا غلام أحمد . وله تفسير مختصر فى اللغة الإنجليزية أيضا .

فيتبين من هذا أن المنهج الذى اختاره السيد أحمد خان خلال تفسيره
لتأويل الآيات القرآنية رفضا عن كون السنة النبوية مصدرا للتفسير، اختصاره
فيما بعد منكرو السنن والقاد يانينون . مما مع اختلاف مسالكهم وأهدافهم .

وجملة القول ان التفسير فى شبه القارة الهندية تعددت مدارســـــــــــــــــه
وكثر اتجاهاته وشاع الخطأ الكثير إلا أنه لم يوجد التفسير الشامل الذى
يقدم الزاد للدعاة ويدعو لإقامة المجتمع المسلم على منهج القرآن الكريم ولذلك
عدت الساحة الفكرية خالية من الدراسات القرآنية التى تعمل لإقامة المجتمع
المسلم على فهم كتاب الله تعالى حتى جاء الأستاذ المودودى ووفقه الله
فألف كتابه " تفهيم القرآن " يسد به هذا النقص . ويحرك به المسلمين جميعا
فى شبه القارة الهندية بل فى العالم الإسلامى كله .

وقد تميز كتاب تفهيم القرآن بمنهجه المتكامل والذى سوف نوضحه
فى هذه الرسالة بتوفيق الله تعالى .

الفصل الثاني

مقدمة الرسالة للدراسة بمنهج الاستاذ المؤدودى فى التفسير

الكلمات التى وقعت فى الاستاذ المؤدودى على
تأليف التفسير.

المبحث الأول

الظروف التى ألف فى الاستاذ المؤدودى تفسيره فيها

المبحث الثانى

أسلوب الاستاذ المؤدودى فى البحث والتحقيق
منه تأليف تفسيره.

المبحث الثالث

الاسباب التي دفعت الأستاذ المودودي الى تأليف" تفهيم القرآن "

ذكرنا في بداية الباب الأول الأوضاع التي بدأ الأستاذ المودودي دعوته فيها ورأينا ان العالم الاسلامي كان في مواجهة التحديات المتغيرة من قبل الحضارة الجاهلية الحديثة التي انتشرت في أكثر أقطار الإسلاميه تحشت رعاية القوى الاستعماريه المناهضة والفلسفات المادية والنظريات اللادينية كالشيوعية والاشتراكية والعلمانية والقومية والوطنية والاباحية التي جاءت بها تلك الحضارة قد استولت على أذهان الجيل المثقف بالثقافة الغربية الحديثة فقد أنشئت عدة الدعوات والحركات لا تنتشر تلك الفلسفات والنظريات فسوى المجتمعات الإسلامية . ومازاد الطين بلة قيام المستشرقين المتعصبين بالهجوم على الإسلام والقرآن الكريم ونبيينا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك من عدة نواح . فقد انتشرت تلك الأباطيل والشبهات في العالم الاسلامي عن طريق البعثات والمدارس التبشيرية ولكن العلماء والمشايع الذين كان من واجبهم أن يقوموا لمواجهة ذلك الغزو الفكري لم يهتموا بذلك الواجب إلا قليلا . وقد اتخذوا موقف الاعتزال السلبي الذي قد أهدمهم عن ميدان الصراع بين الإسلام والجاهلية . فكان من الطبيعي ان الانعان في صلاحية الإسلام ، لمواجهة تلك التحديات أو لقيادة النوع الانساني في العصر الحاضر بدأ يضعف يوما فيوما . فبدأ بعضهم يشكون في الصاديء الأساسية للإسلام وقام بعضهم بانكار تلك الصاديء كما قام بعضهم بتأويل الآيات القرآنية وانكار الأحاديث النبوية لكي يتمكنوا من الموافقة بين الإسلام وبين ما جاءهم من قاداتهم الغربيين حينما قبلوا الحضارة الاخرى نظرية فصل الدين عن الدولة حيث قالوا بأنه يكفينا أن نتبع الإسلام في حياتنا الشخصية . وأما الحياة الاجتماعية فلما منع لنا أن نتبع

فيها تلك الفلسفات والنظريات الحديثة وذلك بصرف النظر عن كونها مخالفة لعقائد الإسلام الأساسية . ولكن لم يكتف الاستعمار الغاشم على ذلك فحسب بل خطط المخططات والمؤامرات لتحقيق أهدافه الشنيمة فقام بتقديم الدعم للحركات المعادية للإسلام كانشاء الحركات الهدامة الجديدة كالقادرانية والبهائية والدونمة وانكار السنة . وفي الجملة تلك هي التحديات التي كان يواجهها عالمنا الإسلامي في ذلك الوقت (١) .

ومن المعلوم بأن القرآن الكريم هو مصدر حقيقي للطاقة المطلوبة لمواجهة تلك التحديات ، ولكن التفاسير المؤلفة خلال تلك الفترة ولا سيما في شبه القارة الهندية لم يهتم فيها المفسرون بمواجهة تلك التحديات المنيفة إلا قليلا (٢) .

كانت هذه هي الأوضاع عندما قرر الأستاذ المودودي أن يقوم بواجب الدعوة بتولييه رئاسة التحرير لمجلة " ترجمان القرآن " الشهرية في عام ١٩٣٣ م وجعل كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أساسين محكمين لدعوته وقرر أن ينتقد كل شئ " قديما كان أو حديثا شرقيا كان أو غربيا بمحك القرآن والسنة ، وكان غلاف المجلة في جميع اعدادها في تلك الأيام يشير إلى هدفه هذا في العبارة الآتية :

" إن هذه المجلة فريدة في نوعها في انحاء شبه القارة الهندية وغايتها الوحيدة اعلاء كلمة الله والدعوة إلى الجهاد في سبيل الله ومهمتها الأصلية نقد الأفكار الحديثة ومبادئ الحضارة والمدنية السائدة بمحك القرآن ،

(١) انظر للتفصيل هذه الرسالة - الباب الأول - الفصل الأول - المص

الذي عاش فيه المودودي - البحث (الحال الدينية) .

(٢) انظر للتفصيل هذه الرسالة - الباب الثاني - الفصل الأول - البحث الثاني

التفسير في شبه القارة الهندية .

ثم عرض المبادئ التي جاء بها القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم في كل مجال من مجالات الفلسفة والعلم والسياسة والاقتصاد والمدنية والاجتماع وتطبيق تلك المبادئ في ظروف العصر الحاضر ، ان هذه الجلسة تدعو الأمة المسلحة إلى حياة جديدة وغلاصة دعوتها : " أيها الناس اجعلوا ظوكم وأن هانكم مسلحة خاضعة لله ، وتخلوا عن نظم الجاهليتيوا سلكوا صراط المستقيم وخذوا كتاب الله بقوة لتكونوا سادة العالم وأئمة الحضارات (١) . فقد وفق الله في تحقيق أمانيه تلك بتمكينه من إصدار عدد كتب قيمة على ذلك المنهج السليم ومنها " نحن والحضارة الغربية " و " الحضارة الإسلامية — أسسها ومبادئها " ، و " الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة " و " مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة " و " محكمة العقل " و " حقوق الزوجين " و " تحديد النسل في ميزان النقد " و " مبادئ الإسلام " و " أسس الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصرة " و " الحجاب " و " الخطب " و " نظرة الإسلام السياسية " و " نظرة فاحصة على المبادئ الإسلامية " و " تجديد الدين وأحيائه " و " كيف تقام الحكومة الإسلامية " و " المصطلحات الأربعة في القرآن " و " الإسلام والجاهلية " و " منهج الجديد للتعليم والتربية " و " المسلمون والصراع السياسي الحاضر " وغيرها كثير من الكتب والكتيبات (٢) . وكل من تلك الكتب هو خير شاهد على جملة القرآن والسنة محكا لأفكاره وآرائه ^{مقياسا} لمرده وقبوله . والحقيقة أن هذه الكتب لها دور كبير في مواجهة تلك التحديات ، وفي إعادة الثقة في صلاحية الإسلام . ولكن مع ذلك وصل الأستاذ إلى النتيجة بأنه مهبط يبذل جهوده لتفهم الإسلام لا يمكن له أن يتمكن من

(١) الأستاذ خليل أحمد الطمدي — الإمام أبو الأظى المودودي — حياته ،

دعوتيه ، جهاده ص ٢٠ .

(٢) انظر الأستاذ المودودي : جماعت إسلامي كما مقصد ، تاريخ أورلاثة عمل

تحقيق ذلك الهدف إلا بتفهم الكتاب الذي أنزله الله لأجله ، وهذا ما يشير إليه الأستاذ نفسه حيث يقول : " في عام ١٩٢٦ حينما بدأت تأليف الكتاب " الجهاد في الإسلام " بدأت اطالع القرآن الكريم والأحاديث الشريفة والسيرة النبوية اتضح لي أن القرآن هو كتاب أنزله الله لقيادة الحركة الإسلامية لذلك لا يليق معه ان يخص للتلاوة فحسب بل لابد منه القيام بالحركة التي أنزله الله لقيادتها ، ثم يواصل الأستاذ حديثه فيقول : " منذ ذلك الوقت لم أزل أفكر في أن فريضة إمامنا لا يمكن أدائها ، وكلما للـ لا يمكن رفعها إلا بقيام الحركة الإسلامية وجعل المسلمين يدركون الحقيقة بانهم ليسوا يقومون بل أعضاء الحركة الإسلامية واستمرت بهذه الفكرة عدة سنوات حتى وفقتي الله أن أتمكن من تأسيس الجماعة الإسلامية عام ١٩٤١ م ومن القيام بتأليف (تفهيم القرآن) عام ١٩٤٢ م لتحقيق ذلك الهدف القيم (١) ، وهكذا يقول في المناسبة الأخرى : " إنني بدأت تأليف هذا التفسير في فبراير عام ١٩٤٢) وهو كان في الحقيقة فترة هامة في حياتي وكانت الجماعة الإسلامية قد تأسست في أغسطس عام ١٩٤١ م وبعد مرور ست شهور على قيام الجماعة الإسلامية فحسب قمت على (تأليف تفهيم القرآن) وفي ذلك الوقت لم أكن أتحمّل مسؤولية قيادة الحركة الإسلامية فحسب بل كان من مسؤوليتي أيضا أن أربي أعضاء هذه الحركة تربية إسلامية صحيحة ، وبجانب هاتين المسؤوليتين العظمتين اضطررت أن أتحمّل هذه المسؤولية التي كنت أعتقد بانني لو كتبت عرفا واحدا بدون الاحتياط قد يكون حايطا لعمالى كلها ولكن مع ذلك قررت أن أقوم بهذا العمل الكبير لأنني كنت أشعر - لاسيما بعد انشاء الحركة الإسلامية - بأنني مهما أبذل جهودى لتفهم الإسلام بلساننى

(١) مجلة : " آئين " الأسبوعية (لاهور) عدد خاص بمناسبة اكمال (تفهيم القرآن) لشهر ربيع الثاني عام ١٩٧٢ ص ١١٥-١١٦ .

وظنى لا يمكن أن أتكن من تفهيم الإسلام صحيحا وكاملا إلا بتفهم الكتاب الذى قد أنزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لتحقيق ذلك الهدف ولن يفهم الناس دعوة الجماعة الإسلامية إلا اذا فهموا هذا الكتاب (١) .

وجملة القول أن قيام الأستاذ المودودى بتأليف (تفهيم القرآن) كان لوصوله إلى النتيجة بانه مهبط يئذل جهوده لبيان أوجه الإسلام المختلفة ولمواجهة التحديات المحاصرة للجاهلية لا يمكن له أن يتمكن من تحقيق هذا الهدف إلا إذا اهتم بتفسير الكتاب الذى أنزله الله لأجله ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى بعد ما قام الأستاذ المودودى بتأسيس الحركة الإسلامية عام ١٩٤١ م رأى ضروريا أن يفسر الكتاب الذى أنزله الله سبحانه لقيادة هذه الحركة ليربى العاطلين فى مجال الدعوة حسب توجيهات هذا الكتاب السامية .

...

(١) المرجع السابق ص ١١٥ .

الظروف التي ألف الأستاذان المودودي تفسيره فيها

بدأ الأستاذان المودودي تأليف تفسيره (تفهيم القرآن) في فبراير عام ١٩٤٢م وكمله في عام ١٩٧٢م . وهذه المدة مدة غير عادية لتأليف تفسير ، ولا سيما لعالم جليل كالأستاذان المودودي ولكنه أخذ تلك المسددة الطويلة لإكمال هذا التفسير لأنه ألفه في أوضاع غير عادية تختلف بكثير عن الأوضاع التي يؤلف المفسرون فيها تفاسيرهم أو يكتب الكتاب فيها كتبهم ، فهو لم يؤلف تفسيره مترجما في زاوية أو معهد مستريحا على الكرسي أو الأريكة بل ألف تفسيره هذا قائدا للحركة الإسلامية مجاهدا في سبيل الله ، مقاوما للتحديات والفتن . فيروي لنا فضيلة الأستاذان خليل الحامدي : " أن حياة الأستاذان المودودي كانت حافلة بالممارك المتنوعة بينما نراه مفسرا للقرآن الكريم ، نراه في الوقت نفسه قائدا لركب الدعوة مربيا للجيش الجديد مقاوما للفتن التي تعارب مسيرة الاسلام وزعيما للمعارضة في وجه النظام الدكتاتوري . وهكذا أحيانا هو في مكتبه يتقلب بين الكتب والمصادر وعينا آخرها هو في الجولات يخاطب الجماهير ويتناول مشكلاتها وحينما نالنا في قاعات يناقش رجال الحكم والعلم والقانون لا قناعهم يكون الإسلام صالحا لكل زمان ومكان وحينما رابحا ينج به في السجون والمعتقلات لا لشيء إلا لكونه يرفض جميع الحاكميات إلا الحاكمية لله وحده " (١) .

وقد ذكرت أن الأستاذان المودودي خلال تأليفه " الجهاد في الإسلام " اهتم بمطالعة القرآن والأحاديث والسيرة النبوية فاتضح له أن القرآن هو كتاب حركة ودعوة . ومن المتطلبات الإيمان به أن يقوم الإنسان بانشاء

(١) الأستاذان خليل الحامدي : تفهيم القرآن وخصائصه ص ١١ .

هذه الحركة ويدعو الناس إليها ، وهكذا السيرة النبوية هي سيرة قائم هذه
حركة ورائد دعوة فمن مقتضيات الإيمان به هو القيام بهذه الدعوة فكانت
نتيجة تفكيره في هذا الموضوع بأنه قام بإنشاء الحركة الإسلامية بتأسيس الجماعة
الإسلامية في أغسطس عام ١٩٤١ م وبعد ستة شهور بدأ بتأليف تفهيم القرآن
في فبراير عام ١٩٤٢ م ليكون تفسيراً عطياً للقرآن الكريم ، وظل الأستاذان
المودودي يواصل عمله ذلك إلى أغسطس عام ١٩٤٧ م . حينما انقسمت شبهة
القارة الهندية وانشئت دولة باكستان الإسلامية كان قد كمل تفسيره إلى
آخر سورة يوسف . ثم اضطر إلى أن يهاجر إلى باكستان تاركاً كل ما كان عنده
من الكتب والمراجع . وبعد إنشاء دولة باكستان الإسلامية بدأ قادتها
يحاولون تأسيسها على أسس لادينية . فقام الأستاذان المودودي بهجهاد
جعل باكستان دولة إسلامية حقيقية حيث يكون نظامها نظاماً إسلامياً
كاملاً وذلك في كل دائرة من دوائر الحكومة والمدنية والاجتماع ، وكان
عمله هذا مع استمراره في تأليف تفهيم القرآن ، حتى وفقه الله تعالى فأكمل
تفسيره عام ١٩٧٢ م . ويجدر به أن أنقل هنا ما قاله الأستاذان نفسه خلال
حديثه عن الأوضاع التي قد ألفت تفهيم القرآن فيها فيقول : " والحقيقة
بان الأوضاع التي قد ألفت هذا التفسير فيها كانت قاسية جداً ، واننى
كنت أخاف دائماً بأنه يمكن أن لا تسمح لى تلك الأوضاع أن أكمله ، فقد
بدأت تأليفه في عام ١٩٤٢ م واستمرت في هذا العمل حتى عام ١٩٤٧ م وكملت
التفسير من سورة الفاتحة إلى سورة يوسف . وفي أغسطس عام ١٩٤٧ م انشئت
دولة باكستان الإسلامية فأقيمت مزارك عنيفة بين الهنالك والشيخ وبين
المسلمين ولا سيما في منطقة بنجاب الشرقية ، فاضطرت أن أهاجر إلى
باكستان ولم أكن أملك شيئاً ، فأخذتني المدة حتى استقرت هنا ، وبعد ما
انتهيت من ذلك شعرت بان مسلمي باكستان الذين قد حطوا على عواتقهم

مسئولية دولة جديدة لابد من العناية إلى تربيتهم الأخلاقية والدينية ولا بد من الاهتمام بايضاح هدفهم في الحياة أمام أعينهم ، فقررنا باحياء الحركة الإسلامية فشغلتنى تلك الاوضاع عن الاعتناء بالمشاغل الأخرى فنتيجة لذلك قهضوا على وألقوني في السجن عام ١٩٤٨ م ومع الأسف الشديد لم يوافقوا على توفير المراجع التي كنت احتاج اليها لتأليف تفهيم القرآن فنتيجة لتلك الاوضاع لم استطع أن أكتب شيئاً جديداً في التفسير من عام ١٩٤٨ إلى عام ١٩٥٠ لكننى تمكنت من اعادة النظر فيما قد كتبت في التفسير حتى الآن ومن كتابة المقدموالدياجة خلال العدة التي قضيت في السجن ، وهكذا طبع الجزء الأول من التفسير فله الحمد . وبعد ما اطلقوا سراحي بدأت بتأليف التفسير من سورة (الرعد) فوصلت إلى سورة (الأنبياء) حينما قهض على مرة أخرى عام ١٩٥٣ م فلم يسمحوا لى بالحصول على الكتب والمراجع حتى من مكتبتى إلا بعد عدة محاولات استمرت سنسة ونصفا فبعد ما حصلت الكتب والمراجع بدأت تأليف التفسير من سورة (الحج) فوصلت إلى سورة (الفرقان) حينما أطلق سراحي فاستمررت في التأليف بعد اطلاق سراحي حتى انتهيت من سورة الزمر فالقونى في السجن مرة أخرى وحينما طلبت توفير الكتب والمراجع رفضوا كما دتتم فكنت استغرب من هؤلاء الذين قد استولوا على سلطة دولة باكستان الإسلامية بأنهم لم يسمحوا لرجل أن يكتب تفسير القرآن في السجن . وكانوا يفضلون أن يضيعوا وقتهم وحينما وافقوا على توفير الكتب والمراجع بعد محاولات مستمرة لعدة طويلة تمكنت من كتابة التفسير للسور التي تبدأ بـ (حم) وتسمى (الحواميم) في اصطلاح المفسرين واستمررت في عطي بالتأليف بعد اطلاق سراحي وحينما قهض على في عام ١٩٦٢ م لم يسمحوا لى بتوفير الكتب في السجن فاستطعت ان اعيد النظر في الجزء الثالث واستمررت في التأليف بعد اطلاق سراحي ، ولكننى شعرت بأن صحتى لم تكن

تسمح لي أن أستمر في عطى ولكن مع ذلك بقيت مستمرا في تأليف التفسير فكلت الجزء الخاص وانا كنت مريضا . والآن قد وفقنى الله في اكمال الجزء السادس والأخير . فله الحمد (١) . ويشمر الإنسان حينما يطالع تفهيم القرآن بتأثر المودودى بالاوضاع التي عاشها خلال تأليف (تفهيم القرآن) ويقول الأستاذ خليل الحامدى * وعند ما تقرأ تفسيره للقران الكريم تلحس ان الظروف التي كانت تواجهه كانت تلهمه معاني جديدة في القرآن لا يثمر عليها إلا من كان يمر بنفس الظروف والقضايا التي مرت بها الدعوة الإسلامية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم (٢) .

وهذا ما يشير إليه الأستاذ المودودى نفسه حيث يقول : " لا تستطيع أن تفهم مطالب القرآن ومعانيه العميقة إلا حين تبدأ بالدعوة الى الله وتخطو جميع خطواتك في ضوء ما يوجهك هذا الكتاب . ومن هنا لابد أن يستقلك جميع ما استقبل حاطيه من التجارب والمعن ، تشهد مشاهد مكة والحبشة والطائف ، وتواجه المراحل المختلفة من بدر الى أحد وحنين وتبوك . وتتشابك مع " أبى جهل " و " أبى لهب " وتلاقى المنافقين واليهود وترى وتختبر كذلك كل النماذج الإنسانية مارا بالسابقين الأولين السوي المؤلفه قلوبهم . فهذا سلوك فريد لا يماظه أى نوع من السلوك واسميه " السلوك القرآني " ومن شأنه أنه كلما مرت بمنزل من منازل تطالعك آيات وسور من القرآن تخبرك بالمرحلة التي دخلت فيها ، وبالتوجيهات والتعاليم التي تناسبها وفي ذلك الحين يمكن أن يغيب عن نظر السالك هي " من

مجلة آئين * الأسبوعية عدد خاص عن اكمال تفهيم القرآن لشهر ديسمبر ١٩٧٢ م ص ١١٦ . كلمة لأستاذ المودودى في الحلقة التي اقيمت على اكمال (تفهيم القرآن) .

(٢) الأستاذ خليل الحامدى : تفهيم القرآن وخصائصه ص ١١ .

أسرار اللغة والبلاغة والعماني والبيان ، إلا أنه لا يمكن أن يضمن القرآن بالكشف عن جوهره وروحه أمام ذلك السالك (١) .

والحقيقة أن هذا ما يلحسه القارئ عندما يقرأ (تفهيم القرآن) وهذا في الحقيقة من أهم المزايا لهذا التفسير الجليل ، وستفصل الكلام فيمنه فيما بعد بتوفيق الله عز وجل .

وجد يربا ذكر بيان الأستاذ المودودي جميع انشغاله بهذه الظروف القاسية لم يقتصر على تأليف (تفهيم القرآن) فحسب ، خلال تلك المدة بل كان في تلك الأونة ان تمكن الأستاذ من تأليف عدد غير قليل من الكتب القيمة حول الدعوة ومتطلباتها من ناحية ، ولبيان جوانب النظام الإسلامي المختلفة من ناحية أخرى ، لمواجهة التحديات المعاصرة الجاهلية بجانب وللقضاء على الحركات الهدامة بجانب آخر (٢) ، وذلك كما ذكرنا مع تحله مسئولية قيادة الحركة الإسلامية وجهاده السلسل لإقامة الحكومة الإسلامية خلال تلك المدة الطويلة .

...

(١) الأستاذ المودودي : مقدمة تفهيم القرآن ص ٣٣-٣٤ .

(٢) انظر هذه الرسالة بر : الباب الأول - الفصل الرابع - مؤلفات الأستاذ المودودي .

أسلوب الاستاذ المودودي في البحث والتحقيقخلال تأليف " تفهيم القرآن "

ذكرنا فيما سبق ماهي كانت نظرة الأستاذ المودودي نحو فهم القرآن وتفهيمة ، فانه كان يمتد بآن القرآن الكريم كتاب أنزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لقيادة الحركة الاسلامية ، فلذا لا يمكن للإنسان ان يتمكن من فهم القرآن أو تفهيمة صحيحا إلا أن يقوم بالعمل في مجال الدعوة فعلا . فلذا نرى بأن الأستاذ المودودي قرر أن يقوم بعمل الدعوة بتأسيس الجماعة الإسلامية قبل قيامه بتأليف التفسير وذلك ليتمكن من الوصول إلى روح القرآن قبل أن يقوم بتفهيمة فهذه هي القاعدة الأساسية لأسلوب الأستاذ في تأليف تفهيم القرآن ، وأما الأوجه الأخرى لهذا الأسلوب فهي كالآتي :

أولا : الاهتمام بالاحتياط الكامل :

كان يفهم الأستاذ فهما كاملا التياها تأليف التفسير يقتضى الاهتمام بالاحتياط الكامل والدقة ، والاهمال في هذا الصدد ولو قليلا جدا سينتج عنه احباط أعماله كلها ، ويقول عن اعتقاده هذا : " وكنت اعتقد بأننى لو كتبت حرفا واحدا في التفسير بدون الاحتياط ستحبط أعمالى كلها " (١) . فكان من بساب الاحتياط بأنه لم يكتب في التفسير أى شىء بدون التحقيق . وحينما يواجهه أية مشكلة في فهم آية أو آيات من القرآن الكريم كان يترك الكتابة ويبدأ المطالعة والتحقيق حتى يتمكن من الفهم الصحيح . فيقول : " وحينما لم أتكن من فهم آية أو آيات كنت أترك كتابة التفسير وأبدأ المطالعة والتحقيق حتى يطمئن ظمى بأننى فهمت الآية أو الآيات فهما صحيحا " (٢) فكان من فضل هذا الاحتياط

(١) مجلة " آئين " الأسبوعية عدد خاص في مناسبة اكمال " تفهيم القرآن " لشهر

ديسمبر ١٩٧٢م . ص ١١٥ .

(٢) أبوطارق ايم - اى - مولانا مودودي كى انثرويوس : ٤٩٨ .

بأنه لم يكتب في التفسير ولو سطرا واحدا بدون التحقيق كما يقول نفسه : " إننى لم أكتب ولو سطرا واحدا في (تفهيم القرآن) إلا وأنا أحتفظ مرجعه ومصدره " (١) .

ثانيا : الاهتمام بالتحقيق والدقة :

كما ذكرنا بأن الأستاذ المودودى لم يكن يكتب أى شىء في التفسير إلا بعد الاطلاع على المراجع والمصادر التي توجد في الموضوع، قديما كان أو حديثا، فلذلك كانت تمر عليه الشهور والسنوات في المطالعة والتحقيق قبل أن يكتب شيئا . وكان يكتب النصوص على الأوراق ويحتفظ بها ثم كان يختار منها ما أو يلخصها ثم يكتبها كما يقول : " ومن طريقتي في المطالعة والتحقيق بأننى كنت أكتب كل الملاحظات والنصوص التي تتعلق بالموضوع الذي أريد أن أكتب فيه . وأجعل العلامات على النصوص المتعلقة ثم أكتبها على الأوراق " (٢) . ويقسول في موضع آخر : " وطريقتي في تأليف تفهيم القرآن بأننى أكتب النصوص التي أريد أن أنقلها في التفسير ثم أختار أو ألخص منها واحتفظ بالأوراق التي كتبت عليها النصوص " (٣) .

وفي هذا الصدد يحكى لنا الأستاذ أخلاق حسين الذي كان ناشرا لكتيب الأستاذ المودودى : " اننى حضرت يوما عند الأستاذ المودودى ورأيت أمامه كثيرا من أمهات الكتب والموسوعات في اللغة العربية واللغة الانجليزية فسألت عنه : " ماذا تقرأ هذه الأيام " فقال : " وروود ذكر وادى النمل في سورة النمل فاننى أبحث هذه الأيام حول محل وقوع هذا الوادى " وكان ذلك في اكتوبر عام ١٩٥٨م حيث أصدر الأستاذ تفسير هذه السورة في مجلته ترجمان القرآن لشهر يوليو ١٩٥٩م أى بعد حوالي سنة من انقطاعه للمطالعة والتحقيق لتفسير هذه السورة " (٤) . ولعل الأستاذ مودودى وحيدا بين المفسرين الذي اهتم

(١) مجلة " آئين الاسبوعية " عدد خاص في مناسبة اكمال تفهيم القرآن لشهر

ديسمبر ١٩٧٢ ص ١٩٠ .

(٢) الأستاذ المودودى : تصريحات ص ٣٩ .

(٣) مجلة " آئين الاسبوعية " عدد خاص في مناسبة اكمال تفهيم القرآن ص ١٩٠ .

(٤) المرجع السابق ص ١٩٠ .

بالسفر إلى أرض القرآن للتحقيق في الآثار التي ورد ذكرها في القرآن الكريم وذلك من ٣ نوفمبر ١٩٥٩ إلى ٢٨ يناير عام ١٩٦٠م وجدير بالذكر بأنه قبل سفره ذلك قد قرأ كل الكتب والبحوث التي كتبها المؤرخون والمحققون أو الزائرون قد إما كان أو حديثاً ، شرقياً كان أم غربياً لكي يتمكن من فهم تلك الآثار (١) فيمكننا أن نتصور من ذلك اهتمام الأستاذ بالتحقيق والدقة .

ثالثاً : العناية بأسلوب المقارنة :

ولم يقتصر الاستاذ على مطالعته لكتب التفسير والحديث والسياسة والتاريخ والفقه واللغة فحسب بل اهتم بالمطالعة المقارنة لكتب الأديان والفلسفات الأخرى . وقد استفاد من هذه المطالعة والتحقيق في تأليف تفسيره كما يقول نفسه : "والحقيقة بأن تفهيم القرآن هو انتاج كل ما تمكنت من المطالعة والتحقيق طول حياتي ، وانني قد استفدت في تأليفه من كل ما قرأت في الفلسفة والتاريخ ، والعلوم والمعمانيات والمعلوم الدينية خلال ٥٥ سنة الماضية (٢) .

وجدير بالذكر أنه كان يفضل هذه المطالعة المقارنة والتحقيق بان تمكن الاستاذ من الوصول إلى درجة حق اليقين في إيمانه على صدق مبادئ الإسلام وفيما بعد استطاع تفهيمها بأسلوب محكم كما يقول نفسه : "واحب أن أبين لكم في هذه المناسبة أن الأسلوب الذي اتخذته في (تفهيم القرآن) وفي مؤلفاتي الأخرى للاستدلال على اثبات صدق الإسلام وكذلك على اثباتات صدق عقائده من التوحيد والرسالة والوحي والآخرة وعلى اثبات سمو مبادئ الإسلام الخلقية والحضارية اتخذته أثر البحث الطويل كان بدايته منذ أن دخلت مرحلة الرشد من حياتي وانني ولئن كنت ولدت في بيئة دينية والدي ووالدتي رحمهما الله

(١) انظر عاصم الحداد — سفرنام أرض القرآن ص : ١٨٩ — ١٩٠ .

(٢) أبو طارق — مولا نامودودي كى انثرويو — ص ٤٩٨ .

كانا ملتزمين بشريعة الإسلام ، وقد تلقيت منهما تربية دينية جيدة
 ولكنى لما بلغت الرشد ، أصبحت أفكر ، هل أنا مسلم لأنى ولدت من
 أب مسلم ، وإذا كان الأمر كذلك فإن هذا نفسه ينطبق تماما على المسيحى
 الذى ولد فى بيت مسيحى وعلى الهندوسى الذى ولد فى بيت هندوسى ،
 فانهما كذلك على حق بقدر ما أنا على حق . وبعد هذا التفكير الفريسيب
 الذى كان يراود ذهنى ، قررت أن أبحث عما هو الحق ولم أتحوّل والحمد
 لله ملحدًا أو مفكرًا للإسلام بل قررت ذلك لأجل الوصول إلى الحق على بصيرة
 من الأمر . ثم دخلت فى ميدان البحث والاطلاع وبدأت بمطالعة الفيدا
 أى كتب الهندوس المقدسة فى نظريهم وقرأتها كلمة كلمة وقرأت كتابهم
 الشهير (جيتا) كلمة كلمة وكذلك قرأت فلسفة المذاهب الهندوسية
 وتاريخها كما درست كتب الديانة البوذية المترجمة إلى اللغة الإنجليزية
 وقرأت الإنجيل بكامله بالاستعانة بتفسيره الذى ألفه الأب (دوميلو) حتى
 أفهم الإنجيل من خلال ما يقول فيه أصحابه ، وجمعت من المسيحية
 واليهودية القدر الكبير من المعلومات وما قرأت إلا ما كتبه علماء المسيحية
 واليهودية وقرأت جميع الأجزاء المتوفرة من التلمود وبعد كل ذلك تناولت
 بحثًا ودراسة الأفكار التى أنتجها الفلاسفة لمحدون والمليون وكذلك
 قرأت ما كتبه دعاة الاتحاد والدهرية باسم العلوم الطبيعية بل قرأت لجميع
 المفكرين الغربيين الذين رأيت العالم الغربى يتبعهم فقرأت تراجم حياتهم
 لى أعرف هل هؤلاء المفكرون كانوا على سلامة لفطرة والرزانة أم لا ، وذلك
 لأن الإنسان كثيرا ما يقدم نظريته بالدلائل القاطعة ولكن سلوكه العاطفى يرهس
 على أنه ينقصه التوازن الذهنى ولذلك عندما قرأت أفكارهم ونظرياتهم قرأت
 كذلك أحوالهم الشخصية للتأكد من أن هؤلاء هل يصلحون فعلا ان يكونوا قادة
 البشرية أم لا ؟ وبعد أن انتهيت من مطالعة هذه الأفكار وتلك المذاهب

أخذت أدرس القرآن الكريم وبحكم ما كان عندي من العلم بالثقافة العربية التي تلقيتها في صغري كنت أستطيع أن أفهم ما هو في القرآن الكريم . وقد درسته مرارا وتكرارا على وعي وفهم وكذلك قرأت في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم مصادرها الأصلية ثم طالعت كتب الحديث لكن أعرف منها أحوال الرسول (صلى الله عليه وسلم) مع نفسه وأصحابه ودعوته وقومه وبلده وبعد هذه الدراسات التفصيلية ، والتفكير الطويل انتهيت إلى أن هناك ليس من مذهب أو دين في العالم يقوم على العقل والدليل غير الدين الذي يقدمه كتاب الله وكذلك ليس هناك من قائد كامل المشمل في العالم غير سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وليس هناك من نظام للحياة يكون شاملا ومفصلا وسديا غير النظام الذي جاء به كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وعلى هذا أني لم أؤمن بالإسلام لكونه دينا وجدت عليه آثاري . بل آمنت به بعد الفحص والبحث على بصيرة من الأمر . وهذا ما تلسمه في تفسير القرآن الكريم حيث أني عند ما فسرت الآيات التي تتعلق بالعقائد والإيمانيات والأحكام اثبتت حقائقها بالدلائل بصورة يقبلها العقل ، وتلك الدلائل هي نفس الدلائل التي جعلتني خلال مطالعتي الطويلة أقدر بالإسلام دينا حقا ، سواها كانت الدلائل تتعلق بالتوحيد أو تتعلق بالرسالة أو تتعلق بالوحي أو تتعلق بكون الإسلام نظاما شاملا للحياة (١) .

ولعلني أطلت في النقل . ولكنه كان ضروريا لفهم طريقة الاستدلال المودودي في المطالعة والتحقيق ولا سيما في تأليف التفسير " تفهيم القرآن " الذي يعتبره الأستاذ إنتاج مطالعته وتحقيقه لطول حياته .

(١) الأستاذ خليل الحامدي - تفهيم القرآن وخلاصه ، ص ٣٠٥ .

رابعاً : الاهتمام بالترجيح للمفهوم المتباين للألفاظ والكلمات القرآنية :

وكان من طريقة الأستاذ المودودي في التفسير بأنه كان دائماً يفضل المفهوم المتباين للألفاظ أو الكلمات ولم يكن يعنى بالمفهوم المجازي ، إلا إذا لم يبق هناك أى مجال للمفهوم المتباين وهذا ما بينه الأستاذ المودودي رداً على إحدى الرسائل حيث يقول : "والآن أود أن أبين لكم ما هو طريقي في تفسير القرآن ، فإني أعتقد أن الألفاظ التي أستعملها الله في القرآن الكريم لا يجوز لنا أن نأخذها في المفهوم المجازي إلا إذا لم يكن هناك أى مجال للمفهوم المتباين " ولكن في ذلك أيضاً يقول الأستاذ : " لا بد أن يكون هناك دليلاً واضحاً لاخذ ذلك المفهوم المجازي إما في سياق الكلام ، بالنص الصريح أو بدلالة المفهوم ، ولما في الآيات التي وردت في نفس الموضوع في المواضع الأخرى وهو كلام الله تعالى ولا يمكن لنا أن نعين مفهومه إلا من كلام الله " (١) .

خامساً : أسلوبه في الاحتجاج من المراجع :

وأما الأسلوب الذي اختاره الأستاذ المودودي في للاحتجاج من المراجع والترتيب الذي اختاره الأستاذ للإستفادة في هذا الصدد من المراجع لمختلفة فإنه كان يعنى في أول أمره بمفهوم اللفظ أو الكلمة من الناحية اللغوية ثم كان يرى المناسبة التي وردت فيها هذه الكلمة أو الآية ثم كان يأخذ الآيات الواردة في ذلك الموضوع في المواضع الأخرى . ويرى المفهوم الصحيح لهذه الآية في هذا السياق ثم كان يرجع إلى التفسير الذي ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم قولاً أو فعلاً ثم كان يعنى بالتفسير الذي جاء من الصحابة

أو التابعين وثم بعد ذلك كان يهتم بما جاء من المفسرين القدامى . هذه هي الطريقة التي اختارها الأستاذ المودودي اعتقادا بأنها الطريقة الصحيحة للتفسير ، فلذلك كان يتقيد بها شخصيا كما كان يوصى بها الآخرين (١) .

سادسا : الاهتمام بتصحيح الأخطاء اذا تبينت له بالأدلة من
الكتاب والسنة :

وكان يحرص الأستاذ المودودي حرصا شديدا على أن يصحح أخطائه اذا تبينت له في ضوء الكتاب والسنة / ان يصدر تفسيره في حلقات متتالية في مجلة (ترجمان القرآن) الشهرية قبل اصداره بصورة كتاب مستقل وذلك رغبة منه في تصحيح أخطائه في ضوء النقد من العلماء والمشايخ في ضوء الكتاب والسنة وكما يحكي لنا الشيخ محمد عبدالله بأنه كان يلتمس من العلماء والمشايخ بأن ينظروا، بالدقة فيما يصدر في ترجمان القرآن من التفسير ويطلعونه على أخطائه وذلك بالدم بالأدلة من الكتاب والسنة ليتمكن من تصحيحها (٢) .

وفي هذا الصدد يحلولى أن أذكر هنا ما كتبه الأستاذ في خاتمة تفسيره إن يقول : " إننى أتمنى من العلماء والمشايخ أن يهيبونى عن أخطاءى فى التفسير وأى شىء بين لى كونه غير صحيح فى ضوء الكتاب والسنة وسأقوم بتصحيحه إن شاء الله واننى أعوذ بالله أن اخطئ فى تفسير كتاب الله متعمدا أو ألتمسك بما هو غير صحيح بعد أن يبين لى " (٣) .

(١) انظر هذه الرسالة ص : ٣٥٩ .

(٢) انظر مجلة آئين " الأسبوعية عدد خاص فى مناسبة اكمال (تفهيم القرآن)

للشهر ديسمبر من عام ١٩٧٢ م ص ٩٩ .

(٣) تفهيم القرآن ج ٦ ص ٥٧٥ .

وهكذا حكى لى الشيخ محمد جراغ^(١) ، مدير الجامعة العربية
بكوجزانواله وشيخ التفسير فيه بأنه كلما نبه الأستاذان المودودى على احدى
اخطائه فى التفسير بالأدلة من القرآن والسنة ، بادرا الأستاذان بتصحيح
أخطائه دون تردد وشكر له على ذلك شكرا جزيلاً ، وهذا ما يتبين أيضا من
الرسائل التى كتبها الأستاذان المودودى ردا على رسائل الشيخ محمد جراغ حول
هذا الموضوع والتى تضم الآن الجزء الأول والثانى للمكاتيب^(٢) .

...

(١) هو الشيخ محمد جراغ مدير الجامعة العربية بكوجزانواله (باكستان)
ورئيس جمعية اتحاد العلماء بباكستان وقد تلقى دورسه فى المعهد
الدينى بديونند (الهند) على أيدى كبار العلماء على رأسهم الشيخ
أنور شاه الكشميرى وهو من كبار علماء باكستان .

(٢) انظر الأستاذان المودودى : مكاتيب (الجزء الاول) ص ٤٣-٥٦ ،

٧٢-٧٥ .

ومكاتيب (الجزء الثانى) ص ٤٥-٥٠ ، ٥٦-٥٣ ، ٧٢-٧٥ .

الفصل الثالث

منهج الاستاذ المودودي في تفسير القرآن الكريم

- | | |
|-------------------|--|
| المبحث الأول | منهج الاستاذ المودودي في التفسير للسورة . |
| المبحث الثاني | منهجنا في التفسير بالمأثور . |
| المبحث الثالث | الإهتمام بالدعوة وتطلباتها من خلال التفسير |
| المبحث الرابع | بيان الإهتمام بإقامة الحكومة الإسلامية والعناية بإزالة النواهي المختلفة للدولة الإسلامية . |
| المبحث الخامس | منهج الاستاذ المودودي في دراسة القصص القرآنية |
| المبحث السادس | منهج الاستاذ المودودي في دراسة آيات الأحكام |
| المبحث السابع | منهج الاستاذ المودودي في استخدام الخرائط والصور خلال التفسير |
| المبحث الثامن | الإهتمام بالإستحواض من كتب أهل الكتاب |
| المبحث التاسع | عدم الخوض في الجاهل من الجانبية . |
| المبحث العاشر | منهج الاستاذ المودودي في الروايات على السأويلا
الجاهلة في تفسير القرآن الكريم |
| المبحث الحادي عشر | إزالة موقف الإسلام من الفلسفات المعاصرة
والجاهلية . |
| المبحث الثاني عشر | كثافة منهج الاستاذ المودودي في تفسير القرآن الكريم |

القرآن الكريم - المفتاح الرئيسي لمعضلات الحياة الإنسانية

” قرأت الكثير في زمن الجاهلية من عمري من إنفاصات لغوية والحديث
والعلوم الطبيعية والاقتصاد، والعلوم السياسية وما رآك ذلك، حتى إنني أفقت في
ذهني خزانات من الكتب، ولكني لما قرأت القرآن بعيني المفتوحة فإذا بأني أشعر أن كل شيء
قرأته حتى الآن كان تافهاً غير ذي بال، وقد وهبت الآن أصل الأصول في باب
العلوم، وأصبح يتراوى لي كل من كانت، وهيجل ونطشة وماكس وأثر المفكرين
الذين سيربذكرهم الركبان في العصر الحديث اقتضاماً يستحقون العطف لأن المالك والتعقيدات
التي أخذوا حياتهم في علمها والتعريفها كتباً طالمة لم يحالفهم التوفيق في علمها مع أن
كتاباً ” القرآن ” أوجه لها هدلاً في آية أو آيتين .

اذن فليس لي كتاب اعتبره منفذاً في الحياة، والا القرآن والقرآن فقط،
الذي غير مجرى حياتي، هو الذي من عيون رآي إنسان، أفرغني من انظمامات رآي إنسان،
جعل في يدي وصياهاً، رآي أي شيء، أنظر في ضوئه يكشف لي حقيقة أمره وأمنه
بجلية لا انحاء عليها، ويوصف ذلك المصباح باللغة الإنجليزية بالمفتاح الرئيسي
” Master key ” الذي يفتح به كل قفل، فالقرآن أصبح لي المفتاح الرئيسي،
لا أستعمله في قفل من أقفال المعضلات البشرية رآي وينفتح بسرعة،
وإن لساني تعجز عن شكره الذي عياني بفضل هذا ” المفتاح المبارك ” الحمد لله
الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

الأستاذ المودودي - رآ على سؤال عن الكتاب الذي يعتبره منقذاً لحياته
(نقل عن الأستاذ خليل أحمد الحمادي - ” تفسير القرآن وفصائله ” ص ٦٥)

منهج الأستاذ المودودي في التقديم للسور القرآنية

يقدم الأستاذ المودودي تفسيره لكل سورة بمقدمة يتحدث فيها عن سبب تسمية السورة وسبب نزولها وخلفيتها التاريخية كما يتكلم فيها عن موضوع السورة ومحتوياتها وأهدافها وذلك ليتمكن القارى من فهم مقتضيات السورة في ضوء سبب نزولها ويعرف واقع المرحلة التي كانت الحركة الاسلامية فيها آنذاك في ضوء خلفيتها التاريخية . وهذه المقدمة لها أهمية بالغة في فهم محتويات السورة وتوضيح اهدافها ومعرفة متطلبات الحركة الاسلامية . ويقول الأستاذ المودودي في مقدمة تفسيره : " ومن مقتضيات فهم القرآن فهما كاملا الاطلاع على خلفيتك سورة ، وهذا الهدف لا يتحقق ، بنقل المعاني فحسب ، ولهذا أحببت أن أتى بمقدمة في بداية كل سورة أبين فيها الظروف التي نزلت فيها السورة والمرحلة التي دخلت فيها الحركة الاسلامية آنذاك ، ومتطلباتها ومقتضياتها " (١) .

والآن يجدر بنا أن نأتي هنا ببعض النماذج لما جابهه الأستاذ المودودي

في تقديمه للسور القرآنية المختلفة :

١ - تسمية السورة :

الأمر الأول الذي يهتم به الأستاذ المودودي في مقدمته لكل سورة هو تسميتها . ويبين الأستاذ في هذا الصدد أن اسم السورة لا يكون عفوانا بالنسبة لمحتوياتها ، بل هو في الحقيقة يكون علامة معضدة للسورة التي تتميز بها عن السور الأخرى . فيقول في تسمية سورة البقرة مثلا :

" سميت هذه السورة بالبقرة لأنه وردت فيها كلمة " البقرة " وجد يــــر

بالذكر أن كل سورة من سور القرآن تشمل عددا من المباحث والموضوعات ،

ولا يمكن ان يختار لها موضوعا جامعاً ، والحقيقة أن اللغة العربية مع كونها لغة واسعة لا توجد فيها لفظ او كلمة تجدر لعناوين هذه السور ، فلذلك اهتم النبي صلى الله عليه وسلم باختيار الأسماء لها كالعلاقات بدلا أن يختار لها العناوين ، وذلك بوحي من الله ، والمراد من سورة البقرة ان سورة وردت فيها كلمة البقرة (١) ، وقد وردت كلمة (البقرة) في الآية رقم (٦٧) في اثنا عشر آية من سورة البقرة مع قوله .

ويقول الأستاذ المودودي في تسمية سورة الأعراف : " سميت هذه السورة بالأعراف لأن ورد فيها ذكر الأعراف واصحاب الأعراف في الآيتين (٤٦ و ٤٧) والمراد من تسميتها هذه هو أن السورة التي ذكر فيها الأعراف (٢) .

وهكذا وضع الأستاذ هذا الامر حتى لا يقع القارىء في خطأ خلال مطالعته للقرآن الكريم حيث يرى بان اسماء السور لا تكون لها أى علاقة واضحة بالمباحث التي تشتملها .

٢ - زمن النزول :

والأمر الثاني الذي يهتم به الأستاذ المودودي في مقدمته لكل سورة هو تعيين زمن نزولها ولتحقيق هذا الهدف يذكر الروايات الصحيحة من كتب الأحاديث والسيرة حول أسباب النزول ثم يقارن ويرجح بينها في ضوء الشهادات الداخلية اذا لم تساعده النصوص صراحة ، ومن المعلوم أن زمن النزول له أهمية بالغة في فهم محتويات السورة ولا سيما في فهم الترتيب والتدرج في أحكام الشريعة . والآن نأتى بالنموذج لضمجه هذا من مقدمة سورة النور .

(١) تفهيم القرآن ج١ ص ٤٦ .

(٢) المصدر السابق ج٢ ص ٥٥ .

من المجمع عليه أن هذه السورة نزلت بعد غزوة بني المصطلق (١) ، وما يظهر من بيان القرآن نفسه أنها نزلت في شأن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حين رماها أهل الإفك من المنافقين بما تقولوا عليها من الكذب والبهتان وقد حصل ذلك كما تتفق عليه جميع الروايات المعتبرة أثناء القول من غزوة بني المصطلق ، أما الذي فيه الخلاف فإنما هو : هل كانت غزوة بني المصطلق في سنة خمس قبل غزوة الأحزاب أم بعدها في سنة ست ؟ والسؤال يلزمنا التحقيق في هذا الباب ، هو أن أحكام الحجاب إنما نزلت في سورتين فحسب من سور القرآن : في سورة النور هذه ، وفي سورة الأحزاب التي لا خلاف أنها نزلت عند غزوة الأحزاب (الغندق) فان كانت غزوة الأحزاب قبل غزوة بني المصطلق فمعناه ان أحكام الحجاب في الاسلام كان بدؤها بالتعليمات التي وردت في سورة الاحزاب وكمالها بالأحكام التي وردت في سورة النور. وأما إذا كانت غزوة بني المصطلق قبل غزوة الأحزاب فانعكس الترتيب في نزول أحكام الحجاب وصار بدؤها بسورة النور وكمالها بسورة الأحزاب وذلك ما يصعب علينا معه ان ندرك ما في أحكام الحجاب من حكمة التشريع ، فبنا على ذلك نسرى أن نحقق قبل كل شيء زمن نزول هذه السورة .

يقول ابن سعد : أن غزوة بني المصطلق وقعت في شعبان من سنة خمس ووقعت بعد ذلك غزوة الأحزاب أو غزوة الغندق من السنة نفسها . وأكبر شهادة في تأييد ابن سعد في هذا أن الطرق المروية عن عائشة بشأن قصة الإفك قد ورد في بعضها ذكر المجادلة بين سعد بن عباد وسعد بن معاذ وكان سعد ابن معاذ كما تفيد الروايات المعتبرة فيمن قتل في غزوة بني قريظة (٣) التي

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٠١ .

(٢) انظر محمد بن سعد بن منيع البصرى - الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٦٣-٦٥ .

(٣) انظر سيرته لابن هشام ج ٢ ص ٢٥٠ .

تلت غزوة الأحزاب . فمن المستحيل أن يكون سعد بن معاذ حيا في سنة ست . ويقول ابن اسحاق في الجانب الآخر ان غزوة الأحزاب وقعت في شوال من سنة خمس (١) . وغزوة بني المصطلق في شعبان من سنة ست (٢) ، ويستدل ابن اسحاق في هذا ببيان ماورد عن عائشة وغيرها من الروايات المعتمدة بها وهي اكثر قوة وكثرة . فط تفيد هذه الروايات ان أحكام الحجاب نزلت قبل قصة الإفك اى في سورة الأحزاب (٣) . ومما تفيد هذه الروايات كذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قد تزوج بزینب بنت جحش رضی الله عنها قبل ذلك ، فسوى ذى القعدة من سنة خمس ، وجاء ذكرها في سورة الأحزاب ، بل ما تفيد هذه الروايات كذلك أن حمنة . أخت زينب بنت جحش إنما شاركت في رمي عائشة لأنها فجرة اغتتبا . والظاهر أنه لا بد أن تضى مدة من الزمن ، ولو بسيرة ، على صلة الضرارة بين امرأتين حتى تنشأ في الطوب مثل هذه النزعات فهذه الأمور كلها ما يؤيد رواية ابن اسحاق ويسقويها .

وليس هناك شيء يمنعنا من قبول رواية ابن اسحاق الا ورود ذكر سعد بن معاذ في قصة الإفك . ومع ذلك فان هذه المشكلة تحل لأن الروايات المروية عن عائشة رضی الله عنها جاء في بعضها ذكر سعد بن معاذ وفي بعضها الاخر ذكر أسيد بن حضير مكان سعد بن معاذ ، وروى عن ابن اسحاق : " فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة قال أسيد بن حضير : يا رسول الله أن يكونوا من الأوس تكفكمم وأن يكونوا من أخواننا من الخزرج فرمنا بأمرك (٤) ، وهذه الرواية تتفق تمام الاتفاق مع الحوادث المروية عن عائشة في شان قصة الإفك والا ولو سلمنا بكون غزوة بني المصطلق وقصة الإفك وقعتا قبل غزوة الأحزاب

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢١٤ .

(٢) المصدر السابق . ج ٢ ص : ٢٩٧ .

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص . . . ٣٠٠ .

وغزوة بنى قريظة لمجرد ان نجملهما تتفقان مع حياة سعد بن معاذ في زمن قصة الإفك لاستحالة علينا ان نجد حلا لمشكلة عظيمة أخرى ^{هي} انه من اللازم ان يكون نزول آية الحجاب ونكاح زينب قد وقعاً قبل غزوة الأحزاب مع أن القرآن والروايات الصحيحة المتضافرة تشهد بأن نكاح زينب والآية المتى فيها حكم الحجاب من الحوادث الواقعة بعد غزوة الأحزاب وغزوة بنى قريظة فبنا على كل ذلك قد جزم ابن حزم وابن القيم (١) وغيرهما من العلماء المحققين بصحة رواية ابن اسحاق ورجحوها على رواية ابن سعد، وهو الرأي الذي نراه ونذهب اليه (٢) .

وهكذا نرى أن الأستاذ المودودي يحكم بين رواية ابن اسحاق ورواية ابن سعد ويرجح رواية ابن اسحاق على رواية ابن سعد في ضوء الشهادة التي توجد في السورة نفسها وهي أن احكام الحجاب في هذه السورة هي الأحكام النهائية فلا بد ان يكون نزولها بعد سورة الأحزاب التي فيها الأحكام الابتدائية للحجاب . فاثبت الأستاذ أن غزوة الأحزاب وقعت قبل غزوة بنى المصطلق فعل المشكلة في ترتيب تشريع أحكام الحجاب بترجيح رواية ابن اسحاق على رواية ابن سعد . وجد ير بالذكر أن أكثر المفسرين ماوا بترجيح رواية ابن سعد على رواية ابن اسحاق ليحلوا مشكلة وجود سيدنا سعد ابن معاذ في قصة الإفك ، لأنه توفي خلال غزوة بنى قريظة التي وقعت متصلاً بعد غزوة الأحزاب . ولكن الأستاذ المودودي حل هذه المشكلة بالاستشهاد برواية ابن اسحاق وهي أن المجادلة بين الأوس والخزرج في قصة الإفك كانت بين أسيد بن حضير وسعد بن عباد ولم تكن بين سعد بن معاذ وسعد بن عباد ، وأما سعد بن معاذ فكان سيد الأوس قبل أسيد بن حضير فيمكن جداً أن السيدة عائشة رضی الله عنها قد استعملت كلمة " سيد الأوس " والتبس على الرواة أنه كان سعد بن معاذ ، بدلا عن أسيد بن حضير ، ولكن هذا ليس

(١) انظر الإمام ابن القيم - زاد المعاد في هدى خير العباد ج ٢ ص ٢٨٦ .

(٢) تفهيم القرآن ج ٣ ص ٣٠٦ .

بصحيح ، كما يرى الأستان المودودي وهو لا يتفرد في رأيه هذا بل سبقه فيه بعض من العلماء الكبار ومنهم ابن حزم وابن القيم . وهناك شهادة أخرى جاء بها الأستان المودودي في تأييد رأيه هذا وهي وجود حمنة بنت جحش شقيقة أم المؤمنين زينب بنت جحش في قصصنا لك لأنها قد شاركت في نشر هذا البهتان حماية لأختها التي كانت ضرة للسيدة عائشة* وقد تم زواج سيده زينب رضي الله عنها مع النبي صلى الله عليه وسلم كما يتبين من القرآن الكريم وكثير من الروايات الصحيحة الأخرى بعد غزوة الأحزاب فيثبت أن غزوة الأحزاب ، كان وقوعها قبل غزوة بني المصطلق وما يؤيد رأي الأستان المودودي هو قول عائشة في صفوان بن المحطل السلمي بأنه : " عرفني حين رأني وكان يراني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخرت وجهي بجلبابي " (١) . ويوجد هذا القول في كل الروايات التي رويت عنها رضي الله عنها في قصة الإفك ويثبت من هذا القول أن أحكام الحجاب قد بدأ نزولها قبل حادث الإفك ، وأحكام الحجاب لا توجد الا في سورة الأحزاب وسورة النور . ومن المعلوم ، ان سورة النور كان نزولها في قصة الإفك فلا بد إذن أن يكون نزول سورة الأحزاب قبل سورة النور . فيثبت أن غزوة الأحزاب كان وقوعها قبل غزوة بني المصطلق .

وهناك شهادة أخرى توجد في نفي الرواية وهي قول السيدة عائشة رضي الله عنها " وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش عن أمري فقال : يا زينب ماذا طمت أو رأيت ؟ فقالت : يا رسول الله أحصى سمعي وبصري ، ما طمت الا خيرا . قالت وهي التي كانت تساميني من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢)

(١) صحيح البخاري - كتاب التفسير - باب لولا إذا سمعتموه فتم ما يكون لنسا أن نتكلم بهذا .

(٢) صحيح البخاري - كتاب التفسير - باب لولا إذا سمعتموه فتم ما يكون لنسا أن نتكلم بهذا .

فيثبت من هذا أن زواج السيدة زينب مع النبي صلى الله عليه وسلم تم قبيل حادث الإفك فكان وقوع غزوة الأحزاب قبل غزوة بني المصطلق .

سبب النزول أو الخلفية التاريخية :

أما سبب النزول أو الخلفية التاريخية فهو الأمر الثالث الذي يمتنعى به الأستاذان المودودي في مقدمته لكل سورة . ومن المعلوم أن سبب النزول يتعلق بحادث خاص نزلت السورة فيه . والخلفية التاريخية تتعلق بالوضع التي كانت الحركة الإسلامية فيها آنذاك . والأستاذان المودودي لا يفوتانه أن يشير إلى كليهما في مقدمته كما يقول الأستاذان خليل الحامدي (١) ، وهو يتحدث عن محتويات المقدمة التي يأتي بها الأستاذان المودودي في بداية كل سورة حيث يقول : " ثم يشرح الخلفيات والأوضاع التاريخية والاجتماعية والسياسية التي اقترنت بنزول السورة ، كما أنه يبين كيف أن التوجيهات التي وردت في السورة قد جاءت من الله عز وجل للحركة الإسلامية التي كان يقودها الرسول صلى الله عليه وسلم في ظروف كانت مهيأة لها نفسياً وذهنياً " (٢) .

والنص الآتي من مقدمة سورة مريم خير شاهد على ما قلناه آنفاً وما أشار إليه الأستاذان خليل الحامدي : " لما اخفق زعماء قريش في سحق الحركة الإسلامية عن طريق السخرية والاستهزاء والترهيب والترغيب وإشاعة التهم الباطلة ، راحوا يستخدمون سلاح الظلم والإيذاء والضغط الاقتصادي ، فجمعت كل قبيلة تمسك من آمنوا من أفرادها وتحبسهم وتوثقهم وتدفعهم إلى الأمانات التحذيب والإيلام وتمنع عنهم الطعام والشراب لتجبرهم على ترك الإسلام

(١) هو الأستاذان خليل الحامدي مدير دار الصلوة للدعوة الإسلامية تحت رعاية الجماعة الإسلامية باكستان . وهو أحد زملاء الأستاذان المودودي البارزين في مجال الدعوة وله عشرات من المؤلفات القيمة في اللغة العربية واللغة العربية كما هو أحد المترجمين البارزين لكاتب الأستاذان المودودي إلى اللغة العربية .
(٢) الأستاذان خليل الحامدي : تفهيم القرآن وخصائصه ص ١٦ .

والعودة إلى مطهرهم الأولى ، ووقع أشد الإيذاء في هذا على الفقراء الضعفاء والمعيبد والموالي بوجه خاص الذين كانوا خاضعين لقريش مثل بلال (١) وعامر بن فهيرة (٢) ، وأم عيسى (٣) ، وزنيرة (٤) وعامر بن ياسر (٥) ووالديه وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين . فلقد كان هؤلاء يضربون حتى يفقدوا وعيهم وكانوا توثق أيديهم وأرجلهم ويتركون جياعا عطاشا ، ويسحبون على رمال مكة الساخنة في قيظ الشمس الحارقة وتوضع على صدورهم الصخور الثقيلة ساعات طويلة وكان الحمال والحرفيون منهم يسغرون في أعمالهم ويؤذون ويظلمون فسوى اجورهم (٦) . جاء في الصحيحين عن سيدنا خباب بن الأرت قال : كنت قيننا (أى حدنا) بمكة المكرمة فصطت للعاص ابن وائل السهمي سيفا ، فجئت اتقاضاه (يعنى اطلب اجري) فقال لا اعطيك حتى تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم (٧)

-
- (١) هو بلال بن رباح الشهير مؤذن النبي صلى الله عليه وسلم وكان ممن يعذب في الله فاشتراه أبو بكر واعتقه . (انظر الاصابة في تمييز الصحابة ج ١ ص ٦٥) .
- (٢) هو عامر بن فهيرة التميمي مولى أبي بكر الصديق وكان ممن يعذب في الله فاشتراه أبو بكر واعتقه لوجه الله . (انظر الاصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص ٢٥٦) .
- (٣) هي أم عيسى ، كانت من السابقات إلى الإسلام ومن يعذب في الله فاشترها أبو بكر الصديق رضي الله عنه واعتقها لوجه الله وكنيت بابنها عيسى بن كريب (الاصابة في تمييز الصحابة ج ٤ ص : ٤٧٥) .
- (٤) هي زنيرة رومية كانت من السابقات إلى الإسلام ومن تعذب في الله فاشترها أبو بكر واعتقها لوجه الله . (المرجع السابق ص ٣١١) .
- (٥) هو عامر بن ياسر بن عامر بن مالك من بني ثعلبة بن عوف حليف بني مخزوم وامه سمية مولاة لهم كان من السابقين الأولين هو وابوه وكانوا ممن يعذب فسقى الله وقد بشرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة (انظر الاصابة في تمييز الصحابة ص ٥١٢) .
- (٦) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣١٧ - ٣٢١ .
- (٧) صحيح البخاري في كتاب التيميم باب ذكر القين والحداد .

كذلك كان المشركون يتلمسون الوسائل لافساد تجارة من كان من المسلمين يشتغل بالتجارة (١) . ويستدلون بكل طريق من كان لهم بمسعى العزة والشرف في المجتمع .

يصف سيدنا خباب رضي الله عنه تلك الفترة فيقول : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بريدة ، وهو في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة فقلت ألا تدعوا الله ؟ فقمعد وهو محمر وجهه فقال : لقد كان من قلك ليمشط بامشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشقي باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه ، وليعن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنم إلى حضرموت ما يخاف إلا الله (٢) .

قلما بلغ اضطهاد المسلمين هذا لا يحتمل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صحابه في رجب من العام الخاص والأربعين بعد حادث الفيصل (الخاص للبعثة) : " لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا ما أنتم فيه " (٣) فتوجه النبي الحبشة أحد عشر رجلا وأربع نساء أول الأمر (٤) " فقد نزلت هذه السورة في تلك الظروف القاسية قبل هجرة الحبشة بظليل لأن سيدنا جعفر قد تلاها في بلاط النجاشي حين دعا المهاجرين إلى هناك (٥) .

-
- (١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٢٠ .
 (٢) صحيح البخاري - كتاب مناقب الأنصار باب ما لحق النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المشركين بحكة .
 (٣) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٢١ .
 (٤) المرجع السابق ج ١ ص ٣٢٢-٣٢٣ .
 (٥) تفهيم القرآن ج ٣ ص ٥٦ .

تمتضح من بيان الأستاذ المودودي لهذه الخلفية التاريخية الأوضح
التي كانت الحركة الإسلامية فيها آنذاك وما تقتضيه من عمل . ومن هذا يمكننا
أن نفهم العلاقة بين متطلبات الحركة وبين المباحث التي تتناولها السورة وهذا
ما يساعدنا في فهم محتويات السورة فهما صحيحا وكاملا . فمثلا نرى أن الحركة
الإسلامية بحكمة الحكمة آنذاك قد دخلت في مرحلة خطيرة حيث أصبحت الهجرة
إلى دولة مسيحية في الحبشة ضرورة لا مفر منها لأصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم ولذلك كان من متطلبات الحركة الإسلامية في تلك المرحلة ان يمسرف
المسلمون قصة سيدنا عيسى عليه السلام ودعوته عليه السلام والمعقيدة الصحيحة
فيه فنرى ان السورة من آيتها الأولى إلى آيتها الأربعين تشتمل قصة سيدنا يحيى
عليه السلام وسيدنا عيسى عليه السلام وقد بين الله في هذه الآيات بان سيدنا
عيسى عليه السلام لم يكن إلا نبيا ولم تكن دعوته إلا دعوة التوحيد . وعقيدة
كونه إليها غير صحيحة فكانت النتيجة ان تمكن المسلمون من بيان هذه العقيدة
في بلاط النجاشي وهكذا كان من متطلبات الحركة الإسلامية في تلك المرحلة
أن يكون المسلمون مستعدين للهجرة إلى الحبشة حيث لا يكون هناك أي خوف
أو ريب في أذهانهم وأن الله قد ذكر لهم قصة هجرة سيدنا ابراهيم عليه السلام
في مثل هذه الظروف القاسية وبين أن هجرته عليه السلام قد أصبحت وسيلة
لنشر الدعوة التي قام بها عليه السلام في هذه القصة أيضا بشارة للمؤمنين وعبرة
للكافرين والمشركين .

وكان من متطلبات الحركة الإسلامية في تلك المرحلة ان تبين بكل الصراحة
أصول الدعوة التي جاء بها الرسل عليهم السلام ومصير الكافرين وختم المؤمنين
فترى بان الله ذكر بعض الأبواب من تاريخ الأنبياء عليهم السلام مع بيان موجز
عن دعوتهم ومع الاشارة إلى مصير الكفار وختم المسلمين . وهكذا تساعد الخلفية
التاريخية التي يذكرها الأستاذ المودودي في مقدمته لكل سورة في فهم متطلبات

السورة فهما صحيحا وكاملا ، كما تساعد الحركة الإسلامية في كل زمان وفلس كل مكان أن تستهدى من محتويات السورة في مثل تلك الأوضاع ، وهكذا العلاقة الحية بين الحركة الإسلامية وبين مصدرها لم يزل مستمرا . وجد يسر بالذكر أن الأستاذ المودودي تميز في بيان الخلفية التاريخية في بداية كل سورة بهذا التفصيل لأهميته البالغة لفهم القرآن الكريم . وقد اتبع الشهيــــــــــــد سيد قطب هذا الأسلوب في تفسيره للقرآن الكريم فيما بعد .

٤ - موجز مباحث السورة :

والأمم الرابع الذي يحتمنى به الأستاذ المودودي في مقدمته لكل سورة هو اهتمامه بذكر موجز المباحث التي تشمل السورة وذلك ليتمكن القارىء من الاطلاع على محتويات السورة بكاملها قبل بدء قراءة السورة كما يمكنه أن يعرف علاقة بعضها ببعض . وهذا يساعده في فهم محتويات السورة فهما كاملا ويجعل القارىء أو المستمع يشعر بالوحدة الموضوعية لكل سورة . ففوق مقدمة سورة النور مثلا بعد ما يتحدث الأستاذ عن السياق التاريخي لهذه السورة يأتي بموجز مباحث السورة كالآتى : **١** حينما اضطرب مجتمع المدينة وتزعزع بحادث الإفك ، نزلت سورة النور على النبي صلى الله عليه وسلم بما فيه من الأحكام والتعليقات المتعلقة بالأخلاق والاجتماع المقصود من ورائها حفظ المجتمع الاسلامى من تسرب الرذائل وانتشارها والحصل على تداركها أن نشأت وانتشرت فيه على كل حال . وفيما يلي نذكر هذه الأحكام والتعليقات بالترتيب الذى نزلت به هذه السورة لنستدرك بالسهولة كيفية أسلوب القرآن الكريم في فرض التحصينات الشرعية والأخلاقية والاجتماعية في ان أوجد الإصلاح للحياة البشرية وتحميرها في المواقع النفسية :

١ - شرع حد الزانى مائة جلدة وقرر أن الزنا جريمة جنائية بعد أن كان جريمة اجتماعية أو عائلية فقط من قبل لقوله سبحانه وتعالى : (واللاتى يأتين

الفاحشة من نساءكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فاسكوهن
في البيوت حتى يتوفهن الموت أو يجعل الله لهن سهيلاً * (١) .

٢ - نهى المؤمنون أن يرتبطوا بالفاسقين والفاسقات بصلوات التزواج .

٣ - جعل حد من يرمى غيره بالزنا - ثم لا يأتي عليه بأربعة شهداء * ثمانين جلدة .

٤ - شرع اللعان لمن يرمى بالزنا زوجته ولم يأت بأربعة شهداء * .

٥ - ان من التعليمات التي وجهها الله تبارك وتعالى إلى أفراد المجتمع

الاسلامي ضمن براءة السيدة عائشة رضي الله عنها عن الاتهام والافتراء *

أن لا يقبلوا من كل واحد قوله بدون روية إن كان يرمى غيره بما لا يسرون

فيه ولا يشيعوه في المجتمع بل من واجبهم إذا وجدوا أنه قد فشت فسوى

المجتمع مثل هذه الافتراءات والاتهامات الكاذبة أن يعطوا على كبتهما

ويحولوا دون شيوعها ويجتنبوا من تناقلها بينهم . والقاعدة الأساسية

التي بينها الله سبحانه في هذا الصدد هو أنه لا يتصل الطيب من الرجال

إلا بالطيبة من النساء ، ومن المحال ألبتة أن يوافق طبعه امرأة خبيثة .

كما ان المرأة الطيبة لا يمكن ان توافق روحها الا رجلا طيبا .

٦ - والذين يلفقون الاخبار الخليفة ويذيمونها او يحاولون ان تشيع الفاحشة

في مجتمع مسلم انهم لا يستحقون الحماية والتشجيع بل يستحقون العقاب .

٧ - وقرر ، كقاعدة عامة ، ان ظن المؤمن بانفسهم حسنا هو الأساس للروابط

الاجتماعية في المجتمع ، فكل من أفرادہ برىء مادام لا يثبت ارتكابه لجريمة

من الجرائم وليبرأ أساس هذه الروابط سوء الظن حيث يكون كل فرد مسن

افراد المجتمع مجرماً مادام لا تثبت براءته .

- ٨ - أمر المؤمنون جميعاً أن لا يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم بدون استئناس أى استعمال أهلها .
- ٩ - أمر الرجال بالفض من أبصارهم من غير المحرمات كما هو مبين فى السنة ، وأمر النساء بالفض من أبصارهن من غير المحارم من الرجال .
- ١٠ - أمرت النساء بأن يضربن بخمرهن على نحو رهن وصدورهن ورؤوسهن فسى بيوتهن .
- ١١ - أمرت النساء مع ذلك أن لا يواجهن أحداً من غير المحارم وخدام البيت بزينتهن .
- ١٢ - أمرت النساء كذلك انهن إذا خرجن من بيوتهن لحاجة فليسترن زينتهن بل لا يلبسن ماله صوت من هليهن .
- ١٣ - ندد أشد التنديد ببقا الرجال والنساء بدون نكاح فى المجتمع ، وأمر من كان فيه من الرجال والنساء بل ومن العبيد والإماء أن ينكحوا وينكحوا لأن بقا أحد بدون نكاح مولد للفحشا متفاعل معها . وأقل ما يكون من مثل هؤلاء الأفراد الذين لا أزواج لهم أنهم لا يتماكون أنفسهم من تجسس أخبار الفاحشة والتلذذ بنظرها فى المجتمع .
- ١٤ - جعلت المكاتبه لتحرير العبيد والإماء وأمر السادة بان يجيبوهم الى طلبهم إذا أرادوا منهم المكاتبه وأمر عامة المسلمين بان يساعدوا المكاتبين مساعدة مالية .
- ١٥ - نهى عن اكراه الفتيات وهن إلاماء على البغا . ولما كانت مهنتا البغايا (Prostitution) فى العرب آنذاك قاصرة على الإماء فما كان هذا النهى عنها الا سدا قانونيا للبغا وبيع الاعراض .
- ١٦ - قررت قاعدة الاستئذان بالنسبة للخدم والذين لم يبلغوا الحلم من الاطفال أن لا يدخلوا على أهل بيوتهم فى الأوقات الثلاثة الآتية : قبل صلاة الفجر ،

وحين يضع الناس ثيابهم من الظهيرة ، وبعد صلاة المشاء فيجيب
أن يعود الانسان أولاده حتى الصغار منهم هذه القاعدة ويربيهم
عليها . وقررت ايضا عند بلوغ الأطفال الحلم ان يستأنوا أى فى عموم
الأوقات عند ارادتهم للدخول على اهل بيتهم .

١٧- سمع للقواعد من النساء أى المجازز اللاتي لا يجدن من انفسهن رغبة فسى
الرجال ان يخلصن الخمر من رؤوسهن ووجوههن ولكن امن ان يتجنبن
التبج بل قيل انه خير لهن ان ييقن كاسيات بخمرهن .

١٨- أذن للعجزة من الناس ، الأعرج والأعمى والمريض ان ياكلوا من بيوت غيرهم
بدون استئذانهم وقيل أنهم إذا أكلوا شيئا من بيت أحد بدون استئذانه
فلا يعدون من السارقين ولا يقام عليهم حد السرقة .

١٩- جعل من حق الأقرباء الادين والأصدقاء الذين لا كلفة بينهم أن ياكل
بعضهم من بيت بعض دون اذنه ، وهو كانه ياكل من بيته نفسه ، فهكذا
طوى ما كان بين افراد المجتمع من التباعد وأزيلت من بينهم هواجيب
الوحشة حتى يزدادوا تحابا وتسد روابط الأخلص والمحبة تلك
الخلال التي قد يثير بها المفسدون أنواعا من الفتن فى المجتمع .

ومع هذه الأحكام والتعليقات قد أنيط اللثام فى هذه السورة عن
علامات المنافقين والمؤمنين الواضحة التي يقدر بها كل مسلم ان يميز بها المؤمنين
المخلصين من المنافقين فى المجتمع وأحكم ، مع ذلك ، نظام جماعة المسلمين احكاما
شديدا أكثر من ذى قبل بقواعد جديدة ليزداد قوة الى قوته ، فان الضمف
فيه هو الذى كان يحمل الكفار والمنافقين على اثاره الفتن والمفاسد (١) .

يتبين مما ذكرنا آنفاً أن الأستاذ المودودي في تقديمه للسور القرآنية يذكر موجز المباحث التي تتناولها السورة وذلك لفهم القارىء محتويات السورة قبل أن يقرأها وهكذا يتمكن من فهم ما جاء في السورة فهما صحيحاً وكاملاً .

وخلال بيانه لموجز السورة نرى الأستاذ يشير إلى علاقة بعضها ببعض وذلك لحل المشكلة التي يواجهها القارىء خلال قراءته للسور القرآنية لعدم فهمه العلاقة الموجودة في مباحثها المختلفة ، ويتبين من علاقة الموضوعات ببعضها أنها ترتبط جميعاً بموضوع رئيسي واحد وهو حماية المجتمع وصيانتته من التبذل والانحدار الخلقى . وهذا يساعد على الفهم والوقوف على الهدف ويؤدى إلى الأمتثال والطاعة ، وبذلك يقدم هذا الموجز فائدة كبرى للعظيمة الإسلامية والحركة الإسلامية في كل العصور .

وهكذا نرى بان الأستاذ المودودي خلال حديثه في موجز محتويات السورة يبين التوجيهات والتعليمات والأحكام والقوانين التي تشتملها السورة تجاه المجتمع الإسلامى فى الماضى والحاضر كما نرى بأنه يهتم ببيان خطط العمل التي تتضمنها السورة للحركة الإسلامية فى كل زمان ومكان ، وإذا كانت السورة تشمل قصة من قصص الأنبياء السابقين أو قصص الأمم السابقين للأستاذ أن يذكر العلاقة بين هذه القصة وبين الظروف التي كانت الحركة الإسلامية فيها وقت نزول السورة كما يشير الأستاذ إلى خطط السير التي تشتملها تلك القصة للحركة الإسلامية فى كل زمان ومكان .

ونجد الأستاذ المودودي بأنه خلال حديثه في موجز السورة يهتم ببيان موقف الحركة الإسلامية عن الكفار والمشركين والمنافقين وقت نزول السورة أو فيما بعد .

كما لا يفوت الأستاذ المودودي أن يذكر الأدلة والبراهين التي تشطبها
السورة في اثبات التوحيد والرسالة والأخوة ويرد على الشبهات التي يوردها
الكفار والمشركون في كل زمان وفي كل مكان .

وأخيرا نرى الأستاذ خلال بيانه لمباحث السورة يمتنى بصفة خاصة
بالرد على الاتهامات التي يوجهها المستشرقون إلى القرآن الكريم أو إلى النبي
صلى الله عليه وسلم .

وجدير بالذكر بأن الأستاذ المودودي قد تفرد بهذا الأسلوب القيم
في تقديمه للسور القرآنية وكان لأهميته البالغة أن الشهيد سيد قطب أيضا
قرر أن يسير على هذا المنهج في تفسيره القيم " في ظلال القرآن " .

مبادئ سليمة لتفسير القرآن

من اللازم قبل كل شيء ، أن تعرفوا الطرق السليمة لتأويل القرآن وتفسير آياته ، وهو أن تتفكروا في كلمات وصيغ الآية التي تريدون أن تعرفوا معناها من حيث اللفظ أولاً ، ثم تضعوها في سياقها (Context) ، ثم تراجعوا ما ورد في مختلف مواضع القرآن من الآيات المتعلقة بنفس مضمونها ، وتروا أي تفسيرين تناسيرها المتعددة المحتملة ينسجم مع هذه الآيات ، وأيهما خالف لما ورد فيها من اللفظ (ويدهى أن قولاً لأحد راناً لمن يحتمل تفسيرين أو أكثر ، فما العبرة إلا بتفسير هو على انسجام مع ماله من التصريحات الأخرى عن مضمون قوله) فإذا بذلتكم وللناسم لمعرفة معنى القرآن بالقرآن ، إلى هذا الحد فانظروا : أي معنى يتقرر للآية قيد الدراسة على ضوء أقوال وأفعال من جاء بالقرآن (أي محمد صلى الله عليه وسلم) وبأي وجه فسرها أولئك الذين كانوا من أتباعه في أقرب عصر لحياته؟

_____ الأستاذ المودودي - "الإسلام في مواجهة التحديت المعاصرة" (ص 175)

اهتمام الأستاذ المودودي بالتفسير بالمأثورماهو التفسير بالمأثور :

والمراد بالتفسير بالمأثور هو تفسير القرآن بالقرآن أو تفسير القرآن بالسنة أو تفسير القرآن بأقوال الصحابة أو أقوال التابعين أو الأخذ بمقتضى اللغة ، فيرى الزركشى أن أمهات ماخذ التفسير أربعة :

أولا : النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم .

ثانيا : الأخذ بقول الصحابة .

ثالثا : الأخذ بمطلق اللغة .

رابعا : التفسير بالمقتضى (١) .

ويقول الدكتور الذهبى : " يشمل التفسير بالمأثور ما جاء فى القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته وما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم وما نقل عن الصحابة رضوان الله عليهم ، وما نقل عن التابعين ، من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله سبحانه من نصوص فى كتابه الكريم " (٢) .

واختلف العلماء فى مكانة التفسير عن التابعين . ونقل عن الإمام أحمد قولان : أحدهما بقبول والثانى بمنع (٣) . ونقل عن الإمام ابوحنيفة بأنه قال : ما جاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فعلى الرأس والعين وما جاء عن الصحابة تخيرنا وما جاء عن التابعين فهم رجال ونحن رجال (٤) .

(١) انظر الزركشى : البرهان فى علوم القرآن ج ٢ ص ١٥٦-١٦٤ .

(٢) الدكتور الذهبى : التفسير والمفسرون ج ١ ص ١٥٢ .

(٣) انظر الزركشى : البرهان فى علوم القرآن ج ٢ ص ١٥٨ .

(٤) نقلا عن الدكتور محمد حسين الذهبى - التفسير والمفسرون ج ١ ص : ١٢٨ .

ويقول الإمام ابن تيمية : " قال شعبة بن الحجاج وغيره : أقوال التابعين في الفروع ليست حجة فكيف تكون حجة في التفسير . . . يعني أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم وهذا صحيح ، أما إذا أجمعوا على شيء فلا يرتاب في كونه حجة . فان اختلفوا فلا يكون بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة " (١) .

اهتمام الأستاذ المودودي بالتفسير بالمأثور:

وكان الأستاذ المودودي يعنى بالتفسير بالمأثور كل العناية والاهتمام خلال تفسيره للقرآن الكريم كما يتبين من مراجعة تفسيره (تفهيم القرآن) وكما يتضح لنا مما كتبه الأستاذ المودودي رداً على أحد الأسئلة في هذا الصدد فيقول مبيناً مبادئه سليمة لتفسير القرآن :

" من اللازم قبل كل شيء أن تعرفوا الطريق السليم لتأويل القرآن وتفسير آياته وهو أن تتفكروا في كلمات وصيغ الآية التي تريدون أن تعرفوا معناها من حيث اللغة أولاً ثم تضحوها في سياقها (Context) ثم تراجعوا ماورد في مختلف مواضع القرآن من الآيات المتعلقة بنفس مضمونها وتسرروا أي تفسير من تفاسيرها المتعددة المحتملة ينسجم مع هذه الآيات وأياًها مخالف لما ورد فيها من المضمون (ويديهي أن قولاً لا أحد إذا كان يحتصل تفسيرين وأكثر فما العبارة إلا بتفسير هو على انسجام مع ماله من التصريحات الأخرى عن مضمون قوله) فإذا بذلتكم لمعرفة معنى القرآن بالقرآن إلى هذا الحد فانظروا أي معنى يتقرر للإية قيد الدراسة على ضوء أقوال وأفعال من جاء بالقرآن (أي محمد صلى الله عليه وسلم) وبأي وجه فسرها أولئك الذين كانوا من أتباعه في أقرب عصر لحياته " (٢) .

(١) الإمام ابن تيمية : مقدماً لتفسيره ص ٣٧٠ .

(٢) الأستاذ المودودي : الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة ص ٧٥ .

والآن نأتى هنا ببعض النماذج لاهتمام الأستاذ المودودى بالتفسير
بالمأثور خلال تفسيره للقرآن الكريم :

الاهتمام بتفسير القرآن الكريم بالقرآن :

كما أسلفنا كان الأستاذ يرى أن أول مصادر التفسير وأهمها
هو القرآن الكريم نفسه وذلك لأن القرآن يفسر بعضه بعضاً . فما أوجز فــــى
مكان قد يبسط فى مكان آخر وما كان مطلقاً فى موضع قد يقيد فى موضع آخر ،
وكما يتبين من مراجعة تفسيره (تفهيم القرآن) كان الأستاذ يهتم فــــى
أول أمره بتفسير القرآن بالقرآن . فلذلك نراه بأنه خلال تفسيره للآية أو الآيات
الواردة فى موضوع خاص كان دائماً يراجع الآيات الأخرى الواردة فى ذلك
الموضوع وكان يوضحها أمام عينيه . ثم كان يفسر هذه الآية والآيات رطــــىة
مناسبتها مع الآيات الأخرى الواردة فى هذا الموضوع والنماذج الآتية خير شاهد
على اهتمام الأستاذ المودودى بتفسير القرآن بالقرآن :

أولاً : يقول الأستاذ فى تفسيره لقوله تعالى : " الزانية والزانية

فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة " (١) أن الزنا وإن كان قد قرر جريمة
مستلزمة للعقوبة فى سنة ثالثة من الهجرة ولكنه ما كان إذ ذاك جريمة
قانونية حيث يكون لشرطة الدولة ومحكمتها ان تؤخذ عليها الناس وإنما كان
بمثابة جريمة اجتماعية أو طائفية حيث كان لأهل الأسرة أن يعاقبوا من يأتيها
منهم بانفسهم وهذا الحكم قد جاء بيانه فى آيتين من سورة النساء وهما
قوله سبحانه (واللاتى يأتيان الفاحشة من نساءكم فاستشهدوا عليهن أربعاً
منكم فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله
لهن سبيلاً . واللذان يأتيانها منكم فآذوهما ، فإن تابا وأصلحوا
فأعرضوا عنهما) (٢) . ففى الآية الأولى إشارة واضحة إلى أن هذا الحكم

(١) سورة النور الآية ٢ .

(٢) سورة النساء الآية ١٥-١٦ .

مؤقت وسيأتي الحكم النهائي لحد الزنا في المستقبل . وهذا الحكم هو الذي نزل بعد سنتين ونصف في سورة النور . وهو قد نسخ الحكم السابق وجعل حد الزنا جريمة قانونية مستلزمة لمؤاخذة الشرطة والمحكمة (١) . ثم يضيف الاستاذ فيقول : " وان الحد الذي قرر في هذه الآية لجريمة الزنا إنما هو حد للزنا المطلق وليس للزنا بعد الاحصان أي ارتكاب الزنا بعد الزواج الذي هو أشد وأغلظ من الزنا المحض في نظر الشريعة الإسلامية وهذا ما يتبين من القرآن الكريم نفسه إذا رجعنا إلى الآيات الكريمة في هذا الموضوع . فمثلا يقول الله سبحانه وتعالى في سورة النساء :

(واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فاسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا) (٢) . ثم يقول بعده بيسير (ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات ، والله أعلم بأيمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن بإذن أهلهن واتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان ، فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب) (٣) . فالآية الأولى تتضمن التوقع لحكم من الله سينزله في المستقبل لعقوبة الزانيات اللاتي يأمر الآن بما ساكنهن في البيوت . ونعلم بذلك أن هذا الحكم الأخير الذي جاء في سورة النور هو الحكم ، أو السبيل الذي كان وعد الله سبحانه تعالى في سورة النساء وفي الآية الثانية جاء ببيان حد الزانية من الاما المتزوجات ولما جاءت كلمة المحصنات في الآية واحدة وسياق للكلام بعينه مرتين فلا بد أن يكون معنى المحصنات واحدا في التوضيحين ، فإذا نظرت

(١) تفهيم القرآن ج ٣ ص ٣٢٥ .

(٢) سورة النساء الآية ١٥ .

(٣) سورة النساء الآية ٢٥ .

الآن في بدء الجملة حيث قيل (ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات) علمت أن ليس المراد من المحصنة في هذه الآية امرأة متزوجة ، بل امرأة حرة غير متزوجة ، وقيل في ختام الآية ان الأمة إذا أتت بفاحشة ، أي زنت فمقوبتها نصف عقوبة المحصنة والذي يدل عليه سياق الكلام أن المراد بالمحصنة في ختام الآية هو نفس المراد في أولها ، أي امرأة حرة غير متزوجة ولكن محصنة بحفظها وحفظ أسرتها ، فهاتان الآيتان معا تشيران إلى حكم حد الزنا في سورة النور ، هو الذي كان الوعد جاء به في سورة النساء إنما يتبين حد الزاني والزانية غير المتزوجين* (١) .

فترى هنا بأن الأستاذ المودودي خلال تفسيره للآية يهتم بتفسير القرآن بالقرآن ولذلك يستدل من الآيتين الواردتين في هذا الموضع في سورة النساء وهما قوله تعالى (واللاتي يأتين الفاحشة من نساءكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا) (٢) وقوله تعالى (ومن لم يستطع منكم طولا . . . الآية) (٣) . فيبين بأن العقوبة التي قد قررها القرآن في الآية الأولى هي ليست العقوبة النهائية بل العقوبة النهائية سيأتى بها الله فيما بعد ، والعقوبة التي قد ذكرها الله في هذه الآية في سورة النور هي نفس العقوبة التي قد وعد بها الله في الآية رقم (١٥) من سورة النساء لأن سورة النساء قد أنزلها الله فيما بين عام ٣ من الهجرة وطام ٥ من الهجرة (٤) بينما سورة النور كان نزولها في شعبان عام ٦ من الهجرة (٥) . وأما الآية رقم (٢٥) من سورة النساء فالمراد من المحصنة في أول الآية هو المرأة الحرة غير المتزوجة وهي قد أطلق

(١) تفهيم القرآن ج٣ ص ٣٢٥ .

(٢) سورة النساء الآية رقم ١٥ .

(٣) سورة النساء الآية رقم (٢٥) .

(٤) انظر للتفصيل تفهيم القرآن ج١ تقديم الأستاذ المودودي لتفسير سورة

النساء ص ٣١٦ .

(٥) ابن هشام ج٢ ص ٢٩٧ .

عليها اسم المحصنة لكونها في احصان أسرتها فيرى الأستاذ بأن كلمة المحصنة في آخر الآية أيضا قد وردت في نفس المعنى الذي قد وردت في أول الآية أي السيدة الحرة غير المتزوجة والعقوبة للامة الزانية المتزوجة هي تكون نصف العقوبة التي فرضها الله للمرأة الحرة غير المتزوجة وهذه العقوبة كما فرضها الله في هذه الآية هي مائة جلدة فلذا عقوبة الأمة الزانية المتزوجة تكسون خمسين جلدة .

وهكذا يرد الأستاذ المودودي على من ظن أن كلمة الزانية والزاني في هذه الآية وردتا للزنا المطلق وحد الزنا سواء كان قبل الاحصان او بعده هو مائة جلدة ، فكون الرجم حدا للزنا بعد الاحصان مخالفا للقران وقال مستشهدا من قوله تعالى (فإذا أحصن فان آتين بغاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب) ان إذا كان الرجم هو حد الزنا بعد الاحصان فما هو يكون الحد للأمة المحصنة : فيمكن الاستدلال من الرد على هذا الافتراض وذلك من القران نفسه . وأما كون الرجم حدا للزنا بعد الاحصان فهناك كثير من الأدلة أوردها الأستاذ المودودي في تاييده . فجدير بالذكر ان الأستاذ المودودي لا ينفرد في رأيه بل هذا ما ذهب اليه الجمهور إلا أنه يمتاز لا هتمامه بتفسير القران بالقران خلال تفسيره للآية (١) :

ثانياً : ويقول في تفسير الآية الكريمة (قالت الأقرب آمنة قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) (٢) . والمراد من قوله سبحانه (قولوا أسلمنا) هنا هو " قولوا استسلمنا " وقوله سبحانه هذا يتحمل مفهوم آخر أيضا وهو " قولوا قبلنا الدين الإسلامى " ومن هذا استنتج البعض بأن كلمة " المؤمن " في لغة القران تختلف في مفهومها من كلمة

(١) انظر للمقارنة الطبري ج ١٨ ص ٥٢ ، الرازي ج ٢٣ ص ١٣٥ ، ابن كثير ج ٣ ص ٢٦٠ . الألوسى ج ١٨ ص ٧٦ ، في ظلال القران ج ٤ ص ٢٤٨٧

(٢) سورة الحجرات الآية ١٤ .

"المسلم" فالعزم من الذي آمن بقلبه والمسلم الذي لم يؤمن بقلبه بل أسلم ظاهرا فحسب . ولكن هذه الفكرة ليست بصحيحة ولا شك بأن كلمة "الإيمان" في هذا المقام قد استعملت للتصديق بالقلب وهكذا من الحق أن كلمة "الإسلام" قد استعملت هنا للاستسلام ولكن هذا الخلاف في المفهوم ليست بمستقل فيتضح من تتبع الآيات التي وردت فيها هاتين الكلمتين أن الإسلام هو الدين الذي قد جاء به الرسل من الله سبحانه وتعالى للبشرية ويشمل مفهومه الإيمان والطاعة والمسلم الذي يؤمن به بقلبه ويعمل فسي حياته به . وإليك بعض من الآيات تدل على ما قلنا :

- ١ - إن الدين عند الله الإسلام (١) .
 - ٢ - ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه (٢) .
 - ٣ - ورضيت لكم الإسلام دينا (٣) .
 - ٤ - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام (٤) .
- وضمن الظاهر الهمين بان المراد من كلمة "الإسلام" في هذه الآيات لا يمكن أن يكون الطاعة بدون "الإيمان" بل المراد الحقيقي هو الطاعة منح الإيمان وكثير من الآيات الأخرى أيضا تؤيد هذا المفهوم ومنها :

- ١ - قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم (٥) .
- ٢ - فان أسلموا فقد اهتدوا (٦) .

-
- (١) سورة آل عمران الآية ١٩ .
 - (٢) سورة آل عمران الآية ٨٥ .
 - (٣) سورة المائدة الآية ٣ .
 - (٤) سورة الأنعام الآية ١٢٥ .
 - (٥) سورة الأنعام الآية ١٤ .
 - (٦) آل عمران الآية ٢٠ .

٣ - يحكم بها النبيون الذين أسلموا (١) .

فهل لا يحسد أن يقول بان المراد من إسلام في هذه الآيات وفى كثير من الآيات الواردة فى المواضع الأخرى هو الإسلام لظاهرى بدون الإيمان فحسب . والآن نرى ما هو المفهوم الذى وردت فيها كلمة المسلم فى القرآن الكريم . وإليك بعض النماذج لذلك :

- ١- يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون (٢) .
- ٢- هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا اليوم الرسل شهد عليكم وتكونوا شهداء على الناس (٣) .
- ٣- ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً (٤) .
- ٤- ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك (٥) .
- ٥- يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون (٦) .

وهل يمكننا أن نقول بعد الاطلاع على هذه الآيات الكريمة ان المراد من المسلم هو من لا يؤمن بالقلب بل يسلم ظاهراً فحسب ، ومن هذا يتبين خطأ من يقول بأن مراد القرآن من إسلام هو الطاعة بدون الإيمان ، والمسلم الذى يظهر بالإسلام فحسب وهكذا لا يصح قول من قال بان كلمة " الإيمان " لا تستعمل فى القرآن الا للتصديق بالقلب ولا شك أن تكون هذه الكلمة أكثر استعمالاً فى هذا المعنى ولكن مع ذلك نرى أن هناك كثير من المواضع التى وردت فيها هذه الكلمة فى المعنى الآخر وهو الإقرار باللسان فقط ونرى القرآن أحياناً يخاطب بخطاب (يا أيها الذين آمنوا) كل من يشمل جماعة المسلمين كان مسلماً صادقاً او منافقاً قوى الإيمان أو ضعيف الإيمان وهذا يتضح من

(١) سورة المائدة الآية ٤٤ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٠٢ .

(٣) سورة الحج الآية ٧٨ .

(٤) سورة آل عمران الآية ٦٧ .

(٥) سورة البقرة الآية ١٢٨ .

(٦) سورة البقرة الآية ١٣٢ .

الآيات التالية :

- يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا بإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ماتوا وما فكلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحبى ويميت، والله بما تعملون بصير* (١) .
- يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا* (٢) .
- يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم، ذلك فضل الله يؤتبه من يشاء* والله واسع عليم* (٣) .
- يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون* (٤) .
- يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وانتم تعلمون (٥) *
- يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اننا ظم السى الأرض، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فسى الآخرة إلا قليل* (٦) .

-
- (١) سورة آل عمران الآية ١٥٦ .
 (٢) سورة النساء الآية ١٣٦ .
 (٣) سورة الطائفة الآية ٥٤ .
 (٤) سورة الأنفال الآية ٢٠ .
 (٥) سورة الأنفال الآية ٢٧ .
 (٦) سورة التوبة الآية ٣٨ .

ويستدل الأستاذ على هذا التفسير من قوله سبحانه (فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين . فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) (١) . فيقول ويثبت من هاتين الآيتين بأن كلمة " المسلم " وكلمة " المؤمن " قد وردتا هنا في نفس المعنى وإذا قرأنا هاتين الآيتين مع الآية (قالت الإعراب أما قل لستم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وأن تطيعوا أمر الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم) (٢) . سيتضح لنا خطأ من قال بأن المراد من كلمة " الإيمان " هو الإيمان بالقلب والمراد من كلمة الإسلام هو الإيمان الظاهري فحسب واعتقد بأن هذين هما المفهومان المستقلان لهاتين الكلمتين (٣) .

فيثبت مما سبق بأن الآيات القرآنية التي جاء بها الأستاذ المودودي في تأييد تفسيره هذا عددها غير قليل فنرى بأن هذه الآيات كلها تدل بصراحة أن كلمة الإسلام لا يقتصر استعمالها في القرآن على الإيمان والظاهري فقط بل تشمل الإيمان بالقلب والطاعة معا . وهكذا كلمة الإيمان مع كثرة استعمالها للتصديق القلبي لا يقتصر استعمالها على هذا المعنى بل هناك كثيرا من الآيات التي وردت فيها هذه الكلمة للإيمان الظاهري أيضا . ومن هذا يتضح لنا بأن الرأي بكون هذان الاصطلاحان مستقلين ليس بصحيح وإنما لو قبلنا هذا الرأي فلا يمكننا أن نتكهن من تفسير هذه الآيات أو كثير من الآيات الأخرى الواردة في القرآن .

(١) سورة الذاريات الآية ٣٥ .

(٢) سورة الحجرات الآية ١٤ .

(٣) تفهيم القرآن ج ٥ ص ١٤٧ .

وهكذا يتبين ما أسلفنا أن الأدلة التي جاء بها الأستاذ المودودي — من القرآن الكريم في تأييد تفسيره أدلة قوية جدا لا مجال لانكارها كما يدل هذا على اهتمامه البالغ بتفسير القرآن بالقرآن الكريم (١) .

الثالث : ويقول في تفسير قوله تعالى (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) (٢) يرى البعض أن المراد من الشهادة في هذه الآية هو أن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون شاهدا على أعمال أمته في يوم القيامة ومن هذا يستدلون بان النبي صلى الله عليه وسلم يشاهد أعمال أمته في الدنيا وإلا كيف يمكن أن يقوم بالشهادة دون المشاهدة . ولكن هذا التاويل لا يؤيده القرآن الكريم لأنه يقول بأن الله قد جعل نظاما آخر للشهادة على أعمال الناس ، فجعل الملائكة مستولين عن تسجيل أعمالهم لقوله سبحانه (إن يتلقى المتلقيين عن اليمين وعن الشمال قعيد . ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) (٣) كما يأتي بالشهادة من أعضاء جسمه أيضا لقوله سبحانه (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) (٤) . وأما الأنبياء عليهم السلام فكما يتبين من القرآن ليس بواجبهم أن يشهدوا على أعمال الناس بسبل أن يؤدوا الشهادة بأنهم قد بلغوا رسالتهم فيقول القرآن بكل الصراحة : (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم ، قالوا لا علم لنا إنك أنت علام) (٥) كما يقول خلال حديثه عن سيدنا عيسى عليه السلام أنه حينما يسأله الله يوم القيامة عن وقوع أمته عليه السلام في الضلال سيكون رد عيسى عليه السلام على ذلك كالآتي : (وكنتم عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم) (٦) .

(١) انظر للمقارنة : الطبري ٢٦ / ٩٠ ، الرازي : ١٤١ / ٢٨ — ١٤٢ ، ابن كثير :

٢١٩ / ٤ ، الألوسي ٢٦ / ١٦٧ — ١٦٨ ، في ظلال القرآن ٦ / ٣٣٤٩ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٤٥ ،

(٣) سورة ق : ١٨ .

(٤) سورة يس : ٦٥ .

(٥) سورة المائدة الآية ٦٥٩ .

(٦) سورة المائدة الآية : ١١٧ .

فيتضح من هذه الآيات بان الأنبياء عليهم السلام لا يكونون شهداء^١ على أعمال الناس بل تكون مهمتهم أداء شهادة الحق وهذا ما يتبين من قوله سبحانه : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) (١) . ومن قوله تعالى (ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء) (٢) . فيتبين من هذا أن كون النبي صلى الله عليه وسلم شهيدا في يوم القيامة لا يختلف من كون أمته شهيدة على الأمم الأخرى ، فإننا قلنا أن شهادة النبي صلى الله عليه وسلم تكون على أعمال الناس لا بد أن نقول أن شهادة امتي من أعمال الناس (صلى الله عليه وسلم) يشاهد أعمال الناس ، ومن البين الواضح أن هذا ليس صحيحا وإذا قلنا ان المراد من كون أمة النبي صلى الله عليه وسلم (شهداء على الناس) هو كونهم مسئولين لأداء شهادة فالحق فلا بد أن نقول بأن شهادة النبي صلى الله عليه وسلم أيضا تكون من هذا النوع .

فيرى الأستاذ المودودي في ضوء هذه الآيات الكريمة والآيات الأخرى

الواردة في هذا الموضوع أنه مفهوم كون النبي صلى الله عليه وسلم شهيدا يضم فيه ثلاثة أنواع من الشهادة :

الأولى : الشهادة القولية يعني أن النبي يشهد بقوله على صدق الحقائق والأصول التي يقوم عليها دين الله . فيقول بكل صراحة انها الحق وان ما يخالفها هو الباطل ، فوجود الله ووحدانيته ووجود الملائكة ونزول الوحي والحياة بعد الموت والجنة والنار وما إليها كلها بدأ كل ذلك للعالم

(١) سورة القرة الآية ١٤٣ .

(٢) سورة النحل الآية ٨٩ .

أمر عجيب وصهما سخر الناس ممن يقول به وصهما رموه بالجنون ، فإن
النبي يقوم دون مبالاة من أحد ويعلن للناس جميعا أن هذا كله حـق
وان الذين لا يؤمنون به ضالون زائفون ، وكذلك التصورات الأخلاقية والحضارية
والاجتماعية والقيم والمبادئ والقواعد والأسس التي اطلعها الله عليها
وكشفها له إذا قال العالم كله أنها غلط وسار خلافها قدمها النبي علانية
وجهر بها وأقرب بطلان التصورات والأفكار والمناهج السائدة التي
تعارضها . كذلك ما تحله شريعة الله يشهد النبي على كونه حلالا ولو
اعتبرته الدنيا بأسرها حراما وما يحرم الله يقرره النبي حراما ولو اتفق
الخلق على كونه حلالا طيبا .

والثانية : الشهادة العملية يعنى ان النبي صلى الله عليه وسلم

يترجم ترجمة عملية للمنهج الذى يقدمه للعالم . فالشئ الذى يقول عنه
انه منكر لا بد أن يخلو سلوكه من كل ذرة منه . والشئ الذى يقول عنه أنه
خير لا بد أن يظهره فى سيرته وأخلاقه اظهارة تاما ، وما يقول عنه أنه فرض
يكون هو أكثر الناس أداء له والتزاما به وما يقول انه ذنب واثم لا بد أن يكون
أكثر اجتنابا من الآخرين . وهكذا عليه أن لا يدخر وسع فى تنفيذ واجبات
قانون الحياة الذى يقول عنه انه قانون الله وشريعته ، ، ، وتكون أخلاقه
وسلوكه شا هدا على مدى صدقه وأخلاصه فى دعوته ، وتكون ذاته نموذجاً
حياتياً لتعاليمه وأقواله بحيث إذا رآها انسان أدرك من فورهِ أى نمط
من البشرية يريد هذا الدين الذى يدعوا النبي اليه وأى سلوك يريد
أن يخلقه فيه وأى نظام للحياة يريد ان يبينه به ويشيده عن طريقه .

والثالثة : الشهادة الأخروية يعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم

سيشهد فى الآخرة حين تنصب المحكمة الالهية انه بلغ الناس الرسالة التى
أسندت إليه تامة كاملة وأنه لم يقصر أدنى تقصير فى توضيح الحق أمامهم

بقوله وفعله ، بلسانه ويده ، وعلى أساس هذه الشهادة يتقرر الأجر
لمن آمنوا وصدقوا والعقاب لمن رفضوا وكذبوا .

ومن هذا يتبين لنا عظمة المسؤولية التي ألهاها الله سبحانه على
كاهل الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن جعله شهيدا على الناس وجمال
هذا المنصب العظيم السامى الرفيع . والحقيقة أن النبي صلى الله
عليه وسلم لم يقصر ولو مثقال ذرة في بيان وتقديم شهادة الحق القولية
والعملية ومن ثم فهو شهيد في الآخرة وضح الحق للناس تام التوضيح
ومن ثم أيضا تتم عليهم حجة الله ، ولو قصر - معاذ الله - في أداء هذه
الرسالة القولية والعملية في الدنيا فلن يستطيع أن يشهد على الناس يوم
الدين ولن تثبت القضية ضد منكرى الحق (١) .

فترى هنا أن الأستاذان المودودى يفسر هذه الآية الكريمة بالآيات
الواردة في هذا الموضوع في المواضع الأخرى من القرآن الكريم ويثبت أن المراد
من كون النبي صلى الله عليه وسلم (شاهدا) هو كون مهمته الأساسية
أداء شهادة الحق بقوله وفعله .

أما استدلال البعض من هذه الآية على كونه صلى الله عليه وسلم
شاهدا على أعمال أمته صلى الله عليه وسلم فهذا ليس بصحيح ، بل هذا
يتعارض مع كثير من الآيات الكريمة الواردة في المواقع الأخرى ، ومنها
قوله سبحانه (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون
الرسول عليكم شهيدا) (٢) . لأن في هذه الآية الكريمة نفس المهمة تنتقل
إلى أمته صلى الله عليه وسلم ، فمن البين الواضح أن هذه المهمة لا يمكن
أن تكون مهمة مشاهدة أعمال الناس كما يظن البعض بل مهمة أداء شهادة

(١) تفهيم القرآن ج ٤ ص ١٠٥-١٠٦ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٤٢ .

الحق كما يرى الأستاذان المودودي ، و هذا ما يتعارض مع كثير من الأحاديث النبوية ومنها ما رواه ابن عباس رض الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (وانه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأتقول : يارب أصحابي . فيقول : انك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح : وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد) (١) . ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم شهيدا على أعمال أمته لما قال هذا ، فضلا عن ذلك ، هذا التفسير يتعارض مع العقيدة أن العلم بالغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى .

ووجدير بالذكر ان الأستاذان المودودي لا ينفرد في تفسيره هذا بل سبقه المفسرون الآخرون في ترجيح هذا التفسير للآية الكريمة (٢) ، إلا أن الأستاذان يتميز بتركيزه على هذه الناحية . ويتبين من هذه النماذج أن الأستاذان المودودي خلال تفسيره للقرآن الكريم كان يهتم بصفة خاصة بتفسير القرآن بالقرآن واذا كان يفسر آية من الآيات كان يضع أمام عينيه الآيات الأخرى الواردة في الموضوع ، ثم كان يفسر الآية في ضوء السياق الذي هي وردت فيه .

...

(١) مسند الإمام أحمد — مرويات ابن عباس .
 (٢) انظر الطبري ج ٢٢ ص ١٤ ، الرازي ج ٢٥ ص ٢١٧ ، ابن كثير ج ٣ ص ٤٩٦ ، الألوسي ج ٢٢ ص ٤٥ ، في ظلال القرآن ج ٥ ، ص ٢٨٧٢ .

ب - تفسير القرآن بالاحاديث النبوية :

وأما المرجح الثاني الذي كان يرجع الاستاذ المودودي اليه بعد القرآن الكريم هي السنة النبوية وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم قد بعثه الله لتعليم القرآن وتفهمه بقوله وفعله كما يتبين من قوله تعالى : **وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون** (١) . وكما يتضح من قوله صلى الله عليه وسلم (**الا وانى اوتيت الكتاب ومثله معه**) (٢) فكان النبي صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بمراد ما نزل الله عليه . فلهذا تفسر القرآن بما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم يلي تفسير القرآن بالقرآن فكان الاستاذ المودودي يهتم به كاهتمامه بتفسير القرآن بالقرآن . فيقول عن اهتمامه هذا : **" فانى حاولت خلال تفسيري للقرآن الكريم ان افسر القرآن بالاحاديث النبوية الصحيحة هذا ما يتبين منه العلاقة بين القرآن والحدِيث ولا يبقى هناك مجالاً للفكرة الخاطئة أن القرآن يمكن لنا ان نفهمه بدون الرجوع الى الحدِيث بل هذا ما يتضح به للقارىء أن القرآن لا يمكن فهمه او تفهمه الا بالسنة النبوية الشريفة "** (٣) . وهكذا يقول الاستاذ فى كتابه **" مكانة السنة فى التشريع "** أن القرآن لا يمكن فهمه فهما صحيحا الا بالرجوع الى ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم لتبيين مفهومه بقوله وفعله والانكار لما قال النبي صلى الله عليه وسلم فى تفسير القرآن بقوله وفعله هو انكار القرآن نفسه (٤)

(١) سورة النحل الآية ٤٤ .

(٢) سنن ابى داؤد - كتاب السنة - باب فى لزوم السنة .

(٣) انظر مجلة " آئين " الشهرية عدد خاص عن اكمال (تفهيم القرآن) لشهر

ديسمبر ٧٢ ص ١١٤ . (كلمة الاستاذ المودودي التى القاها فى

١٥ يوليو ١٩٧٢م فى احتفال خاص فى مناسبة اكمال تفهيم القرآن) .

(٤) الاستاذ المودودي - سنت كى آئينى حيث ص ٧٧ .

والان اليك بعض النماذج لاهتمام الاستاذ المودودي بتفسير القرآن بالاحاديث النبوية الشريفة :

اولا : يقول الاستاذ المودودي في تفسيره للآية الكريمة (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير) (١) ، والحقائق التي تتضمنها هذه الآية الكريمة بينها النبي صلى الله عليه وسلم باقواله المختلفة نذكر بعضها هنا :

١ - عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم فتح مكة فقال : يا أيها الناس ان الله قد اذنب عنكم عيبة جاهلية وتماظمها . يا أيها الناس ، الناس رجالان ، بر تقى كريم على الله عز وجل ، وفاجر شقى هين على الله عز وجل . الناس كلهم بنو آدم وخلق الله آدم من تراب . قال الله تعالى : يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى . . ان الله عليم خبير (٢) .

٢ - عن جابر بن عبد الله قال : خطبنا رسول الله في حجة الوداع فقال : يا أيها الناس الا أن ربكم واحد لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لاسود على احمر ولا لاحمر على اسود الا بالتقوى (ان اكرمكم عند الله أتقاكم) ألا هبل بلغت ؟ قالوا بلى . قال فليبلغ الشاهد الغائب . (٣)

(١) سورة الحجرات الآية ١٣ .

(٢) سنن الترمذي - كتاب التفسير - باب ومن سورة الحجرات .

(٣) البيهقي نقلا عن المنذرى - الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٦١٣ .

٣ - عن حذيفة رضى الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب ، ولينتمهين قوم يفخرون بأبائهم أوليكونن أهون على الله تعالى من الميعلان (١) .

٤ - عن عقبه بن عامر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الناس لأدم وهواء كطف الصاع لم يملؤه ان الله لا يسئلكم عن أحسابكم ولا عن نسابكم يوم القيامة ان اكرمكم عند الله أتقاكم (٢) .

٥ - عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم (٣) .

وبعد ما يذكر الاستئذان المودودى هذه الأحاديث الشريفة للأية الكريمة يقول : لم تعد هذه التوجيهات تحبيرا على ورق بل تمثلت فصلا فى المجتمع العالمى الذى أقامه الاسلام بموجبيها ولم يميز هذا المجتمع العالمى بين هذا وذاك على أساس اللون أو السلالة أو اللغة أو الوطن أو القومية وكل واحد منهم كان بالعمل يتمتع بنفس الحقوق وهذا الفضل للمجتمع الاسلامى قد اعترف به حتى أعداءنا وهذا ما لا يوجد له أى شئيل فى الماضى أو الحاضر فى ديانة من الديانات ولا فى نظام من النظم الاجتماعية وهذا ما جعل هذه الأمة واحدة (٤) .

وجدير بالذكر ان الأستاذ المودودى بعد أن يورد الاحاديث الشريفة فى تفسيره للأية الكريمة يبين بالبراهين والأدلة القوية ان الاسلام لا يسمح

-
- (١) نقلا عن الحافظ نورالد بن علي بن ابي بكر الهيثمى ، كشف الاستار عن زوائد البزار طبع الكتب الستة - باب التظاهر .
 (٢) ابن جرير الطبرى - جامع البيان فى تفسير القرآن ج ٢٦ ص : ٨٩ .
 (٣) صحيح مسلم - كتاب البر ، باب تحريم ظلم المسلم .
 (٤) تفهيم القرآن ج ٥ ص ٩٧-٩٨ .

لوجود أية قومية على أساس الوطن واللغة والسلالة واللون ، هذا من ناحية
ومن ناحية أخرى لا يفوته أن يرد على الشبهات الواردة في هذا الصدد
بناء على ماورد في الكتب الفقهية للعناية بالكفو في الزواج ولو اتسع لنا
المجال لذكرنا هنا بعض من هذه النواحي (١) .

فترى هنا أن الأستاذ المودودي يهتم بتفسير الآية الكريمة
بالاحاديث النبوية الشريفة * وفي هذا الصدد يورد عدد من الأحاديث
الشريفة ويبين لنا المراد الصحيح للآية الكريمة في ضوء ما قاله النبي صلى
الله عليه وسلم في هذا الموضوع ثم يستنبط منها بعض المبادئ الأساسية
للمجتمع الاسلامي ويقارن بينه وبين الديانات والنظم الاجتماعية الاخرى
ويرد على الشبهات الواردة في هذا الصدد .

فيبين من هذا أن أسلوب الأستاذ المودودي في تفسير القرآن
بالحديث لا يختلف عن المفسرين الاخرين الا أنه يكون أكثر اهتماما بابرار
الجوانب الاجتماعية فيه (٢) .

ويقول في تفسير الآية الكريمة (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم
ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون) (٣) :

" يتبين من تتابع الاحاديث الواردة في هذا الموضوع ان الرجل
لا يحل له ان ينظر الى امرأة غير زوجته او محارمه من النساء ، أما النظرة
المفاجئة لمرة واحدة فلا مؤاخذة عليها ولكن لا يحل لأحد ان ينظر الى امرأة

(١) انظر تفهيم القرآن ج ٥ ص ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٩ .

(٢) انظر للمقارنة الطبري ج ٢٦ ص ٨٨-٨٩ ، الرازي ج ٢٨ ص ١٣٦-١٤٠

الألوسي ج ٢٦ ص ١٦٦-١٦٦ ، ابن كثير ج ٤ ص ٢١٧ ، في ظلال

القرآن ج ٦ ص ٣٣٤٨ .

(٣) سورة النور الآية ٣٠ .

نظرة مفاجئة وأحس اللذ قولا اجتلاب أن يعود النظرة اليها بعد نظرة مفاجئة

هذه وهذا زنا العين . ومن الاحاديث الواردة في هذا الموضوع :

١ - ماروى عن ابي هريرة عن النبي : ان الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك أو يكذبه . رواه البخارى ومسلم وابوداود واللفظ لابي داود (١) .

٢ - وماروى عن بريدة رضى الله عنه انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه : يا على : لا تتبع النظرة النظرة فان لك الأولى ولها منى . لك الاخرة " رواه الترمذى واحمد وابوداود واللفظ لأبى داود (٢) . وما روى عن جرير بن عبدالله قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجاءة فقال : أصرف بصرى رواه مسلم واحمد وابوداود والنسائى واللفظ لابي داود (٣) .

وما روى عن عبدالله بن مسعود قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان النظر سهم من سهام ابليس مسموم من تركها مخافتى ابدلته ايمانا يجد حلاوته فى قلبه (٤) . وما روى عن ابي امامة الباهلى عن النبي صلى الله عليه وسلم : ما من مسلم ينظر الى مخاسن امرأة اول مرة ثم يفضى بصره الا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها (٥) . وما روى عن جابر بن عبدالله الأنصارى قال وهو

(١) سنن ابي داود - كتاب النكاح / باب ما يؤمر به من غنى البصر .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق .

(٤) الطبرانى - عقلا عن الهيثمى - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج ٨ ص ٦٣

ويذكره الإمام الذهبي فى كتاب الكباثر ص : ٦١ .

(٥) مسند الامام أحمد - مرويات ابي امامة الباهلى .

يصف حجة النبي صلى الله عليه وسلم " فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن تطلع الشمس وارف الفضل بن عباس وكان رجلا حسن الشعر أبيض وسيما فلما دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مرت به ظعن يجري من فطفق الفضل ينظر اليهن فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على وجهه الفضل ، فحول الفضل وجهه إلى الشق الآخر ينظر فحول رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الشق الآخر على وجه الفضل يصرف وجهه عن الشق الآخر ينظر " رواه مسلم وابوداود والترمذى واللفظ لمسلم (١) . وفي رواية الترمذى : واستفتت جارية شابة من خثعم قالت : أن أبى شيخ كبير قد أدركته فريضة الله في الحج أفيجزى أن أحج عنه قال : حجى عن أميك ، ولوى عنق الفضل فقال العباس : يا رسول الله لم لويت عنق ابن عمك ؟ قال : رأيت شابا وشابة فلم آمن الشيطان عليهما (٢) . ولا يصح الاستدلال بهذه الآية على أن النساء كان لهن الأذن في المشى في الطريق سافرات الوجوه وانسه لذلك أمر الرجال بالفضى من أبصارهم فإنه لو كان حجاب الوجه مأمورا به وجاريا معروفا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما المراد من هذا الأمر بالفضى من الأبصار ؟ ان هذا الاستدلال خاطئ من حيث العقل ومن حيث الواقع .

فهو خاطئ من حيث العقل لأنه من الممكن على الرغم من رواج حجاب الوجه في المجتمع ان تعرض مواقع يتواجه فيها رجل وامرأة فجأة بدون قصد منهما كما قد تعرض لامرأة متحجبة من الضرورات ما يدعوها إلى الكشف عن وجهها ، وبعد فإنه لا بد أن تبقى النساء غير المسلمات في المجتمع

(١) صحيح مسلم — كتاب الحج — باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) سنن الترمذى — كتاب الحج — باب ما جاء ان عرفة كلها موقف .

وسنن أبى داؤد — كتاب المناسك — باب الرجل يحج عن غيره —

رواية عبد الله بن عباس .

متحجبات على رواج الحجاب بين النساء المسلمات ، فليس مجرد الأمر بفض
البصر دليلاً على أنه يستلزم عدم حجاب النساء .

وأما من حيث الواقع فهذا الاستدلال خاطئ لأن الحجاب الذي
كان رائجا معروفا في المجتمع الاسلامي بعد نزول أحكام الحجاب في سورة
الاحزاب كان شا ملا للوجه وان رواجه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم
ثابت بروايات متعددة ، ومنها ما روى عن عائشة رضى الله عنها خلال رؤيتها
عن قصة افك فتقول : فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان
صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش فأصبح عند منزلي
فراى سواد إنسان نائم فعرفني حين رأني وكان رأني قبل الحجاب فاستيقظت
باسترجاعه حين عرفني فخرت وجهي بجلها بي " رواه البخاري ومسلم والإمام
أحمد وابن جرير الطبري وابن الهشام واللفظ للبخاري (١) .

وما روى عن ثابت بن قيس بن شماس عن ابيه عن جده قال : جاءت
امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم يقال لها أم خالد وهي متتقية تسأل
عن ابنها وهو مقتول فقال لها بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
جئت تسألين عن ابنك وأنت متتقية ، فقالت : ان أرزأ ابني فلن أرزأ حياتي
رواه أبو داود (٢) .

وما روى عن عائشة رضى الله عنها قالت : " أو مات امرأة من وراء ستر
بيدها كتاب ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقبض النبي صلى الله
عليه وسلم يده فقال : ما أدري أي يد رجل أم يد امرأة ؟ قالت : بل امرأة ،
قال : لو كنت امرأة لغيرت أظفارك يعني بالحناء " رواه أبو داود (٣) .

(١) صحيح البخاري - كتاب المغازي - باب حديث الافك .

(٢) سنن أبي داود - كتاب الجهاد - باب فضل قتال الروم على فيرهم من
الأمم .

(٣) سنن أبي داود - كتاب الرجل - باب في الخضاب للنساء .

أما القستان اللتان حصلتا في الحج وذكرناهما آنفا فلا يصح الاستدلال بهما على عدم رواج الحجاب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، لأن تغطية الوجه في الاحرام منهي عنها (١) .

فترى هنا أن الأستان المودودي يفسر الآية الكريمة بالأحاد يثبت النبوية الشريفة وفي هذا الصدد يورد عدة من الأحاديث الصحيحة يتبين منها أن حكم غش البصر من مقتضياته أن يجتنب الإنسان من النظر إلى الأجنبية وإذا وقعت نظرتة على الأجنبية لا يتبع النظرة النظرة بل لا بد له أن يصرف النظرة عنها .

ثم يرى الأستان ضروريا أن يرد على من قال أن حكم غش البصر يتبين منه أن النساء في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان لهن أن يخرجن من البيت سافرات الوجوه ، وذلك لأنه لو كانت النساء متحجبات لم تكن هناك أية حاجة لحكم غش البصر فهذه الشبه يرد عليها الأستان بالبراهين العقلية القوية وبثبت أن حكم غش البصر لا يستلزم كون النساء سافرات الوجوه قط هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يورد الأستان المودودي عدة من الأحاديث يثبت منها أن النساء في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يخرجن من البيت وهن متحجبات يلبسن الجلابيب على وجوههن ، وهكذا يتمكن الأستان من الرد على هذا الإعتراض بالبراهين العقلية والأدلة من السنة النبوية معا .

ويقول في تفسير قوله تعالى : (قال الذين ظلموا على أمرهم لننخذن عليهم مسجدا) (٢) فهم بعض المسلمين من هذه الآية معنى مقلوبا عكس معناها الأصلي تماما ، إذ استدلو بها على جواز اتخاذه الأبنية والمساجد

(١) تفهيم القرآن ج ٣ ص ٣٨٠-٣٨٢ .

(٢) سورة الكهف الآية ٢١ .

على مقابر الصالحين والأولياء مع أن القرآن هنا يشير إلى ضلال أولئك القوم فيقول أن الآية التي أريناها هؤلاء الظالمين لتؤكد لهم إمكان الآخرة والبعث بعد الموت ، فهموا أنها فرصة مواتية لارتكاب الشرك وقالوا هيا نعبد الأولياء ونتخذ عليهم مسجدا ، فكيف يستدل بهذه الآية على بناء المساجد على قبور الصالحين والرسول صلى الله عليه وسلم ينهى فواحدا يشه عن ذلك ، فمثلا ما روى عن ابن عباس رضي الله عنه قال : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليهما المساجد والسرج ، رواه الإمام أحمد والترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه واللفظ لمسند الإمام أحمد (١) .

٢- وما روى عن جندب رضي الله عنه قال : " سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : الا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك (٢) .

٣- وما روى عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لعن الله تعالى اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد (٣) .

٤- ما روى عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم ذكرت بعض نساءه كنيسة رأيتها بأرض الحبشة يقال لها مارية ، وكانت أم سلمة رضي الله عنها وأم حبيبة رضي الله عنها أتتا أرض

(١) مسند الإمام أحمد - مرويات ابن عباس رضي الله عنه .

(٢) صحيح مسلم - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب النهي عن بناء المساجد على القبور .

(٣) مسند الإمام أحمد - مرويات ابن عباس رضي الله عنه .

الخبشة وذكرنا من حسناتها وصاوير فيها فرجع راسه فقال : " ان أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله " (١) .

فأى انسان يتقى الله ويخشاه ويستطيع أن يتجراً مع وجود هذه التصريحات النبوية ويتخذ من ذكر ضلالة من ضلالات أساقفة النصارى وحكام الرومان في القرآن الكريم على سبيل الحكاية ، حجة ودليلا على جواز ارتكاب هذه الضلالة بعينها (٢) .

فترى هنا أن الأستاذ المودودى خلال تفسيره للآية الكريمة يرى ضروريا أن يرد على من استدل منها جواز بناء المساجد على مقابر الأولياء مع أن السياق الذى وردت فيه الآية لا يسمح لهذا الاستدلال قط ، ويستشهد الأستاذ فى رده هذا من الأحاديث النبوية الواردة فى النهى عن بناء المساجد على المقابر وهكذا يثبت أن فضلا عن سياق الآية الأحاديث الواردة فى هذا الموضوع أيضا لا تسمح لهذا المفهوم قط .

وجد يربا لذكر أن الأستاذ المودودى لا يتفرد فى تفسيره هذا بل سبقه المفسرون الآخرون فى إيراد بعض من هذه الأحاديث لرد هذه الشبه (٣) إلا أن أسلوبه يتميز بالعناية الخاصة بهذا الموضوع . فتبين من هذه النماذج بأن الأستاذ المودودى كان أكثر اهتماما بتفسير القرآن بالأحاديث النبوية بعد اهتمامه بتفسير القرآن بالقرآن . وهذا ما يتبين من رده على التأويلات الباطلة لمنكرى السنة والشيعمة والقاد يانبيين ونحن فصلنا الكلام فيه فى هذه الرسالة .

(١) صحيح البخارى - كتاب الجنائز - باب بناء المسجد على القبر .

(٢) تفهيم القرآن ج ٢ ص ١٨ هامش رقم ٢١ .

(٣) انظر للمقارنة ابن كثير ج ٣ ص ٧٧-٧٨ . والألوسى ١٦ ص ٢٣٦-٢٣٧ .

إنَّ الفلن ليس يحوى نظريات مجرّدة وأفكار محضّة حتى تدرسه جالساً على الأريكة ثم تفهم جميع مطالبه، كما أنه ليس بكتاب يبحث فى اللاهوت فتحل جميع أسراره ومكّناته فى المعاهد والزوايا، إنّ هذا الكتاب كما قلنا فى مستهل المقدمة كتاب دعوة وحركة وبمجرد نزوله أخرج رجلاً وادعاً دمثاً، سليم الفطرة كريم الشيم ومحب السكوت، من زاوية الإنعزال وأوقفه فى مواجهة العالم الذى كان قد إنصرف عن الحق، وجعله يقارع الباطل ويحارب ائمة الكفر وقادة الفسق ورواد الضلال، إنّ هذا الكتاب إنترع كل روح سعيدة وكل نفس ذكية من كلّ بيت وجمعها تحت لواء صاحب الدعوة. إنّ هذا الكتاب أخرج غيظ كل فتان مفسد وجعله يقاتل أنصار الدعوة ليهلك من من هلك عن بينه ويحيى من حي عن بينه.

إنّ هذا الكتاب هو الذى قام بتوجيه الحركة الإسلامية الهائلة خلال مدة ثلاثة وعشرين سنة. والتي بدأت عملها من صرخة فرد واحد وانتهت فى نهاية المطاف إلى اقامة الخلافة الإلهية فى الأرض وهذا الكتاب هو الذى وضع مخططات الهدم — و مشاريع البناء فى كل مرحلة من المراحل وفى كل خطوة من الخطوات خلال المعركة المديدة الضارية بين الحق والباطل. **لَوْن** فكيف يتأتى لك اليوم أن يتجلى لك جميع ما يضمرا

هذا الكتاب من أسرار وحقائق بمجرد أن تمر على حروفه
تنطق بكلماته، وبدون أن تنزل إلى ميدان الصراع بين الدين والكفر
وتغبر قدميك في معركة الإسلام والجاهلية وبدون أن يصاد فك
المرور بمنزل من منزل هذا الكفاح.

للاستطيع أن تفهم مطالب القرآن ومعانيه البعيدة الأحيين
تحكم هذا الكتاب وتبدأ بالدعوة إلى الله وتخطو جميع
خطواتك كما يوجهك وكيفما يعلمك. ومن هنا لا بد أن يستقبلك
جميع ما استقبل حامله من التجارب والمحن؛ تشهد مشاهد مكن
والجبهة والطائف، وتواجه المراحل الممتدة من بدر إلى حنين وإلى
تبوك وتتشابك مع "أبي جهل" و"أبي لهب" وتلاقى المنافقين واليهود
وترى وتخبر كذلك كل النماذج الإنسانية ماراً بالسابقين الأولين
إلى الموفقة قلوبهم. فهذا سلوك فريد لا يماثله أي نوع من
السلوك، وأسميه "السلوك القرآني"، ومن شأنه أنه كلما مررت
بمنزل من منازلها تطالعك آيات وسور من القرآن تحيطك علماً
بأن هذا هو المهبط الذي نزلت فيه، وجاءت فيه، بكذا من التوجيهات
والنعاليم وفي ذلك الحين لا يستبعد أن يغيب عن نظر السالك
شئ من أسرار اللغة والبلاغة والمعاني والبيان إلا أنه يستحيل
أن يضمن القرآن بالكشف عن جوهره وروحه أمام ذلك "السالك".

للشيخ توفيق الرحمن المودودي

الاهتمام بالدعوة ومتطلباتها خلال التفسير

هناك ترابط واضح بين كون الأستاذ المودودي مفسرا وداعية ، والحقيقة أن كونه مفسرا كان لكونه داعية وكونه داعية كان لكونه مفسرا ، وذلك لأن دعوته كان منطلقها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والتماس الكتاب والسنة أن هو الهدف الذي يدعو إليه الأستاذ . ومن المعلوم أن القرآن الكريم بدأ نزوله مع بداية الدعوة الإسلامية وكل الآيات والسور الواردة في القرآن الكريم نزلت منجمة وفقا لمقتضيات تلك الدعوة ومتطلباتها في مراحلها المختلفة خلال ثلاث وعشرين سنة ، فلا يمكن التمكن من الفهم الصحيح لهذه المتطلبات والمقتضيات إلا بالخوض في مجال الدعوة .

وقد بذل الأستاذ حياته كلها في هذا المجال ومنهج في الدعوة كان نفس المنهج الذي قد هدى الله إليه في كتابه والذي قد اختاره النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته وكان من فضل جهاده الطويل في مجال الدعوة أنه تمكن من فهم ما تتضمنه الآيات المختلفة من متطلبات الدعوة ومقتضياتها . ولذا نراه يعنى ببيان هذه المتطلبات خلال تفسيره للآيات وهذا ما يجعل تفسيره مرجعا هاما للدعاة .

ومن المعلوم أن الهدف الأساسي للدعوة الإسلامية يخص الإنسان عبادته لله سبحانه وتعالى كما قال الله سبحانه في القرآن الكريم (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) (١) وهذه هي الرسالة التي بعث الله بها رسوله عليهم السلام كما يقول سبحانه (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (٢) . فهذا الهدف الأساسي للدعوة الإسلامية

(١) سورة الذاريات الآية ٥٦ .

(٢) سورة النحل الآية ٣٦ .

في كل زمان وفي كل مكان . فلذا أبرزه الاستاذ المودودي كـمـطـلـب
أول لدعوته فيقول : " دعوتنا للبشر كافة وللمسلمين خاصة ، أن يعبدوا
الله وحده ولا يشركوا به شيئا ولا يتخذوا ألها ولا ربا غيره " (١) .

والعبادة كما يثبت الاستاذ المودودي لا تقتصر دائرتها على
الطقوس فحسب بل تشمل عبادة الله وطاعته وعبوديته بكل انواعها في كل
دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية (٢) ، ففي تفسيره لقوله تعالى
(إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين) (٣) يبين
الاستاذ كون العبادة الهدف والأساسي للدعوة الإسلامية ويقول : " وهذه
الآية الكريمة مهمة جدا لان الله تعالى يبين فيها الهدف الأساسي
للدعوة ولا بد لنا ان نفهم جيدا المراد الصحيح من قوله تعالى هذا
وذلك بعد فهم امرين هما : اولا : ان الله قد أمرنا بالاهتمام
بعبادته ، وثانيا : ان هذه العبادة لا يمكن الاهتمام بها الا اذا خلص
الدين لله تعالى فحسب " . ثم للوصول الى المراد الصحيح لهذين امرين
الاساسيين يعتنى الاستاذ ببيان المراد منهما مستشهدا من كتب اللغة
فيقول : واما العبادة فمادتها (ع ، ب ، د) والعبد هو " المملوك "
خلاف " الحر " واما المراد من العبادة فهو أولا : التعبد والتسليم ،
ويقال عبد الله أي تأله له (٤) ، وثانيا : الطاعة والخضوع

(١) ابوالاعلى المودودي ، تذكرة دعوة الاسلام ص ٩ .

(٢) انظر للتفصيل ابا الاعلى المودودي : المصطلحات الاربعة في القرآن
ص ٩٥-١٠٥ ، تذكرة دعوة الاسلام ص ١٠-١٢ ، مفاهيم

الإسلامية حول الدين والدولة ص ٩ ، ٣٥ .

(٣) سورة الزمر - الآية ٢

(٤) انظر لسان العرب ج ٣ ص ٢٧٠ - ٢٧٩ .

أوالطاعة مع الخضوع ، وكل من دان لملك فهو عابده ،
 (وقومهما لنا عابدون) (١) ، والمابد الخاضع لربه المستسلم المنقاد
 لأمره ، عهد الطاغوت اطاعه يعنى الشيطان فيما سول له واغواه ، واياك
 نعبد اى نطيع الطاعة التى نخضع معها لله (٢) فيتبين من
 هذا أن العبادة لم تقتصر دائرتها على طقوس العبودية فقط بل تشملها
 طاعة الله سبحانه والخضوع له والعمل بأوامره والاتباع لشريعته (٣) ثم يمتس
 الاستاذ ببيان معنى كلمة " الدين " فيقول " واما كلمة الدين " فلها
 عدة من المفهومات ومنها السلطة والقهر ، والحكم والأمر ، والاكرام
 على الطاعة ، وفى لسان العرب دان الناس اى قهرهم على الطاعة دنتهم
 أى قهرتهم دنته ، سسته وملكته " (٤) . وفى الحديث الكيس من دان نفسه (٥) ،
 أى أذلها واستعبدها والديان ، القاضى ، الحكم ، القهار ، ولا أنت
 ديانى ، أى لست بقاهر لى فتسوس امرى ، " ما كان لياخذ أخاه فى دين
 الملك (٦) أى فى قضاء الملك (٧) ومنها الطاعة والعبودية والخدمة
 والخضوع ، وفى لسان العرب الدين ، الطاعة ، دنته ودنت له أى أطعته ،
 والدين لله ، انما هو طاعته والتعبد له ، وفى الحديث (أريد من قريش
 كلمة تدين لهم بها العرب " (٨) اى تطيعهم وتخضع لهم ، ثم دانت بمسند

(١) المؤمنون : ٤٧ .

(٢) لسان العرب ج ٣ ص : ٢٧٠ - ٢٧٩ .

(٣) تفهيم القرآن ج ٤ ص ٣٥٥ - ٣٥٦ .

(٤) لسان العرب ج ١٣ ص : ١٦٦ - ١٧١ .

(٥) مسند الامام احمد - مرويات شداد بن الوس ،

(٦) سورة يوسف الآية ٧٦ .

(٧) لسان العرب ج ١٣ ص : ١٦٦ - ١٧١ .

(٨) سنن الترمذى - كتاب التفسير - باب ومن سورة ص

الرباب أى ذلت له واطاعته ، يمرقون من الدين أى انهم يخرجون من طاعة الامام المفترض الطاعة ، المدين ، العيد " فلولا إن كنتم غير مدينين " (١) أى غير مطوكين (٢) ، ومنها العادة او الطريقة التى يتبناها الانسان . وفى لسان العرب ، الدين ، العادة والشأن يقال مازال ذلك دينى ودينى أى عادتى " (٣) .

ثم يستنتج الأستاذ من هذه الأدلة اللغوية أن المراد من الدين هو المنهج الذى يختاره الإنسان طاعة وخضوعاً لمن هو يذعن له فى سلطته العليا . والمراد من عبادة الله مخلصاً له الدين هو أنه يخص الإنسان هادته واطاعته وعبوديته لله تعالى ولا يشرك به أحداً فى حاكميته واتباع هديته والعمل بأوامره " (٤) .

ان الأستاذ المودودى يبين خلال تفسيره للآية الكريمة أن الهدف الأساسى للدعوة الإسلامية هو جعل العبادة والدين خالصاً لله تعالى ثم يستشهد من كتب اللغة الأساسية على أن العبادة والدين لا تقتصر دائرتهما على العقائد أو أراء الطقوس فحسب بل تشملها الحياة الفردية والاجتماعية بكاملها وهكذا يثبت أن الهدف الأساسى للدعوة الإسلامية هو إقامة النظام الإسلامى أو إقامة الدولة الإسلامية حيث لم تبق دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية خارجة من نفوذها (٥) .

.....

(١) سورة الواقعة - ٨٦

(٢) لسان العرب ج ١٣ ص ١٦٦ - ١٧١ .

(٣) المرجع السابق ج ٤

(٤) تفهيم القرآن ج ٤ ص ٣٥٦ .

(٥) انظر للمقارنة : الطبرى ج ٢٣ ص ١٢٢ ، الرازى ج ٢٦ ص ٢٣٩ - ٢٤٢

ابن كثير ج ٤ ص ٣٥ ، الألوسى : ج ٢٣ ص ٢٣٣ ، فى ظلال القرآن ،

ج ٥ ص ٣٠٣٦ .

وإذا تحقق أن المراد من جعل العبادة والدين خالصا لله هو إقامة الدولة الإسلامية فمن مقتضياته اللازمة ان هذا يكون الهدف الأساسي الذي بعث الله رسله لأجله ، وهذا ما تدل عليه كثير من الآيات القرآنية فالأستاذ المودودي لا يفوته أن يبين هذه الحقيقة خلال تفسيره لهذه الآيات الكريمة فمثلا يقول في تفسيره لقوله تعالى (ومصدق لما بين يدي من التوراة ولأهل لكم بمعنى الذي حرم عليكم وحثكم بأية من ربكم ، فاتقوا الله وأطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) (١) يظهر من هذا أن دعوة عيسى عليه السلام كانت تعتمد على ثلاثة أصول مثل دعوة الرسل كلهم ، وهي كالآتي :

الاول : التسليم بأن الله وحده هو السلطان الأعلى الذي يجب على الإنسان أن يخلص عبادته وعبوديته وطاعته له ويقوم على طاعته النظام الأخلاقي والاجتماعي للمجتمع .

الثاني : طاعة أحكام النبي بوصفه نائبا ومثلا عن هذا السلطان الأعلى .

الثالث : أن القانون الذي يضع حدود وقيود للتحريم والتحليل هو قانون الله فحسب واما القوانين الأخرى/فليس من فرق إنز ، ولو قيد شمرة بين مهمة ودعوة سيدنا عيسى عليه السلام وسيدنا موسى وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام . ويخطئ من يقر لكل واحد منهم مهمة ودعوة مختلفة باختلاف شخصه او يفرق بينهم في الهدف . والحقيقة ان من يأمره مالك الملك بالذهاب الى رعيته لدعوتهم لا يمكن

(١) سورة آل عمران الآية ٥٠-٥١ .

أن يكون الهدف من مجيئه الا ان يمتنعهم من العصيان والتحرروالاستقلال المطلق وان يكفهم عن الشرك وان يدعوهم الى الانعان التام والعبادة والعبودية الخالصة والطاعة الكاملة للمالك الحقيقي (١) .

فبين الاستاذ المودودى خلال تفسيره لقوله تعالى هذا ان الأنبياء عليهم السلام كلهم لم يكن هدف دعوتهم الا ان العبادة بكل انواعها تخص لله تعالى فحسب وان النظام الاجتماعى الانسانى يقوم على اساس عبوديته وطاعته . وهذا ما يتطلب اقامة دولة اسلامية وذلك لان النظام الاجتماعى لا يمكن اقامته على هذه الاسس القيمة الا اذا اقيمت الحكومة الاسلامية . ومن أجل هذا يعتبر الجهاد لاقامة الحكومة الاسلامية جهادا فى سبيل الله .

— القيام بالدعوة — مسئولية الامة الاسلامية الاساسية :

وبعد ما تحقق ان القيام بالدعوة الاسلامية هو الهدف الاساسى الذى بعث الله رسله لأجله يجدر بنا ان نشير الى ان هذا هو الهدف الذى بعثت الامة الاسلامية لأجله . فمن واجب هذه الامة فردا وجماعة ان تهتم باداء مسئوليتها بالقيام بالدعوة فالقرآن الكريم يعنى بمفصلة خاصة بذكر هذه المسئولية ومتطلباتها فى العديد من المواضع بالاساليب المختلفة . وهناك عدة من المصطلحات التى يستعملها القرآن الكريم لهذه المسئولية الكبرى ومنها " شهادة الحق " و " اقامة الدين " والاهتمام بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر " و " القيام بنصرة الله " وغيرها وكان

(١) تفهيم القرآن ج ١ ص ٢٥٤ .

من فضل جهاد الأستاذ المودودي الطويل في مجال الدعوة أنه تمكن من فهم المراد الصحيح لهذه المصطلحات فهما كاملا ثم اعتنى ببيانها في كتبه المختلفة وتفسيره للقرآن الكريم . ونحن هنا نأتى ببعض النماذج لتفسير الأستاذ المودودي للآيات الكريمة التي وردت فيها هذه المصطلحات.

— شهادة الحق — الهدف الأساسي الذي بعثت الأمة لإسلامية

من أجله :

كما ذكرنا آنفاً أن " شهادة الحق " هي من المصطلحات القرآنية الأساسية للقيام بعمل الدعوة بل نرى أن القرآن الكريم يجعلها الهدف الأساسي الذي بعثت به الأمة لإسلامية لأجله ، فكان من مقتضيات أهميتها البالغة أن يعتنى بها الأستاذ المودودي عناية خاصة ، فنرى أنه ألفت كتابا خاصا (شهادة الحق) في هذا الموضوع . وبين فيه بالتفصيل متطلبات هذه المسئولية ومقتضياتها ونتائج الإهمال عنها . وأيد ذلك بالبراهين والأدلة القوية ، ولو اتسع لنا المجال لنظنا هنا بعض ما قاله الأستاذ المودودي في كتابه هذا ولكننا نقتصر هنا على نقل ما قاله الأستاذ في تفسيره لقوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) (١) فيقول في شرحه : " هذا هو إعلان زعامة أمة محمد صلى الله عليه وسلم وتفسير القبلة من المسجد الأقصى إلى الكعبة المشرفة انتقلت القيادة من بني اسرائيل إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم كانوا القادة الجدد فتفسير القبلة إذن لم يكن مجرد تبديل مكان أو اتجاه كما فهمه السفهاء بل كان في الحقيقة الاعلان الرسمي لسحب القيادة من بني اسرائيل وتسليمها إلى أمة محمد صلى الله

عليه وسلم (١) .

ثم بعد هذا التقديم لتفسير هذه الآية يبين الأستاذ المراد من قوله (جعلناكم أمة وسطا) فيقول : " أمة وسطا " يعتبر واسع في معناه شامل في مداه . فالأمة الوسط هي تلك الأمة المستقيمة الشريفة التي لا تشذ عن الحدود اللائقة بل تتبع الطريق الوسط وتتعامل مع أمم العالم على أساس العدل والانصاف وتكون فيهم كالقاضي النزيه وتقيم علاقاتها مع غيرها من أمم العالم الأخرى على دعائم الحق والشريعة (٢) .

وسعد أن يبين الأستاذ المكانة العالقة التي تتمتع بها أمة محمد صلى الله عليه وسلم لكونها أمة وسطا يعنى ببيان متطلبات مكانتها السامية وذلك خلال تفسيره لقوله تعالى (لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) فيقول : " يقول سبحانه وتعالى أن الرسول صلى الله عليه وسلم بوصفه نائبنا المسئول سيشهد عليكم يوم القيامة بلغكم بشكل تام غير منقوص كل ما علمناه من فكر سليم وعمل صالح ونظام عادل وأنه طيبه أمام أعينكم ، ثم انكم ستشهدون على البشر اجمعين بوصفكم نوابين عن الرسول صلى الله عليه وسلم بانكم لم تقصروا أدنى تقصير في تبليغهم ما بلغكم الرسول صلى الله عليه وسلم إياه وتوضيحه وتفسيره لهم " (٣) ثم يبين الأستاذ مقتضيات هذه الشهادة فيقول : على الأمة الإسلامية ان تصبح شاهدا حيا أمام العالم الإنساني كله في التقوى والحق والعدل ، كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم شاهدا أمامها وان تكون أقوالها وأعمالها مظهرة للعالم مظهرة حق يقينية ، وهكذا تعنى هذه الآية أن على الأمة الإسلامية مسئولية كبرى وسوف تحاسب

(١) تفهيم القرآن ج ١ ص ١١٩ حاشية رقم ١٤٤ .

(٢) المرجع السابق حاشية ١٤٤ .

(٣) المرجع السابق .

عليها يوم القيامة ، فكما كان الرسول صلى الله عليه وسلم مسئولاً عن تبليغ الهدايا لآلهية فان المسلمين مسئولون عن تبليغها الى البشرية جميعا ، فان فشلوا في اتيان الشهادة العظيمة على انهم أذوا هذا الواجب ~~ووفسست~~ بمقتضيات هذه المسئولية بكل ما في وسعهم فسوف يعاقبهم الله مع شركائهم وقرنائهم على ما انتشر من الشرور والمآثم والفجور خلال فترة لتوليهم الزعامة وسيحشرون مع شياطين إبليس والجن حيث يسألهم ربهم أين كنتم غافلين عن شيوع المفاسد وماذا قدمتم لوقف سيل الرذيلة والخطيئة والفتن والطغيان والاستبداد والمقوق التي سيطرت على العالم الانساني (١) .

ان الاستاذ المودودي في تفسيره لهذه الآية يأتي بموجز لما ورد في التفسير بالمأثور للآية ثم يعتنى ببيان ماهو من متطلبات ~~الدستورية~~ ومقتضياتها في الآية فيبين أن جعل امة محمد صلى الله عليه وسلم أمة وسطا يتضمن فيه جعلها على قيادة الأمم الفكرية والعظيمة وهذا ما يدل عليه حكم تفسير القبله من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام . وهكذا يثبت أن كون امة محمد صلى الله عليه وسلم شاهدة على الناس يشمل الشهادة في الدنيا والآخرة معا . فاذا كان المراد من القيام بالشهادة في الآخرة هو أداء الشهادة أن الرسل عليهم السلام كلهم قد أبلغوا رسالتهم إلى الأمم التي قد بعثهم الله اليها ويكون المراد من أداء هذه الشهادة في الدنيا هو أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم من واجبها أن تكون شاهدا حيا أمام أمم العالم على كون الإسلام ديننا حقا وذلك بالقول والعمل معا كما قام النبي صلى الله عليه وسلم بأداء هذه الشهادة خلال حياته النبوية . . وأما الشهادة القولية فلا يمكن

(١) تفهيم القرآن ج١ ص ١١٩ حاشية رقم ١٤٤ .

أدائها إلا بالقيام بعمل الدعوة فردا وجماعة وأمة ، وذلك لكي يتمكن المسلمون من ابلاغ رسالة الإسلام إلى النوع الإنساني كله كما تمكن النبي صلى الله عليه وسلم من أداء رسالته إلى الأمة ، ويكون المراد من الشهادة العملية هو الاهتمام بإقامة الدولة الإسلامية وإقامة النظام الإسلامي فيها كما اهتم النبي صلى الله عليه وسلم بإقامة الدولة الإسلامية بالمدينة المنورة وذلك لكي يتمكن النوع الإنساني من مشاهدة البركات والفتوحات التي يأتي بها النظام الإسلامي فهذه هي الشهادة القولية والشهادة العملية التي يقتضيها قوله تعالى هذا . والحقيقة أن هذه الشهادة لا يمكن أدائها إلا بالطريق الذي أراه النبي صلى الله عليه وسلم وهذا ما يشمل الشهادة القولية والشهادة العملية معا ، ويرى أكثر المفسرين بأن أداء هذه الشهادة يقتصر على أداء الشهادة يوم القيامة ولا يشمل أداء الشهادة في الدنيا (١) ، والذين قالوا إن هذه الشهادة تشمل أداء الشهادة في الدنيا والآخرة ظنوا أن هذه الشهادة في الدنيا تشمل الأحكام الفقهية واستنبطوا من هذا أن اجماع الأمة هو حجة (٢) وأما أداء هذه الشهادة بالقيام بعمل الدعوة والجهاد لإقامة النظام الإسلامي كما قام بأداء هذه الشهادة النبي صلى الله عليه وسلم ، فالأستاذ المودودي يتميز بتركيزه فيها ، وذلك لكونه داعية مع كونه مفسرا ، وجدير بالذكر بان الأستاذ المودودي لا ينفرد في هذا التفسير ، بل نرى أن الشهيد سيد قطب رحمه الله أيضا يأتي بنفس التفسير للآية الكريمة (٣) .

(١) انظر للمقارنة ابن كثير ج١ ص ١٩٠ ، الألويسي ج٢ ص ٤٠٤ .

(٢) انظر الرازي ج٨ ص ١٩٣-١٩٨ .

(٣) في ظلال القرآن ج١ ص ١٣٠-١٣١ .

الاهتمام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ومن المصطلحات القرآنية للدعوة الإسلامية " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " ويهتم الأستاذ المودودي بصفة خاصة ببيان مقتضيات هذا المصطلح خلال تفسير الآيات التي ورد فيها ، وذلك بأسلوب يليق بالداعية مثل استعمال المودودي ، ومثلاً لذلك نذكر هنا ما قاله الأستاذ في الاهتمام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلال تفسيره لقوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) (١) فيقول :

" هذا هو نفس المعنى الذي سبق ذكره في سورة البقرة " (٢) فالله سبحانه يقول لا تبع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أن منصب قيادة العالم للإنسان الذي قد عزلوا عنه بنو إسرائيل لعدم كفايتهم له ، فأمرتم الآن مباشرة مسئولياتهم ، وذلك لأنكم أصبحتم أفضل أمم العالم خلقاً وعملاً وتربيت فيكم الصفات اللازمة للإمامة العادلة وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عاطفة وعملاً وإيمان بالله وحده لا شريك له عقيدة ومسلكاً ، ومن ثم يلزم عليكم أن تنهضوا بمسئوليات هذا المنصب ولا تقترفوا الأخطاء التي اقترفها أسلافكم " (٣) .

والحقيقة أن تفسير الأستاذ المودودي لهذه الآية الكريمة مع اختصاره يبين بكل صراحة الأهمية البالغة للاهتمام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للأمة الإسلامية وكيف ستتمكن هذه الأمة من تحقيق الهدف التي بعثها الله لأجله (٤) ، وهذا وقد تناول الأستاذ المودودي هذا الموضوع في كتابه

(١) سورة آل عمران الآية ١١٠ .

(٢) معنى الآية الكريمة (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون

(٣) تفهيم القرآن ج ١ ص ٢٧٩ . الرسول عليكم شهداء) .

(٤) انظر للمقارنة : طبري ج ٤ ص ٢٩-٣١ ، الرازي ج ٤ ص ١٩٣-١٩٧ ،

الالوسي ج ٤ ص ٢٧ ، ابن كثير ج ١ ص ٣٩١-٣٩٦ ، في ظلال

القرآن ج ١ ص ٤٤-٤٨ .

" الجهاد في الإسلام " وتكلم عنه بالتفصيل وبين أن الاهتمام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسئولية الأمة الإسلامية الأساسية فردا وجماعة ، وهذا هو الهدف الأساسي الذي بعثت هذه الأمة لأجله ، فلذا من واجبها الأساسي أن تبذل ما في وسعها لتحقيق هذا الهدف الجليل . فيقول " فيتبين من هذه الآية الكريمتان الأمة الإسلامية لم يبعثها الله لنفر خاص أو وطن خاص بل بعثها الله للبشر كافة ، والخدمة التي بعثها الله لأجلها هي الاهتمام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (١) .

ثم يعنى الأستاذ ببيان متطلبات كون الأمة الإسلامية " خير أمة " ويذكر بالتفصيل أهمية الاهتمام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونتائج هذا الاهتمام في حياة الأمة الاجتماعية ، كما يبين نتائج الإهمال عن الاهتمام بهذه الفريضة ، ويأتي بالأدلة من القرآن والسنة والبراهين العقلية القوية في تأييد ما يقول في هذا الصدد (٢) .

ويتناول الأستاذ المودودي هذا الموضوع في كتابه " مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة " ويتحدث بالتفصيل عن أهمية هذه الفريضة في حياة الأمة الإسلامية الاجتماعية ومتطلباتها ومقتضياتها بالأدلة من الكتاب والسنة والبراهين العقلية القوية (٣) ، ويقول : " وبما أن الله سبحانه وتعالى قد وضع للمسلمين هدفا ساميا وغاية قصوى في كل شأن من شئون حياتهم ولم يعلمهم العسب والوهن والاستكانة والتخاذل في أمر من أمورهم ، فقد بين لهم في الآيات المقبلة من سورة آل عمران (٤) بوضوح أنه ليست غاية

(١) انظر أبا الأعلى المودودي : الجهاد في الإسلام ص ٨٦ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٨٥-١٠٤ .

(٣) انظر أبا الأعلى المودودي : مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة ص ٨٣-٩٠ .

(٤) سورة آل عمران الآيات ٧٠ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٤ .

المسلم الفردية ولا الجماعية في حياته إلا أن يستفرغ جهده لجعل العالم من أقصاه إلى أقصاه منها للشريعة الإلهية الفراء . ففي ذلك ورد قوله سبحانه وتعالى : (كنتم خيراماً أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) (١) . فثبت من هنا أهمية الاهتمام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للأمة الإسلامية .

أهمية الاهتمام بالدعوة :

من المصطلحات القرآنية الأخرى للقيام بالدعوة هو القيام بنصرة الله ، والقرآن الكريم قد ورد فيه هذا الاصطلاح في المواضع المختلفة فمن نفس المعنى ، والأستاذ المودودي لا يفوته أن يعنى بتفسير الآيات الواردة في هذه المواضع بالأسلوب الذي يليق بالدعوة المفسر مثله ولو اتسع لنا المجال لنقلنا هنا عدد من النماذج لأسلوبه هذا . ولكننا نقتصر هنا بنقل ما قاله الأستاذ في تفسير قوله تعالى (فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون) (٣) .

* يعبر القرآن الكريم في أكثر مواضعه القيام بالدعوة الإسلامية بالاصطلاح القيام (بنصر الله) ويتطلب هذا المعنى أن نفضل الكلام فيه ، والحقيقة أن قطاع الحياة الذي منح الله الإنسان فيه حرية الإرادة لم يجبره فيه بقوة الإلهية على الاختيار بين الكفر والإيمان أو الطاعة والعصيان ، بل يفهمه بالدليل والحجة والنصيحة أن يعترف أن الطريق الوحيد لفلاحه ونجاته هو

(١) آل عمران ١١٠ .

(٢) انظر أبا الأعلى المودودي ، مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة ص ٨٥ .

(٣) سورة آل عمران الآية ٥٢ .

اختيار العبودية والطاعة لخالفه رغم أن تكون له الحرية أن ينكره ويخصيه ويحرد عليه ، فيتبين من هذا أن تدبير جذب العباد بالتفهيم والنصيحة إلى الصراط المستقيم إنما هو في الحقيقة من عمل الله سبحانه وتعالى ، والذين من عباده يهتمون بهذا العمل الجليل يسميهم الله سبحانه " أنصاره " و " رفاقه " والحقيقة أن هذا المقام السامي هو أقصى الحد الذي يمكن الوصول إليه للإنسان فالاهتمام بالصلاة والصيام وسائر العبادات الأخرى لا يجعل الإنسان إلا عبداً ، ولكنه إذا اهتم بعمل الدعوة نال بشرف رفعة سبحانه ونصره وهذا هو أسمى مراتب الرقي الروحي في هذه الدنيا (١) .

يرى الأستاذ المودودي خلال تفسيره للآية الكريمة أن المراد من كون (أنصار الله) هو الاهتمام بعمل الدعوة وهذا من المصطلحات القرآنية لعمل الدعوة فسيدنا عيسى عليه السلام إذا قال للحواريين (من أنصاري إلى الله) في الحقيقة دعاهم إلى القيام بعمل الدعوة وانهم أيضاً إذا قالوا (نحن أنصار الله) كان مرادهم بأنهم يقدمون أنفسهم لهذا العمل الجليل ومن هذا يستدل الأستاذ على الأهمية البالغة لهذا العمل الجليل لديه سبحانه ويؤيد رأيه بالبراهين والأدلة القوية . والحقيقة أننا إذا فكرنا في السياق الذي وردت فيه هذه الكلمة في هذه الآية أو في الآيات القرآنية الأخرى لوصلنا إلى أن هذه هي أنسب المعاني لهذه الكلمة ، فرأى الأستاذ المودودي أن القرآن قد جعلها من المصطلحات الخاصة للقيام بالدعوة ، والآيات الأخرى التي تؤيد هذا الإصطلاح منها قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله . . . الآية) (٢) . وقوله تعالى : (يا أيها

(١) تفهيم القرآن ج ١ ص ٢٥٦ .

(٢) سورة الصف الآية ١٤ .

الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم (١) ، وقوله تعالسى :
(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتب والميزان ليقوم الناس بالقسط ،
وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب
إن الله قوى عزيز) (٢) .

فيتين من هذه الآيات الكريمة أن هذا الاصطلاح لم يرد في القرآن
الكريم إلا للقيام بعمل الدعوة أو الجهاد في سبيل الله وان ورد الاعتراض
بأن الله لا يليق بشأنه أن يقوم أحد بنصرته فنقول بأن الله لم يستعمل هذا
الاصطلاح للقيام بعمل الدعوة لكونه سبحانه محتاجا لنصرة الإنسان في هذا
العمل بل استعمله تكريما للدعوة والداعية ولولا هذا لما اختاره سبحانه هذا
الأسلوب (٣) .

— منهج الدعوة الإسلامية :

واختار الأستاذ المودودي منهجه في الدعوة من القرآن الكريم
وسيرة الأنبياء عليهم السلام (٤) ، ويقوم منهج الأستاذ في الدعوة على الأسس
الآتية :

١ — القدوة قبل الكلمة : إن منهج الدعوة الإسلامية من متطلبات الأساسية
أن يكون الداعية مثلا حيا لدعوته وذلك حتى لا يصبح **مطدانا لحقوله عمالي** ؛
(لما تقولون ما لا تفعلون) ^(٥) والعقيدة أن الدعوة الإسلامية كما يتبين من

(١) سورة محمد الآية ٧ .

(٢) سورة الحديد الآية ٢٥ .

(٣) انظر للمقارنة الطبري ج ٣ ص ١٩٧-٢٠١ ، ابن كثير ج ١ ص ٣٦٥ ،
الرازي ج ٤ ص ٦٨-٧١ ، الألوسي ج ٣ ص ١٢٥-١٢٧ . في غلال
القرآن ج ١ ص ٤٠١-٤٠٢ .

(٤) انظر أبا الأعلى المودودي ، تذكرة دعاة الإسلام ص ٢٥ ، ٤ .

(٥) سورة الصف : الآية ٢ .

القرآن والسنة ، لا يمكن نجاحها إلا إذا كان عمل الداعية مطابقاً لها فكان من هذا أن الأستاذان المودودي جعل هذا المنهج مبدأً أساسياً لدعوته ، فيقول : " فالذين يقبلون دعوتنا ويظهرون استعدادهم لحمل أعبائها وتبليغ رسالتها معنا فإن أول مانع البهم به أن يدخلوا في دين الله كافة ويصطبغوا بصهفته بجملته شئون حياتهم من فكري وقوعطية " (١) وهناك كثير من الآيات القرآنية تدل على أهمية هذا المنهج والأستاذان المودودي يفسر هذه الآيات بالأسلوب الذي يليق بالمفسر الداعية مثله ، ويدل على ذلك ما نقلناه آنفاً من تفسيره لقوله سبحانه (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) (٢) فيتبين من تفسيره هذا أن المسئولية تجاه الدعوة الإسلامية أو شهادة بالقسط لا يمكن أداؤها إلا بالاهتمام بالعمل بمقتضيات الدين ومتطلباته والدعوة الإسلامية لا يمكن نجاحها إلا بأداء الشهادة القولية والشهادة العملية معاً ، والأستاذان المودودي يؤيد تفسيره هذا بالأدلة القوية ويثبت أن الدعوة من مقتضياتها اللازمة أن يكون عمل الداعية مطابقاً لها ، وقد أسلفنا بنقل هذا التفسير في هذه الرسالة . (٣)

— الاهتمام بمبدأ الأهم فالأهم :

وهكذا من مقتضيات الدعوة الأساسية أن يبدأ الداعية دعوته بالمبادئ الأساسية للدين ولا يهتم بالفروع والجزئيات في بداية أمره ويهتم بكل أمر نظراً لأهميته في الدين والحقيقة أن عدم اهتمام الداعية بهذا المبدأ قد يؤدي إلى فشل الدعوة بل يمكننا أن نقول أن استمرار الداعية في إهمال هذا

(١) الأستاذان المودودي ، تذكرة دعاة الإسلام ص ٢٥ .

(٢) البقرة الآية ١٤٣ .

(٣) انظر ص : ٣٨٩ .

المبدأ يفسد الدعوة والداعية معا ، ولذا لا بد للداعية ان يهتم بهذا المبدأ ،
 مهما تكن الظروف فيرى الأستاذ المودودي أنه ينبغي للدعاة : " ان يعرضوا
 على الناس قبل كل شئ " مبادئ الدين الأساسية ثم يدعوهم إلى مبادئه
 ومقتضياته ولوازمه شيئا فشيئا وأن لا يجرعوا أحدا منهم غداً يستمضى على
 قوة هضمه وأن لا يقدوا الفروع على الأصول والأحكام الجزئية على الكليات
 والقواعد الشاملة " (١) فكان لأهمية هذا المبدأ البالغة أن الأستاذ المودودي
 اهتم به اهتماما خاصا خلال تفسيره للآيات الواردة في هذا الموضوع ، فمثلا
 يقول خلال تفسيره لقوله تعالى (يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم
 الله الواحد القهار . ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم
 ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله ، أمر ألا تعبدوا إلاياه ، ذلك
 الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (٢) ، " يتبين من هذا ضرورة اهتمام
 الداعية بمبدأ الأهم فالأهم ، فنرى هنا أن سيدنا يوسف (عليه السلام)
 لا يبدأ الدعوة بالفروع والجزئيات بل يبدأ الدعوة بالمبادئ الأساسية التي
 تفرق بين الإسلام والكفر وبين الحق والباطل وأهمها الفرق بين التوحيد والشرك
 ثم هو يبين هذا الفرق بالأسلوب الذي لا يمكن للمعاقل أن ينكر عنه ولا سيما
 الشخصان اللذان جاءه ليساناً لأنه عن تعبير رؤيتهما وقد أثرهما هذا الأسلوب
 أثرا كبيرا وذلك لأن كلاهما كانا عديدين للملك وكانا يعرفان حق المعرفة أيأسن
 الأمرين كان خيرا كون الإنسان عبدا لله الواحد أو كونه عبدا للأرباب المتفرقين
 عبادة العباد أو عبادة رب العباد (٣) .

(١) الأستاذ المودودي ، تذكرة دعاة الإسلام ص ٣٢ .

(٢) سورة يوسف الآية ٣٩ - ٤٠ .

(٣) تفهيم القرآن ج ١ ص ٤٠ .

وهكذا يستدل الأستاذ المودودي من الأسلوب الذي اختار به سيدنا يوسف عليه السلام في الدعوة بأن الداعية لابد له أن يهتم بمبدأ الأهم فالأهم خلال عمله في مجال الدعوة ، ويبدأ دعوته بمبادئ الدين الأساسية ولا يمتنى بالفروع والجزئيات وذلك لأن عدم اهتمام الداعية بهذا الأسلوب الحكيم والخوش في الفروع والجزئيات يؤدي الدعوة إلى التهلكة فيجب على الداعية ان يجتنبها اجتنابا كاملا .

٣ - الاهتمام بخطاب الناس على قدر عقولهم :

ومن مقتضيات عمل الدعوة اللازمة أن يهتم الداعية بمخاطبة الناس على قدر عقولهم وأن يقدم دعوته بأسلوب يليق بخلفية الناس الذين يدعونهم فكان لأهميته هذا المبدأ البالغة أن نرى الأستاذ المودودي يهتم به بصفة خاصة خلال تفسيره للآيات الكريمة . ويقول في تفسيره لقوله سبحانه (أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) (١) بأن الأسلوب الذي اختاره يوسف عليه السلام في مخاطبته الغتيين بقوله (أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) كان لمعرفته بخلفيتهما فكان يعرف عليه السلام بأن الغتيين لكونهما عديدين للطائفة ، سيتمكنان من فهم الفرق بين كون الانفسان هداية الله الواحد القهار وكونه عبدا لعدة من الأرباب من دون الله فاختر هذا الأسلوب لدعوتها فيتين من هذا أن الداعية لابد له أن يخاطب الناس على عقولهم وإذا لم يهتم الداعية بهذا الأسلوب ، فلا يقبل أحد دعوته لعدم فهمها لها هو يدعو إليه (٢) .

ويتبين من هذا أن الأستاذ المودودي لكونه داعية كان يمتنى بصفة خاصة باستنباط المبادئ الأساسية لمنهج الدعوة خلال تفسيره للقرآن الكريم وهذا ما يمتاز به أسلوبه في التفسير (٣) .

(١) سورة يوسف الآية ٣٩ .

(٢) تفهيم القرآن ج٢ ص ٤٠٣ .

(٣) انظر للمقارنة الطبري ج٢ ص ١٢٨-١٣٠ ، الرازي ج٩ ص ١٣٨-١٤٢ ،

ابن كثير ج٢ ص ٤٧٨-٤٧٩ ، الألويسي ج١٢ ص ٢٣٠-٢٤٥ ، في

ظلال القرآن ج٤ ص ١٩٨٨-١٩٩٠ .

٤ - الاهتمام بالحكمة والموعظة :

ومن متطلبات عمل الدعوة الأساسية اهتمام الداعية بالحكمة والموعظة خلال عمله في مجال الدعوة ولا يمكن للداعية الوصول إلى هدفه إلا بالاهتمام بهاتين الصفتين لأهميتهما البالغة ، وقد أمر الله سبحانه بالاهتمام بهما خلال عمل الدعوة فقال : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) (١) .

والأستاذ المودودي ، من فضل عمله الطويل في مجال الدعوة كان يعرف أهميتهما في عمل الدعوة وكان يعنى بهما اهتماماً خاصة خلال عمل الدعوة كما يقول نفسه : " قد بذلنا أقصى ما كنا نملك من الجهد في التفكير لأن نرشد أعضائنا والعاملين معنا إلى الطريق الذي قد دعا إليه الله سبحانه وتعالى في كتابه المجيد حيث يقول : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) (٢) ، (٣) ، فيتبين من هذا أهمية هاتين الأمرين البالغة لدى الأستاذ المودودي ، وهذا ما يتضح من تفسيره للآية الكريمة حيث يقول : "ومن هنا لابد للداعية أن يعنى بالأمرين الهامين خلال عمله في الدعوة هما : أولاً : الحكمة . وثانياً : الموعظة . واما الحكمة فالمراد منها أن الداعية لا يقدم دعوته كالحق بدون أن يعنى بالرعاية بالوضع التي يحمل فيها أو بعقول الناس الذين يخاطبهم بل لابد له أن يقدم الدعوة بالرعاية الخاصة لهذين الأمرين ولا يجدر به أن يعمل نفس المحاطة بكل واحد من المخاطبين بل عليه أن يختار أسلوب الطبيب فيصف المرض ويهتم بعلاج المريض حسب المرض الذي قد أصابه وذلك بالطريق الذي يمكن به تخلصه من هذا المرض ، واما الموعظة الحسنة فالمراد منه أولاً أن الداعية لا يجدر به

(١) سورة النحل الآية ١٢٥ .

(٢) انظر ابا الاعلى المودودي ، تذكرة دعاة الاسلام ص ٣١ .

(٣) تفهيم القرآن ج ٢ ص ٥٨٢ .

أن يكتفى باقتناع المخاطب بالأدلة بل لا بد أن يوجه نداءه إلى عواطفه أيضا ، ولا يناسبه أن يقتصر على اتساع المراهين العقلية على كون الضلالات والسيئات باطلة ، بل لا بد أن يعنى باثارة العقارة التي جعلها الله فس فطرة الإنسان للسيئات والضلالات كما يخوفه بالنتائج السيئة التي تأتي بها السيئات والضلالات وهكذا لا يكتفى بالداعية أن يبين أهمية الهداية والعمل الصالح فحسب ، بل لا بد له أن يحض عليها أيضا ، وهكذا المراد من الموعظة الحسنة بأن الداعية يقدم دعوته بالأسلوب الذي يدل على إخلاصه وعطفه للمخاطب وذلك لكي لا يظن المخاطب أن الداعية يتعامل معه بالاهانة بل يثق في كونه محسنا له ومخلصا * (١) .

فترى ههنا أن الأستاذ المودودي خلال تفسيره للآية الكريمة يبين المراد الصحيح للحكمة والموعظة الحسنة مع بيان أهمية هاتين الصفتين في عمل الدعوة كما يبين مقتضياتهما ومتطلباتهما مع الإشارة إلى النتائج السيئة التي يأتي بها عدم الاهتمام بهما ، ويؤيد بيانه بالأدلة القوية وهذا ما يتميز به تفسيره * (٢) .

والأستاذ المودودي لا يفوته أن يهتم ببيان الأمانة للاهتمام بالحكمة والموعظة الحسنة خلال تفسيره للآيات التي وردت فيها التوجيهات الربانية للمعناية بهما ونذكر هنا من متطلبات الحكمة والموعظة الحسنة التي استنبطها الأستاذ المودودي خلال تفسيره لقوله تعالى (قال لا يأتكما طعام تزرعنه إلا أنبأكما بتأويله قبل أن يأتكما ، ذلكما ما علمني ربى ، إنى تركت طمة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون . واتبعتم طمة أبائى إبراهيم وإسحق ويعقوب ، ما كان

(١) انظر للمقارنة الطبرى ج ١ ص ١٣١ ، الرازى ج ١ ص ١٣٩-١٤٠ ، ابن كثير ج ٢ ص ٤٧٨ ، الألوسى ج ١ ص ٢٥٤ ، في ظلال القرآن

ج ٤ ص ٢٢٠-٢٢٠٢ .

(٢) سورة يوسف الآية ٣٧-٤٠ .

لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون . يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتوها أنتم وآباءكم ما أنزل الله بها من سلطان . إن الحكم إلا لله ، أمر ألا تعبدوا إلا إياه ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون (١) . هذه أول مرة أن سيدنا يوسف عليه السلام عرف نفسه أمام الناس فكان يتحمل الشدائد والمصائب ، ولكن مع ذلك لم يذكر شيئاً عن آباءه للتخلص من الظروف القاسية التي هو كان فيه خلال هذه المدة . . . ولكن نرى الآن بأنه يتكلم عن علاقته مع سيدنا إبراهيم واسحق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام وذلك لكي يبين أن الدين الذي هو يدعو إليه هو نفس الدين الذي جاء به هؤلاء الرسل عليهم السلام ، فيتبين من ذلك أن الداعية لا يليق به أن يقوم بالدعوى بأنه جاء بدين جديد ، بل يجب عليه أن يبين في بداية أمره أن الدين الذي هو يدعو إليه هو نفس الدين الذي جاء به أهل الحق في كل زمان وفي كل مكان (٢) . والأصول التي يستنبطها الأستاذان المودودي خلال تفسيره هذا هو أن الداعية من لابد له أن يقدم دعوته مع بيان الحقيقة أن الدعوة التي هو يقدمها ليست بجديدة ، بل هي نفس الدعوة التي قدمها الرسل عليهم السلام جميعاً ، وهذا ما يساعد في إزالة الشبهات ورفع الشكوك التي يأتي بها الشيطان وزملائه (٣) .

(١) سورة يوسف الآية ٣٧-٤٠ .

(٢) تفهيم القرآن ج ٢ ص ٤٠٣ .

(٣) انظر للمقارنة الطبري ج ١٢ ص ١٢٨-١٣٠ ، الرازي ج ١٨ ص ١٢٨-١٤٤

ابن كثير ج ٢ ص ٤٧٨-٤٧٩ ، الألويسي ج ١٢ ص ٢٤٠-٢٤٥ ، في ظلال

القرآن ج ٤ ص ١٩٨٨ .

٥ - اختيار الفرصة المناسبة لتقديم الدعوة :

ومن متطلبات العمل في مجال الدعوة مراعاة الداعية للفرصة المناسبة لتقديم الدعوة ، وإذا حصل الموقع المناسب فلا بد أن يهتم باستغلاله بأسلوب حكيم وذلك لأن تقديم الدعوة بدون رعاية الموقع المناسب

أو عدم استغلال الموقع المناسب بأسلوب حكيم يؤدي إلى فشل الدعوة وهذا مايقوله الأستاذ المودودي مستنبطاً من هذه الآيات الكريمة لسورة يوسف .

والأسلوب الذي اختاره سيدنا يوسف عليه السلام لتقديم دعوته يتضمن فيه حكمة بالغة لعمل الدعوة فنرى هنا أن يأتيه شخصان ويسألان عن تعبيرا رؤيتهما ، فهو قبل أن يعبير لورؤياهما يستغل هذه الفرصة لتقديم دعوته إليهما ، ويخبرهما عن المصدر الذي جاء هذا العلم من عنده وهكذا يتمكن من تقديم دعوته خلال حديثه معهما فالدرس الذي يمكننا أن نتعلمه من اهتمام سيدنا يوسف عليه السلام باستغلال الفرصة المناسبة لتقديم الدعوة هو أن الداعية إذا كان مخلصاً وحكيماً يمكن له أن يقدم دعوته خلال حديثه مع الناس مهما تكن الأوضاع ولكنه إذا لم يكن مخلصاً وحكيماً فلا يمكن له ان يهتم بالدعوة مهما تليق بها؛ الأوضاع ، ولكن هناك فرق كبير بين أسلوب الداعية الحكيم وبين أسلوب الداعية الذي ليست لديه الحكمة لأن الأول يقدم دعوته رعاية للموقع المناسب وبالطريقة المناسبة ولكن الثاني يقدم دعوته بدون رعاية الموقع المناسب ثم يبعد الناس عن الدعوة بمجادلته ومناظرته بدون الحكمة (١) .

(١) تفهيم القرآن ج ٢ ص ٤٠٣ .

فترى هنا ان الاستاذ المودودي خلال تفسيره للايات الكريمة يأتي بعبداً هام للعمل في مجال الدعوة وهو الاهتمام برعاية الفرصة المناسبة لتقديم الدعوة وذلك مستنبطاً من أسلوب سيدنا يوسف عليه السلام في تقديم دعوته في السجن . والحقيقة أن الاهتمام بهذا المبدأ له أهمية بالغة للعمل في مجال الدعوة ، والداعية الذي لا يهتم بهذا المبدأ خلال عمله في الدعوة لا يمكن له أن يتمكن من النجاح في هذا المجال (١) .

— الصفات اللازمة للداعية x

وبعد أن ذكرنا ما قاله الأستاذ المودودي في تفسيره عن المنهج الصحيح للدعوة ومطلباته تأتي هنا بما قاله الأستاذ في تفسيره عن الصفات اللازمة التي من اللازم أن تتوفر في الماطين في مجال الدعوة ليتمكنوا من النجاح في عمل الدعوة ، وإذا لم يهتم الماطون في مجال الدعوة بهذه الصفات اللازمة لا يمكن لهم أن يحدوا بالنجاح مهما يبذلون من جهد للوصول إلى الهدف وكان لأهمية هذه الصفات البالغة أن يذكرها القرآن بالتفصيل والأستاذ المودودي لكونه الداعية الحكيم يراه يعنى : فحاشا ببابراز هذه الصفات اللازمة للدعاة خلال تفسيره للقرآن الكريم ، ولو اتسع لنا المجال لنقلنا هنا بالتفصيل ما قاله الأستاذ في تفسيره في هذا الصدد ، ولكننا نقتصر هنا على ذكر صفات الدعاة اللازمة التي استنبطها الأستاذ خلال تفسيره لقوله تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين . وإما ينزغنيك من الشيطان نزع فاستمذ بالله إنه سميع عليم . إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من

(١) انظر للمقارنة الطبري ج ٢ ص ١٢٨-١٣٠ ، الرازي ج ١٨ ص ١٣٨-١٤٤

ابن كثير ج ٢ ص ٤٧٨ ، ٤٧٩ والأوسى ج ١٢ ص ٢٤٠-٢٤٥ ، في

ظلال القرآن ج ٤ ص ١٩٨٨ .

(١) الشيطان تذكروا فإنهم مبصرون . وأخوانهم يمدونهم في الفنى ثم لا يقصرون .

والصفات اللازمة للمعاطين في مجال الدعوة في ضوء هذه الآيات هي

كالاتسى ء

١- كون الداعية لينا وصابرا : وأول الصفات اللازمة للدعاة وأهمها كما يرى الأستاذان المودودي خلال تفسيره لهذه الآيات الكريمة هو أن الداعية لا بد له ان يكون شفيقا . رحيميا في معاملته مع الناس كما يكون لينا وصابرا أثناء عمله في الدعوة ، فلا يمكن للداعية أن يستمر في عمله في مجال الدعوة إلا إذا كانت فيه هذه الصفات ، فيقول الأستاذ : " فأول من هذه الصفات وأهمها ان يكون الداعية لينا وصابرا في معاملته مع الناس شفيقا مع زملائه رحيميا لعامة الناس وحليما لمن خالفه وطيح ان يصرف النظر عما يرى في زملائه من الزلات ويتحمل ما يأتيه من الشدائد من المخالفين ، كما عليه أن لا يأخذ الغضب مهابا تكن الاوضاع كما لا بد له أن يهتم بالمعفو في معاملته مع المخالفين مهابا تكن معاملتهم معه سيئة ، والحقيقة أن الغضب والشدّة والانتقام لا تليق بهذا العمل قط ، بل كثيرا ما تؤد به الى الفشل ، فلذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (أمرنى ربي بتسع ، خشية الله في السر والعلانية وكلمة العدل في الغضب والرضى والقصد في الفقر والغنى ، وأن أصل من قطعنى وأعطى من حرمنى ، وأعفو عن ظلمنى ، وأن يكون صمتى فكرا ونطقى ذكرا ونظرى عبرة ، وأمر بالمعروف وقيل بالمعروف " (٢) رواه أبوهريرة رضى الله عنه .

وكان لهذا يوصى النبي صلى الله عليه وسلم كل من يبعثه لعمل الدعوة فيقول : (بشروا ولا تنفروا ، يسروا ولا تمسروا) (٣) . وهذا ما يذكره الله سبحانه

(١) سورة الاعراف الآية ١٩٩-٢٠٢ .

(٢) جامع الأصول ج ١١ ص ٦٨٢ .

(٣) صحيح مسلم - كتاب الجهاد - باب تأمير الإمام الأمراء على البعث .

فالصفة الثانية للداعية التي استنبطها الأستاذ المودودي خلال تفسيره لهذه الآيات الكريمة هي ان الداعية لا بد له من ان يقدم دعوته بالأسلوب السهل الذي يفهمه المخاطبون ، وانما لم يهتم الداعية بهذا الأسلوب وقدم دعوته بالأسلوب المنطقي او بالأسلوب الفلسفي لم يفهمها ولا يقبلها الا القليل كان من هذا المنطلق أن الأستاذ المودودي كان يهتم بالأسلوب السهل في كتبه ومحاضراته وكان هذا هو سبب انتشار دعوته .

— اجتناب الجدل والمناظرة :

ومن الصفات اللازمة للداعية بانه يجنب نفسه الخوض في الجدل والمناظرة مع المخاطب خلال تقديم دعوته ، وذلك لأن الداعية اذا بدأ دعوته بالمجادلة والمناظرة الجاهلية بالمخاطب لن يقبلها المخاطب قط ، بل سيقوم بمقاومتها بكل ما يملكه وهذا يؤدي الى فشل الدعوة ، فاجتناب الجدل والمناظرة إذن من الصفات الأساسية للداعية وهذا ما استنبطه الأستاذ المودودي خلال تفسيره لهذه الآيات الكريمة فيقول :

" ومن الصفات اللازمة للداعية بأنه يعنى عناية خاصة بكل من يعنى بدعوته ولا بد له أن يجتنب الجدل والمناظرة مع الجاهلين وانما رأى أحدا يجادله أو يطمئن فيه أو يرميه بالأكاذيب فعليه أن يبرز عن أعراضه كاملا ، لان هذا لا ينفع الداعية قط ، بل في الحقيقة هذا ما يضره كثيرا ، وذلك لأن الوقت الذي يأخذه في الجدل والمناظرة مع الجاهلين لو يهتم به الداعية بمعمل الدعوة لكان خيرا له ولدعوته " (١) .

— اجتناب الغضب :

ومن الصفات اللازمة للداعية أن لا يأخذه الغضب والاشتغال

ولاسيما اذا هجمه المخالفون بالأكاذيب والاتهامات والشتم الرذيلة ، وينزفه
الشیطان ان يرد عليهم بنفس الاسلوب وهذا ما يضطر الداعية بالوقوع في المشكلة
التي اذا وقع الانسان فيها لا يمكن انقاذه منها ولا تكون نتيجتها إلا فشل
الدعوة والداعية ، فلا بد للداعية أن يجنب نفسه الوقوع في الغضب والاشتعال
مهما تكن الاوضاع وهذا ما يقوله الأستاذان المودودي مستنبطا من هذه الآيات
الكريمة فيقول : " ان الداعية إذا أخذ الغضب والاشتعال بسبب ما قيمه
عن الجدال الجاهلي والمناظرة والأكاذيب والشتم والاتهامات من قبل
المخالفين للدعوة ، لا بد له من أن يعرف أن هذا الغضب والاشتعال جاء
من النزغ الشيطاني فيستمد بالله ويدعوه أن يحفظه وبأمنه من هذا النزغ
والاشتعال لكن لا يصد منه قول او عمل يضر عمل الدعوة فمن متطلبات
عمل الدعوة ومقتضياتها ان الداعية لا يأخذ الغضب والاشتعال مها تكن
الأوضاع فيجب عليه ألا يعمل شيئا إلا وهو يعرف العواقب والنتائج
لهذا العمل ، ولكن الشيطان الذي لا يعجبه ان يرى انتشار الدعوة الاسلامية
ونجاحها يحاول دائما ان يحرض اخوته على الهجوم على الداعية ثم ينزغ
الداعية أن يقوم بمقاومة هذا الهجوم . وجدير بالذكر بأنه يأتي لهذا النزغ
بالتأويلات الدينية المجيبة ولكن الحقيقة ان هذا يكون نتيجة للنزغ الشيطاني
فبين الله في الآيتين الآخرتين أن الشيطان لا يمكن له أن يحرض المتقين على
مقاومة ما يأتونهم من المخالفين للدعوة ، وذلك لانهم اذا رأوا شيئا في أنفسهم
لذكروا ان هذا من النزغ الشيطاني واجتنبوه اجتنابا كاملا وذلك لانهم يعرفون
ما هو الطريق الصحيح الذي لا بد للداعية ان يختاره للنجاح في عمل الدعوة ،
ولكن الذين يعملون في هذا المجال لاغراضهم الشخصية لا يمكن لهم ان يتقنوا
هذا النزغ الشيطاني بل يمد بهم الشيطان إلى أين يشاء فهم يقومون بمقاومة

اكان ييهم بالاكان ييب ومكرهم بالدبكر. (١)

نرى هنا بان الأستاذ المودودي خلال تفسيره للآيات الكريمة يهتم باستنباط الصفات الأساسية التي لا بد للداعية من أن يقف بها أثناء عطسه في مجال الدعوة كما يعنى بذكر الأمور التي لا بد له أن يجتنبها اجتنابا كاملا وهكذا نراه يبين ماهو النزغ الشيطاني وماهى الطريقة الصحيحة التي يمكن بهما القضاء على هذا النزغ كما نراه يفصل الكلام فيما يأتي بها الشيطان وتلاميذه لمقاومة عمل الدعوة ويبين الأسلوب الذي يمكن به مواجهة هذا التحدى . ويؤيد هذا اما بالأدلة من الكتاب والسنة او بالبراهين العقلية القوية وذلك بالأسلوب الحكيم الذي لا يمكن اختياره إلا بعد العمل الطويل في مجال الدعوة . ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أن الأستاذ المودودي لم يقتصر على بيان هذه الصفات بل قد اهتم بالتمسك بهيها خلال جهاده الطويل في مجال الدعوة ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى اهتم الأستاذ المودودي بتربية أعضاء الجماعة الإسلامية بالاسلوب الحكيم الذي تنمو به هذه الصفات الحميدة فيهم ، وهذا ما تمكن به الأستاذ من استنباط هذه الصفات اللازمة للدعاة من هذه الآيات الكريمة .

يتبين من هذه النماذج أن الأستاذ المودودي كان يهتم بمقتضيات

الدعوة ومطالباتها خلال تفسيره للآيات الكريمة وهذا تمكن من استنباط مطالب الدعوة

ومقتضياتها التي لم يتمكن المفسرون الآخرون من استنباطها وذلك لكونه داعيا مع كونه مفسرا .

ولكن الأستاذ المودودي لا يتفرد في أسلوبه هذا بل يليه في هذا الشهيد

سيد قطب الذي كان أيضا مفسرا وداعيا كالأستاذ المودودي . والحقيقة

أن هذا ما يميزه أسلوبهما في التفسير كما أن هذا هو السبب الذي تمكن به هذان المفسران الكبيران من استنباط مبادئ الدينونة من القرآن الكريم . وهذه هي الحقيقة التي يشير إليها الأستاذ المودودي في مقدمته لتفسير القرآن " ومهما توفّر من وسائل لدراسة القرآن فالمرء لا يستطيع ان يصل الى لب روحه مالم يبسبداً في تطبيق رسالته تطبيقاً عالياً لأن القرآن ليس كتاباً يضم افكاراً ونظريات مجردة يستطيع المرء أن يقرأه مستريحاً في سريره أو جالساً على أريكته ولا هو بكتاب يحوى المسائل اللاهوتية التي يمكن حلها في الأديرة أو معاهد العلم وإنما هو كتاب يدعو لدعوة الناس لان يبدأ حركة ايمانية ثورية وليقوم اتباعه ويوجه نشاطهم الى انجاز رسالته . ومن ثم فعلى الإنسان ان أراد أن يفهم معناه الحقيقي ان ينزل الى ميدان معركة الحياة وهذا هو الكتاب الذي حتم على شخص هادي مثل محمد صلى الله عليه وسلم أن يخرج من زاوية عزلة ويشغل الحركة الاسلامية ويحارب ضد العالم الذي قد انصرف عن الحق كما هذا هو الكتاب الذي حثه على اعلان الحرب ضد كل انواع الزيف والبطلان والكفر بدون الاعتناء بالنتائج " (١) ، فيمكننا من هذا أن نتكمن من فهم الفرق الذي نراه في أسلوب هذين المفسرين وفي أسلوب المفسرين الآخرين .

...

(١) مقدمة تفهيم القرآن ص ٣٣ .

إن الاحتكام إلى منبر الله في كتابه ليس نافذة ولا تطوعاً ولا موضع اختيار

إنما هو الإيمان أو فلا إيمان

الرجوع إلى الله ، كما يتجلى في ظلال القرآن ، له صورة واحدة وطوبى واحدة ، وأمر لا سواه ، إنه العودة بالحياة كلها إلى منبر الله الذي سمي للبشرية في كتابه الكريم ، إنه تحكيم هذا الكتاب وحده في حياتها ، والتعالم إليه وحده في مشورتها ، وإلا فهو الفساد في الأرض ، والشقارة للناس ، والارتكاس في الحياة والجاهلية التي تعبد الهوى من دون الله . " فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ، ومن أضل ممن أتبع هواه بغير هدى من الله ؟ إن الله لا يهدي القوم الظالمين " (١)

وإن الاحتكام إلى منبر الله في كتابه ليس نافذة ولا تطوعاً ولا موضع اختيار ، إنما هو الإيمان أو فلا إيمان . " وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم آخيرة من أمرهم " (٢) " ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ، إنهم من يغفوا عنك من الأشياء وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض ، والله وحى المتقين " . (٣)

سيد قطب الشهيد - مقدمة " في ظلال القرآن " ص ١٧ - (١٧)

(١) لقصص - ٥٠

(٢) الأحزاب - ٣٦

(٣) الباقية - ١٨

بيان الاهتمام بإقامة الحكومة الإسلامية والعناية
بابراز النواحي المختلفة للنظام الإسلامى

ومن مزايا تفسير الأستاذ المودودى للقرآن الكريم هو اهتمامه ببيان أهمية إقامة الحكومة الإسلامية وعنايته بابراز النواحي المختلفة للنظام الإسلامى وفى ذلك نراه يعتنى بالنواحي الآتية :

أولا : يثبت الأستاذ المودودى بان الإسلام هو الدين الوحيد الذى يناسب النوع الإنسانى وذلك لكونه دينا بعث الله به رسله بوصفه خالقا للنوع الإنسانى . واما الأديان والنظم الاجتماعية الأخرى القديمة منها والحديثة فانها لا تناسب فطرة الناس ابدا .

ثانيا : يحقق الأستاذ المودودى بالأدلة القوية بأن الإسلام هو الدين الكامل الوحيد الذى يشمل جميع نواحي الحياة الفردية والاجتماعية واما غير الإسلام من الأديان والنظم القديمة والحديثة فكلها ناقصة وغير وافية لما يحتاج اليه النوع البشرى البتة .

ثالثا : يثبت الأستاذ المودودى بالبراهين القاطعة بان الإسلام دين كامل يعتمد على التطبيق ولا يمكن اتباعه الا بتطبيقه فى كل ناحية من نواحي الحياة الفردية والجماعية وذلك لا يمكن إلا بإقامة الحكومة الإسلامية .

رابعا : وهو يؤكد بالأدلة الظاهرة من الكتاب والسنة أن القرآن الكريم والسنة النبوية هما المصدران الأساسيان لأصليان للقانون الإسلامى وليهما الإجماع ثم القياس والاجتهاد المعتمد عليهما .

خامسا : يبين خلال تفسيره للآيات القرآنية النواحي المختلفة للنظام الاجتماعى فى الإسلام ويؤكد أن المبادئ الأساسية التى ينبغى عليها هذا النظام موجودة فى القرآن الكريم .

ويجد ربنا الآن أن نذكر بعض النماذج لكل من هذه الجزايا :

١- الاسلام دين وحيد يناسب النوع الانساني :

وهناك كثير من الأدلة تدل على كون الإسلام دين وحيد يناسب النوع

الانساني نذكر بعضها كالآتي :

أ- الاسلام دين الفطرة لانه دين بعث الله به رسله بوصفه خالقا للانسان :

يقول الأستاذ المودودي في تفسير قوله تعالى (قل هلمن شركائكم من يهدى الى الحق - قل الله يهدى للحق - أفمن يهدى الى الحق أحق أن يتبع أم لا يهدى الا ان يهدى - فما لكم كيف تحكمون) (١) .

السؤال الذي يطرحه القرآن الكريم هنا سؤال هام جدا، فعلينا

أن نفهم جيدا :

فمن المعلوم أن متطلبات الحياة الإنسانية ومقتضياتها ليست مقصورة على ما يحتاجه الانسان من الاكل والشرب واللبس والسكن في حياة الانسان اليومية بل - في الحقيقة - اهم من ذلك كله وأكبر هو ان يعرف الإنسان المقصود الحقيقي الذي خلق لأجله والمنهج الصحيح الذي ينهجه في حياته وما هي الاهداف الأصلية التي يبذل لاجلها كل ما اعطاه الله من القوى الذهنية ، والبدنية أو من متاع الدنيا ؟

وهكذا ما هي المماطلات الصحيحة التي يتعاطها الإنسان في دوائر الحياة

المختلفة بمن حوله من ابنا* نوعه بل وبما في الكون كله ؟

وفي الجبلة ما هي الطريقة الصحيحة التي يختارها الإنسان في الحياة

لكي يتمكن من النجاح والسعادة في الدارين ؟

وهذا المنهج الصحيح للحياة الإنسانية هو الذي يسميه الخالق سبحانه

وتعالى " الحق " في هذه الآية وما تهدي إلى هذا المنهج الصحيح هي التي
تعتبر " هداية الحق " .

فالقُرآن الكريم يسأل من كل من يشرك بالله أو يكفر بما جاء به النبي
صلى الله عليه وسلم من ربه يسألهم هل يقدر احد من آلهتهم من دون الله
ان يهديهم الى هذا الحق ؟

والرد على هذا السؤال هو " لا " . وذلك لان كل ما يعبده الإنسان
من دون الله يمكن ان نقسه الى قسمين :

— القسم الأول : الآلهة التي جعلها الإنسان من الإنس أو الجنس
او الملائكة او غير ذلك ويعبدها لكي تقضى حاجاته او تحفظه من الآفات .
اما الهدايات الحق فلا يطلبها المشركون من آلهتهم . ولا يعتقدون بأنهم
يعبدونها لكي تهديهم إلى المنهج الصحيح في معاملاتهم المدنية
والسياسية والاقتصادية والاجتماعية .

— القسم الثاني : القادة الذين يتبعهم الانسان في حياته ويتلقى
منهم النظام والمنهج لحياته ، ولا شك بانهم يهدونه الى منهجهم الخاص
ولكن هل يكون منهجهم هذا هو المنهج الصحيح ؟ بل هل يمكن لهم أن
يجعلوا منهجا صحيحا للحياة الانسانية ؟ وهل عندهم العلم الضروري لايجاد
مثل هذا المنهج ؟ العلم بكل ما يحتاجه الانسان في حياته الفردية
والاجتماعية والمادية والروحية العلم بالقوى الانسانية كلها وبالاهداف التي
أعطاه الله هذه القوى لأجلها والعلم الذي يشمل مشاكل حياته الاجتماعية
وغيرها . وهكذا هل يمكن ان يكون كل من هؤلاء القادة ارفع من هوى النفس
والشهوات النفسانية أو من التعمصبات القومية والمذهبية ودواعي اخرى
التي تمنع الإنسان ان يجعل منهاجا عادلا مستقيما للنوع الإنساني .

والجواب على هذه الأسئلة كلها هو النفي بالقطع . .

فكيف يمكن إذن أن يهدى هؤلاء القادة إلى المنهج الصحيح ؟ فلهذا السبب يسأل القرآن الكريم الكفار والمشركين إذا كان أحد من الهتتهم يهدى بهم إلى الحق ؟

وكل ما يحتاجه الانسان في حياته ينقسم الى قسمين :

الاول : لا بد وان يكون هناك من يعبد الله والإنسان ويأوى اليه ويدعوه

لكي يسمعه ويقضى حاجاته . ويتوكل عليه في جميع الظروف وفي ضوئه

ما قدمناه آنفاً أن ذلك لا يقدر عليه أحد إلا الله سبحانه وتعالى .

والثاني : أن يكون هناك من يهدى إلى " الصراط المستقيم " والمنهج

الصحيح في حياته الفردية والاجتماعية وهذا كذلك لا يقدر عليه أحد

إلا الله سبحانه وتعالى كما تقدم (١) .

إن الأستاذان المودودي خلال تفسيره لهذه الآية الكريمة

يثبت بالأدلة القاطعة بان " الهداية " لا يمكن الوصول إليها إلا بالرجوع

إلى الاسلام — الدين المتين الكامل الذي بعث الله به رسوله لهداية البشر

وذلك لان الله سبحانه بوصفه خالقاً للإنسان يعلم المقصود الحقيقي والهدف

الاصلي من خلقه ، والطريقة الصحيحة للوصول إلى هذا المقصود ولتحقيق

هذا الهدف كما هو سبحانه عز وجل قادر على ان يهدى الإنسان إلى هذا

الصراط المستقيم .

وان قادة الكفر والضلال مهما بلغ علمهم وتقدمهم لا يمكن أن يكون كاملاً

وصحيحاً والتاريخ الانساني أكبر شاهد على ذلك . فلا يمكن أن يكون مناهجهم

(١) تفهيم القرآن ج ٢ / ٢٨٢ — ٢٨٤ .

المخترفة في ضوء علمهم وفكرهم هذا مناهج صحيحة وكاملة للحياة .
 فيتبين من هذا أن من اختار لحياته منهاج آخر غير الإسلام فردا
 كان أوامة سيخسر في الدنيا والآخرة وهذا ما يشير إليه قوله تعالى
 (والعصر إن الإنسان لفي محسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) (١) .

وجد ير بالذكر أن تفسير " الشركاء " في الآية بقادة الكفر والضلالة
 لا ينفرد الأستاذان المودودي في ذلك بل قد سبقه فيه الإمام فخر الدين
 الرازي (٢) والعلامة محمود الألوسي (٣) . ولكن الأستاذ وسع في ذلك
 بأن أضاف بالأدلة الكثيرة وببيانه الأوفر والأكثر .

ب - الإسلام دين كامل :

وفي تفسيره لقوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت
 عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) يقول الأستاذان المودودي بأن
 المراد من اكمال الدين هو جعله ديناً مستقلاً كاملاً من كل ناحية فكم
 وعلا وحضارة ومدنية فردا واجتماعيا حتى يكون فيها حل لكل مشكلة من
 مشاكل الحياة وارشاد الكل جانب من جوانبها بصورة مجتمعة او مفصلة .

والمراد من اتمام الدين هو اكمال نعمة " الإسلام " و " بالرضا بالإسلام
 ديناً " هو ان الله سبحانه راضى بعمل الطاعة والعبودية وليس هناك غيره
 سبحانه الذي يطلب من الإنسان الطاعة والعبودية له .

(١) سورة العصر ١-٢
 (٢) التفسير الكبير ٩/٩٦ .
 (٣) روح المعاني ١١/١١٤ .
 (٤) سورة المائدة : ٣ .

فيتطلب قوله تعالى هذا بأنه سبحانه إن من على المؤمنين باكمال الدين واتمام النعمة والرغما ، فعليهم ان يبذلوا ما في وسعهم لا قاسمة دينه ولا تباع قوانينه (١) .

فترى بان الاستاذ المودودي يبين خلال تفسيره لهذه الآية بان الإسلام دين حق كامل من جميع النواحي لحياة الفرد والجماعة ولا توجد هناك مشكلة او مسألة إلا وحلها موجود في الإسلام فلا يحتاج المسلم ولا يجوز له ان يراجعها من الأديان الأخرى .

ولا يتفرد الأستاذ المودودي في تفسيره هذا للآية الكريمة بل تسرى الشهيد سيد قطب أيضا يفسر هذه الآية بنفس الأسلوب ونستطيع أن نقول بأن تفسير الشهيد رحمه الله هو تفصيل لما أجمله الاستاذ المودودي وتأييده بالأدلة والبراهين (٢) وهكذا المفسرون الآخرون نراهم يفسرون الآية الكريمة بنفس المعنى إلا أنهم لم يعمتوا بالجانب الاجتماعي بالجانب الاجتماعي مثل فنائيتهما به (٣) .

ج - الإسلام دين الله الوحيد :

ويقول الأستاذ المودودي في تفسير قوله تعالى (إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب) (٤) .

(١) تفهيم القرآن ج ١ ص ٤٤٤ .

(٢) في ظلال القرآن : ج ١ ص ٨٢٤-٨٤٦ .

(٣) انظر للمقارنة الطبري : ٥٢/٦-٥٣ ، الرازي : ١٤٠/١١ ، ١٤٢ ،

والألوسي ٦٠/٦-٦١ ، وابن كثير ١٢/٢-١٣ .

(٤) آل عمران : ١٩ .

"إن نظام الحياة الوحيد الذى يليق بالتمتع الانسانى عند الله سبحانه هو "الاسلام" والمراد منه أن يرضى الإنسان بالله رباً ومالكاً ومعبوداً ويدع نفسه مستسلماً له فى غاية العبودية وظاية الذل وان لا يخترع بذهنة طريقة لاداء واجبات العبودية ومقتضياتها بل يتبع ما ارسله الله ليه على يد أنبيائه فى كل صغيرة وكبيرة اتباعاً جاداً حاسماً وهذه الطريقة السليمة اسمها "الاسلام" والحقيقة بان الله سبحانه يستحق له وهو خالق الكون ومالكة وان لا يميز لزمته نظاماً للحياة غير الاسلام .وقد يسرى الانسان . وجهله ان له الحق فى اتباع كل مسلك والسير وراء كل نظرية ابتداءً من الدهرية والالحاد الى الشرك ومجادة الاوثان الا ان حاكم الكون يرى هذا عصياناً وتمرداً كبيراً (١) .

فتلاحظ أن الأستاذ المودودى خلال تفسيره لهذه الآية يبين بكل صراحة بان المنهج الوحيد الذى اختاره الله سبحانه لحياة الانسان الفردية والاجتماعية هو الاسلام فقط . فإى دين أو نظام غير هذا لا يناسب بخلق الانسان . وهذا ما يؤيده قوله تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه) (٢) وما يشير إليه امير المؤمنين على رضى الله عنه فى قوله [ان المؤمن اخذ دينه من ربه ولم يأخذه عن رأيه] (٣) .

(١) تفهيم القرآن ج ١ ص : ٢٣٩-٢٤٠ .

(٢) آل عمران : ٨٥ .

(٣) نقلاً عن تفسير الألوسى : ١٠٦/٣ .

والأستاذ المودودي يمتاز لتركيزه على الجانب الاجتماعي خلال تفسيره
للآية الكريمة (١) .

وجد ير بالذكر أن الأستاذ المودودي في أول الأمر كان يفسر القرآن
الكريم بالاختصار دون نقل النصوص أو ذكر المراجع وكان يكفى بالإشارة إليها
فحسب . ولكنه فيما بعد بدأ يكتب بالتفصيل ونقل الآن بعض ما قال
الأستاذ في تفسير قوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي
أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى إن أقيموا الدين ولا تتفرقوا
فيه . كبر على المشركين ما تدعوهم إليه . الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي
إليه من ينيب) (٢) .

ويحتمل تفسيره لهذه الآية الكريمة من أهم مباحثه التفسيرية لأنه تمكن
فيه من بيان العديد من الأمور الهامة وهي كالآتي :

أولا : أن الدين الذي بعث الله به رسله من أولهم إلى آخرهم لم يكن
إلا دينا واحدا .

ثانيا : أن الله سبحانه هو الشارع الحقيقي الوحيد لمنهج الحياة
الإنسانية الفردية والاجتماعية .

ثالثا : أن المراد من الدين هو النظام الاجتماعي الكامل لجميع نواحي
الحياة .

(١) انظر للمقارنة الطبري : ١٤١ / ٣ ، وابن كثير : ٣٥٤ / ١ ،
والرازي ٢٢٢ / ٧ ، والألوسي : ١٠٦ / ٣ .

(٢) الشورى : ١٣ .

رابعاً : ان المراد من إقامة الدين هو إقامة النظام الإسلامى فى كل دائرة
من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية .
خامساً : ان المراد من التفرقة فى الدين هو اتیان امر جديد فى الدين شمس
جعله فارقاً بين الاسلام والكفر .

ونرى أن الأستاذ المودودى يؤيد تفسيره بالأدلة من الكتاب والسنة
وبالبراهين العقلية كما هو يرد على من ظن بأن الدين
اسم لمجموعة من العقائد والقيم الاخلاقية ولا يشمل الشريعة والمعاملات
مؤيداً رده بالأدلة من القرآن والسنة والسيرة النبوية .
فالآن نذكر ما قاله الأستاذ بهذا الصدد :

— الاسلام هو الدين الذى جاء به الرسل عليهم السلام كلهم :
الامر الاول الذى بين الاستاذ المودودى فى تفسيره للآية الكريمة
هو أن الدين الذى بعث الله به رسله من اولهم الى آخرهم لم يكن إلا ديننا
واحداً ، وذلك لان الله سبحانه يقول فى هذه الآية بان الدين الذى بعث
به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو نفس الدين الذى قد بعث الله
به سيدنا نوحاً وسيدنا ابراهيم وسيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهم السلام .
والحقيقة بان ذكر هؤلاء الانبياء يتضمن ذكر سائر الانبياء والرسل عليهم
السلام وعلى ذلك ما كان محمد صلى الله عليه وسلم مؤسساً لدين جديد مستقل
وهكذا غيره من الانبياء ، والرسل لم يكونوا مؤسسين الأديان الخاصة لهم
بل كان هؤلاء جميعاً قد بعثوا بدين واحد وهو " الإسلام " (١) .

ثم فسر الاستاذ كلمة (شرع) لفة واصطلاحا واثبت بان المراد من "الشرع" هو المنهج او منهج الحياة و "التشريع" هو "التقنين" و "الشريعة" ما شرع الله لعباده من الدين (١) . ثم بين بان الله سبحانه وهو خالق الانسان ومالكه وولى أمره فهو يستحق له وينبغي ان يشرع للانسان المنهج الصحيح لحياته الفردية والاجتماعية وكان لهذا ان بعث الله سبحانه رسلا عليهم السلام بدينه "الاسلام" (٢) .

- الدين هو المنهج الكامل للحياة الانسانية :

ثم يقول الاستاذ بان المراد من الدين هو الانقياد للسيادة والحاكمة وطاعتها (٣) وتستعمل هذه الكلمة للمنهج الذى يتبعه الانسان فى حياته الفردية والاجتماعية مع الاعتقاد بان الذى جعل له هذا المنهج هو الملك الحقيقى ، فيمكن لنا ان نقول بان الدين هو الدستور او النظام الذى جعله الله للانسان ، فعليه ان يتبعه ، فهو ليس توجيه او موعظة بل هو دستور جعله الله لعباده ، ويكون عدم الانقياد به هو فى الحقيقة وجود حاكمية الله وسيادته (٤) .

ويضيف الاستاذ المودودى فيقول " بأن الدين الذى بعث به محمد صلى الله عليه وسلم هو نفس الدين الذى بعث به نوح و ابراهيم وموسى عليهم السلام . " ويبين الاستاذ خلال تفسيره لهذه الآية عددا من الامور وهى كالاتى :

-
- (١) اسماعيل بن حماد الجوهري - الصحاح ج ٣ ص ٢٣٦-٢٣٧ .
 - (٢) انظر تفهيم القرآن ج ٤ ص : ٤٨٧ .
 - (٣) انظر : اسماعيل بن حماد الجوهري - الصحاح ج ٥ ص : ٢١٧ - ٢١٨ .
 - (٤) انظر تفهيم القرآن ج ٤ ص : ٤٨٧ .

أولاً : ان الله سبحانه لم يبعث دينه وشريعته إلى كل انسان متفردا ، بسبل بعث رسله عليهم السلام لتحقيق هذا الهدف .

ثانياً : إن هذا الدين هو كان نفسا لدين في كل زمان ومكان وهذه الشريعة هي كانت نفسا للشريعة في كل دور من أوار التاريخ ولم يبعث الله رسله في هذه الأمة بدين وفي تلك الأمة بدين آخر بل كل واحد من رسله عليهم السلام قد بعثه الله بنفس الدين ونفس الشريعة .

ثالثاً : ان الايمان بهؤلاء الرسل عليهم السلام هو من مقتضيات الايمان ومتطلباته وذلك لان الانسان لا يستطيع ان يعمل بمقتضيات الدين ومتطلباته الا اذا آمن برسالة من جاء به اليه (١) .

المراد من إقامة الدين هو إقامة النظام الإسلامي أو إقامة الحكومة

الاسلامية :

ويشرح الأستاذ المودودي قوله تعالى (ان اقيموا الدين) ببيان الهدف الذي بعث الله لأجله هذا الدين هو " إقامة الدين " وهو العمل به وتطبيقه وتنفيذه في كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية .

ويستدل الأستاذ على ذلك بعدة أدلة ، فيقول مثلا ، من الفاحية اللغوية إذا قلنا أن فلانا تمكن من إقامة حكومته فلا يكون المراد منه " الدعوة " اليها فحسب بل هو أنه تمكن من انقياد البلاد وتنفيذ حكمه كاملا فهنا وهناك إقامة للصلاة مثلا فهي ليست بالدعوة اليها فحسب ، بل المراد منه الاهتمام بأداء الصلوات الخمس في المسجد مع العناية برفع الأذان والاهتمام

(١) المرجع السابق : ص ٤٨٢ .

بإدائه صلاحاً للجماعة في وقتنا . وما إلى ذلك .

وبعد ذكر الأدلة والأمثلة التي تؤيد موقفه يقول : " يمكننا الآن أن نفهم المراد الصحيح من حكم إقامة الدين والحقيقة بأن الله لنا بأمير عباده ورسوله بإقامة الدين لم يكن المراد منه الدعوة إليه فحسب بل المراد هو العمل به ونفاذه في الحياة الفردية والاجتماعية . فلا شك أن هذا العمل الجليل يبدأ بالدعوة والتبليغ ولكن الهدف الأساسي هو إقامة الدين . والدعوة هي وسيلة للوصول إلى هذا الهدف الجليل (١) .

إقامة الدين بدون الشريعة تؤدي إلى فصل الدين عن الدولة :

وخلال تفسيره لكلمة (الدين) في الآية يشير الأستاذ إلى المشكلة التي وقع فيها كثير من المفسرين بسبب عدم مراعاتهم بالتوفيق بين قوله تعالى (وشرع لكم من الدين) (٢) وقوله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً) (٣) ، فظنوا بأن " الشريعة " ليست شاملة فـ " الدين " والمراد من إقامة الدين في الآية الأولى هو إقامة الدين بدون الشريعة أو الاهتمام بالتمسك بالعقائد والمبادئ والقيم الأخلاقية فحسب أما الأحكام الشرعية والقانونية والحدود والنظام الاجتماعي والسياسي الذي يشمل الدين فلا حاجة للاهتمام بإقامتها " (٤) .

والحقيقة أننا إذا لم نتقن من التوفيق بين الالتماس لوقعتنا في نفس المشكلة التي قد وقع فيها بولس ، قديس المسيح عليه السلام وجاء بنظرية (فصل الدين عن الدولة) وقال (دع ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله) .

(١) تفهيم القرآن ٤ / ٤٨٨ .

(٢) الشورى : ١٣ .

(٣) المائدة : ٤٨ .

ومن المعلوم ان هذه النظرية كانت سببا لوقوع أمة سيدنا عيسى عليه السلام في الضلالة ولذا من الضروري ان نرى ما هو المراد الصحيح من الدين في ضوء ما ورد في القرآن الكريم . وكيف يمكن التوفيق بين الآيتين .

— الأدلة القرآنية على كون الأحكام الشرعية من الدين :

- ويستدل الاستاذ في هذا الصدد بكثير من الآيات ومنها : قوله تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاً ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) (١) .
- وقوله سبحانه (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لخير الله به والمتحنقة والموقودة والمرتدية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالاذلام . ذلکم فسق . اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون . اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) (٢) .
- وقوله تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يبدينون دين الحق) (٣) .
- وقوله تعالى (الزانية والزانی فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) (٤) .
- وقوله تعالى (ما كان لياخذ أخاه في دين الملك) (٥) .

انظر تفهيم القرآن ج ٤ ص : ٤٨٩ .

(١) البينة : ٥ .

(٢) المائدة : ٣ .

(٣) التوبة : ٢٩ .

(٤) النور : ٢ .

(٥) يوسف : ٧٦ .

يستشهد الأستان بهذه الآيات أن الأحكام الشرعية التي وردت فيها كلها من الدين ، وذلك لأن القرآن الكريم نفسه يشهد على كونها من الدين (١) .

التوفيق بين قوله سبحانه (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا
وبين قوله سبحانه (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) :

ويعد هذا الرد على من يفرق بين الدين والشريعة يقول الأستان المودودي : " والحقيقة ان الذين وقعوا في هذا الخطأ كان سبب وقوعهم فيها بأنهم لم يتمكنوا من فهم الآية (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) فهما صحيحا بما رأوا من أن الشرائع السابقة كانت تختلف فيما بينها مع كون الدين واحدا فلذا الشريعة ليست داخلية في الدين .

ولكن الحقيقة أن هذا المفهوم للآية ليست مفهوما صحيحا ، ولا يمد من ملاحظة السياق الذي وردت فيه الآية في سورة المائدة ليتضح مفهومها الصحيح وهو أن الشريعة التي أعطاها الله لأمة معينة جعلها ديناً لتلك الأمة وأوجب إقامته عليها . فالدين لامة محمد صلى الله عليه وسلم هو الشريعة التي جاء بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وإقامة هذه الشريعة تعتبر إقامة الدين لهذه الأمة .

وأما الاختلاف في الشرائع المختلفة فليس المراد منه أن هناك **تعارض** فيما بينها بل المراد منه أن هذه الشرائع تختلف فيما بينها في بعض الجزئيات ، وذلك رطابة للزمان والمكان الذي نزلت فيهما

(١) تفهيم القرآن ج٤ ص ٤٩٠ .

كل من هذه الشرائع ، فمثلا كانت الصلاة فريضة في كل شريعة ، ولكن القبلية لم تكن واحدة وهكذا أوقاتها أو ركعاتها أيضا تختلف من شريعة إلى أخرى والصوم كذلك كان فرضا في كل الشريعة ولكن تخصيص شهر رمضان للصيام لم يكن في الشرائع السابقة .

فهل يجوز لنا ان نستنتج من هذا ان الدين يشمل الصلاة والصوم ولكن الاهتمام بأداء الصلاة بطريقة معينة وفي اوقات محددة او الاهتمام بالصوم بزمان معين ليس شاملا في الدين . فالظاهر ان هذه النتيجة غير صحيحة . بل الحق أن الأهتمام بالصلاة او بالصوم بالطريق الذي قرره الله لأدائها في شريعة معينة يعتبر من فريضة إقامة الدين في هذه الشريعة فالاهتمام بأدائها بالطريق الذي قرره الله للإمامة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام هذا ما يشمل فريضة إقامة الدين لهذه الأمة . وكذلك الأحكام الشرعية الأخرى (١) .

وهكذا جمع الأستاذ بين الآيتين المذكورتين وحل المشكلة التي وقع فيها كثير من المفسرين لعدم جمعهم بين الآيتين . واليك بمشي الأمثلة من المفسرين الآخرين :

يقول الإمام فخر الدين الرازي " . . يجب أن يكون المراد من هذا الدين شيئا مغايرا للتكليف والأحكام وذلك لأنها مختلفة متفاوتة لقوله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) فيجب أن يكون المراد منه الأمور التي لا تختلف باختلاف الشرائع وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر " (٢) .

(١) تفهيم القرآن ج ٤ ص ٤٩١ .

(٢) تفسير الرازي : ١٥٧/٢٧ .

ويقول الإمام ابن كثير: "والدين الذي جاءت به الرسل كلهم هو عبادة الله وحده لا شريك له كما قال عز وجل (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) (١) . وفي الحديث (نحن معشر الانبياء اولاد فلات ديننا واحد) (٢) أي القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لا شريك له وان اختلفت شرائعهم وناهجهم كقوله جل جلاله (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) (٣) .

ويقول الألوسي " (أن أقيموا الدين) أي دين الإسلام الذي هو توحيد الله وطاعته والايان بكتبه ورسله وبيوم الجزاء وسائر مايكفون العبد به مؤمنا والمراد باقامته تعديل أركانه وحفظه من ان يقع فيسه زيغ والمواظبة عليه " (٤) . ثم يقول في تفسير قوله (ولا تتفرقوا فيه) أي : لا تتفرقوا في الدين الذي هو عبارة عما تقدم من الاصول . . . ثم يضيف " ولا يشمل هذا النهي عن الاختلاف في الفروع فانها ليست من الأصول المرادة هنا ولم يتحد بها النبيون كما يؤيد ذلك قوله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) (٥) .

ونكتفي بهذا القدر من الأمثلة من أشهر التفاسير للقرآن الكريم للإشارة الى المشكلة التي جعلت هو "الاء المفسرين الكبار يظنون أن المراد من إقامة الدين هو إقامة الدين بدون الشريعة ولبيان أهمية ما جاء به الأستاذان المودودي في تفسيره لحل هذه المشكلة . وهكذا يتبين السبب

(١) سورة الانبياء - ٢٥ .

(٢) صحيح البخارى - كتاب أحاديث الانبياء . باب قوله تعالى " واذكر في الكتاب بحريم إذ انتبذت من اهلها " .

(٣) ابن كثير: ج ٤ ص ١٠٩ .

(٤) الألوسي ج ٢٥ / ٤٢١ .

(٥) المرجع السابق .

الذى جاء الاستاذ لأجله بهذا التفصيل فى تاييد موقفه كما يتضح من
هذا مكانة تفسيره من بين التفاسير .

لا يمكن العمل بأحكام الإسلام إلا بإقامة الحكومة الإسلامية :

ولم يقتصر الأستاذ على الرد على من يفرق بين الدين
والشريعة بل اهتم باتيان الأدلة القوية على أن القرآن الكريم لا يمكن العمل
بأحكامه أو التمسك بتعليماته إلا إذا اعتقد الانسان بأن المراد من إقامة
الدين هو إقامة الأحكام الشرعية كلها .

فيقول الأستاذ بهذا الصدد : " والحقيقة أن كل من يقرأ القرآن
ويتدبر فيه سيصل إلى نتيجة أن هذا الكتاب العظيم لن يسمح للمؤمنين
أن يعيش تحت حكم الكفار وسلطتهم ، لأنه جاء بمنهج الحياة المتكامل
ويتطلب من كل من يؤمن به أن يطبقه على مستوى الفرد والمجتمع ويذل
كل ما فى وسعه لئلا يكون الدين غالباً وظاهراً على الأديان الأخرى ، ولا يمكن
العمل بأحكامه لاسيما فى الحياة الاجتماعية إلا أن تكون السلطة فى
أيدي المؤمنين الصادقين وهذا ما يؤيده قوله تعالى (إنا أنزلنا إليك
الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراكَ الله) (١) لأن الحكم بما أنزل الله
لا يمكن إلا بعد الوصول إلى السلطة فمثلاً الحكم بجمع الزكاة وتقسيمها بين
المستحقين (٢) لا يمكن تنفيذه إلا بالسلطة وكذلك ما ورد فى حرمسة
الربا (٣) وفى القصاص (٤) وحد السرقة (٥) وحد الزنا (٦) والقذف (٧) لا يمكن
العمل به إلا إذا كانت الحكومة إسلامية . وهكذا لا يمكن العمل بما ورد فى
القتال مع الكفار والمشركين (٨) إذا كان المسلمون متواجدين فى جيش أو

(١) النساء : ٢٥ .

(٢) التوبة : ٦٠ ، ١٠٣ .

(٣) البقرة : ٢٧٥-٢٧٩ .

(٤) البقرة : ١٧٨ .

(٥) المائدة : ٣٨ .

(٦) النور : ٢ .

(٧) النور : ٤ .

(٨) البقرة : ١٩٠-٢١٦ .

الدين ، وكذلك هل يمكن للمسلمين أن يعملوا بحكم أخذ الجزية من الكفار والمشركين (١) وهم يعيشون تحت سيطرتهم .

فلذا يتبين من هذا كله بان فريضة إقامة الدين لا يمكن أداؤها إلا اذا كانت السلطة بأيدي المسلمين الصالحين . فلذا نرى ان القرآن لا يسمح للمسلمين ان يعيشوا تحت سيطرة الكفار والمشركين وهذا ما يتضح من خلال السور المكية والمدنية جميعا (٢) .

والحقيقة أن هذه الأدلة من القرآن على كون الأحكام الشرعية شاملة في الدين وعلى كون حكم إقامة الدين شاملا للأحكام الشرعية لا يمكن انكارها لأن القرآن الكريم يوجب على المسلمين فردا وجماعة ان يهتموا بالعمل بهذه الأحكام ، ولكن كما يرى الاستاذ لا يمكن العمل بها إلا بإقامة الحكومة الإسلامية وهذا هو المراد من إقامة الدين .

وجد ير بالذكر أن الأستاذ لا يقتصر على دعم موقفه بهذه الأدلة من القرآن الكريم فحسب . بل يأتي بدليل عمل سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي بذل ما في وسعه لإقامة الأحكام الشرعية حتى تمكن من إقامة الدولة الإسلامية ، والحقيقة أن هذا من أقوى الأدلة التي يؤيد بها الأستاذ تفسيره . فلذا نذكره بالتفصيل .

(١) التوبة : ٢٩ .

(٢) انظر بنى اسرائيل ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٠ ، ٨١ ، الصافات - ١٧١ ،

أسوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من أقوى الأدلة

لابراز أهمية إقامة الدولة الإسلامية :

يقول الأستاذ المودودي بهذا الصد :

” ومن أقوى الأدلة في تأييد ما قلنا هو سيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعمله الجليل الذي وفقه الله به والذي قام به خـلال ثلاثة وعشرين سنة من حياته بعد البعثة ، فنرى أنه صلى الله عليه وسلم استمر في عمل الدعوة والجهاد في سبيل الله حتى تمكن من إقامة الدولة الإسلامية التي اظم فيها الاحكام الشرعية التي كانت تضم العقائد والعبادات ، والاخلاق والاجتماع والسياسة والاقتصاد وجميع نواحي الحياة الفردية والجماعية وعمل النبي صلى الله عليه وسلم هذا كان تفسيراً عملياً لما ورد في القرآن الكريم ؛ وهل نستطيع ان نقول انه صلى الله عليه وسلم بذل حياته في العمل الذي لم يبعثه الله لاجله ؛ أو ان الله سبحانه كلف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعمل الذي لم يكن شاملاً في فريضة إقامة الدين حسب هذه الآية ، بل فضلاً عن هذا عبر سبحانه عن اكمال عمله هكذا باكمال الدين حيث قال (اليوم اكملت لكم دينكم) (١) اطانا الله من هذا النوع من التعبيرات ، ولكن هل يمكن التوفيق بين عمل النبي صلى الله عليه وسلم وبين التفسير الذي جاء به هؤلاء المفسرون للآية الكريمة بدون هذا النوع من التأويلات ” (٢) .

والحقيقة ان استدلال الأستاذ من أسوة الرسول صلى الله عليه وسلم من أقوى الأدلة في تأييد موقفه على كون الاحكام الشرعية من الدين . وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يبذل حياته

(١) المائدة : ٣ .

(٢) تفهيم القرآن ج ٤ ص ٩٢ .

الا لتحقيق الهدف الذي بعثه الله لأجله وهو كما يتبين من هذه الآية
 " إقامة الدين " فلا بد إذن ان اهتمامه صلى الله عليه وسلم
 بإقامة الدولة الإسلامية بالمدينة المنورة وعنايته بنفان الأحكام الشرعية
 فيها عبوة عن " إقامة الدين " فلذا نستنتج من هذا أن فريضة إقامة
 الدين لا يمكن التمكن من أداءها إلا بإقامة الدولة الإسلامية وإقامة
 الأحكام الشرعية فيها .

التحذير من الوقوع في التفرقة :

وبعد تفسير قوله تعالى (أن أقيموا الدين) بفسر الأستان
 قوله تعالى (ولا تتفرقوا فيه) في الآية الكريمة (١) فيقول : " والأمر
 الذي يلي الأمر بإقامة الدين في هذه الآية هو (لا تتفرقوا فيه) أي في
 الدين . والمراد بالتفرقة في الدين هو أحداث امر فيه ما ليس منه والاصرار
 على كونه فارقا بين الكفر والإسلام قد يكون هذا الأمر الحديث بإضافة شىء
 في الدين ما لم يكن فيه أو اخراج شىء منه ما كان شاملا فيه أو التحريف
 في نصوص الدين بالتأويلات البعيدة لايجاد العقائد والاعمال التي ليس
 لها أصلا في الدين ، وقد يكون بالتفسير في الأحكام الشرعية وبالتقديم
 والتأخير في مراتبها كتبديل الواجب إلى المباح والمباح إلى الواجب
 بل إلى الركن من أركان الدين .

وقد تسببت هذه الأمور التفرقة في الأمم السابقة حتى صارت هذه
 الفرق كأنها مستقلة لا يتصور أهلها أنها كانت من أصل واحد . ولكن

هذه التفرقة ليس لها اية علاقة بالاختلاف في الامور الاجتهادية أو فهم النصوص واستنباط المسائل منها ، والذي يكون بين الفقهاء ، واهل العلم وهو دليل على سعة هذا الدين (١) . فخرى ان الاستاذ يأتي بعدة آيات قرآنية في تأييد تفسيره للآية ويثبت أن الدين يشمل العقائد والعبادات والاحكام الشرعية ، والمراد من اقامة الدين هو اقامة النظام الاسلامي بكامله ويستدل عليه باللغة العربية والدلائل العقلية ثم يرد على من زعم أن الدين لا يشمل إلا العقائد والقيم الاخلاقية فقط دون الأحكام الشرعية — ردا وافيا بالأدلة القاطعة من الكتاب والسنة .

ويثبت أيضا أن الاحكام الشرعية وحدود الله لا يمكن العمل بها وتنفيذها إلا بالسلطة والحكومة مؤيدا رأيه بأسوة الرسول صلى الله عليه وسلم وجهاده لإقامة الدولة الاسلامية .

ثم يبين الأستاذ الفرق بين الاختلاف والتفرقة ، الاختلاف بين الفقهاء هو استنباط الأحكام والفروع والاجتهاد والتفرقة المحرمة في قوله سبحانه (ولا تتفرقوا) ويثبت أن الاختلاف بين الفقهاء هو استنباط الأحكام غير منهي عنه .

...

(١) تفهيم القرآن ج ٤ ص ٤٩٢ .

— النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الله أن يؤيده بالسلطان :

وأبرز الأستان أهمية إقامة الدولة الإسلامية في الدين خلال تفسيره للآية الكريمة (واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا) (١) بوضوح أكثر حيث يقول : ان الله يعلم نبيه أن يدعو به هذا الداء ويطلب منه أن يؤيده بسلطان لى يتمكن من اصلاح الفساد والقضاء على الفواحش والمنكرات باقامة حدود الله وقوانينه ونقل هذا التفسير عن قتادة والحسن البصرى واختاره كبار المفسرين كابن جرير (٢) وابن كثير (٣) .

فيبدو من هذا أن الاصلاح الذى جاء به الإسلام لا يمكن الوصول إليه بالدعوة والموعظة فقط بل لابد من ان تكون السلطة فى الايدى والمؤمنة الصالحة ، فعلى هذا يكون الجهاد فى سبيل الله لإقامة الدولة الإسلامية من متطلبات الإيمان الأساسية ، وأخطأ من قال بأن الاهتمام باقامة الحكومة الإسلامية ليس الا ابتغاء الدنيا لان اقامة الحكومة الإسلامية لا تكون لتحقيق الأهداف الشخصية لأى واحد بل تكون لإقامة العميمة الإسلامية وحنود الله فى أرضه سبحانه (٤) .

(١) بنى اسرائيل : ٨٠

(٢) الطبرى ١٥ / ١٠٢ .

(٣) ابن كثير ٣ / ٥٩ .

(٤) تفهيم القرآن ج ٢ ص ٦٣٨ .

وهكذا يبين الاستاذ مكانة السلطة والحكومة لإقامة الدين ويورد على من يزعم أن الجهاد لإقامة الدولة الإسلامية غير مطلوب في الإسلام ونرى ان الأستاذ يؤيد تفسيره هذا بالجمع بين الرواية والدراية .

وبعد ما نقلنا بعض ما قال الأستاذ المودودي في ان الإسلام دين الحق وان الدين هو النظام الكامل للحياة الانسانية الفردية والاجتماعية وفريضة اقامة الدين هو الهدى الاساسى الذى بعث الله الأنبياء عليهم السلام لأجله، يجد ربنا أن نذكر بعض ما قال الأستاذ في تفسيره في المصادر الأساسية للنظام الإسلامى .

— المبادئ الدستورية للدولة الإسلامية —

يقول الاستاذ المودودي في تفسير قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم . فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول) (١) .

” ان هذه الآية الكريمة هي أساس للنظام السياسى والنظام الاجتماعى فى الإسلام وتعتبر المبدأ الأول لدستور الدولة الإسلامية والاصول التى تتضمن هذه الآية كالاتى :

المبدأ الأول — طاعة الله سبحانه :

فالمحور الحقيقى فى حياة المسلم الفردية والاجتماعية هو اتباع أوامر الله ، أما طاعة غيره فلا بد أن تكون تابعة بطاعة الله سبحانه وإى طاعة مخالفة لاوامر الله فلا بد للمسلم الحقيقى أن يضر بها عرض الحائط

فهو المراد من قول الرسول صلى الله عليه وسلم (لا طاعة في معصية الله
انها الطاعة في المعروف (١) .

المبدأ الثاني : طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم :

وهي الأصل الثاني في النظام الإسلامي ولكنها ليست طاعة مستقلة بل تابعة لطاعة الله وهي الطريقة الوحيدة التي يمكن الوصول بها إلى طاعة الله سبحانه . فالرسول مطاع لانه لا يمكن أن تقوم بطاعة الله إلا بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فطاعة الله سبحانه لا تعتبر صحيحة الا اذا كانت على طريق الرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك عصيان الرسول صلى الله عليه وسلم في أي أمر يعتبر عصيانا لله كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم (من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصي الله) (٢) .

المبدأ الثالث : طاعة أولي الأمر من المسلمين في المعروف :

والطاعة الثالثة التي يجب على المسلمين في الدولة الإسلامية الخضوع لها هي طاعة أولي الأمر منهم وهذه الطاعة لا بد ان تكون تابعة لطاعة الله وطاعة رسوله .

والمراد من اولى الامر القادة في الدولة الإسلامية وتشمل هذه الكلمة العلماء وقادة الفكر والسياسة والمسؤولين في الحكم والادارة فيجب طاعتهم في المعروف ولا يجوز عصيانهم فيها . ولكن ذلك اذا كان قادة المسلمين صالحين مطيعين لله تعالى ورسوله . وهذا ان هما الشرطان الأساسيان لطاعتهم كما يتبين ذلك من الآحاد يث ومنها ما روى عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بأنه قال : (السمع والطاعة علي المرء

(١) صحيح مسلم في كتاب الأمانة - باب وجوب طاعة الأئمة في غير معصية .

(٢) المرجع السابق .

المسلم فيما احب وكره طالم يوء مر بمعصية ، فان أمر بمعصية فلا سمح
 ولا طاعة (١) . وما روى عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
 (لا طاعة في معصية الله انما الطاعة في المعروف) (٢) . وما روى عن ام سلمة
 رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم (ستكون أمرا فتصرفون وتتكفرون
 فمن انكر فقد برى ومن كره فقد سلم ولكن من رضى وتابع فقالوا أفلا نقاتلهم ؟
 قال : لا ما صلوا . وفي رواية : فمن كره برى ومن أنكر سلم . الخ (٣)
 وما روى عن عوف بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم بانه قال (شـ
 أعتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم . قيل يا رسول
 الله أفلا ننازدهم بالسيف . فقال : لا ما أقاموا فيكم الصلاة) (٤) .

فيبين من هذه الأحاديث بأن ترك الصلاة هي علامة كونهم
 خارجين من طاعة الله وطاعة رسوله فتكون مستلزما للخروج عليهم كما يتبين
 منها أن أداء الصلاة بأنفسهم فقط غير كاف لمن يتولى مثل هذا المنصب
 الجليل فلا بد أن يقيموا الصلاة في الدولة كلها ، وبذلك تعتبر حكومتهم
 " الحكومة الإسلامية " والا غير الإسلامية ويجب على المسلمين الخروج عليها
 وروى عن عبادة بن الصامت " دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعنا
 فكان فيما أخذ علينا ان بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا
 ويسرنا وأثرة علينا وان لا ننازع الأمر اهله قال إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم
 من الله برهان " (٥) .

(١) المرجع السابق

(٢) المرجع السابق

(٣) المرجع السابق باب وجوب الإنكار على الامراء فيما يخالف الشرع .

(٤) المرجع السابق

(٥) صحيح مسلم — كتاب الأمانة — باب وجوب طاعة الامراء في غير معصية .

المبدأ الرابع : الرجوع الى الكتاب والسنة في حالة الاختلاف :

والاصل الرابع الذي يستتبط من هذه الآية هو بان كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم هما المصدران الأساسيان للقانون الاسلامي . واذ كان هناك اى خلاف او نزاع بين المسلمين أو بين الشعب والحكومة فلا بد من الرجوع الى الكتاب والسنة ، فيكون حكم الكتاب والسنة حكما نهائيا في هذا النزاع ، وهذا ما يميز به النظام الاسلامي من غيره .

ويجدر بنا أن نرد هنا على من يقول : كيف يمكن الرجوع الى الكتاب والسنة في كل مسألة من مسائل الحياة ؟ وهناك كثير من المسائل التي لا نجد لها اى حل في الكتاب والسنة ، كمشئون الادارية والهيئى والبريد وغير ذلك من القضايا الحديثة لا توجد لها اى تعليمات فى الكتاب والسنة .

والحقيقة أن ايراد هذه الشبهة يدل على عدم فهم هؤلاء للحقيقة الدين واصولها . فالمسلم الذى يؤمن بالله سبحانه وتعالى وانه الشارح الحقيقى ويعتقد أن حريته مقيدة بالقيود والحدود من الله — فهو عند تعرضه لاي قضية فى حياته يراجع الكتاب والسنة فان وجد حكمها فيها عمل به وإلا جاء بالحل لهذه القضية فى ضوء ما جاء من عند الله ورسوله صلى الله عليه وسلم (١) .

فترى أن الأستاذ المودود يفسر هذه الآية باسلوب تجميع الرواية والدراية واستطاع ان يستتبط منها المبادئ الدستورية للدولة

الإسلامية وهي :

أولا : المطاع الحقيقي والشارع الحقيقي هو الله سبحانه فلا يجوز للمسلم العدول عن أحكامه وشريعته أو اتباع أى نظام غير نظامه وهو الاسلام .
ثانيا : بأن السنة هي الأصل الثانى فى النظام الإسلامى ومصدر التشريع الأساسى بعد كتاب الله ولا يمكن تدوين الدستور الإسلامى بدون الرجوع إليها ، ومردود قول من ينكر من كونها مصدرا أساسيا فى التشريع الإسلامى .

ثالثا : لزوم طاعة ولاة الامر للمسلمين وتكون تابعة للكتاب والسنة لان النظام الإسلامى لا يمكن تدوينه وتطبيقه إلا بعناية العلماء والفقهاء وقادة الفكر والحكام والقضاة .

رابعا : وجوب الرجوع الى الكتاب والسنة فى الخلافات والنزاعات التى تقع بين المسلمين .

وجد ير بالذكر ان هذا التفسير للآية الكريمة يتضح منه أن الأستان المودودى كان له الاطلاع الواسع على ما يتعلق بدستور الدولة الإسلامية فضلا عن ايمان نظره فى الكتاب والسنة ، وهذا ما يمتاز به تفسيره من بين التفاسير الأخرى .

الشورى ومكانتها في النظام الاسلامي

وبعد ما ذكرنا ما قال الأستاذ المودودي في المبادئ الأساسية في الدستور الاسلامي ، يحسن بنا أن ننقل هنا ما قاله الأستاذ في مسألة الشورى خلال تفسيره لقوله تعالى ((وأمرهم شورى بينهم)) (١) نظراً لما تتمتع الشورى في النظام الاسلامي من أهمية ومكانة .
واليك النص من تفسير الأستاذ للآية الكريمة ، يقول " وهذه الصفة يعتبرها القرآن من أهم صفات المؤمنين ، فقد أمر الله نبيه بالاهتمام بها في قوله تعالى ((وشاورهم في الأمر)) (٢) فالشورى إذن تعتبر من أهم المبادئ للنظام الاسلامي ، وعدم الاهتمام بها في الشؤون الاجتماعية ليس من سمات النظام الجاهلي فحسب بل مخالفة لما أمره الله واذا خضنا في الأسباب التي يعتني بها الاسلام لأجلها ، ظهرت لنا الأمور الآتية :-

أولاً : الأمور التي تتعلق بأكثر من شخص واحد ، لا يجوز فيها لأحد أن يحكم برأيه الفردي ، دون الالتفات إلى الآخرين ، والعقل يقتضى ذلك ، فالمعاملة التي تتعلق بأكثر من شخص واحد فلا بد أن يكون لكل واحد منهم نصيب في المشورة ولو اعتماداً على آراء النواب عنهم اذا كان عددهم كثيراً
ثانياً : الأمور المشتركة المصالح بين المسلمين ، لا يحكم أحد فيها برأيه الفردي دون استشارة الآخرين . ولا ينحرف أحد عن هذا الطريق الا اذا كان متكبراً فخوراً بنفسه الى حد احتقار الناس سواء أو استولت عليه نزعة الخيانية ، وطبعاً هاتان الصفتان مفقودتان في المؤمن الحقيقي ، لأنه لا يكون متكبراً فخوراً ولا يتعدى الى حقوق الآخرين .

ثالثاً : وهذه حقيقة أن الحكم في الأمور المشتركة المصالح مسئولية عظيمة ، لا يرضى بتحملها من يتقى الله ويعرف ما هي متطلبات هذه المسئولية فيفضل أن يستشير كل من له علاقة بهذه الأمور رأساً أو بطريق النواب وذلك ليتمكن من الوصول الى الحق ، فلو طرأ خطأ هناك يتحمل الجميع مسئوليته .

هذه هي الأمور الثلاثة التي تجعل الشورى أمراً ما للمجتمع الاسلامي الذي لا يسع لأحد أن ينحرف عنها مهما تكن الأوضاع ، فالنظام

الاسلامي يقتضي الاهتمام بالشورى في كل أمر من الأمور الاجتماعية مهما
صغراً أو كبيراً . فالزوجان مثلاً من واجبهما أن يقوما بتدبير أمور البيت
بالمشورة بينهما . والأولاد (إذا ما بلغوا رشدهم) فيشتركوا في المشورة
ومكثراً إذا كانت الأمور بالقبيلة أو القرية فلا بد أن يشترك فيها أهلها
كلهم أو نوابهم . وإذا كانت الأمور تتعلق بالشعب أو الدولة ، فلا بد للقوم
أن تشترك فيها ، ويكون اختيار الرئيس أو ولي أمرهم برضاهم الحر
ومن واجب الرئيس أو ولي الأمر أن يتشاور مع النواب الذين اختارهم القوم
برأيهم الحر ، والذين لا تزال ثقة قومهم فيهم . والحقيقة أن المؤمن الحقيقي
نظراً لما قلنا عن مسئولية رئيس الدولة الكبرى في الاسلام لا يمكن أن يتسلط
على الرياسة بالقوة أو أن يرغب في استمرار حكمه دون رضا القوم . ومكثراً لا يصح
أن يلجأ إلى أساليب الغش والخيانة للوصول إلى السلطة . ويكسب
ثقتهم بالخدعة أو بالقوة . ولا يصح له أن يسلط على الشعب رأيه
في اختيار النواب . فهذا كله لا يفعله الا من لا يخاف الله ولا يهبه أن يخدع الله
والناس - مع الواقع أنه خادع نفسه - والله يعلم كل شئ والناس يميزون بين
المتظاهر بالتقوى وبين من يتقى ربه سرا وعلمان وفي كل أمر ويعرفون من هو
خادم لهم ومن يخدم نفسه وفدويه فقط " (١)

فهكذا بين الأستاذ المودودي في تفسير آية الشورى أن قيام النظم في كل
شأن من شؤون الحياة الاجتماعية والمسئولية في المجتمع الاسلامي مرتبطة
بالمشورة ، فمن الواجب الدينى للروؤساء والملوك أن يهتموا بمقتضيات الشورى
ولا يحكموا في الأمور الاجتماعية الا بمشورة نواب الأمة الذين يتعارفهم الأمة
برأيها الحر . وهذا نظام اجتماعي في ظل الاسلام وهذه الروح كانت مسيطرة
على المجتمع الاسلامي في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، سواء في فترة بقائه
في مكة المكرمة وذلك في تدبير شؤون الجماعة الاسلامية أو بعد هجرته إلى المدينة
المنورة وذلك لتدبير شؤون الدولة الاسلامية . فكان النبي صلى الله عليه وسلم
يستشير أصحاب في أمور الدولة والجماعة ، ومكثراً خلفاء الراشدون
وهذا من أقوى الأدلة في هذا التفسير لهذه الآية .

وفصل الأستاذ المودودي في بيان مقتضيات الشورى نظراً لأهميتها في اطار

النظام الاسلامي جماعة وحكومة فيقول :

المتطلبات الأساسية للشورى :

ويتضمن الحكم الوارد في الآية (أمرهم شورى بينهم) خمسة أمور ، وهي :
أولا : أفراد المجتمع الاسلامي من حقهم أن يتمتعوا بحرية الرأي ، ويكونوا
على بصيرة ومعرفة فيما يجرى في أمورهم ، وضروري أيضا أن يحق لهم توجيه
النقد الى ولى أمورهم اذا أخطأ في الحكم وكذلك لهم أن يغيروا هذا النظام
اذا فشل كل محاولات الاصلاح بالموعظة والنقد .

والحقيقة أن الامتثال بأمر الناس والحكم فيها دون الالتفات الى رأيهم الحر
عقبة في تحقيق ما اقتضت الآية من الشورى والامتثال بها .
ثانيا : يكون اختيار ولى الأمر برضا الأمة ولا يتحقق رضاهم الا بابداء الرأي
الحر دون اكراه وتخويف أو طمع أو تروير ، فهذه الحيل كلها تحول دون
تحقيق الرأي الحر وليس لولى الأمر اللجوء اليها .

ثالثا : أعضاء مجلس الشورى لا بد لهم أن يتمتعوا بثقة الناس
فيقع اختيارهم برأى الناس الحر ثم استمرار ثقة الناس فيهم وذلك لا يكون
لولا لعبت وسائل التروير والخدعة والتخويف والاكراه دورها في اختيارهم
ولا يرجى منهم القيام بأداء الواجب في مثل هذه الأوضاع .

رابعا : ولا بد أن يتمتع أعضاء مجلس الشورى بالحصانة والحريية الكاملة
حتى يقدموا وجهات نظرهم وما يرونه صحيحا . واذا فقدوا هذه الحريية
فلا أمل فيهم في صلاح الأمة ومعنى خيانة في حق الشعب ونقض صريح
لمقتضيات الآية (وأمرهم شورى بينهم) .

خامسا : وعلى ولى الأمر أن يقبل رأى الآخرين ويخضع لرأى الشورى
الجماعي ، أو الرأى الذى ذهب اليه أغلبيتهم أى رأى الجمهور .
ولافائدة للشورى اذا كانت لتجرد استماع الآراء دون الالتفات اليها
في حين التنفيذ . والله سبحانه لم يقل بأنهم يتشاورون في الأمر وكفى
بل قال (وأمرهم شورى بينهم) فلا يتحقق القول الا اذا تقيد ولى الأمر
وعمل بمشورة أعضاء الشورى .

ولاداعية للاشارة أن مجلس الشورى مع مكانته لا يجوز له أن يتمدى
حدودا لك التي قررها القرآن والسنة . فقد حدد الله مجال عمله بقوله

((فإن تنازعتهم في شئ فردوه إلى الله والرسول)) (١) فمن واجب المسلمين أن يتشاوروا في فهم المراد الصحيح من نصوص القرآن والسنة ولا يجوز لهم أن يحكموا في الأمور التي حكم فيها الله ورسوله عليه الصلاة والسلام (٢) فنرى خلال تفسير الأستاذ المودودي صراحتة في تعيين مكانة الشورى في النظام الاجتماعي الاسلامي جماعة وحكومة وما هي متطلباتها وكيف يمكن استفلا لها استفلا لا صحيحا وما هي الأساليب التي لو استعملت فتحول دون التمتع بثمرات الشورى ولو ظلت معمولة بها شكلها

وهو لما يفسر النظام الاسلامي يبرز ملامحه ويحدد عناصره حتى لا ينقلب هذا النظام لعبة بيدي كل طامع ومنحرف . فهذا النظام محدد ومعلوم الجوانب وليس على المرء الا بذل الجهود في سبيل تنفيذها . وهنا تظهر شخصية الأستاذ المودودي فهو ليس مفسرا يفسر الآيات بذكر الأقوال فقط بل هو داعية يعرف ما المطلوب من المسلم وما هي العوائق في سبيل تحقيق أمنيته . كلا نراه في بيان الشورى هنا . فالشورى علاقتها مع حرية الرأي والنقد وثيقة وكذلك اختيار الشعب ولي أمره واختيار أعضاء الشورى واخضاع ولي الأمر لرأي الشورى وكذلك تقيد أعضاء مجلس الشورى بالكتاب والسنة ، فهذا كله داخل في معنى الشورى ولا يتم الشورى والعمل بها الا بتحقيق هذه الشروط كلها .
وهذه هي الشورى الاسلامية التي لا ينافس فيها أي نظام آخر حديثا كان أو قديما .

وجدير بالذكر أن الأستاذ المودودي يعنى أكثر بالناحية الدستورية والتنفيذية في تفسيره . وعرفنا مكانته عند المقارنة بالتفسير الأخرى (٣) .

(١) النسب - ٥٩

(٢) تفهيم القرآن ج - ٤ - ص - ٥١٠ -

(٣) أنظر للتقابل الرازي ج ٠ - ٢٧ - ص ١٧٨ / ابن كثير ٤ / ١١٨ روح المعاني ٢٥ / ٤٦ ، في ظلال القرآن ٥ / ٣١٦٥

المبادئ الأساسية والنواحي المختلفة للنظام الاسلامي :

وبعد أن تحدثنا عن ما قاله الأستاذ المودودي في تفسيره لبيان أهمية إقامة الحكومة الإسلامية والمصادر الأساسية للدستور الإسلامي ومكانة الشورى في الإسلام ، نجد ربنا أن نأتى هنا بما قاله الأستاذ في تفسيره مبينا المبادئ الأساسية للدستور الإسلامي والنواحي المختلفة للنظام الإسلامي ، فهو يهتم ببيان هذه المبادئ في المواضع المختلفة خلال تفسيره للقرآن الكريم .

في تفسيره للآيات (من ٢٣ الى ٢٧) من سورة بنى اسرائيل مثلاً يبين الأستاذ المبادئ الأساسية التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي ويفصل الكلام في النواحي المختلفة للنظام الإسلامي . . فيقول " ان الله يبين في هذه الآيات الكريمة المبادئ الأساسية للمجتمع الإسلامي والبنود الأساسية لدستور الحركة الإسلامية الذي أنزله الله - على نبيه صلى الله عليه وسلم - حينما كانت الحركة تنتقل من مرحلتها المكية إلى مرحلتها المدنية ، وذلك لكي تتضح لكل واحد الأسس التي جاء بها الإسلام للنواحي الخلاقية والمدنية والاقتصادية والتشريعية للمجتمع الإسلامي أو الدولة الإسلامية ، ونحن إذا قرأنا تفسير هذه الآيات مع ما ذكرناه في تفسيرنا للآيات (١٥٠-١٥٣) من سورة الانعام (١) ، لفهمنا المبادئ الأساسية للمجتمع الإسلامي فهما كاملاً (٢) .

ثم يفسر الأستاذ هذه الآيات واحدة تلو الأخرى مبيناً المبادئ

الأساسية للدستور الإسلامي :

(١) انظر تفهيم القرآن ج ١ ص : ٥٩٦-٦٠١ .

(٢) تفهيم القرآن ج ٢ ص : ٦٠٩ حاشية رقم ٢٥ .

الحاكمية لله سبحانه وتعالى — المبدأ الاساسى الأول لك دستور الاسلامى :

ويقول فى تفسير قوله تعالى (وقض ريك ألا تعبدوا إلا إياه) (١) بأن المراد من العبادة هو ليس أداء الطقوس فحسب بل المراد الحقيقى من العبادة هو ان تخلص العبودية والطاعة كلها لله تعالى وحده فالعسلم الحقيقى لا يتبع إلا شهرته ولا يخضع إلا أمام سلطته العليا ، ودائرة هذا الامر ليست محدودة الى الايمانيات او الاعمال الفردية فحسب ، بل تشمل القيم الاخلاقية والمبادئ السياسية والمدنية التى أسس عليها النبى صلى الله عليه وسلم الدولة الاسلامية الاولى فى المدينة المنورة ، فالاساس الذى أقيمت هذه الدولة عليه هو ان الحاكمية والتشريع والملك لله تعالى وحده ولا حاكم ولا شارطا ولا ملكا ولا مالكا إلا الله (٢) . والحقيقة ان هذا المبدأ يعتبر المبدأ الأول لك دستور الاسلامى ولا يمكن ان يكون اى دستور دستور اسلاميا الا اذا كان قائما على الاساس بأن الله هو الشارع الحقيقى ولا يجوز لى انسان فردا او جماعة او شعبا ان يقوم بتشريع أى قانون إلا فى ضوء ما بعث الله رسوله به ، وهذا ما يجعل الكتاب والسنة المصدرين الأساسيين للشريعة الاسلامية ، ونحن إذا اهتمنا بتدوين دستورنا على هذا الاساس يكون هذا الدستور دستور اسلاميا والا فلا .

الاحسان بالوالدين :

ويقول فى تفسير قوله تعالى " وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا " (٣) يبين الله

(١) سورة بنى اسرائيل : ٢٣-٢٤ .

(٢) تفهيم القرآن ج ٢ ص ٦٠٩ حاشية رقم ٢٦ .

(٣) سورة بنى اسرائيل : ٢٣-٢٤ .

في هذه الآية أن الوالدين هما أكثر حقا بالراحة بعد الله سبحانه ورسوله ،
ويجب على الأولاد أن يطيعوا أوامرهم دون تردد ويحترمواهم ويخدموهم
والمجتمع الإسلامي من مقتضياته الأساسية أن تنمو فيه القيم الأخلاقية التي
لا تسمح للأولاد أن يعصوا والديهم بل لابد أن تجعل الأولاد مستخدمين
لهما وذلك لكي يقوم الأولاد بخدمة والديهم كما قام الوالدان بتربيتهم
في صغرهم . وجدير بالذكر أن هذه الآية الكريمة تتضمن فيها العديد من
الأحكام الشرعية التي قام الفقهاء بتدوينها ولها دور هام في تكوين شخصية
المجتمع الإسلامي والحضارة الإسلامية وهذا ما يجعل الدولة الإسلامية بتشريع
قوانينها وتنظيم إداراتها وتشكيل سياستها التعليمية لتكوين الأسرة
المسلمة وتنظيمها (١) .

وهذه التعليمات كما يفسرها الأستاذ المودودي تجعل المبدأ الثاني
للدستور الإسلامي ، والحقيقة أن المكانة الجليلة التي يحظى بها الوالدان
في المجتمع الإسلامي من متطلباتها أن يكون لهما حقا دستوريا واضحا مع
حقهما الأخلاقي ، وهذا ما يمتاز به المجتمع الإسلامي عن المجتمعات الأخرى
وكان بفضل هذا الاهتمام ان المجتمع الإسلامي لم يظهر فيه المفاصد التي
أفسدت كيان الأسرة في المجتمعات الغربية الحديثة .

التعليمات المتعلقة بالعدالة الاجتماعية :

- (١) الاهتمام بالاقارب .
- (٢) الاهتمام بالمساكين .
- (٣) الاهتمام بأبناء السبيل .
- (٤) حرمة التبذير والاسراف .

(١) تفهيم القرآن ج ٢ ص ٦١٠ حاشية رقم ٢٧ .

ويقول في تفسير قوله تعالى " وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا . ان المذريين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا . واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا " (١) وتفيد هذه البنود الثلاثة لدستور الدولة الاسلامية بأن المسلم لا يجوز له أن يمسك ماله كله لتحقيق أهدافه الشخصية فحسب بل يجب عليه ان ينفقه على اقربائه وجيرانه وذى الحاجة بعد ان يقضى حاجاته الشخصية ، وذلك ليسود المجتمع الاسلامى بالمحبة والرحمة ، فكل فرد فى المجتمع يتعاون مع اقربائه وجيرانه ، فالغنى يساعد المحتاج والفقير والمسافر لا يجد مسلما الا واستضافه وفى الجملة كل واحد فى المجتمع يقوم على أداء حقوق أخيه المسلم وهو يؤدى هذه الحقوق لكونها واجبا عليه ، ولا يمتد بانه يمن على الآخرين وانما لم يقدر على أداء حق من هذه الحقوق يعتذر عليه ويستغفر ويطلب من ربه أن يوفقه لأداء هذا الحق .

وجد ير بالذكر أن هذه التعليمات لم تكن للحياة الفردية فحسب ، بل فى الحقيقة كانت البنود الأساسية لدستور المجتمع الاسلامى فكان فى ضوء هذه البنود أن الدولة الاسلامية بالمدينة المنورة قد أوجبت فيها أداء الصدقات الواجبة ، كما نفذت فيها عدة من الأحكام فى الموارث والوصية والوقف ، وصدرت فيها عدة من الأوامر للمحافظة على حقوق اليتامى . وقد جعل على المسلمين أن يستضيفوا المسافرين لثلاثة أيام على الأقل ، وكانت نتيجة هذه الأحكام والتعليمات بأن المجتمع الاسلامى بالمدينة المنورة كان جوه يتلى بالرحمة والشفقة والتعاون ، حتى بدأ الناس يؤدون تطوعا الحقوق التى لا يؤدونها بالقوة (٢) .

(١) سورة بنى اسرائيل : ٢٦-٢٨ .

(٢) تفهيم القرآن ج ٢ ص ٦١٠ حاشية ٢٨ .

فيرى الأستاذ المودودى خلال تفسيره للآية بأن التعليمات التى وردت فى هذه الآيات ليست التعليمات الأخلاقية فحسب بل هى فى حقيقة أمرها تشمل البنود الأساسية لـ دستور المجتمع الإسلامى ، وهذا ما تؤيد أهميتها البالغة للعدالة الاجتماعية فضلا عن السياق الذى هى وردت فيه . والحقيقة أنه كان بفضل هذه التعليمات السامية ان المجتمع الإسلامى لم تظهر فيه المعضلات الاقتصادية التى جاءت بالمفاسد العديدة فى المجتمعات الأخرى .

— التعليمات المتعلقة بالتوازن فى المعيشة والاقتصاد :

ويقول فى تفسير قوله تعالى " ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا " (١) ، فقوله " ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك " جاء استمارة عن البخل كما فى قوله " ولا تبسطها كل البسط " جاء استمارة عن الاسراف والتبذير ، وإذا قرأنا هذا البند مع البند رقم (٤) يتبين لنا أن النظام الاقتصادى الإسلامى من متطلباته الأولى الاهتمام بالاعتدال فى المعيشة ، فهو لا يسمح للمسلمين أن يمنعوا العمل الاقتصادى ببخلهم ولا يسمح لهم أن يبذروا أموالهم تبذيرا ، بل يطلب منهم ان يكونوا معتدلين متوسطين فى معيشتهم ، ينفقون أموالهم حيث كان ضروريا ولكن لا يسمح لهم أن يكونوا مسرفين او مبذرين فىمكن لنا أن نقول ان النظام الاقتصادى الإسلامى لا يسمح للمسلمين أن يصرفوا أموالهم فى أى طريق غير جائز ، فهذا هو السبب بانه يقرر أن المبذرين هم أخوان الشياطين " .

وجدير بالذكر ان هذه التعليمات لم تكن للحياة الفردية فحسب ، وهكذا لم تكن هذه الأحكام — الأحكام الأخلاقية فحسب — بل يستنتج من

هذا ان المجتمع الاسلامى لا يمكن اقامته إلا إذا أقيمت فيها هذه الأحكام والتعليمات عن طريق السلطة ، فنرى ان الدولة الاسلامية بالمدينة المنورة قد أخذت العديد من الاجراءات لتنفيذ هذين البندين للدستور فقامت الدولة بمنع الطرق التى تؤدى إلى الاسراف والتبذير ، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى ، قامت الحكومة بالقضاء على العادات الجاهلية التى كانت تؤدى إلى الاسراف ، وهكذا تمكنت الدولة من القضاء على البخل باقامة نظام الزكاة والصدقات ، ولم يبق هنا لكفى مجال للارتكاز ، واتخذت الدولة عدة وسائل لتوعية المجتمع الإسلامى لكى يتمكن الناس من التفريق بين الانفاق والتبذير ، وبين البخل والاعتدال ، وبهذا كانت تتميز مكانة كل واحد منهم فى المجتمع ، وفى الحقيقة كان من نتيجة هذه التوعية والتربية أن المسلمين ما زالوا يميزون بين هذا وذاك حتى اليوم (١) .

فترى هنا أن الاستاذ المودودى يبين فى تفسيره لهذه الآية الكريمة بأن الدولة الاسلامية الاولى بالمدينة المنورة اتخذت عدة اجراءات للقضاء على العادات القبيحة والمسالك الرذيلة كالاسراف والتبذير والبخل من المجتمع الاسلامى ، وذلك تنفيذاً للقوانين التى تشملها هذه الآية الكريمة ، فلذا رأى الأستاذ المودودى أن هذه التعليمات تشملها بعض المبادئ الأساسية للدستور الإسلامى ، وهذا ما يؤيده السياق الذى وردت فيها ، كما تؤيده الاجراءات التى اتخذها النبي صلى الله عليه وسلم فى المجتمع الإسلامى بالمدينة المنورة .

(١) تفهيم القرآن ، ج ٢ ص ٦١٢ حاشية : ٢٩ .

الثقاوت في المعيشة من مشيئة الله سبحانه :

ويقول في تفسير قوله تعالى " إن ربك ييسر الرزق لمن يشاء " ويقدر انه كان بعباده خبيراً^(١) ان الانسان لا يمكن له أن يفهم المصالح التي جعلها الله في الاختلاف في تقسيم الرزق في عباده ، فلذا لا يجوز له أن يقوم بتغيير ذلك النظام ، والحقيقة أن القيام بتغيير هذا النظام عن طريق غير حقيقية وغير اسلامية يصبح أساساً للظلم يستوجب اللوم ، والاسلام لا يسمح له فالنظام الاقتصادي هو الذي^{الصحيح} يكون مطابقاً للتقسيم الذي جعله الله بمشيئته .

وجد ير بالذكر أن القاعدة التي بينها الله في هذه الآية ، كان من فضلها ان الاصلاح الاجتماعي الذي تمكنت الدولة الاسلامية بالمدينة المنورة من إكماله لم يكن يفكر فيه احد في كون هذا الاختلاف في المعيشة سيئاً فسي نفسه ، وهكذا لم يفكر فيه أحد أن يقوم بالقضاء عليه ، بل نرى بأن الاسلوب الذي اختارته الدولة هو كان الاهتمام بالقضاء على الظلم والتعدي بانواعها من المجتمع ، وذلك مع بقاء هذا الاختلاف في المعيشة الذي جاء بعدة من الفوائد الروحانية والخلقية والمدنية (٢) .

فترى الأستاذ المودودي هنا بأنه خلال تفسيره للآية الكريمة يشير الى الحقيقة التي لو اهتم بها الإنسان فرداً او مجتمعا أو مجتمعا ، لخلص من كثير من الآلام والمشاكل التي يتخبط فيها اليوم لعدم اهتمامه بها ، والحقيقة أن الظلم والتعدي اللذين نراها اليوم في المجتمعات بانواعها ، ولا سيما في المجال الاقتصادي ليس إلا نتيجة عدم العناية بالتعليقات الواردة في الآية الكريمة فلذا لو جعلها المجتمع الإسلامي أساساً لستوره ، لتمكن من

(١) بنى اسرائيل - ٣٠ .

(٢) تفهيم القرآن ج ٢ ص : ٦١٢ .

القضاء على هذا الظلم والتعدي ، كما نراه في المجتمع الإسلامي بالمدنية المنورة ، وهذا ما يشير إليه الأستاذ المودودي في تفسيره للآية الكريمة وجدير بالذكر أن نظام الاقتصاد الإسلامي كان لاهميته البالغة ان اهتم به الاستاذ بصفة خاصة خلال تفسيره للآيات الواردة في هذا الموضوع في المواقع المختلفة من القرآن ، فمثلا نراه يتناول هذا الموضوع خلال تفسيره لآيات الربا في سورة البقرة (١) . كما نجده يعنى به خلال تفسيره للآيات الواردة في المواريث في سورة النساء (٢) . وهكذا نراه يهتم به خلال تفسيره للآيات الأخرى الواردة في هذا الموضوع. ولواتسع لنا مجال لبحثنا هنا بعدة النماذج لما قال الأستاذ في هذا الموضوع خلال تفسيره للقرآن الكريم ، ولكننا نكتفي هنا بذكر بعض ما قال الأستاذ في هذا الموضوع خلال تفسيره للآيات الواردة في حرمة الربا ، ومنها قوله سبحانه : " ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا " (٣) ، فيقول الأستاذ مفسرا للآية الكريمة : " فأساس فساد نظريتهم انهم لم يعتنوا بالفرق الموجود بين الربح والربا ، فقالوا حيث أن الربح في التجارة حلال فلماذا تكون الربا على القروض حراما ؟ ولا تحسبوا أن المرابين في الجزيرة وحدهم الذين كانوا ينادون ويزعمون هذا بل ان أصحاب البنوك والمرابين في عصرنا هذا يدعون بنفس دوى الجاهلية القديمة ويوردون حججا مماثلة تحليلا للربا واستساعة لهسا ، ويقولون مثلا ان من يقرض احدا بعض ماله كان في استطاعته ان يستثمره ويستفيد منه وان من يقرض هذا المال يستثمره بالفعل في تجارة او مشاريع تعود عليه بالربح فلم لا يأخذ المقرض من المقرض نصيبا مما ربح وكسب ؟ وينسون ان ليس

(١) انظر تفهيم القرآن ج ١ ص : ٢١٠-٢١٨ .

(٢) تفهيم القرآن ج ١ ص : ٣٢٥-٣٣٠ .

(٣) البقرة : ٢٧٥ .

ثمة عن يربح ربحاً محدداً مضموناً دون خسارة . فالعرب في التجارة والصناعة والزراعة وما إليها عليه أن ينفق العمل ورأس المال وأن يواجه في نفس الوقت المخاطر والخسارة دون ضمان لربح محدد أكيد ، ولندع إلى حين ونوضح المدبرين الذي يقترض مالا لاستهلاكه الشخصي والوفاء بما يحتاج هو وأسرته وكذا مسألة سعر الربا وتعال بنا نقارن بين حال العرابي الذي يقترض المال لتشغيله في أعمال تجارية مربحة بسعر متوسط للربا وبين حال من يزاوولسون التجارة وما إليها فعلاً . فهو لا يوقفون كل وقتهم وعملهم وقد راتهم ومواهبهم ويستثمرون مالهم الخاص ويعطون ليل نهار كي تبيع تجارتهم بفضيل . مجهوداتهم الخاصة دون أن يأمنوا خطر الخسارة على حين يستمر العرابي الذي يقترض المال ولا شيء أكثر من هذا في أخذ نسبة ربح معينة دون التعرض لاية اخطار مهما كان نوعها . فكيف يحق له ابتلاع نسبة محددة من الربح ؟ وهل يعقل هذا ؟ وعلى أي أسس للمنطق والعدل وبأي وجهة نظر اقتصادية يربح هذه النسبة ؟ وكيف يكون العرابي على حق وصواب في أن يقترض مصنعا مثلاً مبلغاً من المال بسعر ربا محدد من تاريخ اقراضه والى عشرين عاماً مقبلة على حين لا يستطيع احد أن يعلم أو يتنبأ بارتفاع أو انخفاض الاسعار الذي قد يحدث خلال هذه السنوات العشرين ؟ وكيف يصح لمن يمول قروض الحروب ان يطلب - حتى من أمته هو - سعر ربا محدد لمدة قرن بأكمله على حين تواجه الامة كلها المخاطر والتهلكات وتتحمّل الخسائر وتبذل من التضحيات ما تبذل ؟

إن الفارق بين الربح والربا والذي يقود الى نتائج اخلاقية واقتصادية عديدة هو :

١- أن تحدد الربح بين البائع والمشتري يتم على شروط متساوية : فالمشتري يتناح ما يحتاجه والبائع يأخذ ربحاً لما يبذل من الوقت والعمل والقدرات

الذهنية التي يوظفها في اعداد وتجهيز السلعة للمشتري . أما الربح
فهي على نقيض هذا والمدين بالطبع ليس في مقدوره ان يحدد التعامل
بينه وبين الدائن على شروط متساوية تقاراً لضعف جانبه ووهن موقفه والمراعى
يأخذ قيمة الربح المحددة التي يعتريها ربحاً له ومكسباً بقدر ما يشاء .
فان أنفق المدين كل ما اقتضى من مال في تلبية احتياجاته الشخصية
فلا شك ان عنصر الوقت لا يأتى عليه بربح على الاطلاق . وان استثمر
ما اقتضى في تجارة أو صناعة أو زراعة ونحوها كانت أمامه فرص متساوية
للربح والخسارة وهكذا الاقتراض بالربح يأتى بربح مضمون محدد على
طرف وخسارة على الطرف الاخر أو بربح مضمون محدد على طرف وربحاً
غير مضمون على الطرف الاخر .

٢- ان التاجر يحدد ربحه ويطلبه دفعة واحدة وعن كل ما أنتج أما المراعى
فيواصل ابتلاع الربح تكراراً وتواصل الربح سيرها نحو الزيادة بمرور الوقت
ومهما كان الربح الذى يحدده المدين على أموال الدائن التى يستثمرها
كبيراً إلا ان له فى النهاية حدوده . أما الربح التى يأخذها الدائن على
امواله فلا حدود لها فقد تستنزف ربح المدين عن آخره وهذا يحدث
بالفعل فى أحيان كثيرة ليس هذا فحسب بل قد يحصل الأمر الى حرمانه
من كافة وسائل العيش او ما يلزم لاستخداماته الشخصية وقد يبقى المدين
وعليه نفس كمية الدين كما كانت حين الاقتراض .

٣- إن التعامل فى مجال التجارة ينتهى بانتقال المادة وثمنها إلى أيدي
آخرين فلا يلزم على المشتري بعد هذا يعيد شيئاً إلى البائع . وبالنسبة
لايجار الاماكن والمنازل والأراضى وما اليها فالعين المؤجرة لا تستهلك
وتبقى على حالها ، وانما ترد الى مالكها بعد انقضاء الفترة المحددة
لايجارها . أما بالنسبة للمال فعلى المدين أن ينفقه أولاً ثم يولده

ويؤلفه ثم يعيده إلى الدائن مع رباها ، ولذا يضطر المدين لان يعرض نفسه لخطر توظيف المال وتشغيله وخطور استخراج الربا المطلوب عليه .

٤- أن من يزاول التجارة أو الصناعة أو الزراعة أو غيرها يتقاضى ربحه على ما أنفق من وقت وعمل وجهد وذكاء ونحوه ، أما المراهب فيبغضهم نصيب الاسد في ارباح المدين دون مواجهة خطر أو بذل جهد وعرق وليس لربحه سوى انه يستثمر ما زاد عن حاجته من مال فهو شريك المسمى المدى الذي يكفل له فائدة محددة مضمونة فحسب بقطع النظر عن كم الريح وبلا مبالاة ما يقع من خسارة .

يظهر لنا من كل ما سبق أن التجارة - حتى من وجهة النظر الاقتصادية - تشارك في بناء المجتمع وتساعد على نمائه . وأن الربا يهدم كيانه ويقوض بنيانه . أما من وجهة النظر الأخلاقية فالربا بطبيعته يخلق الجشع والحرص والطمع والانانية وتحجر القلوب وغلظة الافئدة وعمادة المال والثراء ويقتل في الافراد مشاعر الاخوة وروح التعاون وعلى هذا فالربا مهلك للمجتمع اخلاقيا واقتصاديا (١) .

نرى هنا أن الاستاذ المودودي خلال تفسيره للآية الكريمة يعتنى بالرد على من ظن بأن الربا تكون مثل التجارة ولا يوجد اى فرق بين هذه وتلك ويبين بالبراهين العقلية القوية أن هناك فرق كبير بين الربا والتجارة ، ولأن أدلة الاستاذ هذه تقوم على الأسس الاقتصادية القوية فلذا لم يبق هناك اى مجال للاعتذار لمن يحل الربا باسم التجارة .

وبعد ما يبين الاستاذ الفرق بين الربا والتجارة يعنى ببيان المقاسد الاقتصادية والاجتماعية التي تأتي بها الربا في المجتمع وذلك من خلال تفسيره لقوله تعالى " يحق الله الربا ويرى الصدقات " فيقول : " وما اصدق هذا من الزاوية الاجتماعية والاقتصادية والاخلاقية والروحية فمع ان الربا يخنس في ظاهره والصدقة تدفع وتفقر فالعكس يصدق تماما ، فالربا في شريعة الله عائق بطبيعته أمام التقدم والازدهار الاجتماعي والاقتصادي والأخلاق والروحي أما الصدقة — بما فيها الاقتراض بغير ربا — فتدفع إلى النماء والتقدم .

ولو طرحنا النظر في الربا من الزاوية الاخلاقية والروحية لرأينا في جلاء أنه يقوم على الجشع والطمع والانسانية والبخل والغلظة وانه يروى هذه الشرور والمآثم ويغذيها في نفس المرابي . بينما تقوم الصدقة على أساس الكرم والعطف والسخاء وتفرض هذه الصفات السامية وتنميها في نفس المحسن المتصدق . فأنى لاحد ان ينكر خير هذه الصفات وافضليتها على سابقتها ؟ أما إن تناولنا الربا — بقليل من التدبر والتمحيص من الناحية الاجتماعية — بان لنا أن المجتمع هياكل ان تقوم له قائمة اذا أسس افراده معاملاتهم فيما بينهم على الأنانية وحب النفس . فان كان كل فرد فيه لا ينفى مساعدة الآخر دون نفع يعود على شخصه وإن كان الاغنيا في يعتقدون أن الفقراء ما وجدوا الا ليتيحوا لهم فرص الاستغلال العسفي فلا محيص من تصادم مصالح كليهما فيتصدع بناء المجتمع وتتفسخ لبناته فان عاضدات العوامل الأخرى هذا الوضع المحفف فان الصراع الطبقي لامحالة واقع . أما إن أقام افراد المجتمع معاملاتهم على أساس الود والعطف المتبادل وعامل كل منهم أخاه بكرم وسخاء فسوف يصنعون من مجتمعهم بناء متينا واذا حاول كل فرد فيه ان يعين الآخر عند الحاجة وعامل من يملكون من لا يملكون بعطف أو على الأقل بعادل فسوف تنشأ فيه مشاعر الأخوة والحب ويشتد بناؤه لبنة الى لبنة ويتقدم — بالطبع — بخطى عاجلة سريعة وذلك لانتشار روح التعاون والاخاء بين خلاياه وأنسجته .

ولتناول الربا الآن من وجهة النظر الاقتصادية ، أن القروض نوعان
قرض استهلاكي وهو ما يستدينه الفقراء المعوزون لقضا* لوازمهم الشخصية
وآخر اقتصادي وهو ما يقترضه رجال الأعمال للتوظيف في مشاريع وأعمال تجارية
أو صناعية أو زراعية أو غيرها . أما الأول فكلنا يصرف أن أخذ ربا عليه يسوق
إلى دمار محقق ويؤدي إلى خراب وطامة ليس لها من دون الله كاشفة
وانا لنرى الدائنين واصحاب البنوك يمضون دماء العمال الكادحين والفلاحين
المعوزين والفقراء بوجه عام ويسكنونهم دار البؤس والشقاء لأن دفع الربا
يجعل تسديد الديون مستحيلا عليهم في أغلب الأوقات فيضطرون للاقتراض
مرة تلو الأخرى محاولين التخلص من هذه الورطة الشنيعة وحتى بعد دفع
الربا التي تكون قد بلغت اضعاف اصل المال يبقى المال الأصلي كما كان من
ذى قبل لان الدائن يلتهم النصيب الأكبر من دخل المدين الذي يجد نفسه
عاجزا عن الاقتصاد في الأنفاق حتى لا يتخطى حدود دخله . وهذا بالطبع
يقتل استفادة العمال من عملهم فكيف يخلصون فيه ويجتهدون وهم يسرون
شماره بيتلعمها آخرون ؟ إلى جانب أنهم لا يستطيعون حتى شراء الدواء
اللازم اذا أنهك الجوع قواهم وقضى الهم والغم على صحتهم وذلك لاحتياجهم
الشديد إلى المال وهكذا يؤدي الربا إلى تسمين وترف قلة على حساب
دماء الاغلبية ويتسبب في افساد الأمة بوجه عام لأن العجز وقلة الكفاية
الناجمة عن هذا تفسد نوعية الانتاج القومي وتهبط بمستواه ويسقط مصاصوا
الدماء أنفسهم في النهاية فريسة ظلمهم وجشعهم وجورهم لأن تغافل
الغضب المكبوت والكراهية الدفينة في قلوب المضطهدين المظلومين مع
أنانية المرابين فلاظ الأكياد يفجر ثورة دامية تسحق شرفهم وحياتهم و ثروتهم
التي اقتنوها ظلما وعدوانا .

أما القسم الثاني وهو الربا المحدد على القروض الاقتصادية فنكتفى

بذكر ثلاثة من شروطها العديدة :

- ١- أن المشروطات التي لا تستطيع تحقيق ربح يعادل سعر الربا الموجود في السوق لا تستطيع تدبير المال وتوفيره مهما كانت نافعة للأمة وستجده كافة وسائل التمويل في الدولة إلى المشروطات التي قد تأتي بفائدة متساوية أو أكبر من سعر الربا في السوق مهما كانت عديمة الفائدة أو حتى ضارة من الناحية الاجتماعية .
 - ٢- ليس ثمة عمل تجارى أو صناعى أو زراعى ونحوه يضمن سعرا محددًا ومنتظما للربح ، خمسة أو ستة عشرة في المائة مثلا تحت كل الظروف وفي كل الأحوال بل الواقع انه لا يمكن لاي عمل ان يضمن سلامته من اى خسارة فكيف بنا نتحدث عن ضمانه للربح ؟ فالعمل الذى يقترض مالا بسعر محدد للربا لا يمكن أن يكون في منجى من الخطر والخسارة .
 - ٣- ولان المقرض ليس شريكا مباشرا فعليا في ربح العمل أو خسارته وانما يجعل كل همه وهدفه تحصيل فائده المحددة المضمونة دون اكتراث بما عداها لذا فهو لا يهتم بمصلحة العمل في قليل أو كثير بل يقصر إهتمامه على تحقيق وتحصيل نفعه وحده ومن أجل هذا يحاول بأنانيته بالغلة ان يسحب ويحبس ماله إذا شعر باننى هزة من الانخفاض والكساد في السوق وبذا يخلق بانانيته نعرا وارباكا شديدا ويفرض الطريق لأزمة أخرى فان حدثت أزمة بالفعل عجل بها الى كارثة مدمرة .
- هذه ثلاثة من أضرار الربا وشروطه لا تخفى على من له علم باوليات الاقتصاد ولا يجد بهتة فهل لا حد أن ينكر حقيقة قانون الله الذى أعلن فيه سبحانه
- أن الربا يسحق الاقتصاد ويدمره ؟

ولنتناول الصدقة في السطور التالية من وجهة النظر الاقتصادية ؛

ان الميسورين اذا انفقوا اموالهم بسخاء في سد لوازمهم الشخصية في الحياة والوفا باحتياجات عيالهم ووزعوا منها جزءا على المحتاجين ليتمكنوا من تلبية ضرورات الحياة واقرضوه رجال الاعمال دون ربا او استثماره في مشاريع تجارية او صناعية وغيرها على اساس المشاركة في الربح او الخسارة او اقرضوه حكومتهم بدون ربا لاستغلاله في الخدمات القومية فما من شك في ان التجارة والزراعة وما اليها ستصيب قسطا من الازدهار والنماء ويرقى مستواها ونوعها ويرتفع مستوى الثروة القومية ويتضاعف الانتاج ويتكاثر اذا قورن بما عليه من بلك يحلل الربا ويجعله أمرا مشروعاً .

وهكذا يتضح أن الربا يهبط بالانتمى قاع التأخر والانحطاط ويعيق تقدمها وأن الصدقة تدفعها الى قمة التقدم والارتقاء وتفيض عليها خيرا كثيرا (١) .

ففرى هنا ان الاستاذ المودودي خلال تفسيره للأية الكريمة يذكر عديدا من الادلة من النواحي الخلقية والاجتماعية والاقتصادية ليثبت بان الربا يأتي بالانحطاط والدمار في المجال الاقتصادي حيث أن الصدقات تأتي بالازدهار والنمو الاقتصادي ، وذلك باسلوب عصري جذاب . وهذا ما يتضح منه امعان نظر الاستاذ في علم الاقتصاد فضلا عن بصيرته في الكتاب والسنة كما ان هذا يمكن لنا من ان نعين مكانة تفسيره للأية الكريمة (٢) .

التعليقات المتعلقة بالحياة الاجتماعية :

أ - حرمة قتل الاولاد أو تحديد النسل : ويقول في تفسير قوله تعالى " ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم وايام ان قتلهم كان خطأ كبيرا " (٣)

(١) تفهيم القرآن ج ١ ص : ٢١٤-٢١٦ .

(٢) انظر للمقارنة الطبري ج ٣ ص ٦٩ ، الرازي ج ٧ ص ١٠٢ ، ابن كثير :

ج ١ ص ٣٢٨ ، الألوسي ج ٣ ص : ٥١-٥٢ ، في ظلال القرآن ج ١ ،

ص ٣٢٨

(٣) بنو اسرائيل : ٣١ .

هذه الآية الكريمة تحطم الفلسفة لاقتصادية الضالة التي كان دافعا للحركات لمنع الحمل وتحديد النسل ، كانت في أي زمان أو أي مكان ، فنرى أن خشية الافلاس كان دافعا لقتل الاولاد والاسقاط في الماضي ، وما زال محور حركة تحديد النسل في يومنا هذا ، ولكن هذا البند من دستور المجتمع الاسلامي لا يسمح لاية حركة تهدف الى تحديد النسل او منع الحمل من خشية الافلاس بل على العكس نرى بانه يحفز على العمل والجهد ليزداد الرزق ، فيقـرر هذا البند ان قيام الانسان على قتل الاولاد او منع الحمل من خشية الافلاس ليس بصحيح في آية حال فلذا نراه يوجه الانسان ان الرزق على الله عليه ان يرزق كل واحد من خلقه ، وهذا ما اثبتته التاريخ فنرى بان الله دائما يوسع وسائل الرزق حسب تضخم عدد السكان بل هو يزيد وسائل الرزق عن حاجتهم ، فلذا لا يجوز للماقل ان يخوض في الامور التي تخص قدرة الله ومشيئته فكانت من نتيجة هذه التعليمات ان المجتمع الاسلامي لم يكن فيه مجالا لحركة تحديد النسل . فنرى الاستاذ المودودي هنا بانه يثبت في تفسيره للآية الكريمة بان حركة تحديد النسل ليس لها اي مجال في المجتمع الاسلامي ويؤيد تفسيره هذا بالادلة القوية ومنها ان الايمان بربوبية الخالق لا يترك اي مجالا لهذه الحركة . فلهذا الحكومة الاسلامية من واجبها ان لا تسمح لرعاياها ان يقوموا بحركة تحديد النسل^(١) ، وهذا كما يـرى الاستاذ المودودي يجعله من المبادئ الاساسية للدستور الاسلامي . وجدد ير بالذكر ان الاستاذ المودودي قد تناول هذا الموضوع بالتفصيل في كتابه (حركة تحديد النسل) ، وله دورا هاما في مواجهة حركة تحديد النسل في باكستان .

(١) تفهيم القرآن ج ٢ ص ٦١٢ ، حاشية رقم (٣٠) .

ب - تحريم الزنا ودواعيه : ويقول في تفسير قوله تعالى " ولا تقرهوا

الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا " (١) وهذا الخطاب موجه الى كل فرد من أفراد المجتمع الاسلامي ، بل الى المجتمع الاسلامي كله ، والبراد من هذا الحكم للفرد المسلم انه لا يكفي له اجتناب الزنا فحسب ، بل لابد له من أن يجتنب فقد ماتهاود واقصها أيضا ، وأما المجتمع الاسلامي . لابد له ان يهتم بالقضاء على واقف الزنا واسبابها ، اهتماما كاملا ، ويأخذ كافة الاجراءات كالتعليم والقانون وتنظيم النظام العائلي والاصلاح الاجتماعي للقضاء عليها وجدير بالذكر أن هذا البند جعل أساسا للنظام العائلي الاسلامي فيما بعد فأصبح الزنا والقذف جريمتان شنيعتان في المجتمع الاسلامي ، ونفذت تعليمات الحجاب واتخذت عدة اجراءات للقضاء على الفواحش والخمر والموسيقى والصور التي هي من مقدمات الزنا ، وكانت نتيجة هذه التعليمات والاجراءات أن أصبح النكاح ميسورا في المجتمع الاسلامي كما أصبح الزنا صعبا ومستحيلا (٢) .

يتبين مما يقول الاستاذ المودودي خلال تفسيره لهذه الآية الكريمة ان الزنا جريمة شنيعة جدا ، وأن الحكومة الاسلامية من واجبها ان تتخذ كافة الاجراءات للقضاء على هذه الجريمة الشنيعة ، ولهذا يرى الاستاذ المودودي أنه من البنود الأساسية للدستور الاسلامي ويجدر بنا ان نشير هنا ان الاستاذ قد تناول هذا الموضوع بالتفصيل خلال تفسيره للآية " الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر " (٣) ، وبين النواحي التشريعية والقانونية المختلفة لهذا الموضوع (٤) ، ونحن ذكرنا بعض هذه النواحي في هذه الرسالة (٥) .

(١) بنى اسرائيل : ٣٢ .

(٢) تفهيم القرآن ج ٢ ص ٦١٣ حاشية ٣٢ .

(٣) النور : ٢ .

(٤) انظر للتفصيل تفهيم القرآن ج ٣ ص ٣١٩-٣٤٣ .

(٥) انظر ص ٤٨٢-٤٨٨ لهذه الرسالة .

ج - حرمة قتل النفس : ويقول في تفسير قوله تعالى : " ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق " (١) ، والمراد من قتل النفس هو ليس قتل الغير فحسب بل يشمل قتل الذات أيضا ، لان النفس التي حرمها الله تشملها النفوس الانسانية كلها ، فلذا جريمة قتل الانسان نفسه لا تقل في شرافتها وشدتها من جريمة قتل الانسان غيره ، ومن الضلالات الانسانية الفكرية : انه يعتقد انه يملك نفسه ، فلذا يظن انه مختار للقيام على هلاك نفسه ، ولكن هذا ليس بصحيح ، والحقيقة ان النفس الانسانية لا يملكها الا الله سبحانه فلا يجوز للانسان ان يتصرف فيها اى تصرف ارادته المحضة فنحن يجب علينا ان نبذل جهودنا كلها لتحقيق الهدف الذي خلقنا الله لاجله ، وذلك مهما كانت الظروف فلذا لا يجوز للانسان ان يفكر في الهروب من هذه المسئولية الكبرى فكيف يجوز هذا الهروب بالطريق الذي حرمه الله تعالى ، والحقيقة ان هذا الهروب من مشاكل الحياة ومصائبها لا تكون نتيجتها الا الوقوع في الطامة الكبرى الاخرى في حياة الآخرة .

المراد من القتل بالحق : وقررت الشريعة الاسلامية فيما بعد أن القتل

بالحق لا يكون الا في الامور الآتية :

- (١) قتل العمد .
- (٢) المقاومة في طريق الدعوة الاسلامية .
- (٣) الخروج على الامام العادل .
- (٤) الزنا (اذا كان بعد الاحصان) .
- (٥) الارتداد (٢) .

(١) بنى اسرائيل : ٣٣ .

(٢) انظر تفهيم القرآن ج ٢ ص ٦١٤ حاشية ٣٥ .

فترى أن الاستاذ المودودي خلال تفسيره للاية الكريمة يبين الحكم الشرعي لجريمة قتل ويوضح: أن جريمة القتل يشملها قتل الغير وقتل النفس مما ، فشناعة هذه الجريمة تشمل كلاهما سوا ، والا سلام لا يسمح للقتل الا بالحق ، ويجعل من واجبات الحكومة الاسلامية ان تأخذ الاجراءات اللازمة لنفاذ الحدود في هذا الصدد ، وهذا ما يجعله ، كما يرى الاستاذ من مبادئ الدستور الاسلامي ، وهو لا يتفرد في تفسيره للاية بل اتفق المفسرون على كون هذا الحد من الحدود الاسلامية ثابتة الا ان الاستاذ يمتاز بابراره الناحية الدستورية للتفسير (١) .

حق طلب القصاص لاولياء المقتول :

ويقول في تفسير قوله " ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا " (٢) ، والمراد من السلطان هنا هو الحجة التي يمكن بها لاولياء المقتول ان يقوموا بطلب القصاص من القاتل ، ويفيد هذا البند من الدستور بان المدعى لا تكون الدولة أو سلطة من السلطات بل اولياء المقتول هم الذين يملكون الحق الكلي في هذه القضية ، وهم الذين يمكنهم ان يعفوا عن القاتل أو يرضوا بالدية او يطلبوا القصاص (٣) .

تحريم الاسراف في القتل والمراد منه :

والمراد من الاسراف في القتل هو الاخذ بالثار على من ليست له ائنة علاقة بالقتل ، أو قتل القاتل تعذيبا ، أو قتله بعد الاخذ بالدية عنه ، او تمثيل به بعد القتل .

(١) انظر للمقارنة الطبري ج ١ ص ١٥٨ : ٥٨ . الرازي ج ٢ ص ٢٠٠ ، ابن كثير ج ٢ ص ٣٩ ، الالوسي ج ١ ص ٦٩ ، في ظلال القرآن ج ٤ ص ٢٢٢٤ .
 (٢) بنى اسرائيل : ٣٣ .
 (٣) تفهيم القرآن ج ٢ ص ٦١٤ حاشية ٣٥ .

الحكم في القصاص من مهمة الحكومة الاسلامية ومحاكمها :

ان القيام بالحكم في القصاص هو ليس ما يتعلق بقبيلة المقتول او حلفائه بل في الحقيقة هذه هي مهمة الحكومة الاسلامية ومحاكمها ، ولا يجوز لاي فرد أو جماعة أن تقوم للانتقام من القاتل بل لابد من الرجوع الى الحكومة ومحاكمها (١) . وهذا تنتهي البنود المختلفة للشريعة الاسلامية فسيى جريمة القتل . وجد ير بالذكر ان الاستاذ قد تناول هذا الموضوع خلال تفسيره للآية الكريمة " يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتل " (٢) أيضا وفصل الكلام في نواحيه المختلفة .

الاهتمام بالمحافظة على مال اليتيم وحقوق الضعفاء :

ويقول في تفسير قوله تعالى " ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده " (٣) وهذا الحكم أيضا لم يكن حكما اخلاقيا فحسب ، بل حينما اقيمت الدولة الاسلامية بالمد ينفقا لمنورة فيما بعد اتخذت عدة اجراءات تشريعية وادارية للمحافظة على حقوق اليتامى فيمكننا ان نرى تفصيل هذه الاحكام في كتب الحديث والفقه ، وقد جعل هذا الحكم اساسا للقانون ان الدولة الاسلامية من واجبها ان تقوم بالمحافظة على حقوق من لا يقدر ان يقوم بالمحافظة عليها ، وهذا ما يؤيد قوله صلى الله عليه وسلم (أنامل من لا مولى له (٤) " (٥) .

يستنبط الاستاذ المودودي من قوله تعالى هذا ان الحكومة الاسلامية من واجبها أن تقوم بالمحافظة على حقوق كل من لا يقدر ان يهتم بالمحافظة

(١) تفهيم القرآن ج٢ ص ٦١٥ - اشية ٣٦ - ٣٧ .

(٢) تفهيم القرآن ج١ ص ١٣٧ - ١٣٩ .

(٣) بنى اسرائيل ٣٤ .

(٤) سنن أبي داود - كتاب الفرائض - باب في ميراث ذوى الأرحام .

(٥) تفهيم القرآن ج٢ ص ٦١٥ .

على حقوقه ولا سيما اليتامى ، وهذا ما يجعله بندا من البنود الأساسية
 للدستور الاسلامى ، وجدير بالذكر ان الاستاذ المودودى قد تناول هذا
 الموضوع فى مقدمته لسورة النساء (١) . وفى تفسيره للآية الكريمة " وابتلوا
 اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح " (٢) . وفى تفسيره لقوله تعالى " وما يتلوا
 عليكم فى الكتاب فويلقهم النساء التى لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكوهن
 والمستضعفين من الولدان وان تقوموا لليتامى بالقسط وما فعلوا من خير فان
 الله كان به عليما " (٣) ووضح نواحيه المختلفة (٤) .

الوفاء بالعهد أساسا لسياسة الحكومة الاسلامية الداخلية والخارجية :

ثم يقول فى تفسير قوله تعالى : " وأوفوا بالعهد ان العهد كان
 مسئولا " (٥) وهذا الحكم ايضا لم يكن حكما اخلاقيا فحسب بل حينما اقيمت
 الدولة الاسلامية فيما بعد ، قد جعل هذا الحكم اساسا لسياستها الداخلية
 والخارجية (٦) . والحقيقة ان تفسير المودودى لقوله تعالى هذا مع كونه
 شديد الاختصار ركيزة اساسية لما تكون عليه سياسة الحكومة الاسلامية ففى
 شئونها الخارجية والداخلية فلذا يشمل البنود الأساسية للدستور الاسلامى
 وهذا ما يشير اليه قول النبى صلى الله عليه وسلم (من كان بينه وبين قوم عهد
 فلا يشد عقده ولا يهلها حتى ينقض أمدها ، أو يئذ اليهم على سوا^(٧) وجدير
 بالذكر ان الاستاذ المودودى قد تناول هذا الموضوع خلال تفسيره لقوله
 تعالى " واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سوا " ، ان الله لا يحب

(١) تفهيم القرآن ج١ ص ٣١٧ .

(٢) النساء : ٦ .

(٣) النساء : ١٢٧ .

(٤) تفهيم القرآن ج١ ص ٣٢٣ ، (٤٠) .

(٥) بنو اسرائيل : ٣٤ .

(٦) تفهيم القرآن ج٢ ص ٦٦٥ .

(٧) سنن أبى داؤد - كتاب الجهاد - باب الامام يكون بينه وبين العدو
 عهد فيفسر اليه .

الخائنين " (١) ، وفصل الكلام في نواحيه المختلفة (٢) .

الوفاء بالكيل والميزان :

ويقول في تفسيره لقوله تعالى " وأوفوا الكيل اذا كلتموزنوا بالقسطاس المستقيم ، ذلك خير وأحسن تأويلا " (٣) ، وهذا الحكم لم تكن دائرته محدودة الى المعاملات الفردية فحسب ، بل حينما أقيمت الحكومة الاسلامية فيما بعد ، قرر من واجبها أن تقوم بالمراقبة على المكائيل والموازين في الاسواق وان تأخذ الاجراءات للقضاء على التطفيف . وجدير بالذكير ان هذا الحكم فيما بعد جعل اساسا للقانون الآخر ، وهو ان الحكومة الاسلامية من واجبها أن تأخذ الاجراءات اللازمة للقضاء على الغش ونقض العهد في التجارة والمعاملات " (٤) .

ثم يقول في تفسير قوله تعالى " ذلك خير وأحسن تأويلا " والمراد منه كونه خيرا في الدنيا وخيرا في الآخرة ، فأما كونه خيرا في الدنيا فذلك لانه يزيد في الاعتماد والثقة بين البائع والمشتري وهذا ما يؤدي الى رفع مستوى التجارة والنهضة العامة ، وأما كونه خيرا في الآخرة فهذا لكونه سببا لمخافة الله ومرضاته (٥) . فيتبين من هذا التفسير للأية الكريمة ان الحكومة الاسلامية من واجبها ان تقوم بالمراقبة على الكيل والوزن في الاسواق وتأخذ الاجراءات اللازمة للقضاء على التطفيف والغش ونقض العهد ، وهذا ما يجمله أحدا من البنود الاساسية للدستور الاسلامي .

(١) الانفال : ٥٨ .

(٢) تفهيم القرآن ج ٢ ص ١٥٣ .

(٣) بنى اسرائيل : ٣٥ .

(٤) تفهيم القرآن ج ٢ ص ٦١٦ حاشية ٤٠ .

حرمة اتباع الظن في دوائر الحياة المختلفة :

ويقول في تفسير قوله تعالى " ولا تقف ما ليس لك به علم ، ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً " (١) . والمراد من هذا البند للدستور الاسلامي هو ان المسلمين لا يجوز لهم ان يتبعوا الظن في الامور التي تتعلق بحياتهم الفردية والاجتماعية بل عليهم ان يجتنبوا الحكم فسي أية معاملة الا اذا كان عندهم العلم بها ، وهذا البند تتسع دائرته لسي كل ناحية من نواحي الحياة الفردية والاجتماعية ابتداءً من العقائد الى النظام الاخلاقي والنظام التشريعي والنظام السياسي ، والنظام الاداري والنظام التعليمي والدوائر الاخرى المختلفة فكان من فضل هذا البند ان المسلمين فرداً ومجتمعاً قد حفظهم الله من الوقوع في الضلالات الفكرية والعملية التي يقع الانسان فيها من اتباع الظن ، فالنظام الاخلاقي الاسلامي مثلاً ، فقرر فيه أن يجتنب المسلم الظن واليهتان والتخمين ، والنظام التشريعي ، فقرر فيه أن لا تكون المؤاخذه على الشك ، وهكذا قرر في التحقيق والتفتيش أنه لا يجوز للشرطة ان تمسك احداً وتسجنه الا بعد ثبوت الجريمة ، وقرر في السياسة الخارجية للدولة الاسلامية أنه لا يجوز لها أن تأخذ اية اجراءات ضد الحكومات الاخرى الا بعد التحقيق الكامل ، هكذا النظام التعليمي الاسلامي لا يسمح للحكومة ان تهتم بتدريس الفلسفات التي تقوم عمارتها على الظن والتخمين ، وهكذا قرر في العقائد والايمانيات بان المسلم لا يجوز له أن يؤمن بعقيدة مالم تكن ثابتة من الكتاب والسنة " (٢) .

ويأتى الاستاذ المودودي هنا بالتفسير التشريعي للآية ويستنبط منها عدة احكام وقوانين لدوائر الحياة المختلفة ، وهكذا يثبت كونها احداً من

(١) بنى اسرائيل : ٣٦ .

(٢) تفهيم القرآن ج ٢ ص ٦١٦ .

الهنود الاساسية للدستور الاسلامي ، وهذا ما يميز به تفسيره هذا . وجد ير بالذكر ان الاستاذ المودودي نراه يتناول هذا الموضوع خلال تفسيره للآية الكريمة " يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنياً فتبينوا ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين " (١) . وفي تفسيره لقوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً " (٢) ، ويفصل الكلام فيه عن النواحي المختلفة (٣) .

حرمة اختيار طريق الجبارين والمتكبرين :

ويقول في تفسير قوله تعالى " ولا تمش في الارض مرحاً انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا " (٤) والمراد منه بأن المسلم يجب عليه أن يجتنب طريق الجبارين والمتكبرين ، وهذا الحكم ايضاً يشمل الحياة الفردية والاجتماعية معاً ، وكان من فضل هذا الحكم ان الدولة الاسلامية التي اقيمت على هذا الدستور فيما بعد في المدينة المنورة ، لم تكن فيها اية علامة الكبر في حياة الخليفة أو الولاة او قادة الجيش في لباسهم وسكنهم وخدماتهم ، بل كانت حياتهم الشخصية والرسمية بكاملها مثل حياة عامة المسلمين ، وكانوا يقومون بالمحافظة على هذا المنهج في حياتهم حتى بعد الفتح والثراء (٥) .

وبعد ما ذكرنا هنا ما يقول الاستاذ المودودي في تفسيره من الآية ٢٣ الى الآية ٣٨ من سورة بنى اسرائيل ، يجد ربنا ان نأتى هنا بموجز المزايا التي يمتاز بها تفسيره لهذه الآيات الكريمة ، وذلك لكي نتمكن من تعيين مكانة هذا التفسير واليك موجز هذه المزايا :

-
- (١) الحجرات : ٦ .
 - (٢) المرجع السابق .
 - (٣) انظر للتفصيل تفهيم القرآن ج ٥ ص : ٧٣-٧٨ .
 - (٤) بنى اسرائيل : ٣٧ .
 - (٥) تفهيم القرآن ج ٢ ص ٤٣ حاشية ٤٣ .

أولا : ان تفسير الاستاذ المودودي لهذه الآيات الكريمة مع انه لا يشير الى المراجع والمصادر يمتاز بالجمع بين الرواية والدراسة .

ثانيا : يتبين من تفسير الاستاذ المودودي للآيات الكريمة بان هذه الآيات قد انزلها الله مقدمة لرسالة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة الى المدينة المنورة ولذلك تضم البنود الأساسية لدستور الدولة الإسلامية التي كانت اقامتها مهمة النبي صلى الله عليه وسلم بمسجد هجرته الى المدينة المنورة .

ثالثا : يمتاز الاستاذ المودودي باهتمامه بالجانب التشريعي للآيات الكريمة ولا استنباطه منها عدة بنود اساسية لدستور الاسلام وذلك مستشهدا بدستور الدولة الإسلامية التي اقامها النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة ، وبهذا يتمكن من الثبوت بكون القرآن والسنة مصدرين أساسيين للدستور الاسلامي من ناحية ومن الرد على من ظن ان الدين لا يشمل الا المقائد والاخلاقيات او من اعتقد في فصل الدين عن الدولة او من قال ان الاسلام ليس فيه حل للمشكلة الدستورية في عصر الحديث من ناحية أخرى .

رابعا : ان الاسلوب الذي اختاره الاستاذ المودودي لبيان هذه البنود الدستورية هو ليس اسلوب الكتب الفقهية او الكتب القانونية الذي لا يفهمه الا الذي لديه الخبرة في الفقه والقانون بل هو اسلوب سهل جذاب يفهمه كل من يراجع تفسيره لهذه الآيات الكريمة .

خامسا : اذا قرأنا التفاسير الأخرى قد يما وحديثا واهتمنا بالمقارنة بين تفهيم القرآن وبين تلك التفاسير ، لرأينا أن الاستاذ المودودي يتميز بالاهتمام بالتفسير التشريعي للآيات واما المفسرون الآخرون فاكفى اكثرهم ببيان النواحي التفسيرية الأخرى وذلك ما عدا الشبه

سيد قطب الذي يهتم بالجانب الاجتماعي ايضا ، ولكنه لم يهتم
بالجانب التشريعي (١) .

وجملة القول ان اقامة الحكومة الاسلامية على أسس الكتاب والسنة
كان لاهميتها البالغة ان اهتم الاستاذ المودودي بهذا الموضوع بصفة
خاصة خلال تفسيره للآيات الكريمة كما ركز على بيان الجوانب المختلفة
لنظام الاسلامي وهو تناول هذا الموضوع وفصل الكلام فيه خلال تفسيره
للآيات الواردة فيه فسي المواقع المختلفة في القرآن الكريم ولولا ضيق المجال
لنقلنا بعض النماذج بهذا الصدد ، ولكن موضوعنا لا يسمح لبيان هذه
التفاصيل فنكتفي بما نقلناه ، فضلا عن هذا قد تناول الاستاذ المودودي هذا
الموضوع في عدة الكتب منها :

- (١) الدولة الاسلامية .
- (٢) كيف تقام الحكومة الاسلامية .
- (٣) مفاهيم اسلامية حول الدين والدولة .
- (٤) الخلافة والملك .
- (٥) نظرية اسلام السياسة .
- (٦) نظام الحياة في الاسلام .
- (٧) الشريعة الاسلامية وطرق تنفيذها في باكستان .
- (٨) نظرية الاسلام وهديته .
- (٩) الجهاد في الاسلام .
- (١٠) الجهاد في سبيل الله .
- (١١) اساس الاقتصاد بين الاسلام والنظم المعاصرة .

(١) انظر للمقارنة الطبري ج١ ص ٤٦-٦٣ ، روح المعاني ج٥ ص ٥٢ الى
٧٢ ، ابن كثير ج٣ ص ٣٤ الى ٤٠ ، الرازي ج٢٠ ص ١٨٤-٢١٢ ، في
ظلال القرآن ج٤ ص ٢٢١٨-٢٢٢٨ .

(١٢) الربا .

(١٣) الاسلام ومعضلات الاقتصاد .

(١٤) الحجاب

(١٥) حركة تحديد النسل

(١٦) حقوق الزوجين .

(١٧) الحضارة الاسلامية اساسها ومبادئها .

وقد تعرضنا لذكر بعض هذه الكتب في هذه الرسالة

خلال حديثنا عن مؤلفات الاستاذ المودودي .

...

قصص الأنبياء في القرآن تمثل موكب الإيمان في طريقه الممتد الواصل الطويل

” يرد لقصص في القرآن في مواضع ومناسبات ، وهذه المناسبات التي يساندها القصص من أجلها هي التي تمد سائر القصص ، واللغة التي تعرض منها ، والصورة التي تأتي عليها ، والطريقة التي تؤدي بها ، تنسيقاً للجو الروحي والفكري والفني الذي تعرض فيه . وبذلك تؤدي دورها الموضوعي ، وتحمو غايتها النفسية ، وتأتي إيقاعها المطلوب .“

والقرآن كتاب دعوة ، ودستور نظام ، ونهاج حياة ، لا كتاب رواية ولا تسلية ، ولا تاريخ ، وفي سائر الدعوة بحسب القصص المختارة ، بالقدر وبالطريقة التي تناسب الجو وإياد ، وتحمو جمال الفني الصاوم ، الذي لا يعتمد على الظهور والتزيين ولكن يعتمد على ابتداء العزم ، وقوة الجود ، وجمال الأدار .

وقصص الأنبياء في القرآن تمثل موكب الإيمان في طريقه الممتد الواصل الطويل ، ويعرض قصة الدعوة والهدى واستجابة إلهية لها هيلاً بعد جميل ، كما يعرض طبيعة الإيمان في نفوس هذه النخبة المختارة من البشر ، وطبيعة تصورهم للعلاقة بينهم وبين ربهم الذي خصهم بهذا الفضل العظيم ، وتتبع لهذا الموكب الكريم في طريقة اللعب بفيض على القلب ضحى ونورا وشفافية ، ويشعر بنفاثة هذا العنصر العزيز - عنصر الإيمان - وأصلته في اليهود - كذلك يكشف عن حقيقة تصور الإيمان ويميزه في لمس من سائر التصورات الدخيلة .“

_____ (الشهيد سيد قطب - في ظلال القرآن مجلد أول صفح ٥٥)

منهج الأستاذ المودودي لدراسة القصص الواردة في

القران الكريم

اهتم الأستاذ المودودي بصفة خاصة بالقصص الواردة في القرآن الكريم وذلك لابراز هدف القصة وبيان حكمة تكرار القصة الواحدة او اجزائها في المواضع المختلفة وبيان العلاقة بين القصص وبين مرحلة الدعوة التي نزلت فيها وتوجيه الدعاة نحو الاستفادة من القصة . ومن المعلوم ان القرآن الكريم قد وردت فيه عديد من قصص الانبياء السابقين والامم السابقة ولكن القرآن الكريم لا يذكر هذه القصص بالاسلوب الذي تسرد فيه القصص عادة بل نسرى أن جزءاً من القصة ذكر في هذه السورة وجزءاً آخر ورد في سورة أخرى حتى نرى أن بعضها ذكر في موضع في سورة وبعضها في موضع آخر في نفس السورة . وهكذا نرى ان بعضها نزل في مرحلة للدعوة الاسلامية ونزل بعضها في مرحلة أخرى ، وذلك لان الهدف من هذه القصص لم يكن بيان القصة في معناها المعروف بل قد وردت كل قصة او جزء من اجزائها في القرآن الكريم وفقاً لمتطلبات مرحلة من مراحل الحركة الاسلامية ومقتضياتها وقد ذكر في كل مرحلة من مراحل الحركة الاسلامية جزء من القصة الذي تقتضى ظروف هذه المرحلة نزوله ، ولا يمكن الوصول الى المراد الصحيح للآيات التي وردت فيها قصة او جزء من اجزائها الا اذا عرف القارى ظروف الحركة الاسلامية حين نزولها والعلاقة بينها وبين متطلبات الحركة الاسلامية في تلك المرحلة .

والاستاذ المودودي خلال تفسيره للآيات التي وردت فيها هذه القصص يعنى بصفة خاصة ببيان هذه النواحي للقصة ليفهم القارى فهمًا صحيحًا لهذه الآيات ويهتدى به خلال عله في مجال الدعوة . والآن نذكر هنا بعض

ثم يقول الأستاذان مستمرا في حديثه فيهم:

• هكذا كان حالهم الديني حين شرف الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة بقدومه اليها ودعا اليهود الى العقيدة الصحيحة والى هذا يرجع السبب في أن أكثر من ثلث هذه السورة موجهة الى بنى اسرائيل حيث سادت السورة آياته النقد لتاريخهم وانحطاطهم الخلقى وضلالهم وانحرافهم الدينى كما عرضت الاخلاقيات الرفيعة السامية ومبادئ الدين النقى العميقة الجوهرية لكي توضح في جلاء كيف يسقط قوم نبي من أنبياء الله حين ينحرفون عن منهجه ولكن تفرق بغطوط بينة واضحة بين التقوى الصادقة الحقيقية وبين التمسك بالتقاليد الاسلامية وكذلك بين أسس الدين الحقيقى وبين ما ليس كذلك (١) .

وهكذا في تقديمه لسورة البقرة يذكر الأستاذان المودودى والأوضاع التى كانت فيها الحركة الاسلامية بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة حيث واجهت الحركة اليهود مع مؤامراتهم ضد الحركة وبين حالتهم الدينية والأخلاقية والاجتماعية ويشير الى الأسباب التى تمود اليها مخالفتهم للحركة الاسلامية مع أنهم كانوا يتظاهرون بالامان بالتوحيد والرسالة والأخرة أى المبادئ الأساسية للاسلام ، وكانوا يعترفون بما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم حق المعرفة ولكن مع ذلك كانوا يقاومون الحركة الاسلامية بكل ما فى وسعهم ، ثم يبين الأستاذان العلاقة بين هذه الأوضاع وبين ما أنزله الله فى السورة من تاريخ اليهود الطويل حسب مقتضيات الحركة الاسلامية ومتطلباتها آنذاك .

(١) المرجع السابق ج ١ ص ٤٧ .

هذا وسعد أن يذكر الأستان المودودي هذه الخلفية في مقدمته
 للسورة يشير الى علاقة كل من هذه القصص مع المرحلة التي كان فيها الحركة
 الاسلامية آنذاك ، ويبين حكمة ايراد هذه القصة بالتفصيل قبل بداية تفسيره
 للآيات التي وردت فيها القصة ، فمثلا وردت القصص والحوادث من تاريخ
 بنى اسرائيل من الآية (٤٠) الى الآية (١٢١) من سورة البقرة . فالاستاذ
 المودودي بعد ما ذكر عنهم ما ذكر في مقدمة السورة راي مناسب ان يتكلم
 عن حكمة ايراد هذه القصة بالتفصيل ويشير الى العلاقة بين هذه المرحلة
 للحركة الاسلامية وبين هذه القصص من تاريخ بنى اسرائيل قبل بداية تفسيره
 لهذه الآيات الكريمة فيقول :

” ولكن نفهم هذا الخطاب فهما تاما علينا ان نضع في اذهاننا عدة

نقاط هامة وهى :

أولا : ان هذا الحديث يهدف الى دعوة اتباع الانبياء السابقين (اليهود
 والنصارى) الذين كانوا لا يزالون في عجز عن اصلاح انفسهم الى فهم رسالة
 محمد صلى الله عليه وسلم وقبولها ولهذا فقد اخبرهم الله فيه بان رسالة
 القرآن هى عين رسالة الكتب التي نزلت على الانبياء السابقين وان مهمة
 محمد صلى الله عليه وسلم هى نفس مهمة من سبقه من الانبياء فكان هذا الخطاب
 يقصد أن يقول لهم : (لقد اسندت اليكم هذه المهمة اول الامر لكي تنفذوها
 وتدعوا العالم لقبولها والايمان بها لكنكم طرهتم هداية الله وتدلتم السبيل
 اعطاق الانحطاط وما تاريخ امكم الماضى وانحطاطها الخلقى والدينى الراهن
 الا غير شاهد عليكم وها هو عبد آخر من عباد الله ارسله بنفس الرسالة ولتنفيذ
 نفس المهمة ايضا . وليس في هذا شىء قريب أو جديد عليكم فينبغى ان
 تعارضوا الحق وانتم تعلمونه وخير لكم ان تؤمنوا به وتعاونوا مع من يؤمنون
 بنفس ما ارسل اليكم من قبل) .

ثانياً : كذلك يرمى هذا الخطاب الى مناقشة اليهود والبرهنة على فسادهم وكشف انحطاطهم الدينى والخلقى . لذا نرى آياته تثبت اثباتاً قاطعاً خطأ موقفهم من الاسلام حين كانوا يمارضونه مع انهم كانوا يعترفون فى نفس الوقت بأن مبادئه وأسسها هما بالفعل عين مبادئ دينهم وان القرآن ليس فيه ما يخالف التوراة او يمارض تعاليمها من حيث المبدأ .

كما ان هذا الخطاب يبين أيضاً أن اليهود فشلوا تماماً فى اتباع ما اعطاهم الله من هداية واخفقوا كل الاخفاق فى القيام بمسئوليات وواجبات الزعامة التى اسندت اليهم . ولا ثبات لهذا سيمت حوادث من تاريخهم وقصصهم لا يستطيعون لها انكاراً او رفضاً .

وفوق هذا فالخطاب يفضح المؤامرات التى كانوا يحيكونها والريب والمزاعم التى كانوا ينسجونها ويريدون منها والحجج والبراهين التى كانوا يقدمونها والمكائد التى كانوا يدبرونها لينالوا من مهمة النبى صلى الله عليه وسلم ويشوهوا رسالته رغم تيقنهم من انها رسالة منزلة من عند الله .

وقد فضح هذا الخطاب ايضا ادعاءهم بالتقوى والايمان ووضح على انه ايمان يعوزه الاخلاص وتنقصه الاستقامة وان الدافع وراءه عنادهم وعبادتهم لا هوائهم واثبت بما لا يدع ادى مجال للشك انهم لا يريدون الخير ان يزيدوا ويمم حقا .

كل هذا أدى دوره المألوف واثرتاثيره المرغوب اذا فتح اعين العناصر الطيبة من اليهود وقضى على الكبرياء الروحية التى كانت تستحوذ على عقول زعماء اليهود الدينيين فى المدينة وما حولها الى جانب انه استولى الخوف والفرع على قلوبهم لافتتاح امرهم فلم يتجاسروا على معارضة الاسلام فى صراحة وشجاعة .

ثالثا : في الآيات التي سبقت هذا الخطاب دعيت البشرية للإيمان بالهداية الألفية ثم اختير بنو إسرائيل بعد ذلك كشال لا يوضح النتائج المرتبة على نبت هذه الهداية بعيدا .

وسبب اختيار بنى إسرائيل نموذجا هو أنهم الأمة الوحيدة التي يعتبر تاريخها خلال أربعة الاف سنة الأخيرة درسا وعبرة حية لكل أم عالم ان تبدو في روايته كافة الارتفاعات والانخفاضات والارتقاقات والتنزلات التي تنجم وفق هداية الله أو نبتها والتكر لها .

رابعا : رغم ان هذا الخطاب موجه الى اليهود بذاتهم الا انه قصد به كذلك تحذير المسلمين من الوقوع فيما وقع فيه أتباع الأنبياء السابقين وهذا هو سبب اشارة القرآن فيه الى انحطاطات اليهود الخلقية وايراد تصوراتهم المستفريسة وأفكارهم الخاطئة من الدين وذكر طرقهم الضالة في التفكير واساليبهم الساقطة في العيش والحياة واحدة واحدة الى جانب تقرير مطالب الدين الحق ومقتضياته كي يتمكن المسلمون من رؤية الصراط المستقيم في جلاء ويتعدوا عن الطسرق المرجاء الأخرى .

وينبغى للمسلمين حين يقرأون ما ورد في هذا الخطاب من مثالب وانحرافات الا يفقلوا عن ما رواه ابوسعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال صلى الله عليه وسلم : (لتبعن سنن من كان قبلكم شبرا شبرا وذراعا ذراعا حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟) (١) .

ولم يكن هذا الحديث من باب التوبيخ فحسب بل كان النبي صلى الله عليه وسلم على بصيرة من الله أى السبل التي يشارق منها الانحراف الى أمم الانبياء عليهم السلام وفي اى الاشكال التي يظهر بها هذا الانحراف كما كان

(١) صحيح البخارى — كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة — باب لتبعن سنن من كان قبلكم .

يعلم ان المسلمين سيتبنون نفع الخطى التي أُشير اليها في هذا الخطاب شيئاً
فشيئاً فحذرهم من ذلك . (١) .

وهكذا قبل بداية تفسيره للآيات الكريمة التي وردت فيها قصص من تاريخ
بنى اسرائيل يعتنى الأستاذ المودودي ببيان حكمة ايراد هذه القصص في السياق
الذي هي وردت في سورة البقرة ، ويبين العلاقة بين هذه القصص وبين المرحلة
التي كانت فيها الحركة الاسلامية انذاك ، وفي هذا الصدد يقول الاستاذ
المودودي :

بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة الى المدينة
المنورة دخلت الحركة الاسلامية في مرحلة جديدة فكانت الحركة الاسلامية حتمياً
الان تواجه مقاومة كفار مكة ومن حولها ، فالقرآن المنزل خلال هذه المرحلة ،
كان وفقاً لمتطلبات الحركة الاسلامية في هذه المراحل ، وهذا ما نجد في السور
التي نزلت بمكة المكرمة ولكن بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة
المنورة دخلت الحركة الاسلامية في مرحلة كانت تختلف عن المراحل السابقة
فواجهت الحركة الاسلامية هناك عنصراً جديداً وهم اليهود الذين كانوا يصرفسون
ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ولكن مع ذلك قاموا بمقاومة الحركة الاسلامية
بكل ما في وسعهم فكان من الضروري أن يبين الله سبحانه بالصراحة موقف الحركة
الاسلامية تجاه اليهود فانزل الله سبحانه هذه الآيات ليبين هذا الموقف
فذكر الله فيها عدد من القصص عن تاريخ بنى اسرائيل وذلك لتحقيق عدد من
الاهداف من بينها ما يأتي :

أولاً : اقامة الحجج على اليهود وذلك ببيان ان الدعوة التي جاء بها النبي
صلى الله عليه وسلم هي نفع الدعوة التي جاء بها موسى عليه السلام ولهذا يجدر بهم

(١) تفهيم القرآن ج ١ ص ٧٠-٧١ .

أن يؤمنوا به صلى الله عليه وسلم بل يكونوا أول المؤمنين به صلى الله عليه وسلم .
ثانياً : لسيين الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه
 ان انكار اليهود للدعوة لم يكن جديدا بل يشهد تاريخهم الطويل انه كلما
 جاءهم نبي من الله سبحانه قاموا بتكذيبه وتعذيبه حتى قتلوا بعض الأنبياء
 عليهم السلام . فلهذا انكارهم للنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن امرا مستغربا
 وجديدا .

ثالثاً : ليخبر الله سبحانه عن التحريفات التي جاء بها علماء اليهود
 والنصارى في التوراة والانجيل مع بيان الاهداف التي قام هؤلاء الناس على
 هذه التحريفات لاجلها ، وذلك لكي يعرف الناس كيف كان يلعب هؤلاء الناس
 بدين الله وكتابه .

رابعاً : لانقاذ أهل المدينة ومن حولها من سيطرة تقديسهم الظالم هري
 وذلك بكشف حالتهم الأخلاقية والدينية الأصلية وبكشف الغطاء عن وجوههم
 الأصلية ليرى الناس اعماق الانحطاط التي وقع فيها خاصتهم وعامتهم .

خامساً : ومن الأهداف الأخرى لا يراد هذه القصص من تاريخ بني
 اسرائيل في هذا السياق توجيه المسلمين للاعتصام بالاسلام والتمسك بتعليماته
 وتحذيرهم من الوقوع فيما وقع فيه اليهود بتركهم سبيل الرشاد والهداية فكان
 من الضروري ان ينبههم القرآن عن الأسباب التي جرتهم الى هذا الانحطاط الخلق
 والديني وعن النتائج اللازمة لوقوعهم في هذا الانحطاط .

وهكذا نرى ان الاستاذ المودودي خلال تفسيره للآيات التي وردت فيها
 قصة أو جزء من أجزائها كان يعتنى ببيان العلاقة بين هذه القصة وبين المرحلة
 التي كانت فيها الحركة الاسلامية حين نزلت هذه القصة . وهذا ما يستطيع به
 القارى أن يفهم المراد الصحيح لهذه الآيات الكريمة ومقتضياتها كما ان هذا

ما يمكنه له أن يستفيد من هذه القصص خلال عمله في مجال الدعوة الإسلامية.

— بيان حكمة إيراد قصة أصحاب الكهف وقصة الخضر عليه السلام وقصة نوح والقرنين :

ومن القصص الواردة في القرآن الكريم قصة أصحاب الكهف وقصة الخضر عليه السلام وقصة نوح والقرنين التي وردت في سورة الكهف ومن المعلوم أن سورة الكهف نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم بمكة المكرمة حينما كانت الحركة الإسلامية في مواجهة المقاومة الشديدة من قبل كفار مكة المكرمة الذين قد بدأوا استخدام كل وسائل الأضطهاد والظلم والتعدي والاضطهاد الاقتصادي للقضاء على الحركة الإسلامية وكان من متطلبات هذه المرحلة أن ينزل الله على النبي صلى الله عليه وسلم ما يهتدى به المسلمون لمواجهة تلك الأوضاع القاسية فقد أنزل الله هذه القصص ليبين لهم من خلالها كيف يواجهون هذه المقاومة الشديدة وكيف يعطون في هذه الأوضاع القاسية فالاستاذ المودودي ، لكونه الداعية الحكيم ، يعنى بمصفا خاصة ببيان الأوضاع التي كانت فيها الحركة الإسلامية آنذاك لبيان حكمة إيراد هذه القصص في تلك الأوضاع مع بيان العلاقة بين هذه القصص وبين تلك المرحلة للحركة الإسلامية وذلك في تقديمه لسورة الكهف ، واليك نص بعض ما قاله الاستاذ بهذا الصدد ، فيقول الاستاذ عن المرحلة التي كانت فيها الحركة الإسلامية حينما نزلت هذه القصص :

" تبدأ بهذه السورة سلسلة السور التي نزلت في المرحلة الثالثة من العهد المكي ونحن نقسم العهد المكي إلى أربع فترات وأكبرها فصلنا القول فيها في مقدمة سورة الأنعام (١) ، والدور الثالث حسب تقسيمنا هذا يبدأ مع بداية المصاحف الخامس للهمئة ويستمر حتى العام العاشر تقريبا ، والسمة البارزة التي يتميز

بها هذا الدور — يقول الأستاذ المودودي* هو قيام كفار مكة بمقاومة الحركة الإسلامية بسلاح الظلم والعنف والأيذاء والتعدى والضغط الاقتصادى حتى اضطرت عدد كبير من المسلمين للهجرة الى الحبشة وانحصر بقيتهم وفيهم النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته فى شعب أبي طالب وقوطعوا مقاطعاً اقتصادية واجتماعية تامة* (١) .

كانت هذه هى الأوضاع التى كانت الحركة الإسلامية فيها حينما أنزل الله سبحانه هذه القصص على نبيه صلى الله عليه وسلم رداً على أسئلة قريش التى جاءها بها بمشورة أهل الكتاب احتجاجاً لكونه صلى الله عليه وسلم نبياً أم لا . فأنزل الله هذه القصص رداً على أسئلتهم هذه وتطبيقاً على الأوضاع التى كانت الحركة الإسلامية تواجهها انذاك فبين الأستاذ المودودى العلاقة بين هذه القصص وبين هذه المرحلة للحركة الإسلامية كالتالى :

العلاقة بين قصة أصحاب الكهف وبين هذه المرحلة للحركة الإسلامية :

بين الله سبحانه للكفار خلال قصة أصحاب الكهف انهم كانوا يؤمنون بنفس التوحيد الذى يعرضه القرآن الكريم ويدعو اليه وان حالهم وحال قومهم لم يكن مختلفاً عن حال القلة المسلمة المضطهدة بمكة . حال كفار قريش ثم لقن المؤمنين درساً عن طريق القصة ان المؤمن عليه الا يضعف او ينهزم امام الباطل ولو طغت عليه غلبة الكفار واصبح مطارداً فى المجتمع الظالم لا يقدر على شئ* حتى ولا يتنفس بل عليه ان يفربد يه متوكلاً على الله* (٢) .

(١) تفهيم القرآن ج ٣ ص ٦٠

(٢) المرجع السابق ج ٣ ص ٧٠

ثم يقول الاستاذ مستمرا في حديثه : " ثم يتحدث الله سبحانه ، عن طريق قصة اصحاب الكهف عن الظلم والشناعات التي كان يرتكها زعماء مكة ومترفوها ضد الجماعة الاسلامية الصغيرة فيها وفي هذا الصدد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الا يصلح هؤلاء الظالمين ولا يهتم بهم هؤلاء الأکابر العظام بل يصبر نفسه مع صحابته الفقراء ، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى نصح اولئك الرؤساء والزعماء الا ينكبوا على زيننا لحياتنا الدنيا القصيرة الفانية بل على العكس يرغبوا في الباقيات الصالحات وينشدوا الخيرات الدائمة الأبدية" (١) .

فترى هنا ان الأستاذ المودودي قبل بداية تفسيره لقصة أصحاب الكهف يمتنى ببيان الاوضاع التي كانت فيها الحركة الاسلامية حينما نزلت هذه القصة ويبين في هذا الصدد بان نزول قصة أصحاب الكهف كان حينما دخلت الحركة الاسلامية في مرحلتها الثالثة التي قد بدأ الكفار فيها مقاومة الحركة بالمنف والظلم والعدوان والشدة . فالحركة الاسلامية في مرحلتها الثانية كان يقاومها الكفار بالسخرية والاستهزاء والتشنيع واشاعة الأباطيل والا كان يب ولكن اذا لاحظ الكفار والمشركون فشلهم في مقاومة الحركة الاسلامية بهذه الأساليب قرروا أن يقاوموا هذه الحركة بالمنف والشدة والظلم والاضطهاد وهذه كانت المرحلة الثالثة للحركة التي استمرت لخمس سنوات فكان من متطلبات هذه المرحلة للحركة الاسلامية ان ينزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم ما يهتدى به اصحابه لمواجهة هذه الاوضاع القاسية فنزل الله سبحانه قصة أصحاب الكهف ليهد بهم الى ما كان من مقتضيات هذه الحركة في هذه المرحلة .

ثم يعتنى الأستاذ ببيان التوجيهات الربانية التي تتضمنها قصة أصحاب الكهف لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهي :

اولا : مهما تكن الأوضاع فلا بد للداعية ان يواجه المقومات والتحديات بالصبر والصمود . كما يتبين من عمل أصحاب الكهف في مواجهة مقاومة قومهم .

وثانيا : اذا لم يبق هناك مجال للاستمرار في الدعوة في بلدهم فمن متطلبات الدعوة ان يتركوا وطنهم ويهاجروا في سبيل الله كما عمل اصحاب الكهف بعد ما لم يبق لهم مجال للاستمرار في عمل الدعوة فكان لهذه التوجيهات الربانية ان هاجر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى الحبشة او الى المدينة المنورة فيما بعد .

وهدير بالذكر أن بعد بيان العلاقة بين قصة أصحاب الكهف وبين مرحلة الحركة الاسلامية التي أنزلها الله فيها بين الاستاذ العلاقة بين قصتي خضر عليه السلام وذو القرنين وبين تلك المرحلة للحركة الاسلامية ولولا ضيق المجال هنا لذكرنا ما قاله الاستاذ في هذا الصدد فنكتفي بالاشارة اليه .

وهذه النماذج يتبين منها أسلوب الأستاذ المودودي في بيان حكمة ايراد القصص القرآنية وبيان علاقة هذه القصص مع مراحل الحركة الاسلامية التي انزلها الله فيها وذلك لكي يستطيع القارىء أن يفهم هذه القصص في ضوء تلك الأوضاع ويهتدى بها خلال عمله في مجال الدعوة ولو اتسع لنا المجال لذكرنا هنا بعض النماذج الأخرى لهذا الأسلوب للأستاذ المودودي فنكتفي بنقل هذه النماذج للاشارة الى ما كتبه الأستاذ المودودي من هذه الناحية خلال تفسيره للقرآن الكريم .

وهناك سؤال آخر نخالجه أذهان الناس، القرآن أنى بالأئمة على الذين
اختلفوا بعد أن جاءهم الهدى من الله تعالى، وتفرقوا في الدين،
هذا في جانب وفي الجانب الآخر توجد خلافات في تفسير أحكام القرآن
وتأويلها، لا بين المتأخرين فحسب، بل بين التابعين ومن تبسّمهم
حتى بين الصحابة أنفسهم، إلى درجة أنك لا تجد آية من
آيات القرآن اتفق المفسرون على قول واحد في تفسيرها
أليس هؤلاء يستحقون نفس اللوم الذي ورد في القرآن؟
إذا كان الجواب لا، فأى اختلاف وأي فرقة تلك التي ينكرها
القرآن و ينهى بالأئمة على أصحابها.

هذه قضية متشعبة كثيرة الجوانب لا يجدر بنا في هذا
المقام أن نتناولها بالبحث المبسط. وحلا لما يساور ذهن
عامة الناس من التعقيد يكفى الإشارة أن القرآن لا يمنع
الخلاف التزيه البناء الذي يقع بين القائميين على تفسير الأحكام
والقوانين، بناء على دراساتهم الجدية المخلصة، بينما هم
يلتصون فيما يرجع إلى أصل الدين ويتفقون فيما يتعلق بنظام الجماعة الإسلامية.
أما الخلاف الذي يذمه القرآن، فهو الذي نشأ من نفوس ذات
هوى وعقول معوجة، وانتهى به الطاف إلى التكلل والطائفية المقوتة
والنزاع الداخلي وهذان الخلافان لا يتجانسان في أصلها، ولا
يتشابهان في نتائجهما فكيف نحمك عليهما بحكم واحد.

للكاتب والوالد
المؤروروى

مشيخ الاستاذ المودودي في دراسة آيات الاحكام

سلك الاستاذ المودودي سلكا معيناً في تحقيق المسائل الفقهية
 خلال تفسير الآيات الكريمة التي تتحدث عن الأحكام حيث نجده يستعرض
 اقوال الفقهاء وآراءهم ثم ينتهي الى قول راجح مع إبراز أدلة الرجحان
 هذا أحيانا ، وأحيانا أخرى نراه ينقل اقوال الفقهاء وآراءهم بدون الحكم
 والترجيح فيما بينها وذلك لكي يرجح القارىء نفسه بعضها على البعض
 واليك بعض النماذج لهذا الاسلوب للاستاذ المودودي :

الاهتمام بالمقارنة والترجيح بين المذاهب الفقهية :

في تفسير قوله سبحانه (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما
 مائة جلدة) (١) بعدما يتكلم الاستاذ المودودي عن العديد من المسائل
 في التفسير يعنى ببيان الاحكام الفقهية التي استنبطها منه الفقهاء ويقارن
 بينها ويرجح بعضها على البعض مع بيان وجوه الترجيح والنماذج الأتية
 تدل على ذلك :

تعريف الزنا في المذاهب الفقهية المختلفة :

فمثلا يقول عن تعريف الزنا في المذاهب الفقهية المختلفة : " وهناك
 خلاف بين الفقهاء في تعريف الزنا فهو عند الحنفية وط * الرجل المرأة في
 القبل في غير الملك وشبه الملك " (٢) وبموجب هذا التعريف يخرج الوط * فسي
 الدبر وعمل قوم لوط وأتيان البهيمة عن ماهية الزنا الموجب للحد ، ويقتصر
 اطلاقه على أن يوطأ الرجل المرأة في قبلها بدون أن يكون له عليها

(١) العور : ٠٢

(٢) ابن همام - فتح القدير ج ٥ ص ٢٤٧

حق شرعى من نكاح أو ملك يمين أو شبهته كوطء الرجل جارية ابنه .

وهو عند الشافعية " ايلاج الذكربفج محرم لعينه خال عن الشبهة مشتبهى طبيما " (١) ، وهو عند المالكية " وطء مكلف مسلم فرج آدمى لا ملك له فيه باتفاق تمدا " (٢) .

وموجب هذين التعريفين يدخل عمل قوم لوط تحت طهية الزنا ولكن الصحيح حسبنا نرى ان هذين التعريفين لا يتفقان مع المعنى المعروف للزنا ، لان القرآن يستعمل الالفاظ فى معناها المعروف المتداول ، الا اذا جمعل لفظ من الالفاظ اصطلاحا خاصا له ، ولكنه على هذا الوجه لا يتركه بغير أن يبين مفهومه الذى يريد بهذا الاصطلاح ، وليس هناك من القرائن ما يوجب ان يكون القرآن قد استعمل لفظ الزنا فى هذه الآية فى معنى خاص غير معناه المعروف ، فيجب ان يكون مقصورة على وطء المرأة على الطريق الفطرى بلا حق ولا يتسع للطرق الاخرى لقضاء الشهوة ، فضلا عن هذا قد اختلف الصحابة فى حكم عمل قوم لوط وعقوبته (٣) ، ولو كانوا يعدونه فى الزنا حسب الاصطلاح الشرعى لما وجدنا بينهم اى خلاف فى حكمه " (٤) .

وبهذا يستوعب الاستاذ ما جاء من اقوال ائمة الفقه فى تعريف الزنا بل انه يتخير اشهر تعريف فى كل مذهب وهذا لا يكون الا بعد تحصيل ودقسة وقراءة واسعة وبعد ما يذكر المذاهب الفقهية المختلفة فى تعريف الزنا ، يهتم الاستاذ المودودى بالمقارنة بين هذه المذاهب ، واخيرا يرجع المذهب الذى هو اقواها وانسبها فى رأيه ، ويؤيد رأيه هذا بالادلة القوية منها :

-
- (١) محمد بن ابي العباس : نهاية المحتاج الى شرح المنهاج ج ٧ ص ٤٢٢-٤٢٣ .
 (٢) الخرشى على مختصر سيدى خليل ج ٨ ص ٧٥ .
 (٣) انظر ابن الاثير الجزرى : جامع الاصول فى احاديث الرسول ج ٣ ص ٥٤٩ .
 (٤) تفهيم القرآن ج ٣ ص ٣٢٨ .

أن القرآن لا يستعمل الالفاظ الا فى معناها المعروف ، وذلك ما عدا
 الاصطلاحات الخاصة له ، ومنها اختلاف الصحابة فى حكم عمل قوم لوط ، وقد
 روى عن ابن عباس رضى الله عنه ان عليا رضى الله عنه احرقهما وابابكر
 رضى الله عنه هدم عليهما حائطا (١) " وبهذا يثبت الاستاذ ان التعريف
 الصحيح للزنا هو ما ذهب اليه الحنفية .

٢- الشروط اللازمة لاعتبار الزنا جريمة مستلزمة للحد :

ويقول فى بيان الشروط اللازمة لاعتبار الزنا جريمة مستلزمة للحد :
 " لا يحكم على أحد ذكر أو أنثى باقتراح الزنا واستحقاق العقوبة الا اذا وجد
 فيه بعض الشروط اللازمة . والشروط للزنا المحض تختلف عن الشروط للزنا
 بعد الاحسان ، والذي عليه اتفاق الفقهاء فى الزنا المحض أن يكون
 الجانى عاقلا بالغاً (٢) فاذا اقترف الزنا مجنون او صبي ، لا يقام عليه
 الحد ، واما الشروط الاخرى التى لا بد من استيفائها فى الحكم على أحد
 بالزنا بعد الاحسان فضلا عن شرطى العقل والبلوغ فهى كالاتى :

اولا : ان يكون الجانى حرا ، واتفق الفقهاء عليه (٣) .

وثانيا : ان يكون الجانى متزوجا بنكاح صحيح واتفق الفقهاء عليه (٤) . ثم

بعد ذلك يبين الاستاذ الشرط الثالث ويذكر اختلاف الفقهاء فيه ويرجع
 الرأى الذى هو اقوى وأنسب فى نظره فيقول :

(١) نقلا عن ابن الاثير الجزرى - جامع الاصول فى احاديث الرسول ج ٣

ص ٥٥٠ .

(٢) انظر يحيى بن محمد بن هبيرة - كتاب الافصاح عن معانى الصحاح ج ٢

ص ٢٣٣ .

(٣) انظر المرجع السابق ج ٢ ص : ٢٣٣ .

(٤) انظر المرجع السابق ج ٢ ص : ٢٣٣ .

(٥) انظر تفهيم القرآن ج ٣ ص ٣٢٩ .

" ثالث هذه الشروط ان لا يكون الجاني قد عقد زواجه فحسب ، بل يكون قد تمتع بالدخول الصحيح على زوجته بعد زواجه ، وذلك لان مجرد عقد النكاح لا يجعل المرء محصنا ولا المرأة محصنة حتى يقام عليهما حد الرجم اذا ارتكبا الزنا ، وهذا الشرط ايضا قد اتفق عليه اكثر الفقهاء (١) . وأضاف ابو حنيفة ومحمد رحمهما الله شرطا آخر وهو ان يكون الزوجان عند الدخول حرين بالغين عاقلين (٢) وثمرة الخلاف ان الرجل اذا كان قد عقد زواجه مع امرأة كانت أمة أو مجنونة أو غير بالغة لا يقام عليه حد الرجم ولو كان قد تمتع بهما بالدخول الصحيح وكذلك ان المرأة اذا كان عقد زواجها مع عبد أو مجنون أو غير بالغ لا يقام عليها حد الرجم ، ولو كانت تمتعت به بالدخول الصحيح وهذا الشرط الذي يضافه هذان الامامان بعد نظرهما اذا تأمنا فيه وجدناه في غاية من العدل والمعقولة " (٣) .

وبهذا نرى ان الاستاذ المودودي يذكر اتفاق الفقهاء على كون الدخول الصحيح بعد النكاح شرطا لجعل المرء محصنا او المرأة محصنة حتى يقام عليهما حد الرجم اذا ارتكبا الزنا ، ثم يذكر ما اضاف اليه الامام ابو حنيفة والامام محمد في هذا الشرط ، وهو ان يكون الزوجان عند الدخول حرين بالغين عاقلين . ثم يرجح الاستاذ رأيهما هذا ، والحقيقة أننا اذا فكرنا في رأيهما هذا لا نتفقنا مع الاستاذ في ترجيحه لذلك الرأي وذلك لكونه في غاية العدل والمعقولة لان الدخول الصحيح لا يمكن التمتع به الا اذا كان الزوجان كلاهما حرين بالغين وعاقلين ، وانما كان أحدهما مجنونا أو غير بالغ أو عبدا لا يمكن للأخر أن يتمتع بالدخول به تمتعا صحيحا

(١) انظر يحيى محمد بن هبيرة - كتاب الافصاح عن معاني الصحاح ج ٢

ص ٢٣٣ .

(٢) انظر الزيلعي - تبين الحقائق - شرح كنز الدقائق ج ٣ ص ١٨٢ .

(٣) تفهيم القرآن ج ٣ ص ٣٢٩ حاشية رقم ٢ (١٠) .

فكيف يمكن ان ان يقام عليه حد الرجم ، فهو لا ينطبق عليه شرط التمتع الصحيح من الزواج .

٣ - حكم الاكراه في ارتكاب جريمة الزنا :

ويقول في حكم الاكراه في ارتكاب جريمة الزنا انه من اللازم للحكم بالجريمة على من ارتكب الزنا أن يكون ارتكاب هذه الجريمة بارادته من غير اكراه ، فمن أكره على ارتكابه فليس بجان ولا يستحق العقوبة . وفي هذا الباب لا تنطبق قاعدة الشريعة العامة ان الانسان برىء من تبعه ما أكره عليه فحسب بل القرآن نفسه يحلن في آخر سورة النور (١) العفو عن الاماء اللاتي أكرهن على الزنا . وقد ثبت بخير واحدة من ا وايات ان الرجل الذي اقيم عليه الحد اذا زنى بامرأة وتركت المرأة (٢) . ثم يذكر الاستاذ روايتين في تاييده اولاهما : عن وائل بن حجر أن امرأة خرجت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم - تريد الصلاة ، فتلقاها رجل فتجللها ففرض حاجته منها فصاحت فانطلق ، مرت بحصاة من المهاجرين فقالت : " ان ذلك الرجل فعل بسى كذا وكذا فانطلقوا فاخذوا الرجل الذي ظننت انه وقع عليها فاتوا به فقالت نعم هو هذا ، فاتوا به رسول الله فلما امر به ليرجم قام صاحبها الذي وقع عليها فقال يا رسول الله انا صاحبها فقال لها ان هبى فقد غفر الله لك وقال للرجل قولا حسنا وقال للرجل الذي وقع عليها ارجموه " (٣) .

وثانيتها : عن نافع مولى ابن عمر (ان صفية بنت ابي عبيد اخبرته ان عبدا من رقيق الامارة وقع على وليدة من الخمس ، فاستكرهها حتى اقتضها فجلده عشر الحد ونفاه ، ولم يجلد لها من اجل انه استكرهها (٤) .

(١) (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة

الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكرههن غفور رحيم) النور / ٣٣ .

(٢) تفهيم القرآن ج ٣ ص ٣٣٠ - ٣٣١ .

(٣) سنن الترمذى - كتاب الحدود باب في المرأة اذا استكرهت على الزنا .

(٤) صحيح البخارى - كتاب الاكراه - باب اذا استكرهت المرأة على الزنا فلا حد عليها .

ثم يقول : " بناءً على هذه الشواهد لا خلاف في الشريعة الاسلامية فسوى شأن المرأة ولكن الخلاف في كون الاكراه معتبرا في شأن الرجل فيقول ابو يوسف (١) ومحمد (٢) والشافعي (٣) والحسن (٤) بن صالح رحمهم الله ان الرجل اذا اكره لا يقام عليه الحد ويقول زفر (٥) رحمه الله : يقام لانه لا يمكن ان يأتي الرجل بفعله الزنا الا بالانتشار والانتشار دليل على الشهوة التي حملته على اتيانها ، ويقول ابو حنيفة (٦) : ان اكرهه السلطان أي الحكومة او حاكم من حكامها لا يقام عليه الحد لان الحكومة ان كانت هي نفسها تكره الناس على ارتكاب الزنا ، فمن يبقى له الحق في اقامة الحدود عليهم وانا اكرهه غير سلطان ، او احد غير الحكومة يقام عليه الحد لانه لا يمكن ان يرتكب الزنا بدون شهوة ، ولا يمكن ان يجد في نفسه الشهوة بالاكراه فالقول الاول من هذه الاقوال هو الاصح عندنا لان الانتشار وان كان دليلا على الشهوة ولكنه ليس بدليل قاطع على الطوع والرضا ، ولنفرض ان ظالمنا يحبس رجلا مع امرأة شابة جميلة عارية ولا يتركه حتى يزني بها ، ثم اذا ارتكبا الزنا في مثل هذه الحال يأتي عليهما باربعة شهداء ويقدمها الى المحكمة فهل من العدل ان تقيم المحكمة الحد على الرجل بدون نظر في عذره؟ ومن الممكن عقلا وعادة ان تحدث حوادث توجد فيها الشهوة بدون اختيار الرجل ورغبته وذلك كمثل رجل حبس ولم يوءت للشرب شيء غير الخمر فاذا شربها

(١) انظر الزيلعي ج ٣ ص ١٨٥ .

(٢) انظر المرجع السابق .

(٣) انظر اسحق ابراهيم بن علي بن يوسف - المذهب في فقه الامام الشافعي ج ٣ ص ٢٦٨ .

(٤) انظر امام ابي بكر احمد بن حنبل الرازي الجصاص - احكام القرآن ج ٥ ص ٩٩ .

(٥) انظر الزيلعي ج ٣ ص ١٨٤ .

(٦) انظر المرجع السابق ص ١٨٥ .

المسكين فهل تعاقبه المحكمة لانه ما كان من الممكن ان يتجرع الخمر
الا بارادته وقصده وان كانت حالته حالة الاضطرار والاكراه هو الحق ان مجرد
وجود الارادة لا يكفي في تحقيق الجريمة بل لابد من الحرية مع الارادة فمن
وقع في حالة يضطر فيها الى ارادة الجريمة فهو غير مجرم قطعا في بعض
الاحيان وجريمته خفيفة في بعضها" (١) .

ان الاستاذ المودودي بعدما ذكر المذاهب الفقهية المختلفة
في حكم الاكراه ارتكاب جريمة الزنا يقارن بينها ويرجح المذهب الذي هو
أقوى وأنسب في رأيه ، وهو ما ذهب اليه الامام الشافعي والامام ابو يوسف
والامام محمد ويترك مذهب الامام ابي حنيفة ثم يأتي بالادلة القوية
في تأييد رأيه هذا ويثبت ان مذهب الامام الشافعي في حكم الاكراه في
جريمة الزنا هو اقوى وانسب من مذهب الامام ابي حنيفة وذلك مع كونه
حنفيا فيتبين من هذا ان الاستاذ المودودي كانت آراؤه الفقهية خالية
من التعصب المذهبي فهو لم يكن يؤيد مذهبها او يخالفه لتعصبه
المذهبي بل كان يؤيده او يخالفه حسب مكانته في ضوء الادلة من الكتاب
والسنة ولكونه صحيحا او غير صحيح في ضوء البراهين .

٤ - جريمة الزنا ليست قابلة للتراخي :

ويقول في حكم تراخي الناس فيما بينهم اذا رفع امر الزاني الى
المحكمة ، " ليست هذه الجريمة في الشريعة الاسلامية قابلة للتراخي فيما بين
الناس بانفسهم فقد ورد في كتب الحديث كلها تقريبا ان رجلا جاء الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال : " أنشد لك الله الا ما قضيت بيننا بكتاب الله

(١) تفهيم القرآن ج ٣ ص ٢٣٠ .

فقام خصمه وكان أفقه منه فقال : أقض بيننا بكتاب الله واثنن لى . قال :
 قل . قال : إن ابني هذا كان عسيقا على هذا ، فزنى بامرأته فافتديت
 منه بمائة شاة وخادم ، ثم سألت رجلا من أهل العلم فاخبرونى ان على ابني
 جلد مائة وتغريب عام . وعلى امرأته الرجم . فقال النبى - صلى الله عليه وسلم
 - والذى نفسى بيده لأقضين بينكما بكتاب الله جل ذكره ، المائة شاة
 والخادم رد . وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام واغد يا أنيس على امرأة هذا ،
 فان اعترفت فارجمها ، ففدا عليها فاعترفت فرجمها " (١) . فنصرف بذلك
 أن الشريعة الاسلامية لا مجال فيه لتراضى الناس فيما بينهم فى جريمة الزنا
 كما نصرف به فى نفس الوقت ان الشريعة الاسلامية لا مجال فيها للتمويه
 عن الاعراض بالفرامات المالية ، كالقوانين الغربية التى جاءت بتصورها
 لقيمة الاعراض القائم على الديوثية وقلة الحياء " (٢) .

ان الاستاذ المودودى خلال تفسيره لهذه الآية الكريمة يعتمدى
 باستنباط حكم فقهي هام وهو حكم التراضى بين الناس فى جريمة الزنا ، والحقيقة
 أن هذه المعاملة قد اصبحت مهمة جدا بعد ان جاءت الحضارة الغربية
 الاستعمارية بقوانينها التى تسمح للزاني ان يتراضى مع زوج المرأة التى هو
 زنى بها او مع ايها او مع ولى أمرها وهذا القانون فى الحقيقة يدل على
 الديوثية وقلة الحياء التى تتميز بها الحضارة الغربية ، فلهذا لا مجال له فى
 الشريعة الاسلامية الفراء التى تقوم بالمحافظة على عصمة النساء وعفتهم
 ولكن الحضارة الغربية ، لسيطرتها على البلاد الاسلامية اشرت فى قوانين
 البلاد الاسلامية اثرا عظيما حتى نرى ان كثيرا من البلاد الاسلامية قامت بتغيير

(١) صحيح البخارى - كتاب الحدود ، باب الاعتراف بالزنا .

(٢) تفهيم القرآن ج ٣ ص : ٣٣٢ .

الشريعة الاسلامية بهذه القوانين الغربية ، ومنها هذا القانون الذى قد بين الاستاذ المودودى انه غير اسلامى فى ضوء الحديث النبوى — فىمكننا ان نستنتج من هذا بان الاستاذ المودودى قد وفقه الله بالفهم الصحيح للنكات القانونية التشريعية العميقة ، وهذا ما يميز به تفسيره ، ولو اتسع لنا المجال لذكرنا هنا عدة من الامثلة لذلك .

ويقول فى تفسير قوله تعالى (للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر) (١) " ومن المعلوم ان علاقات الزوج وزوجته لا تستمر حارة على الدوام الا ان شريعة الله لا تسمح باستمرار العلاقات الفاسدة المتواترة دون تعدد يد لذا شرع الله فترة قصوى هي اربعة اشهر من الانفصال يعيش فيها الزوجان منفصلين فى الواقع دون اتصال او علاقات زوجية لكسهما يتظان زوجين من الناحية الشرعية وهذا ما يسمى " بالايلاء " فى الفقه الاسلامى وعليهما خلال هذه المدة ان يتصلحا او يفترقا بالرضا . والمعروف ان لكل ينال كل واحد منهما حرته فى الزواج من شخص آخر يناسبه .

ويرى فقهاء الحنفية (٢) والشافعية (٣) فى هذه الآية ان فترة الشهور الأربعة تنطبق فقط على الحالات التى يتم الانفصال فيها عن طريق الحلف اما ان ظل الزوجان منفصلين لاي فترة دون قسم فلا ينطبق عليهما هذا القانون وسندهم فى هذا الرأى الآية ذاتها (للذين يؤلون) فالايلاء هو الحلف اما المالكية (٤) فيرون ان هذه الفترة تنطبق على كل حالات الانفصال واثر عن ابن حنبل (٥) قول يؤيد هذا (٦) .

(١) البقرة ٢٢٦ .

(٢) الامام ابو بكر احمد بن علي الرازى الجصاص / احكام القران ج ٢ ص ٤٦ .

(٣) انظر يحيى بن محمد هبيرة - كتاب الافصاح عن معانى الصحاح ج ٢ ص : ١٦١-١٦٢ .

(٤) ابو عبد الله محمد بن احمد الانصارى القرطبي / الجامع لاحكام القران ج ٣ ص ١٠٦ .

(٥) انظر ابا محمد موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسى - الكافي فى فقه الامام احمد

(٦) تفهيم القرآن ج ١ ص ١٧٢ . حنبل ج ٣ ص : ٢٥٣-٢٥٤ .

فقرى هنا أن الأستاذ المودودى خلال تفسيره للآية الكريمة يكتفى بنقل
المذاهب الفقهية المختلفة بدون أن يعتنى بالمقارنة بينها او بترجيح هذا
على ذلك بل يترك على القارىء أن يهتم بالمقارنة بين هذه المذاهب المختلفة
ويرجح انسبها على الأخرى .

من كل ما سبق يتبين ان الاستاذ المودودى فى تفسيره لآيات الاحكام
يهتم ببيان الاحكام الفقهية التى استنبطها ائمة المذاهب الفقهية ثم يعتنى
بالمقارنة بين هذه المذاهب الفقهية المختلفة وبترجيح بعضها على البعض
وذلك فى ضوء الأدلة من الكتاب والسنة او البراهين العقلية القوية هذا احيانا
واحيانا اخوي يكتفى ببيان المذاهب الفقهية ويترك المقارنة والترجيح على
القارىء . واما المقارنة والترجيح فالامور التى يهتم بها الاستاذ المودودى
فيها كالاتى :

اولا : الاحكام الفقهية التى يستنبطها الأستاذ المودودى من آية من
آيات الاحكام فى ضوء الأحاديث الواردة والآراء الفقهية فى الموضوع يؤيدها
بالأدلة القوية هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يكون أسلوب الأستاذ فى بيان
هذه الاحكام اسلوبا جذابا وسهلا وهذا ما يسهل لطلاب القانون والشريعة
ان يستفيدوا منها .

ثانيا : المراجع التى يعتمد عليها الاستاذ المودودى لاستنباط هذه
الاحكام الفقهية هى الاحاديث الواردة فى الموضوع او النظائر القانونية فى
عهد النبوة او الخلفاء الراشدين او آراء الفقهاء فى القرنين الأول والثانى .
ثالثا : اهتمام الاستاذ بالمقارنة بين آراء الفقهاء الكبار يكون بطريقتين
أولاهما أنه يكتفى بنقل آرائهم مع الأدلة التى جاءوا بها ويترك الى القارىء

ان يرجح بعضها على البعض ، وثالثتهما ان الاستاذ نفسه يقوم بترجيح بعض من تلك الآراء الفقهية وذلك بالأدلة من القرآن والسنة او البراهين العقلية .

رابعاً : اجتنابه التعصب المذهبي في الحكم بين الآراء الفقهية فترى ان كونه حنفياً في مسلكه لا يجعله متعصباً في تأييد مسلكه بل في الحقيقة هو يؤيد مسلكاً او ينتقده في ضوء الأدلة من الكتاب والسنة والبراهين العقلية فمثلاً نراه يرجح رأى الامام الشافعى على رأى الامام أبى حنيفة في حكم الاكراه للرجل في جريمة الزنا .

وهذه هى بعض المزايا لاسلوب الاستاذ المودودى في تفسير آيات الاحكام حيث سلك معها مسلكاً معيناً يدل على علمه وسعة أفقه وكثرة مطالعته ودقة استنباطه وفقهه .

...

الاهتمام بالخرائط والصور للأماكن التي ورد ذكرها

في القرآن الكريم

من مزايا تفسير الأستاذ المودودي اهتمامه بالخرائط والصور
للأماكن التي ورد ذكرها في القرآن وطريقة الأستاذ المودودي في
الاستشهاد بالخرائط والصور خلال تفسيره انه يشرح كل من هذه
الخرائط والصور مع بيان موقعها الجغرافي وموجزها التاريخي مع ذكر
علاقتها مع الحادث الذي ورد فيه ذكرها . ومن المعلوم ان الخرائط
او الصور لها أهمية بالغة في فهم الحوادث التاريخية وتفصيلها وهذا
السبب اهتم بها الأستاذ المودودي اهتماما خاصا خلال تفسيره للآيات
الكريمة التي ورد فيها ذكر الأماكن المختلفة ولاهيتها بالغة قرر الأستاذ
المودودي بانه لا يقتصر على مطالعة كتب التاريخ أو الجغرافيا لاثبات هذه
الخرائط والصور بل برحلة خاصة الى ارض القرآن فكانت رحلته هذه
من ٣ نوفمبر ١٩٥٩م الى ٤ فبراير ١٩٦٠ (١) . وزار خلال رحلته هذه
الأماكن الواردة في القرآن الكريم التي تقع في المملكة العربية السعودية والمملكة
الاردنية الهاشمية وفلسطين وسوريا وجمهورية مصر العربية (٢) فيقول
الأستاذ عن رحلته هذه ردا على احد الاسئلة لاذاعة المملكة العربية
السعودية بجدة :

(١) طاصم الحداد - سفرنامه ارض القرآن ص ٢٩٠ ٢٤٨ .

(٢) المرجع السابق ص ١٢٤ .

" الهدف الأساسي من رحلتى هذه زيارة الأماكن التاريخية التي ورد ذكرها في القرآن الكريم أو كتب السيرة فاننى هذه الأيام أكتب تفسيراً للقرآن الكريم الذى سميته " تفهيم القرآن " وخلال تفسيري هذا قد وصلت الى النتيجة أن الانسان لا يمكن له أن يتمكن من معرفة هذه الأماكن معرفة صحيحة الا اذا رآها بعينه ، فقامت بهذه الرحلة " (١) .

وجدت بالذکر أن الأستاذ المودودي قبل قيامه بهذه الرحلة قد تمكن من قراءة أكثر ما كتب عن هذه الأماكن في اللغات المختلفة قديمة كانت أو حديثة ، وهذا كما أسلفنا كان اسلوبه الخاص للبحث والتحقيق (٢) .

وما يجدر الاشارة اليه أن الاستاذ المودودي لم يزل مستمرا فى قراءة هذه الكتب خلال رحلته ايضا (٣) . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان من طريقته خلال رحلته هذه انه كان يهتم بزيارة العلماء الذين كانت لهم خبرة خاصة في تاريخ العرب وجغرافيتها ، وكان يناقش معهم في الأماكن الواردة في القرآن الكريم كما يحكى لنا زميله في هذه الرحلة الاستاذ طاصم الحداد (٤) ، وذلك حرصا على اطلاقه على المعلومات الصحيحة لهذه الأماكن .

والآن يجدر بنا ان نذكر هنا بعض النماذج لهذه الجغرافيا والظهور .

مع بيان ما قاله الأستاذ المودودي شرحا لموقعها الجغرافي وموجزها التاريخي :

-
- (١) انظر طاصم الحداد : سفرنا من أرض القرآن ص ١٩٠ .
 - (٢) انظر ص ٣٣٥ من هذه الرسالة .
 - (٣) انظر طاصم الحداد - سفرنا من أرض القرآن ص ٧٧-١١٩ .
 - (٤) المرجع السابق ص ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٤٨ ، ٢٦٠ .

١- خريطة خروج بني اسرائيل من مصر:

وردت قصة موسى عليه السلام في سورة الأعراف من الآية رقم ١٠٣ الى الآية رقم ١٥٩، وذكر الله سبحانه فيها قصة مقابلة موسى عليه السلام مع فرعون ومناقشته معه وقصة خروج بني اسرائيل من مصر وغرق فرعون في البحر ونزول التوراة على سيدنا موسى عليه السلام ورفض بني اسرائيل من الدخول في فلسطين وتبنيهم في التيهة وغيرها كثير من الحوادث من تاريخ بني اسرائيل، فيرى الأستاذ ضروريا خلال تفسيره لهذه الآيات الكريمة ان يبين الأماكن التي وردت ذكرها في القصة، ثم يشرحها على هامش الخريطة بالموجز التاريخي لهذه الحوادث، فنحن نأتي هنا بصورة هذه الخريطة ونذكر الموجز التاريخي الذي جاء به الاستاذ المودودي في هامش الخريطة شرحا لكل من هذه الأماكن التاريخية فيقول:

- ١- جشن : . . . وهي المنطقة التي سكن فيها سيدنا يوسف عليه السلام بنو اسرائيل في مصر (١) .
- ٢- ممفس : هي كانت عاصمة مصر في عهد سيدنا يوسف عليه السلام (٢) .
- ٣- البحيرات المرة : هي بحيرات الماء المر وتقع على بعد عدة كيلومترات من قناة السويس . ولكن كانت متصلة مع البحر في الأزمنة القديمة (٣) .
- ٤- رمسيس : وهذا المكان قد خرج منه سيدنا موسى عليه السلام مع بني اسرائيل (٤) ثم التحق به قوافل أخرى لبني اسرائيل في الطريق

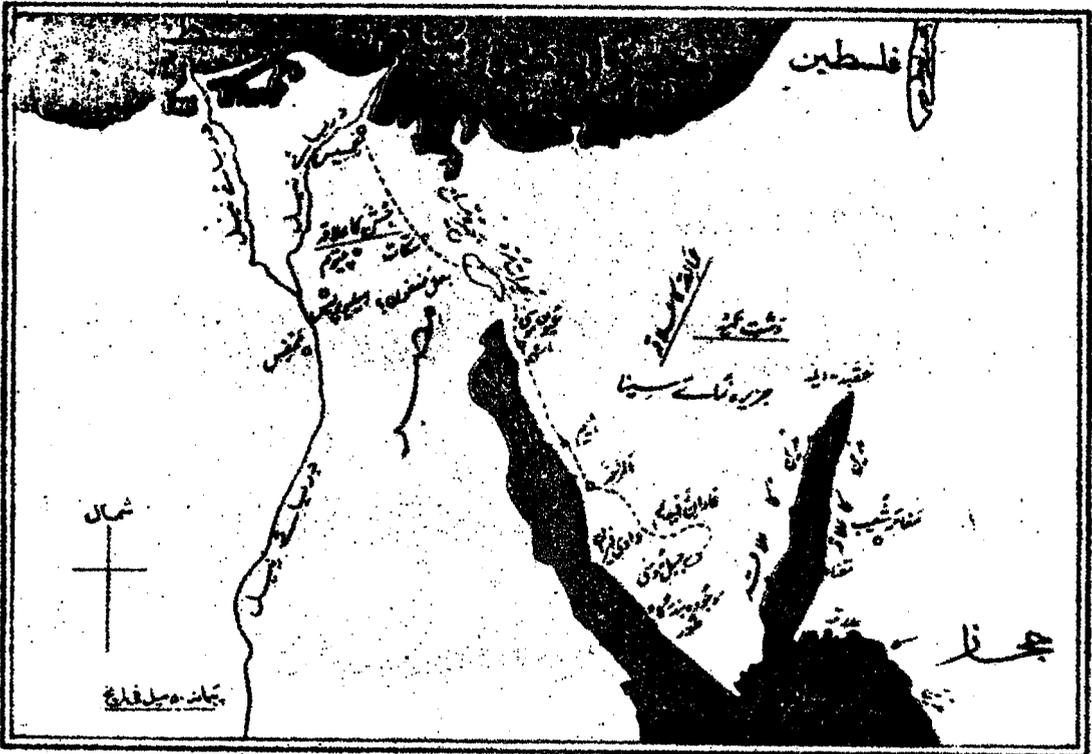
(١) انظر الكتاب المقدس - سفر التكوين - الفصل السابع والاربعون الفقرات

(٢) انظر نجيب فرنجية - الموسوعة العربية ص : ٢٣٧

(٣) انظر الكتاب المقدس - سفر الخروج - الفصل الرابع عشر - الفقرة : ١٠ .

(٤) المرجع السابق - سفر الخروج - الفصل الثاني عشر الفقرة ٣٧ .

نقشہ خروج بنی اسرائیل



نقشہ: بحر احمر کا علاقہ ہے جہاں مصر میں حضرت یوسف علیہ السلام نے بنی اسرائیل کو آباد کیا تھا۔
 نقشہ حضرت موسیٰ علیہ السلام کے زمانے میں مصر کا دارالسلطنت تھا۔
 ہجرت مکرہ: کل پانی کی وہ گھاٹیاں ہیں جو آج کو طبع سوئس سے قاسم پر واقع ہیں، مگر قدیم زمانے میں سندھ کا پانی ان سے جاتا تھا۔
 حضرت موسیٰ علیہ السلام نے بنی اسرائیل کو لے کر نیکے اور راستے میں بنی اسرائیل ہر طرف سے سخت کران سے اکر پلٹے پلٹے خانہ
 حضرت موسیٰ علیہ السلام کے صاف راستے سے سینا کی طرف جانا چاہتے ہیں گے، مگر ایک طرف مصر کی فوجی چھانڈیوں سے بچنے کی کوشش اور دوسری طرف
 فوجوں کے مقابلے نے ان کو اصل مقصد کے قریب لایا۔ یہاں غالباً انھوں نے ہجرت مکرہ کو کسی مقام سے عبور کیا اور میں فرعون شرقی ہوا۔
 حضرت موسیٰ اور بنی اسرائیل بارہ، اہیم، المرہ اور فاران تفریق کے واسطے اس مقام تک پہنچے۔ آج کل جبل موسیٰ کہتے ہیں اور جس کا
 قدیم نام سینا ہے، اسی کا نام طود بھی ہے اور اسی کی وادی کو وادی مقدس ملوئی کہا گیا ہے۔
 تمام فرعون وہ جگہ ہے جس کے متعلق آج تک جزیرہ نمک سینا کے لوگوں میں یہ روایت پائی جاتی ہے کہ اسی جگہ فرعون کی لاش پائی میں
 تیرتی تھتی لی تھی۔
 طور کے نام سے آج کل جو بندرگاہ جزیرہ نمک سے سینا میں پائی جاتی ہے، اس سے مراد کوہ طور نہیں ہے بلکہ یہ طور کی بندرگاہ ہے۔
 آخر اس علاقہ کے سرے پر ہے جس کا نام بائبل میں بیابان سینا لکھا ہے۔ یہیں تھے تین وسطی کا نزول شروع ہوا۔
 زیدیم کے قریب عرب کی وہ مشہور چٹان واقع ہے جس پر حضرت موسیٰ نے عصا مارا تھا اور بارہ پتے پھوٹ نکلے تھے۔
 دشت تینہ وہ علاقہ ہے جس میں بنی اسرائیل چالیس سال تک بھگتے رہے۔ تینہ کے معنی بھگتے کے ہیں۔ یہ لفظ قرآن کی آیت قاتلنا
 محرمنا علیہم و انما یجوزون سنۃ یتیمہم و ان فی الاثر من السنۃ سے ماخوذ ہے۔
 حقیقہ یا آیت، جس کا قدیم نام حینون جاہ تھا، وہ مقام ہے جہاں عام روایات کے مطابق اصحاب نسبت کا مشہور واقعہ پیش آیا۔

ولعل سيدنا موسى عليه السلام كان في السفر الى سيناء عن طريق الصحراء ولكن حذرا من معسكرات الجيش المصري وخوفا من تعاقب فرعون اضطر أن ينطلق عن طريق بعل ضفون (١) ومن هنا في رأي هـ سيدنا موسى عليه السلام البحيرات المرة مع بني اسرائيل ، وهنا أغرق الله فرعوناً ومن معه . فهذا ما أرى والعلم عند الله سبحانه .

ثم مرورا من العارة وايليم (وادي غرندي) والمرجة و (فاران رفيديم) وصل سيدنا موسى عليه السلام وبنوا اسرائيل جبل موسى الذي كانوا يسمونه بسيناء آنذاك (٢) ، والأسماء الأخرى التي تطلق عليه هي الطور والوادي المقدس طوى .

— حمام فرعون : هو الموقع الذي وجد فيه جسد فرعون بعد أن أغرقه الله في البحر . (٣)

وجد يربالذكران ميناء الطور التي تقع في شبه الجزيرة السيناء اليوم هي تختلف من جبل الطور الذي يسمونه جبل السيناء اليوم .

— المرجة : تقع في المنطقة التي تسميها التوراة " بصحراء السين " وهذا هو المكان الذي بدأ فيه نزول المن والسلوى على بني اسرائيل . (٤)

وأما رفيديم (فاران) فتقع بقربها الصخرة الشهيرة التي قد ضربها سيدنا موسى عليه السلام بحصاه فانفجرت منه اثنتا عشر مينا . (٥)

(١) انظر المرجع السابق - الفصل الرابع عشر والفصل الخامس عشر .

(٢) المرجع السابق - الفصل الخامس عشر والسادس عشر .

(٣) انظر المرجع السابق - الفصل الرابع عشر .

(٤) انظر المرجع السابق - الفصل السادس عشر .

(٥) انظر المرجع السابق - الفصل السابع عشر .

— وأما التيه وهى المنطقة التى تاه فيها بنو اسرائيل لمدة أربعين سنة لقوله تعالى (فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض) . (١)

والعقبة أو اليلة هو المكان الذى اسمه القديم حسيون جابر والذى حدثت فيها واقعة أصحاب السبت الشهيرة (٢) . فىستخدم الاستاذ هذه الخريطة ليبين الأماكن التى وردت ذكرها فى سورة الاعراف ، خلال قصة موسى عليه السلام ثم يشرحها فى هامش الخريطة مبينا موقعهم الجغرافى وموجزها التاريخى وهذا ما يتمكن به القارىء من فهم الحوادث الواردة فى هذه الآيات الكريمة من تاريخ بنى اسرائيل فهما جيـدا ، ويمكن له ان يتصور فى ضوء هذه الخريطة وهوامشها كيف تمكن سيدنا موسى عليه السلام من انقاذ أمته من احتلال فرعون الخاشم وكيف أغرق الله فرعون وقومه ، وماذا كانت كيفية سفرهم من مصر الى فلسطين مرورا من سيناء ، وماهى الحوادث التاريخية التى حدثت خلال سفرهم وهذا ما يزداد به القارىء فى علمه ومصرفته من ناحية وفى ايمانه ويقيننه من ناحية أخرى ، وهذا ما تتبين به مكانة هذه الخرائط فى فهم القرآن وتفهمه .

— قصة سيدنا صالح عليه السلام وصور مبانى ثمود :

وردت قصة سيدنا صالح عليه السلام فى سورة الشعراء (الآيات ١٤١-١٥٩) وخلال هذه القصة ذكر الله سبحانه عن مدنية ثمود الفاسدة (الآيات ١٤٤-١٤٩) فيقول سبحانه على لسان سيدنا صالح عليه السلام (أتركون فى ما ههنا آمنين . فى جنت وعميون . وزروع وتخل طلحها هضيم . وتحتون من الجبال بيوتا فرهين) (٣) . والأستاذ المودودى خلال

(١) سورة المائدة - ٢٦ .

(٢) تفهيم القرآن ج ٢ ص : ٦٦-٧٧ (هامش خريطة خروج بنى اسرائيل من مصر) .

(٣) سورة الشعراء - الآيات ١٤٦-١٤٩ .

تفسيره لهذه الآيات الكريمة يأتي بعدة صور لعماثر ثمود ولجبال مدائن والبهتر التي كانت تشرب منها ناقة سيدنا صالح عليه السلام ، ثم يتكلم عن مزايا مدعة ثمود فيقول : " ومن مزايا مدنتبة ثمود أنهم كانوا يبنون المباني الفخمة في الصخور كما كانت من مزايا عاد أنهم كانوا يبنون مباني ذات العمار الفخمة فلذلك يقول الله سبحانه عن عاد أنهم كانوا (ذات العمار) (١) ، ويقول عن ثمود (الذين جابوا الصخر بالواد) (٢) ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يشير القرآن الى ميزة أخرى لمدنتيتهم حيث يقول (تتخذون من سهولها قصورا) (٣) اي فضلا عن المباني الفخمة في الصخور كانوا يبنون القصور في السهول والبيادين ، وأما هدفهم من انشاء هذه المباني فهو ما يشير اليه القرآن في قوله (فرهين) اي لم تكن هناك حاجة خاصة لانشاء هذه المباني الفخمة ولكنهم كانوا يجعلونها ليفتخروا بها ويتكبروا بها ، وهذا من سمات المدنتية الفاسدة أن الفقراء لا يملكون ما يعيشون به ، وأما الاغنيا فبهم بعد ما بنوا لهم القصور يمتنون بانشاء المباني الفخمة ليفتخروا بها (٤) .

يذكر لنا الاستاذ المودودي هنا بعض مزايا المباني التي بناها ثمود وذلك شرحا لصور تلك المباني التي يأتي بها الاستاذ خلال تفسيره لهذه الآيات الكريمة فيبين الاستاذ المودودي ان المباني الفخمة في الجبال كانت فضلا عن القصور والعمائر الكبيرة التي بنوها في البيادين والسهول ولم يكن هناك أي هدف من انشاء هذه المباني الكبيرة الا ان يفتخروا بها ، وهذه

(١) الفجر الآية ٧ .

(٢) الفجر الآية ٩ .

(٣) سورة الأعراف - الآية ٧٤ .

(٤) تفهيم القرآن ج ٣ ص ٥٢٢ .

هى كانت حالتهم الاجتماعية حيثما بعث الله فيهم رسوله صالح عليه السلام
وأما حالتهم الدينية فيمكن لنا أن نتصور عنها بما أجابوا لدعوة صالح عليه
السلام بقولهم (انما أنت من المسحرين) (١) ، أى قيام نبي الله صالح
عليه السلام بالدعوة كان بسبب السحر فونظرة هؤلاء الفساق ، والحقيقة
أن الاهتمام بالظواهر والاهمال عن الباطن هى من سمات المدينة الفاسدة
وكما ظهرت هذه السمات فونمدينة قوم جعلتها فاسدة غير صالحة كعد نومة
ذلك القوم .

وبعد أن يبين لنا الاستاذ سمات حضارة ثمود الفاسدة ومزايا
مبانيهم الفخمة يذكر لنا حالة هذه المباني حينما زارها خلال
رحلته لأرض القرآن عام ١٩٥٩م فيقول : " وهذه المباني التى بناها
ثمود ، رأينا بعضها خلال رحلتنا لأرض القرآن فون ديسمبر ١٩٥٩م يوجد
بنا ان نأتى هنا ببعض الصور لتلك المباني الفخمة وتقع هذه المباني
الفخمة على بعد عدة كيلومترات من العلا التى كانوا يسمونها وادى القري
فون عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ومازال سكانها يسمونها الحجر
ومدائن صالح حتى يومنا هذا . وجد ير بالذكر ان منطقة العلا هى منطقة
خصبة وتوجد فيها عدد من العيون والحدائق ولكن منطقة الحجر هى
منطقة منحوسة وعدد سكانها قليل جدا ولا ينبت فيها شىء من الارض وهناك
عدة آبار ، أحدها كما يروى سكان المنطقة عن اباؤهم هى البئر التى كانت
تشرب منها الناقة التى قد اظهر الله على يد نبيه سيدنا صالح عليه السلام
وهذه البئر توجد اليوم داخل المعسكر التركى القديم ولا يوجد فيها الماء ،

(ونحن نأتى بصورتها هنا) ، وجد ير بالذكر اننا اذا دخلنا نحن فسوق هذه المنطقة رأينا جبالها متأثرة من الزلازل من اسفلها الى قمته ، وهذا ما يتبين من صورها التى نأتى بها هنا ، وتمتد هذه الجبال حوالى خمسون ميلا شرقا من ناحية خيبر ، ومن ثلاثين الى اربعين ميل شمالا فى داخل المملكة الاردنية الهاشمية . فيتبين من هذا أن المنطقة التى تأثرت من الزلازل والبراكين كانت تمتد من ثلاثمائة الى اربعمائة ميل طولاً وحوالى مائة ميل عرضاً (١) .

فترى هنا أن الأستان المودودى يبين لنا فى شرحه لصور الاماكن التى ورد ذكرها فى قصة قوم ثمود خلال تفسيره لهذه الآيات الكريمة ان آثار هذه الاماكن لم تزل موجودة حتى اليوم ، وهو زارها خلال رحلته لارض القرآن فى عام ١٩٥٩م وهناك ثلاثة من الآثار التى يشير اليها القرآن خلال هذه القصة وهى كالتى :

أولاً : مباني ثمود الفخمة التى يشير اليها قوله تعالى (ونفتحون من الجبال بيوتا فرحين) (٢) .

وثانياً : البئر التى كانت تشرب منها الناقة التى أظهرها الله معجزةً والتى يشير اليها قوله تعالى (قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم) (٣) .

وثالثاً : الجبال المتأثرة من الزلازل والبراكين التى يشير اليها قوله تعالى (فاخذهم العذاب) (٤) وقوله تعالى (فاخذتهم الصيحة مصبحين) (٥)

-
- (١) تفهيم القرآن ج٣ ص ٥٢٣ .
 - (٢) سورة الشعراء الآية ١٤٩ .
 - (٣) سورة الشعراء الآية ٥٥ .
 - (٤) سورة الشعراء الآية ١٥٨ .
 - (٥) سورة الحجر الآية ٨٣ .

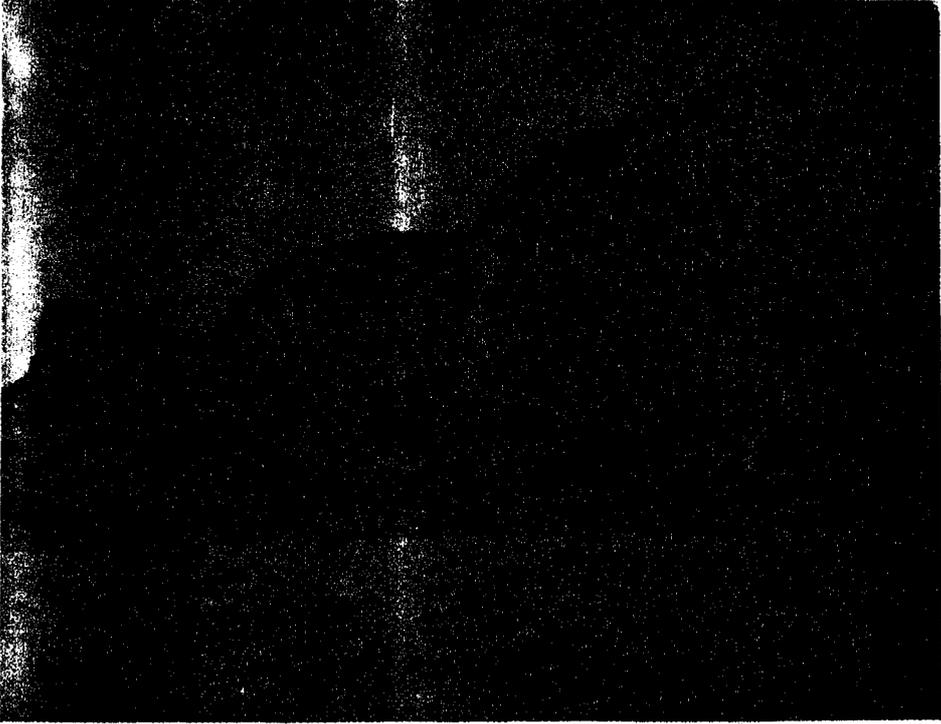
وقوله تعالى (انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر) (١) ،
والأستاذ المودودي يذكر هنا عن زيارته لكل من هذه الاثار ويقول ان مباني
ثمود الفخمة في الصخور لا تزال موجودة حتى الان وهكذا الحجر التي كانت
تشرب منها ناقة سيدنا صالح عليه السلام وكذلك الجبال التي تقع في هذه
المنطقة خبير شاهد على ظهور الزلازل والبراكين في المنطقة كما يغبرر
القرآن عنها . ثم يؤيد الأستاذ المودودي بيانه هذا بصور لكل هذه
الاثار وهذا ما يزيد الانسان ايمانا وطمأنينة ، كما يزيده علما ومعرفة
ويساعد في فهم ماورد في القرآن فهما جيدا وهذا هو الهدف الذي اهتم
الأستاذ المودودي لاجله بهذه الرحلة وبالاثان بهذه الصور فجزاه الله
أحسن الجزاء .

ثم يعنتى الأستاذ بالرد على اتهام بعض المستشرقين بأن
هذه المباني بناها النبطيون فلماذا يمان القرآن في كونها ثمودية ليس
بصحيح فيقول :

” وجدير بالذكر ان مباني ثمود التي رأيناها في الحجر مثلها بعض المباني
في المدن الواقعة على شاطئ خليج العقبة وفي اقليم البترا في المملكة
الاردنية الهاشمية وفي البترا توجد مباني ثمود هذه ومباني النبطيين جنبا
إلى جنب . والحقيقة ان هناك فرقا واضحا بين اسلوب مباني ثمود وبين
أسلوب مباني النبطيين حتى يمكن للإنسان أن يميز بين الأسلوبين من نظرة
واحدة . كما يمكن له ان يستنتج من هذا الفرق بين الأسلوبين أن مباني ثمود
ومباني النبطيين تختلف كل الاختلاف فيما بينها في اسلوب بنائها وفي زمن
انشائها (وهذا ما يتبين من الصور التي جئنا بها لهذه المباني وتلك

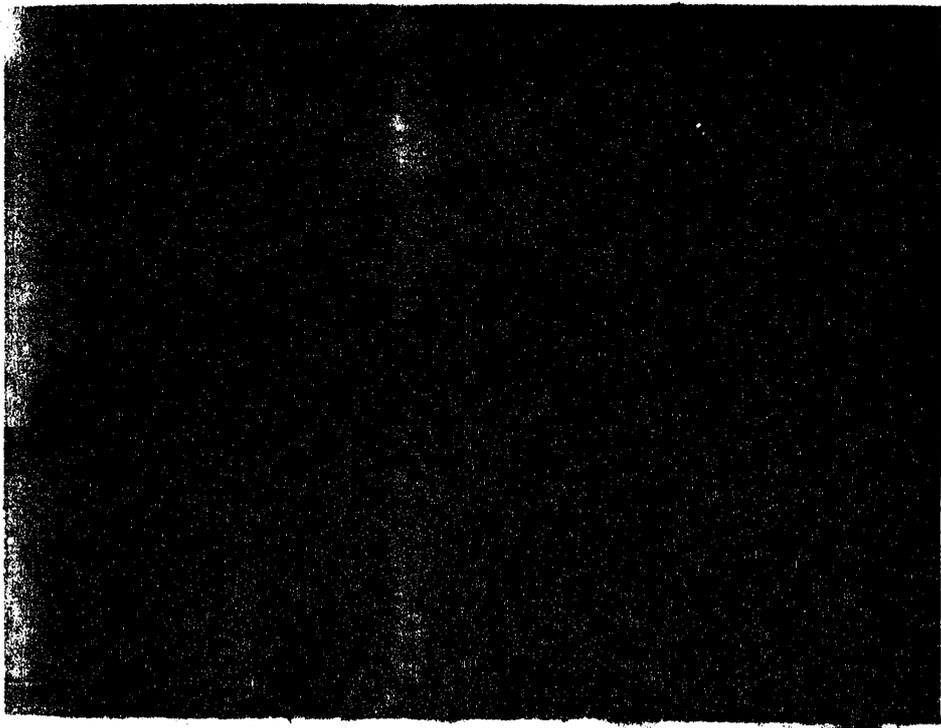
تفہیم القرآن ۳

العلاء کے پہاڑ



جبال العلاء

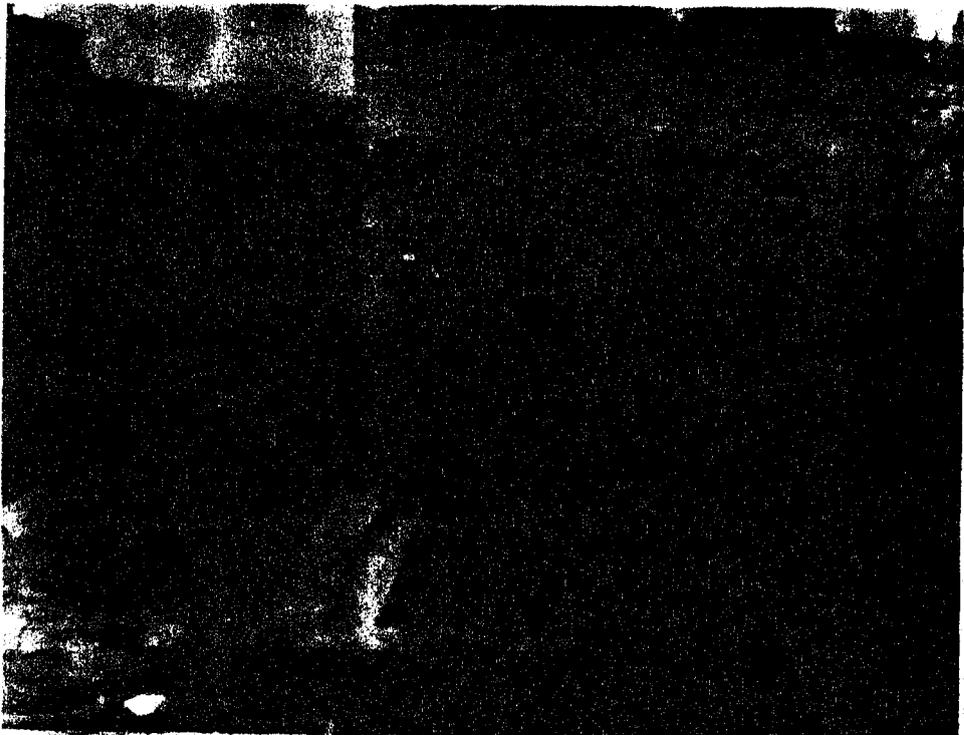
مدائن صالح کے پہاڑ



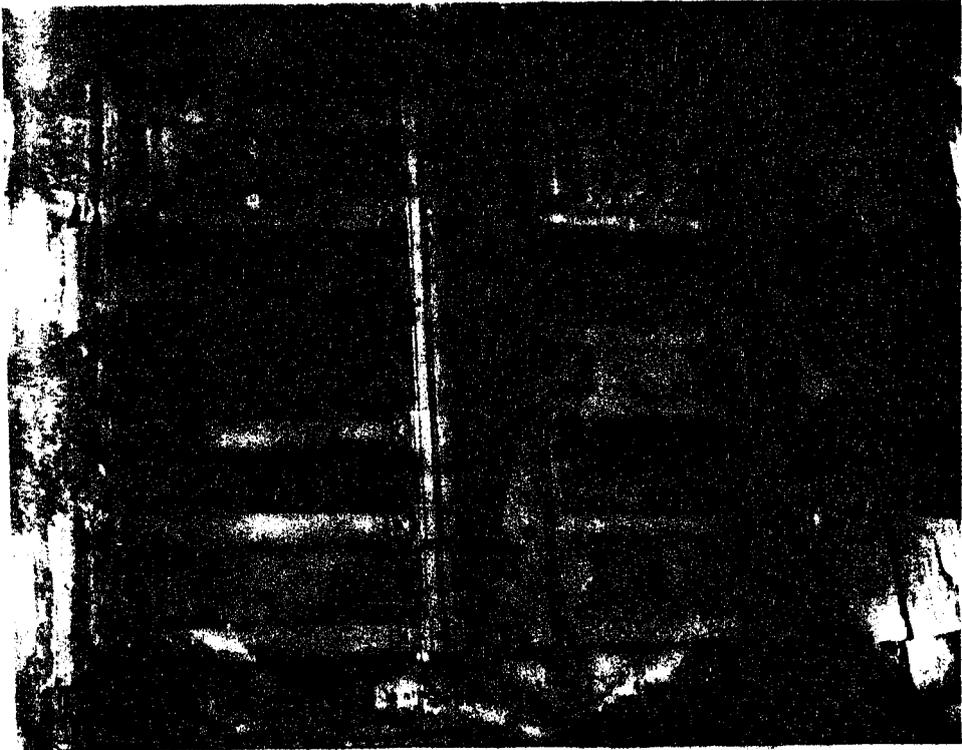
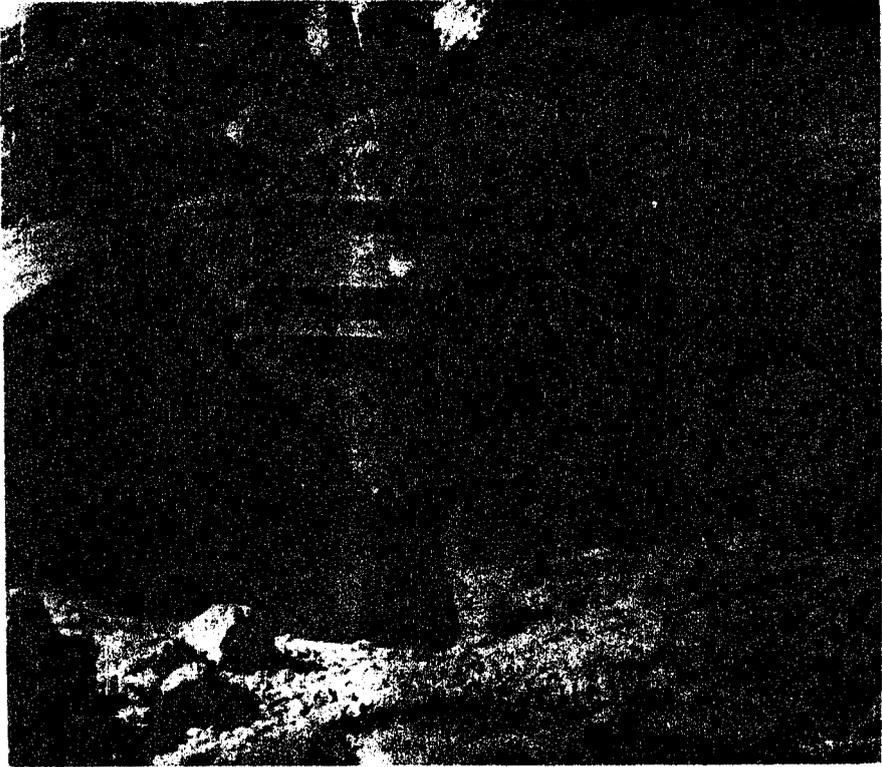
جبال مدائن صالح



جہاں سعودیہ بمداائن صالح
مدائن صالح میں وہ کنواں جس پر حضرت صالح علیہ السلام کی اونٹنی پانی پیتی تھی



البرعبدائن الصالح التي كانت تشرب ناقة صالح عليه السلام منها



پترا میں نبی طرز کی ایک عمارت

مبنی بنطیہ فی بطرا

ولكن مع ذلك لا يستحق المستشرق الانجليزي " دافى " حيث يدعى أن المبانى الصخرية فى الحجر أنشأها النبطيون فنسبتهم الى ثمود ليست بصحيحة وهكذا هو يتهم القرآن بالكذب (معاذ الله) ولكن الحقيقة كما ذكرنا آنفا ان الفرق بين أسلوب ثمود وبين أسلوب النبطيين لا يسمح لهذا الاتهام قط ولا يمكن بعد ه أن يأتى بهذا الاتهام الا من جملة التعصب والحقد أصى . والحقيقة كما نرى ان أسلوب بناء المبانى الصخرية بدأ به ثمود ثم جاء النبطيون من بعد هم وتمكنوا من تطوير هذا الأسلوب خلال القرنين الاول والثانى الميلادى وهذا ما يتبين من الفرق الموجود بين الأسلوبين (١).

وهكذا بعد ما يأتى الاستاذ بعدد من الصور لمبانى ثمود لتفهم هذه الآيات الكريمة مهتم الرد على الشبهات الواردة من قبل المستشرقين فى كون نسبة هذه المبانى الى ثمود صحيحا وذلك :

أولا : لعادتهم القديمة للطعن فى الإسلام .

ثانيا : لكون أسلوب هذه المبانى كأسلوب مبانى الانباط .

فيمكن الأستاذ من الرد على هذا الاتهام وذلك مستدلا بالفرق الموجود بين أسلوب مبانى ثمود وبين أسلوب مبانى النبطيين . فبين ان أسلوب مبانى ثمود التى تقع فى مدائن صالح وأسلوب مبانى النبطيين التى تقع فى البطرا تختلف فيما بينها اختلافا كبيرا فيتبين من دراسة هذه المبانى أن مبانى ثمود قد أنشئت قبل انشاء مبانى الانباط المتطورة من كل ناحية بالاف السنين فقام ثمود بانشاء مبانىهم الصخرية فى الحجر أومدائن صالح قبل حوالى أربعة آلاف سنة من ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام . كما يبدأ دور الانباط حوالى خمسمائة سنة قبل ميلاد عيسى عليه السلام اى بعد حوالى أكثر من ثلاثة آلاف

سنة بعد انتهاء دور ثمود ، فقام النبطيون بإنشاء المباني الصخرية في
البحرا في القرن الاول قبل ميلاد المسيح أو في القرن الأول الميلادي ، أي
بعد أربعة الاف سنة تقريبا بعد ثمود ، وهذا ما يشير إليه الفرق بين
الاسلوبين أيضا . هذا ويرى الأستاذ أن المباني الصخرية قد بدأ بها ثمود ،
ثم تطور هذا الاسلوب في العصور المتأخرة حتى جاء النبطيون الذين يختلف
اسلوبهم عن اسلوب ثمود اختلافا كبيرا .

وأخيرا يجدر بنا ان نأتى هنا بقائمة الخرائط أو الصور التي جاء
بها الأستاذ المودودي في تفسيره للأماكن التي ورد ذكرها في القرآن الكريم
أو للأماكن التي ورد ذكرها في كتب الحديث والسيرة . وذلك لتعيين
أهميتها ومكانتها في فهم القرآن وتفهمه :

قائمة لخرائط والصور الواردة في

تفهم القرآن

رقم مسلسل	اسم الخريطة أو الصورة	اسم السورة مع رقم الآية	رقم الجزء ورقم الصفحة
١-	خريطة طريق هجرة سيدنا ابراهيم البقرة ١٢٢ عليه السلام مع بيان مراكز دعوته عليه السلام .	البقرة - ١٢٢	١٠٨ / ١
٢-	خريطة أماكن الحج المقدسة	البقرة - ١٩٨	١٥٦ / ١
٣-	جبهة القتال في غزوة أحد	آل عمران - ١٢١	٢٨٤ / ١
٤-	خريطة طريق هجرة بني اسرائيل من مصر وتيهمهم في التيه .	الطه - ٢٥	٤٦٠ / ١
٥-	خريطة أماكن الاقوام المذكورة في سورة الاعراف .	الاعراف - ٤٣	٥٨ / ٢

- ٦- خريطة طريق شجرة بنو اسرائيل الاعراف - ١٤٢
من مصر .
- ٧- خريطة طريق قريش التجارى مقدمة سورة الانفال ١٢٢/٢
- ٨- خريطة الطريق من المدينة الى بدر مقدمة سورة الانفال ١٢٤/٢
- ٩- خريطة جبهة المعركة فى غزوة بدر مقدمة سورة الانفال ١٢٦/٢
- ١٠- خريطة البلاد العربية فى أيام غزوة تبوك مقدمة سورة التوبة ١٦٨/٢
- ١١- خريطة أماكن قوم سيدنا نوح عليه هود - ٤١ - ٤٤
السلام ٣٤٠/٢
- ١٢- خريطة الأماكن المتعلقة بقصة يوسف عليه يوسف - ٧
السلام ٣٨٤/٢
- ١٣- خريطة فلسطين بعد وفاة سيدنا موسى بنو اسرائيل - ٥
عليه السلام ٥٩٦/٢
- ١٤- خريطة دولة سيدنا داؤد وسيدنا بنو اسرائيل - ٦
سليمان عليهما السلام (من العام ١٠٠٠ ق م الى العام ٥٣٠ ق م) ٥٩٨/٢
- ١٥- خريطة دولتي اليهود واسرائيل بنو اسرائيل - ٦
(٨٦٠ ق م) ٥٩٩/٢
- ١٦- خريطة فلسطين فى عهد الدولة المكابية بنو اسرائيل - ٦
٦٠٠/٢
- ١٧- خريطة دولة هميرود الاعظم (من ٤٠ ق م الى ٤ ق م) بنو اسرائيل - ٦
٦٠١/٢
- ١٨- خريطة فلسطين فى أيام سيدنا عيسى عليه السلام بنو اسرائيل - ٧
٦٠٢/٢

- ١٩- خريطة الاماكن المتعلقة بقصة موسى
وخنز عليهما السلام .
- ٢٠- خريطة الاماكن المتعلقة بقصة
ذو القرنين .
- ٢١- خريطة الكعبة المشرفة
- ٢٢- خريطة الاماكن المتعلقة بغزوة بنى
المصطلق
- ٢٣- صورة جبال الملا
- ٢٤- صورة جبال مدائن صالح
- ٢٥- صورة مبانى ثمود الصخرية فى
مدائن صالح
- ٢٦- صورة اخرى لمبانى ثمود الصخرية فى
مدائن صالح .
- ٢٧- صورة اخرى لمبانى ثمود الصخرية
فى مدائن صالح .
- ٢٨- صورة البئر التى كانت تشرب منها
ناقة سيدنا صالح عليه السلام
- ٢٩- صورة مبانى ثمود فى مدين
- ٣٠- صورة لمبانى النبطية فى البطرا
- ٣١- صورة مبانى ثمود فى البطرا
- ٣٢- صورة د بوسينت كاترين الذى يطل به
جبل الطور .
- ٣٣- صورة لشجرة التى رأى فيها سيدنا
موسى عليه السلام نارا .
- ٣٤- صورة الشجرة التى سمع منها سيدنا
موسى عليه السلام نداً ربه .
- الكهف - ٦٠ ٣٤/٣
- الكهف - ٨٣ ٤٣/٣
- الحج - ٢٥ ٢١٦/٣
- مقدمة سورة النور ٣٠٩/٣
- الشعرا* - ١٤١-١٥٧ ٥٢٢/٣
- الشعرا* / ١٤١-١٥٧ ٥٢٣/٣
- الشعرا* / ١٤١-١٥٧ ٥٢٣/٣
- الشعرا* / ١٤١-١٥٧ ٥٢٤/٣
- الشعرا* / ١٤١-١٥٧ ٥٢٥/٣
- الشعرا* / ١٤١-١٥٧ ٥٢٥/٣
- النمل ٧-٩ ٥٥٨/٣
- النمل ٧ / ٩ ٥٥٩/٣
- النمل ٧-٩ / ٩ ٥٥٩/٣

- ٦٢٧/٣ القصص-٢٣ ٣٥- صورة وادي مدين
- ٦٢٧/٣ القصص-٢٣ ٣٦- صورة الهرا التي كان يسقى منها سيدنا موسى عليه السلام غنمه
- ٥٧/٤ مقدمة سورة الاحزاب ٣٧- خريطة اماكن قبائل العرب في المهسد النبوي صلى الله عليه وسلم
- ٥٧/٤ مقدمة سورة الاحزاب ٣٨- خريطة موقعة غزوة الاحزاب
- ١٦٧/٤ الاحزاب-٤٠ ٣٩- خريطة حدود الدولة المزعومة التي يحلم بها قادة اسرائيل
- ٠١٦٨/٤ الاحزاب-٤٠ ٤٠- خريطة مكان نزول سيدنا عيسى عليه السلام
- ٦١٤/٤ الاحقاف-٢١ ٤١- خريطة صحراء الاحقاف (اماكن قوم عاد)
- ٦١٩/٤ الاحقاف-٢٩ ٤٢- خريطة وادي النخلة الذي استمع فيه الجن القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم.
- ٣٧٣/٥ الحشر- المقدمة ٤٣- خريطة مساكن اليهود في المدينة المنورة قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم.

استشهاد الأستاذ المودودي في تفسيرهمن كتب اهل الكتاب

نرى الأستاذ المودودي خلال تفسيره للقرآن الكريم يرجع الى كتّيب
 أهل الكتاب ولا سيما الى التوراة والانجيل والتلمود ، لأجل تحقيق عدة
 أهداف ، يرى ان الاستمانة بكتب اهل الكتاب تفيد فيها ، ومن أهم
 هذه الاهداف :

أولا : البيان المفصل لما جاء في القرآن الكريم مجعلا ، وذلك
 لأن القرآن الكريم ليس بكتاب سرد تاريخي وانما هو كتاب هداية ربانية ، وهو
 دستور الهى يخلو من هذه التفاصيل ، ومثال ذلك قوله تعالى عن بنى
 اسرائيل : (وضربت عليهم الذلة والمسكنة وبأؤوا بغضب من الله . . .)
 ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق (١) .
 يذكر المفسرون معنى هذه الآية ويقولون انها تعنى بأن الله ضرب عليهم
 الذلة والمسكنة لانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق (٢) ،
 بلا تفصيل فيما حدث لبني اسرائيل ، ولا يكتفى الأستاذ المودودي بهذا
 الاجمال وبخاصة ان النهى - صلى الله عليه وسلم - أباح الأخذ من
 أهل الكتاب بقوله : " وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج (٣) . ومن هنا يرى
 الأستاذ ضرورة التفصيل عن طريق الاخذ من اهل الكتاب ويورد في اطار
 الآية السابقة التفصيلات التالية من " الكتاب المقدس " .

(١) سورة البقرة الآية ٦١ .

(٢) انظر الطبرى ج ١ صفحة ٢٥ ، الرازى ج ١ صفحة ١١٠ ،

ابن كثير ، ج ١ صفحة ١٠٢ ، الألوسى ، ج ١ صفحة ٢٧٦ .

(٣) صحيح البخارى ، كتاب احاديث الأنبياء ، باب ما ذكر عن بنى اسرائيل .

١ - انقسمت دولة اسرائيل بعد وفاة سليمان عليه السلام الى مملكتين
الاولى مملكة يهوذا وعاصمتها اوروشليم والثانية مملكة اسرائيل وحاضرتها
السامرة ، ولما كانتا في حروب وتطاحن فيما بينهما في اغلب الاحيان
طلب ملك يهوذا (الملك آسا) من ملك (ارام) ^(يهوذا) ليقف
معه في وجه الملك لاسرائيل (الملك بعشا) فقام النبي
حناني / ملك يهوذا (الملك آسا) عن ذلك ولكنه بدلا ان يقل ذلك
التحذير قهض عليه ونج به في السجن (١) .

٢ = عندما اعترض النبي الياس (ايليا) عليه السلام على اسرائيليين
ويوحزم على عبادة " بعل " ودعاهم ان يعبدوا الله وحده ، هددته
ملك السامرة (الملك اخاب) بالقتل وذلك بتحريض زوجته الوثنية
(ايزابل) ففر النبي الياس بحياته الى جبال السينا (جبل الله
حوريب) فدعا ربه في محنته هذه قائلا :
" ان بنى اسرائيل قد نهذوا عهورك وقوضوا مذابحك وقتلوا انبياءك
بالسيف وبقيت انا وحدي وقد طلبوا نفسي لياخذوها " (٢) .

٣ - نج الملك (اخاب) هذا بنين اخر (ميخا) في السجن لرفعه
كلمة الحق وقال " قوتوه خبز الضيق وما الضيق الى ان ارجع بسلام " (٣)
٤ - وعندما شرع أهل يهوذا يعبدون الاوثان ويحطون بالسوء ، ويرتكبون
الكبائر علانية ، اعترض على ذلك النبي " زكريا " فتحالفوا عليه ورجموه
بالحجارة بامر الملك (يواش) في دار بيت الرب " (٤) .

(١) انظر الكتاب المقدس - سفر اخبار الأيام الثاني - الفصل السادس عشر

الفقرات (١) - ١٠ .

(٢) انظر الكتاب المقدس - سفر الطوك الثالث الفصل التاسع عشر الفقرات (١) - ١٠ .

(٣) انظر الكتاب المقدس - سفر الطوك الثالث - الفصل الثاني والعشرون فقرات ١٦ = ٢٧

(٤) انظر المرجع السابق سفر اخبار الايام الثاني الفصل الرابع والعشرون الفقرات (١) - ٢٧ .

٥ - لما حطم الاشوريون مملكة السامرة الاسرائيلية وهددت الدولة اليهودية في اوروشليم بغطار وشيك ، بدأ النبي " أرميا " يحذر قومه من الحنواقب الوخيمة التي كانت في مرصادهم اذا لم يصلحوا أمورهم وقال بأن مصيرهم ان يكون أسوأ من مصيرهم في السامرة ، فلم يكن من اليهود الا ان يردوا بالشتائم والسباب وضربوه حتى اتهموه بالعمالة والخيانة واخذوه وألقوه في جب طيكا بن هطك الذي كان في دارالسجن وذلك ليموت هناك جوعا وعطشا (١) .

٦ - والنبي عاموس اذا حذر الحكومة الاسرائيلية بالسامرة عن المواقب الوخيمة لاعمالهم السيئة فاجبروه على الهجرة وقالوا : " اهرب الى ارض يهوذا وكل هناك خبزك وتنأ هناك . وأما بيت ايل فلا تمسك تنأ فيها لانها مقدس الطك وبيت الطك (٢) .

٧ - ولما اعترض النبي يحيى عليه السلام على المنكرات التي كانت ترتكب علانية في بيلاط هيردوس ملك اليهودا ، القى القبض عليه وزج به في السجن ثم قتله الطك على طلب صديقه وتم جاء برأسه في طبق وقدمه اليها (٣) .

٨ - وآخر ضحايا كهان اليهود وزعاتهم هو كان سيدنا عيسى عليه السلام الذي كان يندد بهم على خطاياهم وينصهم بالايمان والصدق ، ولا ارتكابه هذه الجريمة " دبروا القبض عليه خداعا وحصلوا الموافقة على قتله من المحكمة ، وحينما سألهم الحاكم الروماني (بيلاطس) بأنه يرغب في اطلاق سراح احد من السجنين في يوم العيد وهمما

(١) انظر المرجع السابق - نبوة ارميا - الفصل الثامن عشر والتاسع عشر

والثامن والثلاثون .

(٢) المرجع السابق . نبوة عاموس ، الفصل السابع الفقرات ١٢ - ١٣ .

(٣) انظر المرجع السابق - انجيل اللقديسميرقس . الفصل السادس - الفقرات

المسيح عيسى بن مريم عليه السلام والقزاق برأياً ، فط رأبهم فى هذا ،
 فطلب الجميع اطلاق سراح برأياً القزاق وبحكم عيسى عليه السلام
 بالاعدام . فىحكى " الكتاب المقدس " : " ولكن رؤساء الكهنة والشيخ
 اقتصوا الجميع بطلب برأياً واهلاك يسوع ، فاجاب الوالى وقال
 لهم من تريدون ان اطلق لكم من الاثنين فقالوا برأياً . فقال لهم
 بيلاطس فمانا أصدح بيسوع الذى يقال له المسيح . فقالوا كلهم
 ليصلب . فقال لهم الوالى فإى شر صنع . فزادوا صياها وقالوا
 ليصلب " (١) .

وفى هذه الآية يشير القرآن الى أخرى جزء من تاريخ بنى اسرائيل ،
 ويعلن انهم استحقوا لعنة الله وفضبه لانهم تغيروا اكابر مجرميهم
 لرئاستهم وسيادتهم فى حين يمشوا بأطهر رجالهم الى السجون
 والمشانق (٢) .

ونرى أن الأستان المودودى يستشهد فى تفسيره للآية الكريمة
 بأثلة عديدة من كتب اهل الكتاب ذاتهم ، وذلك لأن قوله تعالى
 هذا يتكلم عن أسود الابواب لتاريخ بنى اسرائيل ولكنه تعالى
 اكتفى بالاشارة اليه ولم يذكر التفاصيل لجريمتهم هذه ، وذلك
 لان القرآن ليس بكتاب التاريخ ، فىرى الأستان المودودى ضروريا
 أن يأتى بتفاصيل هذه الجريمة من كتب اهل الكتاب ذاتهم ليكسبون
 دليلا عليهم ، ولا يبقى للمنكرين سبيلا للانكار ولا للمشككين أساسا للشك

(١) الكتاب المقدس - انجيل للقدوس متى - الفقرات ٢١-٢٤ .

(٢) تفهيم القرآن ج ١ ص ٨٠-٨٢ .

فيمكن لنا أن نقول أن استشهاد الاستاذ المودودي خلال تفسيره للايية
 عن كتب اهل الكتاب حجة قوية على كونهم مجرمين ، فضلا عن كونه تصديقا
 لما ورد في القرآن الكريم ، ولا غرابة في طريقة الاستاذ المودودي هذه ،
 فأهل الكتاب عندهم من الاخبار عن تاريخهم في كتبهم المقدسة ، كما ان نقل
 هذه الاخبار يعد تصديقا لما ورد في القرآن الكريم ودليلا على تناوله لغيب
 الماضي ما يثبت اعجازه .

وأیضا فان هذا النقل لا يضر الاسلام في شيء فهو بعيد عن الاصول
 والفروع ، والاستاذ يقظ في هذه القضايا وينقل حين ينقل بحذر وذكاء
 والاستاذ المودودي يتفرد في أسلوبه هذا .

ويقول الاستاذ المودودي في تفسير قوله تعالى (الذين قالوا ان الله
 عهد الينا الا نؤمن لرسولنا تينا بقران تأكله النار، قل قد جاءكم رسل
 من قبلي بالبينات وبالذي ظنتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين) (١) . يذكر
 في عدة مواضع من التوراة أن علامة قبول قربان المرء أن تظهر من الغيب
 نار تلتهم ، فتحكي التوراة عن احد تلك القرابين فتقول " فأخذ منوخ جدي
 المعز والتقدمة واصعدهما للرب على الصخرة فعمل الملاك عملا عجيبا ومنوخ
 وزوجته ينظران فكان عند ارتفاع اللهب عن المذبح نحو السماء ان مسلاك
 الرب صعد في لهيب المذبح ومنوخ وزوجته ينظران فخرا على اوجههما السرى
 الارض " (٢) .

وكذلك جاء فيها ان النبي الذي كان يقدم قربانا كانت تظهر نار وتأكله
 فتقول التوراة عن قربان قدمه موسى وهارون عليهما السلام : " ودخل موسى

(١) سورة ال عمران - الاية ١٨٣ .

(٢) الكتاب المقدس . سفر القضاة . الفصل الثالث عشر - الفقرات ١٩ - ٢٠ .

وهارون خبأ المحضر وخرجا وباركا الشعب ، فتجلى مجد الرب على الشعب كله . وخرجت نار من عند الرب فأكلت المحرقة والشحوم التي على المذبح فنظر جميع الشعب وهتفوا صبيحين وسقطوا على وجوههم * (١) وتقول عمن القربان قدمه سليمان عليه السلام * ولما تم سليمان الدعاء هبطت النار من السماء وأكلت المحرقة والذبايح وملا مجد الرب الهيكل * (٢) ولكن التوراة ، تخلوا تماما من القول بأن مثل هذا القربان في ذاته لا بد منه لاثبات النبوة وتأكيدها ، أو أن من لم يحط هذه المعجزة فليس نبيا قط ، وانما ذلك عذر مختلق اختره اليهود لينكروا به نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - ولكن ما كان أدهى من هذا وما يثبت عداوتهم للحق هو ان بعض انبيائهم جاء وهم بنفس المعجزة هذه (أي النار التي تظهر من الخيب لتاكل القربان) ولم يتورع هؤلاء المجرمون عن قتلهم ومثال ذلك ماجاء في التوراة عن سيدنا الياس عليه السلام (ايلياه) حين تحدى الذين كانوا يمهدون البعل في عهد الملك أخاب وقال :

(فقال ايلياه للشعب انا الان وحدي بقيت نبيا للرب وهؤلاء انبياء البعل أربع مائة وخمسون رجلا . فلتأخذوا لنا بثورين فيختاروا لهم ثورا ثم يقطمونه ويجعلوه على الحطب ولا يضموا نارا ، وأنا أيضا اهي الثور الآخر واجعله على الحطب ولا اضع نارا . ثم تدعون انتم باسم الهتكم وأنا ادعوا باسم السرب والذي يجيب بنار فهو الاله ، فاجاب جميع الشعب قائلين الكلام حسن . فقال ايلياء لاني انبياء البعل : اختاروا ثورا وافعلوا اولا لانكم كثيرين ودعوا باسم الهتكم ولكن لا تضموا نارا . فاخذوا الثور الذي أعطاهم وقربوا ودعوا باسم البعل من

(١) الكتاب المقدس - سفر الاخبار ، الفصل التاسع الفقرات ٢٣-٢٤ .

(٢) نفس المرجع - سفر الاخبار الايام الثاني - الفصل السابع الفقرة ١٠ .

الغداة الى الظاهر وهم يقولون ايها البعل اجبنا فلم يكن من صوت ولا مجيب
وكانوا يرتصون حول المذبح الذي صنعوا . فلما كان الظاهر سخر منهم ايليا
وقال اصرخوا بصوت اظى فانه اله لعله في محادثة او في خلوة او في سفسر
اول لعله نائم فيستيقظ وكانوا يصرخون بصوت عظيم وتهشموا على حسب
رسمهم بالسيف والرمح حتى سالت دماؤهم عليهم . فلما فات الظاهر
وهم يقنأون الى ان حان اصعاد التقدمة وليس صوت ولا مجيب ولا صرخ . قال
ايليا لجميع الشعب ادنوا مني ، فدنا جميع الشعب منه ، فرم مذبح
الرب الذي كان قد تهدم ، واخذ ايليا اثني عشر حجرا على عدد اسمهاط
بنى يعقوب الذي كان كلام الرب اليه قائلا اسرائيل يكون اسمك . وبنى
تلك الحجارة مذبحا على اسم الرب وجعل حول المذبح قناة تسع مكيا ليمس
من الحطب . ثم تضدد الحطب وقطع الثور وجعله على الحطب . وقال
املاوا اربح جرار ماء وصبوا على المحرقة وعلى الحطب ثم قال ثنوا فثنوا ، ثم
قال ثنوا فثلثوا . فجرى الماء حول المذبح دائرا وامتلأت القناة ايضا ماء .
فلما حان اصعاد التقدمة تقدم ايليا النبي وقال ايها الرب اله ابراهيم
واسحاق واسرائيل ليعلم اليوم انك اله في اسرائيل واني انا عبدك وبأمرك
قد فعلت كل هذه الامور . استجبني يا رب استجبني ليعلم هذا الشعب
انك ايها الرب انت الاله وانك انت رددت قلوبهم الى الورا ، فهبطت
نار الرب واكملت المحرقة والحطب والحجارة والتراب حتى لحست الماء الذي في
القناة . فلما رأى ذلك جميع الشعب غرأوا على وجوههم وقالوا الرب هو
الاله . (١) .

(١) الكتاب المقدس - سفر الطوبك الثالث - الفصل الثامن عشر - الفقرات

ولكن ماذا كانت النتيجة ، نرى الآن زوجة طك اليهودي (ايزابيل)
 لكونها عابدة للبعيل ، أصبحت عدوة للنبي الياس عليه السلام ، وزوجها
 الطك اخاب لكونه عابدا لزوجته منفذا لاوامرها امر بقتل الياس عليه السلام
 فاضطر عليه السلام الى الفرار من بلده والالتجاء الى جبال سينا فتقول
 التوراة : " فأنفذت ايزابيل رسولا الى ايليا وقالت كذا تفعل الالهة
 وكذا تريد ان لم أجعل نفسك في مثل الساعة من غد كنفس واحد منهم .
 فخاف وقام مضى على وجهه ووافق بئر سبع التي ليهونا وخلف غلامه هناك . .
 فقام وأكل وشرب وسار بقوة تلك الاكلة اربعين يوما واربعين ليلة الى جبل
 الله حوريب . ودخل الحفارة هناك وبات فيها . فاذا بكلام الرب اليه يقول
 مابالك ههنا يا ايليا . فقال اني غرت غيرة للرب اله الجنود لان بنسى
 اسرائيل قد نهذا وعهدك وقوضوا مذابحك وقتلوا انبياءك بالسيف وبقيت
 أنا وحدي وقد طلبوا نفسي لياخذوها" (١) . وعلى هذا يقول الله لهم
 في هذه الآية : " يا اعداء الحق أني لكم ان تطلبوا معجزة (القران الذي
 تأكله النار) ومتى توتقتم عن قتل اولئك الانبياء الذين اشهدوكم هذه
 المعجزة . (٢)

فترى هنا ان الاستاذ المودودي خلال تفسيره للآية الكريمة يستشهد
 بالتوراة وذلك ليأتي بتفصيل ماورد في القران الكريم موجزا ردا على اكاذيب
 اليهود ومنها قولهم بان الله عهد اليهم الايمانوا لرسول حتى يأتيهم بقران
 تأكله النار . ويأتي بالامثلة من التوراة ليبين الحقيقة بان اليهود ليسوا
 صادقين في اعتراضهم هذا وذلك لانهم لو كانوا صادقين في اعتراضهم هذا
 لم يقطوا الانبياء الذين جاؤوا بهذه المعجزة ومنهم سيدنا الياس عليه

(١) الكتاب المقدس - سفر الطوك الثالث - الفصل التاسع عشر الفقرة ٢-١٠

(٢) تفهيم القران - ج ١ - صفحة ٣٠٧-٣٠٩

السلام — والحقيقة أن هذا الاستشهاد بكتبهم المقدسة لا يترك لهم
أى مجال لنكار ما يقول القرآن عن جريمتهم هذه .

فيمكننا أن نستنتج من هذين المثالين ان التفاصيل التى أتى بها
الأستاذ المودودى من كتب أهل الكتاب فى تأييد ما يقوله القرآن الكريم
عنهم موجزا يهتم فيها بالامور الآتية :

- اولا : ألا تكون هذه التفاصيل مخالفة بما جاء به القرآن الكريم .
- ثانيا : ان تكون خالصة الاتهامات والا كاذب التى يرمون بها أنبياءهم .
- ثالثا : أن تكون برهانا قاطعا على صدق ماورد فى القرآن ، وتكون حجة
قوية على من يشك فيه أو ينكره .

ثانيا : الاستشهاد على تعريف الكتب السابقة :

وأما اهتمام الأستاذ المودودى بالرجوع الى كتب أهل الكتاب
للاستشهاد على كون هذه الكتب محرقة او للرد على الاتهامات والا كاذب
التي رمى بها أهل الكتاب أنبياءهم او للرد على الاتهام ان القرآن الكريم قد
تعلمه النبي صلى الله عليه وسلم من علماء أهل الكتاب أو من كتبهم فلا يمكن
لاحد أن ينكر أهميته وذلك لان القرآن نفسه يشير الى التحريف فى كتب
أهل الكتاب فى عدة مواضع ومنها قوله تعالى : " فويل للذين يكتبون الكتاب
بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله " (١) . وكان من نتائج هذا التحريف أن كتبهم
الدينية تتوفر فيها الا كاذب والاتهامات على الانبياء — عليهم السلام —

والقرآن الكريم ينتقد هذا التحريف في كتبهم المقدسة ويبرىء هؤلاء الانبياء عليهم السلام من هذه الاتهامات والاكاذيب . ولكن مع ذلك نرى المستشرقين مازالوا يصرون على الاتهام ان النبي - صلى الله عليه وسلم - قد تلقى من القرآن الكريم من طمأ أهل الكتاب او اخذ من كتبهم ، وذلك حتى يوضنا هذا ، فلذا كان من الضروري ان يرد على هذه الاتهامات . فلاستان المودودي وفقه الله ان يهتم بهذه المبحثين يراجع كتب أهل الكتاب ويأتى بامثلة وأدلة على كون هذه الاتهامات غير صحيحة فمثلا يقول فسوف تفسر قوله تعالى : " ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال بفسمنا خلفتموني من بعدي ، أعجلتم امر ربكم ، وألقى الألواح ، وأخذ برأس أخيه يجره اليه ، قال ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بسى الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين " (١) . فالقرآن الكريم هنا يبرىء نبي الله هارون من الاتهام الذي قد رماه به اليهود ، فتقول التوراة خلال ذكرها لقصة جعلهم المعجل معبودا :

" ورأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل فاجتمع الشعب على هارون وقالوا قم فاصنع الهة تسير امامنا فان ذلك الرجل موسى الذي أخرجنا من أرض مصر لا تعلم ماذا أصابه . فقال لهم هارون انزعوا شنوف الذهب التي في آذان نسائكم وبنائكم وبناتكم وأتوني بها . فنزع جميع الشعب شنوف الذهب التي في آذانهم واتوا بها هارون . فاخذها من ايديهم وصورها في قالب وصنعها عجلا مسبوكا فقالوا هذه الهتك يا بني اسرائيل التي اخرجتك من أرض مصر . فلما رأى ذلك هارون بنى امامه مذبحا ونادى هارون وقال غدا عيد للرب " (٢) .

(١) سورة الاعراف الآية . ١٥٠ .

(٢) الكتاب المقدس - سفر الخروج - الفصل الثاني والثلاثون الفقرات (١-٥٥) .

فالقُرآن الكريم يكذب هذه الاباطيل في مواقع مختلفة ويبين أن هذه الجريمة لم يرتكبها نبي الله هارون — عليه السلام ، بل ارتكبها عدو الله السامري . ومنها قوله سبحانه " فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا . قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا ، أفتظال عليكم العهد اماردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فاختلفتم موعدي . قالوا ما اخلفنا موعداك بظننا ولكننا حملنا اوزارا من زيننا لقوم فقد فناها كذلك القى السامري . فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسى . افلا يرون الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا . ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا أمري . " (١)

والحقيقة أنه أمر غريب أن بنى اسرائيل قد اتهموا انبياءهم بالاتهامات الشنيعة والجرائم القبيحة مثل الشرك والسحر ، والزنا ، والكذب ، والخدعة والكبائر الاخرى التي لا تليق بالانبياء عليهم السلام قط . بل لا تليق بأى انسان مؤمن من أى انسان عاقل ، ولكننا لو فكرنا فى التاريخ الاخلاقى لهؤلاء القوم لفهمنا ان علمهم هذا ليس عجيبا فى معاملتهم ، وذلك لانهم اذا وقعوا فى الانحطاط الدينى والاخلاقى ولم يسلم احد منهم من الوقوع فى هذا الانحطاط وحتى طماؤهم ومشايخهم قد وقعوا فيه . فكانت نتيجة ذلك بانهم بدأوا بالبحث عن الصررات الدينية لاعمالهم الشنيعة وجرائمهم القبيحة فنسبوا الى انبيائهم الجرائم القبيحة والاعمال الشنيعة التي كانوا يرتكبونها وذلك لكى يستطيعوا ان يقولوا ان اذا لم يتمكن الانبياء من الاجتناب لهذه الجرائم الشنيعة فكيف لنا ان نتكمن من اجتنابها ، وهذا ما فعله

(١) سورة طه الآيات (٨٦-٩٠) .

الهندوسيون اذا وقموا في الانحطاط الديني والاخلاق فانهم ايضا
نسبوا الى المهتمم واكابرههم الدينية الجرائم القبيحة التي كانوا يرتكبونها
وذلك لياتوا بنفس الدليل ويستطيعوا ان يقولوا ان اذا لم تجتنب الآلهة
ورجال الدين هذه الجرائم والاعمال القبيحة فكيف لنا ان نجتنبها ، وهذه
الاعمال اذا تليق بالآلهة والاولياء فكيف اذن الا تليق بنا . (١)

والأستاذ المودودي خلال تفسيره لهذه الآيات يرجع الى كتب
أهل الكتاب وياتي بنص من التوراة للاستشهاد على الاتهامات والا كما ان يسب
القبیحة التي رمى بها بنوا اسرائيل أنها هم - عليهم السلام - عامة وسيدنا
هارون عليه السلام خاصة . ويبين السبب الذي ارتكبوا هذه الجريمة لاجله ،
وهكذا يستدل على كون هذه الكتب محرقة ، هذا من ناحية ، ومن ناحية
أخرى يبين الأستاذ المودودي ان القرآن الكريم هو الذي يبرئهم - هو -
الانبياء - عليهم السلام - وهنا يبرئ سيدنا هارون عليه السلام من
هذه الاتهامات القبيحة ويبين ان الانبياء عليهم السلام لا تليق بهم هذه
الاعمال القبيحة قط . وهكذا يثبت ان الاتهام ان النبي - صلى الله عليه
وسلم - تعلم القرآن من طمأ أهل الكتاب او كتبهم ليس له اي اساس علمي
او عقلي (٢) .

وردت قصة سيدنا موسى وسيدنا هارون - عليهما السلام - في سورة
طه من الآية ٩ الى الآية ٩٨ . والجزء الاول من هذه القصة ينتهي الى الآية
رقم (٧٩) ويتعلق بالحوادث تبدأ من بعثتهما عليهما السلام الى فرعون وتنتهي

(١) تفهيم القرآن - مجلد ٢ صفحة ٨١

(٢) انظر للمقارنة : الطبري ج ٩ صفحة ٤٥ ، ٤٦ ، الرازي ج ١٥

صفحة ١١-١٣ ، ابن كثير ج ٢ صفحة ٢٤٧-٢٤٨ ، الألويسي

ج ٩ صفحة ٦٦-٦٨ ، في ظلال القرآن ج ٣ صفحة ١٣٧٣ -

بغرق فرعون في البحر ، والجزء الثاني يبدأ من الآية (٨٠) ويتعلق بقصة السامري ويعد ما ينتهي الاستاذ من تفسيره للجزء الاول لهذه القصة ، يرى ضروريا ان يقارن بين ما ورد في القرآن الكريم وبين ما ورد في التوراة عن بعض من تلك الحوادث وذلك ليبين التحريف في التوراة ويوضح كذب من قال ان القرآن ينقل هذه القصة من بنى اسرائيل فيقول :

١ - قد ورد في التوراة ان معجزة العصا قد أعطاها الله لموسى عليه السلام فتقول " فأجاب موسى وقال انهم لا يصدقونني ولا يسمعون لقولي بل يقولون لم يتجل لك الرب . فقال له الرب ما تلك بمسك يدك قال عصاه قال القها على الارض فالقها على الارض فصارت هيئة فهرب موسى من وجهها . فقال الرب لموسى مد يدك وامسك بذنبيها فمد يده وامسكها فصارت عصا في يده " (١) . ثم تقول : " خذ بيدك هذه العصا تصنع بها الآيات " (٢) ، ولكن ما ندري كيف انتظت هذه المعجزة الى سيدنا هارون عليه السلام بدون اي ذكر ، فتقول : (وكان موسى ابن ثمانين سنة وهارون ابن ثلاثة وثمانين سنة حين كلما فرعون . وكلم الرب موسى وهارون قائلا : اذا كلمكما فرعون وقال اعطيانى آية فقال لهارون : خذ عصاك والقها بين يدي فرعون فتصير ثعبانا . فدخل موسى وهارون على فرعون وصنعا كما امر الرب القى هارون عصاه بين يدي فرعون وعيده فصارت ثعبانا) (٣) .

٢ - وحينما تحكى التوراة عن مقابلة موسى وهارون عليهما السلام مع فرعون للمرة الاولى لا تذكر فيها الحكاية التي جرت بين موسى وهارون عليهما السلام

(١) الكتاب المقدس . سفر الخروج . الفصل الرابع الفقرات ٣-٤ .

(٢) المرجع السابق الفقرة ١٧ .

(٣) المرجع السابق سفر الخروج الفصل السابع الفقرات ٧-١٠ .

وبين فرعون في توحيد الله وربوبيته والتي يقول القرآن عنها : (قال
فمن ربكما يا موسى . قال ربنا الذي اعطى كل شي * خلقه ثم هدى . قال
فما بال القرون الاولى . قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي
ولا ينسى . الذي جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وانزل
من السماء ماء * فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى . كلوا وارعوا انما لكم
ان ذلك لايات لاولى النهى . منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها
نخرجكم تارة اخرى) (١) . ولكن هذه المكالمة القيمة التي جرت
بين موسى وهارون عليهما السلام وبين فرعون تذكرها التوراة كالآتي :
(وبعد ذلك دخل موسى وهارون وقالا لفرعون كذا قال الرب اله
اسرائيل اطلق شعبي لكي يعيدوا لي في البرية . فقال فرعون من هو
الرب فاسمع لقوله واطلق اسرائيل لا اعرف الرب ولا اطلق اسرائيل
قالا اله العبرانيين واقانا فنذهب مسيرة ثلاثا يام في البرية ونذهب
للرب الهنا لئلا يصيبنا بوما * اوسيف (٢) .

٣ - وتحكي التوراة قصة سحرة مصر فتقول :

(وكلم الرب موسى وهارون قائلا : اذ اكلكما فرعون وقال اعطيانبي
آية فقل لهارون خذ عصاك والقها بين يدي فرعون فتصير ثعبانا .
فدخل موسى وهارون على فرعون وصنعا كما امر الرب . ألقى هارون عصاه
بين يدي فرعون وعصاه فصارت ثعبانا فدعا فرعون ايضا الحكماء
والصرافيين فصنع سحرة مصر كذلك بسحرهم التقى كل واحد عصاه فصارت
المصي ثعابين فابتلعت عصا هارون عصيهم) (٣) .

(١) سورة طه : الآيات ٤٩-٥٥ .

(٢) الكتاب المقدس - سفر الخروج الفصل الخامس - الفقرات ١-٣ .

(٣) نفس المرجع الفصل السابع - الفقرات ٨ - ١٢ .

بينما يحكى القرآن الكريم قصة بقوله تعالى : (قال اجتمعنا
لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى . فلنأتيناك بسحر مثله فاجعل بيننا
وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا انت مكانا سوى . قال موعدكم يوم
الزينة وان يحشر الناس ضحى . فتولى فرعون فجمع كيد ثم أتى . قال
لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب
من افتري . فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى . قالوا ان هذان
لساحران يريدان ان يخرجاك من ارضك بسحرهما ويذهبا بطريقتك
المثلث . فاجمعوا كيدكم ثم اتوا صفا ، وقد اقلح اليوم مســـــــ
استملى . قالوا يا موسى اما ان تلقى واما ان نكون اول من القى .
قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسمى .
فأوجس في نفسه خيفة موسى . فلنا لا تخف انك انت الاطى . والسق
ماقى يمينك تلقف ما صنعوا وانما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر
حيث أتى . فألقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب هارون وموسى) (١)

واننا لو قارنا بين القصة التى يذكرها القرآن الكريم وبين ما ورد فى
التوراة لرأينا أن التوراة لا تذكر الامور التى تعتبر لب القصة ومنها ،
ومنها كون موعد يوم الزينة وحضور الناس فيه ، واما السحرة بمسد
هزيمتهم (٢) .

يقول القرآن الكريم ان موسى وهارون طيها السلام قد طلبا من فرعون
ان يرسل بنى اسرائيل معهم وذلك لقوله سبحانه (فأتياه فقولا
انا رسول ربك فارسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم) (٣) حيث

(١) سورة طه الآيات ٥٧ - ٧٠ .

(٢) تفهيم القرآن ج ٣ صفحة ١٠٩ - ١١٠ .

(٣) سورة طه الآية ٤٧ .

تقول التوراة بانهم قالوا (كذا قال الرب اله اسرائيل اطلق شمسي لكي يميدوا لي في البرية . فقال فرعون من هو الرب فاسمع لقوليه وأطلق اسرائيل لا أعرف الرب ولا اطلق اسرائيل . قال اله المبرانيين وافانا فنذهب مسيرة ثلاثة ايام ونذبح للرب الهنا لثلا يصيينا بوبسا^١ أوسيف^(١) .

٥ - وردت في التوراة قصة خروج بني اسرائيل وفرق فرعون في سفر الخروج (٢)

ونجد فيهما تفصيل لما ورد في القرآن موجزا ، ولكن كما نرى هناك بعض الامور الغريبة ايضا ، فمثلا لما وصل بنو اسرائيل شاطئ البحر وجه الله سبحانه خطابه الى سيدنا موسى عليه السلام الذي قد انتقلت اليه معجزة العصا مرة ثانية وقال : * وانت ارفع عصاك ومد يدك على البحر فشق فيدخل بنو اسرائيل في وسطه على اليمين^(٣) ولكن ورد فيها بعد قليل : (ومد موسى يده على البحر فارسل الرب على البحر ريحا شديدة طول الليل حتى جعل البحر جفافا وقد انشق الماء * ودخل بنو اسرائيل في وسط البحر على اليمين والماء لهم سور عن يمينهم وعن يسارهم) (٤) .

ولا يتضح من ذلك أن هذا كان من أمر طبيعي او كان المعجزة اظهرها الله على يد موسى عليه السلام واذا كان امرا طبيعيا وهل من الممكن أن ريحا شرقية ينقسم الماء في شطرين ويجعل بينهما طريقا يابسا وهل هناك نظيرا آخر لذلك (٥) .

(١) الكتاب المقدس - سفر الخروج الفصل الخامس الفقرات ١-٣ .

(٢) المرجع السابق من الفصل الحادي عشر الى الفصل الرابع عشر .

(٣) المرجع السابق الفصل الرابع عشر - الفقرة ١٦ .

(٤) المرجع السابق الفصل الرابع عشر - الفقرات ٢١-٢٢ .

(٥) تفهيم القرآن مجلد ٣ صفحة ١٠٩-١١٠ .

ونرى هنا بان الأستاذ المودودي يقارن بين ماورد في القرآن الكريم وبين ماورد في التوراة في قصة موسى عليه السلام وذلك ليبين :
 أولا : ان التوراة بنفسها تشهد على كونها محرفة ، ومن الادلة التي يمكن لنا ان نستشهد بها في هذا الصدد هو ان معجزة المصا قد بصفت الله بها سيدنا موسى — عليه السلام — ولكن هذه المعجزة انتقلت الى سيدنا هارون عليه السلام بدون اى ذكر . ثم انتقلت منه مرة ثانية الى موسى عليه السلام . وذلك ايضا بدون اى ذكر ، وهذا التضاد لا يمكن ان يكون في كتاب الله قط ، فيثبت من هذا ان التوراة قد وقمت فيها التحريفات .

والدليل الاخر الذي يذكر الاستاذ المودودي بهذا الصدد هو ان تقول الفقرة رقم (١٦) من الفصل الرابع عشر لسفر الخروج بيان انشقاق البحر كان نتيجة للمعجزة على يد موسى عليه السلام . ولكن ورد في نفس الفصل بعد يسير ان ذلك الانشقاق كان نتيجة للريح الشرقية ، ولا يمكن ان يكون مثل ذلك التضاد الصريح في كتاب الله ، فهذا دليل بين على وقوع التحريف في التوراة .

ثانيا : ان الاتهام بان النبي — صلى الله عليه وسلم — قد تعلم القرآن من كتب اهل الكتاب أو من علمائهم ليس بصحيح قط . ومن اقوى الادلة على ذلك هو الفرق البين الواضح بين اسلوب القرآن وبين اسلوب التوراة في بيان احداث تاريخ بني اسرائيل واسلوب القرآن في بيان تلك الاحداث هو انسب واجدر بسيرة الانبياء عليهم السلام ودعوتهم من اسلوب التوراة فمثلا المكالمة بين موسى وهارون عليهما السلام وبين فرعون حول توحيد الله سبحانه وربوبيته والتي كانت من

مقتضيات بعثتهما طيها السلام نجدها في القرآن الكريم
 ولا نجدها في التوراة . ويقول القرآن بان مطالبة موسى وهارون
 طيها السلام من فرعون كان لا رسال بني اسرائيل معها . وتقول
 التوراة أن المطالبة لا رسال بني اسرائيل معها لكي يحييها
 في البرية . وهكذا يقول القرآن في قصة السحرة بأنهم آمنوا بالله
 بعد هزيمتهم في الموعد مع موسى وهارون طيها السلام ولكن
 التوراة تخلو عن ذكر ايمانهم .

وهكذا نرى الاستاذ المودودي يستشهد بكتب اهل الكتاب
 لاثبات تفاصيل لما ورد في القرآن موجزا أحيانا ، وللاستدلال على كون هذه
 الكتب معرفة أحيانا أخرى . وللمر على الاتهام بان النبي - صلى الله
 عليه وسلم - تعلم القرآن الكريم من علماء اهل الكتاب وكتبهم تارة ، وهذا
 ما يميز به تفسيره من التفاسير الأخرى .

...

عدم الخوض في المباحث الجانبية

ويمتاز الأستاذ المودودي لعدم خوضه في المباحث الجانبية خلال تفسيره للقرآن الكريم وذلك لان القارىء لا يلتفت بنظره الى الامور التي ليست لها أية علاقة بفهم القرآن أو تفهيمه ، وهناك كثير من المباحث الجانبية التي ليست لها علاقة مباشرة بالتفسير ، في حين أننا نرى بعض المفسرين يذكرونها بكسل تفاصيلها فكتب بعضهم البحوث الطويلة في الشجرة التي أكل منها سيدنا آدم وحواء عليهما السلام ، وكيفية تمكن الشيطان من الدخول في الجنة لفضل آدم وحواء عليهما السلام ، أو عدد أصحاب الكهف وأساؤهم ، أو اسم الشخص الذي جاء بعرش بلقيس لسليمان عليه السلام أو اسم الرجل الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها وغيرها عدد من المسائل التي لا علاقة لها بالتفسير .

والأستاذ المودودي لم يهتم بهذه المباحث الجانبية ، الا أنه يحتسب بيان الدروس التي ينبغي للمسلم أن يتلقى منها / فيقول عن منهجه هذا :
 " واني حاولت خلال تفسيري للقرآن الكريم بأن لا أعتنى بالمباحث التي لا علاقة مباشرة لها بالتفسير او التي تلفت نظر القارىء الى الامور التي ليست لها علاقة بفهم القرآن الكريم " (١) .

واليك بعض النماذج لهذا الاسلوب للاستاذ المودودي :

(١) يقول الاستاذ في تفسيره لقوله تعالى (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقريا هذه الشجرة فتكونا الظالمين) (٢) . يظهر من هذا ان الله سبحانه قبل أن يبعث آدم وحواء

(١) ديباجة تفهيم القرآن ج ١ ص : ١١ .

(٢) سورة البقرة الآية ٣٥ .

عليهما السلام الى الأرض التي عندهما فيها خلفاء له سبحانه سكنهما فسوق الجنة باديء الامر لا اختبار رغباتهما ونزواتهما ، ولا جراً هذا الاختبار اختيرت شجرة من الاشجار وحذرهما سبحانه وتعالى حتى من مجرد الاقتراب منها ، فان فعلاً ذلك فقد أخطأ في حق الله ، وعصيا أمره ونالا مصير الظالمين . وأما الشجرة التي وردت هنا فلا يهنا اسمها او نوعها لان الشجرة فوناتها لا يمكن فيها شر أو اثم وانما اختيرت لاجراء الاختبار . فلذا لم يذكر الله سبحانه اسمها أو خصائصها . وكانت الجنة أنسب مكان لاجراء هذا الاختبار اذا قصد بها أن يتبين للانسان أن الجنة هو المكان الذي يليق به ولكنه اذا عصى ربه سبحانه نتيجة لرغبات الشيطان ونزواته سيحرم نفسه من الفوز بها ، وليس من سبيل لاستردادها والرجوع اليها سوى مواجهة العدو الذي يقعد له كل مرصد ليضل عن سبيل ربه مواجهة حازمة ناجحة (١) .

ويتبين من تفسير الأستاذ المودودي لقوله تعالى هذا بأنه لم يهتم ببيان اسم الشجرة التي قد اختار الله سبحانه لاختبار سيدنا آدم وحواة عليهما السلام ولا اعتنى بتعيين نوعها أو خصائصها ، وذلك لان الله سبحانه لم يمنعهما من اقترابها لكونها شراً في نفسها . بل لاجراء الاختبار ، فلم يذم لم يذكر الله اسمها أو نوعها . فلا يهمل القارىء أن يعرف هذا الاسم أو النوع ، ولكن مع ذلك ترى بعض المفسرين يهتمون بتعيين اسم الشجرة أو نوعها بكل الاهتمام ويأتون فيها بعدة أقوال . . . ويقول بعضهم انها كانت شجرة السنبلة ، وقال البعض بانها كانت شجرة الحنطة ، والبعض بانها

الزيتونة والبعض بانها النخلة والبعض بانها الكرم ، والبعض بانها البسرة ،
وغيرها من الأقوال ، وجدير بالذكر ان هذه الاقوال فو تعيين اسم الشجرة
اونوعها لم ينقل منها شئ^١ عن النبي صلى الله عليه وسلم^(١) .

٢- ويقول فو تفسير قوله سبحانه وتعالى (أو كالذي مر على قرية
وهي خاوية على عروشها ، قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها . . . الآية) (٢)
من غير المفيد أن نخوض فو البحث عن شخصية هذا الرجل أو اسم القرية
فهو ليس بهمهم وذلك لأن الهدف الأساسى الذى وردت هنا هذه القصة
لاجله هو بيان الحقيقة بأن الله سبحانه من يجعله ولها يخرجهم من
الظلمات الى النور وهذا ما يتم ايضا به بدون تحديد شخصية المار أو اسم
المدينة ، فليس لدينا مصدر صحيح لتحديد هما . فضلا عن هذا معرفة
أسمائهما لا تضيف اليها شيئا جديرا بالاهمية قد يساعدنا على فهم الهدف
الذى وردت فيه هذه القصة لأجله ، غير انه يتبين من سياق الحديث
أن هذا المار كان نبيا . وأما استفساره الذى يشير اليه قوله سبحانه (قال أنى
يحيى هذه الله بعد موتها) فهذا لا يعنى ان هذا النبي لم يكن يوء من
بالبحث او كان يشك فيه بل يعنى انه كان يطلب ان يرى الحقيقة رأى العين
كما طلبها الانبياء الآخرون^(٣) .

ونرى هنا ان الاستاذ المودودى خلال تفسيره لهذه الآية الكريمة
لا يهتم بتحديد شخصية المار أو القرية التى هو مربها وذلك لان هذا ليس مهمما

(١) انظر للمقارنة : الطبرى ج١/ ١٨٣-١٨٥ ، الرازى ج٣ ص ٦ ، ابن

كثير ج١/ ص ٧٩ ، الألوسى ج١ ص ٢٣٤-٢٣٥ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٩ .

(٣) تنهيم القرآن ج١ ص ٢٠٠ .

في فهم الهدف الذي وردت هذه القصة لأجله ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ليس هناك مصدر أصح من المعرفة هذه الأمور ولا يوجد لها ذكر في القرآن الكريم أو الأحاديث الصحيحة فيتبين من هذا أن تحديد شخصية المار أو القرية لم يكن ضرورياً عند الله سبحانه ولا عند نبيه صلى الله عليه وسلم ، فلهذا لم يعثرنا لاستان بهذا البحث الجانبين بل اهتمنا ببيان الهدف الذي وردت هذه القصة لأجله .

وجدنا بالذكريان هناك عدد غير قليل من المفسرين الذين حاولوا تحديد شخصية المار واسم القرية فمنهم من قال بان المار كان كافراً ومنهم من قال بانه كان نبياً ، ومنهم من قال بأنه كان خضراً ومنهم من قال بانه كان حزقييل بن بوار ، وهكذا أقوال أخرى نجدها في بعض التفاسير ، وكذلك تضاريف الأقوال حول اسم القرية فقال البعض بانها بيت المقدس وقال البعض بانها كانت القرية التي خرج منها بنو اسرائيل حذراً من الموت وهم ألوف . وقال البعض بانها كانت دير سابراباد ، وقال البعض بانها كانت دير سلما بان ، وقيل دير هرقل وقيل : المؤتفكة وقيل : قرية (العنب) على فرسخين من بيت المقدس ، وقلنا نقل من هذه الأقوال شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم (١) .

وأما رأى الاستان بان المار كان نبياً فهذا ما يوهده السياق الذي وردت فيه هذه القصة ، وان الله سبحانه يذكر في هذا السياق قصة سيدنا ابراهيم عليه السلام حيث يسأل ربه ، (رب ارنى كيف تحيي الموتى) (٢) ، وكلتا القصتان وردتا في نفس السياق ولتحقيق نفس الهدف ، وهذا ما يتضح منه بأن

(١) انظر للمقارنة الطبري ج٣ / ١٩-٢١ و الرازي ج٧ ص ٣٠-٣٤ ، ابن

كثير ج١ / ٣١٤ ، الألويسي ج٣ / ١٩-٢١ .

(٢) البقرة - الآية ٢٦٠ .

الطاركان نبيا ، واما استفساره الذى يشير إليه قوله سبحانه (قال ربى أنسى يحيى هذه الله بعد موتها) فهذا كما يرى الأستاذ المودودى ، لا يعنى بأنه لم يكن يؤمن بالبعث او كان يشك فيه ، بل يعنى انه كان يرغب فى مشاهدة الحقيقة ، وهذا ما يدل عليه ماورد فى نفس السياق فى قصة سيدنا ابراهيم عليه السلام حيث سأل ربه (رب أرنى كيف تحي الموتى ، قال أولم تؤمن من قال بلى ولكن ليطمئن قلبى) (١) .

ثالثا : ويقول فى تفسير قوله تعالى (سيقولون ثلاثة رابهم كلبهم ، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ، ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل ، فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا) (٢) : ان الموضوع الأساسى ليس عددهم ، بل الدرر المستفاد من قصتهم ، فهذه القصة يستفاد منها أن المؤمن الصادق لا ينبغي له ان يحيد عن الحق أو يخضع للمباطل فى أى حال من الاحوال ويستفاد منها أن ثقة المؤمن واعتماده يجب ان لا يكون على أسباب الدنيا بل على الله تبارك وتعالى ، وأن على المؤمن ان يتقدم فى طريق الحق ، واثقا بالله متوكلا عليه حتى وان لم يبد فى بيئته اثر من آثار موافقة الحق وتأيدته والسير فى ركابه .

ويستفاد منها ان العادة التى يعتبرها الناس قانون الفطرة والطبيعة ويعتقدون انه لا شىء فى العالم يشذ عنه او يخالفه لا يخضع له الله سبحانه فى الحقيقة ولا تجرى عليها حكاه فهو سبحانه قادر ، اذا اراد ، على ان يحول هذه المادة ، ويقلب هذا القانون عملا خارقا وحدثا شاذا متى شاء وأين شاء ،

(١) سورة البقرة الآية ٢٦٠ .

(٢) سورة الكهف الآية ٢٢ .

فلا يصعب عليه أن ينوم احدا لقرنين من الزمن ثم يوقظه كأنه نام بضـ
ساعات دون ان يوتر طول الزمان في عمره وشكله وهيئته أو لباسه أو صحته
أو أى شىء فيه .

ويستفاد من هذه القصة أيضا انه لا يخرج عن قدرة الله بعث الاجيال
البشرية كلها سابقا ولاحقا في لمحة واحد وهو الذى اخبر به الانبياء عليهم
الصلاة والسلام والكتب السماوية .

ويستفاد منها انه كيف يجعل الجاهل آيات الله بضاعة لمزيد مسن
الضلال بدلا من أن يجعلها مصابيح تثير بصيرته . فلقد اجرى الله معجزة
أصحاب الكهف ليستيقن الناس بها وقوع الآخرة ، فظن الجاهلون ان الله
أراهم هذه الآية ليعبد الناس بعض أوليائه .

تلك هى الدروس التى علو المرء أن يأخذها من قصة أصحاب الكهف ،
وتلك هى الامور الجديرة بالالتفات فى هذه القصة اما الاعراض من هـ
الدروس الهامة والفرق فى لجة البحث عن عدد اصحاب الكهف واسمائهم
وماذا كان لون كلهم فليس الا شغل من يترك اصل الشىء وله ويتعلق
بالقشور والترهات . ولهذا نصح الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، كما نصـ
المؤمنين عن طريقه (صلى الله عليه وسلم) بان الناس اذا اثاروا هذه الموضوعات
التافهة وخاضوا فى البحث فى مثل هذه النكات السطحية البعيدة عن اللب ،
فلا تخض معهم ، ولا تضع وقتك فى البحث والتحقيق فى هذه الاسئلة التافهة
واجعل صلب اهتمامك بالعمل ، ولا جل ذلك لم يذكر الله عدد هم الصحيح ،
حتى لا يجد المضللون ما يفتنى رغبتهم ويشبع خيالهم . ورا القشور
والترهات (١) .

فترى هنا أن الأستاذ المودودي خلال تفسيره للآية الكريمة لا يمتنع بالمباحث التي ليست لها علاقة مباشرة بفهم القرآن أو تفهيمه . ويـــــرى الأستاذ المودودي أنه لا فائدة في الخوض في هذه المباحث وليست لها أية علاقة مباشرة مع تفسير هذه الآيات بل المقصود الحقيقي للايراد لهذه القصة هنا هو لفت النظر إلى بعض الدروس التي لها أهمية بالغة في حياة المسلم ، ثم يمتنع الأستاذ ببيان هذه الدروس في أسلوبه الجذاب الأخاذ (١) .

ويبين من هذه النماذج أن الأستاذ المودودي خلال تفسيره للقرآن الكريم لم يكن يمتنى بالمباحث التي ليست لها علاقة مباشرة بفهم القرآن أو تفهيمه بل على العكس كان يمتنى كل الاعتناء بالدروس التي ينبغي للمسلم أن يتلقى منه .

...

(١) انظر للمقارنة تفسير ابن جرير للطبري ج١ ص ١٤٩-١٥٠ ، الرازي

ج ١١ ص ١٠٦-١٠٩ ، ابن كثير ج ٣ ص ٧٨ ، الألبوسي ج ١ ص ٢٦٠

منهج الاستاذ المودودي في الرد على التأويلات الباطلة فـى

تفسير القرآن الكريم

ومن مزايا تفهيم القرآن أن الاستاذ المودودي اهتم فيه بالرد على التأويلات الباطلة في تفسير القرآن الكريم ، قديمة كانت او حديثة ، ويتبين من التاريخ أن اصحاب الفرق المختلفة في الماضي والحاضر قاموا بتأويل الآيات القرآنية لتأييد مذاهبهم الخاصة او معتقداتهم الباطلة وجاءوا ، بالمعاني التي لا توافق الكتاب والسنة واللغة ولا تليق بالروح الاسلامية الصحيحة ، وذلك لانهم لا يرجعون اليه الا لاتيان الادلة لتأييد مذاهبهم الخاصة ، فهم لا يجدون فيه الا ما يمتقدون ، وذلك لان القرآن الكريم لا يمكن الوصول الى معانيه الحقيقية الا اذا رجح اليه الانسان بذهن غير متحيز ، وهذا ما يشير اليه الاستاذ المودودي حيث يقول : " والشرط الاساسى لفهم القرآن الكريم أن يتناوله الدارس بعقل متفتح مستقل غير متحيز اليه أو عليه ، وسواء كان المرء يؤمن به كتاباً منزلاً من الله أم لا ، فعلياً أن يحرر ذهنه بأقصى ما يمكنه ، ويبعد عنه التحيز ويتخلص من كافة الآراء التي كونها واكتسبها مسبقاً ، ثم يقرؤه بالرغبة المجردة في فهمه . أما الذين يدرسونه في ضوء المفاهيم الشخصية المسبقة فلن يجدوا فيه غير افكارهم فحسب ولهذا لا يستطيعون الوصول الى ما ينهض في فهمه وتبليغه من القرآن الكريم واذا كانت طريقتهم هذه لا تتفهم دراسة اي كتاب ، فكيف تتفهم دراسة القرآن الكريم وهو الكتاب الفريد " (١) .

فيمكننا من هذا أن نعين مكانة هذه التأويلات الباطلة للآيات القرآنية والحقيقة أن اصحاب الفرق المختلفة لا يرجعون الى القرآن الكريم ليفهموا

هذا الكتاب العزيز فهما صحيحا وهذا ما يجعل تأويلاتهم للآيات القرآنية تأويلات باطلة ، مما لابد للمفسران يعتنى بالرد عليها . لهذا نرى الاستاذ المودودي يهتم بالرد عليها خلال تفسيره للآيات القرآنية التي جاء هؤلاء الناس بتأويلاتها لهدأفهم الخاصة ، واليك بعض النماذج لاطلنا :
الرد على التأويلات الباطلة التي جاء بها الشيعة في تفسير القرآن الكريم :

ومن الفرق المختلفة الذين قاموا بتأويل الآيات القرآنية لتأييد مذاهبهم الخاصة هم أهل التشيع ، ومن المعلوم ان هذا المذهب يرجع اصله الى الخلافات بين سيدنا علي رضي الله عنه وبين سيدنا معاوية رضي الله عنه ، ولكنهم وسعوا دائرة هذه الخلافات ، فبدأوا يعتقدون في كون سيدنا علي رضي الله عنه وصيا للنبي صلى الله عليه وسلم ، وكونه أفضل من سائر الصحابة ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، روى بعضهم أكابر الصحابة والصحابيات بالاتهامات والاكاذيب ، ومن دواعي الأسف الشديد أن دائرة هذه الاتهامات والأكاذيب ليست مقصورة على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بل يتسع نطاقها الى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم المطهرات ، وما هو أكثر ألما بأنهم ان رأوا ان هناك عدد غير قليل من الآيات القرآنية الذي لا يسمح بذلك قاموا بتأويل هذه الآيات القرآنية تأويلات عجيبه وجاءوا بالاحاديث الموضوعة او الضعيفة في تأييدهم او استدلوا من بعض الاحاديث الشريفة ما ليست له اية علاقة بها ، فالاستاذ المودودي يعتنى بالرد على هذه التأويلات بالادلة من الكتاب والسنة والبراهين العقلية القاطعة واليك بعض النماذج لذلك .

الرد على الاتهام ان السيدة عائشة رضی الله عنها لم يمت من أمهات المؤمنين :

ومن أشنع الاتهامات والأكاذيب التي رمى بها الشيعة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه صلى الله عليه وسلم ما رموا به أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها ، ولكنهم اذا رأوا أن قوله تعالى (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) (١) لا يسمح لهم ان يأتوا بهذه الاتهامات ، جاءوا بتأويله العجيب فقالوا ان شرف أمهات المؤمنين لم يبق في السيدة عائشة رضي الله عنها بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لان سيدنا علي رضي الله عنه قد طلقها نائبا عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فيرد الاستاذ المودودي على هذا التأويل الباطل خلال تفسيره للآية الكريمة فيقول :

" ويجدر بنا أن نذكر في هذا المقام ان لجميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، والسيدة عائشة رضي الله عنها منهن بالطبع ، نفس المنزلة في نظر القرآن ، ولكن هناك جماعة جعلت سيدنا علي والسيدة فاطمة وأولادهما رضي الله عنهم اجمعين محورا للدين وأداروا نظام الدين كله حولهم ومن ثم طعنوا في السيدة عائشة وكثير من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين ، ولما وقفت في طريقهم هذه الآية التي تضطر كل من يدعي الايمان لان يسلم بان السيدة عائشة رضي الله عنها أم له ، زعموا لحل هذه المشكلة زعما غريباً وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم قد اعطى سيدنا علي رضي الله عنه السلطة في أن يبقى بعد وفاته صلى الله عليه وسلم من يشاء من زوجاته المظهرات في عصمته صلى الله عليه وسلم ويطلق بنفسه منهن من يشاء . فقال ابو منصور أحمد بن أبي طالب الطبرسي في كتابه (الاحتجاج) :

عنه : (يا أبا الحسن أن هذا الشرف باق ماد من على طاعة الله فأيتهن عصت الله بعدى بالخروج عليك فطلقها من الأزواج واسقطها من شرف أمهات المؤمنين)^(١) ومع أن هذا الحديث باطل لا أصل له ، هو يخالف الآيات الواردة في هذه السورة أيضا^(٢) ، وذلك لان الأزواج المطهرات اللاتي فضلن البقاء مع الرسول صلى الله عليه وسلم بعد نزول آية التخيير لم يعد له صلى الله عليه وسلم الحق في طلاقهن^(٣) .

وهكذا يثبت الاستاذ المودودي من الأدلة من القرآن الكريم ان هذا التأويل باطل والحديث الذي جاء به هؤلاء الناس في تأييد هذا التأويل الباطل لا أصل له لكونه مخالفا للقرآن الكريم ، فالاستدلال من هذا الحديث غير صحيح ، ثم بعد هذه الأدلة من القرآن الكريم يأتي الاستاذ بالبراهين العقلية فيقول : " فضلا عن ذلك فان أى انسان غير متعصب اذا أعمل العقل وحده وفكر في معنى هذا الحديث ظهر له في وضوح انه لغو صريح واقترا" مبين مهين في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان الانسان لا يتوقع من رجل طدى ان يفكر في طلاق امرأته بعد موته ويفوض زوج ابنته حق طلاقها نيابة عنه اذا هى خالفته ، فكيف بالرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم مع رفعة مقامه وسمو قدره " (٤) .

(١) ابومنصور احمد بن أبى طالب الطبرسى - كتاب الاحتجاج ص : ٨٢ .

(٢) الاحزاب : ٢٨ ، ٢٩ ، ٥١ - ٥٢ .

(٣) تفهيم القرآن ج ٤ ص : ٧٢ .

(٤) المرجع السابق ج ٤ ص : ٧٣ .

فيتبين مما قاله الاستاذ المودودي في رده للتأويل الذي جاءت به الشيعة للآية الكريمة ان هذا التأويل تأويل باطل ، والحديث الذي يستدلون به الشيعة على كون أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها خارجة من أمهات المؤمنين المطهرات حديث موضوع ، وذلك لانه يخالف القرآن الكريم والعقل السليم ، ويتضح من القرآن الكريم ان الأزواج المطهرات اللاتي فضلن البقاء في زوجية النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول قوله سبحانه : (يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعن وأسرحن سراحا جميلا . وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أهد للمحسنات منكن اجرا عظيما) (١) لم يبق للنبي صلى الله عليه وسلم الحق لطلاقهن لقوله سبحانه (لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من أزواج ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك ، وكان الله على كل شيء رقيبا) (٢) .

وكيف كان له ان أن يقوم بتفويض هذا الحق الى سيدنا علي رضي الله عنه ، فيتبين من هذا ان الحديث مردود لكونه مخالفا للقرآن الكريم ، وأما من الناحية العقلية ، فلا يخفى لغويته على من أعطاه الله سبحانه الايمان مع العقل السليم .

(١) الاحزاب : ٢٨ - ٢٩ .

(٢) الاحزاب : ٥٢ .

الرد على الاتهام ان ازواج النبي - صلى الله عليه وسلم - لسن من أهل بيته - صلى الله عليه وسلم :

ومن اتهامات أهل التشيع على ازواج النبي - صلى الله عليه وسلم - المظهرات بانهن لسن من أهل بيت النبي - صلى الله عليه وسلم ، فدائرة أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم عند الشيعة مقصورة على سيدنا علي رضي الله عنه والسيدة فاطمة رضي الله عنها وأولادهما فحسب رضي الله عنهم ، فكان لعقيدتهم هذه بانهم جاؤوا بتأويل غريب لقوله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) (١) . فقالوا انه نزل في سيدنا علي رضي الله عنه والسيدة فاطمة رضي الله عنها وأولادهما فحسب واما ازواج النبي - صلى الله عليه وسلم - فهن لسن من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فلا يشملن حكم هذه الآية .

وبعنتي الاستاذ المودودي بالرد على هذا التأويل الباطل خلال تفسيره للآية الكريمة ويقول : " يظهر من السياق الذي وردت فيه هذه الآية ان المراد بأهل البيت ازواج النبي لظاهرات وذلك لان الخطاب يبدأ بقوله (يا نساء النبي) (٢) وهن بعينهن المخاطبات في الايات ما قبلها وما بعدها كما أن أهل البيت في اللغة العربية تطلق على زوجة الرجل وأولاده ولا يمكن لاحد ان يطلق كلمة ، أهل البيت مستثنيا منه الزوجة ، وقد وردت هذه الكلمة في موضعين آخرين في القرآن الكريم نفسه بمعنى " الزوجة " بل هي في مقدمة من تشملن هذه فقد جاء في سورة هود حين بشرت الملائكة ابراهيم عليه السلام بولده اسحاق عليه السلام فتعجبت زوجته حين سمعت ذلك وقالت " يا ويلتي أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشئ عجب " (٣) فردت عليها الملائكة (اتعجبين من امر الله ، رحمة الله

(١) سورة الاحزاب : آية ٣٣

(٢) سورة الاحزاب الآية ٣٢ .

(٣) سورة هود الآية ٧٢ .

وبركاته عليكم اهل البيت (١) ، وهكذا ورد في سورة القصص حينما وصل موسى — عليه السلام — الى بيت فرعون وهو رضيع ، وكانت امرأة فرعون تبحث عن مرضعة لترضع موسى عليه السلام فقالت اخته (هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم) (٢) . فاستخدام اهل اللغة واستخدام القرآن الكريم نفسه لهذا اللفظ وسياق الآية ذاتها كل ذلك اذن يدل دلالة قاطعة على أن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم المطهرات يدخلن في اهل بيته صلى الله عليه وسلم ، كما يدخل فيهم اولاده — صلى الله عليه وسلم — بل الاصح ان الخطاب في الآية موجه اليهن اصلاً ، فأما الاولاد فيدخلون فيه ضمناً وعلى هذا الاساس رأى ابن عباس (٣) وعكرمة (٤) ان المراد من اهل البيت في هذه الآية الكريمة هن ازواج النبي صلى الله عليه وسلم (٥) .

وهكذا يبين الاستاذ المودودي مستدلاً بالقرآن الكريم واللغة والسياق للآية والتفسير المأثور عن الصحابة والتابعين ان كلمة " اهل البيت " تشمل ازواج النبي والاولاد معاً ، ولا يصح اطلاقها على الاولاد بدون الازواج قط .

وقد ورد في اشهر كتب اللغة ان المراد من " اهل البيت " زوجاته صلى الله عليه وسلم وبناته وصهره على رضى الله عنهم أجمعين (٦) .

وهكذا السياق الذى وردت فيه هذه الآية الكريمة لا يسمح لهذا التأويل الباطل قط ، وذلك لانه يشمل التوجيهات الربانية الخاصة بازواج

(١) سورة هود الآية ٧٣ .

(٢) سورة القصص الآية ١٢ .

(٣) انظر تنوير المقياس من تفسير ابن عباس صفحة ٣٥٣ .

(٤) انظر ابن جرير الطبرى ج ٢٢ صفحة ٧ .

(٥) تفهيم القرآن ج ٤ ص ٩٢-٩٣ .

(٦) انظر لسان العرب ج ١١ ص ٢٩ ، والقاموس المحيط: ج ٣ ص ٣٣١ .

النبي صلى الله عليه وسلم فكيف يمكن اذن أن هن اللاتي يخرجن من حكم قوله تعالى هذا في نفس السياق فيقول سبحانه وتعالى (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا . وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) (١) . فيتبين من هذا كما يرى الاستاذ المودودي ان الآية الكريمة نزلت اصلا في ازواج النبي - صلى الله عليه وسلم - المطهرات ولكن يشمل حكمها سيدنا علي ، والسيدة فاطمة ، واولادهما رضي الله عنهم لان النبي صلى الله عليه وسلم ادخلهم في هذا الحكم ، وهذا ما يدل عليه حديث ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها وام المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها الذي يستدلون به هو " لا الناس على كون ازواج النبي صلى الله عليه وسلم المطهرات خارجة من دائرة اهل البيت فهذا الحديث كما روى من أم المؤمنين عائشة وام المؤمنين ام سلمة ، ننقله هنا والالفاظ لام سلمة فتقول رضي الله عنها : (ان هذه الآية نزلت في بيتي وانا جالسة عند الباب فقلت : يا رسول الله ألسنت من أهل البيت ؟ فقال : انك الى خير ، أنت من ازواج الرسول صلى الله عليه وسلم ، قالت : وفي البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلي ، وفاطمة ، وحسن ، وحسين ، فجعلهم بكساء وقال : " اللهم هو " لا اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيرا " (٢) . وروى هذا الحديث من عدة طرق ، وفي رواية الترمذي قال صلى الله عليه وسلم " انت على مكانك وانت على خير " (٣) .

(١) الاحزاب : ٣٢-٣٣ .

(٢) الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن جلد ٢٢ ص ٥٧ .

(٣) سنن الترمذي - كتاب التفسير - باب سورة الاحزاب .

وفى رواية احمد : " قلت : يا رسول الله - ألسنت من أهلك ؟ قال
 بلى فادخلني في الكساء " قالت : فدخلت في الكساء بعد ما قضى دطاهه لابن
 عمه علي وابنيه وابنته ، رضى الله عنهم " (١) . ولكننا لو صرفنا نظرنا عن رواية
 الامام احمد ، واقتصرنا على ما رواه الترمذى والطبرى المفهوم الصحيح
 للحديث كما يرى الاستاذ المودودى لا يسمح لهذا الاستدلال قط ، فيقول
 الاستاذ : " ويخطئ " من يستند الى هذه الاحاديث فيخرج ازواج النبی
 المطهرات من مضمون لفظ اهل البيت لانه :

اولا : ما يثبت من القرآن صراحة لا يمكن رده باى حديث . وثانيا : معنى
 هذه الاحاديث ليس كما استخرج منها والروايات التي تقول ان النبي صلى
 الله عليه وسلم لم يدخل ام المؤمنين عائشة وأم المؤمنين أم سلمة تحت الثوب
 الذى ادخل فيه عليا وفاطمة وحسنا وحسينا ليس المراد منها قط ان الرسول
 - صلى الله عليه وسلم - اقر بخروجهما من زمرة اهل البيت ، بل يعنى
 ان الزوجات يدخلن في زمرة اهل البيت لان القرآن يخاطبهن بذلك ، لكن
 النبي - صلى الله عليه وسلم - خشى ان يخطئ الناس من ظاهر لفظ القرآن
 ويحسبوا ان عليا رضى الله عنه وفاطمة وولديهما رضى الله عنهم اجمعين
 ليسوا من اهل البيت ولهذا شعر بضرورة التصريح لهم . ولكن لم تكن ضرورة
 هذا التصريح لازواج النبي المطهرات اللاتي قد نزلت هذه الآية فيهن " (٢) .
 وهكذا يثبت الاستاذ المودودى بالادلة من القرآن والسنة واللفظة
 والسياق الذى وردت فيه هذه الآية بانها نزلت في ازواج المطهرات أصلا
 وأدخل النبي - صلى الله عليه وسلم - عليا وفاطمة وولديهما في حكم الآية
 لكونهم من اولاده - صلى الله عليه وسلم - وهذا هو المفهوم الصحيح للحديث

(١) مسند الامام احمد بن حنبل - مرويات ام سلمة رضى الله عنها .

(٢) تفهيم القرآن ج ٤ ص ٩٣ .

الذى يستدل به هؤلاء المفسرون على كون أمهات المؤمنين خارجات من اهل البيت ، وكان الواضح من سياق الآية انها نزلت في الأزواج المطهرات ، ولم تكن هناك أية حاجة لتصريحه ، ولكن خشى النبي صلى الله عليه وسلم أن يخطئ الناس بظاهر الآية أن دائرة اهل البيت مقصورة على الأزواج ، المطهرات فحسب ، فدعا عليا وفاطمة وحسن وحسينا وألقى عليهم ثوبه فصرح بكونهم من اهل بيته صلى الله عليه وسلم . وهذا ما يتبين من رد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على سوء ال أم المؤمنين أم سلمة حينما سألت عنه - صلى الله عليه وسلم - : "أأنت من اهل البيت ؟" ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - انك الى الخير ، أنت من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم . فالرسول - صلى الله عليه وسلم - لم ينكر على كونها من اهل البيت بل قال : انت من أزواج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أى أنت مشمولة في حكم الآية لكونك من أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم .

هذا وهناك أحاديث أخرى تدل على اطلاق كلمة "أهل البيت" على أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - المطهرات ومنها ما رواه البخارى عن طريقه عن أنس بن مالك رضى الله عنه فيقول : "بنى النبي صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش فأولم بخبز ولحم فأرسلت على الطعام داعيا فيجىء قوم فيأكلون ويخرجون ، ثم يجىء قوم فيأكلون ويخرجون ، فدعوت حتى ما أجد احدا أذعوفقت : يابى الله - ما أجد احدا اذعوه فقال : فارفعوا طعامكم . وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق الى حجرة عائشة فقال : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله فقالت : وعليك السلام ورحمة الله ، كيف وجدت أهلك بأمر الله فيك؟

فقروا حجر نساءه كلهن ، يقول لهن كما يقول لعائشة ، ويقلن لــــه
 كما قالت عائشة . . . الخ" (١) فيبين من هذا أن المنى صلى الله
 عليه وسلم قد استخدم كلمة اهل البيت لا زواجه — صلى الله عليه وسلم —
 كما استخدمها لسيدنا علي وفاطمة وابنيهما — فيثبت ان حكم الآية تشمل
 الازواج المطهرات وعلى وفاطمة واولادهما معا .

وجد يرب بالذكر ان الاستاذ المودودي لا يتفرد في تفسيره بل سبقه
 كثير من المفسرين الكبار الذين رأوا ان الآية نزلت في الازواج المطهرات
 وتشملها الازواج المطهرات وعلى وفاطمة واولادهما معا ، ومنهم ترجمان
 القرآن عبد الله بن عباس الذي يصرى ان الآية نزلت في الازواج المطهرات (٢)
 ومنهم عكرمة الذي كان ينادى في السوق أن الآية (انما يريد الله ليذهب
 عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) نزلت في نساء النبي خاصة (٣) .
 ومنهم ايضا ابن جرير الطبري والرازي والالوسي وابن كثير الذين رأوا ان حكم
 الآية يشمل الازواج المطهرات وسيدنا علي والسيدة فاطمة وحسن وحسين
 معا رضى الله عن الجميع (٤) .

٢- النقد على عقيدة كون غير الانبياء معصومين :

ومن المعلوم أن من مقتضيات الايمان بالرسول الاساسية عقيدة
 كونهم معصومين ، وذلك لان الله سبحانه وتعالى بعثهم لتبليغ رسالته
 الى البشرية . فكان من مقتضيات فريضتهم هذه ان يكونوا في عصمة الله الخاصة
 ولكن هذه العصمة الخاصة دائرتها مقصورة على الانبياء — عليهم السلام —

(١) صحيح البخارى — كتاب التفسير — باب قوله سبحانه (لاتدخلوا
 بيوت النبي) من سورة الاحزاب .

(٢) تنوير المقياس من تفسير ابن عباس صفحة ٣٥٣ .

(٣) انظر الطبري ج ٢٢ صفحة ٧ .

(٤) انظر للمقارنة الطبري مجلد ٢٢ ص ٥-٨ ، الرازي — ج ٢٥ ،

صفحة ٢١٠ ، ابن كثير ج ٣ ص ٤٨٦ ، روح المعاني ج ٢٢

فحسب ، وهذه هي عقيدة أهل السنة . ولكن من عقائد الشيعة الخاصة أن سيدنا علي وفاطمة وبعض الأئمة من اولادهما معصومين كالانبياء عليهم السلام . وهذه العقيدة لا يوافقها القرآن ولا السنة ولكنهم ان جعلوها عقيدة لهم جعلوا لها أدلة ايضا ، ومنها استدلالهم من الآية الكريمة (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) (١) فيقولون أن الله قد طهرهم من الذنوب فاصبحوا معصومين كالانبياء - عليهم السلام - ولكننا كما فصلنا القول آنفا هذه الآية لم تنزل خاصة في سيدنا علي وفاطمة ، وابنيهما كما تقول الشيعة ، بل تشتمل: الأزواج المطهرات رضى الله عنهن وسيدنا علي رضى الله عنه وفاطمة رضى الله عنها وابنيهما رضى الله عنهم - هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى جعلهم طاهرين لا يجعلهم معصومين كالانبياء عليهم السلام ، وينتقد الاستاذ المودودي عقيدتهم هذه بالأدلة من القرآن ، فيقول : " وهناك فرقة لم تكف في تفسير هذه الآية بارتكاب ظلم اخراج نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، من زمرة اهل البيت وقصر اللفظ على سيدنا علي والسيدة فاطمة واولادهما بل بلغت في الظلم والعسف قدرا اكبر واعظم ان استنتجت من قوله تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) ان عليا وفاطمة واولادهما رضى الله عنهم معصومون كعصمة الانبياء عليهم السلام ، وذلك لان المراد من الرجس الخطأ والذنب . وقد طهر أهل البيت منه بنص هذه الآية ولكن استدلالهم هذا لا يؤيد به سياق الآية ولا الالفاظ الواردة فيها لان نص الآية لا يقول ان الله قد اذهب عنكم الرجس وطهركم تماما ، بل المراد ان الله يريد اذهاب الرجس عنكم وتطهيركم وهكذا سياق الآية وما يتصل بها من قبل ومن بعد لا يفصح عن ان المقصود

هنا ذكر مناقب اهل البيت انما الموضوع هنا هو نصح اهل البيت ان افعلوا كذا وكذا ولا تفعلوا كذا وكذا ، وذلك لان الله يريد ان يطهركم وبألفاظ اخرى المراد منه انكم اذا اخترتم كذا وكذا من السلوك فسوف تتالكم نعمة الطهر والنظافة والا فلا ، ولكننا اذا قلنا ان المراد من قوله تعالى (انما يريد الله ليذبح عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) هو بان الله قد عصم اهل البيت كالانبياء - عليهم السلام - كما يعتقد أهل الشيعة ، فليس هناك ما يمنعنا من التسليم بان كل المسلمين المتوضئين والمفتسلين والمتميمين معصومون كذلك لقوله تعالى " ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم " (١) (٢) .

وهكذا يثبت الأستاذ المودودي بالادلة القوية ان استدلال أهل التشيع بقوله تعالى هذا على كون سيدنا على والسيدة فاطمة واولادهما معصومين ليس بصحيح وذلك لان :

اولا : السياق الذي يقع فيه قوله تعالى هذا لا يسمح لهذا المفهوم قط ، فنرى ان سياق الآية وردت فيه التوجيهات الالهية لاهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم تذكر فيه مناقبهم ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى اهل بيت النبي - صلى الله عليه وسلم - كما فصل الكلام انفا خلال تفسير الآية تشملهم الازواج المطهرات وسيدنا على وفاطمة واولادهما معا .

ثانيا : قوله تعالى " ويطهركم تطهيرا " لا يجعلهم معصومين كالانبياء عليهم السلام ، وذلك مثل قوله تعالى (ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم) الذي لا يجعل كل المسلمين المتوضئين معصومين

(١) سورة المائدة الآية ٦ .

(٢) تفهيم القرآن ج ٤ ص ٩٣ ، ٩٤ .

فترى ان نفس الكلمة " يطهر " وردت في كلتا الآيتين ، فكيف يمكن ان أن نفس الكلمة " يطهر " وردت في هذه الآية يختلف مفهومها من المفهوم الذي كان لها في تلك الآية . فيتين من هذا أن تأويلهم هذا للآية الكريمة تأويل باطل لا يؤيده القرآن ولا السنة .

هذه هي بعض النماذج لاسلوب الاستاذ المودودي في الرد على التاويلات الباطلة للشيعية في تفسير القرآن الكريم فهو يرد على هذه التاويلات بالادلة من الكتاب والسنة احيانا ويأتى بالرد بالبراهين العقلية القوية احيانا اخرى . وهكذا يجمع بين الرواية والدراية في رده على هذه التاويلات الغريبة ، ولولا ضيق المجال لذكرنا هنا عد يد من النماذج لذلك فلنكتف بما نقلناه .

الرد على التأويلات الباطلة للقاد يانين :

(١)

نقد فصلنا القول في هذه الرسالة بأنه كانت نشأة القاد يانية في شبه القارة الهندية في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي تحت رعاية الاستعمار الغاشم البريطاني لتحقيق اهدافه الشنيعة فقد ادعى زعيمهم المتنبى " غلام أحمد القاد ياني " انه المسيح الموعود وانه نبي ثم جاء بالتأويلات الباطلة والآيات القرآنية والاحاديث النبوية لكي يؤيد بها ما يدعيه . وجد ير بالذكر ان الاهداف الشنيعة التي كان يرغب الاستعمار الغاشم في تحقيقها بواسطة المتنبى الكاذب عديدة ، منها القضاء على عقيدة ختم النبوة التي كانت أساسا لوحدة المسلمين ومظهرها لولا لهم للنبي صلى الله عليه وسلم . ومنها القضاء على فريضة الجهاد التي كان يخاف منها الاستعمار أشد الخوف ومنها غرس نحلة العملاء المستقلة في صفوف المسلمين وما الى ذلك من الاهداف الشنيعة .

وقد تمكن مسلمو باكستان من القضاء على هذه الفتنة حيث اصدر البرلمان القرار الشهير بكون القاد يانين غير المسلمين ، والحقيقة ان للعلماء والجماعات الاسلامية دورا كبيرا في الوصول الى هذا الهدف ، والاستاذ المودودي لكونه الداعية الخبير لعب دورا أساسيا في القضاء على هذه الفتنة وكما ذكرنا في هذه الرسالة (٢) قد صدر حكم أعدامه شنقا لتأليف رسالته الشهيرة " المسألة القاد يانية " وقد انقذه الله فيما بعد من تنفيذ هذا الحكم فيه .

(١) انظر ص ٧٥ من هذه الرسالة .

(٢) انظر ص ١٤٨ من هذه الرسالة .

وكان من الطبيعي ان يعتنى الاستاذ المودودى بالرد على التاويلات
 الباطلة التى جاء بها القاد يانيون لتأييد عقائد هم الباطلة الواهية
 فهو يعتنى بهذا الامر بكل العناية ولا سيما خلال تفسيره للقران الكريم فيأتى
 بالادلة من الكتاب والسنة ويضيف اليها البراهين العقلية القوية ويبين ان هذه
 التاويلات الباطلة ليس لها اى اساس فلا يلىق بالمسلم ان يعتنى بها
 واليك بعض النماذج لاسلوب الاستاذ المودودى للرد على القاد يانيين
 خلال تفسيره للقرآن الكريم .

الرد على تاويلهم الباطل لكون النبي — صلى الله عليه وسلم — خاتم النبيين :

ان اكبر الموانع واشدها فى طريق هذه الدعوى الباطلة كان قوله
 سبحانه (ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين
 وكان الله بكل شىء عليما) (١) . وذلك لانه يدل على كون سيدنا محمد
 صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء عليهم السلام وآخريهم ويبين بكل صراحة
 انه لن ياتى نبي بعده — صلى الله عليه وسلم — وهذا ما تدل عليه الاحاديث
 الشريفة التى نقلت عنه صلى الله عليه وسلم فى هذا الموضوع .

فلذا لم يكن للمتنبى الكاذب الا ان يقوم بالتاويلات الباطلة لهذه
 الآية الكريمة والاحاديث الواردة فى هذا الموضوع فقال ان المراد من "خاتم"
 هو "الطابع" فيكون المراد من خاتم النبيين "ان ان الانبياء الذين سيظهرون
 بعده — صلى الله عليه وسلم — يكونون مختومين بخاتمه — صلى الله عليه وسلم
 وقال ان المراد من كون النبي — صلى الله عليه وسلم — "خاتم النبيين هو
 كونه — صلى الله عليه وسلم — افضل النبيين . فباب النبوة مفتوح ولكن كمالات
 النبوة قد انتهت اليه — صلى الله عليه وسلم — وان لم يجد دليلًا لتاويلاته

الباطلة في القرآن ولا في السنة ولا في اللغة قال ان قوله " خاتم النبيين " قد استخدم في الآية على سبيل المبالغة كما تستخدم القابات خاتم الشعراء وخاتم الفقهاء وغيرها على سبيل المبالغة .

وقد تناول الاستاذ المودودي هذا الموضوع بالتفصيل خلال تفسيره للآية ونظرا لاهميتها البالغة تناول جميع النواحي المتعلقة بالموضوع وتمكن من الرد على هذه التأويلات الباطلة الواهية بالادلة من القرآن والسنة واللغة والاجماع والبراهين العقلية القوية .

يبدأ الاستاذ المودودي تفسيره للآية ببيان المراد الصحيح للآية الكريمة في السياق الذي هي وردت فيه فيقول :
" في هذه الآية الكريمة الواحدة قطعت جذور كل الاعتراضات التي أخذها المخالفون على زواج النبي - صلى الله عليه وسلم - بزينة - رضي الله عنه عنها - فكانت هذه الاعتراضات والافتراءات كالاتي :
اولا : كان اعتراضهم الاول انه - صلى الله عليه وسلم - تزوج بزوجة ابنه مع ان المرأة اذا تزوجها الابن تحرم على الاب حتى في شريعته - صلى الله عليه وسلم - فرد سبحانه على هذا بقوله (ما كان محمد - ابا احد من رجالكم) اي متى كان الرجل الذي تزوج محمد - صلى الله عليه وسلم - بمطلقة ابنه حتى يحرم عليه الزواج بها .

ثانيا : فكان اعتراضهم الثاني ان متبناه زيدا اذا لم يكن ابنا له حقيقيا فزواجه بمطلقة كان مباحا له على الاكثر ولم كان ضروريا فقبل لهم (ولكن رسول الله) اي كان من مقتضيات كونه - صلى الله عليه وسلم - رسولا ان يهتم بانقضاء على التقاليد والتعصبات الجاهلية التي حرمت حلالا بدون اي سبب معقول وذلك لكي لا يبقى مجال

للشك في كونه حلالا ، ثم انه - سبحانه وتعالى - أكد ذلك بقوله (وخاتم النبيين) اي هو اخر نبي بعثناه في العالم ، وليس يأتي بعده - صلى الله عليه وسلم - نبي ولا رسول حتى اذا توقف - عليه السلام - عن تنفيذ اي اصلاح او تعديل في القانون او المجتمع قام به النبي الاتي بعده . ولذلك كان من واجبه صلى الله عليه وسلم أن يتولى بنفسه تحطيم هذا التقليد الجاهلي " (١) .

وهكذا يثبت الاستاذ المودودي خلال تفسيره للأية الكريمة ان السياق الذي وردت فيه هذه الآية الكريمة لا يتحمل فيه اي مفهوم لقوله سبحانه (خاتم النبيين) الا انه - صلى الله عليه وسلم - اخر الانبياء والمرسلين ولا يأتي بعده نبي ولا رسول قط واما كون مفهوم قوله سبحانه (خاتم النبيين) افضل الانبياء عليهم السلام ، أو طابع الانبياء كما يدعى المتنبي الكاذب فلا يسمح له سياق الآية قط ، وذلك لأن اذا كان باب النبوة مفتوحا وكانت هناك اية امكانية لبعثة نبي او رسول آخر بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يبق هناك اية حاجة لاهتمام النبي - صلى الله عليه وسلم - بالزواج بالسيدة زينب لتحطيم التقاليد الجاهلية فكان ممن الممكن ان يكلف الله نبيا آخر التحقيق هذا الهدف فيما بعد .

فيتبين من هذا ان تاويل قوله سبحانه (خاتم النبيين) بطابع النبيين يجعل دليله سبحانه ضميما جدا ولا يجعله - صلى الله عليه وسلم - بريئا من الاتهامات التي كان يرميه بها المخالفون فيصبح هذا التاويل باطلا في ضوء السياق الذي وردت فيه هذه الآية الكريمة .

(١) فهم القرآن ج ٤ ص : ١٠٣ - ١٠٤ .

وبعد ما يثبت الاستاذ المودودي ان هذه التأويلات الباطلوسة لا يسمح لها السياق الذي وردت فيه الآية يعتنى بالتحقيق اللغوي للكلمة " خاتم " ويأتى بالادلة من أشهر القواميس والمعاجم للغة العربية — مثل لسان العرب (١) والقاموس المحيط (٢) وأقرب الموارد (٣) فيثبت أن المراد من " الختم " فى اللغة العربية واساليبها هو الطبع بالخاتم والسد والوصول الى الانتها ، ونهاية الشئ ، والفراغ من العمل ، فيقال ختم العمل ، فرغ من العمل ، ختم الاناء ؛ سده بالطين ونحوه فلا يدخل فيه ولا يخرج منه شئ ، ختم الكتاب ؛ حفظ ما فى الكتاب بوضع نقش الخاتم عليه حتى لا يجرى عليه التزوير خاتمة كل شئ ، عاقبته وأخره ختم الشئ ؛ بلغ آخره ، وفى هذا المعنى يقال ختم القرآن ، وفيه تسمى الآيات الاخيرة من السورة خواتيمها ويكون خاتم القوم آخرهم (٤) .

ثم يرد الاستاذ المودودي على الاستدلال المتنبى الكاذب — استخدام لقب (خاتم الشعراء) لأفضل الشعراء واستخدام لقب (خاتم الفقهاء) لأفضل الفقهاء لكون المراد من (خاتم النبيين) " أفضل النبيين " فيقول ؛

" ان استخدام هذه الالقاب على سبيل المبالغة لا يعنى ابدان المعنى الاصلى من الناحية اللغوية للفظ (الخاتم) هو الكامل او الافضل وان استخدام

(١) انظر لسان العرب ج ١٢ ص ١٦٣ — ١٦٤ .

(٢) انظر القاموس المحيط ج ٤ ص ١٠٣ — ١٠٤ .

(٣) انظر اقرب الموارد . ج ١ ص : ٢٥٧ .

(٤) تفهيم القرآن ج ٤ ص ١٣٨ — ١٣٩ .

هذا اللفظ بمعنى "الأخر" خطأً في أساسه والحقيقة أن هذا الدليل لا يأتي به إلا من كان جاهلاً بقواعد اللفظة وليست قاعدة في آية لفظة أن اللفظ إذا استخدم بالمعنى المجازي أحياناً أصبح المعنى المجازي هو معناه الحقيقي ويحرم استعماله في معانيه الأصلية من الناحية اللغوية فان قلت لمربي "جا" خاتم القوم "فهل يفهم أنك تعنى "جا" كاملهم وفاضلهم "بل سيفهم أنك تعنى أن القوم جا"واكلهم وجا"ايضا آخر من كان باقيا منهم" (١) .

وهكذا يثبت الاستاذ المودودي مستندا إلى أمهات الكتب ففى اللغة العربية أن اللفظة لا تسمح للمعاني التي جا" بها المتنبى الكاذب لقوله تعالى (خاتم النبيين) وتأويل كلمة "الخاتم" "بالطابع" أو "الافضل" أو "الكامل" فى قوله تعالى هذا ليس الا تحريفاً صريحاً للقرآن ولا يدل الاعلى تزوير المتنبى او جهالته او على وجود كلتا الصفتين فيه ثم يستنتج الاستاذ من هذه الاردة "وبناء" على هذا قد اتفق اهل اللغة واهل التفسير على أن المراد من (خاتم النبيين) هو آخر النبيين " . وكلمة "الخاتم" اذا استخدمت فى معنى الطابع لا يكون المراد منه فى اللغة العربية واساليتها خاتم البريد الذى تمهر به الرسائل انما يعنى ذلك الخاتم الذى يوضع على الطرد او الظرف ليمنع دخول شىء اليه او خروج شىء منه " (٢) .

(١) تفهيم القرآن ج ٤ ص ١٣٩ .

(٢) المرجع السابق ج ٤ ص ١٤٠ .

٩ - الاستشهاد بالأحاديث النبوية :

وبعد استشهاد به باللغة العربية على كون تاويل المتبني الكاذب باطلا يمتنى الاستاذ المودودى ببيان ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير هذه الآية الكريمة وينقل عددا من الاحاديث الصحيحة من البخارى ومسلم وكتب الصحاح الستة الاخرى وهذه الاحاديث الشريفة يتبين من كل واحد منها بكل صراحة ان النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يكن (خاتم النبيين) في معنى الطابع والافضل قط، بل كان (خاتم النبيين) في المعنى انه كان آخرهم ولا ياتى بعده نبي ولا رسول ولو اتسع لنا المجال لنقلنا هنا كل هذه الاحاديث الشريفة ولكننا نكتفى هنا بنقل بعضها فحسب :

اولا : عن ابي هريرة - رضى الله عنه - قال النبي - صلى الله عليه وسلم - " مثل الانبياء ^{من قبلى} كمثل رجل بنى بيتا فاحسنه واجمله الا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ، فانا اللبنة وانا (خاتم النبيين) رواه البخارى ومسلم وابوداود والطيللسى والامام احمد واللفظ للبخارى (١) .

وهذا هو التفسير الذى ثبت عنه - صلى الله عليه وسلم - للآية الكريمة وهو التفسير للآية يتبين منه بكل الصراحة ان المراد من "خاتم النبيين" ليس الا آخر النبيين وليس هناك اى مجال لأى مفهوم آخر ، والحقيقة ان بعد هذا التفسير من النبي - صلى الله عليه وسلم - للآية الكريمة لا يمكن لاحد ان ياتى بتاويل آخر لها الا وهو لا يخاف من الله ولا يستحق عنه .

(١) صحيح البخارى كتاب المناقب باب خاتم النبيين .

وهدير بالذكر ان هذا الحديث الشريف لا يمكن لاحد ان يصرف النظر عنه بالحيلة انه ضعيف او موضوع او خبر اُحاد ، وذلك لانه ورد فى صحيح البخارى وصحيح مسلم وكتب الصحاح الستة الاخرى ورواه البخارى بطريقين (١) ومسلم بأربع طرق (٢) والترمذى (٣) وابوداؤد الطيالسى (٤) كل واحد بأسانيد ه .

ثانياً : عن جبير بن مطعم عن ابيه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : انا محمد وانا أحمد ، وأنا الماحى الذى يمحو بن الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على عقبى . وأنا العاقب الذى ليس بعده نبي ، رواه مسلم والبخارى والترمذى والامام مالك والحاكم واللفظ لمسلم (٥) .

وهذا الحديث الشريف - ايضاً - يبين بكل الصراحة ان المراد من كون النبي - صلى الله عليه وسلم - (خاتم النبيين) آخر النبيين ولا يأتى بعده - صلى الله عليه وسلم - نبي ولا رسول كان مختوماً بخاتمه - صلى الله عليه وسلم - او كان اقل فضلاً منه - صلى الله عليه وسلم - وكان ظلياً او بروزياً وذلك لان النبي - صلى الله عليه وسلم - قد سمي نفسه (العاقب) ثم شرح بان المراد من العاقب هو الذى ليس بعده نبياً باى نوع من الانواع ، والحقيقة ان هذا هو التفسير الصحيح لقوله تعالى خاتم النبيين ولا يمكن بعد هذا التفسير ان يأتى احد بتأويل اخر لقوله (خاتم النبيين) الا اذا كان هدفه تزوير الناس بهذا التأويل الباطل .

(١) البخارى ، كتاب المناقب ، باب خاتم النبيين .

(٢) مسلم ، كتاب الفضائل ، باب خاتم النبيين .

(٣) سنن الترمذى ، كتاب المناقب ، باب فضل النبي صلى الله عليه وسلم .

(٤) انظر منحة المصمود فى ترتيب مسند ابى داود الطيالسى كتاب السيرة النبوية ، باب ما جاء فى نسبه صلى الله عليه وسلم وبعض اسمائه صلى الله عليه وسلم .

(٥) مسلم ، كتاب الفضائل ، باب اسماء النبي صلى الله عليه وسلم .

(٦) يدعى المتنبى القاديانى الكاذب بانه ظل للنبي صلى الله عليه وسلم وبرز له .

وهذا الحديث ايضا قد رواه الشيخان (١) والترمذى (٢) والموطأ (٣) والحاكم (٤) . ولهذا لا يمكن لاحد ان يصرف النظر عنه بقول من اقاويله الباطلة .

ثالثا : وعن سعد بن وقاص رضى الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه " انت منى بمنزلة هارون من موسى عليه السلام الا انه لا نبي بعدى . (٥)

وهذا الحديث الشريف رواه الشيخان (٦) واحمد (٧) وابوداؤد الطيالسى (٨) وهذا ما يدل على كون هذا الحديث الشريف صحيحا . وهذا الحديث الشريف ايضا صريح فى مفهومه ويساعدنا فى فهم المراد الصحيح لقوله تعالى (خاتم النبيين) . فنرى هنا ان النبي - صلى الله عليه وسلم - اذا شبه عليا رضى الله عنه بهارون عليه السلام رأى ضروريا ان يبين بكل صراحة انه لا يكون نبيا بعده وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم (الا انه لا نبي بعدى) ولو كان باب النبوة مفتوحا ، ولو للنبيين المختومين كما يدعى المتنبى الكاذب لماذا لم يهتم النبي صلى الله عليه عليه وسلم باستثناهم من هذا النفي التام . وهذا ما يدل على كون هذه التأويلات باطلة .

-
- (١) البخارى : كتاب المناقب باب أسماء النبي صلى الله عليه وسلم .
 - (٢) الترمذى كتاب الاداب باب اسماء النبي صلى الله عليه وسلم .
 - (٣) الموطأ : كتاب اسماء النبي صلى الله عليه وسلم .
 - (٤) المستدرک : كتاب التاريخ باب اسماء النبي صلى الله عليه وسلم .
 - (٥) مسلم : كتاب فضائل الصحابة - باب مناقب على .
 - (٦) صحيح البخارى : كتاب المغازى باب غزوة تبوك .
 - (٧) مسند الامام احمد : باب مرويات سعد بن ابى وقاص .
 - (٨) انظر منحة المستنير فى ترتيب مسند ابن داؤد الطيالسى - كتاب مناقب الصحابة باب ما جاء فى الاشارة الى خلافة امير المؤمنين على رضى الله عنه .

وقد أورد الاستاذ المودودي في هذا الموضوع اربعة عشر حديثا صحيحا من كتب الاحاديث المختلفة اكثرها من الشيخين والاخرى من كتب الصحاح الستة وكل واحد من هذه الاحاديث الشريفة برهان قاطع على كون تاويلات المتنبى الكاذب لقوله (خاتم النبيين) باطلة ثم يسأل الاستاذ بعد نقل هذه الاحاديث المباركة :

" فأى تفسير لقوله تعالى (وخاتم النبيين) عسى ان يكون اكثر صحة واقوى اسنادا واقطع ثبوتا واوضح دلالة من هذا ؟ ان قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - حجة في ذاته ولكنه يزداد قوة في الحجة اذا كان شرحا لنص من نصوص القرآن . ومن ذا عسى ان يكون اعرف بالقرآن واحق بتفسير معانيه من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يبين معنى الختم بالنبوة غير المعنى الذى بينه صلى الله عليه وسلم فنراه جديرا بالالتفات اليه فضلا عن تقبله ونعترف بصحته " (١) .

— الرد على استدلال القاديانيين من بعض الروايات :

هذا ولا يفوت الاستاذ المودودي ان يرد على ما يستدل به القاديانيون من بعض الروايات في تاييد تاويلهم الباطل لقوله (خاتم النبيين) فهناك روايتان اللتان يستدلون بهما القاديانيون فأولاهما ما رواه مسلم في صحيحه عن ابي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فانى آخر الانبياء وان مسجدي آخر المساجد) (٢) .

(١) تفهيم القرآن ج٤ ص ١٤٤ .

(٢) مسلم - كتاب الحج - باب الصلاة بمسجد مكوا المدينة .

فاستدل القاديانيون بهذا الحديث على ان كما لا يمنع قوله صلى الله عليه وسلم (ان مسجدى آخر المساجد) من انشاء المساجد الجديدة وكذلك قوله (انى آخر الانبياء) لا يمنع ان ياتى بعده صلى الله عليه وسلم الانبياء فيتناول الاستاذ المودودى تأويلهم الباطل فيرد عليه بالادلة القوية فيبين ان السياق الذى ورد فيه هذا الحديث فى صحيح مسلم لا يسمح لهذا التاويل الباطل قط بل يتبين من الاحاديث الواردة فى السياق انه ليس فى الدنيا الا ثلاثة مساجد لها الفضل على سائر المساجد والصلاة فيها خير من الصلاة وفى غيرها فلا يجوز للناس على هذا ان يشدوا الرحال للصلاة فى اى مسجد اخر غير هذه المساجد الثلاثة وهى :

المسجد الحرام بمكة المكرمة الذى بناه ابراهيم عليه السلام والمسجد الاقصى الذى بناه سليمان عليه السلام والمسجد النبوى بالمدينة المنورة الذى بناه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والمراد من قوله صلى الله عليه وسلم بانه لما كان آخر الانبياء عليهم السلام ولا ياتى بعده نبي اخر الى يوم القيامة فلا يبنى فى الدنيا بعده مسجد اخر تكون الصلاة فيه خيرا من الصلاة فى المساجد الاخرى ويجوز شد الرحال للصلاة فيه .

والرواية الثانية التى يستدل بها القاديانيون هو ما نسب الى السيدة عائشة رضى الله عنها انها قالت (قولوا انه خاتم النبيين ولا تقولوا لانبى بعده) (١) . فيقولون ان هذا الحديث يؤيد تأويلهم لقوله (خاتم النبيين) فيرد الاستاذ المودودى على هذا ويقول :

” ليست معارضة الأقوال الصريحة للنبي صلى الله عليه وسلم بقول من أقوال احد الصحابة رضى الله عنه الا تعارض فى التناول واساءة الادب مع مكانة

(١) السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٥ ص ٢٠٤ .

الرسول صلى الله عليه وسلم وفضلا عن هذا فليست الرواية التي ينقلون فيها هذا القول عن عائشة رضى الله عنها بحجة فى نفسها وذلك لان لم يروها محدث ثقة فى اى كتاب موثق من كتب الحديث وقد روى فى احد التفاسير

(الدر المنثور فى التفسير بالمأثور) .

ولا يعلم احد باسانيدها فهل يجدر بنا ان هذه الرواية الضعيفة والتي هى محض قول صحابية من الصحابة رضوان الله عليهم تذكر امام تلك الاحاديث النبوية الصحيحة التي رواها المحدثون باسانيد صحيحة (١) .

وبهذا يرد الاستاذ المودودى على الادلة التي يأتى بها القاد يانيون فى تأييد تاويلاتهم الباطلة لقوله (خاتم النبیین) ويثبت بالادلة القوية بان الروايتين اللتين يأتى بها القاد يانيون فى تأييدهم كلاهما لا يمكن استخدامهما لتحقيق هذا الهدف وذلك لان احدهما ضعيفة او موضوعة لا يجدر ذكرها امام الاحاديث الصحيحة واما الرواية الثانية فالسياق الذى هى وردت فيه لا يسمح للمفهوم الذى يستتبط منها القاد يانيون وهكذا لا يترك الاستاذ لهم سبيلا لاستخدام الاحاديث النبوية لتحقيق اهدافهم الشنيعة .

— الاستشهاد من اجماع الامة :

وبعد ما ينتهى الاستاذ المودودى من ذكر الادلة من القدرتين والسنة واللغة على كون تاويلات المتنبى الكاذب باطلة يذكر اجماع الامة فى هذا الموضوع من عهد الصحابة رضوان الله عليهم الى يومنا هذا وذلك لان اجماع الامة يكون المصدر الثالث الاساسى للتشريع الاسلامى بعد الكتاب

(١) انظر تفهيم القرآن ج ٤ ص : ١٤٤ .

والسنة ويعتبر احد المصادر الاساسية للتفسير ، والتفسير للاية الذى
يثبت من الاجماع اذن يعتبر تفسيراً صحيحاً ويكون فى مكانته بعد التفسير
بالقرآن والسنة .

وفى هذا الصدد يبدأ الاستاذ المودودى أدلته بذكر اجماع الصحابة
رضى الله عنهم على كون النبى صلى الله عليه وسلم (خاتم النبيين) بمعنى
" اخر النبيين " عليهم السلام وذلك من اجماعهم على كون المتبیین كلهم
كذابين وعلى راسهم المتبى مسيلمة لذى لم يقم بدعوى النبوة المستقلة بل
كان يدعى بكونه شريكاً فى نبوة النبى صلى الله عليه وسلم واذا كلمنا فى اصطلاح
المتبى القاد ياتى الكاذب كان يدعى بكونه مختوماً بختم النبى صلى الله عليه
وسلم ولكن مع ذلك قد اجتمع الصحابة رضوا لله عنهم على كونه كاذباً فى هذه
الدعوى وخرجوا لقتال مسيلمة واتباعه وقا تلوا معهم واذا اسروا استعبدوا
رجالهم وسبيت نساءهم (١) ولعله لا يوجد على اجماع الصحابة مثال اكثر
صراحة من ذلك (٢) .

ويواصل الاستاذ حديثه ببيان اجماع الامة على كون المراد من
(خاتم النبيين) (اخر النبيين) ويذكر اجماع الائمة والفقهاء والمحدثين
والعلماء على هذا المعنى للاية الكريمة وينقل اقوال اكثر من عشرين
من هؤلاء الائمة والفقهاء والمحدثين والعلماء الكبار وذلك من القرن الاول من
الهجرة الى نهاية القرن الثالث عشر من الهجرة ومنهم الامام ابو حنيفة
(المتوفى عام ١٥٠ هـ) الذى يقول : (من طلب من المتبى علامة فقد كفر
لقوله عليه السلام " لانبى بعدى ") (٣) ومنهم العلامة ابن جرير

(١) انظر ابن كثير: البداية والنهاية ج ٦ ص ٢٢٣-٢٢٦ .

(٢) انظر تفهيم القرآن ج ٤ ص ١٤٥ .

(٣) انظر ابن احمد المكي : مناقب الامام الاعظم ج ١ ص ١٦١ .

الطبري (المتوفى ٣١٠ هـ) (١) ومنهم الامام الطحاوي المتوفى (٣٢١) (٢)
 ومنهم العلامة ابن حزم الاندلسي (المتوفى ٤٥٦ هـ) (٣) ومنهم الامام
 الغزالي (المتوفى ٥٠٥ هـ) (٤) ومنهم محي السنة البغوي (المتوفى
 ٥١٦) (٥) ، ومنهم الزمخشري (متوفى ٥٣٨) (٦) ، ومنهم الامام الرازي (٧) ،
 (المتوفى ٦٠٦ هـ) ومنهم البيضاوي (٨) (المتوفى ٦٨٥) ومنهم ابن كثير (٩)
 (المتوفى ٧٧٤ هـ) ومنهم السيوطي (١٠) (المتوفى ٩١١ هـ) ومنهم الامام الشوكاني
 المتوفى عام ١٢٥٥ هـ (١١) ومنهم النجاشي المتوفى عام ١٢٧٠ هـ (١٢) .
 وما الن. ذلك من الائمة الكبار والفقهاء والمحدثين والمفسرين رحمهم الله اجمعين .

وبعد ما يذكر الاستاذ المودودي اقوال هو " لا الائمة الكبار والفقهاء "

والمحدثين والمفسرين في كون المراد من (خاتم النبيين) " آخر النبيين " .
 يقول في تعليقه كالاتي :

" وما يثبت بهذه الاقوال قطعا ان العالم الاسلامي منذ القرن الاول الهجري
 يومنا هذا مازال يرى معنى (خاتم النبيين) اخرهم الذي لانبي بعده ، وانه
 مازال المسلمون مجمعين على العقيدة بان باب النبوة مفلق الى ابد الابد "

(١) انظر تفسير ابن جرير الطبري ج ٢٢ ص ١٢ .

(٢) انظر شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ص : ٨٢ .

(٣) انظر المحلى ج ١ ص ٢٦ .

(٤) انظر الاقتصاد في الاعتقاد ص ١١٤ .

(٥) انظر معالم التنزيل ج ٥ ص ٢٦٥ .

(٦) انظر تفسير الكشاف ج ٢ ص ٢١٥ .

(٧) انظر التفسير الكبير ج ٥ ص ٢١٥ .

(٨) انظر تفسير البيضاوي ج ٢ ص : ٤٢٤ .

(٩) انظر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٩٣ .

(١٠) انظر تفسير الجلالين ص ٣٥٤ .

(١١) فتح القدير ج ٤ ص ٢٨٥ .

(١٢) روح المعاني ج ٢٢ ص ٣٢-٣٩ .

بعد محمد صلى الله عليه وسلم وانه لا يختلف اثنان منهم قط في ان كل ما قام
بدعوى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم او صدقه في دعوته وآمن بنبوته
الكاذبة هو كافر خارج من دائرة الاسلام (١) .

— البراهين العقلية :

وبعد ما يذكر الاستاذ المودودي هذه الادلة من القرآن والسنة
واللغة والاجماع على كون المراد من (خاتم النبيين) - آخر النبيين يأتي
بعدة من البراهين العقلية القوية في تأييد كون النبي صلى الله عليه وسلم
(خاتم النبيين) في معنى آخر النبيين ومنها :

أولا : " أن مسألة النبوة مسألة هامة ودقيقة جدا ، وهى في نظر
القرآن احدى عقائد الاسلام الاساسية التى يتوقف على الايمان او عدم الايمان
بها اسلام العرء وكفره فان كذب نبيا حقيقيا فهو كافر وان صدق وآمن بمتبى
كاذب فهو كافر ، فلذلك لا يرجى من الله عدم الوضوح في مثل هذا الامر
الخطير ، فهو لو كان مرسلا احدا بعد محمد صلى الله عليه وسلم لصرح به
بكلمات واضحة في كتابه ولاعلن هذا عن طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعلانا واضحا ، ولم يفاد ر صلى الله عليه وسلم دار الفناء الا ان يخبر أمته
بكل الصراحة ان آمنوا بمن يأتي بعده من الانبياء " (٢) . والحقيقة ان دليل
الاستاذ المودودي هذا دليل قوى جدا والايمان بالنبوة من عقائد الاسلام
الاساسية فكان من متطلبات هذه العقيدة الهامة ان يبين الله سبحانه
بكل صراحة هل ياتى بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبي أم لا ، فكان
لاهمية هذه العقيدة البالغة بان الله سبحانه اخبر عن بعثة النبي صلى
الله عليه وسلم في التوراة والانجيل بكل وضوح و صراحة كما يشير اليه قوله

(١) تفهيم القرآن ج٤ ص ١٥١ .

(٢) المرجع السابق ج٤ ص ١٥١ .

سبحانه (واذ قال عيسى ابن مريم يبنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصداقا
 لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) (١) . وممع
 أن التوراة والانجيل قد قام اليهود والنصارى بعد يد من التحريفات فــــ
 كليهما ولكننا حتى الآن نجد فيهما ما يدل على ذلك فورد في التوراة علىــــ
 لسان سيدنا موسى عليه السلام (يقيم لك الرب الهك نبيا من بينكم مــــ
 اخوتك مثلى له تسمعون) (٢) وهكذا ورد في الانجيل على لسان سيدنا
 عيسى عليه السلام (لا أكلمكم ايضا كلاما كثيرا لان رئيس هذا العالم يأتى
 وليس له فى شىء) (٣) .

فيتبين من هذا بأن الله سبحانه كلما بعث نبيا رأى ضروريا ان يخبره
 بانه سيمتث نبيا اخر بعدة ، وذلك لكى تؤ من امة هذا النبى بالنبىــــ
 الجديد اذا بعثه الله فكيف اذن بان الله لم يهتم بهذه السنة فى القرآن
 ولماذا لم يخبرنا عن مجىء اى نبى جديد اذا كان باب النبوة مفتوحا كما يقول
 المتنبى الكاذب وهكذا لماذا لم يخبرنا النبى صلى الله عليه وسلم عن بعثــــة
 اى نبى اخر حتى مختوما بخاتمه صلى الله عليه وسلم أو ظليا او بروزيا كما يدعى
 المتنبى القادى انى بل على العكس ، ترى بان الله قد انزل فى القرآن ما يدل صراحة
 على كونه صلى الله عليه وسلم آخر النبيين . وهكذا كما ذكرنا انفا ان هناك
 كثير من الاحاديث النبوية الصحيحة التى تدل بكل صراحة بان النبى صلى
 الله عليه وسلم كان آخر النبيين ولن يأتى بعده نبى ولا رسول قط ، فيتبين
 من هذا أن باب النبوة قد غلق بعدة صلى الله عليه وسلم قطصيا ، فيثبت من
 هذا ان النبى طوى الله عليه وسلم (خاتم النبيين) بمعنى اخر النبيين مــــ

(١) الصف : ٥٦

(٢) الكتاب المقدس - سفر تثنية الاشتراع - الفصل الثامن عشر الفقرة رقم ١٥ .

(٣) الكتاب المقدس : انجيل القديس يوحنا الفصل الرابع عشر - الفقرة رقم ٣٠ .

ولا يأتي بعده نبي ولا رسول ولا مختوما بخاتمه صلى الله عليه وسلم ، ولا ظليها
ولا بروزيا كما به عن القاد ياني الكاذب .

ثانياً : هل الانسانية في حاجة الى نبي جديد ؟ :

ومن البراهين العقلية الاخرى التي جاء بها الاستاذ المودودي
في هذا الصدد هو ان البشرية ليست في حاجة الى نبي جديد وذلك لان الله
سبحانه كما يتبين من القرآن لم يبعث نبيا الا اذا كانت حاجة لبعثته ، والسؤال
ان هل الانسانية في حاجة لنبي جديد بعد سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم ، وهذا السؤال سؤال هام جدا وذلك لان اذا كانت هناك اية حاجة
لبعثة نبي جديد بعد النبي صلى الله عليه وسلم فمن لا بد ان يبعث الله
نبيا جديدا واذا لم تكن هناك اية حاجة ، ولما اذا ان سيبعث الله نبيا
بعده صلى الله عليه وسلم ، وفق هذا الصدد يرى الاستاذ المودودي في ضوء
القرآن بأن الله لم يبعث نبيا الا لتحقيق احد من الاهداف الاتية :

اولاً : تقتضى الضرورة لبعثة نبي الى قوم من الاقوام اذا كان لم يبعث فيهم
نبي من قبل ولم تصلهم دعوة نبي آخر يبعث في القوم الاخر .

ثانياً : اذا كانت دعوة النبي السابق قد نسيت او حرفت او لم يكن اتباعها ممكنا .

ثالثاً : اذا كان الناس لم يتلقوا الهداية والتعاليم كاملة عن طريق النبي السابق
فيقتضى اكمال الدين مزيدا من الانبياء .

رابعا : اذا اقتضت الحاجة بعث نبي لیساعد نبيا آخر* (١) .

ثم يتناول الاستاذ المودودي هذه الاسباب لبعثة النبي الجدي
واحدة تلو اخرى ، وفيثبت بالادلة القطعية انه ليست هناك اية حاجة

لبعثة النبي الجديد بعد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فيقول : " ومن
البين الواضح انه لم تنبأ أية ضرورة من هذه الضرورات الاربع بعد محمد
صلى الله عليه وسلم :

فاما الضرورة الاولى : فالقرآن نفسه يقول انه صلى الله عليه وسلم بعث
لهداية الناس أجمعين (١) وتاريخ العالم الحضارى يثبت ان الظروف والحالات
ما زالت ^{تتأبح} منذ بعثته صلى الله عليه وسلم بحيث امكن لدعوته الوصول الى كل
أم وشعوب ويمكن ان تصل في كل وقت فلم تعد بعد ن الكفاية حاجة لبعث
أنبياء لكل قوم على حدة .

وأما الضرورة الثانية : فيشهد القرآن وكل تراث الحديث والسيرة على
أن التعليم الذى جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم محفوظ تام الحفظ
في صورتها الصحيحة فلم يقع فيها اى مسخ ولا تحريف ولم ينقص من الكتاب
الذى جاء به صلى الله عليه وسلم او يزد عليه حرف واحد حتى يومنا هذا
وليس من الممكن ان يحدث فيه اى تحريف الى يوم القيامة (٢) ، وهكذا
التعاليم القيمة التى لقنها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله وفعله نجد
آثارها حتى اليوم حية مصونة كأننا امام شخصه صلى الله عليه وسلم وفي عصره وفي
زمانه فبذلك انتهت الضرورة الثانية ايضا .

وأما الضرورة الثالثة : فيصرح القرآن في وضوح وجلاء ان الدين
قد اكتمل عن طريقه صلى الله عليه وسلم (٣) فلا حاجة ان لنبي اخر ليكمل
الدين ويتم الشريعة .

(١) يقول الله سبحانه (قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا) سورة

الاعراف - ١٥٨ .

(٢) يقول سبحانه (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) الحجر - ٩ .

(٣) يقول سبحانه (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم

الاسلام ديننا) المائدة : ٣ .

وأما الضرورة الرابعة : فان كان لابد من بعثة النبي مع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لتأييده وتصديقه لبعث معه في عصره ، فان هذه الضرورة بالطبع سقطت وبطلت (١) .

وبهذا يتمكن الاستاذ المودودي من الثبوت بالادلة القطعية بأنه ليست هناك اية حاجة للبشرية لبعثة النبي الجديد بعد محمد صلى الله عليه وسلم وذلك لان الاسباب التي تقضى لبعثة نبي في قوم من الاقوام قد انتهت كلها ببعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فيتبين من هذا ان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (خاتم النبيين) بمعنى آخر النبيين ، ولن يأتي بعده نبي ولا رسول لا مختوما بخاتمه صلى الله عليه وسلم ، ولا بروزيا ولا ظلليا كما يدعي المتبني الكاذب القادياني .

فيتضح مما أسلفنا ان الاستاذ المودودي خلال تفسيره للآية الكريمة يهتم بصفة خاصة بالرد على التأويلات الباطلة التي جاء بها القاديانيون في تأييد أفكارهم لعقيدة ختم النبوة ، ويتناول ادلتهم الباطلة في هذا الصدد ويبين مستدلا من سياق الآية الكريمة واشهر الكتب في اللغة العربية والاحاديث النبوية الشريفة واجماع الامة من القرن الاول من الهجرة الى نهاية القرن الثالث عشر من الهجرة والبراهين العقلية القاطعة ان هذه الادلة باطلة واهية ليس لها اي أساس على ولا عقل وان النبي صلى الله عليه وسلم (خاتم النبيين) بمعنى آخر النبيين وان باب النبوة مطلق بصفة كاملة ودائمة ولا يمكن ان يأتي بعده صلى الله عليه وسلم نبي جديد حتى مختوما او ظلليا او بروزيا ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى هذا ما يدل على ايمان نظر الاستاذ المودودي في الدين وكثرة مطالعته وسعة فكره وشدة ولائه لخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم وحماسه للدفاع عن الاسلام فجزاه الله خير الجزاء عن الاسلام والمسلمين .

الرد على التأويلات الباطلة لمنكري السنة

كما فصلنا القول في هذه الرسالة أن حركة انكار السنة النبوية هي إحدى الحركات الهدامة التي أنشئت في شبه القارة الهندية تحت رعاية الاستعمار الغاشم الانجليزي لتحقيق أهدافه الشنيعة وذلك نتيجة للعبودية الفكرية التي وقع فيها كثير من المثقفين الجدد بعد استيلاء الحضارة الغربية اللادينية التي جاء بها الاستعمار الانجليزي ، فكان لخضوعهم الكامل أمام هذه الحضارة المستوردة انهم جعلوا كل ما جاء به هذه الحضارة من العلوم والفلسفات المادية مقياساً للقبول والرد في دينهم ، فقاموا بتأويل الآيات القرآنية حسب ذلك المقياس الجديد . ولكنهم لما رأوا أن ما ثبت عن المعصوم عليه السلام في تفسير هذه الآيات لا يسمح لهم ان يؤمنوا بهذه التأويلات الباطلة ، قاموا بانكار مكانة السنة في التفسير والتشريع ، فبدأوا يفسرون القرآن حسب مقياسهم الجديد ، فأول من قام بهذا النوع من التفسير هو السيد احمد خان الشهير ، مؤسس كلية (عليه) فيقول الاستاذ ابو الحسن علي الندوي عن ذلك التفسير انه اصبح "تأويلاً يبلغ به حد التحريف والمبحث باصول العربية واللغة والنحو ، والتواتر والاجماع" (١) .

وجملة القول ان السيد احمد خان في تفسيره (تفسير القرآن وهو الهندي والفرقان) يقوم بانكار كل ما لا يثبت به الحس والتجربة (٢) ، ويرفض عن وجود الجن

(١) انظر للتفصيل الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية للاستاذ ابي

الحسن الندوي ص ٧١ .

(٢) انظر السيد احمد خان - مقالات ج ٢ ص : ٢٠٧ .

(٣) انظر المرجع السابق ص ١٩٧ - ٢٥٨ .

والملائكة والشیطان ، والمعجزات وكثير من المبادئ الدينية الاخرى (١) وبأتى بالتأويلات العجيبة لهذه الالفاظ القرآنية . فمثلا يقول عن الجن أن المراد منه هو من يسكن فى الغابة والصحراء (١) . ويقول عن الملائكة ان المراد منها القوى المدبرة للعالم (٢) وفى الجطة على هذا النوع كانت تاويلاته الاخرى لالفاظ القرآن واياته . ولما كانت السنة لم تكن تسمح لهذا النوع من التأويلات الباطلة قام بانكارها وقال : " مادون فى هذه الكتب من الاحاديث انما هى الفاظ للرواة لا نصرف ما بين اللفظ الاصلى الصادر من شفثيه عليه السلام - والمعبر به من وفـساق أوخلاف " (٣) .

وكان لنفس العبودية الفكرية امام الحضارة الغربية أن وميه جراغ على (٤) قام بتأويل الجهاد فى سبيل الله " ببذل الوسع فى تحقيق الهدف وانكر عن كونه قتالا مع أعداء الدين (٥) . ثم بعد وفاة السيد احمد خان تحولت هذه الفكرة الى حركة مستقلة قادها مولوى عبد الله الجكر الوسى (٦) ثم غواجه

(١) انظر المرجع السابق ص ١٥٠ - ١٩٦ .

(٢) انظر المرجع السابق ج ١ ص ١٢٨ .

(٣) المرجع السابق ص ٤٥ .

(٤) هو جراغ على بن محمد (١٨٤٤ - ١٨٩٥) أحد أعضاء حركة عليگریه البارزين . وله عديد من كتب اشهرها " تحقيق الجهاد " الذى يقول فيه ان المراد من الجهاد هو بذل الوسع لتحقيق الهدف ولا يشطه القتال .

(٥) جراغ على - تحقيق الجهاد ص ٢ .

(٦) هو عبد الله بن عبد الله الجكر الوسى (المتوفى ١٩١٤ الميلادى) ولد فى جكراله بمقاطعة ميانوال ، باقليم پنجاب (باكستان) وتلقى دروسه على يمد المحدث الشهير نذير حسين الدهلوى ثم اصبح منكرًا للسنة النبوية ، وله عديد من الكتب التى ألفها فى تأييد مذهبه .

أحمد الدين الامرتسرى (١) ثم الحافظ محمد اسلم الجيرا جيورى (٢) والتي يقودها
الان الشورى غلام أحمد برويز (٣) .

وبعد انكارهم لكون السنة النبوية احد مصادر اساسية لتفسير القرآن الكريم
بدأوا يفسرون القرآن الكريم حسب أفكارهم الخرافية للمعلوم والفلسفات المادية
الجاهلية التي جاءت بها الحضارة الحديثة . ولما لم يكن هناك مقياس آخر
لتفسيرهم هذا ، جعل كل واحد منهم آراءه واهواءه مقياسا له ، فلذا
نراهم يختلفون فيما بينهم في بعض التاويلات للآيات القرآنية ويوافقون فيما بينهم
في بعض التاويلات الاخرى .

(١) هو خواجه أحمد الدين بن الخواجه ميان محمد الامرتسرى (١٨٦١-١٩٣٦)
ولد في مدينة امرتسر باقليم بنجاب (الهند) وتلقى دراسته الابتدائية في
المدرسة التبشيرية بامرتسر . ثم أخذ ثانويته من الثانوية الاسلامية بامرتسر ، ثم
اشتغل بالتدريس وقام بالدعوة الى انكار السنة النبوية وله عدد من الكتب
التي ألفها في تأييد مذهبه .

(٢) هو الحافظ محمد اسلم الجيرا جيورى بن علامة سلامة الله البهوبالسي
(١٨٨٠ - ١٩٥٥ م) كان احد دعاة البارزين الى الانكار للسنة النبوية
وله عدد غير قليل من الكتب التي ألفها لنشر مذهبه .

(٣) هو غلام احمد برويز بن فضل الدين (المولود عام ١٩٠٣ م) ولد في مدينة
بتالة باقليم بنجاب بالهند تلقى دراسته الابتدائية والثانوية في المدارس
الرسمية ثم اشتغل موظفا في الدوائر الحكومية المختلفة حتى اصبح موظفا كبيرا
بعد استقلال جمهورية باكستان الاسلامية فصدر مجلة " طلوع الاسلام "
الشهرية للدعوة الى انكار السنة النبوية . له عدد غير قليل من الكتب التي
ألفها في تأييد مذهبه .

فمثلا منهم من يقول ان عدد الصلوات اليومية هو خمسة ، ومنهم من يقول ثلاثة ومنهم من يقول انه اثنان كما أن منهم من يقول أن المراد من اقامة الصلاة هو اقامة نظام الربوبية (١) ولكن مع هذه الخلافات فيما بينهم ، نرى أكثرهم يتفقون فيما بينهم في اكثر الامور ومنها انكارهم لكون السنة المصدر الثاني للتشريع وانكارهم للمعجزات على ايدي الانبياء عليهم السلام ، وتفسيرهم لقطع يد السارق بكسر شوكتة بالسجن او بالفراطة ، وتأويلهم للجن بسكان البادية ، وتفسيرهم للزكاة باستثمار الاموال في المشاريع الانمائية ، وانكارهم عن وجود الجنة والنار ، وانكارهم عن الاسراء النبوي ، وانكارهم لباحة الاسترقاق في الاسلام ، وتفسيرهم للنظام الاقتصادي الاسلامي باشتراكية الاموال واعطاءهم بيد السلطة الحاكمة (او مركز السلطة كما يسمونها) ، الحق المطلق لتفسير الاحكام القرآنية وتشريع القوانين الاسلامية (٢) . وهكذا كثير من التأويلات الباطلة للآيات القرآنية الواردة في العقائد والاحكام والنظام الاجتماعي الاسلامي .

وجدير بالذكر ان المثقفين الجدد ولا سيما اكثر الحكام والاداريين المتفرنجين الذين استولوا على الحكم بعد استقلال جمهورية باكستان الاسلامية قد انتشرت فيهم دعوة منكري السنة انتشارا عظيما وذلك لكونها مطابقة لاهوائهم الشخصية ولا سيما فترة حكم الدكتاتور ايوب خان ، كانت فترة خصبة لانتشار هذه الدعوة فقامت الحكومة بتأسيس " مجمع البحوث الاسلامية " باسلام آباد لتحقيق هذا الهدف وعين الدكتور فضل الرحمن ، احد الدعاة البارزين لانكار السنة رئيسا للمجمع كما كان اكثر اعضاءه من منكري السنة أيضا .

(١) انظر خادم حسين — فرقة اهل القرآن بباكستان وموقف الاسلام منها ،

ص ٢٢٦ — ٢٤٢ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ١٥٠ — ١٥٦ .

وقد اهتم علماء الحق بالرد على تأويلات منكري السنة الباطلة منذ بدايتها عهداً ، بل اتفق اكثرهم على كون منكري السنة غير مسلمين ، وذلك لان الاسلام الذي جاء به هؤلاء الناس بعمد تأويلاتهم الباطلة كان يختلف عن الاسلام الحقيقي في أسسه وفروعه بكثير فكان من واجب العلماء أن يبينوا هذا الفرق بكل صراحة ، واعتنى الاستاذ المودودي بالرد على التأويلات الباطلة لمنكري السنة بصفة خاصة وذلك بالادلة من القرآن الكريم والبراهين المعطية القاطعة ، فتنسب اهتمامه هذا في مجلته وتاليفاته ومحاضراته وتفسيره مما ، فهناك عديد من الكتب والبحوث تختص بهذا الموضوع مباشرة أو غير مباشرة ، واما ما كتبه الاستاذ المودودي مباشرة فمنه كتابه " القرآن والحديث " وكتابه " مكانة السنة في التشريع " ولقد يستند من المقالات القيمة والردود على الاسئلة التي نشرت في مجلته " ترجمان القرآن " الشهرية ، والتي تشتمل على " تفهيمات " أو " رسائل ومساائل " او ما كتبه في تفسيره للآيات الكريمة التي قد أو لبسها منكري السنة لتحقيق أهدافهم الباطلة ، واما ما كتبه الاستاذ المودودي حول هذا الموضوع غير مباشرة لانقاذ المثقفين الجدد من العبودية الفكرية للحضارة الحديثة المادية في كتبه القيمة مثل " نحن والحضارة الغربية " و " الحجاب " و " الربا " و " حركة تحديد النسل " و " الاسلام ومعضلات الاقتصاد " و " الاسلام في مواجهة التحديات المعاصرة " و " مفاهيم اسلامية حول الدين والدولة " و " تفهيمات " و " رسائل ومساائل " وعدة من البحوث والمقالات الاخرى في هذا الموضوع . ولو اتسع لنا المجال لذكرنا هنا بعض النماذج لما كتبه الاستاذ المودودي في تأييد تهمردا على التأويلات الباطلة لمنكري السنة ، ولكننا نقتصر هنا على نقل بعض النماذج لما كتبه الاستاذ في تفسيره ردا على التأويلات الباطلة لمنكري السنة النبوية .

أهمية السنة في فهم المراد الصحيح للقرآن :

من المعلوم أن القرآن الكريم كتاب أنزله الله لهداية البشرية وهذا الكتاب فريد في نوعه حيث أنزله الله على نبيه صلى الله عليه وسلم خلال ثلاث وعشرين سنة من حياته النبوية ، وذلك لان القرآن الكريم لا يتكلم الا عن الصادق^١ الأساسية للدين في كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية ، فأنزل الله القرآن وبعث معه النبي صلى الله عليه وسلم لكي يبينه ويفسره بقوله صلى الله عليه وسلم وعطه ، فلم يكن اذن قوله صلى الله عليه وسلم وعطه الا " تفسيراً رسمياً " لما أنزل الله عليه صلى الله عليه وسلم ، فلا يمكن الوصول الى المراد الصحيح لما أنزل الله الا بهذا التفسير فكيف يتمكن الانسان من تفسيره ، اذن " بسندون الاعتناء " بما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلاً وتفسيراً . فهذا ما يتبين منه مكانة السنة وأهميتها للتفسير ، كما يتضح منه بطلان موقف منكري السنة ، فالاستاذ المودودي يتناول هذا الموضوع في مقدمة تفسيره للقرآن فيقول :

" فوظيفة القرآن الرئيسية أن يقدم فوائد خلقية وعقلية واضحة للطريق الاسلامي ويدعمها بالبراهين العقلية أحياناً ، وبإثارة المواطن أحياناً اخرى ، وهو قد حدد الحدود الرئيسية لكل شعبة في الحياة دون اعطاء لوائح او قواعد تفصيلية بقدر ما يلزم الجانب المعنى لبناء منهج الحياة الاسلامي الى جانب انه يضع في أماكن هامة معينة معالم للهداية ليبين لنا أهمية اقامة شؤون الحياة الاجتماعية المختلفة وفقاً لهدايته ورضائه ، وقد أسند البناء المعنى الفعلى لمنهج الحياة الاسلامي حسب التعليمات التي يحويها الكتاب الى النبي صلى الله عليه وسلم الذي بمثله الله خاصة لينشئ النموذج المثالي لحياة الفرد والدولة ، وفقاً للمبادئ الأساسية التي جاء بها القرآن الكريم " (١) .

فيتبين من هذا أن الهدف الذي بعث الله النبي لاجله هو لم يكن الا بيان المراد الصحيح للقرآن بقوله وعلمه وتقريره فلا يمكن للانسان أن يتمكن من فهم القرآن أو تفهيمه وتفسيره الا بالاحتجاج بالسنة النبوية ويؤيد الاستاذ موقفه هذا بضرب مثال يجدر بنا أن نذكره هنا فيقول : " ان الله تعالى لم يرسل الكتاب فحسب بل بعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبين للناس تعالىه ، ويشرح لهم مبادئه بممارستها في الواقع العملي وتقريباً للذهن أضرب مثلاً بالمهندس ، فلو وضع رسم المبنى المقترح دون تعيين مهندس للاشراف على انشائها ، فلا بد من اعداد كل دقيقة من دقائق رسمه وكل تفصيل من تفاصيل خطته ، أما اذا عين مع الرسم مهندساً لا نشأه المبنى على الفور ، فبالطبع لا تكون هناك اية حاجة الى خطة تحوى أدق التفاصيل ، بل يكفي أن تؤخذ وجود الخطوط الأساسية للرسم وملاحظته الرئيسية (١) .

وهكذا يثبت الاستاذ المودودي بالأدلة القوية أن فهم المراد الصحيح للقرآن الكريم وتفهمه وتفسيره لا يمكن الا بالاحتجاج بالسنة النبوية . واهم هذه الأدلة واقواها هو ان القرآن لم تذكر فيه الا الاصول والمبادئ للاحكام والتعليقات الاسلامية في دوائر الحياة المختلفة ، واما التفصيلات المطبقة لهذه الاحكام والتعليقات فلانراها في القرآن الكريم الا قليلاً ، وذلك لان الله لم ينزل الكتاب فحسب ، بل بعث معه نبيه صلى الله عليه وسلم ايضاً ، لكي يبين المراد الصحيح لما أنزل الله عليه صلى الله عليه وسلم بتطبيقه عملاً بمطه صلى الله عليه وسلم أو بشرحه شرحاً مفصلاً بقوله عليه السلام " ولو كلمنا بالا اصطلاحات الحديث لظننا ان هذا ما يجعل تفسيره صلى الله عليه وسلم للقرآن " تفسيراً رسمياً " من الله

عز وجل ، وهذا ما يدل عليه كثير من الايات القرآنية منها (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون) (١) . ومنها قوله تعالى (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى) (٢) وعدة من الايات الكريمة الاخرى . فيتبين من هذا أن القرآن الكريم لا يمكن التمكن من تفسيره الصحيح الا بالاحتجاج بالسنة النبوية . ولولا هذا وكانت وظيفتنا انبى صلى الله عليه وسلم تبليغ ما أنزل عليه السلام فحسب كما يظن منكروا السنة ، لم يقتصر القرآن على بيان الاصول والهادى للدين ، بل قد بين الاحكام والتعليقات كلها بالتفصيل ، هذا من ناحية ، ومن الناحية الاخرى ، لم ينزل الله سبحانه وتعالى متفرقا خلال ثلاثة وعشرين عاما ، بل قد أنزله على نبيه عليه السلام مرة واحدة .

فيمكننا أن نستنتج من هذا ان الاهتمام بتفسير القرآن بدون الاعتناء بالسنة لا يؤيده القرآن ، ولا العقل السليم ، فلاتكون نتيجته الا استخدام القرآن للإهواء الشخصية .

— النتائج اللازمة لانكار السنة : ومن مقتضيات انكار السنة ولو اوزه أن الله بعث نبيه عليه السلام عبثا ، وذلك لانه اذا لم تكن هناك أية حاجة للاحتجاج بقوله وعلمه صلى الله عليه وسلم لفهم القرآن الكريم او تفهيمه فلماذا بعث الله اذن ، فان كان الهدف تبليغ الكتاب فحسب ، كما يقول منكروا السنة ، فكان من الممكن تحقيق هذا الهدف باى طريق آخر ، من تنزيل الكتاب عن طريق الملائكة مثلا او من تنزيل الكتاب مباشرة على انسان . ولم تكن هناك اية حاجة لمبعثه صلى الله عليه وسلم لتبليغ الكتاب فحسب ، وان اكان اعتقادهم بان الله قد بعثه صلى الله عليه وسلم لبيان المراد الصحيح للقرآن بقوله وفعله ، ولكن السنة غير موجودة الان فى حالتها الصحيحة ، فيكون من متاليات عقيدتهم هذه ان يسمت

(١) سورة النحل الآية ٤٤ .

(٢) سورة النجم الآية ٣ - ٤ .

الله نبيا آخرالبيين لنا ماهوالمراد الصحيح للقرآن . فهذا ما يقتضى انكار ختم النبوة ، فالاستاذ المودودى يشير الى هذه المتطلبات اللازمة لانكار ختم النبوة خلال تفسيره لقوله تعالى (وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون بالبينات والزرير ، وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلمهم يتفكرون) (١) . فيقول : " فيبين الله هنا الحكمة التى اقتضت ان يبعث الله رسوله من الانس فكان من الممكن ان ينزل الله " الذكر " عن طريق الملائكة او ينزله على كل انسان مباشرة ولكن تنزيل الذكر من هذا الطريق اذ انك لم تحقق الهدف الذى اقتضت حكمته ورحمته تنزيله لاجله فكان من الضرورى ان يأتى به انسان من بينهم ويقدمه امامهم شيئا فشيئا حسب مقتضيات الظروف ، ويبين لهم بقوله وعلمه المراد الصحيح لما أنزل الله عليه ، ويرد على الشبهات والاسئلة الواردة ويقوم بمقاومة المخالفات والتحديات وذلك بالطريق الذى يليق بمكانته ، وأما الذين يؤمنون " بالذكر " يبين لهم المراد الصحيح منه بقوله وعلمه ، وهكذا يتمكن من انشاء المجتمع الذى يقوم على الاصول والهادى " التمسى جاء بها " الذكر " (١) .

وبعد ما يبين الاستاذ المودودى خلال تفسيره للآية الكريمة ان من متطلبات بعثة النبي صلى الله عليه وسلم الاساسية هو بيان المراد الصحيح لما انزل الله عليه بقوله وفعله صلى الله عليه وسلم ، وبالتالي يبين اهمية السنة النبوية لفهم المراد الصحيح للقرآن الكريم وتفهيده ثم يعتنى بمناقشة موقف منكرى السنة فيقول : " والحقيقة ان هذه الاية الكريمة حجة قاطعة على كل من ينكر عن كون الانسان نبيا كما هي حجة قاطعة على منكرى السنة الذين يقتصرون على " الذكر " بدون الاعتناء بما يثبت منه صلى الله عليه وسلم فى تفسيره من قوله او فعله صلى الله عليه

وسلم سواء كان هذا الانكار بالدليل بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد اقتصر على ابلاغ "الذكر" بدون تبیین أو تفسير له ، أو بالدليل بان يكفي لنا الذكر وأما تفسيره عن النبي صلى الله عليه وسلم فلستنا بحاجة اليه أو بالدليل بانه لم يبق في حالته الصحيحة الا "الذكر" وأما تفسيره أو شرحه بقولسه عليه السلام أو عطفه فليس باقيا على حالته الصحيحة فلا يفيدنا في فهم القرآن أو تفهيمه " (١) .

ثم يأخذ الاستاذ العمودى هذه الأدلة واحدة تلو أخرى فيرد عليها بالبراهين العقلية القوية فيقول : وأما دليلهم الأول فمن متطلباته اللازمة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتمكن من تحقيق الهدف الذى أنزل الله "الذكر" عليه صلى الله عليه وسلم من أجله بدلا من أن يبعث به ملكا أو ينزله على كل انسان مباشرة .

وأما دليلهم الثانى : فمن مقتضياته اللازمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بعثه الله وذلك لانه اذا كانت نتيجة تنزيل القرآن عليه صلى الله عليه وسلم ونتيجة تنزيل القرآن على كل انسان مباشرة سواء فيا فائدة بعثته صلى الله عليه وسلم أو تنزيل القرآن الكريم عليه صلى الله عليه وسلم اذن .

وأما دليلهم ان تفسير النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن ليس موجودا فى حالته الصحيحة فهذا ما يؤيد موقف منكرى ختم النبوة ، وذلك لان الله لم يرسل رسوله صلى الله عليه وسلم ، كما يتبين من هذه الآية الكريمة الا لتبيين "الذكر"

وتفسيره ، فاذا قلنا ان هذا التفسير ليس موجودا في حالته الصحيحة فلم يكسب
المراد منه الا :

اولا : ان رسالته صلى الله عليه وسلم لم تبق في حالتها الصحيحة لكي نفهمها
فيكون ايماننا به صلى الله عليه وسلم كما ايماننا بسيدنا هود وصالح وشعيب
عليهم السلام فنحن نؤمن بهم ولكن لا نتبعهم وهذا ما يقتضى بعثة النبي
الجديد .

وثانيا : ان القرآن بدون التبيين والتفسير من النبي صلى الله عليه وسلم ليس بكاف
لهدايتنا كما يتبين من هذه الآية الكريمة هذا ما يقتضى تنزيل كتاب جديد
لهدايتنا ، قائلهم الله الى اين يؤد بهم انكارهم للسنة النبوية صلى
الله عليه وسلم" (١) .

فترى هنا ان الاستاذ المودودي خلال تفسيره للاية الكريمة يبين فسي
أول امره ان الهدف الذي يبعث الله النبي صلى الله عليه وسلم لاجله هو تبيين
القرآن وتفسيره بقوله وفعله ثم يبين الاستاذ كيف قام النبي صلى الله عليه وسلم
بأداء هذه المهمة الجليلة ثم يذكر الاستاذ الادلة التي يتذرع بها منكروا السنة
ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن وظيفته صلى الله عليه وسلم الا ابلاغ
ما انزل الله عليه صلى الله عليه وسلم ، واما تفسيره بقوله وعمله فهو ليس من مهمته
صلى الله عليه وسلم ، ومنها ان قوله وعمله لبيان المراد الصحيح للقرآن لا يناسب
للاتباع الان وذلك لانه صلى الله عليه وسلم يصبح انسانا عاديا كغيره بعد ابلاغ
ما انزل الله عليه صلى الله عليه وسلم ، ومنها ان قوله وعمله صلى الله عليه وسلم
لبيان المراد الصحيح للقرآن ليس موجودا الآن . فلا يمكن لنا الا احتجاج به لفهم
القران او تفهيمه .

ثم يأخذ الاستاذ هذه الادلة ليورد عليها واحدة تلو أخرى فيتمكن
من الاثبات بالبراهين العقلية القوية ان هذه الادلة لا تؤيد مذهب منكري السنة

قط. بل على العكس تؤدي الى النتائج الخطيرة التي يستلزم منها :

اولا : كون بعثة النبي صلى الله عليه وسلم عبثا .

ثانيا : اهمال النبي صلى الله عليه وسلم في أداء مهمته .

وثالثا : كنهنا نكار عقيدتهم النبوة صحيحا وهكذا يتمكن الاستاذ المودودي من

رد ادلتهم كلها عليهم وذلك بالادلة والبراهين القاطعة فله الحمد .

— الرد على تأويلهم الباطل لاقامة الصلوة :

كما ذكرنا آنفا في تقديمنا لهذا البحث ان منكري السنة يختلفون فيما بينهم في عدد الصلوات وكيفيةها . فميرى عبد الله الجكرالوي ان عدد الصلوات خمسة وهو الخواجه احمد الدين ان عددها اثنان فقط. كما رأى برويز ان اقامة الصلوة لغير المراد منها اقامة الصلوات الخمس كما يظن عامة المسلمين . بل المراد الحقيقية منها هو اقامة نظام الربوبية (١) . وحيث ان برويز هو اكثر اثرا ونفوذا منهم ، فيرى الاستاذ المودودي انه من الضروري ان يرد على تأويله الباطل للركن الثاني من اركان الاسلام الخمسة الاساسية فيقول خلال تفسيره لقول الله تعالى (فسبحن الله حين تصبحون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون) (٢) :

” وهذه الآية الكريمة فيها اشارة واضحة الى اربعة مواقيت للصلاة وهي الفجر ، والمغرب والمصر والظهر ، والآيات الاخرى التي تشير الى مواقيت الصلاة هي كالآتي :

١- (واقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الفجر وقرآن الفجر) (٣)

٢- (واقم الصلاة طغرى النهار وزلفا من الليل) (٤) .

(١) انظر للتفصيل خادم حسين الهى بخش — فرقة اهل القرآن بباكستان وموقف

الاسلام منها ص ٢٢٦ — ٢٤٢ .

(٢) الروم الآية ١٧ — ١٨ .

(٣) بنى اسرائيل — ٧٨ .

(٤) هود آية ١١٤ .

٣ - (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آنأى الليل فسبح

وأطراف النهار) (١) .

فالآية الاولى تذكر فيها مواقيت الصلاة من الظهر الى العشاء ثم الفجر، وفي الآية الثانية المراد من طرفى النهار هو الفجر والمغرب ، والمراد من " زلغا " من الليل " هو العشاء ، وفي الآية الثالثة المراد من قبل طلوع الشمس هو الفجر ومن قبل غروب الشمس هو العصر ، وأنأى الليل يشمل المغرب والعشاء ، وأطراف النهار هى ثلاث : الفجر والظهر والمغرب ، فهكذا يدل القرآن على مواقيت الصلوات الخمسة التى يصلى فيها المسلمون فى العالم منذ أربعة عشر قرنا ، ولكن الحقيقة ان لسولم يعين النبى صلى الله عليه وسلم هذه المواقيت بقوله وعلمه لم نتكمن من تعيينها من هذه الآيات الكريمة فحسب " (٢) .

ثم يقول الاستاذ مستمرا فى حديثه : " والان يجدر بنا ان نعتنى بما يؤلون به منكروا السنة حكم (اقامة الصلاة) فهم يستهزؤن بالمعنى المعروف لا قامة الصلاة فيقولون ان الصلاة التى يقيمها المسلمون اليوم لم يأمر بها الله قط ، بل المراد الصحيح من (اقامة الصلاة) كما يأمر بها القرآن هو اقامة نظام الربوبية فالسؤال الذى نطرحه الى هؤلاء القوم هو أى نوع من نظام الربوبية هذا الذى قد أمر الله لا قامة قبل طلوع الشمس وبعد غروبها كما فى قوله تعالى (واقم الصلاة طرفى النهار) (٣) ، أو الذى لا بد من اقامته يوم الجمعة لقوله تعالى (اذانسودى للصلاة من يوم الجمعة فاسموا الى ذكر الله) (٤) واى نوع من نظام الربوبية هذا الذى لا يمكن اقامته الا بعد غسل الانسان وجهه ويديه الى المرفقين ورجليه

(١) طه - ١٣٠ .

(٢) تفهيم القرآن ج ٣ ص ٧٤١ .

(٣) هود الآية ١١٤ .

(٤) الجمعة الآية ٩ .

وسحه رأسه لقوله تعالى (اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايدكم اليسرى
 المرافق) (١) . ثم اى نظام الربوبية هذا الذى تقتضى اقامته للجانب ان يفتسل
 لقوله تعالى (لا تقربوا الصلاة . . . ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا) (٢)
 ثم اذا كان هو سافرا ولم يجد الماء فلا بد له ان يتيمم لاقامة هذا النظام لقوله
 تعالى (او لا مستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم
 وايدكم منه) (٣) . واكثر عجبا لهذا النظام الربوبى ان الانسان اذا كان سافرا
 فعمله ان لا يقيه كاملا بل يكتفى باقسامته نصفاً لقوله تعالى (واذا ضربتم فى
 الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة) (٤) ، وهكذا تقتضى اقامة هذا
 النظام الربوبى العجيب ان يقيه طائفة من المسلمين وراء الامام حيث يستمر الباكون
 فى القتال ، واذا سجدوا وهؤلاء السجدة الاولى وراء الامام يعودون الى القتال
 فيأتى الباكون لاقامة هذا النظام الربوبى وراء الامام لقوله تعالى (واذا كنت فيهم
 فأقم لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا اسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا
 من وراءكم ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك) (٥) .

والحقيقة ان هذه الآيات الكريمة كلها حجة قاطعة على كون المراد من
 اقامة الصلاة هو اقامة الصلاة بمعناها المعروف . فاما كون المراد من اقامة الصلاة
 هو اقامة نظام الربوبية كما يقول منكروا السنة فهذا ليس الا تحريفاً صريحاً فى القرآن الكريم
 فلا يصح على هذه المعانى لاقامة الصلاة الا من لا يخاف الله عز وجل او من لا يؤمن
 بكون القرآن كتاب الله ويسخر به ، ولا يتكلم عن القرآن الا لى يخدع الناس بكلامه
 المعسول (٦) .

(١) المائدة الآية ٦	(٢) النساء الآية ٤٣
(٣) المائدة الآية ٦	(٤) النساء - الآية ١٠١
(٥) النساء الآية ١٠٢	
(٦) تفهيم القرآن ج ٣ ص ٧٤١-٧٤٢ .	

ففرى هنا كيف يتمكن الاستاذ المودودي من الرد القاطع على تأويل منكسرى السنن الباطل لاقامة الصلاة ويبين بالادلة القوية من القرآن الكريم ان سياق الايات الكريمة التي ورد فيها حكم اقامة الصلاة لا يسمح للتأويل الذي يأتي به منكروا السنة بل على العكس يتبين من هذه الايات الكريمة كلها ان المراد من اقامة الصلاة ليس الا اقامة الصلاة بمعناها المعروف ، وهكذا يثبت الأستاذ المودودي بالبراهين القاطعة ان تأويل حكم اقامة الصلاة باقامة نظام الربوبية ليس الا تحريفها صريحا في القرآن الكريم او الاستهزاء بكتاب الله العظيم . وفوق هذه الادلة القوية التي اوردها الاستاذ المودودي على كون هذا التأويل باطلا نذكر هنا دليلا آخر على كون هذا التأويل باطلا ، وهو ان النظام الاسلامي الاجتماعي لم يهتم النبي صلى الله عليه وسلم باقامته الا بعد هجرته (صلى الله عليه وسلم) الى المدينة المنورة ، ولو كان حكم اقامة الصلاة في الايات الكريمة النازلة بالمدينة المنورة فحسب ، لكان يمكن ان يعتنى الانسان بهذا التأويل الباطل . ولكن هناك عدة من الايات القرآنية المكية التي ورد فيها حكم اقامة الصلاة او التي تدل على ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلى بمكة المكرمة ومنها قوله تعالى (واقموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين) (١) وقوله تعالى (رأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى) (٢) فهل يسمح سياق هذه الايات الكريمة لتأويل الصلاة بنظام الربوبية ، وهل هناك ما يدل على ان الله قد أمر نبيه (صلى الله عليه وسلم) لاقامة النظام الاسلامي بمكة المكرمة ؟ او ما يثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم اعتنى باقامة النظام الاسلامي بمكة المكرمة ؟

(١) الروم الآية (٣) .

(٢) العلق ٩ - ١٠ .

الرد على انكار خوارق العادة على أيدي الانبياء عليهم السلام : ومن التأويلات الباطلة التي يأتي بها منكرو السنة للآيات القرآنية وتاويلاتهم الباطلة للآيات الكريمة التي يذكر الله سبحانه فيها عن ظهور خوارق للعادة او المعجزات على أيدي الانبياء عليهم السلام ومثال ذلك كون النار بردا لسيدنا ابراهيم او كسبون العصا شعبانا لسيدنا موسى عليه السلام او كون يده عليه السلام بيضاء ، أو انشقاق البحر له عليه السلام او ابتلاع الحوت ليونس عليه السلام ثم خروجه حيا او استخدام سيدنا سليمان عليه السلام الجن والطيور للخدمات المختلفة او كلامه عليه السلام معهم ، أو ولادة سيدنا عيسى عليه السلام بدون الاب أو رفع جثمانه ، او معراج النبي صلى الله عليه وسلم وما الى ذلك من الخوارق للعادة التي اظهرها الله على أيدي الانبياء عليهم السلام ، ويعود جهودهم هذا الى كون خرق العادة أو المعجزة مخالفا للقوانين الطبيعية ، فلذا حطوها على الاستعارات او المجازات أو جاءوا لها من التأويلات الباطلة . فلاستان المودودي يرد على كل من هذه التأويلات الباطلة بالادلة القاطعة من القرآن او بالبراهين المظنية القوية خلال تفسيره للآيات التي ذكر الله فيها هذه الخوارق ولو اتسع لنا المجال لنقننا هنا هذه الامثلة كلها ، ولكننا نقتصر هنا على ذكر ما قال الاستاذ في رده على انكارهم لخرق العادة لكونه مخالفا للقوانين الطبيعية ، فيقول الاستاذ خلال تفسير قوله تعالى (فالقى عصاه فاذا هي شعبان مبين . ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين) (١) :

" ان السؤال الاساسي في موضوع الخوارق هو أن الله سبحانه بعدما خلق الكون وقدره فهل يمكن له سبحانه ان يتصرف فيه كيفما يشاء ام لا ؟ وهل هو يدبر الكون بنفسه ام لا ، وهل له السلطان نافذة فيه ام لا ، وهل يقدر سبحانه على

أن يأتي بأى تغيير فى القوانين الطبيعية ام لا ، فالذين يظنون أن الله لم تبق له اية سلطة فى الكون بعدما خلقه ، ولا يمكن له أن يأتي بأى تغيير فيه مخالفا للقوانين الطبيعية الجارية ، فتصورهم لله وللكون لا يسمح لهم أن يؤمنوا بالخوارق للمادة على ايدى الانبياء عليهم السلام قط ، فأولى بهم وأجدر ان ينكروا بالقرآن بدلا ان يقوموا بتاويلهم الباطل ، وذلك لان القرآن لم ينزله الله على نبيه صلى الله عليه وسلم الا لابطال هذا التصور الباطل لله سبحانه ، وأما الذين يؤمنون بأن الله خالق للكون ومدبر له وقادر على أى تصرف وتغيير فيه ، ولو كان خلافا للقوانين الطبيعية المادية الجارية فلما منع لهم بالايان بالخوارق للمادة على ايدى الانبياء عليهم السلام . واما السنى يؤمن ان الثعبان لا يمكن تخليفه الا بالطريق الطبيعى فحسب ، ولا يقدر الله سبحانه ان يخلق ثعبانا بأى طريق آخر ، فلا بد له ان يكذب كون العصا ثعبانا او على العكس. ولكن الذى يؤمن بان الله هو الذى يحيى ميتا ، وهو يقدر أن يحيى ويميت كما يشاء ، فهو لا يستغربه كون العصا ثعبانا كما لا يستغربه تخليفها من بيضة الحية (١) .

وهكذا نرى ان الاستاذ المودودى قد وفقه الله سبحانه لأن يرد على دليل منكرى السنة الاساسى لانكارهم لظهور خوارق المادة على ايدى الانبياء عليهم السلام ، وهو كون خرق المادة مخالفا للقوانين الطبيعية الجارية ، والدليل الذى ياتى به الاستاذ المودودى هو ان القوانين الطبيعية الجارية فى الكون لا تمنع خالق الكون ومدبره ان يتصرف فيه أو يأتي بأى تغيير فى هذه القوانين ، وهذا الدليل لا يترك اى مجال لانكار خرق المادة اذا كان الانسان مؤمنا بكون الله خالقا للكون ومدبرا له وقادرا على أى تصرف فيه ، واما استدلالهم بالآية الكريمة

(ولن تجد لسنة الله تبديلا) (١) في كون خوارق العادة غير ممكنة ، فهذا غير صحيح ، وذلك لان سياق هذه الآية الكريمة لا يسمح بكون المراد من (سنق الله) في الآية الكريمة القوانين الطبيعية الجارية بل المراد الصحيح من سنة الله في هذا السياق هو سنته سبحانه في معاملة الناس ، وفي هذا الصدد نرى أن سنة الله هو تأييد أنبيائه مع خوارق العادة ، فلذا هذه الآية الكريمة هي دليلهم عليهم وليست دليلا لهم .

وهذه النماذج من (تفهيم القرآن) يتبين منها بكل صراحة ان الاستاذ المودودي كان يهتم خلال تفسيره للقرآن الكريم ان يعتنى بصفة خاصة بالرد على التأويلات الباطلة التي جاء بها منكروا السنة للأيات القرآنية وفي هذا الصدد كان يأتي بالادلة من القرآن الكريم والبراهين العقلية القوية القاطعة معا ، وكان ذلك فضلا عن جهاده الطويل ضد هذه الفئة الطاغية ، وهذا ما يدل على بطلان ما جاء به البعض من الاتهام بان الاستاذ المودودي لم يكن يهتم بالتفسير بالمأثور خلال تفسيره للقرآن الكريم .

...

(١) سورة الاسراء : الآية ٧٧ .

الكسوة التي كانت في النور والشمس في الأرض بعد ان ثبت في قراره نفسها
 المعاني السابقة كما انه جعل ثلثه في الانسان الاول وزوجها آدم وحواء عليه السلام
 هدى من حبه ليتبعاه، هما وورثتهما في الارض. ولم يخلو الانسان الاول في حاله بين
 والظلام. بن ان الشربحانه وقواني غلوه آدم وحواء يسيرا حيتهما في الارض على حالة
 من النور والعلم. فكان الانسان الاول يعرف ما هو الحق ويعلم ما ينبغي له عمله من قانون
 للحياة وكان منجمه في الحياة طاعة الله (آي الاسلام) ووصي بروره فريته بان لا يطعوا
 الا الله ولا يعولوا الا وهم مسلمون لان الانسان قد حاول من المنهج الصحيح (اي الدين القيم)
 في العزوف المتعاطفة روية لروبيرك، واتبع السبل الموعبة والمناهج المتخوفة المتضاربة وتمسك
 من الطريق السوي لعدم بالذلة به مرة وبسخرته تجوود وكابرة مرة اخرى. فاستلج بالشر في
 فلتته وصفاته فوالا حيرة من السماء وللارضى، وهيمته وما ويره، بشرية وخير بشرية
 وخطا الفولجانس للادهم وضربا من الزنطيرت والولان من الفيلسفات ينبع طاهر من
 العلم (اي علم الحق) الذي آتاه الله وضع من فهدى من الذهب للهدى لها والاحصن ونيزوك
 ظهره ما قرره الشر من باوى حاولة الله لولا الملتية (اي الشريعة) اوسخما يتم وضع
 كما اوصى له هو له وحبيسة نظما وناهج للحياة ثلاث ارضى لشر ظلمة وفسا ولا لوبلا وشقاؤ.

للكاتب والوالد الى المودوي

ابرار موقف الاسلام من الفلسفاتالجاهلية المعاصرة خلال التفسير

كما أسلفنا أن العصر الذى بدأ الاستان المودودى دعوته فيه كان عصرا لم ير التاريخ الاسلامى مثله من قبله وذلك لأن الحضارة الجاهلية الحديثة التى جاء بها الاستعمار الأوروبى الفاشم قد سيطرت على العالم الاسلامى من شرقه الى غربه ومن شماله الى جنوبه ، والنظريات الجاهلية والفلسفات المادية التى جاءت بها هذه الحضارة تأثر بها المسلمون فى حياتهم الفردية والاجتماعية ، وأفكار العلماء اللادينيين والفلاسفة الملاحدة مثل داروين وهيجل وماركس ومكيا فيلى وفرويد وغيرهم من اساطين الحضارة الغربية الحديثة آمن بها المسلمون المثقفون كأنها حقائق علمية ثابتة لا مجال للشك فيها ، ونتيجة لهذه الظاهرة بدأ بعضهم يشكك فى وجود الله سبحانه وتعالى والوحى والرسالة والبعث بعد الموت ، هذا فى دائرة العقائد ، واما فى دائرة القيم الاخلاقية فنرى الاخذ بالقيم الاخلاقية المادية وهكذا فى دائرة السياسة والمدنية والاقتصاد ، وقد دفع هذا الواقع الاستان المودودى ان يتصدى له ويمالجه بتعاليم الاسلام السامية ، فقام بتأليف عديد من الكتب القيمة لمواجهة هذا التحدى وازالة الشكوك والشبهات التى جاءت بها هذه الفلسفات وافكار المادية ، كما اهتم بصفة خاصة بابرار موقف الاسلام مع هذه النظريات الجاهلية خلال تفسيره للقران وذلك خلال تفسيره للآيات المتعلقة بالعقائد والقيم الاخلاقية والجوانب الاجتماعية ، وسند ذكر بعض النماذج لذلك من تفسيره تفهيم القرآن .

والحقيقة التى لا يمكن ان يغتلف فيها اثنان هو ان الانسان مهما كان عالما او حكىما او فيلسوفا ، لا يستطيع ان يعرف حق المعرفة الهدى ف

الاساسى الذى خلق الانسان لاجله او الطريقة الصحيحة لتحقيق هذا الهدف وذلك لان الانسان مهما يكن نظره واسعا لا يستطيع ان يرى الا ما هو موجود ، أما ما سيقع فى المستقبل فلا يمكن له ان يعرف عنه الا بالظن والقياس ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، لا يمكن له ان يعرف شيئا عن ما وراء المحسوسات ويضاف الى ذلك قصوره فى الادراك وضآلته فى العلم فكيف يليق به ان يقوم باعداد منهج لحياته الفردية او الاجتماعية ، وان قام به ، فكيف يمكن له ان يجعل منهجا صحيحا لحياته مع هذا العلم المحدود . وهذه الحقيقة يشير اليها الاستاذ المودودى خلال تفسيره لقوله تعالى : (فمن يكفر بعد ذلك منك فقد ضل سوا السبيل) (١) . فيقول الاستاذ : " والحقيقة ان الانسان لكونه ضعيفا من ناحية علمه وفكره ونظره ، لا يستطيع ان يلقي نظرة شاملة على جميع نواحي الحياة المختلفة فى نفس الوقت ، فلذا لا يمكن له ان يختار لنفسه منهجا صحيحا يضمن فيه المدالة الكاملة لجميع قواه المختلفة ، والذى يؤدى الى التوازن الصحيح بين جميع عواطفه واهوائه ، والذى يناسب جميع متطلباته الداخلية والخارجية ، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى يهتم هذا المنهج بمراعاة جميع مشاكله الشخصية والاجتماعية ويأتى لها بحل عادل ، وهكذا يوفر الفرصة المناسبة لاستخدام الامكانيات المادية فى الحياة الفردية والاجتماعية بالحق والمدل (٢) . فيتبين مما قاله الاستاذ المودودى خلال تفسيره للأية الكريمة ان الفلاسفة والنظريات التى اتخذها الانسان قديما او حديثا باطلة لان الانسان لا يمكن له ان يعرف معرفة صحيحة الهدف الاساسى الذى خلقه الله لاجله .

(١) المائدة : ١٢ .

(٢) تفهيم القرآن : ١/٤٥٢ .

ومن هذا يظهر ان النظم والفلسفات والنظريات التي يتخذها الانسان بدون العلم الصحيح لا تكون صحيحة ولا عادلة ، ولذا يطبق عليها اسم الجاهلية ، والمنهج الصحيح الوحيد لحياة الانسان الفردية والاجتماعية لا يمكن ان يجعله الا من عنده العلم الصحيح بكل ما يتعلق بالانسان فردا ونوعا وهو ليس الا عند خالقه سبحانه وتعالى .

وهذه الحقيقة يمكن ان نضرب مثلا لاثباتها هب أن هناك عالما كيمياء يقوم

بإيجاد مكيئة خاصة لتحقيق هدف خاص ويقرر طريقة خاصة لاستخدام هذه الماكينة ، فهذا العالم يكون بالرئيب اعرف الناس بالهدف الذي صنعت هذه الماكينة لاجله كما هو يكون اعلم الناس بطريقة استخدامها ، ولو قال أحد بانه اعرف منه بهد فيها او طريقة استخدامها فهو كاذب او احمق ، والذي يصدقه يكون اكثر منه حمقا وجهلا .

وهذا المثال يمكننا ان نعين في ضوءه المكانة الصحيحة للنظم والفلسفات التي جعلها الانسان ، كما يمكن لنا ان نقارن في ضوءه بينهما وبين نظام الاسلام ، وهو الدين الذي ارسله الله لهداية الانسان ، فالاستاذ المودود يبين هذا الفرق خلال تفسيره للأية حيث يقول : " ان التطور الحقيقي للحياة الانسانية وفوزها المؤكد فمن مقتضياته ان يتخذ الانسان له الطريق المتوسط الصحيح من بين تلك الطرق المموجة الخاطئة طريق يضمن القسط والعدل لجميع قوى الانسان ومتطلباتها ولجميع عواطفه ومقتضياتها ، ولجميع مشاكل حياته ومسائلها ، وفي الجملة بكل ما يتعلق بجسده وروحه ، فردا كان او مجتمعا ، طريق لا عوج فيه ولا انحراف ، طريق لا تكون فيه عناية خاصة بناحية من نواحي الحياة المختلفة على حساب النواحي الاخرى ، فلا تنظم فيه قوة من قوى الانسان المختلفة ولا عاطفة من عواطفه

المتنوعة ، والحقيقة ان هذا الطريق المتوسط من متطلبات فطرة الانسان
وكما ترك الانسان هذا المنهج الصحيح العادل واختار له منها آخرا
من المناهج المعسوجة الاخرى ، اضطرت فطرته ان تثور ضد هذا الظلم ،
وذلك للوصول الى هذا المنهج السليم ، ولكن كما قلنا ، الانسان لا يقدر
على ان يطلع عليه بنفسه بل يهده اليه خالقه سبحانه وتعالى ، فانه سبحانه
بعث رسله ليدعوا الانسان ويهدوه الى هذا الصراط المستقيم أو سوا
السبيل كما يسميه القرآن الكريم (١) .

ان الأستاذ المودودي يثبت خلال تفسيره للآية بالادلة القوية
ان المنهج الصحيح الوحيد لحياة الانسان الفردية والاجتماعية هو المنهج
العادل الذي جعله الله للانسان لكونه خالقا له وظلما بمتطلباته الروحية
والجسدية ، ولان لا يمكن لأحد غير الله سبحانه ان يعرف متطلبات فطرة
الانسان فلا يلحق لأحد غيره ان يجعل منها حياة الانسان الفردية
 والاجتماعية ، بل في الحقيقة لا يقدر احد غيره على ذلك ، فكما حاول
الانسان ذلك ، قديما او حديثا ، فشل وضل عن الصراط المستقيم ضللا
بعيدا ، وهذه الحقيقة يشير اليها قوله سبحانه (والعصر ان الانسان لفسى
خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) (٢) ، ومن هنا يمكن لنا ان نعين
مكانة النظم والفلسفات الجاهلية كما يمكن لنا ان نعين موقفنا منها .

وجدير بالذكر ان الأستاذ المودودي تناول هذا الموضوع في عديد
من الكتب أيضا أهمها : الإسلام والجاهلية ، والدين القيم ، وطريق السلام ،
وتجديد الدين وحياته ، والصالح والفساد ، وفي محكمة العقل ، والاسلام في

(١) تفهيم القرآن ج ١ ص ٤٥٣ .

(٢) سورة العصر : ١-٣ .

مواجهة التحديات المعاصرة ، ولو اتسع لنا المجال لنقلنا هنا بعض النماذج من هذه الكتب ، فنكتفى هنا ان نشير الى هذه الكتب ليتزود من يريد الوقوف على المزيد .

الاهتمام بالنقد لفلسفة التطور لداروين :

كما اسلفنا ان المراد من فلسفة التطور لداروين (DARWIN) هو ان الانسان ليس بنوع مستقل ، بل هو اصبح الانسان متطورا من المرحلة الحيوانية شيئا فشيئا ، ولان هذا التطور يتم حسب قانون الانتخاب الطبيعي ويقاوم الانسب فلماذا هناك الصراع الدائم بين الانواع المختلفة ولا يبقى منها الا الاقوى . وهذه الفلسفة تجعل الانسان حيوانا محضا ليس محلا للتكاليف الدينية والاخلاقية . ومن العجيب ان هذه الفلسفة مع كونها نظرية وهمية نالت استقبالا حارا في العالم الغربي ، كما تأثر بها كثير من المسلمين المتفرنجين بعد استيلاء الحضارة الغربية الجاهلية على العالم الاسلامي فقام بعضهم بالعمى ويلات الباطلة للأيات القرآنية ليثبتوا هذه الفلسفة الجاهلية من القرآن الكريم كما بدأ الآخرون يشكون فيما جاء به القرآن وقام البعض بانكاره وما الى ذلك .

والاستاذ المودودي خلال نقده للحضارة الغربية الحديثة وفلسفاتها الجاهلية اعتنى بنقد هذه الفلسفة الجاهلية ، وبين بالبراهين والادلة القوية ان هذه النظرية ليست حقيقة علمية ثابتة كما يظن بعض المثقفين المتفرنجين بل هي الحقيقة هي نظرية وهمية ولا يليق بمسلم ان يؤمن بها كحقيقة علمية ولا يجدر به ان يشك في نظرية القرآن لبداية الانسان ، وتفسير القرآن وفقا لهذه الفلسفة الجاهلية ليس الا تحريفها لاعتقادها للقرآن .

فيقول الاستاذ في تفسير قوله تعالى (الذي احسن كل شئ خلقه ، وبدأ

خلق الانسان من الطين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين) (١) .

” يتبين من قوله تعالى هذا بأن الله خلق الانسان الاول في صورة الانسان رأساً ثم جعل نسله من نطفة عن طريق التوالد والتناسل ، فكان من آياته الهيئات انه خلق الانسان الاول من الطين ، ونفخ فيه الروح وجعله كائناتاً حياً عاقلاً كما من آياته الهيئات انه وضع في جسمه نظاماً خاصاً للتوالد والتناسل الذي يتميز فيه حينما يتفكر عقل الانسان .

وهذه الآية من الآيات القرآنية تدل على ان الانسان الأول قد خلقه الله في صورة الانسان رأساً ويرى البعض أن نظرية القرآن في بداية الخلق غير صحيحة لكونها مخالفة لنظرية التطور لداروين ولكن بصرف النظر عن الحقيقة ان نظرية التطور لداروين هي نفسها نظرية تغير علمية نقول هذا ان القائلين بنظرية التطور هم انفسهم لا يستطيعون ان ينكروا ان جرثومة الحياة الاولى قد خلقت مباشرة ، وذلك لانهم اذا لم يوءنوا بذلك فلا بد ان يوءنوا بان الحياة بدأت صدفة ، ولكن الحقيقة ان نظرية بداية الخلق صدفة ليست الا هراءاً ، وذلك لان خلية واحدة تركيبها مليئة بالتمقيدات والحكم العلمية الدقيقة ، فلذا نظرية ظهورها بالصدفة خطأ فاحش وجهل أشد جهالة من قول القائلين بنظرية الارتقاء في نظرية الخلق المباشر وان أسلم المرء ان الجرثومة الاولى للحياة ظهرت في هيئة الوجود مباشرة فما هو المانع في تسليم القول بان الله هو خالق لأول فرد لكل نوع من الحيوانات ثم انتشرت هذه الأنواع بالتواك والتناسل بطرق واساليب متنوعة . والحقيقة ان الانسان اذا أسلم بهذه الحقيقة تمكن من العمل للتمقيدات التي تمكن داروين واتباعه من حلها مع بذلهم ما في وسمهم ” (٢) .

(١) السجدة : ٧-٨ .

(٢) تفهيم القرآن ج ٤ ص ٤٠ .

فترى هنا أن الاستاذ المودودي خلال تفسيره للآية الكريمة بمد ما يذكر نظرية القرآن لبداية الخلق ، ينتقد نظرية لتطور لداروين لكونها نظرية غير علمية ، كما ينتقد نظرية الصدفة لبداية الحياة لكونها نظرية غير علمية وغير عقلية ، وذلك بالبراهين العقلية ، والحقيقة ان القائلين بهاتين النظريتين ليست لديهم " الادلة العلمية " على ما يقولون لان هذا الموضوع يتعلق بمصر ما قبل التاريخ الذي لا يمكن للعالم من العلماء ان يقول فيه شيئاً الا بالظن والقياس ، وهذا ما يفعله القائلون بهاتين النظريتين . ومن الهين الواضح أن ما قيل بالظن والقياس يختلف كل الاختلاف عن الحقائق العلمية ، فالاصرار على كون هذه النظريات علمية ليس الا طريقة غير علمية وغير عقلية .

وهكذا يقول الاستاذ المودودي في تفسيره لقوله تعالى (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) (١) ، " لا يمكن لنا ان ندرك بالتفصيل كيف كانت بداية النوع الانساني ولا يمكننا ان نعرف بالضبط كيف خلق الله البشر من المواد الطينية ثم كيف صوره وسواه ، ثم كيف نفخ الروح فيه ، ولكن الحقيقة التي لا يمكن لنا انكارها هي ان بيان القرآن عن بداية الانسان يختلف كل الاختلاف عن ما يقول به داروين واتباعه الذين يقولون ان الانسان لم يخلقه الله مباشرة بل هو جاء متطوراً من الحيوانات الاخرى ولا يوجد هناك نقطة خاصة في خط الارتقاء الطويل كانت بدايتها لانسان منها ، ولكن القرآن يقول بكل صراحة ان الانسان كانت بدايته كانسان ولم يمر عليه دور من الادوار كان فيها حيوانا كالحيوانات الاخرى ، بل في الحقيقة خلقه الله مباشرة ، وقد اعطاه من العقل والشعور كما كانت بدايته في نور العلم والهداية " (٢) .

(١) الاعراف : ١١ .

(٢) تفهيم القرآن ج ٢ ص : ١١١ .

ثم يبين الاستاذ النتائج العلمية والاخلاقية التي تأتي بها كلتا النظريتين
اي النظرية القرآنية لبداية الانسان والنظرية الداروينية للتطور ، ويشهد
بالادلة القوية ان نظرية داروين للارتقاء يجعل الانسان حيوانا مفترسا
يكون في عاداته او معاملته مع الآخرين كاي حيوان ولكن نظرية القرآن لبداية
النوع الانساني يجعله خليفة الله في الارض الذي يعتبر نفسه مسئولا لكل
ما يعمل من الخير او السوء ثم يرد الاستاذ المودودي على من يعترض على
نظرية القرآن في بداية الانسان ويقول : " ولكن من المتوقع جدا ان يعترض
احد ويقول ان نظرية القرآن لبداية الانسان مهما تكون عالية وسامية من
النواحي الاخلاقية والنفسية ، ولكن مع ذلك كيف يمكن لنا ان نترك لاجلها
حقيقة علمية ثابتة اكتشفها داروين ونسأل اصحاب الاعتراض هل يمتقدونهم
ان هذه النظرية نظرية علمية ، والحقيقة ان المنتسبين الى العلوم الذين
لا يعرفون من حقيقتها الا النظرة السطحية يظنون ان هذه النظرية اصبحت
حقيقة علمية بيد ان المدركين لحقيقة العلوم يعرفون كل معرفة ان حشر
بعض الادلة لاثبات هذه النظرية لم يخرج عن دائرة ظنية وان ما يتوهم
بانها دلائل الاثبات هي دلائل الامكان فحسب ، ولذا ما يمكن لنا ان نقول
على الاكثر هو ان نظرية الارتقاء والتطور اشبه بالامكان كما كان وجود ^{نظرية} كسل
نوع على حدة " (١) .

فترى هنا أن الاستاذ المودودي خلال تفسيره للآية يرد على من ظن
أن نظرية التطور لداروين نظرية علمية ثابتة ، أو شك في كون نظرية القرآن
لبداية الخلق صحيحة او حاول أن يقول الآيات القرآنية للتوفيق بين
الاسلام وبين هذه النظرية لجاهلية ، ويبين بالبراهين العقلية ان نظرية

داروين للتطور ليست حقيقة علمية ، ولا يليق للمسلم ان يجعلها محكاً لنظرية القرآن ابداء الخلق أو يؤول الآيات القرآنية للتوفيق بين هذه النظرية وبين الاسلام .

وحدد بالذکر أن رأى الاستاذ المودودى فى كون هذه النظرية نظرية غير علمية يؤيده مقاله كثير من العلماء المحققين واساطين علم الاحياء نقداً لهذه النظرية ومنهم الجراح الفرنسى الدكتور موريس بوكا فى الذى انتقد نظرية داروين المتطور بالبراهين العلمية القوية فى كتابه " أصل الانسان " كما يقول فى لقاءه مع مجلة "البلاغ" الكويتية " ان مقاله داروين خطأ فى خطأ ولم يؤسس نظرياته على أية اكتشافات تؤكد أن هناك صلة بين الانسان والسلالات التى ابتدئها . . . انها افتراضات خاطئة بناها رجلاً يؤمن بالطادية وادى فى كتابى (أصل الانسان) مثال طويل عن داروين " (١) .

ولولا ضيق المجال لنقلنا هنا عديد من النماذج لأراء العلماء المحققين فى كون هذه النظرية نظرية غير علمية ، فنكتفى بما نقناه لبيان مكانة هذه النظرية العلمية .

...

(١) مجلة "البلاغ" الكويتية عدد : ٧٠٦ وتاريخ ١٩ ذى القعدة ١٤٠٣ هـ .

التفسير الجدلي والتفسير المادى للتاريخ :

والفلسفة الجاهلية الاخرى التى لا تقل فى خطورتها وشناعتها —
 للبشرية من نظرية داروين للارتقا* هى الفلسفة الجدلية للتاريخ التى جا* بها
 هيغل (١٧٧٠ — ١٨٣١) والتى بنى عليها ماركس (١٨١٨ — ١٨٨٣) فلسفته
 المادية للتاريخ فيما بعد ، فكان لهذه النظرية الضالعة انتشارا عظيما فى
 العالم بعد أن اقيمت الدولة الشيوعية فى روسيا فى اكتوبر عام ١٩١٧ الميلادى
 كما تأثر بها عدد غير قليل من المسلمين المتفرنجين لوقوعهم فى براثن
 العبودية الفكرية للحضارة الجاهلية الحديثة .

وقبل أن نذكر ما قاله الاستاذ المودودى فى نقده لهاتين النظريتين
 يجدر بنا ان نأتى بموجزهما . واما نظرية هيغل الجدلية فالمراد منها
 ان الحضارة الانسانية تطورت بظهور الاضداد وتمازجها فيما بينهما ، وان
 كل دور من ادوار التاريخ ^{فتكون} وهدا فى حد ذاته الافكار والنظريات السياسية
 والاقتصادية والعلمية والدينية حسب مستوى خاص فى ذلك الدور ، وعندما
 تصل هذه النظريات قمتها ينبثق من حضنه عدو اى الطاقة الاخرى مسن
 الافكار والنظريات ، ويبدأ الصراع بين القديم والجديد حتى يحصل التنازع
 بينهما ويأتى فى الوجود دور جديد يضم العناصر الصالحة القديمة والعناصر
 الصالحة الجديدة وهذه العملية المستمرة للارتقا* يسميها هيغل العملية
 الجدلية ويرى ان الله سبحانه او "روح العالم" او العقل الكلى يأتى بها
 لاكمال ذاته وهو يستخدم الانسان كاداة لتحقيق هذا الهدف .

وأما ماركس فهو يختلف من هيغل فوان هذا الصراع بين القديم
 والجديد والتنازع بينهما يأتى نتيجة للدواعى الاقتصادية وليس هناك اى
 وجود للعقل الكلى او روح العالم او ذات الله سبحانه كما يظن هيغل .

يتضح ما ذكرنا ان الايمان بالتفسير الجدلي للتاريخ يجعل الانسان يعتقد ان كل دور حضارى فى تاريخ البشرية هو احسن من الدور السابق لانه يشمل العناصر الصالحة للدور والعناصر الصالحة الجديدة ، وهذا مالا يترك اى مجال للايمان بالدين الذى ارسله الله قبل القرون . وهكذا الايمان بالتفسير المادى للتاريخ لما ركس يلتزم فيه الانكار بذات الله سبحانه ورسله وبيادى الدين الاساسية الاخرى ، وفى الجملة ان الايمان بهاتين النظريتين لا يترك اى مجال للايمان بالاسلام .

واهتم الاستاذ المودودى بالنقد لهاتين النظريتين فى كتبه المختلفة ومنها كتابه الشهير " الاسلام فى مواجهة التحديات المعاصرة " الذى اعتنى الاستاذ فيه بالنقد للنظريات الجاهلية الحديثة المختلفة فيقول فى مناقشته للتفسير الجدلي للتاريخ :

" ان قول هيغل بان الله سبحانه روح العالم وقوله ان الله يتخذ الانسان أداة لاستكمال ذاته وان تاريخ ارتقاء المدنية الانسانية انما هو تاريخ السفر الذى يقوم به الله سبحانه الى منتهى كماله ، فما كل هذه الآراء سخيفة واهية ليس فى السماء ولا فى الارض ما يثبت صحتها ثبوتاً يعتبره " الثبوت " (١) ثم يخيف اليه قائلاً : " فهذه اخطاء هيغل الاساسية قد جعلت فلسفته للتاريخ لغزاً من الالفاز ثم اننا اذا تأملنا فى نظريته للجدال التاريخى وان كنا نلمح فيها بعض جوانب الصحة والصدق الا ان عنصر القياس والتخمين فيها يغلب على عنصر الاستشهاد باحداث التاريخ " (٢) .

(١) الاستاذ المودودى فى الاسلام فى مواجهة التحديات المعاصرة ص : ٣٣ .

(٢) المرجع السابق : ص ٣٣ .

ويقول في نقده للتفسير المادى للتاريخ : " أما ماركس فلم يكتب له هذا الحظ اليسير من عمق النظر وسعة الافق الذى كتب لهيجل ، انه لا يحاول اصلا ان يعرف ويفهم قطرة الانسان وصنعه وتركيبه فهو ، لذلك انما ينظر منه الى الحيوان الخارجى الذى تمسه الحاجة الى اسباب المعيشة ولا ينظر ابدا الى الانسان الداخلى الذى يعيش داخل (كسول) هذا الحيوان الخارجى والذى ليس الحيوان الخارجى الا اداة من ادواته والذى تختلف مقتضيات طبيعته عن مقتضيات طبيعة الحيوان الخارجى . ان تصور نظر ماركس وضالته فهمه جعلت كل نظرياته الاجتماعية باطلة كل البطلان واصبح يظن ان الانسان الداخلى انما هو تابع بل عبد لذلك للحيوان الخارجى ، وان كل ما اوجته من قوى العقل والاستدلال والتفكير والبحث والملاحظة والاستنباط والتحقيق والاختراع انما هو مقصور على خدمة الحيوان الخارجى وتحقيق شهواته ومتطلباته واغراضه ولهذا فان أقصى ما قام به الانسان الداخلى حتى الان او يستطيع ان يقوم به فى المستقبل ، لا يعدو ، على حسب قول ماركس ان يكون وضعا لعبادى* الاخلاق والقانون ، واختراع تصورات وتقرير طريق للحياة وفقا لخواص الحيوان الخارجى ، ما أزال هذه الفكرة الحقيقية للانسان ، وما أبعد الازهان التى ترتاح اليه وتقبله" (١) .

فيتضح من هذا ان السبب الحقيقى لعدم تمكن هيجل وماركس من الوصول الى الحقيقة هو بانهما لم يستطيعا ان يعرفا حقيقة الانسان ومتطلبات طبيعته الاساسية ومقتضياتها وذلك لان الانسان كما ذكرنا انما مهمل سعيه فى البحث والتحقيق لا يمكن له ان يعرف حقيقة الانسان معرفة صحيحة ولا يمكن له ان يضع له منها جا صحيحا وطا دلا ، المنهج الصحيح والطريق الفطرى للحياة

(١) الاستاذ المودودى : الاسلام فى مواجهة التحديات المعاصرة ص ٣٤ .

الانسانية الذى يعبر عنه القرآن الكريم بالاصطلاحات الخاصة " كالصراط
المستقيم " و " الرشيد " و " الهدى " و " سوا السبيل " و " سبيل الرب "
وما اليها .

والصراط المستقيم او سوا السبيل الذى فطر الله الانسان عليه والذى
يوافق بمقتضيات فطرته لا يمكن الوصول اليه الا باتباع الرسل عليهم السلام
الذين بعثهم الله لهداية البشرية كما يشير اليه قوله سبحانه (لقد ارسلنا
رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) (١) . واما
الصراع الذى نراه خلال قرون التاريخ الطويلة والذى يسميه هيجل بالمطية
الجدلية ويسميه ماركس بالعملية الجدلية المادية ، فسببه فى نظر الاسلام
كما يرى الاستاذ المودودى هو ابتعاد الانسان عن هذا الخط المستقيم
ووقوعه فى الطرق المموجة الاخرى ومحاولته للوصول الى الخط المستقيم وابتعاده
عنه مرة اخرى . فيقول الاستاذ " لقد كانت الانسانية على فطرتها فى بدء
الامر (كان الناموس واحدة) (٢) ثم ظهرت فى الناس ميول الى تعسدى
حدود هم المشروعة (وما اختلفت فيهم الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم
البينات بغيا بينهم) (٣) ، فهذه الميول مازالت تعيد بالانسان بعيدا
عن الصراط المستقيم الفطرى مرة بعد اخرى ولكن فى كل مرة نجد ان سرارة
التجارب وقلق الفطرة الانسانية يجبرانه على الرجوع الى طريق الفطرة
ولكن الانسان ما كان يرجع الى طريق الفطرة الا ليعتمد عنه مرة اخرى الى الجهة
المعاكسة ثم يجد نفسه مرة اخرى مضطرا الى الرجوع الى طريق الفطرة (٤) .

(١) سورة الحديد - ٢٥ .

(٢) سورة البقرة - ٢١٣ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) الاستاذ المودودى - الاسلام فى مواجهة التحديات المعاصرة ص ٣٨ .

والاستاذ المودودى يتناول هذا الموضوع فى تفسيره (تفهيم القرآن)
 خلال تفسيره لقوله تعالى (فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل)^(١)
 وبعد ما يبين فيه ان الانسان لكونه ضعيفا فى فكره ونظره وعلمه لا يمكن لــــه
 ان يجعل له منها صحيحا و عادلا ويشير الى النتائج الخطيرة التى يؤدى
 اليها قيام الانسان بهذه المهمة يقول " فاذا جعل الانسان نفسه هاديا
 له وشارعا يسيطر عليه جانب من جوانب الحقيقة المختلفة او حاجة من حوائج
 الحياة البشرية او قضية من قضايا الحياة الفردية او الاجتماعية وذلك الذى
 حد أنه يهمل الجوانب والحاجات والقضايا الاخرى كان ذلك قصدا او بدون
 قصد ، فانه اذا اهتم بتنفيذ رأيه هذا بالقوة والعنف لكانت النتيجة
 الاختلال فى ميزان الحياة البشرية ، فيبدأ ركب الحياة يسير على طريق من
 الطرق المعوجة الاخرى ، ثم اذا وصل هذا الطريق المعوج الى حــــده
 الاقصى تثور النواحي والحاجات والقضايا التى اهل الانسان حتى الآن ،
 بل عدل عنها ويقوم بكل القوة لكن يهتم بها بالقسط ولكن اين القسط ؟ لان
 نفس العملية تبدأ مرة ثانية ايضا ، فاحدى القضايا التى كانت اكثر اهمالا
 بها فى الاول ، تستولى على الازهان وتسيل بها فى سبيلها الخاص حسب
 مقتضياتها الخاصة حتى تغفل فيها القضايا الاخرى فتطفى مداها كالمرة
 الاولى ، وتستمر هذه العملية حتى لا يمكن للحياة الانسانية ان تسير على
 صراط مستقيم ، بل لا يزال مستمرا فى الاهتزاز بين الطرفين من الهلاك والدمار
 فالحقيقة ان جميع الطرق التى جعلها الانسان لحياته الفردية والاجتماعية
 تقع بصورة خط منحني يبدأ من اتجاه خاطئ ، ويسير الى اتجاه خاطئ ثم ينعطف
 الى اتجاه خاطئ آخر (٢) .

(١) العائدة - الآية ١٢ .

(٢) تفهيم القرآن ج ١ ص : ٤٥٢ .

فيتبين ما قال الاستاذ المودودى فى تفسيره لقوله تعالى هذا بان الصراع المستمر الذى نجده فى ساحة التاريخ الطويلة سببه الحقيقى بان العقل الكلى وروح العالم او ذات الله سبحانه ياتى به لاستكمال ذاته كما يظن (هيجل) ولا ان الدواعى الاقتصادية تاتى بها كما يظن ماركس بل السبب الحقيقى لهذا الصراع هو الانسان اذا ضل سوا^ا السبيل ومع كونه ضعيفا فى النظر والفكر قام بجعل منهج حياته بنفسه فمن الطبيعى بان اهتمامه بقضية خاصة يشغله عن العناية بالقضايا الاساسية الاخرى التى تشهور ضدها وتؤدى الى صراع مستمر فيما بينها .

ثم يبين الاستاذ المودودى المنهج الصحيح العادل الذى يسميه الله سبحانه هنا بسوا^ا السبيل ، فيوضح بان " هذا المنهج العادل ، هو المنهج الوحيد الذى جعله الله سبحانه للانسان لكونه خالقا له وعالميا لمطالبات حياته الفردية والاجتماعية وهذا هو الطريق الوحيد الذى يضمن القسط والعدل لجميع قوى الانسان وعواطفه ولجميع مشاكل حياته فردا كان او مجتمعا ، والطريق الذى لا تكون فيه عناية خاصة بتاحية من نواحي الحياة المختلفة على حساب النواحي الاخرى ، فهذا هو الطريق الصحيح الذى تطلبه الفطرة الانسانية وهذا الذى يضمن التطور الصحيح للركب البشرى ولكن هذا الطريق الصحيح والعادل لا يمكن الوصول اليه الا بواسطة الانبياء عليهم السلام الذين قد ارسلهم الله لهداية البشرية الى هذا المنهج الصحيح العادل ، المنهج الذى يسميه القران بسوا^ا السبيل" (١) .

وبعد ما يبين الاستاذ المودودى حقيقة الصراع المستمر فى ساحة التاريخ الانسانى ويبين المنهج الصحيح العادل للتطور يحتسب بالنقد على الفلسفة الجدلية لهيجل والفلسفة الجدلية المادية لماركس فيقول :

" انه اذا رأى بعض الفلاسفة لعصرنا الحاضر ان الحياة الانسانية تدور بين طرفي الافراط والتفريط ، استنتجوا ان العملية الجدلية هي الطريق الوحيد الفطري لارتقاء الحياة الانسانية فلذا من متطلبات ارتقاء الحياة الانسانية ان تقوم الدعوى اولا وياخذ معه الحياة الانسانية الى الحد الاقصى ثم يظهر منه جواب الدعوى وياخذها معه الى الحد الاقصى الآخر ثم يظهر من الصراع بينهما المزيج الذي يؤدي ركب الحياة الى الارتقاء ولكن الحقيقة ان هذا الصراع المستمر لا يؤدي البشرية الى الارتقاء بل فسي الحقيقة يؤديها الى المشاكل التي هي الموانع الحقيقية في الارتقاء وازا ظهرت احدى هذه الدعاوى اخذت معها الركب البشري الى احدى الطرق المموجسة وتبعده عن سوا السبيل ثم تثور هذه النواحي التي عدل عنها وتقوم ضد هـا لكل القوة لتصل الى سوا السبيل وهذا هو جواب الدعوى الذي ياخذ معه ركب الحياة البشرية وازا تقررت هذه الدعوى الى سوا السبيل وظهر الصلح بين هذا وذاك وكاد ان يكون مزيجهما نافعا للبشرية ، ولكن اذا لم تكن معالم سوا السبيل واضحة وبينة ولا يكون هناك الايمان الذي يجعل الركب البشري يسير على سوا السبيل فياخذه هذا جواب الدعوى الى نهاية اخرى ، حيث تمهل بعض القضايا البشرية لاخرى التي تثور ضد ه ولا تزال هذه الدورة مستمرة الى النهاية . ولو ان هـ هو لا الفلاسفة قد وصلتهم الهداية التي يهدى اليها القرآن الكريم لوافقوا على ان الطريق الصحيح لارتقاء البشرية هو ليس الا سوا السبيل ولا يصلح لها ان تسير على الخطوط المموجة الاخرى " (١) .

ولو فكرنا فيما كتبه الأستاذ المودودي نقد للتفسير الجدلي للتاريخ

اوالتفسير المادي للتاريخ لوصلنا الى النتائج التالية :

اولا : المنهج الصحيح العادل للانسان الذى يضمن فيه العداles الكاملة لجميع متطلبات فطرة الانسان لا يمكن ان يجعله الا من خلقه ويعرف مقتضياته وحاجاته معرفة صحيحة وكاملة .

ثانيا : ان الانسان لكونه ضعيفا فى النظر والفكر والعلم لا يمكن له ان يجعل نفسه منهجا صحيحا عادلا لحياته الفردية والاجتماعية فلهذا كلما حاول ان يجعل منهجا لحياته لم يتمكن من جعل منهج صحيح عادل بل انه قد اخذ جانبا من جوانب الحياة الفردية والاجتماعية او قضية من القضايا البشرية واهمل الجوانب والقضايا الاخرى التى ثارت ضده وهذا ما ادى الى الصراع المستمر الذى نراه فى ساحة التاريخ .

ثالثا : ان هذا الصراع المستمر فى تاريخ البشرية ليس سببه بان اللسان سبحانه يستخدم الانسان لاستكمال ذاته كما يظن هيغل ولا الدواعى العادية كما يظن ماركس بل سببه الحقيقى هو قيام الانسان بجعل منهج حياته بنفسه واهتمامه بقضية من القضايا البشرية واهماله القضايا الاساسية الاخرى التى تثور ضده وتبعده عن سواها السبيل الى المنهج الصحيح العادل .

رابعا : ان التفسير الجدلى للتاريخ لهيغل او التفسير المادى للتاريخ لماركس لا اساس لهما علميا فكلاهما اهتمتا بقضية من القضايا البشرية واهملا كثيرا من القضايا الاساسية الاخرى وهذا ما جعل كلا التفسيرين غير صحيحين وغير علميين .

خامسا : ان التطور الحقيقى فى التاريخ البشرى ليس نتيجة للصراع بين الدعوى وجواب الدعوى ومزيجهما كما يظن هيغل وماركس بل التطور الحقيقى للركب البشرى يضمنه اتخاذ سواها السبيل منهجا للحياة الفردية والاجتماعية .

يتبين من هذه النماذج ان الاستاذ المودودي خلال تفسيره للقرآن
الكريم كان يحتفي بصفة خاصة بابراز موقف الاسلام من النظم الجاهلية
والفلسفات والنظريات الالادينية والمادية التي جاءت بها الحضارة الغربية
الحديثة وذلك بالاسلوب الحكيم الجذاب بالادلة من الكتاب والسنة والبراهين
المقتضية القوية ، وهكذا تمكن من انتقاذ الجيل المثقف الجديد من
العبودية الفكرية للحضارة الغربية الحديثة ، ولولا ضيق المجال لذكرنا
هنا بعض النماذج الاخرى لاسلوبه هذا .

...

المبحث الثاني عشر :مكانة منهج الاستاذ المودودي في تفسير القرآن

وبعد أن انتهينا من دراستنا لاهم المزايا لمنهج الاستاذ المودودي في تفسير القرآن الكريم نرى ضروريا ان نتكلم عن مكانة هذا المنهج في ضوء هذه الدراسة ، وهذا ما يقتضى أن نضع أمام نظرنا ما ذكرناه في الفصل الاول لهذه الرسالة خلال بحثنا عن أوضاع ذلك العصر من النواحي المختلفة لنتمكن من تعيين مكانة هذا المنهج الصحيحة .

يتبين ما ذكرناه بهذا الصدد أن الصراع الذي قد بدأ في اوربا بين العلم والكنيسة قد انتهى بانتصار حركة العلم على الكنيسة ، وكان لهذا الصراع الطويل العنيف أن الفلسفات والنظريات التي ظهرت في اوربا في ذلك العصر كالتفسير الجدلي للتاريخ لهيجل والتفسير الجدلي للمادى للتاريخ لماركس ، ونظرية التطور والارتقاء لداروين ، والتفسير الجنىسى لعلم النفس لفرويد وما إلى ذلك من الفلسفات والنظريات التي ظهرت في ذلك العصر كانت كلها مادية لادينية ، تقوم على فلسفة أبدية المادة الجاهلية التي لا تؤمن بوجود اى خالق لهذا الكون ، وجد ير بالذكر ان انصارهم لوجود الله سبحانه لم يكن على اى اساس علمى بمثل كان لحقد هم الشديد لرجال الكنيسة ، ويقول العالم الفرنسى الشهير الدكتور موريس بوكاي : " ان كثيرا من العلماء من مثلوا المادية فترضوا اشياء كثيرة وهى في جملتها خطأ ، وهم يعرفون ذلك ، ولكنهم يفعلون ذلك لانهم ماديون " (١) وكان لمؤثرات انتصار الحركة العلمية على الكنيسة أن فقد الانسان الغربى اعانه في كل ما جاءه من الكنيسة وأمن بهذه النظريات اللادينية والفلسفات الجاهلية بدون أن يفكر في لغويتها من الناحية العلمية .

(١) الدكتور موريس بوكاي — في مقابلته مع مندوب مجلة "البلاغ" الكويتية ،

. ان الهدف الاساسى من وراء غزو الاستعمار الفكرى والحضارى للعالم الاسلامى هو كان القضاء على اذعان الامة الاسلامية فى كون الاسلام ديننا ربانيا كاملا شاملا لكل ناحية من نواحي الحياة الفردية والاجتماعية وفى صلاحيتها لقيادة البشرية وحل مشاكلها فى ذلك العصر ، وذلك لكون تقع الامة الاسلامية فى العبودية الفكرية للغرب وحضارتها الجاهلية ولا تتمكن من القيام بمواجهة غزو الاستعمار السياسى والحضارى وهذا الهدف الشنيع كان لتحقيقه ان اهتم الاستعمار بتخطيط المخططات والمؤامرات الماكرة اهمها كالاتى :

- ١- انشاء حركات التفرنج والتضريب فى البلاد الاسلامية ، وهذه الحركات كانت تهدف الى الخضوع الكامل امام الحضارة الغربية الجاهلية والايمان بكل قادم من الغرب صحيحا كان أو خطأ .
- ٢- قيام المستشرقين والمبشرين المتعصبين باصدار الكتب والبحوث لتشويه صورة الاسلام الحق يقية ببيت الشكوك والشبهات حول تعليقاته السامية ونشر الاكاذيب والاتهامات حول شخص الرسول صلى الله عليه وسلم .
- ٣- تصميم الثقافة الفرنجية الحديثة فى المجتمعات الاسلامية .
- ٤- نشر وتعميم الفلسفات المادية الجاهلية والنظريات اللادينية الحديثة فى الجيل المثقف الجديد .
- ٥- الغاء الشريعة الاسلامية فى البلاد الاسلامية المختلفة ونفاذ القوانين الوضعية الفرنجية محلها .
- ٦- انشاء ودعم الحركات الهدامة المعادية للاسلام كالماسونية والشيعية والقاديانية والبهائية وجحود السنة النبوية وتطوير الاسلام بالتوفيق بين الاسلام وبين الحضارة الجاهلية الحديثة وما الى ذلك من الحركات الهدامة .
- ٧- القضاء على وحدة الامة الاسلامية وذلك بالقضاء على الخلافة العثمانية من ناحية وبيش نعرات القومية الوطنية او القومية اللسانية الجاهلية

من ناحية ثانية ، وباشغال نار الخلافات المذهبية من ناحية ثالثة ،

٨ - استخدام وسائل التعليم والتبشير والاعلام وما الى ذلك من وسائل الدعاية
لاكمال النفوذ الحضارى .

ان المؤثرات الفكرية والحضارية لفضو الاستعمار السياسى والحضارى على

العالم الاسلامى هى كالتى :

١- كان لتعميم الثقافة الا فرنجية اللادينية ونشر الفلسفات المادية الجاهلية

كالتفسير الجدى للتاريخ لهيجل والتفسير الجدى للمادى للتاريخ لماركس،

وفلسفة التطور لداروين والتفسير الجنى لعلم النفس لفرويد فى المجتمعات

الاسلامية أن اذعان المسلمين المثقفين فى كون الاسلام دينا ربانيا

كاملا وفى صلاحيته لقيادة البشرية وحل مشاكلها فى ذلك العصر بدأ

يضعف يوما فيوما وهذا ما انتهى الى النتائج الآتية :

أ - ان عددا كثيرا من المسلمين المثقفين فقدوا اذعانهم فى مبادئ

الاسلام الاساسية وفى صلاحيته لقيادة البشرية وحل مشاكلها فى

ذلك العصر وأوا ان الفلسفات الجاهلية والنظم اللادينية الحديثة

وحدها تتمتع بصلاحية حل المشاكل السياسية والاقتصاد

والاجتماعية المعاصرة .

ب - وعدد غير قليل من الآخرين تأثروا بهذه الفلسفات المادية الجاهلية

والنظريات اللادينية بعقليتهم الخاضعة وجعلوها مقياسا للرد

والقبول وقاموا بتطوير الاسلام بالتوفيق بينه وبين هذه الفلسفات

المادية الجاهلية بهذه العقلية الخاضعة .

٢- وهكذا المستشرقون المتعصبون لم يكن هدفهم " تحقيقاتهم العلمية "

الا خدمة الاستعمار فى تحقيق اهدافه الشنيعة وذلك بتشويه صورة الاسلام

بإثارة الشبهات حول مبادئ الاسلام أحيانا وبالرمى بالاتهام والا كان يجب

شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم حيناً آخر ، وباتاراً لشبهات حول كتاب الله وسنننا لنبي صلى الله عليه وسلم من النواحي المختلفة او باسراء الاعتراضات حول بعض الاحكام كالجهاد في سبيل الله ، والجزية وتعدد الزوجات واباحة الاسترقاق وما الى ذلك من الاحكام الاسلالية. حينئذ ثالثاً ، وهذا الهجوم المخطط الماكر الذي جاء به هو " لا المستشرقون المتعصبون في تاليفاتهم حول الاسلام باسم " التحقيق العلمي " كان له تاثيراً كبيراً في الشباب المثقفين وهذا التأثير قد انتهى الى النتائج الاتية :

أ - ان كثيراً من المسلمين المثقفين آمنوا بكل ما كتبه المستشرقون المتعصبون من الخرافات والاكاذيب والباطيل وفقدوا اذعانهم في كون الاسلام ديناً حقيقياً بعث به الله خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم وبدأوا ينظرون الى الاسلام بالنظر الطون الذي ينظر به اليه . . . هو " لا المستشرقون المتعصبون وقاموا ببث اكاربيهم وابطالهم في المجتمعات الاسلامية ليتمكنوا من القضاء على اكاربيهم في الاسلام ومن أبرز تلاميذ هؤلاء المستشرقين في العالم الاسلامي هو والدكتور طه حسين .

ب - وقام البعض الآخرون للدفاع عن الاسلام وذلك بالمقلية الخاضعة فلهذا لم يكن دفاعهم عن الاسلام دفاعاً جريئاً بل كان دفاعاً انهزامياً فقاموا بالجدود عن حجية الحديث في التفسير والتشريع كما جاءوا بالتاويلات البعيدة للجهاد والجزية وتعدد الزوجات واباحة الاسترقاق وما الى ذلك من الامور التي انتقدتها المستشرقون ومن أبرز هذا النوع من المفكرين الخاضعين هو السيد احمد خان في شبه القارة الهندية .

وهكذا الحركات الهدامة التي ظهرت وانتشرت في العالم الاسلامي تحت راية الاستعمار المباشرة او غير المباشرة كالقاديانية او البهائية او حركة انكار السنة او حركة التغريب والتفريج او حركة تطوير الاسلام بالتوفيق بين الاسلام وبين الجاهلية الحديثة او حركة التبشير او الشيوعية او العلمانية وما الى ذلك من الحركات المعادية للاسلام لها دور هام في تشويه صورة الاسلام وبث الشبهات حول مبادئه القيمة وتعليماته السامية والقضاء

انطان المسلمين في صلاحية الاسلام لقيادة البشرية وحل مشاكلها فسو
ذلك العصر.

٤ - وهكذا مؤامرة استبدال القوانين الوضعية الافرنجية بالشريعة الاسلامية
في البلاد الاسلامية لها دور هام في القضاء على الانطان ان الاسلام
دين ودولة ولا يمكن العمل به الا بالاحتكام بالشريعة الاسلامية فسو
كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية . هذا من ناحية ومن
ناحية اخرى هذا ما زعزع به عقيدتهم الاساسية ان حق التشريع مختص
بالله سبحانه وتعالى ولا يجوز لهم ان يقوموا بتشريع اي قانون الا في ضوء
الكتاب والسنة ومن ناحية ثالثة هذا ما انتشرت به فيهم النظرية الضالفة
أن الدين تقتصر دائرته على أداء الطقوس فحسب واما دوائر الحياة
الفردية والاجتماعية الاخرى المختلفة فليست له اية علاقة بها .

وفي الجملة كانت هذه هي التحديات والتيارات المعادية التي كان
يواجهها الاسلام والمسلمون في ذلك العصر ولكن العلماء والمشايخ الذين كان
من واجبهم ان يقوموا لمواجهةتها لم يتمكنوا من مواجهتها وذلك لانها هم موقف
الاعتزال والرفض تجاه كل ما كان يجري حولهم في العالم . فكان لموقفهم
السلبى هذا انهم نحو عن قيادة المجتمعات الاسلامية ، هذا من ناحية ، ومن
ناحية اخرى لان لعدم معرفتهم التحديات والتيارات المعادية للاسلام معرفة
صحيحة بانهم لم يتمكنوا من مواجهتها وهذا ما انتهى الى خضوع المجتمعات
الاسلامية الكاملة للحضارة الغربية والفلسفات المادية الجاهلية التي جاءت بها .

هذه هي كانت الاوضاع القاسية التي كان يمر بها الاسلام حينما قرر
الاستاذ المودودي ان يقوم باحياء الدعوة الاسلامية في شبه القارة الهندية فسو
بداية الربع الثاني للقرن العشرين الميلادي . وذلك بعد استمداده لهذا
الامر الجليل بدراسة الفلسفات المادية الجاهلية والنظم اللادينية الخديثة
دراسة عميقة فاحصة من ناحية وبعد اسما نالنار في الكتاب والسنة والعلوم

الدينية المختلفة من ناحية اخرى . ثم قام الاستاذ المودودي بامر الدعوة فعلا باصدار مجلة ترجمان القرآن الشهرية عام ١٩٣٣م واهتم في بدايتها أمره بالمهتمين الاساسيتين وهما : اولا : نقد الجاهلية الحديثة بكل انواعها وثانيا : ابراز اوجه النظام الاسلامي المختلفة وذلك باسلوب عصري جذاب مبرهن بأدلة من الكتاب والسنة والبراهين العقلية القوية ليتمكن من القضاء على العموديات الفكرية للجاهلية الحديثة من ناحية ومن اعادة ثقة المسلمين في صلاحية الاسلام وحل مشاكلها في ذلك العصر من ناحية اخرى .

وظل الاستاذ المودودي يجتهد في مجال الدعوة بكل ما في وسعه حتى وفقه الله أن يقوم بتأسيس الجماعة الاسلامية عام ١٩٤١م ثم بعد ستة شهور من تأسيس الجماعة الاسلامية قرر الاستاذ المودودي ان يقوم بتأليف تفسيره تفهيم القرآن والاسباب التي دفعتها الى ذلك القرار كالاتي :

أ - ان القرآن كتاب دعوة وحركة وقد أنزله الله على نبيه صلى الله عليه وسلم لقيادة الحركة الاسلامية ولهذا لا يمكن العمل في مجال الدعوة الاسلامية الا بالاهتداء بهذا الكتاب العظيم ولكن التفاسير الموجودة في ذلك الوقت ما كانت لها المداينة السرفيعة ، لم يكن للعاملين في مجال الدعوة أن يهتدوا بها خلال عملهم في الدعوة في عصر مليء بالتحديات المعادية للاسلام وذلك لان هذه التفاسير اما قد ألفت قبل ظهور هذه التحديات والتيارات المعادية والحركات الهدامة وأما مؤلفوها لم يفهموا ما كان يجري حولهم او ما كان بالمرصاد للاسلام والمسلمين من التحديات والتيارات بل كل ما كان يفهم مع الاسف الشديد كان اشغال نار الخلافات بين المذاهب الفقهية المختلفة ، واما قد الفت للتوفيق بين الاسلام وبين الجاهلية الحديثة وفلسفاتها المادية اللادينية وذلك بالجهود من حجة الحديث في التفسير والتشريع كتفسير احمد خان ومن سلك مسلكه واما التفاسير التي قد حاول فيها مؤلفوها ان يهتدوا بمواجهة هذه التحديات والتيارات المعادية لم تكن الا قليلا ولكن هذه التفاسير ايضا لم يتمكن فيها مؤلفوها من مواجهة هذه التحديات مواجهة صحيحة وذلك لعدم

اطلاعمهم على الفلسفات المادية الجاهلية والنظم اللادينية الحد يثية
اطلاطا واسعا فاحصا ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، كان لكون
أسلوب هذه التفاسير اسلوبا علميا قديما باتلم يتمكن من الاستفادة بها
الا العلماء والمشايخ فضلا عن ذلك كان لعدم اهتمام هؤلاء المفسرين
بحمل الدعوة انهم لم يتمكنوا من بيان ما كانت من التوجيهات الالهية
في كتابه العظيم لمحمل الدعوة .

وجملة القول لم يكن هناك تفسيرا يهتدى بها العاملون في مجال
الدعوة خلال عطلهم في هذا المجال في ذلك العصر .

ب- ان الاستاذ المودودي بعد ان كتب كثيرا لبيان التوجيهات الحكيمية
للعاملين في مجال الدعوة من ناحية ولا يبرز اوجه النظام الاسلامي المختلفة
من ناحية اخرى ، ولمواجهة التحديات المعاصرة من ناحية ثالثة ،
قد وصل الى النتيجة بانه مهما يبذل جهوده لتحقيق هذه الاهداف
لا يمكن له ان يتمكن من النجاح الا اذا جعل القرآن الكريم وسيلة له
وذلك لان هذا هو الكتاب الذي قد أنزله الله لتحقيق هذه الاهداف
في كل زمان ومكان .

وفي الجملة كانت هذه هي الاسباب التي دفعت الاستاذ المودودي
الى القيام بتأليف تفسيره للقرآن الكريم وكان من متطلبات هذه الاسباب
ومقتضياتها ان يهتم الاستاذ بالامور الآتية :

- ١ - الاهتمام الكامل بأصول التفسير وذلك بالجمع بين الرواية والدراسة .
- ٢ - الاهتمام ببيان التوجيهات الالهية الواردة في القرآن الكريم للعاملين
في مجال الدعوة الاسلامية .
- ٣ - القضاء على أسطورة فصل الدين عن الدولة وذلك ببيان اهمية الاحتكام
بما أنزل الله من ناحية ويا يبرز اوجه النظام الاسلامي المختلفة من ناحية
ثانية وبإثبات صلاحية الاسلام لقيادة ركب البشرية وحل معضلات حياة
الفردية والاجتماعية في ذلك العصر من ناحية ثالثة .
- ٤ - الرد على الاتهام والاكاذيب التي جاء بها المستشرقون لتشويه صورة الاسلام
الحقيقية من النواحي المختلفة وذلك بالارادة العلمية والمقلية القاطعة .

- ٥ - القضاء على العبودية الفكرية للفلسفات المادية الجاهلية والنظم اللادينية الحديثة بالنقد العلمي المبرهن بالبراهين العقلية والعلمية القوية .
- ٦ - الاهتمام بإزالة الشبهات التي أثارها المنتمون إلى حركات الهدامة المختلفة وذلك أيضا بالبراهين والادلة العقلية القوية .
- ٧ - الرد على التأويلات الباطلة للآيات القرآنية وذلك مستدلا بالكتابات والسنة من ناحية ومدعما بالبراهين العقلية القوية من ناحية أخرى .
- ٨ - القضاء على فتنة تطويع الاسلام بالتوفيق بين الاسلام وبين الجاهلية الحديثة وذلك أيضا بالبراهين العقلية والعلمية القوية .
- ٩ - الاهتمام بتجنب التحصب المذهبي في ترجيح الآراء الفقهية المختلفة .
- ١٠ - الاهتمام بالأسلوب المصري الجذاب المبرهن وذلك ليتمكن القارئ من فهم المراد بالسهولة ، وهذا من ناحية ومن ناحية أخرى ، ليتسخر به ذهنه وقلبه معا .

فيبتين ما ذكرنا من النماذج لمزايا منهج الاستاذ المودودي في تفسير القرآن الكريم آنفا أنه يهتم بهذه النواحي بكل اهتمام ودقة فبينما نراه يعتنى بأصول التفسير بالجمع بين الرواية والدراية ، نراه يهتم ببيان التوجيهات الالهية الواردة في القرآن الكريم للعاملين في مجال الدعوة وذلك خلال تفسيره للآيات الواردة حول الدعوة ومتطلباتها احيانا وفي تقديمه للسور القرآنية مبينا العلاقة بين السورة وبين مرحلة الدعوة التي هي نزلت فيها حينئذ آخر ومبينا حكمة ايراد القصص القرآنية حينئذ ثالثا .

هكذا نرى الاستاذ المودودي بأنه خلال تفسيره للقرآن الكريم يهتم بصفة خاصة بالقضاء على أسطورة فصل الدين عن الدولة وفكرة اقتصار الدين على أداء الطقوس الخالية ، وذلك ببيان أهمية الاحتكام بما أنزل الله من ناحية وبإبراز أوجه النظام الاسلامي المختلفة من ناحية أخرى فكان بهذا ان تمكن الاستاذ من اعادة ثقة الشباب المثقف في صلاحية الاسلام لقيادة الركب البشري وحل معضلات الحياة في ذلك العصر .

وهكذا نرى الاستاذ المودودي يعتنى عناية خاصة بإزالة الشبهات التي جاء بها المستشرقون والمبشرون لتشويه صورة الاسلام وذلك بالرمي بالاكاذيب شخص الرسول صلى الله عليه وسلم من ناحية وبالطعن في أسلوب القرآن من ناحية أخرى وبالاقتراء ان النبي صلى الله عليه وسلم تعلم القرآن من علماء اهل الكتاب

وكتبهم من ناحية ثالثة وبالأقاويل حول حجية السنة النبوية او بتشويه بعض احكام الاسلام كالجهاد والجزية وتعدد الزوجات والاشترقاق وما الى ذلك من ناحية رابعة ، والاستاذ المودودي يرد على تلك الاكاذيب والباطيل في مقدمته لتفہيم القرآن احيانا وفي تقديمه للسور القرآنية حيناً آخر وبالاستشهاد من كتب أهل الكتاب حيناً ثالثاً وخلال تفسيره للآيات الكريمة التي طعن فيها المستشرقون حيناً رابعاً .

وكان من هذا المنطلق ان الاستاذ المودودي اهتم بالنقد العلمي المبرهن للفلسفات المادية الجاهلية والنظم اللادينية الحديثة وذلك خلال تفسيره للآيات الكريمة التي تتحدث عن تخليق الكون وداية لبشرية وما الى ذلك ليتمكن من القضاء على العبودية الفكرية للجاهلية الحديثة والفلسفات المادية اللادينية التي جاءت بها .

وهكذا الايفوت الاستاذ ان يرد على التأويلات الباطلة للآيات القرآنية التي جاء بها بعض من المفسرين للتوفيق بين الاسلام وبين الجاهلية الحديثة أو التي جاء بها القائلون بالحركات الهدامة لتحقيق أهدافهم الشيعة وذلك لانقاذ المسلمين من براثن هذه الحركات الهدامة .

وهكذا اهتم الاستاذ المودودي ان يجتنب التعصب المذهبي في ترجيح الآراء الفقهية المختلفة وذلك ليتمكن المسلمون من التوحيد كلمتهم لمواجهة التحديات والتيارات المعادية .

وفضلاً عن ذلك اهتم الاستاذ المودودي باتيان الخرائط والصور للاماكن التي ورد ذكرها في القرآن الكريم وذلك ليتمكن القارىء من فهم الايات التي ورد فيها ذكر هذه الاماكن فهما صحيحاً ، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى لتزيد به ثقته فيها .

وهكذا كان عدم الاهتمام الاستاذ المودودي بالمباحث الجانبية يهدف الى أن القارىء لا يلتفت الى المباحث التي ليست لها اية علاقة مباشرة او غير مباشرة مع فهم القرآن الكريم وتفہيمه .

فيتبين من هذا ان تفسير الاستاذ المودودي كان وفقاً لاصول التفسير من ناحية ومن ناحية اخرى كان مطابقاً لمتطلبات العمل في مجال الدعوة في عصر مليء بالتحديات والتيارات المعادية للاسلام .

الثالثة

كلمة الختام

الحمد لله الذي وفقني لإكمال هذه الرسالة بصورتها الموجودة ، وأرجو أن يقبل مني ما بذلت في إكماله من السعي والجهد ويجعله وسيلة لسعادتي في الدنيا ومنفرتي في الآخرة وآمل أن يكون عملي هذا خطوة في السير في سبيل الدعوة الإسلامية . والله التوفيق .

وفي خاتمة هذه الرسالة أود أن أسجل هنا ما توصلت إليه من نتائج هامة

خلال البحث وهي كالآتي :

- إن العصر الذي بدأ الاستاذ المؤيد ودي دعوته فيه كان عصر التحدييات والتيارات ، بل يمكننا أن نقول إنه كان عصرا لم يمر على التاريخ الإسلامي قط ، وذلك لأن الأمة الإسلامية بعد أن شرفها الله تعالى بمنصب قيادة البشرية لقوله سبحانه (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) (١) وظلت في أداء واجبها ، فكريا وحضاريا لعدة قرون حتى اعتراها الوهن والانحطاط فكريا وعلميا وذلك لفصل الدين عن الدولة فكانت النتيجة حرمانها من منصب القيادة .

- وكان لوقوع العالم الإسلامي في ذلك الانحطاط والاضمحلال فكريا وعلميا ، أن تمكن الاستعمار الأوربي الفاشم من السيطرة عليه سياسيا وحضاريا ، ونحو الإسلام من المنصب ليحل محله الحضارة الجاهلية الغربية ، والحقيقتة كما يرى الشهيد سيد قطب رحمه الله " كانت نتيجة تنحية الإسلام عن قيادة البشرية حدثا هائلا في تاريخها ، ونكبة قاصمة في حياتها ، نكبة لم تعرف لها البشرية نظيرا في كل ما ألم بها من نكبات " (٢) .

(١) البقرة - الآية ١٤٣ .

(٢) الشهيد سيد قطب - مقدمة التفسير في ظلال القرآن : ص ١٥ .

- ان غزو الاستعمار السياسى على العالم الاسلامى كان يليه غزوه الحضارى ، وذلك فى كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية وفى كل بلد من البلاد الاسلامية ولم ينج من هذه الخسارة السياسية والحضارية الا من شاء الله .
- ان الحضارة الغربية الحديثة التى سيطرت على العالم الاسلامى تحت رعاية الاستعمار الفاشم كانت حضارة مادية جاهلية وذلك من مبادئها الى مظاهرها ومن أصولها الى فروعها ومن رأسها الى عقبها ، وهكذا العلوم والفلسفات والنظم والنظريات التى جاءت بها هذه الحضارة كلها مادية لادينية وكان لرعاية الاستعمار الفاشم لها أن حصل لها نفوذا كبيرا فى المجتمعات الاسلامية .
- ان التجاوب الناشئ فى البلاد الاسلامية تجاه هذا الغزو الحضارى كان ذا اتجاهين :
- أولا : التجاوب الانفعالى والمراد منه الخضوع الكامل امام الحضارة الغربية فى كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية وقبول كل ما جاءت به هذه الحضارة الجاهلية الفاسدة فى العقائد والأكهيات ، والاخلاق والتعليم والسياسة والاقتصاد والاجتماع والوطنية وما الى ذلك من دوائر الحياة المختلفة وكانت زعامة المجتمعات الاسلامية بايدى اصحاب هذا الموقف لكونهم المثقفين الجدد ، وهذا ما جعل تاثير هذه الحضارة يتوسع ويشمل المجتمعات الاسلامية قاعدة وشعبا .
- ثانيا : التجاوب السلبي والمراد منه الرفض الكامل لكل ما جاء من الغرب من العلوم والفنون والنظريات والفلسفات ، ولان اصحاب هذا الموقف كانوا ينتمون الى طبقة العلماء والمشايخ فحارضوا كل قادم من الغرب من نافع وضار ، فكان مصير جهودهم فقد ان تاثيرهم على المجتمع واقتصاد وورهم فى رسوم دينية وفى بعض المناسبات فقط . وهكذا ابتمدوا وأوابعدوا ومن معترك الحياة وقيادة الشعب .

- وكان الفناء الخلافة العثمانية على أيدي عملاء الاستعمار من أكبر الحوادث التي حدثت في العالم الاسلامي خلال القرن الرابع عشر الهجري وذلك لانه انتهى الى المأساة التالية :

أولا : القضاء التام على وحدة الامة الاسلامية وظهور النحرات القومية الجاهلية في العالم الاسلامي .

ثانيا : خضوع أغلبية البلاد الاسلامية للاستعمار الغربي الفاشم سياسيا وحضاريا .

ثالثا : بداية الفناء الشريعة الاسلامية وحل القانون الوضعي الا فرنجي محلها .
رابعا : ظهور دعوات التفرنج في البلاد الاسلامية المختلفة .

- وهناك كثير من الحركات الهدامة والدعوات المعادية للإسلام التي ظهرت في العالم الاسلامي تحت رعاية الاستعمار الفاشم لنشر الحضارة الغربية في العلوم والنظريات والفلسفات اللادينية التي جاءت بها من هذامن ناحية، وللقضاء على الانعان في صلاحية الاسلام لقيادة البشرية وحل مشاكلها في ذلك العصر من الناحية الاخرى ، وللقضاء على وحدة كلمتهم من الناحية الثالثة . واهم هذه الحركات هي حركة التفرنج والتفرنج التي قادها السيد أحمد خان في شبه القارة الهندية ، والامام قاسم امين والدكتور طه حسين في العالم العربي وضيا كوك الب ومصطفى كمال في تركيا والعلمانية والديمقراطية والشيوعية والماسونية والتبشير واقتاد يانية والبهائية وكثير من الحركات الهدامة الاخرى .

- ان الحضارة الجاهلية الحديثة والعلوم والفلسفات والنظريات الجاهلية المادية التي هي جاءت بها كان لها تأثيرا بالغا في حياة الامة الاسلامية الفردية والاجتماعية ولا سيما في الدوائر الآتية :

العقائد والألهيات : وأما العقائد والألهيات فقد تآثرت من الفلسفات اللادينية المادية التفسير الجدلي للتاريخ لهيجل والتفسير الجدلي المادي للتاريخ لماركس وفلسفة التطور لداروين وما الى ذلك من الفلسفات الجاهلية المادية التي تلتزم انكار كل ما يوجد وراء الحسوسات وهكذا بدأ الازعاجان بالله سبحانه والبعث والوحي والرسالة يضعفون فيوما .

القيم الاخلاقية : وهكذا تأثرت القيم الاخلاقية الاسلامية التي كانت غايتها السامية كسب مرضات الله سبحانه بخدمة عباده حسب تعليماته الكريمة من هذه الحضارة اللادينية وفلسفاتها المادية وحدث محلها القيم الاخلاقية المادية التي تولدت من بطن التفسير المادي الجدلي لماركس وفلسفة التطور لداروين وفلسفة السياسة اللادينية لكيا فيلي والتفسير الجنسي لعلم النفس لفرويد وما الى ذلك من الفلسفات المادية الجاهلية .

التعليم والثقافة : وأما التعليم فكان لاهميته ان ركز عليه الاستعمار بصفة خاصة وقام بتغيير منهج التعليم الاسلامي بمنهج التعليم لافرنجى اللاديني الذي قد أنجمت الحضارة الغربية الجاهلية وتشمله العلوم والنظريات والفلسفات الجاهلية الحديثة فألغيت المعاهد الدينية وحلت محلها الكليات والجامعات الحديثة وذلك علاوة على عدد غير قليل من المعاهد والكليات التبشيرية التي أنشأها المبشرون المسيحيون تحت رعاية الاستعمار . وهكذا ظهرت عدد من الحركات والدعوات لتعميم هذه الثقافة اللادينية . وزاد الطين بلة ان قسرت الحكومة ان ابواب المعيشة لم تفتح الا بمفتاح الثقافة الغربية فكانت النتيجة ان كل سلالة جديدة من المسلمين كانت اسرع اليها من سابقتها . وبدأ يخرج فيها جيل جديد لم تكن لها اية علاقة بالاسلام سوى الاسم . فقد أصبح متفرنجا

من حيث الفكرة والنظر والوجدان والسيرة والاعمال ، واما الثقافة الدينية فكان من الطبيعي ان تفقد تاثيرها يوما فيوما وذلك لكون منهج التعليم الديني منهاجا قديما قد اكل عليه الدهر وشرب ، هذا من ناحية ، ومن الناحية الثانية لاغلاق ابواب الرزق على مخرجي المعاهد الدينية ، ومن الناحية الثالثة لموقف علماء الاسلام السلبى تجاه الحضارة الغربية ، فكانت النتيجة ان نحى خريجي المعاهد الدينية من محترك الحياة واصبح المجال خاليا للمثقفين الجدد الخاضعين للحضارة الغربية الجاهلية .

السياسة : واما المجال السياسى فيمكننا أن نتصور عنه فى تلك الاوضاع فقد خضعت اغبية البلاد الاسلامية للاستعمار الأروى الغاشم والمسلمون المثقون الذين كانت زعامة المجتمعات الاسلامية فى ايديهم ، قد تأثروا من النظريات السياسية الحديثة مثل الديمقراطية والعلمانية والاشتراكية ، والشيعية ، والليبرالية ، والقومية الوطنية وما الى ذلك من الفلسفات السياسية الحديثة كما تأثروا من القيم الاخلاقية الفاسدة التى قد جاء بها المفكرون السياسيون ككافيلى وروسو وماركس وانجلز ولينين وما الى ذلك من المفكرين السياسيين .

وكان من مستلزمات هذه الفلسفات السياسية الجاهلية ظهور نظرية فصل الدين عن الدولة وانكار حاكمية الله سبحانه لتحل محلها حاكمية الجمهور ، أو الشعب ، وتنحية القيم الاخلاقية الاسلامية عن المجال السياسى وانتشار النعرات القومية الوطنية الجاهلية فى العالم الاسلامى وعلى هذا كانت نتيجة كل ذلك ان الحركات السياسية التى قامت فى ذلك العصر لا ستخلص البلاد الاسلامية المختلفة من الاحتلال الاستعمارى كانت كلها قومية وطنية ولم تكن تهدف الا الى اقامة الحكومات القومية الجمهورية اللادينية او الشيوعية

أو الاشتراكية في بلادهم الاسلامية ، وكانت زعامة هذه الحركات في ايدي المثقفين الجدد الذين اكثرهم لم يؤمنوا بصلاحيات لاسلام لقيادة البشرية في ذلك العصر ولا سيما في المجال السياسي . وكانوا يعتقدون ان النظم السياسية الحديثة وحدها كانت تتحجج بهذه الصلاحية .

وأما شبه القارة الهندية فكانت زعامة المسلمين السياسية فيها في ايدي العلماء والمشايخ في البداية ثم انتقلت الى ايدي المثقفين الجدد فيما بعد تدريجيا . واهم الاحزاب السياسية في شبه القارة الهندية فسي ذلك العصر هي :

اولا : حزب المؤتمر الهندي الذي كانت زعامة في ايدي (الفاندي) و(النهبرو) وغيرهما من الهنود وسبيين ، وكان هذا الحزب يهدف الى اقامة الحكومة القومية الديمقراطية التي تكون فيها الاغلبية للهنود وتكون السلطة الحقيقية في ايديهم ليتمكنوا من القضاء على الاسلام والمسلمين معا .

ثانيا : حزب رابطة المسلمين فكان هدفه اقامة دولة سلمة مستقلة ، ولكن الاسلام الذي كان قادتهم يتكلمون عنه لم يكن الا الاسلام الجغرافي او الاسلام القوسي ، ان صح هذا التعبير . ولم يكن لديهم اية فكرة لاقامة النظام الاسلامي بعد استقلال البلاد وهذا ما يشهد عليه ما عمله قادة باكستان فعلا في هذا الصدد بعد انشاء هذه الدولة المسلمة عام ١٩٤٧ الميلادي .

القانون والشريعة : ان القانون له صلة وثيقة بالمبادئ الأساسية للمجتمع ، هذا بصفة عامة ، واما الشريعة الاسلامية الخراء فانزلها الله سبحانه ليحكم بها المسلمون وهذا التحكيم ليس تطوعا او نافلة ، بل هو اساسا لايمانهم بالله ، فخطط الاستعطار بالغاء الشريعة الاسلامية للقضاء على هذا الاساس الايماني وقسام بتغيير الشريعة لاسلامية بالقوانين الوضعية الاخرى التي تخالف الصدد

بأن حق التشريع مختص بالله سبحانه وكما تختلف كل الاختلاف عن الشريعة الإسلامية وتحل ما تحرم الشريعة وتحرم ما تحل الشريعة فأحلت الزنا والخمر والميسر وكثيرا من المنكرات الأخرى وقضت على كثير من الخيرات ولكن ما هو أخطر وأشنع من كل ذلك هو قبول المسلمين الفكرة الخاطئة ان حاسق التشريع لا يخص بالله سبحانه بل يخص بالبرلمان او مجلس النواب الذي يمكن له ان يحل اى حرام ويحرم اى حلال .

الاقتصاد والمعيشة : وأما في دائرة الاقتصاد والمعيشة فانتشرت فسي المسلمين الفلسفات الاقتصادية الحديثة كالشيوعية والرأسمالية والنظم الاقتصادية الأخرى وانشئت الحركات والدعوات الخاصة لنشر هذه الافكار والفلسفات الاقتصادية في المجتمعات الإسلامية ، ومن أشنع النتائج التي جاءت بها هذه النظريات الاقتصادية فقدان الوعي والتمييز بين الحلال والحرام . فبدأ المسلمون يشغلون في الحرف المحرمة والبيع الفاسدة ويقبلون الوظائف غير الشرعية وبلغ الامر الى حد أن كثيرا من المسلمين التحقوا بالجيش الاستعماري الفاشم ليقاتلوا في سبيل الطاغوت ورأى بعض قادتهم ان حالة المسلمين الاقتصادية لا يمكن تحسينها الا بجواز الربا ، فقام بعض من علماء السوء باصدار الفتوى بجوازها .

الحالة الاجتماعية : وأما الحياة الاجتماعية فتأثير الحضارة الغربية فيها أدى الى اشنع وأخطر النتائج منها ظهور الحركات والدعوات الخاصة باسم " تحرير المرأة " وكانت تهدف الى خروج المرأة المسلمة من حجابها وعبئتها في اتباع المرأة الأوروبية وذلك للقضاء على كيان الاسرة المسلمة والقيم الاخلاقية الإسلامية ومنها بداية التعليم المختلط في الكليات والجامعات التي جاءت بالمفاسد الاجتماعية التي لاتعد ولا تحصى ومنها بداية خروج المرأة

المسلمة للمشاركة في أنشطة الحياة الاجتماعية مثل الوظائف في دوائر الحكومة أو المشاركة في العاربات القومية والدواية أو المشاركة في مهرجانات الشباب والشابات المختلفة أو في البرامج التثيلية كالمرح والسينما أو في حفلات الرقص والموسيقى ، أو خدمة ركاب الطائرات ، ونزلاء الفنادق كما روجت فني المجتمعات الإسلامية الأفكار التي تخالف أحكام الشريعة الإسلامية كفكرة منع تعدد الزوجات مع اباحة اتخاذ الخليلات والعشيقات وفكرة عدم وقوع الطلاق إلا من طريق المحكمة وحركة تحديد النسل وما إلى ذلك من الحركات التي أنشئت في المجتمعات الإسلامية للقضاء على القيم الأساسية لحياتنا الاجتماعية .

الأدب والصحافة : وأما الأدب والصحافة فكان لاهمية هاتين الوصيلتين البالغة أن خططت الحركات الهدامة والدعوات المعادية للإسلام لاستخدامها لنفوذها في المجتمعات الإسلامية فصدرت عدد من الجرائد والمجلات لنشر الأفكار والنظريات اللادينية والفلسفات والعلوم المادية التي جاءت بهيئة الحضارة الجاهلية الحديثة . وهكذا ألفت وترجمت عدد من الكتب لتحقيق هذا الهدف ولا سيما بعد تأسيس جمعية الكتاب المتقدمين في شبه القارة الهندية عام ١٩٣٥ م قام الكتاب المتقدمين بالهجوم العنيف على الإسلام وقيمه السامية للحياة الاجتماعية وبدأوا يصدرون الكتب والقصص وينتقدون فيها مبادئ الإسلام الأساسية ويستنهزون بالقيم الإسلامية للحياة الاجتماعية كما اهتم هؤلاء الكتاب الملاحد بنشر صور النساء العاربات أو شبه العاربات في مجلاتهم وجرائدهم ليتمكنوا من القضاء على الحياة والعفة في المجتمع الإسلامي .

مجال العمال : من النعم أن مجال العمال قد حصلت له الأهمية البالغة بعد الانقلاب الشيوعي في روسيا عام ١٩١٧ الميلادي ، فكان

لمخططات الشيوعية العالمية ان اهتم الشيوعيون بالتركيز في هذا المجال بصفة خاصة فتأسست المنظمات الشيوعية للعمل في مجال العمال في البلاد الاسلامية المختلفة ، وهذه المنظمات كانت تعمل للشيوعية باسم حقوق العمال فقد حصلت لهم السيطرة الكاملة في هذا المجال .

الحالة الدينية : وأما الحالة الدينية في العالم الاسلامي ولا سيما في شبه

القارة الهندية فتأثرت من غزو الاستعمار الحضاري بالأوجه الأتية :

اولا : كان لاجل الاستعمار الثقافة الغربية الحديثة الوسيلة الوحيدة للوصول الى الوظائف الرسمية من ناحية ولرفض علماء الاسلام والمشايخ من اى تفسير في منهمجهم التعليل الذي قد أكل عليه الدهر وشرب من الناحية الثانية ان اهتمام المسلمين بالتعليم الديني بدأ يضعف يوما فيوما .

ثانيا : كان ظهور الحركات الهدامة والدعوات المعادية للاسلام فسي المجتمعات الاسلامية يهدف الى القضاء على الاسلام من الداخل والخارج معا . واهم الحركات الهدامة والدعوات المعادية التي أنشئت اوراجت في العالم الاسلامي تحت راية الاستعمار ورعايته هي : التبشير والاستشراق والماسونية والشيوعية والعلمانية والديمقراطية اللادينية والقومية الوطنية الجاهلية من الخارج ، والقاديانية والبهاية وجهود السنة النبوية وتطوير الاسلام بالتوفيق بين الاسلام والحضارة الغربية من الداخل . وهذا فضلا عن اهتمام الاستعمار باشمال نار الخلافات بين الفرق الاسلامية المختلفة وذلك للقضاء على وحدتهم من ناحية ، وللفت نظرهم عن التحديات والتيارات المعادية للاسلام من الناحية الثانية .

ثالثا : كان لاتخاذ العلماء والمشايخ الموقف السلبي الاعتزالي تجاه الحضارة الغربية بانهم لم يتمكنوا من مواجهة التحديات والتيارات التي جاءت بها هذه

الحضارة الاستعمارية ، وهذا ما انتهى الى تنحيهم عن منصب القيادة في المجتمعات الاسلامية التي قد استولى عليه المثقون الجدد الخاضعون للحضارة الغربية والمؤمنون بكل ما ياتي من الغرب صحيحا كان او غير صحيح وحقا كان او باطلا .

وجملة القول ان غزو الاستعمار السياسي والحضاري قد تأثرت به حياة الامة الاسلامية الفردية والاجتماعية بكل نواحيها ويقول الامام حسن البنا الشهيد عن تاثير هذا الغزو البالغ في العالم الاسلامي :

" وقد عمل الاوروبيون جاهدين على ان تغمر موجة هذه الحياة المادية بمظاهرها الفاسدة وجراثيمها القتالة جميع البلاد الاسلامية التي اعتدت اليها ايديهم . واقعها سوا الطالب تحت سلطانهم مع حرصهم الشديد على أن يحتجزوا دون هذه الامم عناصر الصلاح والقوة من العلوم والمعارف والصناعات والنظم النافعة . وقد احكموا خطة هذا الغزو الاجتماعي احكاما شديدا واستعانوا بهائيم السياسة وسلطانهم العسكري حتى تم لهم ما ارادوا وتمكنوا بعد ذلك من ان يغيروا قواعد الحكم والقضاء والتعلّم وان يصبغوا النظم السياسية والتشريعية والثقافية بصبغتهم الخاصة في اقوى بلاد الاسلام ونجح هذا الغزو الاجتماعي المنظم العنيف اعظم نجاح فهو غزو محبب الى النفوس لاصق بالقلوب طويل العمر قوي الاثر وهو لهذا اخطر من الغزو السياسي والعسكري باضعاف الاضعاف" (١) .

ان الدعوات التي ظهرت في ذلك العصر لمواجهة التحديات والتيارات التي جاءت بها الحضارة الغربية كدعوة الشيخ ابن الكلام ازاد والعلامة الدكتور محمد اقبال في شبه القارة الهندية لهادور هام في مواجهة هذه التحديات

الآن تلك الدعوات لم تصبح حركة اسلامية شاملة تتمكن من مواجهة التحدي

الحضارى الا فرنجى فى كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية .

انه كان من متطلبات ذلك العصر ومقتضياته ان تقوم الحركة الاسلامية

الشاملة لا حياة التصور الصحيح للاسلام وللقضاء على العبودية الفكرية للحضارة

الغربية واعادة ثقة المسلمين فى صلاحية الاسلام لقيادة البشرية فى ذلك

العصر ، هذا من ناحية ومن الناحية الأخرى لمواجهة التحديات والتيارات

المعادية للاسلام ولبداية الجهاد لاقامة الدولة الاسلامية على منهباج

الخلافة الراشدة ، فشاء الله سبحانه ظهور هذه الحركة الشاملة فى

العالم الاسلامى لتحقيق هذه الاهداف السامية ، فظهرت دعوة اخوان

المسلمين فى العالم العربى ودعوة الجماعة الاسلامية فى شبه القارة الهندية

فى نفس الوقت ، فله الحمد .

ان الاستاذ المودودى بعد ما وفقه الله خلال تأليف كتابه الشهير (الجهاد

فى الاسلام) ان يعرف ماهى الدعوة للاسلامية وماهى متطلباتها قرران يقوم

للعمل فى مجال الدعوة وراى ضروريا ان يعد نفسه لهذه المهمة الجلييلة

فكريا وعلميا ليتمكن من العمل فى مجال الدعوة فى عصر مليء بالتحديات والتيارات

وافرغ فى ذهنه العديد من امهات الكتب فى العلوم الدينية والعصرية من

عام ١٩٢٩ الى عام ١٩٣٢ م ثم قام الاستاذ بعمل الدعوة فعلا باصدار

مجلة ترجمان القرآن الشهرية عام ١٩٣٣ م .

وكان لهذه الدراسة العميقة لواسعة ان حصل للاستاذ المودودى اعمان

النظر فى الكتاب والسنة والعلوم الدينية لاخرى مع الاطلاع الواسع على العلوم

والفلسفات المعاصرة ، وهكذا ماتمكن به الاستاذ من العمل فى مجال الدعوة

فى عصر مليء بالتحديات والتيارات المعادية للاسلام .

- ان الاستاذ المودودي بدأ عمله في مجال الدعوة بالاهتمام بناحيتين اساسيتين وهما :

اولا : النقد الحلي الشامل لكل نوع من انواع الجاهلية القديمة والحديثة ومزروعاتها في المجتمعات الاسلامية مع انتقاده لموقف مثقفي الجدل الخضوعي امام الحضارة الغربية وموقف الرفض والاعتزال السلبي للعلماء والشايخ ، وذلك مع عنايته الخاصة بمواجهة التحديات والتيارات التي كان يواجهها الاسلام والامة الاسلامية وازالة الشبهات التي جاء بها اعداء الاسلام حول مبادئ الاسلام وتعليماته .

ثانيا : الاهتمام الخاص بابراز التصور الصحيح للاسلام مبينا الحق يقينه ان الاسلام دين ودولة وهو نظام كامل شامل لكل ناحية من نواحي الحياة الفردية والاجتماعية ولا يمكن العمل بمقطلباته الا باقامة الحكومة الاسلامية وذلك مع اهتمامه ببيان اوجه النظام الاسلامي المختلفة ومبادئ الاسلام الاساسية ونظراته نحو الانسان والكون وغاية عباداته ومزايا حضارته ومدنيتيه ومبادئه الاساسية في المدنية والسياسة والاقتصاد وما الى ذلك من نواحي الحياة الاسلامية المختلفة .

- ان مرحلة لنقد والدعوة تبدأ من اصدار مجلة ترجمان القرآن الشهرية عام ١٩٣٣ م وتستمر الى اغسطس عام ١٩٤١ الميلادي وكان خلال تلك الفترة ان اهتم الاستاذ بابراز موقفه الاسلام عن كل من سياسة حزب المؤتمر الهندي تجاه المسلمين والاسلام ونظرية الاسلام القوم لحزب رابطة المسلمين كما كان خلال تلك الفترة ان هاجر الاستاذ المودودي من حيدر اباد الدكن الى بنجاب ملبيا دعوة العلامة الدكتور محمد اقبال ليجعل قرية دار الاسلام هناك مركزا لدعوته .

- وكان بتأسيس الجماعة الاسلامية في اغسطس عام ١٩٤١ م الميلادى ان بسدأت مرحلة التكوين والتربية للحركة الاسلامية في شبه القارة الهندية ، وتستمر هذه المرحلة الى عام ١٩٤٧ م ، وتمتاز هذه المرحلة بالمنايا الخاصة بالتكوين والتربية وذلك لكي تتمكن الجماعة من اداء واجبها كحركة اسلامية شاملة في عصر ملو بالتحديات والتيارات المعادية للاسلام .

- وكان بعد تقسيم شبه القارة الهندية وانشاء دولة باكستان الاسلامية عام ١٩٤٧ م ان دخلت الحركة الاسلامية في مرحلة جديدة تسمى مرحلة الجهاد لاقامة الحكومة الاسلامية والبرنامج الذي اختارته الجماعة الاسلامية وفقا لمتطلبات هذه المرحلة للدعوة كالاتى :

(١) تطهير الافكار من شوائب الجاهلية وجعلها وفقا لما جاء به الاسلام .

(٢) استخلاص الافراد الصالحين والاهتمام بتربيتهم علميا وعمليا حسب مقتضيات الدعوة الاسلامية .

(٣) الاهتمام بالاصلاح الاجتماعى .

(٤) الجهاد لاقامة الحكومة الاسلامية .

ولا تزال الجماعة الاسلامية متمسك بهذا البرنامج الحكيم وتتمشى وفقا لمقتضياته حتى اليوم .

- ان الكتب التى ألفها الاستاذ المودى خلال مراحل الحركة الاسلامية المختلفة كانت وفقا لمتطلبات الحركة الاسلامية في هذه المرحلة ، هذا من ناحية ، ومن الناحية الاخرى ، تماز هذه الكتب القيمة لسلوبها الجذاب المبرهن بالدلة من الكتاب والسنة والبراهين العقلية القوية حيث تتسخر بها العقول والقلوب معا .

- ان هذه الكتب القيمة لهاد ورهام في انقاذ الجيل المثقف الجديد من عبودية الفكرية للحضارة الغربية واعادة ثقتهم في صلاحية الاسلام لقيادة البشرية في العصر الحاضر كما لهاد ور كبير في مواجهة التحديات المعاصرة والقضاء على الحركات والدعوات الهدامة المعادية للاسلام التي ظهرت في العالم الاسلامي تحت رعاية الاستعمار الفاشم . وهذا تعتبر تاليفاته القيمة " من منارات الفكر الاسلامي التي ادت دورا كبيرا في تقديم حقائق الاسلام للمسلم المعاصر بطريقة مبسطة بلورة يسهل فهمها واستيعابها" (١).

- ان تاليفات الاستاذ المودودي يتسع نطاقها الى كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية ومنها الكتب التي ألفها الاستاذ المودودي حول الكتاب والسنة والسيرة النبوية كما ان منها الكتب التي يتكلم فيها الاستاذ عن عقائد الاسلام الاساسية ومنها الكتب التي ألفها الاستاذ حول الدعوة الاسلامية ومقتضياتها كما منها الكتب التي يبين فيها اهمية اقامة الحكومة الاسلامية . ومنها الكتب التي يتكلم فيها الاستاذ عن مبادئ الاسلام الاساسية في الاخلاق والتشريع والسياسة والاقتصاد والاجتماع وما الى ذلك من أوجه الحياة المختلفة كما ان منها الكتب التي يبين فيها الاستاذ موقف الاسلام من الفلسفات الجاهلية ومنها الكتب التي يتصدى فيها الاستاذ التحديات المعاصرة المختلفة كما ان منها الكتب التي ينتقد فيها الاستاذ الحركات الهدامة المعادية للاسلام ، ومنها الكتب التي يتكلم فيها عن قضايا

الامة الاسلامية كما ان منها الكتب التي تناول فيها الاستاذ قضايا بلادنا الداخلية . وفي الجملة تاليفات الاستاذ المودودي تتسع دائرة موضوعاتها الى نواحي الحياة المختلفة كلها .

- ان الهدف الذي اختارته لها الجماعة الاسلامية هو اقامة دين الله سبحانه والمراد من اقامة الدين هو اقامته كاملا سواء كان في الحياة الفردية او كان في الحياة الاجتماعية ، وسواء كان في دائرة العبادات او كان في المدنية

أو السياسة أو الاقتصاد أو الاجتماع وذلك لأن الدين لا يمكن لنا أن نقبل
بعضه ونرفض بعضه .

- أن العقيدة التي اختارتها الجماعة الإسلامية هي عقيدة (لا اله الا الله
محمد رسول الله) مع متطلباتها ومقتضياتها كما يتبين من الكتاب والسنة
النبوية .

- أن دعوة الجماعة الإسلامية هي نفس الدعوة التي قامت بها الحركة الإسلامية
في بدايتها وهي أن تخص العبادة بكل أنواعها لله تعالى فحسب ، وأن تزكى
النفوس من النفاق والأعمال من التناقض وأن تكون زمام السلطة في أيدي
المؤمنين المالحين .

- أن منهج الجماعة الإسلامية كدعوتها ماخوذ من الكتاب والسنة . فلذا يطابق
كل المطابقة بمتطلبات الدعوة الإسلامية ومقتضياتها .

- أن البرنامج الذي اختارته الجماعة الإسلامية لتحقيق أهدافها كان وفقها
لتوجيهات الكتاب والسنة السامية ومطابقا لمتطلبات الحركة الإسلامية
ومقتضياتها .

- أن أهم الزايات التي تمتاز بها الحركة الإسلامية هي كالاتي :

(١) الشمولية (٢) الحركة العالمية (٣) الاهتمام بالجمع بين الدين

والسياسة (٤) الاهتمام بالتنظيم والتربية

(٥) الاستحكام في نظام الجماعة (٦) الاهتمام بالمحاسبة

(٧) اجتناب استخدام الطرق السرية والوسائل غير الشرعية

(٨) اجتناب الخوض في الخلافات بين المسلمين

(٩) الجمع بين العلماء والمشايخ والمثقفين الجدد .

(١٠) الاهتمام بالخدمات الخيرية .

- ان أهم المؤثرات لدعوة الاستاذ المودودي في شبه القارة الهندية في العالم

الاسلامي كالآتي :

- ١- احياء التصور الصحيح للاسلام .
 - ٢- احياء التصور الصحيح للتوحيد .
 - ٣- القضاء على اسطورة فصل الدين عن الدولة .
 - ٤- ابراز الفرق بين الاسلام وما ينسب الى المسلمين .
 - ٥- ابراز الفرق بين التاريخ الاسلامي وبين تاريخ الملوك المسلمين .
 - ٦- ابراز اهمية الحكومة الاسلامية .
 - ٧- انقاذ الشباب المثقفين من لعبودية الفكرية للحضارة الغربية .
 - ٨- اعادة ثقة الجيل المثقف الجديد في صلاحية الاسلام لقيادة البشرية .
 - ٩- دعم الحركات الاسلامية العالمية بكتب الدعوة القمية .
 - ١٠- انشاء الحركات الاسلامية في البلاد الاسلامية المختلفة .
 - ١١- تصدي التحديات المعاصرة .
 - ١٢- مواجهة الحركات الهدامة المختلفة .
 - ١٣- القضاء على السيطرة الشيوعية في المجالات المختلفة .
 - ١٤- تطهير العمل السياسي بالدخول في المجال السياسي .
- ان الجماعة الاسلامية لها علاقات وثيقة وعميقة مع الحركات الاسلامية العالمية الأخرى وهذه العلاقات لها دور هام في بناء الطريق الى وحدة الحركات الاسلامية على المستوى العالمي ، كما ان هذا ما يساعدنا على ان نواجه نفس التحديات والتيارات التي تواجهها الأمة الاسلامية .
- ان التفاسير التي كانت موجودة في شبه القارة الهندية قبل قيام الاستاذ المودودي لتأليف تفسيره يتبين من دراستها الفاحصة ان اكثرها ما كانت

على المنهج القديم الذي لم يهتم فيها المفسرون بما يجرى في العالم حولهم ، واما كانت تهدف الى التوفيق بين الاسلام وبين ما جاء به الحضارة الخربية من العلوم والفلسفات الجاهلية ، واما كانت في تاييد المذاهب والفرق الفقهية والفكرية المختلفة لاشمال نار الخلافات بين المسلمين . واما التفاسير التي قد اهتم فيها بعض من المفسرين بالمواجهة للتحديات المعاصرة والتيارات الهدامة فلم تكن الا قليلا وذلك ايضا باسلوب قديم لم يتمكن من الاستفادة منها الا العلماء والمشايع . واما التفاسير التي تهتم بالمواجهة للتحديات المعاصرة والتيارات والحركات الهدامة المعادية للاسلامها اسلوب عصري مبرهن جذاب وتبين فيها التوجيهات الالهية الحكيمة للعاملين في مجال الدعوة وتبرز فيها اهمية اقامة الحكومة الاسلامية مع بيان اوجه النظام الاسلامي المختلفة ، وكل ذلك بالاهتمام الكامل باصول التفسير فلم تكن موجودة والعاملون في مجال الدعوة كانوا في أشد حاجة لمشكل ذلك التفسير ، وهذا ما جعل الاستاذ المودودي ان يقوم بتأليف تفسيره (تفهيم القرآن) .

ان الاستاذ المودودي بعد دراسته المقارنة الفاحصة للاديان المختلفة والعلوم والفلسفات والنظم المعاصرة قام بدراسة الفاحصة للكتاب والسنة والسيرة النبوية ووصل الى النتيجة ان الاسلام هو الدين الوحيد الذي يصلح للقيادة البشرية في كل زمان وفي كل مكان ، وذلك للأسباب الآتية :

١- هو دين جعله الله الخالق حسب مقتضيات الفطرة الانسانية ووفقا للغاية التي هو خلقه لاجلها .

٢- هو الدين الوحيد الذي يوجد في حالته الاصلية وذلك لكون القرآن الكريم محفوظا من التحريف والتغيير .

٣- هو الدين الوحيد الذي يشمل العدالة الاجتماعية لكل نواحي الحياة الفردية والاجتماعية .

- ان قرار الاستاذ المودودي للقيام بعمل الدعوة كان نتيجة لما وصل اليه الاستاذ بعد دراسة القرآن الكريم والسنة والسيرة النبوية ان القرآن هو كتاب الدعوة والسيرة النبوية هي سيرة قائد هذه الدعوة والاحاديث النبوية هي توجيهاته الحكيمة لهذه الدعوة ولذا لا يمكن العمل بمقتضيات الكتاب والسنة ولا يمكن اتباع السيرة النبوية الا بالقيام بعمل الدعوة .

- ان قرار الاستاذ المودودي للقيام بتأليف تفهيم القرآن كان لوصوله اليه النتيجة انه مهما يبذل جهودا لتفهم الاسلام والدعوة اليه لا يمكن له ان يتمكن من النجاح الا اذا اهتم بتفهم القرآن وتفسيره ، هذا من ناحية ومن الناحية الثانية كان قيام الاستاذ لتأليف هذا التفسير لمدوم وجود أى تفسير حسب مقتضيات الدعوة الاسلامية .

- ان العمل في مجال الدعوة الاسلامية قد تمكن به الاستاذ المودودي من فهم القرآن فهما صحيحا ، كما كان بهذا العمل انه تمكن من تفهيم القرآن وتفسيره بأسلوب لا يمكن ان يختاره الا من يكون المفسر الداعية .

- ان الاستاذ المودودي كان يرغب في تأليف تفسيره موجزا في البداية ، ولكنه فيما بعد وصل الى نتيجة هي ان هذا الاسلوب لا يمكن به تحقيق الهدف الذي كان يؤلف تفسيره لاجله ، وذلك لان العمل في مجال الدعوة يقتضى التوجيهات التفصيلية لكل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية ، وبهذا نرى ان تفسيره في الجزئين الأولين موجز وفي الاجزاء الأربعة الاخيرة مفصل .

- ان الاستاذ المودودي قد أخذ ما أكثر من ثلاثين سنة في تأليف تفسيره (تفهيم القرآن) وذلك لانه لم يؤلفه جالسا في مكتبه او منزله بل الفه وهو يقود الحركة

الاسلامية ويجاهد لاقامة الحكومة الاسلامية ويتصدى للتحديات والتغيرات
ويواجه الحركات والدعوات الهدامة ويؤلف الكتب مبينا اوجه النظام
الاسلامي المختلفة ونقدا للجاهلية القديمة والحديثة بكل انواعها ، ويقول
الاستاذ خليل الحامدي متكلما عن الالوضاع التي ألف الاستاذ المودودي تفسيره
فيها :

" فبينما نراه مفسرا للقرآن الكريم نراه في الوقت نفسه قائدا لركب الدعوة ، مربيا
للجيل الجديد مقاوما للفتن التي تحارب مسيرة الاسلام وزعيما للمعارضة
في وجه النظام الدكتاتوري ، وهكذا احيانا هو في مكتبه يتقلب بين الكسب
والمصادرة وحين اخر هو في الجولات يخاطب الجماهير ويتناول مشكلاتها
وحيثا ثالثا في قاعات الجامعات يناقش رجال الحكم والعلم والقانون لاقتناعهم
على كون الاسلام صالحا لكل زمان ومكان وحيثا رابعا ينج به في السجن
والمحتقلات لا شيء الا لتونه يرفض جميع الحاكيات الا الحاكية لله
وحده " (١) .

وكان من الطبيعي ان هذه الظروف تلمسه معاني جديدة في القرآن
لا يعثر عليها الا من كان يمر بنفس الظروف والقضايا التي مرت بها الدعوة
الاسلامية في مراحلها المختلفة ، وهذا ما يمتاز به اسلوب تفهيم القرآن
من بين التفاسير .

- ان الاستاذ المودودي كان يهتم باصدار تفسيره في مجلة ترجمان القرآن الشهرية
قبل اصداره بصورة كتاب مستقل وذلك حرصا على ان العلماء والمشايخ يخبرونه
على اخطائه التفسيرية وكان يبادر الى تصحيح اخطائه اذ انبهه احد عليها
مستدلا بالكتاب والسنة .

- ان الاستاذ المودودي كان يمتنى بالتحقيق والدقة خلال تفسيره للقرآن الكريم وذلك الى حد انه كان يعتقد انه لو كتب حرفا واحدا بدون الاحتياط والدقة سينتهى الى حبط اعماله كلها .
- ان الاستاذ المودودي خلال تفسيره للآية او الآيات كان يمتنى في اول امره بالسياق الذي وردت فيه هذه الآية او الآيات . شهرى ماهو يكون المراد منه من الناحية اللغوية ثم يعرض امام عينه الآيات الاخرى الواردة في الموضوع ويرى ماهو يكون المراد منها في ضوء هذه الايات الكريمة . ثم كان يرى ماهو المعنى للآية الذي ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم وماهو المعنى الذي فهم منها الصحابة رضی اللعنهم ، وهذا ما يتبين ما كتبه الاستاذ متكلما عن **مبادئ** التفسير الاساسية ومن تتابع تفسيره بالدقة . كما ان هذا ما يدل عليه ما كتبه الاستاذ ردا على التاويلات الباطلة للشيعنة والقاديانيين ومنكري السنة في تفسيره او في كتبه الاخرى .
- ان مقدمة تفسير الاستاذ المودودي تشمل المبادئ الاساسية لدراسة القرآن وفهمه فهما صحيحا كما يرد فيها الاستاذ على الأسئلة التي يواجهها القارئ خلال تلاوته للقران الكريم اذا لم يكن له امعان النظر في الكتاب والسنة .
- ان الاستاذ المودودي قبل بداية تفسيره لسورة كان يأتي بمقدمة تفصيلية يبين فيها سبب تسمية السورة وزمن نزولها مع ذكر المرحلة التي كانت فيها الحركة الاسلامية آنذاك ، كما ياتي فيها بموجز مباحث السورة مع العناية الخاصة ببيان التوجيهات الالهية لعمل الدعوة الاسلامية او لتنظيم الحياة الفردية والاجتماعية على الاسر الاسلامية .
- ان الاستاذ المودودي كان لامعان نظره في الكتاب والسنة مع اطلاعه الواسع على العلوم والفلسفات المعاصرة ان اسلوبه في التفسير يمتاز بالجمع بين الرواية والدراسة .

- ان الاستاذ المودودي كان لكونه داعية مع كونه مفسرا انه كان يعتقد
 أن القرآن الكريم هو الكتاب الذي انزله الله لقيادة الحركة الاسلامية ، وكان
 لعمله الطويل في مجال الدعوة انه تمكن من لفهم الصحيح للتوجيهات الالهية
 الواردة في القرآن لحمل الدعوة ، فلذا هو يعتنى بصفة خاصة ببيان مطالب
 الدعوة ومطالباتها خلال تفسيره للقرآن الكريم ، وهذا ما يجعل تفسيره
 موسوعة قيمة لما يتعلق بالدعوة ومطالباتها .

- ان فريضة اقامة الدين و اقامة الحكومة الاسلامية كان لاهميتها البالغة
 ان اعتنى بها الاستاذ بصفة خاصة خلال تفسيره للقرآن الكريم ، ويبين
 بالادلة القاطعة ان العمل بمقتضيات الدين وتعليماته القيمة لا يمكن الا باقامة
 الحكومة الاسلامية ، ولذا نظرية فصل الدين عن الدولة واقتضاره على أداء
 الطقوس كالمسيحية نظرية غير اسلامية ولا يسمح لها القرآن ولا السنة
 النبوية .

- ان الاستاذ المودودي له اسلوب خاص في دراسة القصص القرآنية خلال
 تفسيره للآيات الكريمة التي وردت فيها قصص الانبياء السابقين والاسم
 السابقة وهو اسلوب المفسر الداعية ، فهو خلال تفسيره لهذه الآيات الكريمة
 يهتم ببيان العلاقة بين القصة وبين مرحلة الحركة الاسلامية التي هي نزلت
 فيها ويذكر التوجيهات الالهية التي تضم القصة لهذه المرحلة للدعوة ، ثم
 يبين ما هي فيها من التوجيهات للعاملين في مجال الدعوة اليوم .

- ان الاستاذ المودودي اهتم ببيان اوجه النظام الاسلامي المختلفة خلال
 تفسيره للآيات الكريمة التي تشمل التوجيهات الالهية نحو الحياة الانسانية
 الفردية والاجتماعية ويثبت بالادلة القوية ان الاسلام دين كامل شامل صالح
 لقيادة البشرية في كل زمان ومكان وفي كل دائرة من دوائر الحياة

الفردية والاجتماعية .

- ان اسلوب الاستاذ المودودي لدراسة آيات الاحكام وبيان المسائل الفقهية خلال تفسيره للقرآن الكريم يمتاز بدراسة المقارنة للمذاهب الفقهية وترجيح بعضها ^{أرا}الفقهية على الأخرى مستدلا بالكتاب والسنة والبراهين العقلية القوية واجتنابا كل الاجتناب التعصب المذهبي .
- ان استشهاد الاستاذ المودودي من كتب اهل الكتاب خلال تفسيره للآيات الكريمة التي تتحدث عن تاريخ اهل الكتاب كان لتفصيل ماورد في القرآن الكريم موجزا اوليات الشهاداة على كون هذه الكتب محرفة ولا ثبات الحقيقة ان اتهم اهل الكتاب الشنيعة على انبياءهم باطلة كاذبة ، هذا من ناحية ، ومن الناحية الأخرى للرد على اتهام المستشرقين الباطلة ان النبي صلى الله عليه وسلم قد تعلم القرآن من علماء اهل الكتاب او من كتبهم .
- أن اهتمام الاستاذ المودودي باتيان الخرائط والصور للاماكن الواردة في القرآن الكريم كان لاهميتها البالغة في دراسة القرآن الكريم وفهمه وكانت لهذه الأهمية ان قرر الاستاذ المودودي ان يقوم رحلة علمية خاصة للسير أرض القرآن ويزور الاماكن الواردة في القرآن ليتمكن من فهم الآيات المتعلقة فهما صحيحا ثم يتمكن من تفهيمها وتفسيرها في ضوء دراسته .
- ان أسلوب الاستاذ المودودي بالعناية بالقصر الواردة في القرآن يمتاز باهتمامه ببيان العلاقة بين القصة وبين مرحلة الدعوة التي أنزلها الله فيها كما يعنى الاستاذ ببيان الدروس التي ينبغى للداعية ان يتعلم منها .
- ان الاستاذ لم يهتم في تفسيره بالمباحث الجانبية التي ليست لها اية علاقة مباشرة او غير مباشرة في فهم القرآن وذلك لان القارئ لا يلتفت ^{نظرة} الى هذه المباحث الجانبية فهو على العكس يهتم ببيان الدروس التي ينبغى للقارئ أن يتعلم منها .

- ان الاستاذ المودودي خلال تفسيره للقرآن الكريم يهتم بصفة خاصة بالرد على التأويلات الباطلة للآيات الكريمة التي جاء بها الفرق المختلفة لتأييد مذاهبهم الخاصة سواء كانت هذه الفرق قديمة مثل الشيعة او الخوارج والمعتزلة او كانت ^{حديثاً} مثل القاديانية وانكار السنة والخرافية واسلوب الاستاذ المودودي في الرد على هذه التأويلات الباطلة يمتاز باستدلاله بالقرآن والسنة والاجماع والبراهين العقلية القوية معا .

- ان اهتمام الاستاذ المودودي بالمواجهة للتحديات المعاصرة والحركات الهدامة المعادية للاسلام كان لابرار موقف الاسلام عما جاءت به الحضارة الجاهلية الحديثة من النظريات اللادينية والفلسفات المادية ، وذلك بالبراهين العقلية القوية ليتمكن من القضاء على العبودية الفكرية للحضارة الغربية التي قد وقع فيها كثير من المثقفين الجدد بعد غزو الاستعمار الحضارى للعالم الاسلامي .

- ان تفسير الاستاذ المودودي يتبين من دراسته المقارنة مع التعاسير الاخرى القديمة منها والحديثة ان الاستاذ قد وفقه الله ان يجمع فيه بين الرواية والدراية وهذا ما تزيد به ثقتنا فيه .

- ان تفسير الاستاذ المودودي مع كل ما كان له من ايمان النظر في الكتاب والسنة والاطلاع الواسع على العلوم والفلسفات المعاصرة ومع كل اهتمامه بالجمع بين الرواية والدراية ومع كل ما بذله من السعي والجهد في التحقيق والدقة خلال تاليفه هناك بعض من آرائه التفسيرية التي اختلف به فيها بعض العلماء والمشايخ المعاصرين وذلك لعدة اسباب منها :

اولا : ان الانسان مهما يكن عالما ومفكرا ومفسرا لا يكون معصوماً من الخطأ ، فكل انسان يؤخذ منه ويؤخذ عليه الا الانبياء عليهم السلام ، والنبي لا يؤخذ عليه لكونه معصوماً .

ثانياً : أن الاختلاف في الآراء التفسيرية لا بأس به اذا كان مستدلاً من الكتاب والسنة ، ولا سيما اذا لا يجعل المفسر رأيه مقياساً للحق والباطل ، وهذا الاختلاف نجده في المفسرين الكبار من الصحابة رضی الله عنهم والتابعين وتبع التابعين رحمهم الله ، وكان من هذا المنطلق ان الاستاذ كان يختلف في بعض آرائه التفسيرية عن بعض من المفسرين مستشهداً بالادلة من الكتاب والسنة والبراهين العقلية القوية ولذا اختلف بعض العلماء والمشايخ ببعض آرائه التفسيرية لا بأس فيه ولا حرج .

ثالثاً : ومن الطبيعي ان يكون هناك فرقا بين تفسير المفسر الداعية الذي يفسر القرآن وهو يعمل في مجال الدعوة ويمر من المراحل التي مرت بها الدعوة الاسلامية حين نزول القرآن وبين المفسر الذي يؤلف تفسيره جالسا في مكتب او مدرسة وزاوية لأن الأول يعيش في ظلال القرآن ولكن الثاني يعيش في البيئة التي تختلف من البيئة التي يعيش فيها الأول ، وهذا يمكن لنا ان نفهم حقيقة هذا الاختلاف بين آرائهما التفسيرية .

رابعاً : وهناك بعض من العلماء والمشايخ الذين لم يعجبهم قيام الاستاذ المودودي بعمل الدعوة فبدأوا يختلفون به وينتقدونه في كل صغيرة وكبيرة ، فقاموا كما دأبهم بتقديس تفسيره ايضا الا ان نقدهم يخلو من الادلة من الكتاب والسنة والبراهين العقلية ، فلهذا هذا النوع من النقد ليس له اثر يذكر .

وجملة القول ان تفهيم القرآن " ليس بكتاب يحتفظ به فقط في الدولاب ويحترم فقط تقديسا له او يقرأ فيه فقط للتلذذ بل كتاب قاد الحركة ووجه الامة وكشف الغمة وكون حيويا كاملا يعيشه في المنشط والمكره يستهديه في الملمات ويستنير به في الظلمات ويسترشده في اجواء الجامعات وفي المصانع وفي ضوضاء

الآلات وفي المتاجر والمستودعات ، وفي الحقول والزرع ، وفي المدن : مراكز الحضارة ، وفي القرى : معازل البداوة ، وفي المراكز التي يخوضها حملة الدعوة لتطبيق الاسلام تشريحا للدولة ومنها للحكومة ، وفي المداوالت التي تجرى في المحاكم وأقضية القضاء وقاعات المحاماة لاحقاق الحق وابطال الباطل وفي الجبهات التي يلجأ اليها المفاويز الافغان لضرب القوات المحتلة فسيروع الافغانستان .

ويقرأ هذا الكتاب لمواجهة العقائد الباطلة من الشرك والوثنية والخرافات ومقارعة الافكار الهدامة من الرأسمالية والشيوعية والمادية والوجودية ، وقمع الدعاوى الزائفة من القاديانية والبهائية وتطهير الازهان من دسائس الصهيونية ومكائد التبشير وابطال الاستشراق وزيف التفريغ ويقرأ لتحطيم الطواغيت الذين يتحكمون في رقاب الناس الذين ولدتهم أمهاتهم احرارا فاستعبدوهم وينفذون فيهم عالم ينزل الله به من سلطان" (١) .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا

محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه الى يوم الدين . . .

...

المصادر والمراجعالكتب :

- ١ - أبو الأعلى المودودي - صفحات من حياته وجهاده ، الاستاذ احمد ادريس ، المختار الاسلامي بالقاهرة (ط) عام ١٤٠٠ هـ / ١٩٧٩ م)
- ٢ - أبو الأعلى المودودي : فكره ودعوته ، الاستاذ اسعد جيلاني ، ترجمة الدكتور سمير عبد الحميد ابراهيم ، شركة الفيصل للطباعة والنشر بلاهور (ط) عام ١٩٧٨ م)
- ٣ - اتجاهات التفسير في العصر الحديث - الدكتور عبد المجيد عبد السلام المحتسب دار الفكر بيروت - ط (١٣٩٣ هـ)
- ٤ - الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر - الدكتور محمد محمد حسين - مكتبة الادب ومطبعتها بالجمايز (الطبعة الثانية ١٣٨٢ هـ)
- ٥ - احكام القران - الامام ابو بكر احمد بن علي الرازي الجصاص ، تحقيق : محمد الصادق قماوى . دار المصنف - شركة مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد بالقاهرة .
- ٦ - ارد و ادب اور اسلام (الادب الاردى والاسلام) الاستاذ هارون الرشيد ، اسلامك ببلو كيشنز (الاسلاميون للطباعة والنشر - لاهور) لاهور (ط) نوفمبر ١٩٦٨ م)
- ٧ - الاستشراق والمستشرقون - د . مصطفى السباعي . المكتب الاسلامي (ط - عام ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م)
- ٨ - الاسلام في مواجهة التحديات المحاصرة - الاستاذ المودودي ، ترجمة الاستاذ خليل الحامدى ، دار القلم . الكويت (ط) ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م)
- ٩ - الاسلام ووضاعنا القانونية - الشهيد عبد القادر عودة - الاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابية ، الكويت (ط) ١٤٠١ هـ / ١٩٨٢ م)
- ١٠ - الامام ابو الأعلى المودودي - الاستاذ خليل احمد الحامدى - دار العربية للدعوة الاسلامية ، المنصورة ، لاهور ، باكستان (ط عام ١٩٨٠ م)

- ١١- اشتراكيتهم واسلامنا - الاستاذ بشير العوف - مؤسسة الانتاج الطبعى - بيروت (ط ١٩٦٦) .
- ١٢- الاصابة فى تمييز الصحابة - الامام الحافظ شهاب الدين ابوالفضل احمد بن على بن حجر العسقلانى المتوفى (٨٥٢ هـ) مكتبة المثنى ، بغداد ، دار احياء التراث العربى . بيروت .
- ١٣- الاعلام ، خير الدين الزركلى ، بيروت (ط ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٩ م) .
- ١٤- اقبال اورقائد اعظم (الدكتور محمد اقبال والقائد الاعظم محمد على جناح) الاستاذ احمد سعيد - اقبال اكادemy - جلبرك لاهور باكستان ط ١٩٧٧
- ١٥- الاقتصاد فى الاعتقاد - حجة الاسلام محمد ابوحامد الغزالى الطوسى - المطبعة الادبية بمصر .
- ١٦- اقرب الموارد - العلامة السعيد سعيد الخورى الشرنوبى اللبناى - مطبعة مرسلى اليسوعية . بيروت (ط ١٩٧٩ م) .
- ١٧- الانسان بين المادية والاسلام - محمد قطب - دار الاحياء الكتب الدينية - عيسى الهابى الحلبي وشركاه . القاهرة (ط - ١٩٦٥ م) .
- ١٨- انوار التنزيل واسرار التاويل (المعروف بتفسير البيضاوى) العلامة القاضى ناصر الدين ابوسعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوى - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الهابى الحلبي واولاده بمصر (ط ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م) .
- ١٩- باكستان ماغيها وحاخرها - الدكتور احسان حقى - دار النقائس للطباعة والنشر بيروت (ط ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م) .
- ٢٠- البداية والنهاية - الامام ابوالفدا اسماعيل بن كثير (م ٧٧٤ م) مكتبة المعارف . بيروت (ط ١٩٧٧ م) .
- ٢١- البرهان فى علوم القرآن - الامام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى - تحقيق : محمد ابوالفضل ابراهيم . عيسى الهابى الحلبي وشركاه بمصر ، (ط ١٣٩١ هـ) .
- ٢٢- بيان القرآن - الشيخ اشرف على التهانوى - تاج كمينى ليمتد - لاهور .

- ٢٣- باكستان كى نظرياتى بنيادين - (الاجادىء الفكرية ادولة باكستان) الدكتور
وحيد قريشى - ايجوكيشنل ايمبوريم لاهور- ط ١٩٧٣م .
- ٢٤- باكستان ميمى ائين كى تدوين اور جمهوريت كاصئلة (مشكله تدوين الدستور
والديمقراطية فى باكستان) الاستاذ غورشيد احمد - مكتبة معاوية كراتشى
ط ١٩٧٠م .
- ٢٥- باكستان ناگزيرتها (كان لابد من الباكستان) سيد حسن رياض - جامعة
كراتشى (ط ١٩٧٠م) .
- ٢٦- باكستان مزدور تحريك - (حركة نقابة العمال فى باكستان) الاستاذ محمد
شفيع ملك ، كراتشى .
- ٢٧- باكستانى عورت اور اهنى بر (المرأة الباكستانية على مفترق الطرق) الشيخ
امين حسن الاصلاحى - مركزى انجمن خدام القرآن - لاهور .
- ٢٨- بينلز بارتى - مقاصد اور حكمت على (حزب الشعب لبوتو - سياسته واهدافه)
جسارت برنثرز كراتشى .
- ٢٩- تاريخ ادبيات مسلمانان باك وهند (التاريخ الادبى المسلمين باكستان والهند)
جامعة بنجاب . لاهور ط ١٩٧٢م .
- ٣٠- تاريخ تعليم الهند (تاريخ التعليم فى شبه القارة الهندية) سيد
نور الله وجى بى سناك - الترجمة باللغة الاردية : مسعود الحق . ساؤتمه
ايشين بيلشرز - كراتشى (الطبعة الثانية ١٩٨١) .
- ٣١- تاريخ هندوك - الشيخ المقرئ احمد بيلى بيتى - محمد سعيد ايندسنز كراتشى
(تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية) ط ١٩٧٤م .
- ٣٢- تاريخ جماعت اسلامى (تاريخ الجماعة الاسلامية) سيد اسعد جيلانى -
المنار كسنتر المنصورة لاهور (ط ١٩٨٢) .
- ٣٣- تاريخ الشعوب الاسلامية - الدكتور عبد العزيز سليمان نوار . دار النهضة
العربية للطباعة والنشر . بيروت (ط . عام ١٩٧٣) .

- ٣٤ - تبیین الحقائق شرح كنز الدقائق - العلامة فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي ، دار المحرفة للطباعة والنشر - بيروت ط ١٩٧٤ .
- ٣٥ - تحريك آزادي هند اور مسلمان (حركة تحرير شبه القارة الهندية) الاستاذ المودودي اسلامك بيلى كيشنز ، لاهور (ط ١٩٧٤) .
- ٣٦ - تحريك اسلامي اينده لائحه عمل (منهج الحركة الاسلامية في المستقبل) (الاستاذ المودودي - اسلامك بيلى كيشنز - لاهور .
- ٣٧ - تحقيق الجهاد ، جراح على - مطبعة رفاہ عام ، لاهور ط ١٩١٣ .
- ٣٨ - تدبر قرآن (تدبر القرآن) الشيخ امين احسن الاصلاح - مركزى انجمن خدام القرآن لاهور باكستان (ط . أغسطس ١٩٧٦) .
- ٣٩ - تذكرة دعاة الاسلام - الاستاذ المودودي - المكتب الاسلامي ، بيروت ، ط ١٣٩٥ .
- ٤٠ - ترجمان القرآن - الشيخ ابوالكلام آزاد . شيخ غلام علي ايندسنز ادبي ماركيت لاهور .
- ٤١ - أ الترفيب والترهيب . الشيخ زكي الدين عبد العظيم عبد القوي المنذرى ، دار احياء الكتب العربية بمصر .
- ٤١ ب - التمرير عن مجمع المعارف الاسلامية - الاستاذ خليل الحامدي - مجمع المعارف الاسلامية بلاهور .
- ٤٢ - تصريحات . الاستاذ المودودي . احباب بيلى كيشنز لاهور - باكستان ، (ط ١٩٧٩) .
- ٤٣ - تفسير الجلالين - الامام جلال الدين المحلى والامام جلال الدين السيوطي ، المكتبة الشعبية .
- ٤٤ - تفسير الثنائى . الشيخ ثناء الله الامرتسرى . ثنائى اكاڊمى لاهور - باكستان (ط ١٩٧٢) .
- ٤٥ - تفسير القرآن العظيم . المحافظ عماد الدين ابوالفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي و دار احياء الكتب العربية .
- ٤٦ أ - تفسير القرآن الكريم المعروف بتفسير المنار - الشيخ محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا - دار المنار بمصر (الطبعة الرابعة ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م) .
- ٤٦ ب - التفسير الماجدى . الشيخ عبد الماجد الدرا آبادى - تاج كهنى - لاهور .

- ٤٧- التفسير والمفسرون . الدكتور محمد حسين الذهبي . دار الكتب الحديثة ،
القاهرة (ط . . ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م)
- ٤٨- تفهيم القرآن - الاستاذ أبو الاعلى المودودي - المجلد الأول - مكتبة تعمیر
انسانيت - لاهور (ط ١٥ - ١٩٧٨ م)
- المجلد الثاني : ادارة ترجمان القرآن - لاهور (ط ١١ / ١٩٧٨)
- المجلد الثالث : مكتبة تعمیر انسانيت - لاهور (ط ٩ / ١٩٧٦)
- المجلد الرابع : " " " " (ط ٨ / ١٩٧٦)
- المجلد الخامس : ادارة ترجمان القرآن - لاهور - (ط ٦ / ١٩٧٨)
- المجلد السادس : " " " " (ط ٧ / ١٩٧٨)
- ٤٩- تفهيم القرآن وخصائصه - الاستاذ خليل احمد الحامدي (بحث صغير يشمل
المحاضرة التي القاها الاستاذ خليل الحامدي حول هذا الموضوع في
احدى المؤتمرات . وهذا البحث لم يزل غير مطبوع حتى الآن) .
- ٥٠- التقرير عن أنشطة الجماعة الاسلامية بالهند - الامين العام للجماعة الاسلامية
بالبند - نقلا عن المجلة الخاصة صدرت من قبل الجماعة
الاسلامية بالهند في ذكرى المؤتمر السنوي السادس عام ١٩٨١ م .
- ٥١- التقرير عن خدمات الجماعة الاسلامية نحو المهاجرين الأفغان لعام ١٩٨٢ م الاستاذ
طفيل محمد أمير الجماعة الاسلامية بباكستان .
- ٥٢- تنوير القياس من تفسير ابن عباس . دار الكتب العلمية . بيروت .
- ٥٣- جامع الاصول في احاديث الرسول - الامام مجد الدين ابوسماعات المبارك بن
محمد . ابن الاثير الجزري (م ٦٠٦ هـ) تحقيق عبدالقادر الرناؤوط - مكتبة
الحلواني (١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م)
- ٥٥- جامع البيان في تفسير القرآن - ابو جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار المعرفة
للطباعة والنشر - بيروت (ط ٤ - ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م)

- ٥٦ - الجامع لاحكام القرآن - ابي عبد الله محمد بن احمد الانصارى القرطبي - دار العلم (عام ١٣٨٦ هـ) .
- ٥٧ - جماعات اسلامي كى ٢٩ سال (الجماعة الاسلاميه خلال تسعة وعشرون عاما) الاستاذ المودودى - قسم النشر والتوزيع للجماعة الاسلاميه بباكستان (ط ١٩٧٠) .
- ٥٨ - جماعات اسلامي كى مقصد ، تاريخ اور لائحة عمل (الجماعة الاسلاميه - هدفها تاريخها و برامجها) الاستاذ المودودى - قسم النشر والتوزيع للجماعة الاسلاميه بباكستان .
- ٥٩ - الحجاب - الاستاذ ابو الاعلى المودودى - دار الانصار - القاهرة (١٩٧٧) .
- ٦٠ - الحضارة الاسلاميه - اسمها و مبادئها - الاستاذ ابو الاعلى المودودى - دار الخلافة للطباعة والنشر - القاهرة .
- ٦١ - الحكم والدولة - الدكتور محمد المبارك - دار الفكر - بيروت - الطبعة الاولى (١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م) .
- ٦٢ - الحلول المستوردة وكيف جنت على امتنا - الاستاذ الدكتور يوسف القرضاوى مكتبة وهبة - القاهرة (ط ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م) .
- ٦٢ ب - حوار بين الدعاة الاعلام - المودودى والندوى وسيد قطب - الاستاذ احمد محمد جمال - دار العمرة للدعوة الاسلاميه - المنصورة ، لاهور (ط : ١٤٠١ هـ / ١٩٨١) .
- ٦٤ - الخرشى على مختصر سيدى خليل - دار صادر - بيروت .
- ٦٥ - خصائص التصور الاسلامي ومقوماته . الشهيد سيد قطب - الاتحاد الاسلامي العالمى للمنظمات الطلابية (١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م) .
- ٦٦ - خزائن العرفان على كثر الايمان - الشيخ محمد نعيم الدين المراد أبادى جاند كمنى لاهور .
- ٦٧ - دائرة المعارف الاسلاميه بالاردية - جامعه بنجاب - لاهور (الطبعة الاولى - ١٩٧١) .

٦٨- الدر المنثور في التفسير بالمأثور - جلال الدين السيوطي - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت .

٦٩- لاستور الجماعة الاسلامية بباكستان . (ط ١٩٨٢)

٧٠- دور مغليه (العهد المغولي) صلاح الدين ناسك - عزيز بك يو - لاهور (ط ١٩٧٣)

٧١- الربا . الاستاذ ابو الاعلى المودودي - ترجمة محمد عاصم الحداد - مؤسسة الرسالة . بيروت (١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م)

٧٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - العلامة محمود الأوسى البغدادي - دار احياء التراث العربى . بيروت .

٧٣- زود كوثر - شيخ محمد اكرام - ادارة الثقافة الاسلامية - لاهور .

٧٤- رواد جماعات اسلامي (التقرير عن أنشطة الجماعة الاسلامية) قسم النشر والتوزيع للجماعة الاسلامية .

٧٥- سفرنامه أرض القرآن (الرحلة الى أرض القرآن) الاستاذ محمد عاصم الحداد

٧٥م اسلامك بيلى كيشنز (لاهور - ط ١٩٦٨) . مكتبه السنة المحمدية ، القاهرة .

٧٦- سنت كي آييني حيث (مكانة السنة في التشريع) الاستاذ المودودي - اسلامك

ببليكيشنز (لاهور - ط ١٩٧٠ م)

٧٧- سنن ابن داؤد - الامام الحافظ المصنف ابوداود سليمان السجستاني

(م ٢٧٥ هـ) تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد - دار احياء السنة النبوية

٧٨- سنن الترمذي - ابو عيسى محمد بن عيسى - تحقيق وتحليق : ابراهيم عطوة

عوض - شركة ومطبعة مصطفى الهادي الحلبي بمصر (١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م)

٧٩- سيد قطب الشهيد الحى - صلاح عبدالفتاح الخالدي - مكتبة الاقصى -

عمان - الاردن (ط ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م)

٨٠- سيد مودودي - بجين جواني - برهبا - (الاستاذ المودودي - طفولته

شبابه وشيوخه) الاستاذ اسعد جيلاني - احباب ببليكيشنز - لاهور

(ط ١٩٧٨ م)

- ٨١ - سيد ابوالاعلى المودودي - الشورى عبد الرحمن عبد - اسلامك بيلي كشنز
لاهور (ط ١٩٧٨ م)
- ٨٢ - السيرة النبوية لابن هشام - المعروف بسيرة ابن هشام .
تحقيق : مصطفى السقا ، ابراهيم البيارى عبد الحفيظ السبكي . شركة
مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر (ط ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م)
- ٨٣ - شرح الطحاوية في العقيدة السلفية - الامام الطحاوي تحقيق : احمد شاكر
الناشر زكريا على يوسف . مطبعة العاصمة . الرياض .
- ٨٤ - الصحاح - اسماعيل بن حماد الجوهري - تحقيق عبد الغفور عطار ،
القاهرة (ط ١٤٠٢ هـ .)
- ٨٥ - صحيح البخاري - ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري . دار
الامام مطابع الشعب - (ط ١٣٧٨ هـ .)
- ٨٦ - صحيح المسلم - الامام ابوالحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري - تحقيق
محمد فؤاد عبد الباقي - دار احياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي -
القاهرة .
- ٨٧ - الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية في الاقطار الاسلامية . الاستاذ
ابوالحسن علي الندوي - دار الندوة للتوزيع - لبنان (الطبعة الثانية ١٣٨٨)
- ٨٨ - ضياء القرآن - الشيخ القاضى محمد كرم شاه الأزهرى - ضياء القرآن بيلي كيشنز
لاهور (١٤٠٠ هـ) .
- ٨٩ - الطبقات الكبرى لابن سعد - محمد بن سعد بن منيع البصرى الزهرى (م ٢٣٠ هـ)
دار صادر - بيروت .
- ٩٠ - العطلانية - نشاتها وتطورها واثارها في الحياة الاسلامية المعاصرة - سفر بن
عبد الرحمن الهوالى - دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع - مركز البحث العلمى
واحياء التراث الاسلامى - جامعة ام القرى بمكة المكرمة (ط ١٤٠٢ هـ .)

- ٩١- الغارة على العالم الاسلامي - أ - ل شاتليه - ترجمة محب الدين الخطيب -
مكتبة اسامة بن زيد - بيروت .
- ٩٢- الغزو الفكري - اهدافه ووسائله - الدكتور عبدالصبور المرزوق - شركة مكتبة
للطباعة والنشر - من منشورات رابطة العالم الاسلامي (الطبعة الثانية)
- ٩٣- الغزو الفكري والتيارات المعادية للاسلام - د . عبدالستار فتح الله - ادارة
الثقافة والنشر بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - الرياض .
- ٩٤- الغزو الفكري والتيارات المعادية للاسلام - الدكتور علي عبد الحلليم محمود
- ادارة الثقافة والنشر بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - الرياض -
(١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م)
- ٩٥- فتح الباري - حافظ بن حجر العسقلاني - رئاسة ادارات البحوث العلمية
والافتاء والدعوة والارشاد - تحقيق : الشيخ عبدالعزيز بن عبد الله بن باز -
ط ٧ : عام ٣٧٩ هـ) .
- ٩٦- فتح المنان المعروف بالتفسير الحقاني - الشيخ عبدالحق الحقاني الدهلوي
- مكتبة العزيزية - اردو بازار - لاهور - باكستان .
- ٩٧- فتح القدير - الامام كمال الدين محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام
الحنفي السعوي الاسكندري - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي
واولاده بمصر (ط / ١٣٧٩ هـ) .
- ٩٨- فتح القدير - الامام محمد بن علي بن محمد الشوكاني - شركة مكتبة ومطبعة
مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر (ط ٣٨٣ هـ) .
- ٩٩- فتوح البلدان - احمد بن يحيى بن حبير البلاذري - تحقيق : عبد الله
انيس الطباع وعمرانيس الطباع - دار النشر للجامعيين (١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م) .
- ١٠٠- فرقة اهل القرآن بباكستان وموقف الاسلام منها - رسالة الماجستير للطلاب
خادم حسين الهبي بخش - جامعة ام القرى للعلماء الدراسات ٤٠٠ / ١٤٠١ هـ .

- ١٠١- الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار - الدكتور محمد الهبي - مكتبة
وهبة بمصر (ط ٨ / ١٣٩٥ هـ) .
- ١٠٢- في ظلال القرآن - الشهيد سيد قطب - دار الشروق - بيروت (ط ١٣٩٩ هـ
١٩٧٩ م) .
- ١٠٣- القادياني والقاديانية - الشيخ ابوالحسن علي الندوي - دار السمودية
للنشر / جدة (ط ١٩٦٧ م) .
- ١٠٤- قافلة سخت جان (ركب الصمود) الاستاذ اسعد جيلاني - حلقة
ادب املاي سركووها ، باكستان .
- ١٠٥- القاموس المحيط - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي - دار الجيل
بيروت .
- ١٠٦- قرار هيئة جائزة الملك فيصل العالمية الصادر في ٢ ربيع الثاني عام ١٣٩٩ هـ .
- ١٠٧- القرآن الكريم .
- ١٠٨- الكافي في فقه الامام احمد بن حنبل - ابو محمد موفق الدين عبدالله بن
قدامة المقدسي - المكتب الاسلامي - بيروت (الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ) .
- ١٠٩- كتاب الافصاح عن معاني الصحاح - يحيى بن محمد بن هبيرة (م : ٥٦٠ هـ)
المؤسسة السعيدية بالرياض (١٣٩٨ هـ) .
- ١١٠- كتاب الكبائر - الامام ابو عبد الله محمد شمس الدين الذهبي (م ٧٤٨ هـ)
(دار الوعي العربي ، حلب ، سوريا) .
- ١١١- الكتاب المقدس ، جمعيات الكتاب المقدس المتحدة . بيروت .
- ١١٢- كتاب الاحتجاج - ابو منصور احمد بن ابي طالب الطبرسي - قم ، ايران -
(١٣٠٢ هـ) .
- ١١٣- الكشاف عن حقائق التنزيل وبيان الاقاويل في وجوه التأويل لابن القاسم جارالله
محمود بن عمر الزمخشري - / دار الفكر - بيروت .

- ١١٤- لسان العرب - العلامة ابوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري - دار صادر بيروت (ط: ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م) .
- ١١٥- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين - الاستاذ ابوالحسن علي الندوي - دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - الطبعة التاسعة ١٣٩٦هـ / (٠م ١٩٧٦)
- ١١٦- ماهي القاديانية؟ الاستاذ ابوالاعلى المودودي - دار القلم . الكويت - (ط: ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م) .
- ١١٧- مباحث في علوم القرآن - الدكتور صبحي الصالح - دار العلم للملايين (الطبعة السادسة - ١٩٦٩م) .
- ١١٧- مباحث في علوم القرآن - الدكتور صبحي الصالح - دار العلم للملايين (الطبعة السادسة ١٩٦٩م) .
- ١١٨- مبادئ الاسلام - الاستاذ المودودي - مؤسسة الرسالة (ط ٣٣ / عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) .
- ١١٩- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - حافظ نورالدين علي بن ابي بكر الهيثمي - (م ٨٠٧ هـ) دار الكتاب - بيروت (الطبعة الثانية ١٩٦٧م) .
- ١٢٠- مجموعة رسائل الامام حسن البنا الشهيد - الامام حسن البنا الشهيد ، المؤسسة الاسلامية للطباعة والنشر - بيروت .
- ١٢١- المحلى - الامام ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الاندلسي - المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت .
- ١٢٢- المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام - الشيخ محمد محمود الصواف . مكتبة الجيل ، مكة المكرمة .
- ١٢٣- مذكرات الدعوة والداعية - الامام حسن البنا الشهيد - مؤسسة الرسالة بيروت - (ط: ١٩٦٦م) .
- ١٢٤- مسألة كشمير (قضية كشمير المسلمة) الاستاذ ابوالاعلى المودودي - جمعية الطلبة الاسلامية - لاهور (ط: ١٩٨١م) .

- ١٢٥- مسألة ملكية الارض في الاسلام - الاستاذ المودودي - ترجمة محمد عاصم الحداد - دار الحرية للدعوة الاسلامية - لاهور (ط ١٩٦٩م) .
- ١٢٦- المستدرک علی الصحیحین - ابو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري عام ٤٠٥ هـ - مكتبة ومطابع النصر الحديثة .
- ١٢٧- مسلم ليك كادور حكومت (حكومة حزب رابطة المسلمين في باكستان) - الدكتور صفدر محمود - شيخ غلام علي انيد سنز - لاهور (ط ١٩٧٤م)
- ١٢٨- مستقبل الثقافة في مصر - الدكتور طه حسين - القاهرة (مصر) .
- ١٢٩- مسند الامام احمد بن حنبل - المكتب الاسلامي . بيروت .
- ١٣٠- مشرق باكستان كى غلحدگى درد ناك كهانى (اضواء على حادث انفصال باكستان الشرقية) (رانارحمان ظفر - ايشين بيلشز - لاهور ط ١٩٧٦)
- ١٣١- مشروع خدمة الجهاد الاسلامي الافغانى في مجال الاعلام - الاستاذ طفيل محمد امير الجماعة الاسلامية بباكستان .
- ١٣٢- المصطلحات الاربعه في القرآن - ابو الاعلى المودودي - المترجم / محمد كاظم سباق - دار القلم - الكويت / ط ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م .
- ١٣٣- معارف القرآن - الشيخ المفتي محمد شفيع - ادارة المعارف - كراتشي باكستان (ط ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م) .
- ١٣٤- معالم التنزيل - ابو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (على حاشية تفسير الخازن) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الهابي الحابي - ط ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥م
- ١٣٥- مفاهيم اسلامية حول الدين والدولة - الاستاذ المودودي - المترجم : الاستاذ خليل الحامدي - دار القلم - الكويت ط ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧م .

- ١٣٦- مفاتيح الغيب المعروف بتفسير الكبير أو بتفسير الفخر الرازي - الامام محمد الرازي فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (ط ١٩٨١ م) .
- ١٣٧- مقالات سرسيد الجمع والتدوين : الشيخ محمد اسماعيل باني بقى مجلس ترقى ادب لاهور (ط ١٩٦١) .
- ١٣٨- مقالات ضياء الامة - الشيخ القاضى محمد كرم شاه الازهرى - ضياء القرآن ببللى كيشنز - لاهور . (ط : ١٤٠٢ / ١٩٨٢) .
- ١٣٩- مكاتيب (رسائل الاستاذ المودودى) الجمع والتدوين : الاستاذ عاصم النعمانى - اسلامك ببللى كيشنز - لاهور (ط ١٩٧٢ م) .
- ١٤٠- معجم المؤلفين - عمر رضا كحالة - المكتبة العربية بدمشق .
- ١٤١- مقدمة التفسير (الجزء الثالث عشر من فتاوى الامام ابن تيمية) الجمع والترتيب : عبد الرحمن بن محمد قاسم الحنبلى (ط / ١٣٩٨ هـ) .
- ١٤٢- مناقب الامام الاعظم - ابن احمد المكي - دار المعارف العثمانية - حيدرآباد - (عام ١٣٢١ هـ)
- ١٤٣- منحة المحبوب فى ترتيب مسند ابن داود الطيالسى . التحقيق : احمد عبد الرحمن البنل الساعاتى - المطبعة المنيرية بالازهر . ط ١٣٧٢ هـ . موج كوتر (موج الكوتر) - شيخ محمد اكرام - اداره الثقافة الاسلامية ، لاهور .
- ١٤٤- الموسوعة العربية - نجيب فرنجية وفريق من الاساتذة - دار الريحان للطباعة والنشر - بيروت (ط ١٩٥٥) .
- ١٤٥- الموسوعة العربية الميسرة - محمد شفيق غربال - دار الشعب للطباعة والنشر (ط : ١٩٥٩) .
- ١٤٦- الموطأ - الامام مالك بن انس رحمة الله - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - دار احياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركاه (ط ١٣٧٠ هـ / ١٩٧١) .

- ١٤٧- موقف الاسلام من نظرية ماركس للتفسير المادى للتاريخ - احمد العوايشة ،
دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع - جامعة ام القرى - مركز البحث العلمى
ط ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- ١٤٨- مولانا مودودى مابنى اورد وسرون كى نظرمين (الاستاذ المودودى - مكمل
يتحدث عن عينته وكما يتحدث عنه الآخرون) الجمع والترتيب : الاستاذ
محمد يوسف - مكتبة الحبيب - لاهور (ط ١٩٥٥ م) .
- ١٤٩- مولانا مودودى كى انقريبو (مقابلات الاستاذ المودودى الصحفية) ابوطارق
اسلامك بيلى كيشنز - لاهور (ط ١٩٧٦ م) .
- ١٥٠- المذهب فى فقه الامام الشافعى - ابواسحاق ابراهيم بن على بن يوسف
الفيروزابادى الشيرازى - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت (ط ١٣٧٩ /
١٩٥٩ م) .
- ١٥١- نحن والحضارة الغربية - الاستاذ ابوالاعلى المودودى - مؤسسة الرسالة
بيروت .
- ١٥٢- نزهة الخواطر وبهجة السامع والنواظر - الشريف عبدالحى الحسنى - مجلس
دائرة المعارف العثمانية - حيدرآباد . الهند .
- ١٥٣- نشأة باكستان - سيد شريف الدين بيرزاده - الدار السعودية للنشر -
والتوزيع ط ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م - ترجمة عادل الاصلاحى
- ١٥٤- نظام القرآن و تاويل الفرقان - الشيخ حميد الدين الفراهى - ترجمة : الشيخ
امين احسن الاصلاحى : انجمن خدام القرآن - لاهور - (ط ١٣٩٣ هـ /
١٩٧٣ م) .
- ١٥٥- نظرة عابرة على الجماعة الاسلامية - باكستان - الاستاذ خليل الحامدى -
دار العربية للدعوة الاسلامية المتصورة - لاهور (ط عام ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م) .

- ١٥٦- نظرية الاسلام وهدية في السياسة والقانون والدستور - الاستاذ المودودي
- مؤسسة الرسالة - (ط ١٤٠٠ هـ) .
- ١٥٧- نورالعرفان في حاشية القرآن - الشيخ احمد يارخان - بنجاب ، بريس لاهور
(ط ١٣٧٧ هـ) .
- ١٥٨- نهاية المحتاج الى شرح المنهاج - محمد بن ابن العباس الشهير بالشافعي
الصفير (م ١٠٠٤ هـ) شركة ومكتبة مصطفى الهادي الحلبي واولاده بمصر
(ط ١٣٩٦ هـ / م ١٩٦٧) .
- ١٥٩- واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم . الاستاذ المودودي - مؤسسة الرسالة
بيروت (ط ١٣٩٨ هـ) .
- ١٦٠- وسائل مقاومة الغزو الفكري - د . حسان محمد حسان . الامانة العامة
لرابطة العالم الاسلامي - مكة المكرمة .
- ١٦١- هند وستاني مفسرين اوران كي عربي تفسيرين (المفسرون الهنود وتفسيرهم
في اللغة العربية) مكتبة الجامعة . دهلي (ط ١٩٧٣) .
- ١٦٢- هند وستان مين سلمانون كا نظام تعليم وتربيت (المهيج التعليمي لمسلمي
الهند) الشيخ مناظر احسن جيلاني - مطبعة انتظامي ، حيدر آباد
الهند .
- ١٦٣- ياد ايام (ذكريات من التاريخ) الشيخ عبدالحق الحسنی - شاهي بريس
لكهنو - الهند .

٢ - المجلات والجرائد :

- ١- مجلة آئين الاسبوعية الصادرة من لاهور بباكستان - الاعداد
١٧/١٠/١٩٦٤ م
٢٩/٨/١٩٦٩ م
٣٠/٩/١٩٦٩ م
٦/٦/١٩٧٠ م
- ٢- مجلة آئين الاسبوعية الصادرة من لاهور ، عدد خاص في مناسبة اكمال تفهيم القرآن ديسمبر ١٩٧٥ م
- ٣- مجلة قاتش فشان ، الاسبوعية الصادرة من لاهور عدد خاص في ذكرى الاستاذ المودودي لشهر نوفمبر ١٩٧٩ م
- ٤- مجلة اردو دائجست - الشهرية الصادرة من لاهور باكستان لشهر اغسطس عام ١٩٧٩ م . ولشهر مارس ١٩٨٢ الميلادي .
- ٥- مجلة الاعتصام المصرية لشهر محرم عام ١٤٠١ هـ الموافق لشهر ديسمبر عام ١٩٨٠ الميلادي .
- ٦- مجلة " ايشيا " الاسبوعية الصادرة من لاهور عدد ١٥/٩/١٩٦٥ م
- ٧- مجلة " البلاغ " الاسبوعية الصادرة من الكويت عدد ٧٠٦ والتاريخ
٢٨/٨/١٩٨٣ م
- ٨- مجلة " جراغ راه " الشهرية الصادرة من كراتشي عدد خاص عن الحركة الاسلامية في شبه القارة الهندية لشهر نوفمبر عام ١٩٦٣ م
- ٩- مجلة " جراغ راه " الشهرية الصادرة من كراتشي عدد خاص عن نظرية باكستان الاساسية .
- ١٠- مجلة " جراغ راه " لشهر اكتوبر عام ١٩٥٣ م
- ١١- جريدة " جسارت " اليومية الصادرة من كراتشي عدد خاص في ذكرى الاستاذ المودودي رحمه الله

- ١٢- مجلة "السيارة" الشهرية عدد خاص في ذكرى الاستاذ المودودي رحمه الله
لشهرى ابريل ومايو عام ١٩٨٠ م.
- ١٣- مجلة "سيارة دائجست" الشهرية الصادرة من لاهور باكستان عدد خاص عن
القرآن وعلومه لشهر نوفمبر ١٩٦٩ م.
- ١٤- (أ) مجلة "سيارة دائجست" الشهرية الصادرة من لاهور عدد خاص في ذكرى
الاستاذ المودودي لشهر ديسمبر ١٩٧٩ م.
(ب) مجلة المجتمع الكويتية العدد ٤٥٩ .
- ١٥- مجلة "المعارف" الشهرية الصادرة من اعظم كره الهند لشهر مارس عام
١٩٦٧ م (المقالة بعنوان : شيخ معين الدين كشميري اور ان كسى
تصانيف) .

٣- المصادر والمراجع باللغة الانجليزية

- 1) Conflict crisis and war in Pakistan ,
Dr. Kalim Siddiqui
Macmillan, London (1971).
- 2) Maulana Maududi — Sarawat Saulat,
International Islamic Publications, Karachi
(First Edition - 1979).
- 3) Quad-e-Azam and Muslim Economic Resurgence
- Mahud Ali
Amir. Publications. Lahore (First Edition - 1977).
- 4) Religion and Politics in Pakistan,
University of California Press (1961).